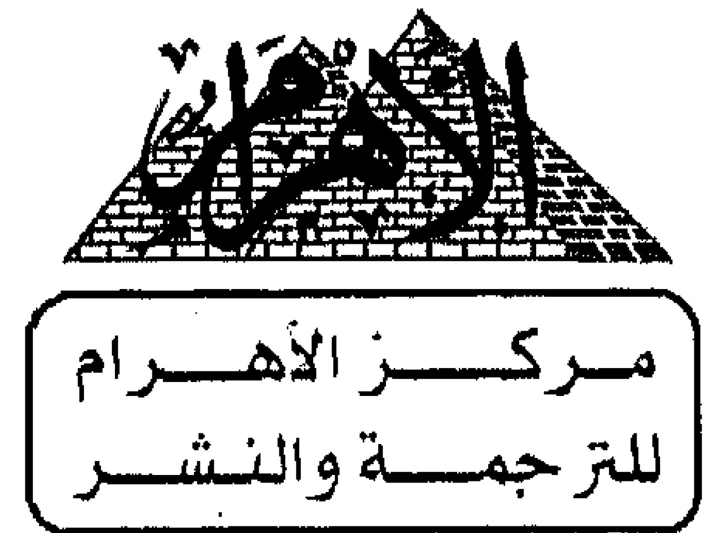


مركز الأهرام
للترجمة والنشر

فاروق.. ظالماً ومظلوماً

سهير حلمي



فاروق .. ظالماً ومظلوماً

سهير حلمي



الطبعة الأولى
يناير ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨م
الطبعة الثانية
فبراير ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨م
الطبعة الثالثة
فبراير ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨م
من إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر
مزيدة ومنقحة

الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٢٥٧٨٦٦٧٠ فاكس : ٢٥٧٨٦٠٨٣



المحتويـــات

هذا السجل بالصور

الحفاظ على الهوية لا يعنى التوقف عند حقبة تاريخية بعينها.. فالتاريخ حلقات متصلة من العصور.. ولكل عصر ظروفه ورجاله.. وإذا كان القرن العشرون شهد أحداثا وأحداثا، فإن الأخطر فى هذا القرن الماضى بالنسبة للتاريخ العربى الحديث هو نهاية الملكية فى مصر وقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ونهاية الإمبراطورية البريطانية واستقلال الشعوب العربية والإفريقية وقيام حركات التحرر بفضل ثورة ١٩٥٢.

ويسعد مركز الأهرام للترجمة والنشر أن يقدم هذا السجل الوثائقى «فاروق ظالما ومظلوما» للزميلة القديرة سهير حلمى، وقد حرصنا على الاحتفاظ بالغلاف والقطع الكبير.. لأننا لمسنا نجاح طبعاته السابقة والتى صدرت عن مجلة «نصف الدنيا». ونحن نتقدم لقارئنا بهذه الطبعة المنقحة والمزيدة.. آملين أن نسعده ونمتعه بالصور المضافة والتى ربما ظلمت المادة الوثائقية إلا أن الباحثة.. اتخذت من الصورة والأبيات الشعرية وآراء الفلاسفة والحكماء.. مادة ثرية لإضفاء قيمة مضافة لهذه الطبعة.. ومن ثم ظهرت النزعة الأدبية فى معظم الفصول. وهذا السجل يرسم بالصور الحية الناطقة، والمعلومة الدقيقة لآخر الولاة على عرش مصر من أسرة محمد على التى ملكت مصر ١٤٧ سنة، وطويت صفحتها إلى الأبد.. وفاروق الأول هو ابن الملك فؤاد وحفيد الخديو إسماعيل، أمه نازلى بنت عبد الرحيم صبرى باشا وزير الزراعة، ولد بالقاهرة فى ١١ فبراير ١٩٢٠ إبان تولية أبيه سلطانا على مصر. سافر إلى لندن لاستكمال دراسته وعاد إلى مصر إثر وفاة أبيه فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦، وأقيم على العرش فى ٦ مايو ١٩٣٦. وضعته ظروف جنت عليه حيث ولى العرش وهو فى الخامسة عشرة من عمره. وتولى الحكم خمسة عشر عاما وخلال هذه الفترة من حكمه تألفت ١٩ وزارة إما حزبية أو قومية أو مستقلة. وفى صباح يوم ٢٦ يوليه ١٩٥٢ تنازل عن العرش وغادر ميناء الإسكندرية على السفينة المحروسة (الحرية فيما بعد) التى أقلته إلى نابولى وعاش بعد ذلك متنقلا بين إيطاليا وإمارة موناكو التى منحته جنسيتها لحين وفاته بمدينة روما فى ١٨ مارس ١٩٦٥ ثم نُقل جثمانه ودُفن بالقاهرة.



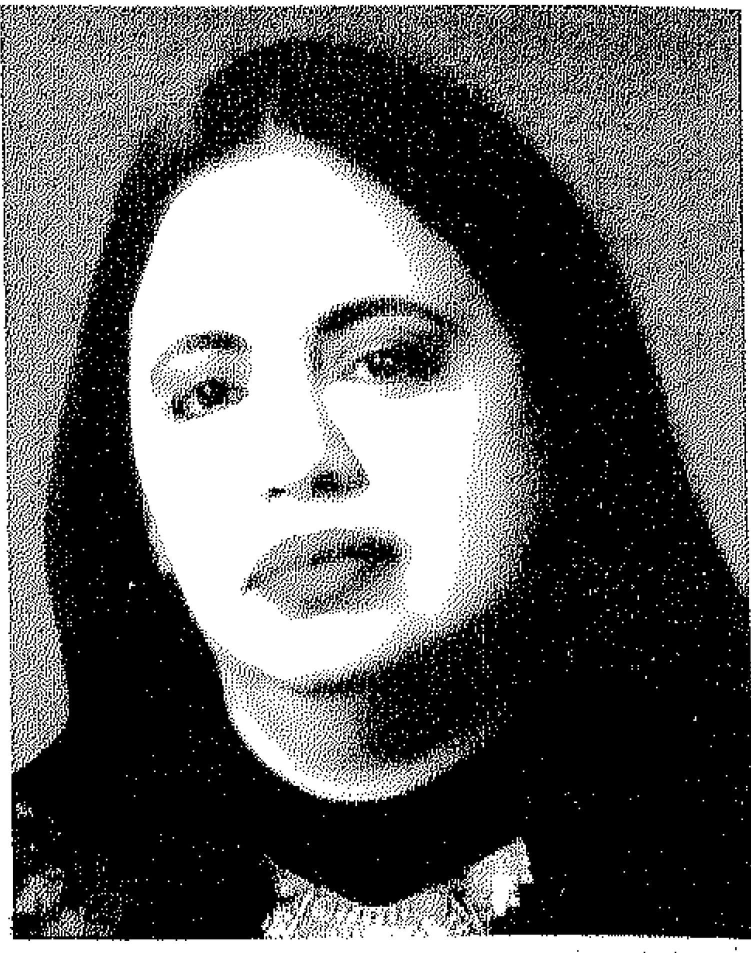
وبتقليب صفحات هذا السجل الوثائقى نقف أمام كل كلمة وكل صورة من صوره ونشعر كأنها تحدثنا، تثير لدينا شحنة من الحنين والذكريات، ترسم بالضوء والظلال وتجسّم الموقف والفكرة...

كثير من الصور تعادل المئات من الكلمات والعبارات المكتوبة والمطبوعة، هى معبرة عن الموقف المطلوب، تركز الضوء عليه أكثر من غيره بشكل يكاد يكون أبلغ وأفعل من الكلمة المكتوبة. فى عالم الصحافة تضفى الصورة على الخبر أو التحقيق الصحفى أو المقال صفة الحضور والمعايشة، لغة عالمية متعارفا عليها فى جميع أقطار العالم. وإن كانت الصورة لا تتكرر أبدا حيث إن التعبير الذى تقدمه صورة معينة فى وقت معين لا تكرره الصورة نفسها فى وقت آخر.

هذا السجل الوثائقى بصوره جزء مهم من حياتنا.. ذكريات الماضى التى كثيرا ما نعود إليها بين وقت وآخر فنغسل همومنا ومشاغلنا. بعض صور هذا السجل لها مكانة كبيرة، خاصة تلك التى تجسد استعادة اللحظة والحدث والعصر بكل ما فى ذلك من نبض.. صور كثيرا ما تفصح أكثر مما يفصح القلم.

هذا السجل الوثائقى سجل أمين للتعبير بالكلمة والصورة عن سنوات فى تاريخ مصر، ننقل خلالها إلى القارئ العربى أجمل اللقطات بخيرها وشرها، لتنعش ذاكرته البصرية والتاريخية فى لقطات بديعة وكلمات رشيقة لكى يعيش هذه السنوات ويشم رائحتها، سجل لمرحلة من مراحل تاريخ مصر بدأت وانتهت نقدمها من وجهة نظر محايدة على أمل أن يأتى جيل بعدنا يكون أقدر منا على تقديم أحداث هذا الزمن فعلى كل جيل أن يسلّم الراية والخبرة والذاكرة البصرية للجيل الذى يليه.

أبو السعود إبراهيم



بقلم: سهير حلمى

امرأة بحجم أحلامى !!

اتساقا مع عنوان الكتاب ودلالته بهدف البحث عن الحقيقة بين طرفى النقيض «ظالما ومظلوما» فإن المحاولات المبدئية لاستجلاء الصفة الأولى يستدل منها على أنها كانت وريثا شرعيا للصفة الثانية فى بعض جوانبها.

فى البدء تولدت الشعبية والمحبة الجارفة عقب وفاة الملك فؤاد وعودته إلى مصر من إنجلترا.. جميلا.. يتيما.. خجولا بقسماته الأوربية وأدب الملوك الجم.. تلك كانت أرصدته الجارية لدى الجماهير التى لم ينهمك من أجلها فى عمل عظيم أو جليل.. ولكنها المحبة الربانية والكاريزما التى قد يحرم منها الأوفياء لسوء طالعهم.. فالدنيا إذا أقبلت وهبت الإنسان محاسن غيره، وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه كما يقول الحكماء.



فالمنطق المنغم لا يحكم دائما سير الزعماء والساسة وبمجرد أن بدأت الملامح والقسمات تتحور وتتكور بفعل الصلع والبدانة فى زمن لاحق يبجل الوسامة والأناقة لدى السياسيين.. هنا انكشفت السوءات ولم تعد الرذائل متنقبة فى أذيال الفضائل كما كانت فى سابق عهدها ولكنها كشرت عن أنيابها متمثلة فى نزعته الاستبدادية الوراثية ورغبته العارمة فى أن يملك ويحكم فى آن .. ومن ثم تم استبعاد حزب الوفد ذى الأغلبية البرلمانية حيث لم تتعد فترة حكمه ست سنوات خلال عهد فاروق بأكمله.. كانت لديه قناعة أن السلطة لا تتسع لرجلين وما كان ليترك النحاس لينازعه صولجانه ويفرض عليه فرضا فى فبراير ١٩٤٢ .. وهو من سلالة محمد على قاهر المماليك ومهندس مذبحة القلعة.. وإذا كان انقلاب محمد على دمويا.. فقد اكتفى بإقالة النحاس عام ١٩٤٤ على حد تعبيره.. مستندا لسلطاته متجاهلا البنود الدستورية التى تؤكد أن الأمة هى مصدر السلطات.. وأصبح جليا أن مصر شأن معظم بلدان الشرق الأوسط من العسير أن تترسخ فيها ملكية مثالية على غرار الملكية الإنجليزية العتيقة.. حيث الملك يملك ولا يحكم فعليا وعمليا.. كانت مصر آنذاك تمتلك رصيدا ضخماً من الجنيهات الإسترلينية تدين به حكومة صاحب الجلالة وامبراطور الهند.. وثروة هائلة من أهل الحل والعقد من كبار السياسيين المحنكين والآباء المؤسسين للعديد من الجماعات السياسية والمذاهب الفنية والأدبية والجماعات الدينية.. فى مجتمع كان يعكس مقولة فولتير على صفح نيله بدقة متناهية: فالرغاوى الأرستقراطية التى تمثل نصف بالمائة على السطح وفى القاع استقرت فى صمت أغلبية الرواسب والمظالم .. أما الوسط أو الطبقة الوسطى فقد ظلت المنطقة الرائقة الأكثر اعتدالا والقادرة على استثارة دوافع التغيير من الداخل.. ولكن ذلك لا يعنى أن نفس الإلهام السياسى لم يكن مقطوعا فى بعض المراحل.. حيث الأحزاب فى شغل شاغل بالتراشقات والمهاترات .. وللأسف لم يكن الاستبداد صناعة ملكية فقط.. ولكن داخل كل حزب كان هناك فرعون يترقب الفرصة ليستبد ولكن يظل الإطار الليبرالى والتعددية واتساع هامش الحرية فى الصحافة هى السمات الغالبة على العهد تاريخيا.. وأبرز قضاياه الاجتماعية والسياسية بدءاً من ارتفاع معدلات الفقر وتكدس الثروات وزيادة البطالة وارتفاع الأسعار.. وقضايا الفساد التى من الإنصاف أن تقرأ بعدسات العصر وأرقامه لا عصرنا.. وفى صفحات ما قبل الثورة يقترن ظلم فاروق أيضا بالاضرابات المتكررة وعدم الاستقرار الوزارى .. ونكبة ١٩٤٨ وحريق القاهرة .. وتواضع شأن الحاشية الإيطالية.. وسوء طوية بطانته وخداع أقرب المقربين، فالسفير الأمريكى

كافرى أرسل ذات يوم إلى وزير خارجيته برقية مفادها: «أنه لا يوجد شخص فى مصر يكره الجميع بدون استثناء مثل كريم ثابت!!» وبالرغم من تعدد النقاط الفاصلة فى حياته إلا أن الملكة نازلى قد توجت جميع مشاكله وآلامه فمن يبحث فى سيرة فاروق لا يمكنه أن يتجاهل حضورها الطاغى فى دراما حياته.. فبدون تحليل وتفسير هذه العلاقة الثنائية الموجعة نكون أشبه بمن يدخل حياته من باب الخروج.. دون أن يرى المشاهد البانورامية والأروقة والأبهة الملكية بالترتيب الذى لا يخل بالسياق العام.. وباستدعاء الحديث عن نازلى نكون قد فتحنا أيضاً ديوان المظالم فى حياته.. فقد عاش حياته القصيرة يتحرق شوقا لامرأة تنتزعه من نفسه التى أصبحت وهنا على وهن بعد أن فقد ملاذ الأم.. وفشله مع فريدة.. وزواجه تقليديا من ناريمان.. سئم فاروق السياسة ومشاكلها ويئس من إصلاح ذاته.. لكنه لم يفقد بارقة الأمل فى الالتقاء يوما بامرأة بحجم أحلامه.. فاروق مظلوما لنشأته الملكية القاسية ولم يكن نتاج عزلته وجلوسه لمدة ساعة صامتا وهو طفل صغير ليتعلم الصبر.. إلا الانفلات فيما بعد.. وأصبح الملك يلهو فعليا.. يجالس النساء فى الأماكن العامة وتملك منه داء القمار اللعين ولم يدرك أن الشطرنج هو اللعبة الحاسمة فى السياسة حيث تكون كل القطع فى خدمة الملك.. فاروق مظلوما لأنه اعتبر أن مخالفة بعض التصرفات التى توافق الرأى العام بشأنها لا تسقط الهيبة والاعتبار.. فسميُّه عمر ابن الخطاب كان يقول : «أظهروا لنا حسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر.. فإن الوحى قد رفع وإنما أعرفكم بأفعالكم» وفى حوار بين عادل ثابت – من أقربائه – وبين أحد الضباط الأحرار بعد الثورة ذكر لثابت : ان السرية التى كانت تحيط بالسياسة العليا لفاروق وعدم اتصالهم به.. جعلتهم لا يدركون أى نشاط وطنى ربما كان يقوم به.. كانت صورته لديهم أنه ملك فاسد محب للهو.. ليس لديه إحساس بالمسئولية ومن الأفضل إبعاده قبل أن يقود مصر لكارثة اسوأ من ١٩٤٨ .. وظهر فيما بعد أن القضية ليست فساد بعض الأسلحة فقط ولكن نقص العتاد الحربى بصفة عامة.. الأمر الذى استمر حتى أوائل عهد الثورة وهو ما عبر عنه جمال عبد الناصر مع الصحفى الأمريكى الشهير سيروس سالزبرجر.. فاروق مظلوما لأنه لم يكن عميلا إنجليزيا فالسجين قد يسترضى جلاده.. لكنه لن يخلص له أبدا.. وكان السفير لامبسون يحفظ عن ظهر قلب أقوال سلفه كرومر بنفس العنجهية والاستعلاء : «نحن لا نحكم مصر.. لكننا نحكم من يحكمون مصر.. وإذا أنكر المصريون فضلنا عليهم.. فعزاؤنا أن أولاد العميان يكونون دائما من المبصرين» هذا هو التراث الدبلوماسى للإمبراطورية العظمى فى بلاد وادى النيل.. فاروق مظلوما لأنه تم اغتياله معنويا بعد الثورة ولأن بعض يكتبون يقعون أسرى لأفكار المؤرخين السابقين.. وهكذا طمست بعض الحقائق وأصبحت هذه الفترة لأسباب عديدة تموج بالتساؤلات فمن المشاهد أنه كان يمتلك ثروة ضخمة فى بنوك سويسرا لكن الواقع الفعلى يؤكد أنه لم يتسلم هذه الثروة أو أحد من أفراد أسرته..



ويأتى حديثه مع الصحفى الإنجليزى نورمان برايس فى الفصل الأخير من الكتاب تحت عنوان "مذكرات فاروق" لانها كانت المرة الأولى التى يتحدث فيها عن حياته بمثل هذا البوح.. فكان أشبه ما يكون بالاجترار لا الحوار..

بهذه المقدمة التى نأمل أن تكون قد أنصفت النقيضين نتقدم للقارئ بالطبعة الخامسة من الكتاب حيث صدرت طبعاته الأربع عن مجلة نصف الدنيا فى يناير ٢٠٠٥ بتشجيع من أستاذتى الكاتبة القديرة سناء البيسى..

وأخيراً فقد أوصى ميكافيللى بالحكم الاستبدادى فى حالتين : تأسيس دولة أو إصلاح دولة فاسدة .. وبمرور السنين تتناسخ الأرواح فى صفحات التاريخ ليظل هناك دائما ظالما ومظلوما يشدو بكلمات محمد عبد الوهاب «مين عذبك بتخلصه منى!!»؟



لحضرة أنيس محمد منصور أفندي

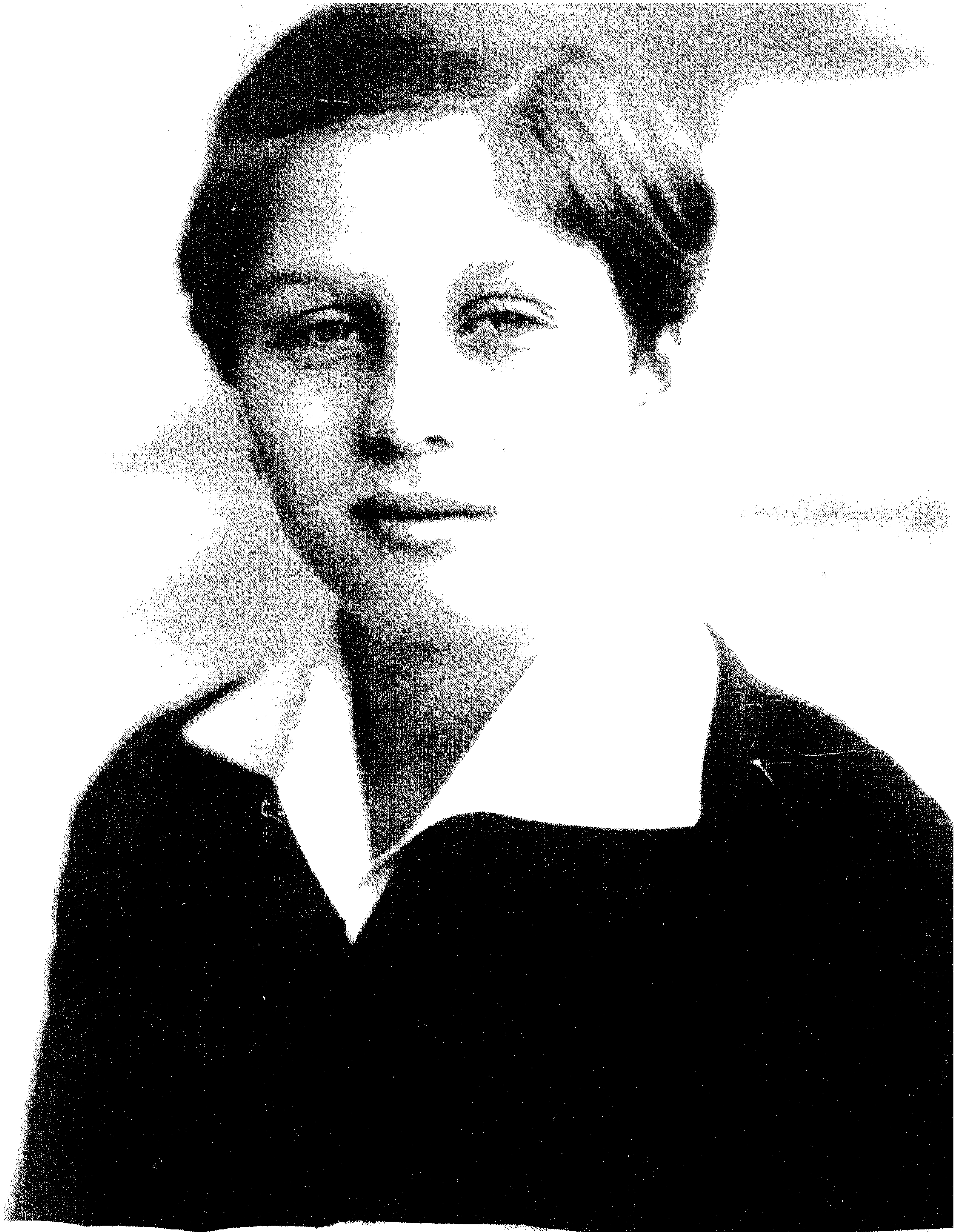
لتفوقه في امتحان الليسانس الممتازة في الآداب بجامعة فؤاد الأول

١٣٦٦ - ١٩٤٧

صورة مهداة من الملك إلى الكاتب الكبير أنيس منصور..
وكان هذا تقليدا يتبعه القصر مع الطلبة الأوائل



بورتريه لفاروق بالروب الجامعى
كان يهدى أيضا للطلبة المتفوقين



الطفل.. أصبح ملكا

تبددت تلقائية الطفولة فى التدريب على قواعد الملك وأساسيات البروتوكول والإتيكيت، ففى عامه الثانى كان يخضع لتعليمات مربيته الإنجليزية القادمة من معقل العادات ومنبت التقاليد .. تأمره وتقيده وتعاقبه ويرتد اللعب العشوائى متقوقعاً فى اللا شعور فى إنتظار اللحظة المناسبة ليطل برأسه من جديد، فى الرابعة من عمره عام ١٩٢٤ كان يقف خلف زجاج غرفته فى قصر عابدين سياسيا صغيراً يهتف مع الجماهير يحيا سعد إحتفالا بتشكيل سعد لأول وزارة دستورية يختارها الشعب. وفى السابعة من عمره تعلم قيادة السيارة داخل القصر وفى التاسعة منْ عَمَرَهَ سمع أغنية «زورونى كل سنة مرة» فكانت موضع إعجابه طيلة حياته .. حينما أكمل العاشرة سمع أباه يقول إنه اضطر أن يصبح حاويا أكثر من عشرين مرة حتى لا يفقد عرشه .. وشاهده إسماعيل صدقى رئيس الوزراء بالشورت القصير ولم ينس الطرفان ذلك المشهد فيما بعد .. وفى العاشرة أيضا كان - «روكى» كما كانوا يدللونه - يلهو فقط مع شقيقاته الأميرات الوديعات فى بحيرات القصر البديع .. فى الثالثة عشرة من عمره منح لقب أمير الصعيد -على غرار لقب أمير ويلز- وأرتدى البنطلون الطويل.

وفى الخامسة عشرة سافر إلى إنجلترا لإستكمال دراسته .. لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره حينما نودى به ملكاً لأقدم مملكة عرفها التاريخ .. فى الثامنة عشرة تزوج الملكة فريدة .. فى الثانية والعشرين هددته بريطانيا بعزله عن عرشه .. فى الثامنة والعشرين وجهت إليه تهمة توريط الجيش فى حرب ١٩٤٨ وقضية الأسلحة الفاسدة .. فى الثانية والثلاثين تنازل عن العرش وودع محمد نجيب قائلاً له : «أتمنى لكم التوفيق إن مهمتك صعبة .. فليس من السهل حكم مصر!!» فى الخامسة والأربعين من عمره أنتهت حياته فى روما بطريقة مخابراتية تحمل الكثير من الشك والريبة!!



رحلة محصورة بين شاطئى المتعة والألم .. متعة الحكم وهيبة السلطة وقوة الصولجان وحتمية السطوة والإستبداد بالرأى .. متعة الإستمتاع بعوامل الضعف الإنسانى لدى الآخرين من نفاق ورياء وخنوع وخضوع وإستسلام حتى سفح الكرامة !! ومن مأساة الطفولة المسروقة وسنوات عمره المختزلة وفداحة الأعباء وحداثة السن وغياب التجربة وإنهيار القدوة فى حياته تعمق شعوره بالضعف والإنسان غالباً ما يكون ضعيفاً فى حالتى : المتعة والألم وفاروق لم يقترب من ظلال الألوان الهادئة أو ما يعرف بالوسطية والإتزان .. فقد عاش بالمتعة فأتصف بالضعف وسجنه ماضيه وحاضره الاسرى فمات بالألم ، فقد أختزلت حياته فتحولت سنوات الطفولة إلى مراهقة مبكرة والمراهقة إلى رجولة باهتة وسرعان ما إستحالت الأخيرة إلى شيخوخة منهكة اتكأت على حياته الخاصة ومع كل كلمة ثرثرة تآكلت شعبيته وظهرت عيوبه وتبدد رصيده .. وأرتد المظلوم صبيا فأصبح ظالما وهو شاب فكان لابد للشعب أن يسأله الرحيل !!!

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ودع فاروق سكرتيره الخاص د. حسين حسنى الذى عمل معه منذ عام ١٩٣٧ وشد على يده وأستصرخه [1] إذاعة الحقيقة إزاء ما يتوقعه من كثر الأقاويل والشائعات التى ستطلق ضده وقد أوفى سكرتيره بالعهد وكتب مذكراته مع الحدث البرئ الطاهر الذى شاهده عام ١٩٣٦ كما كان يطلق عليه، ولنعود بالأحداث إلى الوراء ... آملا فى الوصول إلى لب ظروفه ونشأته وتربيته .

وقد حاولت قصار جهدى أن أحيط القارئ بأعماق المشاهد المختلفة فى حياته .. لعلنا نصل إلى صورة واقعية تستند إلى الحقائق والأدلة ولا تجنح لإعتبارات السخط أو المحبة دون وجود براهين مقنعة وفاء لأمانة وحكم التاريخ خاصة إذا كان التاريخ هو تاريخ مصر .

فى الحادى عشر من فبراير عام ١٩٢٠ أستقبل فؤاد ولى عهده فاروق الأول وأعترفت الحكومة البريطانية من خلال اللنبى (المندوب السامى) بالأمير فاروق وليا للعهد ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر.

نشأ فاروق فى عزلة تامة حيث عهد فؤاد برعايته إلى مربيتين إحداهما إنجليزية متشددة والأخرى إيرلندية حانية وكان محظوراً عليه الذهاب لرؤية والدته إلا فى أوقات محددة فقد أراد فواد أن يعزله عن أطفال العائلة فنشأ محروما من دفء الصداقة ومتعة التعامل بندية مثل بقية أقرانه ومن هم فى مثل سنه .. وقد وصفت جويدان هانم زوجة ابن عمه الخديو عباس حلمى فى مذكراتها حالة زوجها التى تشابهت ظروف نشأته مع فاروق فتقول : «أنها حين عرفت عباس كانت تشفق عليه لعدم وجود أصدقاء له .. حتى أنها تمنت أن تكون رجلاً لتصادقه !!!» بل أن طفولة فاروق كانت أشد قسوة وأكثر وحدة .. فخضع لبرنامج تعليمى فى قصر عابدين يتضمن تدريس اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية وعلوم الدين والقرآن والرياضات المتنوعة من سباحة وفروسية وشيش وملاكمة .

من جهة أخرى فقد حاولت بريطانيا منذ ولادته الإستئثار بنشأته وتعليمه لكى تضمن ميوله وإتجاهاته وتحتفظ بولائه .. فعرضت رغبة ملكها التى عرضها «لامبسون» - المندوب السامى آنذاك - فى سفر الأمير إلى بريطانيا لاستكمال دراسته وبعد مناقشات استقر الرأى على إلحاقه بأكاديمية وولوتش العسكرية .. ولم يسمح لفاروق الإلتحاق بها حتى بلوغه الثامنة عشرة وعلى الرغم من ذلك .. تم الاتفاق على سفره لاعداده للدراسة بها على أن يقوم أساتذة الأكاديمية بالتدريس له تمهيداً لإجتياز امتحاناتها فيما بعد .. وفى أكتوبر ١٩٣٥ سافر ولى العهد بصحبة حاشيته المكونة من أحمد حسنين (رائده الخاص) الذى أودعه الملك أغلى [2] ما لديه أمانة مسئولاً عنها أمام الله وعزيز المصرى رائد العسكرية الألمانية فى مصر من أجل المحافظة على تنشئته العسكرية السليمة وعمر فتحى (ياوراً) و د. عباس الكفراوى الطبيب الخاص .

ووقع الأختيار على قصر صغير يدعى «كنرى هاوس» فى ضاحية كنجستون على مقربة من لندن . وأستمرت الأمور هادئة لم تحد عن الهدف .. وظهرت شخصية فاروق الاجتماعية وتلهفه للصداقة والإنتقال بحرية وزيارة المكتبات ولكن حاشية البلاط .. لم تطق صبراً .. وأنطلق الشاب ذو الخمسة عشر ربيعاً فى النوادى الليلة بصحبة رائده أحمد حسنين ولاعب الاسكواش الدولى «عبد الفتاح عمرو» سفير مصر فى لندن فيما بعد.. ويغضب عزيز المصرى ويرسل تقاريره الدراسية لفؤاد.. معلنا اعتراضه على سياسة حسنين تحررية الغير الملتزمة حيث بدأ فاروق يهتم بالفتيات ويسهر معظم ساعات الليل ولم يستمر الحال طويلاً ففى الثامن والعشرين من أبريل من عام ١٩٣٦ وبعد مرور أقل من ستة أشهر على سفره .. توفى فؤاد وعاد فاروق إلى البلاد فى السادس من مايو (عيد الجلوس على العرش) الذى تحتفل فيه البلاد بعيد جلوس جلالة الملك فاروق الأول نجل فؤاد وحفيد إسماعيل وسليل إبراهيم ومحمد على الكبير على عرش وادى النيل .. فأستقبلته الجماهير فى ريف مصر وصعيدها بعطف شديد «يتيم يا حيلى!!» ومن خلال الشعور بالأمل فى مستقبل مشرق تولد الحب .. وبقدر كراهية الشعب لفؤاد .. حظى فاروق بكل الحب الذى أبكاه من التأثر حين أستقبلته الجماهير لدى عودته إلى الاسكندرية .. ملكا من أجمل الملوك التى عرفها العالم ولايزال .. استبشرت الجماهير به خيراً كما يقول كونفوشيوس: «أنت الذى تهفو إليه القصائد .. تعمر ساحتك تخجل منك الدنايا كأنك واسطة عقد .. لا غاضب ولا مغضوب أتغار أنت ؟ بل تغار منك تيجان وممالك» .. وبما أن فاروق لم يبلغ سن الوصاية .. فكان مقرراً فض مظروف الوصاية الذى تركه أبيه ويضم كلا من عدلى يكن - كان قد توفى- وتوفيق نسيم ومحمود فخرى زوج شقيقته الكبرى فوقية من زوجة أبيه شويكار ولكن النحاس أعلن أن الأوصياء الجدد هم «الأمير محمد على توفيق «ولى العهد» وعزيز عزت وشريف صبرى (خال الملك) وبدأت المناورات السياسية ودسائس البلاط الملكى التى وصفها فولتير : «بأنها أماكن يجب أن يتوقع فيها المرء وجود إرتباطات دون صداقة وعدوات دون ضغينة ونبالة دون فضيلة وآداب حسنة مشفوعة بأخلاق سيئة .. فكل الرذائل والفضائل مقنعة» .. ولم يشذ قصر عابدين عن تلك القاعدة الفولترية فقد كان الأمير محمد على توفيق يسعى جاهدا لإطالة فترة الوصاية لكى يكتسب نفوذاً فعلياً خلال تلك الفترة .. ولكن السياسى المتمرس على ماهر استطاع تجاوز أزمة وفاة فواد حيث كان

رئيساً للوزراء.

فاستقالت وزارته بعد المناداة بفاروق ملكاً على البلاد وإختيار مجلس الأوصياء فأصدر مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر فتوى شرعية بأهلية التصرف فى أمواله.. على أن يتولى سلطته الدستورية حينما يبلغ الثامنة عشر هلالية (السنة الهجرية) .

ويظهر على المسرح السياسى بأضوائه الكاشفة النحاس باشا (رئيس الوزراء) – على ماهر – أحمد حسنين (رائده) – الأمير محمد على توفيق – السفير البريطانى (لامبسون) الملكة نازلى – الخارجية البريطانية .. تعددت الأهداف والغرض واحد وهو تحقيق الإستفادة الشخصية والمصلحة الوطنية كل بطريقته .. ويتجدد طلب بريطانيا ورغبتها فى استكمال فاروق لدراسته وتعترض نازلى وشقيقها شريف صبرى على سفره إلى بريطانيا مرة أخرى ومن خلال مفاوضة السفير الإنجليزى يستقر الرأى على استقدام معلم إنجليزى من ذوى الكفاءه العالية والمراقبة الدقيقة والتقارير الأكيدة لرفعها للخارجية البريطانية ويقع الاختيار على «أدوارد فورد» الذى يحبط بمجرد وصوله لعدم إتصاله بالملك حيث لم يعد من الممكن من الناحية العملية إخضاعه للدراسة والألتزام بعد أن بهرته الأضواء وسحرته الهتافات وفيما بعد أصبح أدوارد هذا هو «سير أدوارد فورد» السكرتير الخاص للملك جورج السادس (والد الملكة اليزابيث الثانية) وأثناء فترة الوصاية يسافر فاروق فى رحلة إلى أوروبا عام ١٩٣٧ يزور خلالها «مرسيليا – وسان موريتز وجنيف وبرن – وزيورخ ولندن وفيشى حيث كانت تعالج الملكة نازلى فى مياهها المعدنية الصحية .

ومنذ تلك الرحلة بدأ يشعر بمسئوليته كرجل شرقى وملك لأكبر دولة عربية ومسئول عن حماية أمه وشقيقاته وزوجته فيما بعد .. وكان التحدى الأكبر أمامه أن السيدات من أفراد أسرته يسافرن إلى أوروبا ويخالطن الأوروبيين وتدريجيا يظهر تأثرهن بالعادات الأوروبية فى مجتمع شديد التمسك بشرقيته بالغ الحساسية تجاه تصرفات العائلة المالكة بصفه عامة وفاروق بصفة خاصة فباستثناء الراديو والسينما .. والصحف والمجلات لم تكن هناك أى وسيلة للتسلية سوى الجلوس على المقاهى لسماع الراديو وتبادل الأخبار وأهمها أخبار الملك الذى سلطت عليه عدسة الزووم وهو لايزال فى مهده فقد كانت أخباره هى بؤرة إهتمام الشارع المصرى آنذاك .. صحب فاروق فى رحلته بالإضافة لنازلى وشقيقاته .. زينب هانم سعيد وصيفة الملكة وابنتها صافيناز ذو الفقار (الملكة فريدة) وشقيق الملكة شريف صبرى ومعلمى الأميرات .. ادريس أفندى الحارس الخاص لفاروق منذ أن كان صبياً يحمله على كتفه وهو الوحيد الذى كان يدعوه (فاروق) دون أى ألقاب، وسرعان ما أنتهت هذه الرحلة بطعنة أخلاقية وأزمة سياسية وشرارة عاطفية تمثلت فى حبه لفريدة .. أما الطعنة فجأت من إستهتار أمه بالعادات والتقاليد الشرقية .. وبدء علاقتها بأحمد حسنين .. والأزمة السياسية بدأت بظهور مشاكل فاروق مع النحاس والوفد .. ومعظمها وراثية تعود إلى طبيعة العلاقة بين الحزب العريق رائد الحركة الوطنية وتاريخه الطويل فى مجابهة إستبدادية أبيه وأوتوقراطيته وعلى الرغم من نصيحة أوسكار وايلد «بأننا يجب أن نختار أعداءنا» إلا أن فاروق لم يمتلك حق هذا الاختيار .. فقد أقنعوه أن النحاس هو عدو والده اللدود الذى كان ينازعه سلطاته .. وعززت الحاشية ومعظمهم من أعداء الوفد هذا الشعور وعلى رأسهم على ماهر السياسى الأثير لدى والده .. كان عضواً بارزا فى حزب الاتحاد .. ووزيراً فى الوزارة التى أعقبت استقالة وزارة سعد زغلول فهو رجل القصر الأول وتعززت مكانته لدى فاروق حين أشرف على انتقال السلطة إليه بعد وفاة أبيه ومن الانصاف أن يحسب له أيضاً أنه أشرف على الانتخابات التى أجريت عام ١٩٣٦ والتى فاز بها حزب الأغلبية الوفد .. أما رصيده من الناحية الشعبية فكان متواضعاً .. على الرغم من إشتراكه فى الحركة الوطنية منذ بدايتها درس الحقوق وأشتهر بإهتمامه بالالتفات إلى الدوافع الإنسانية أثناء دراسته لقضاياه وشارك فى ثورة ١٩١٩ واختاره سعد عضواً فى الوفد المصرى فى باريس وبعد خلاف عدلى وسعد الشهير قرر أن يستقل سياسياً وفضل اللا حزبية على المنازعات السياسية التى ظلت مقنعة .. فهو سياسى يمتلك قدراً عالياً من التمويه والمناورات والقدرة على تحديد الأهداف . ويكفى أنه تمسك بشعرة معاوية حتى آخر لحظة فى حياته حتى أنه كان عضواً فى لجنة الدستور بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ .. فهو نموذج فريد فى السياسة المصرية وحينما أتم فاروق السادسة عشرة كان على ماهر يقترب من السادسة والخمسين والنحاس من السابعة والخمسين وهو سياسى متمرس وبرلمانى متمكن وواحد من أهم دعائم الحركة الوطنية ونفى مع سعد إلى جزيرة سيشل وانتخب رئيساً لحزب الوفد عام ١٩٢٧ بعد وفاة سعد وتولى رئاسة الوزارة مرتين فى عهد الملك فواد .. أما أحمد حسنين فكان يصغرهما قليلاً .. وبحسن نية يربت النحاس على كتفه ويقول له إنه مثل والده أى إنه سيجد الدعم والمساندة والأمان .. وتتحول هذه العبارة التى تدل على أبوة رحيمة وتتحور إلى وشايه كاذبة فتصبح «الملك فى جيبى» وتصل إلى مسامع الشاب الصغير والملك الجامح بسلطاته كما أفهموه .. ويتم ارساء حجر «الضغينة الشخصية للنحاس» ليتأكد أول مركب نقص يشعر به فاروق وسوف يعانى منه طوال فترة حكمه وهو صغر سنه وحداثته مقارنة بالمحيطين به من رجالات مصر وزعمائها السياسيين.

يقول د. محمد حسين هيكل [٣] «كان الملك يشعر ان محمد محمود رئيس الوزراء ومن هم فى مثل سنه من ساسة مصر ينظرون إليه نظرة الأب لابنه الشاب ولم يكن يرضى عن هذه النظرة فهو صاحب العرش وأكبر رجل فى الدولة على الرغم من صغر سنه ولذلك فهو لا يقل عنهم حكمة وبعد نظر» .

وللأسف الشديد وجد فاروق من يغذى اعتداده بنفسه واعتزازه برأيه وفى عيد رأس السنة الهجرية أذاع بياناً فى الإذاعة قال فيه (إنه ورث عن أبيه تمسكه برأيه فلا يستطيع أحد أن يزحزحه عنه). ومن الطريف إنه اغتبط حين أصيب بالصلع ورأى فى ذلك تعزيزاً لمظهره وكبر سنه .. وقد شعر لويس الخامس بنفس الشعور شعور المراهقة وصغر السن الذى يصادفه أى مراهق عادى وطبيعى أن يتضخم هذا الأحساس إذا كان الإنسان ملكاً .. قد يكون كريم ثابت هو الشخص الوحيد الذى نجح بمكره ودهائه وتجاربه وخداعه من الخروج من براثن هذا الشباك الأبوى .. حيث أتبع سياسة الصداقة والندية مع فاروق منذ اللحظات الأولى لتعارفهم ويعترف كريم بأنه كان يعد رأيه مثل البرشامة [٤] على أعتبار أن فاروق هو الطبيب الذى وصف الدواء أما كريم ثابت فهو الصيدلى الذى يعد البرشامة فأقنع فاروق أن كل فكرة ورأى ترد إلى ذهن كريم تأتى من خلال ملازمته للملك ومعرفة وجهة نظره فى مختلف الموضوعات ويقر كريم ثابت إنه نفاق القصور الذى لا ضرر منه .. ولم يكن هذا السلوك غريباً من صحفى مخضرم مثل كريم ثابت عمل بجريدة المقطم عشرين عاماً مندوباً فى مجلس الوزراء .. فكان بالنسبة له بمثابة أرشيف متنقل يستمد منه فاروق .. الذى لم يكمل دراسته – معلوماته عن ساسة البلدان العربية والأوروبية فهو أول صحفى عربى يقابل موسولينى وهتلر ولويد جورج وتشرشل وانتونى أيدن وبابا الفاتيكان والأمبراطور هيلا سلاسى وغاندى ... الخ . علاوه على أنه الصحفى الذى رافق الملك فواد فى رحلته إلى أوروبا عام ١٩٢٩ أما والده فهو ابن شقيقة صاحب جريدة المقطم .. الذى تزوجت ابنته من «والتر سمارت» المستشار الشرقى فى السفارة البريطانية أو الرجل الثانى بعدالسفير البريطانى ورأى فاروق أن كريم ثابت من الممكن أن يكون همزة وصل بينه وبين السفارة البريطانية من خلال تلك المصاهرة العائلية .. إذن فرصيده المهنى والعائلى كان يؤهله لمرافقة الملك وفيما بعد أصبح المستشار الصحفى لديوانه وأحد رجال الحاشية المنتفعين بطريقة غير مباشرة .. فقد اجتمع العلم والدهاء والأساليب الميكافيللية .. فأين المفر؟!



وإذا سلمنا أن مرارة الكراهية غالباً ما تترسب من خلال حادث صغير أو كبير وقد تطرقنا إلى أول مانع نفسى أعترض علاقة النحاس بفاروق وسارت بها فى طريق عكسى (أبوة نحاسية – اعتزاز ملكى بالحكمة وصواب الرأى الذى لم ينضج بعد . وتتعمق الكراهية أثناء الإحتفال بتوليه مهامه الدستورية حيث أثار الأمير محمد على توفيق ولى عهده بصفته رئيس مجلس الوصاية

كتاب تذكارى

فكرة تنصيب فاروق ملكاً من خلال حفل دينى يقام فى القلعة يتقلد فيه سيف جده محمد [٥] على بحضور شيخ الأزهر والأمراء ويقسم أمامهم قسم الولاء .. من الأهمية أن نذكر أن فاروق هو أول ملك يتولى سلطته الشرعية بواسطة حكومة مصرية مائة بالمائة منذ عهد الفراعنة .. فقد تولى والده الملك بالمساندة الإنجليزية بعد وفاة شقيقة حسين كامل واعترافهم بولاية فاروق للعهد عقب مولده فيما يتعلق بالحفل .. كان هناك تياران أحدهما إسلامى يتزعمه الشيخ المراغى شيخ الأزهر وجماعة الإخوان المسلمين ومصر الفتاة .. وهم يؤيدون إحياء الخلافة الإسلامية ذلك الحلم الذى راود فؤاد منذ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩١٤ ولم ينجح فى تحقيقه لأسباب عديدة داخلية وخارجية .. على أن التحالف بين القصر والأزهر كان يمر بأزهى مراحله فى تلك الفترة حيث كان الأزهر يخضع لسلطة الملك مباشرة طبقاً للدستور، ومنذ وطأت قدم فاروق مصر بعد عودته من بريطانيا أخذ الشيخ المراغى على عاتقه رعايته وملازمته ودعوته للاهتمام بأمور الدين .. وبفضل المراغى أطلق الشعب على الملك فى بداية عهده لقب «الملك الصالح» حيث كان حريصاً على أداء صلاة الجمعة كل أسبوع فى أحد المساجد من خلال الموكب الملكى التقليدى .. عربة كبيرة تجرها الخيول يحيط بها فرسان الحرس الملكى كانت الجماهير تنتظر عودته عقب الصلاة هاتفة بحياته .. وفى شهر رمضان كان يدعو المقرئين لتلاوة القرآن الكريم فى قصر عابدين ويدعو ممثلى النقابات العمالية وبعثات الطلبة ومشايخ الطرق الصوفية بالإضافة لولائم الإفطار التى تضم مختلف طبقات الشعب وكم كانت سعادة الشخص الذى يتذوق الملك من طبقه أو يقضم من رغيفه كان شعوراً خالصاً بالمحبة لم يدنسه أى رياء جماهيرى أو ظلم ملوكى بعد ولم يكن الوفد يعارض كل ذلك بالطبع فالنحاس كزعيم وطنى لا يتمنى أكثر من استقامة الملك قدوة الشباب ورمز البلاد .. ولكن النحاس أراد أن يذبح القطة منذ البداية لكى لا ينفلت جموح الملك الشاب الذى يقف خلفه سياسيون مخضرمون يحركونه كيفما شاءوا فالنحاس كان محقاً فى هذا الأمر .



فالحفلة الدينية كانت تهدف إلى إيجاد سلطة دينية وأن إستخدام السيف ينطوى على القوة .. ويدافع التيار الإسلامى عن الحفل الدينى ويستشهد بإنجلترا التى يتم التتويج فيها دينياً وهى دولة دستورية عريقة .. كما أن إستخدام السيف يرمز لإرادة الشعب التى قلدت محمد على مقاليد البلاد . وينتقل الخلاف على صفحات الجرائد فتصدر جريدة البلاغ : لسان حال القصر تؤيد فكرة إقامة الحفل وأن مكانة مصر فى العالم الإسلامى تستحق هذه الصدارة» ويرد الوفد من خلال خطبة النحاس فى مجلس النواب «بأن الإسلام [٦] لا يعرف سلطة روحية وليست بعد الرسل وساطة بين الله وعباده .. بل إن مكانة مصر تقتضى أن ننزه الدين عن اقحامه فيما ليس من شئونه .. فالإحتفال مجال وطنى رحب يتبارى فيه المسلمون وغير المسلمين» ويرد التيار المؤيد للحفل مرة أخرى أن الملك يحلف اليمين أمام البرلمان تأكيداً لاحترامة للدستور والمحافظة على الوطن وسلامته واستقلاله .. فالملك يجلس على العرش بحكم الوراثة والدستور الذى خول له ذلك» .

ويسافر مراد محسن إلى الملك فى أوروبا ويبلغه أن حكومة النحاس على وشك الاستقالة إذا لم يذعن لفكرة الإقلاع عن الحفل الدينى وأداء فريضة الجمعة فى مسجد الرفاعى بدلاً من الجامع الأزهر (الصلاة فى الجامع الأزهر تعطى الانطباع بالاحتفال الدينى .. ويوافق على مضض الملك على طلبات النحاس ويحلف اليمين أمام البرلمان فى ٢٩ من يوليو عام ١٩٣٧ .. ومنذ تلك الواقعة التاريخية «عيد توليه سلطته الدستورية» .. التى استغلها الكائدون والمحيطون بدأت الفجوة تتسع يوماً بعد يوم بين فاروق والنحاس كما سنرى ومن المفارقات إن والدته «نازلى» كان تؤيد النحاس وتربطها صداقة بزوجته زينب الوكيل وكانت تنصحه دائما بالا يفعل مثل والده الذى ندم على خلافاته مع النحاس وهو على فراش الموت .. فإذا اضفنا لهذه الواقعة قصة تعديل حكومة الوفد يمين الجيش الذى وضع قبل دستور عام ١٩٢٣ ويقسم فيه الضابط ان يكون «خادماً أميناً للملك» فرأت حكومة الوفد إنه من الأفضل تعديله ليصبح «أقسم بالله العظيم [٧] وبشرفى العسكرى أن أكون مخلصاً للوطن ولحضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك البلاد وقائد قواتها الأعلى ..» وبعد يومين فقط من توليه سلطته وتحديداً فى ٣١ يوليو ١٩٣٧ صدر قانون إنشاء مجلس الدفاع الأعلى وهيئة أركان الجيش ولم يأت أى ذكر فى القانون يشير إلى أن فاروق هو القائد الأعلى للجيش بصفته ملك البلاد وتألف مجلس الدفاع من رئيس الوزراء (رئيساً) .. فرفض الملك تعديل اليمين وظل الجيش لا يحلف اليمين أمام الملك طوال فترة حكم الوفد.


ثم عاد وأداها بصيغتها القديمة فى الوزارات الآخرى فإذا أضفنا إلى كل هذا تخفيض المخصصات الملكية الممنوحة له بمقدار الثلث والتى أصبحت مائة ألف جنيه بعد أن كانت مائة وخمسين ألفا .. لأدركنا أن فاروق تم تتويجه دستورياً .. لكنه ظل يكره النحاس أفلاطونياً ويتحين الفرصة للانقضاض عليه وزارياً، وبالفعل اقيلت الوزارة بصورة متعالية كما لو كانت إقالة فى بلاد هارون الرشيد على حد تعبير الجرائد الإنجليزية التى شنت حملة انتقادية ضده نتيجة لإقالة النحاس رجل معاهدة ١٩٣٦ والزعيم الأول الذى كان يجب ان يحفظ اعتباره ومكانته !!

وإذا كنا قد تطرقنا لعلاقة فاروق بالنحاس على وجه الخصوص فيما يتعلق بحياته الخاصة ونشأته فذلك لأن هذه العلاقة هى بالفعل بؤرة تصرفاته غير الدستورية وهى التى سيترتب عليها فيما بعد تدعيم ثقته الزائدة .. على الرغم من تحذير بعض الأوفياء له أمثال سكرتيره د. حسين حسنى فى بداية عهده ونصيحته له بالابتعاد عن الحزبية فالعرش يجب أن ينأى بعيداً عنها .. ويستلهم خطى جده الأكبر محمد على فى النهوض بمصر اقتصادياً وعسكرياً حتى ابيه كان يعتدل فى خصومته.. وللأسف ذهبت النصيحة أدراج الرياح .. شأن أى نصيحة مباشرة .. فالإنسان لا يكون حكيماً إلا بعلمه وخبراته .. فالحكمة عزيزة غالية لا تتنازل أبداً عن الثمن .. على الرغم من أنها قد تكون مشطاً غالباً ما يأتى بعد سقوط شعورنا !!.. وهو ما حدث مع فاروق الذى بالغ كثيراً وطويلاً فى عدائه للنحاس فكان يرجع القرارات التى تتخذها حكومته دون الرجوع إليه لسبب واحد وهو الاستهانة به لصغر سنه .. على أن المناخ السياسى العام كله كان يشجع على مثل هذه الخلافات من أجل الإنفراد بالمحبة والولاء والعطف السامى وتعزيز الشعور بالإعتزاز الذى يصل إلى حد الغرور فى سنوات شبابه الجامح وعلى الرغم من بكاء فاروق وتأثره من ثقل الأمانة وشعوره الحقيقى بالضعف وإن تظاهر بغير ذلك حين حدثه سكرتيره بأن كل خطوة وكل كلمة تصدر منه سوف تسجل عليه لاستخدامها ضده إذا اقتضت المصلحة ذلك ويكتب اللورد كيلرن – السفير البريطانى – فى مذكراته ان الملك فؤاد كان متشائماً [٨] لمرضه ولتولى فاروق عرش مصر من بعده وكان يردد دائماً أن هذا الفتى المسكين لم تتح له الفرصة بعد لاعداده لهذا الغرض ويكون رد السفير على كلام الملك فؤد .. إننا هنا فى مصر مجموعة كبيرة من مختلف الشخصيات وعلى أتم الاستعداد لتقديم المساعدة والعون إذا واجهته مشكله وفى عام ١٩٤٢ قدم السفير البريطانى كل الدعم الاستعمارى وحاصر قصر عابدين بالدبابات وخيره بين تعيين النحاس رئيساً للوزراء أو عزله!!


وفى تلك الفترة - أى أوائل حكمه - بلغت شعبية الملك مداها .. أحبه المصريون لبشاشته وسحر ابتسامته وجمال صورته .. فلم يزل شاباً فى جعبته الكثير الذى تنتظره أمته فقد استبشر به الشعب خيراً حين تم توقيع معاهدة الجلاء عام ١٩٣٦ وبدأت صفحة جديدة من العلاقات المصرية البريطانية لم تعد ترتبط فيها مصر ببريطانيا إلا من خلال معاهدة الصداقة كما أطلق عليها وبمقتضاها تم جلاء الجيش الإنجليزى عن القاهرة لأول مرة منذ عام ١٨٨٢ وحظى فاروق بمحبة جارفة .. تمخض عنها وفاة أكثر من عشرين عاملا فقدوا حياتهم نتيجة لتوافد الآلاف [٩] فى ساحة قصر عابدين لتحيته وتهنئته بتوليه العرش عام ١٩٣٧ جارفة تمخض عنها وفاة أكثر من عشرين عاملا فقدوا حياتهم.. وفجأة وأثناء انشغال قلبه بفتاته الفريدة .. تلقى طعنه جارحة قاتلة من أقرب الأقربين أفقدته الشعور بالأمان إلى الأبد حين أكتشف خيانة أمه ورائده أحمد حسنين لذكرى أبيه .. تلك الطعنة التى لم يشف منها حتى مماته فمن هو أحمد حسنين هذا الذى أحبته أسمهان وقالت عنه ميمى شكيب أنه رجل لا يقاوم ووصفته زوجة السفير البريطانى برسى لورين بأنه أجمل رجل فى مصر !! والذى تزوجته الملكة نازلى عرفياً ولقى حتفه على كوبرى قصر النيل فى حادث مشكوك فى قضائه وقدره ؟!



أناقة ملكية لافتة



الطالب الوحيد فى المدرسة
الخاصة بقصر عابدين



الطفولة «مرتع الذكريات»



خضع لبرنامج تعليمى فى قصر عابدين
يتضمن تدريس اللغة العربية والفرنسية
والإنجليزية وعلوم الدين والقرآن والرياضات
المتنوعة من سباحة وفروسية وشيش وملاكمة



«روكى» يلهو مع شقيقتيه
فى حدائق القصر البديع



عاطفة فياضة
ربطت بينه وبين
والدته فى سنوات
طفولته

نازلي وفـــاروق
الاميرتان فوزية وفائزة

عزلة الملك فؤاد عن أطفال العائلة
فنشأ محروما من دفء الصداقة
ومـتـعـة الـتـعـامـل بـنـدية

اعتزاز بالعلم
الملكي على
سارية رميلة
بجوار
السلاملك فى
المنتزه

حاولت بريطانيا منذ ولادته
الاستئثار بنشأته وتعليمه

مربيته الإيرلندية
الحنون كما نعتها

أصداء الطفولة.. زاد
الإنسان في رحلته

كان يسأل مدربه دائما: لماذا لا اسقط أنا
أيضا من على صهوة جوادى مثل ولى
عهد إنجلترا الذى سقط أمامى تسع مرات

سعيد باشا ذو الفقار كبير الأمناء والأب الروحي للبروتوكول المصرى يضع قبلة رسمية على يدولى العهد

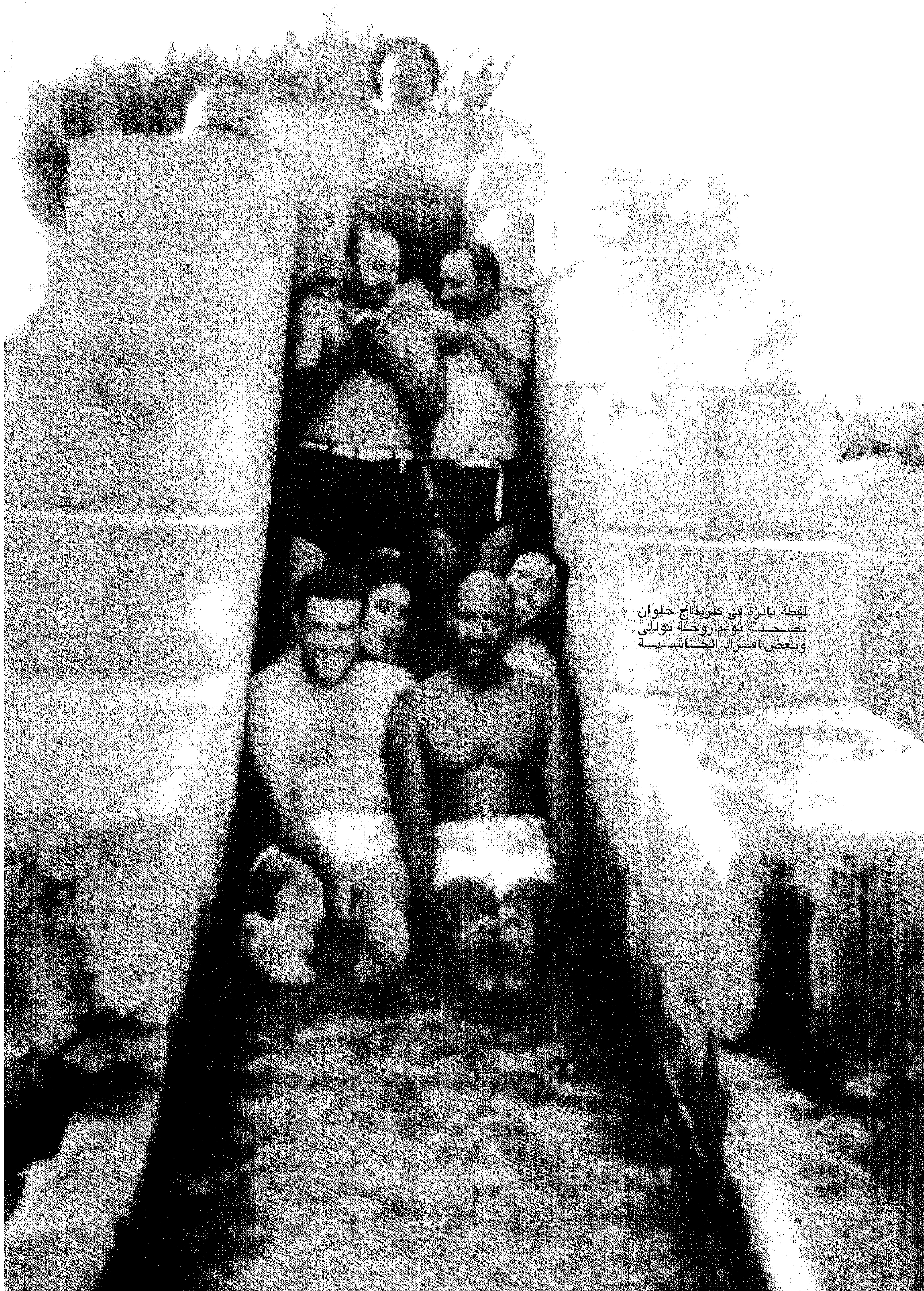


«الكشـاف الأعظم» وفى
الثالثة عشرة من عمره
منح لقب أمـير الصعيد
على غرار لقب أمير ويلز


لاعب الشيش الأول
وكانت لعبة ابيه المفضلة



نشأ فى أجواء إيطالية
مـصـرية إنجلـيـزية



لقطة نادرة فى كبريتاج حلوان
بصحبة توءم روحه بوللى
وبعض أفراد الحاشية

ذكر السفير البريطانى لامبسون فى مذكراته أن الملك فؤاد كان متشائما لمرضه وتولى فاروق العرش لأنه لم يتهيئا بعد لهذا الغرض



الملاكمة رياضة
عنيفة استاء
منها والده

أحمد حسنين رائده الخاص يوضح له طريق رأس
الرجاء الصالح لكي يتخذه نهجا سياسيا مثله

استبشر
الشعب به
خيـرا
لشبابه
وعطف
عليه ليتمه



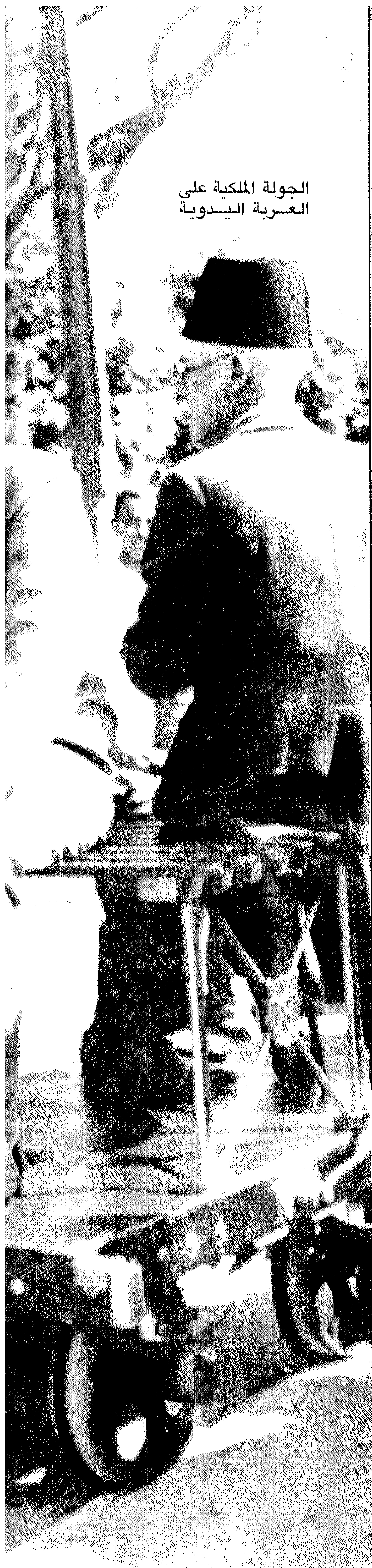
بملابسه
البحرية
يتأهب
للسفر إلى
بريطانيا
عام ١٩٣٥



فى الأقصر
بصحبة د.
دريتون مدير عام
الآثار منبهرا
بالعظمة
الفرعونية فى
وادى الملوك
بالأقصر

المعرض الفرعونى بمتحف اللوفر
أثناء زيارته لباريس عام ١٩٣٧

الكاميرا ترصد
كل تحركاته منذ
نعومة أظافره



الجولة الملكية على
العربة اليدوية

يتزحلق على
الجليد فى جبال
سان موريتز
بسويسرا



أثناء زيارته
لباريس عام ١٩٣٧



فاروق والشقيقات فائزة وفوزية وفتحية
أثناء الرحلة الملكية إلى أوروبا عام ١٩٣٧

لقطة نادرة له فوق قمة الهرم الأكبر وعلى اليسار توقيعة على أحجاره والخالدة عام ١٩٣٥ رافقه فى هذه الزيارة التاريخية أحمد حسنين الذى التقط هذه الصورة والأثرى الكبير سليم حسن



فى عيد رأس السنة الهجرية اذاع بيانا فى الإذاعة جاء فيه: «انه ورث عن ابيه تمسكه بصلابة رأيه»

قبل توليه الملك قام برحلة بالقطار الملكى حيث كان يزور معظم مدن الوجه البحرى والصعيد

الشيخ المراغى تعهده بالرعاية وكان فاروق لا يعصى له أمرا ويقبل يده فى بداية عهده كما ذكرت الملكة فريدة.. ولكنه ابعده وهكذا الملوك دائما مع مقربيهم

مع الجالية العربية فى لندن عام ١٩٣٧ قبل تتويجه رسميا فى النادى الملكى المصرى إلى يمينه حافظ عفيفى


حفلة سلاح الدين
وهى اول حفلة
فيها والده

فاروق ونازلى وحمود فخرى وزير مصر المفوض
بباريس يستقبلهم أثناء وصولهم إلى باريس

إلى يمينه عزيز عزت ـ شريف صبرى خال الملك وعضو مجلس الوصاية إلى يساره : مصطفى النحاس

د. دريتون مدير عام الآثار يعرض أمامه بعض القطع الأثرية.. واستيلاؤه على الآثار وتجميد الأثرى سليم حسن من أبرز الاتهامات التى طالته بعد عزله


كان يحتفظ بمسدس
صغير فى صديرى
الجاكت وبندقية فى
سيارته التى كان
يقودها بنفسه



أحمد حسنين.. من يسيطر على نازلى يسيطر على الملك!

رائد من رواد سياسة رأس الرجاء الصالح أى اللف والدوران حول الهدف قبل التعامل معه .. عضو مؤسس فى مدرسة خطوة ثم قفزة الدبلوماسية .. أحد فقهاء البلاط الملكى .. رائد فاروق الأول .. ابن الشيخ محمد حسنين البولاقى أحد شيوخ الأزهر .. خريج أكسفورد .. سكرتير المفوضية المصرية بواشنطن .. عاشق الصحراء ومكتشف واحة الكفرة .. فارساً من فرسان الصبر وهدوء الطبع .. لاعب الشيش الدولى الذى وصل إلى دورة الألعاب الأوليمبية فى لوس انجلوس .. أول طيار مصرى يقود طائرة خاصة تسقط به مرتين .. مراوغ أنيق يرتدى الأسموكنج .. وسياسى فريد يدخن سيجاره ويلقن حكمته فى رجل البلاط المثالى الذى يتخذ من تمثال الثلاث قرود شعاراً له (أى لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم).

مغامر عنيد يجيد الإلتحام والانفصال مع مختلف الرجال والأحزاب .. تولى رئاسة الديوان عام ١٩٤٠، إليه يعود الفضل فى فضائح العائلة المالكة من خلال قصة غرامه مع نازلى التى كانت ديمقراطية تؤمن بالمبدأ الدستورى القائل أن «الملك يملك ولا يحكم أى يحكم من يشاء ولا يحكمها هى فقط» .

كانت قصتها مع أحمد حسنين سبباً رئيسياً فى تدمير معنويات فاروق تجاه أعز الناس وانهيار مثله الأعلى فى معلمه وانعدام القيمة من حياته .. هل بدأ حسنين بمغازلة الملكة حقاً أم أن قميصه قدّ من دبر .. هل كان يسعى لتحقيق مصالحه ليظل الأول أم أنه رجل الإنجليز الأوفى وأحد حكماء القصر ؟!! فى عام ١٩٤٦ توفى فى حادث سيارة على كوبرى قصر النيل تاركاً وصيته وهى قصيدة للشاعر الإنجليزى كبلنج كانت حياته تسير على هداها ويقول انه يحتفظ بها منذ عام ١٩١٣ فقد قرأها مئات المرات وهو يتركها وصية لأجيال تأتى من بعده وليته لقنها لمليكه الشاب .. ربما تغير وجه التاريخ !!!



تقول القصيدة :

إذا استطعت أن تنتظر ولا تمل الانتظار ولم تقابل أكاذيب الناس بالأكاذيب، إذا كرهك الناس فلم تكرههم وإذا تظاهرت بأنك لست أحسن الناس ولا أحكم الناس .

إذا استطعت أن تحكم دون أن تسيطر عليك أحلامك وأن تفكر ولا تجعل التفكير كل أهدافك .

إذا استقبلت النصر كما تستقبل الهزيمة سواء بسواء وإذا استطعت أن تتحمل نتيجة أقوالك وأن تشهد المعول يهدم كل ما كرست من أجله حياتك لتبنى من جديد .

إذا استطعت أن تجعل من كل إنتصاراتك نصراً واحداً تغامر به وتفقده ثم تعود فتبدأ من جديد بغير أن تتحسر على ما فقدت وما تعبت.

إذا صبرت فى وقت لا تملك فيه سوى إرادتك تصرخ فيك وتهيب بك أن تتماسك .

إذا استطعت أن تتحدث إلى الشعب بغير أن تفقد فضائلك وأن تصاحب الملوك بغير أن تفقد إتصالك بالشعب .

إذا استطعت أن تمنع الأعداء والأصدقاء أن ينالوا منك وأن تحسب لكل إنسان حسابه ولكنك لا تخشى الناس مجتمعين .

إذا استطعت أن تملأ فراغ حياتك بالعمل وأن تمضى كل ثانيه فى جهد مفيد.

إذا استطعت أن تفعل ذلك كله ملكت الأرض وما عليها وأصبحت أكثر من ذلك .. أصبحت رجلاً يا ولدى !! ويا لها من قصيدة إنسانية مثالية رائعة .. فإن دلت على شئ فهى تدل على أعماق الرجل التى لا تخلو من مثالية مقنعة لبلوغ مرامه أنعم عليه أمير الشعراء أحمد شوقى ببيت خالد من جواهر شعره بمناسبة اكتشافاته الصحراوية : (رحالة الشرق إن البيد قد علمت .. بأنك الليث لم يخلق له الفزع) ..

كانت تربطه صلات صداقة ومودة بكبار الادباء والصحفيين خاصة محمد التابعى ومن حين إلى آخر كان يتردد على مسارح القاهرة فتعمقت علاقته ببعض الفنانين.

فى شبابه المبكر [١٠] بدأ تعارفه باللورد ملنر السياسى البريطانى الشهير وكان له الفضل فى إلحاقه بجامعة اكسفورد .. أثناء دراسته أشتعلت شرارة الحرب العالمية الأولى وأعلنت الحماية على مصر فعاد إلى مصر وتم تعينه سكرتيراً خاصاً للجنرال ماكسويل قائد الجيش البريطانى ثم عين سكرتيراً فى وزارة الخارجية فى المفوضية المصرية بواشنطن وهو أول من رفع العلم المصرى على دار المفوضية .. هو عاشق الصحراء الغربية ومكتشف بعض واحاتها مولع بدراسة عادات البدو وتقاليدهم فارساً من فرسان الصبر وهدوء الطبع والتفكير العميق وكلها صفات إن لم تكن وراثية فهى تربوية أكتسبها من خلال نشأته الأزهرية ورحلاته الصحراوية ذات الأجواء الغامضة الساحرة التى تعين على الصفاء وهدوء البال فلا غرابة فى أن يكون أحمد حسنين سياسى من طراز خاص جداً ويكاد يكون نسيجاً قائماً بذاته تختلف الأحزاب فيما بينها لكنها تجمع على دماثته وحكمته وترفعه ماليا فالرجل ظل حتى اليوم الأخير من حياته نظيف اليد يمتلك طموحاً أدبياً فقط لا غير .

وقد قام الملك فؤاد بسداد ديونه مرتين ، المرة الأولى حين تحطمت طائرته فى فرنسا والمرة الثانية فى إيطاليا وفى المرة الثالثة أراد [١١] أن يلقنه درساً لا ينساه فمن العجيب إنه حين وقع عليه الإختيار لمرافقة فاروق للسفر إلى إنجلترا أثناء رحلته الدراسية .. أعتذر لإلتزاماته المالية وتدخل الملك فواد وتم تسديد ديونه عن طريق بنك مصر حيث كان يقوم بسداد مرتبه كله تقريباً سداد لهذه الديون .. لذلك أمر الملك فؤاد بصرف منحة بدل تمثيل له بصفته رائد ولى العهد .

تزوج من الأميرة لطفية ابنة الأميرة شويكار والزوجة السابقة للملك فؤاد .. من هنا بدأ تقربه من العائلة المالكة .. احتار الناس فى وطنيته نظراً لصلاته الوثيقة بالإنجليز ولكن احقاقاً للحق لم نجد أى أدلة أكيدة تنتقص من وطنية الرجل .. فهو عاشق لصحرائها وأرضها ولذاته أيضاً .

عرف عنه إعجابه الشديد بالمطربة أسمهان ومن طلائع مغامراته النسائية سفره مع الرحالة الإنجليزية «روزينا فوريس» التى جاب معها مجاهل الصحراء الغربية .. وتفتق ذهنه عن فكرة ماكرة فزعم إنها زوجته وارتدت السيدة الملابس العربية وعاشا معا عدة أسابيع فى خيمة واحدة لم يحاول الاقتراب منها ترفعاً ونبلاً وحين عاد إلى مصر داعبه بعض الأصدقاء الذين علموا بهذه القصة قائلين لست قديسا فكان يضحك ويقول لم تتطور الأمور لهذه الدرجة .. وأحمد الله أن الأزهر قد انتصر على أكسفورد أى أن نشأته الدينية قد عصمته من الخطأ والزلل بالرغم من دراسته الأوربية فى أكسفورد .. ومن الطريف أن روزينا ألتقت بأحمد حسنين فى لندن أثناء الإحتفال الذى أقامته له الجمعية الجغرافية بلندن ومنحته فيه ميدالية ذهبية تقديراً لجهوده العلمية فى إكتشاف واحة الكفرة كما منحته إيطاليا وسام «سان لازار» وهو أرفع الأوسمة فى إيطاليا فسألته روزينا ساخرة : ماذا فعلت لكى تستحق هذا الوسام ؟ ففاجأها بإجابة أكثر سخرية وإستفزاز !! أخذتها لفضيلتى يا روزينا فامتعضت السيدة وفهمت المغزى وراء هذه الغمزة الصريحة وفيما بعد انهالت عليه العروض الأمريكية لإلقاء محاضرات عن رحلاته فى الصحراء الغربية ولكنهم اشترطوا أن يرتدى ثياب البدو .. فرفض العرض .. وقال إنه لا يريد أن يكون أراجوزاً فهو رجل طموح له مظهر وديع أما الأخلاقيات فإن لم يكن ذئباً متمرساً فهو ثعلب ماكر يجيد نصب الشراك أما الفريسة.. فقد أتته متوجة على البساط الأحمر يكفيها أنها أم صاحب الجلالة.. وهى مكانة رفيعة كفيلة بتحقيق أحلامه وطموحاته السياسية.

تمرس الرجل بأروقة البلاط الملكى .. وأصبح فقيهاً فى دسائسه

كتاب تذكارى

ومؤامراته، فقرر أن يكون الأول دائماً .. لم يكن ينافسه سوى على ماهر الذى مارس معه لعبة (القط والفأر) على أوسع نطاق فقد أحدث قرار تعينه رئيساً للديوان الملكى فى ٢٧ يوليو عام ١٩٤٠ هزيمة منكرة لجهود على ماهر فى الاحتفاظ بهذا المنصب فى القصر، حيث كان يشغله فى عهد الملك فؤاد وأوائل عهد فاروق .

تعددت مواهب الرجل .. فهو بالنسبة للإنجليز جنتلمان وللساسة المصريين رجل القصر الأول .. ذو الاعصاب الهادئة والافكار الصائبة .. وبالنسبة للمليكه .. فهو رائده ومستشاره الأوفى .. إليه يرجع الفضل فى تدعيم الصورة الذهنية الإيجابية عن الملك فى نظر الشعب خاصة .. فى اوائل عهده فقد بذل قصار جهده من خلال علاقاته المتعددة والحميمة مع عدد كبير من كتاب الصحف فى هذا الصدد .

كان عضواً شهيراً فى مدرسة «خطوة ثم قفزة» الدبلوماسية التى أرسى قواعدها بزواجه من السيدة لطفية.. وكان ذلك كافياً ليصعد الرجل سلالم قصر عابدين ثلاث ثلاث .. ولتبدأ قصة غرامة الإضطرارى .. بالملكة نازلى بعد وفاة زوجها الملك فواد فمن تكون نازلى – أو ذات الدلال بالتركية ؟

هى كريمة عبدالرحيم باشا صبرى شاهدها السلطان فؤاد فى دار الأوبرا الملكية .. فتزوجها وفقاً لقواعد العراقة العائلية والوجه الحسن فتاة مصرية جميلة من عامة الشعب تصغره بتسعة وعشرين عاماً وهى أول امرأة مصرية تحمل لقب «ملكة» فى تاريخ مصر الحديث .

فى عام ١٩٢٠ احتفل الشعب بالزجل الذى نظمه بيرم التونسى يقول فيه «الوزة من قبل الفرح مدبوحة» إحتفالا بالزواج السلطانى .. وفى زجل آخر يقول : مالناش قرون كنا نقول ماما وناكل البرسيم بالقفة .. سلطان بلدنا حرمته جابت .. ولد وقال سموه فاروق .. فاروق فارقنا بلا نيلة دى مصر مش عايزة لها رذيلة».

فاشتاط فؤاد وأمر بإعتقاله ولكنه أحتمى بالقنصلية الفرنسية .. لإنه يتمتع بالجنسية التونسية .. وأصبح يخضع لقواعد معاملة رعايا الدول الأجنبية .

وتمر السنين ونعلم فيما بعد أن نازلى رفضت الزواج من السلطان فى بادئ الأمر ولكنها أضطرت للموافقة تحت ضغط أفراد أسرتها فهى ضحية من ضحايا عصر فواد وتقاليده .. فلم يكن الزواج من سلطان البلاد حلماً يراودها .. فالرجل لم يكن محبوباً أو مرغوباً من الشعب .. وقد صدق حدسها فظلت حبيسة فى الحرملك يفصلها عن السلاملك قيود وسدود من الأعراف والتقاليد الملكية التى لم تنجح مرة واحدة فى تجاوزها .

يقول كاتبنا الكبير أنيس منصور .. إن الإنسان كما صنعته أمه أو ذكرى أمه فمستقبل أى طفل هو ماضى أمه .. ولنقرأ معاً ماضى نازلى الذى نسج مأساة إبنها فاروق أو هاملت أسرة محمد على !!!

فى عام ١٩٢٢ استطاعت [١٢] الكاتبه الأمريكية «جريس هوستون» إختراق الستار الحريرى للسلاملك وانفردت بمقابلة الملكة نازلى .. فكان الحديث الأول والأخير فلم تدل بأى أحاديث أخرى إلا بعد وفاة زوجها الذى أنفعل على الطريقة التركية الديكتاتورية القديمة .. وبدلاً من فك الحصار الملكى وتخفيف قيود البروتوكول داخل القصر .. أصبحت الملكة حبيسة فى عابدين .. تشكو ألما مزمناً فوق الجبين .. من التاج الملكى اللعين .. فأين هى من الأميرة فوقية أبنة الملك فؤاد .. وهى فى نفس عمرها تقريباً وتسافر كل عام إلى أوربا وتستمتع بحريتها كاملة .. أما هى فتسافر إلى الاسكندرية وهى مدينة رطبة لا تحبها تقول نازلى : هل يصدقها أحد إذا قالت أنها لا تقابل أى فرد من أفراد أسرتها إلا بتصريح مسبق من فؤاد .. وقد يستغرق الأمر شهوراً .. وبنفس العقبات لا تستطيع الملكة أن تزور بيت والدها إلا بإذن خاص وفى ظل جيش من الحرس والوصيفات .. تقول جريس هوستون عن لقائها بالملكة نازلى : «فى طفولتى قرأت قصة العصفور والقفص الذهبى ولكنى لم أر عصفوراً حقاً داخل قفص من ذهب إلا حينما قابلت الملكة نازلى ملكة مصر الجميلة .. وقد تفضلت جلالتها فأذنت لى بأن أختلس نظرة سريعة على السجن الفخم الذى تقبع فيه وإلى العزلة الوثيرة التى تحياها فى قصر عابدين أو مقاطعة عابدين وهو أفخم قصر رأيته فى حياتى .. وأنا اندهش كيف يغرق ملوك الشرق وملكاتهم فى الترف والنعيم متجاهلين شعوبهم.. تضيف جريس .. لم يتحدد موعد اللقاء إلا بعد شهر من كتابة إسمى فى سجل التشريفات وبعد سعى التواصل واللجوء لوساطة الوزير الأمريكى المفوض بالقاهرة وأخيراً اجتزت البوابة الملكية الأنيقة المحلاة بنقوش الذهب والفضة فوجدت نفسى فى غرفة واسعة بها ما يقرب من عشر وصيفات بدين فى جمالهن وأناقتهن وسحرهن كالحوريات بعد دقائق أطلت علينا سيدة مهيبة الطلعة فى سن النضوج شعرها بلاتينى وثوبها باريسى فعرفت أنها مدام «جوزيف أصلان قطاوى» كبيرة الوصيفات .. وهى حرم رئيس الجالية اليهودية بمصر أما الملكة فهى بسيطة جذابة كماسة نادرة قلت لها : «إننى أدرك الآن يا صاحبة الجلالة لماذا يصر الملك على أن يحجبك عن لقاء الناس والصحفيين ؟ فضحكت جلالتها ضحكة عالية مرحة رفعت بها الكلفة بيننا وقالت «آه يا سيدتى .. لا تذكرى ذلك أمام الملك .. بل يجب أن تؤكدى له إننى استطيع الخروج ومقابلة الناس فى أمان فهو غيور .. غيور جدا» وأستطردت جلالتها تسألنى : «هل أخترعوا حقاً فى أمريكا تليفوناً يرى فيه المتكلمون بعضهم ؟!!!

قلت لها : لا أدرى .. ولكن لماذا ؟ أستغرقت جلالها فى الضحك ثم قالت : «جاءنى الملك منذ بضعة أيام قلقاً مهموماً وقال لى لقد أخترعوا فى أمريكا تليفونا يرى فيه المتكلمون بعضهم وإنه سيعمم فى العالم قريباً !! وهذه مسألة تشغله ولا أدرى هل سيسمح بإدخاله فى القصر .. أم سيرفع التلفونات كلها من هنا.



قلت لها : كان يجب أن تتفقا قبل الزواج على حدود الغيرة كما نفعل فى أمريكا ضحكت جلالتها وقالت : يبدو إنك مازلت تجهلين تقاليد الشرق على الرغم مما قيل لى عنك وإلمامك الشامل بأحواله – إن الفتاة عندنا تتحجب فى سن الرابعة عشر وتخطر فى سن الثامنة عشر بأنها ستتزوج فلاناً وكل ما عليها هو أن تستعد وقد قيل لى وأنا فى الثامنة عشر من عمرى إننى سأتزوج السلطان .. ولما عارضت لآن العريس يكبرنى بسنوات عديدة تعجبوا !! وقيل لى كيف ترفض بنت الشعب الزواج من السلطان !!!

وتسألها جريس هوستون : هل تعتقدين أن الحرية قادمة ؟ ترد نازلى الحرية قادمة بلاشك ولكنها ستكون بطيئة .. وأنا ادعو الله الأ تلقى فوزية إبنتى نفس مصيرى وأتمنى أن تتزوج ممن تريد وتسافر وتذهب إلى أى مكان .. أنا واثقة ان فوزية ستأخذ بثأرى وتسترسل الملكة فى الحديث عن حبها الشديد للأسفار .. وحرمانها من هذه الهواية فهى لم تسافر إلى أوربا إلا فى سن الثالثة عشر من عمرها ثم سافرت مرة واحدة إلى الخارج للعلاج وهى تحلم بزيارة أمريكا .. وتشرح الملكة لجريس كيف تجد بعض الصعوبات فى الحصول على كتاب إنجليزى عن المراه دون أن يمر على رقابة الملك !! وتنهى جريس حديثها مع ملكة الشرق بقولها: «هى ماسة نادرة فى صندوق معتم» ولكن فى ٢٨ ابريل عام ١٩٣٦ انقلبت حياتها رأساً على عقب .. فقدسقط الستار الحريرى وتنفست نازلى الصعداء حتى كادت تقطع أنفاسها .. ففى هذا التاريخ توفى سجانها» الملك فؤاد» .. الآن يمكنها أن تنفلت وتنطلق وترن ضحكاتها فى أرجاء القصر المهيب الآن يمكنها ارواء عطشها قبل أن تزوى أوراق شبابها وقد أكد بعض المقربين أنها لم تتمكن من إخفاء سعادتها بهذا النبأ فمسحت دموع الحزن بإبتسامة الفرح وللأسف الشديد جاء رد الفعل طائشاً متهوراً منزلقاً.. فقد شاءت نازلى أن تختزل سنوات عمرها السابقة واللاحقة فى زمن خاص من صنع هواها ..

فقامت بإعداد مظاهر الحداد على طريقتها الخاصة .. فأصرت على حضور حفلة ساهرة فى منزل إحدى صديقاتها قبل إنقضاء الأربعين وهو أمر شاذ بكل المعايير فى إطار التقييم الزمنى لتلك الحقبة التاريخية ونظراً لمكانتها الخاصة كملكة محط أنظار الجميع

كما قامت بطرد رجال الحاشية المفضلين لدى فؤاد وعلى رأسهم مهندس القصر «فيروتشي» لاعتقادها انه كان يجلب النساء لزوجها .. وحين ضاق فاروق بتصرفاتها أعاد هذا الرجل تحديداً انتقاماً من تصرفاتها الجارحة لكرامته .. بعد أن اصبحت قصصها مادة صحفية مثيرة – محليا ودوليا – تتناولها الصحف بالعناوين الرئيسية .. وتفرد لها الصفحات والأعمدة .. فهى لم تعبأ بكونها أم ملك شاب .. يحتاج إلى تعزيزها وتشجيعها نظراً لدوره الذى كان اكبر من حجمه وسنه .. خاصة أنه لم يتهيأ طويلاً للقيام بهذا الدور .. فقد أصبح ملكا لأكبر دولة عربية وإسلامية لها عاداتها وتقاليدها وقيمها ولا يجوز تخطيها فهى سجن ارتضاه المجتمع ووضع إطاره وكل خطوة تبعد عن هذا الإطار يسقط فيها إعتبار الإنسان أمام الناس .. فاما الفضيحة والعار أو الزهد والوقار وهكذا وجد فاروق نفسه وحيداً .. فى خضم أمواج السياسة المتلاطمة منخرطاً مع السياسيين فى مناوشات برلمانية وأزمات وزارية استفزازية لا تنتهى مضطراً للتعامل مع دسائس البلاط الملكى بدبلوماسية تكاد تقترب من اللصوصية .. مجبراً على مهادنة الإنجليز وإخفاء كراهيته وامتعاضه من سياستهم !! ثم حاصره الفساد من أقرب الناس وأعز الناس إلى قلبه.. فأصبحت حياة نازلى الخاصة كابوساً يؤرقه وزلزالاً يهدد عرشه الوليد .. ففى عام ١٩٣٧ سافرت الأرملة الطروب بصحبه أبنها فاروق وبناتها ووصيفتها زينب هانم وابنتها صافيناز ذو الفقار (الملكة فريدة) إلى سان موريتز بسويسرا فتوثقت علاقتها بأحمد حسنين الذى تعرف عليها من خلال فاروق بعد ان قطع دراسته فى بريطانيا بعد وفاة والده حيث أصر على تقديمه إليها لتشكره على جهوده وعنايته به أثناء فترة دراسته فى بريطانيا ولكنه لم يذكر أمامها بالطبع أنه كان يصحبه فى الملاهى الليلية ودور السينما وهو لم يزل فى دور المراهقة



أما عن العلاقة التى كانت تربط بين نازلى وفاروق فمن العجيب انه كان حباً بلا حدود بين أم وابنها لم يجتمعا إلا قليلاً ومن الغريب أن فاروق منذ ولادته وحتى سفره إلى انجلترا كان يجلس مع والدته فى أوقات محددة يتم وضعها من قبل الملك فؤاد .. الذى كان حريصاً على تنشئة أبنه على الحزم والشدة .. فعهد بهذه المهمة إلى مربيتين أحدهما انجليزية قاسية والآخرى ايرلندية حانية بالاضافة إلى المعلمين والمدربين الذين تم استقدامهم خصيصاً لاعداده دراسياً .

حاولت نازلى بشتى الطرق .. إقناع الملك فؤاد بعدم سفر فاروق لإنجلترا .. وأقترحت عليه أن يستكمل دراسته بمصر لكنه رفض بشدة .. فقد حرص فؤاد الذى صهرته التجارب .. وعلمته الأيام ان دوام الحال من المحال .. أن يشب ابنه على الالتزام والجدية وتحمل المسئولية منذ الصغر وإلغاء كلمة التدليل من قاموس حياته .. فأصدر أوامره إلى العاملين بالقصر أن ينادونه باسمه مجرداً من لقب «الإمارة» .. وفى الثالثة عشرة من عمره .. بدأ يخرج ويظهر فى الحياة العامة مع والده الذى كان يتعجل ان يبلغ ابنه مبلغ الرجال بأقصى سرعة.. فقد كان بالنسبة له مشروع ملك لا يسمح له بمخالطة أطفال فى مثل عمره .. فنشأت علاقاته مضطربة لا تعرف الندية لذلك لم يجد متنفسا امامه إلا الأروقة السرية إلى غرف الخدم الإيطاليين.. الذين يكبرونه سنا .. فاستقى منهم الكثير من معلوماته وتشكلت العديد من مفاهيمه واتجاهاته .. فكان يسهل عليهم تطويعه وبحكم مركزه كانوا حريصين على رضائه وفقاً لهذا المنطق البرجماتى .

فى ظل هذا الحرمان المزدوج بين الأم وابنها شب فاروق على محبة أمه وإحترامها .. وعلى النقيض جاءت مشاعره الطفولية سلبية ازاء هذه الشدة الأبوية .. فلم تكن محبته لأبيه إلا تحصيل حاصل لرابطة الدم .. ونعود لقصة أحمد حسنين ففى بادئ الأمر كان طبيعياً أن يقيم أحمد حسنين فى القصر فهو مازال رائد الملك إلى أن يتولى سلطته الدستورية حتى يبلغ الثامنة عشر الهلالية من عمره.

ويؤكد أصدقاء حسنين الحميمين أنه لم يكن هو مشعل هذه الشرارة العاطفية بينه وبين الملكة ويؤكدون أيضا أن قميصه قدّ من دبر .. فقد تورط فى هذه العلاقة التى وجدها أفضل وسيلة من وجهة نظره لتحقيق طموحاته السياسية ووجد أن هذا الاسلوب هو الضمان الوحيد لإحتفاظه بمركز الصدارة فى القصر – فهو فى نهاية الأمر فارسا ومغامراً يتمتع بروح رياضية لا تؤمن إلا بالفائز الأول .. وقد أقسم ان يكون الأول دائما وبطريقته الخاصة .. فبدأ بإستخدام الإستراتيجية التقليدية لأى صياد ماهر وهى إتباع سياسة الصد والرفض ثم اتبعها بإستخدام مثيرات الغيرة والشك والريبة .. يقول محمد التابعى صديقه الحميم والصحفى الوحيد الذى حظى بفرصة السفر مع الملك فاروق قبل زواجه من فريدة .

«فى البداية كانت نازلى تلهو بالرجلين معاً أحمد حسنين وعمر فتحى «ياور الملك» الذى صحبه أثناء رحلته الدراسية لإنجلترا ارادت نازلى أن تثير الغيرة فى صدرهما وتتلذذ بمشاهدة المنافسة بين رجل الحاشية الانيق (أحمد حسنين) وضابط الحرس الرشيق (عمر فتحى) ولكن لعبة نازلى لم تدم طويلا، لأن عمر فتحى لم تكن له أية مطامع وهو إنسان ملتزم يؤدى واجبات منصبه فقط».. وينتشر فى مصر زجلاً مخزياً تتداوله الألسنة كفيل بتدمير أى إنسان فما بالنا لو كان هذا الإنسان هو الملك «يا فاروق يا نور العين .. أمك مرافقة أثنين عمر فتحى .. وأحمد حسنين».. الذى كان يعرف نازلى جيداً ويعرف الكثير عن حياتها وعذابها وغيرة زوجها وتلهفها على الحياة المرحة .. فقرر أن يتركها تفعل ما تشاء تعرض وتقبل تغازل هذا وتستلطف ذاك وهو هادئ يبتسم يترك العنان لخيط سنارته التى تعلقت بها سمكة عنيدة إلى أن خارت قواها وأستسلمت واصبحت هى التى تغير وتحاسب أحمد حسنين على أفعاله !! ويؤكد التابعى أن أحمد حسنين أقر أمامه بأنه لا يحب نازلى ولكنه حريص على رضاها فهى ملكة مصر وصاحبة أعلى نفوذ عند فاروق الذى يحب أمه ويخشاها ويحترمها ولا يخالف لها أمراً وكان حسنين يدرك كل ذلك ويعلم جيداً أن من يسيطر على نازلى يستطيع ان يسيطر على فاروق.

بعد انقضاء الأربعين انتقلت الأسرة المالكة إلى الاسكندرية واستقر أحمد حسنين فى قصر المنتزة فدهش أفراد الحاشية .. ذلك أن القصر كان مخصصا للعائلة فقط .. ويوجد مبنى مستقل للحاشية ولكن حسنين تعلل بأهمية تواجده مع الملك لأنه مازال رائده ومستشاره .. ويذكر د. حسين حسنى – السكرتير الخاص للملك فاروق أن الملكة نازلى ظهرت أولى نزواتها الطائشة أثناء سفرها مع الملك عام ١٩٣٧ إلى سويسرا حيث تم استقبال الملك استقبالا رسمياً فى بورسعيد ووفقاً للتقاليد المرعية فى مصر من المفترض ان تستقل الملكة نازلى سيارتها وتتبع الملك .. وطال الإنتظار فى الباخرة دون أن تصل الملكة اضطر أحمد حسنين إلى العودة إلى المحطة لتقصى الأمر .. واتضح أن جلالتها غضبت لعدم اشتراكها مع الملك فى مظاهر الإستقبال الرسمى وأصرت على عدم النزول من القطار فى بورسعيد إذا لم يتم استقبالها كما استقبل الملك !! فتم عمل ترتيبات عاجلة إرضاء لها .. حتى توافق على مغادرة المحطة والتوجه إلى الباخرة !! وعلى ظهر الباخرة انطلقت رغباتها المكبوتة لتحقيق حلم حياتها تلك الحرية التى اساءت فهمها.. بفعل طول الكبت الذى ولد الانفجار اللا اخلاقى .. لم تعرف نازلى الترفع عن الصغائر .. إعلاء لمكانة اسمى وأبقى وأخلد لذكراها فى التاريخ .. وفى سان مورتيز .. يعانى الملك من إصرارها على ممارسة رياضة التزحلق على الجليد

مثلما يفعل هو وشقيقاته .. ولكن نظرا لعدم ممارستها لهذه الرياضة من قبل فكان من الصعب عليها المحافظة على توازنها وكانت تستعين بمدرب يساعدها يلف خصرها بيده وفى بعض الأحيان يتحول نزلاء الفندق إلى مساعدين ومدربين لصاحبة الجلالة .. وتلتقط الصحافة الأوربية صورها كمادة صحفية مثيرة لشهية القراء !!!

وفى المساء تصر جلالتها على الاحتفاظ بتوازنها الايقاعى من خلال إصرارها على الرقص بمصاحبة أحمد حسنين أو الآخرين .. ويثور فاروق على وجه الصحفيين ويصدر تعليماته بمنع تصوير السيدات ويهجم على أحد المصورين ويختطف منه الكاميرا ويقوم بنزع الفيلم منها .. وتكتب صحف بريطانيا فى صفحاتها الأولى أخبار هذه الرحلة وتتناولها بالتفصيل .. وتقول : «الملكة نازلى ترفع الحجاب وتكشف عن وجه فى اناقة حى «ماى فير» وهو حى الارستقراطية الانجليزية فى لندن ويطير الحمام الزاجل الصحفى هامساً بأخبار الغرام الملكى إلى مصر غرام نازلى وأحمد حسنين وفاروق وصافيناز ذو الفقار أو (الملكة فريدة) ويرسل الأمير محمد على توفيق ولى العهد خطابا شديد اللهجة إلى أحمد حسنين ينتقد فيه تصرفات الملكة وخروجها على العادات والتقاليد الشرقية والملكية أيضا .. ويحمله كل اللوم لفشله فى كبح جماحها .. وجماح طموحه .. وأثناء تواجد الملك فى لندن .. بدأ الاستعداد لحفل تتويج الملك جورج السادس الأمر الذى أقتضى عدم وجود ملك آخر فى العاصمة البريطانية أثناء موعد التتويج (مايو ١٩٣٧) فسافر الملك والحاشية مراعاة للتقاليد البريطانية إلى باريس واقام الملك والملكة وأحمد حسنين أيضا فى فندق «ريتز» واقامت بقية الحاشية فى فندق آخر .. وأصبح من الصعب تجنب الثرثرة .. ولا تكتفى الملكة بهذا القدر من التمرد .. ولكنها تثير مشكلة كادت تقترب من الأزمة السياسية مع البلاط الملكى الإنجليزى تبدأ القصة حين وجه الملك جورج السادس الدعوة للملك فاروق لحضور مأدبة غداء .. ونظراً للعلاقات القديمة الراسخة بين البلاط الملكى الانجليزى والبلاط الملكى فى مصر .. فقد أتبع قصر باكنجهام التقاليد المصرية المتعارف عليها ولم يتم توجيه الدعوة للملكة نازلى .. فغضبت بشدة وهددت بعودتها إلى مصر بمفردها .. إذا لم يتم توجيه الدعوة إليها .. ويتدخل أحمد حسنين ويتصل بالمسئولين فى باكنجهام وبدبلوماسية ماكرة يبلغهم ان الملكة نازلى يشرفها أن تحظى بمقابلة الملك والملكة .. وهكذا وجهت لها الدعوة لحضور الغداء مع الملك .. ويتكرر نفس الموقف أثناء افتتاح الملك جناح مصر بمعرض باريس الدولى .. ويرفع الملك اسمها فى اللحظة الأخيرة من مراسم الافتتاح الرسمى .. ويتم الترتيب لإحتفال آخر فى اليوم التالى ارضاء لها .. ويصل إلى (فيشى) مراد محسن باشا ناظر الملكية موفداً من قبل النحاس لعمل الترتيبات اللازمة الخاصة بالاحتفال بتولى الملك سلطته الدستورية فى مصر .. ولم يستطع ناظر الخاصة كتمان فضوله عن الأخبار التى تناثرت فى القاهرة عن العلاقة التى تربط نازلى وأحمد حسنين فى هذا الوقت الفاصل الذى شهد خلافاً شديداً بين الملك والنحاس ويستعد فاروق لتتويج مشاكله مع نازلى ويطأطئ رأسه ليس استعداداً لإرتداء التاج وانما خجلاً وانكساراً .. كيف يحكم قبضته على الصولجان وهو عاجز عن السيطرة على سلوكيات والدته التى كانت تؤمن بالقاعدة الديمقراطية التى تقر أن «الملك يملك ولا يحكم - أى لا يحكمها هى فقط - » وهذا ما حدث بالفعل ففيما بعد تدخل فاروق فى شئون الحكم بصورة اوتوقراطية سافرة وأصبح يملك ويحكم فى آن واحد ويعصف بالدستور مرات عديدة وأمتدت سلطاته تقيل الوزارات وتقعدها لكنه لم ينجح فى السيطرة على والدته مثلما فعل مع اساطين السياسة فى عصره !!

وتستقبل الجماهير فاروق بالحب والود.. ولكن الجماهير تستقبل نازلى وتحتفل بها احتفالاً خاصاً .. حيث تم طبع وتوزيع أزجال بيرم التونسى الشهيرة التى نظمها فى عهد الملك فؤاد.. ولم يثبت تاريخياً اضطلاع أى جهة بتوزيعها ولكنها ظلت فعلة مجهولة.

ويزداد الأمر سوءا بإشتعال الخلافات بين أحمد حسنين وزوجته السيدة لطفية يسرى أو لطفية العبد بعد طلاقها عام ١٩٤٢ ويؤكد المقربين من أصدقاء حسنين أنه لم يكن يحب زوجته .. ولم يحب نازلى أيضا ولكنه ظل حريصاً على أن تحبه هى .. وأما حبه الأكبر فكان لنفسه دائما .

وفى عام ١٩٤٢ تصاعدت خلافاتها مع فاروق فسافرت إلى القدس وأقامت فى فندق الملك داود وكانت تقضى الشطر الأكبر من الليل فى الملاهى الليلية .. تراقص الضباط الانجليز فجن جنون أبنها وعهد إلى النحاس باشا وزوجته زينب الوكيل بالسفر إليها وإقناعها بالعودة .. وهو ما حدث بالفعل .. وهكذا تجلت تعاسة فاروق وأصبحت تطل من رأسه الظنون تلومه وتشد أذنه .

ومن جانبها فقد كانت تؤكد أنه أصبح صورة مصغرة من ديكتاتورية أبيه .. أما هو فقد تحولت مشاعره تجاه والده بعد وفاته إلى مشاعر إيجابية أكثر محبة وتقدير فهو لا يتحدث عن المرحوم - كما كان يطلق عليه - إلا بكل فخر وإعتزاز خاصة بعد توليه الحكم .. ومعاناته من متاعب السياسة المحلية وسيطرة السفارة البريطانية .. وعلى الرغم من استبداد أبيه وكراهية الشعب له .. فقد تأكد فاروق بعد فوات الآوان أن شدة أبيه وحزمه فى الصغر .. كان يراد بهما تهيئته لاعباء تفوق سنه .

وبعد انهيار مثله الأعلى المقدس متمثلاً فى صورة أمه ورائده راستاذه يمكننا القول أن أرضه أصبحت رخوة ضعيفة مهتزة مثل قيمه التى بدأت تنهار تدريجياً مثل لعبة الدومينو وتزداد مركبات النقص التى قلما يخلو منها إنسان .. وبعد انتهاء مراسم تولية الحكم .. يستقر حسنين فى قصر المنتزة ليس بصفة رائد الملك ولكنه يعين فى منصب «الأمين الأول» ويشعر الملك بالقلق ويخاطب د. حسين حسنى قائلاً : «صاحبك مستنى (١٣) إيه هنا، قل له يعزل من هنا، أنا عاوزك تبلغه إنه يخرج حالاً وتعرفنى النتيجة فى أقرب فرصة» ويعتقد حسنين أن د. حسين حسنى يرغب فى إقصائه عن القصر غيرة وحسداً ولكنه يقترح على الملك إمهاله بعض الوقت لحين العودة إلى القاهرة فى نهاية الصيف على أن تكون هناك فرصة لكى يخرج بكرامته .



فوافق الملك - ويستطرد حسين حسنى- ولكن بعد أيام قليلة طلب الملك مقابلتى فى منزل «عمر فتحى» وحضر وبصحبته الآنسة صافيناز ذو الفقار خطيبته وبدا عليه الهم والغم ثم قال : «لم اعد اطيق صبراً .. لقد أوشكت على الجنون وأطلب منكما مشاركتى فى التفكير ماذا أصنع مع الملكة نازلى وحسنين هل أقتلهما ؟ هل ارسلهما إلى مستشفى المجانين ؟ هل أبعثه سفيراً إلى اليابان» فأخذنا نخفف عنه وقضينا شطراً كبيراً من الليل نتبادل الآراء وأن كنا لم نصل فى النهاية إلى حل وأكدنا له إنه يجب أن يتمسك بالحكمة والتفكير الهادئ فلعله يمكن إيقاظ الملكة نازلى من غفوتها (١٤) لست انسى ما حييت وجه فاروق المسكين فى تلك الليلة وقد احتقن بدماء الغيظ والكبت كأنه وحش ثائر جريح أحكمت حوله أسوار القفص وهو لا يملك منها فكاكاً ولا حيلة للهرب !! كانت حالة الملك تعبر عن مأساة أليمة تبعث على الشفقة والرثاء للملك الشاب .. من آثار تلك الفاجعة التى قوضت إيمانه بالمثل العليا التى كان يتمثلها فى أعز الناس لديه أولاً ثم فى الزعماء من قادة الشعب ورجال الحكم ثانياً .. فخاب ظنه وضاع أمله فانهارت فى نفسه على أثر توالى الصدمات نوازع الخير ونوايا الاصلاح التى كان يؤمن بها وفاتحنى صادقاً منذ بداية حكمه بعزمه على أن يجعل منها الأساس الثابت للحكم» .. ويتوجه أحمد حسنين إلى قصر القبة بعد عودته من قصر المنتزة وتنتقل نازلى إلى قصر أبيها بالدقى استعداداً لقدوم الملكة الجديدة (فريدة) وحتى لا يسألها فاروق عن سهراتها .. وعلى الرغم من الاصلاحات التى أمر فاروق باجرائها فى القصر استعداداً لزواجه إلا أن حسنين

أصر على الاقامة والعودة فى أوقات متأخرة فأمر فاروق باغلاق أبواب القصر فى العاشرة مساءاً فما كان منه إلا ان قفز فوق الأسوار خلسة .. وحين علم بتلك الواقعة أمر بأن تجمع أمتعته ومتعلقاته الشخصية وتنقل إلى جوار أحد أبواب الحرملك بقصر عابدين .. فكانت إهانة عميقة على مرآى ومسمع من حاشية القصر (الصغار والكبار) فرحل حسنين واتخذ مسكناً له فى مصر الجديدة وأعتكف فيه بضعة أيام .. إلى أن قام الملك بزيارته وترضيته وإقناعه بالعودة إلى عمله .. لم يقدم الملك على هذه الخطوة تسامحاً أو إمتناناً لرائده القديم .. ولكنها على الأرجح جاءت من منطلق المصالح المتبادلة .. فاحمد حسنين كما يقول عنه فاروق كنت مضطراً إلى الاحتفاظ به .. (كان [١٥] يعرف طبيعتى وأخلاقى وسياستى وأسرارى ودخائلى وشئونى الخاصة .. أحتجت إليه فى بداية عملى ثم لم أعد فى حاجة إليه .. لكنى كنت قد أعتدت العمل معه كان يريحنى فظل فى خدمتى بقوة الاستمرار ولاسيما أنه كان فى عمله مؤدبا مطيعاً وقد كنت أنا فى الواقع رئيس الديوان الفعلى!!) أما الملكة نازلى فقد طلبت موافقته على الزواج من أحمد حسنين ولم يوافق .. ولكنهما تزوجا عرفياً

فى عام ١٩٤٦ تتطور الأحداث بإشتراك عزرائيل الذى يضع النهاية الدرامية لهذا المسلسل الأليم ويصاب أحمد حسنين فى حادث سيارة على كوبرى قصر النيل – أغلب الظن انه لم يكن قدريا – يتوفى على أثره .. وفى الحال يأمر فاروق بجمع أوراقه ومتعلقاته وخاصة عقد الزواج العرفى ويتخلص منه وينعم على المرحوم بالوشاح الأكبر من نيشان محمد على .. وهو الشرط الأساسى لتشييع جنازته عسكرياً .. وتستعصى دموعه فلم يذرف على الرجل دمعة واحدة ولكنه بدا منشرح الصدر فانطلق بسيارته الحمراء [١٦] للإحتفال بهذه المناسبة السعيدة فى أوبرج الأهرام .. فهل كان أحمد حسنين فارساً نبيلاً حتى فى مماته أراح واستراح منه مليكه .. لينام نوم قرير العين هانيها !! هذا ما لم يعرفه فاروق طوال حياته .. فقد أبت نازلى أن ترد إليه اعتباره ولم تنجح أيضاً فيما فشل فيه العطار وتصلح ما أفسدته هى والدهر بل أنها تفاجئه بقنبلة أشد فتكاً ودماراً. حيث قررت السفر إلى أمريكا بصحبة ابنتيها فتحية وفائقة بعد وفاة حبيب القلب ، كان الهدف الأساسى من الزيارة اجراء جراحة فى مستشفى «مايوكلينك» ولسوء الحظ فقد شاءت الاقدار أن تتوقف فى مرسيليا ويستقبلها مندوب القنصلية المصرية فى مارسيليا بعبارة مادحة مباغتة «لقد جئت جلالتك بالشمس معك بعد أن حجبها الغمام عن مارسيليا فترة طويلة» فتبتسم الملكة وتسأل موظف الخارجية الفرنسية عن صحة هذا الإطراء فيؤكده لصاحبة الجلالة !! ومنذ تلك اللحظة لم تجهد نازلى نفسها فى التأكد من نوايا رياض غالى (٢٦ عاماً) الحقيقية .. بل أنها دافعت عنه دفاعاً مستميتاً فى الصحافة الأمريكية وذكرت انه شاب مثالى ونموذج ذكى متعلم يصلح زوجاً لأى فتاة من أسرة كبيرة .. كانت الخارجية قد قررت صرف بدل سفر له قدره خمسة جنيهات فى اليوم .. ثم قررت الملكة أن يصاحبها إلى أمريكا .. فكانا يتنزهان يومياً ثم دخلت الملكة المستشفى لإجراء عملية جراحية فبدأت بوادر الغرام بين فتحية صغرى بناتها التى استهل ميلادها أحمد شوقى بأجمل النعوت .. «فتحية دنيا تدوم وصحة تبقى وبهجة أمة وحياة مولاى ان الشمس فى عليائها أنثى وكل الطيبات بنات» وترتبط برياض غالى المسيحى فتقرر الخارجية عودته إلى مصر لكن الملكة أصرت على بقائه وحددت له مرتباً شهرياً قدرة خمسون جنيهاً وبدل سفر مائة وخمسون جنيهاً مقابل عمله سكرتيراً لها .



وفى عام ١٩٤٩ وافقت الملكة على زواج فتحية ورياض غالى زواجاً مدنيا بعد أن أشهر رياض إسلامه على الرغم من أن فتحية لم تبلغ سن الرشد بعد .. فحاول فاروق محاولات مستميته الإتصال بها وإقناعها بالعدول عن هذا القرار وأتصل بسفير الولايات المتحدة وطلب منه تدخل الخارجية الأمريكية لإخراج رياض غالى من أراضيها .. وسافر إليها إلهامى حسين باشا زوج الأميرة شويكار لإقناعها .. ولكنها ازدادت عناداً وتصلباً ونشرت على لسانها فى جريدة الأهرام تقول (أنها لا تبالى مما ينشأ عن هذا الزواج من نتائج وعواقب مهما يكن نوعها) فحاولت فوزية الإتصال بها لكنها فشلت أيضاً فى إقناعها فأرسل فاروق برقية يستعطفها فيها ويرجوها أن تعود إلى بلدها وأرضها ومُلكها .. ويزداد الأمر تعقيداً بعد أن وصلت الأمور إلى هذه الدرجة واطلت الفتنة الطائفية برأسها بعد أن أصبح رياض غالى يخشى العودة إلى مصر أو التراجع عن موقفه حيث تلقى بعض التهديدات بالقتل إذا عاد إلى البلاد .. أما الأميرة فائقة فقد تزوجت من فؤاد صادق – ٤٢ عاما– عام ١٩٥٠ حيث عقد قرانهما فى سان فرانسيسكو وهو أحد أعضاء السلك الدبلوماسى رياضى شهير ولاعب فى فريق كرة القدم فى نادى الراسنج الفرنسى .. عمل تشريفاتياً للملكة نازلى ويوسط الملك النحاس باشا مرة أخرى ويتعاطف معه النحاس ويقول لمحدثه : كان الله فى عون الملك ان مصائبه العائلية تدك الجبال!! [١٧]

ويبكى فاروق ويصرح لمقربيه أن قلبه قد جرح إلى الأبد .. وينعقد مجلس البلاط برئاسة الأمير محمد على ويقرر المجلس الحجر على الملكة نازلى وتجريدها من لقبها الملكى ويصدر قراره أيضاً بحرمان فتحية من لقب الإمارة وبطلان زواجها ونزع وصاية الملكة على ابنتيها وتوقيع الحجر على الملكة ومنعها من التصرف فى أموالها ووضعها تحت يد الملك .. نظراً لعدم اهليتها .

وفيما بعد سعى لإستصدار «قانون أنباء القصر عام ١٩٥٠» الذى يحظر نشر أى أخبار عن العائلة دون الرجوع إلى القصر .. وعلى الرغم من ذلك فقد أصدر نقيب الأشراف محمد الببلاوى تقريراً يثبت فيه نسب فاروق إلى السلالة النبوية من جهة أمه الذى ينتهى إلى الإمام الحسين رضى الله عنه (بالشهرة والتواتر) .. فهل كانت نازلى جديرة بهذا النفاق بعد أن جردها ابنها من اللقب الملكى ودمرت عائلة بأكملها !!

ولكنه عاد فاعترف بزواج فائقة فعادت إلى مصر .. وللأسف الشديد انتهت حياة فتحية نهاية مفجعة حين قتلها زوجها عام ١٩٧٦ فى بيفرلى هيلز وهى فى السابعة والأربعين من عمرها أثناء شجاره معها بسبب ديونه وشربه للخمر .. ثم أطلق الرصاص على نفسه فأصيب اصابات بليغة حيث كانا يتعرضان لضائقة مالية مزمنة أضطرت معها فتحية للعمل فى بعض المهن المتواضعة فأشهرت إفلاسها هى ونازلى أمام القاضى عام ١٩٧٣ .. ولولا مساعدات الأميرة أشرف شقيقة الشاه لقضت نازلى سنوات من الذل والعار بعد أن بددت ثروتها .. وأصبحت تعيش على البلاط الملكى وبعد مقتل فتحية اسدل الستار نهائياً على هذه المأساة الملكية فلم تحتمل نازلى هذه الصدمة بعد أن سارت فى جنازتها تتوكأ على عصاها وتوفيت فى يونيو ١٩٧٦ .

ويظل الجرح غائراً عميقاً .. إذا ما التئم جرح جد بالتذكار جرح فبعد مغادرة فاروق مصر فى يوليو ١٩٥٢ ووصوله إلى نابولى ترسل إليه الملكة نازلى خطاباً تعبر فيه عن سعادتها بوصوله سالماً وتؤكد له أنها رهن إشارته لكى تقوم بزيارته ويعرض عليه أمين فهيم سكرتيره الخاص الذى رافقه إلى إيطاليا الخطاب المقترح للرد عليها فيأمره بإرسال الخطاب إلى «ارملة المرحوم أحمد حسنين» أما عن ذكرى أحمد حسنين بالنسبة له فقد شاهد تمثالاً مغطى فى ميدان كوبرى الجلاء فتساءل لمن يكون ! فقيل له ربما يكون لأحمد ماهر أو أحمد حسنين فقال : إذا كان التمثال [١٨] لأحمد حسنين فيجب إزالته فوراً .. فقد تحطم تمثال رائده ومعلمه منذ أمد بعيد .. وتمثال المثل العليا لا ينصب مرتين !!!.



قرر مجلس البلاط بناء على توصية من فاروق
حرمان نازلي من لقبها الملكي وحرمان ابنتها
فتحية من لقب الإمارة ونزع وصاية الملكة على
ابنتيها فتحية وفائقة وتوقيع الحجر عليها



أحمد حسنين باشا عاشق
الصحراء ومكتشف واحة
الكفرة بالملابس العربية


نازلى رفضت فى البداية
الزواج من فــــؤاد



ظلت حبيسة فى الحرملك
تشكو ألما مزمنا فوق الجبين
من التاج الملكى اللعين



معظم العائلات السعيدة
متشابهة.. ولكن العائلات
التعسة لكل منها هم خاص



امبراطورية حرف الفاء التى ابتكرها
فؤاد: فائزة وفائقة وفوزية تحمل
فتحية التى تصغرها بتسع سنوات



دسائس البلاط الملكى
وصفها فولتير بأنها
أماكن يجب أن يتوقع
فيها الإنسان وجود
ارتباطات دون صداقة
وعداوات دون ضغينة
وبناله دون فضيلة فكل
الرذائل والفضائل مقنعة

فاروق بصحبة رائده
أحمد حسنين أثناء
فترة دراسته بلندن
أوائل عام ١٩٣٦

كان فاروق يثور احيانا في وجه الصحفيين لقيامهم بتصوير والدته وشقيقاته وفي إحدى المرات اختطف الكاميرا من أحد المصورين وقام بنزع الفيلم

أبناء الملوك ينضجون سريعا

الشعور الحرير على الخدود
تهفهف وفى المنتزة تطير

فائقة الشقيقة الثالثة.
تزوجت فؤاد صادق أحد
أعضاء السلك الدبلوماسي
وكان تشريفاتيا للملكة نازلي





فوزية وفائزة
مع مربيتهن

فائقة على اليمين وعلى اليسار
فتحية شبيهة الممثلة الأمريكية
مصرعها على يد رياض غالى





نازلي انساقت وراء
نزواتها ولم تعبأ بكونها
أم ملك شاب يحتاج
لتعزيزها وتشجيعها


رئيس الديوان الملكى الأنيق
مغامر عنيد يجيد الالتحام
والانفصال بكل الاحزاب


ابتسامة مصطنعة أتقنها
فاروق بحكم اعتياد المنصب



فاروق الأول .. الفارس الصغير

الملكة فريدة والأميرة شويكار والصورة تعكس البروتوكول الملكى

المقصورة الملكية.. تجمع الملكتين فريدة ونازلى والأميرات فائزة ونسل شاه



الأميرتان فوزية وفائزة.. القمر والشمس فى عابدين

الأميرة فوزية (١٩٢١) التى وصفتها مجلة التايم الأمريكية بأنها صاحبة أجمل وجه فى العالم .. جمال آخاذ يعكس ضوء القمر الفضى الرومانسى المتلألئ .. شبيهة النجمة العالمية الجميلة فيفيان لى .. حبيبة أخيها ملك البلاد يعدد محاسنها ويثنى على خصالها ويؤكد أنها بالرغم من جمالها الفائق فهى ملاك بشرى بأخلاقها وطبائعها وهدوئها العجيب فهى بسيطة .. عاقلة .. قليلة الكلام .. تتحمل ولا تشكو ويقر أنها تختلف عنه وعن بقية شقيقاته . أما فائزة (١٩٢٢ - ١٩٩٤) فهى وهج الشمس المتاجج دفئا وحيوية .. قوية .. نافذة .. عصبية .. تعرف ما تريد لا يستطيع زوجها أن يدوس لها على طرف وفى النهاية هن أمانة فى عنقه فكان يقول : «لقد كتب القدر [١٩] التعاسة والشقاء علىّ أنا وشقيقاتى فأنا أتعس كثيراً جداً مما قد يظن الناس» وهن وإن كن أميرات لكنهن يتيمات تعيسات .. لم يشفع لهن جمالهن فى الاستئثار بنصيب أكبر من السعادة أو كما يقول الشاعر :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ... إنى بما أنا باك منه محسود

فمن العجيب أن الملكة نازلى التى كانت تشكو من ديكتاتورية أسرتها حين أجبرتها على الزواج من فؤاد .. كانت تقسو على بناتها وتعاملهن بشدة وتفرض عليهن رأيها وتطالبهن بالخضوع لآرائها دون مراجعتها والويل لمن تعترض فقد عرف عنها عصبيتها الشديدة .. يقول فاروق : «كانت لا تتورع فى صفعهن أو سبهن» .. وعلى الرغم من الجمال والثراء والبهاء الذى يستشعره كل من تقع عيناه على صورة الأميرة فوزية إلا أنها ظلت طوال حياتها تعانى من الإكتئاب والحزن الدفين فقد استعذبت بكائها .. وفضلت أن تبنى أسواراً حول أحزانها .. وهى من النساء القليلات اللاتى تنطبق صورتهن مع واقعهن إلى درجة كبيرة على الرغم من أن طفولتها كانت أسعد حظاً من أخيها فهن ثلاث شقيقات متقاربات سناً (فوزية - فائزة - فائقة) بالإضافة لفتحية التى تصغر فوزية بتسع سنوات .. تعلمن الإنجليزية والفرنسية واللغة العربية والرياضة والرسم والأشغال اليدوية والبيانو وتدربن على ركوب الخيل .. بالإضافة لقواعد البروتوكول والاتيكيت .. ونصيبهن من الصديقات لا بئس به فقد أرتبطن ببعضهن يؤنسن وحدتهن وتكاد تقترب العلاقة بين فائزة وفوزية إلى أقصى درجات الصداقة بين الشقيقات ربما كانت هواية حب التصوير هى الشئ الوحيد الذى ورثته فوزية عن أمها وأضافت هواية القراءة المزيد من الهدوء والعزلة لمكونات شخصيتها.



وفى عام ١٩٣٨ تقدم ولى عهد إيران الشاهبور محمد رضا بهلوى لخطبة فوزية .. وتحمس فاروق لهذه المصاهرة الإيرانية التى قد تدعم الروابط السياسية بين مصر أكبر دولة عربية وإيران الفارسية والجار الأكثر أهمية فى منطقة الخليج وشبة الجزيرة العربية .. حين عرض فاروق عليها الأمر لم تنطق سوى بالعبارة الشهيرة آنذاك : «اللى تشوفه!!» ووافقت فى الحال .. وهى القاعدة السائدة فى زواج الفتيات فى ذلك العصر .. تمت اجراءات الخطبة وقبل الخطبة الرسمية أقيمت عدة ولائم شدا فى أحداها محمد عبدالوهاب قصيدة «مهيار الديلمى» أبى كسرى فى إيوانه ليس فى الناس اب مثل أبى .. قد ضممت المجد من أطرافه سؤدد الفرس ودين العرب.

وأقيم الزفاف فى قصر عابدين وحضره معظم أفراد الأسرة المالكة المصرية والإيرانية .. وفى إيران أقيم حفل زفاف اسطورى فى قصر جولستان حيث انتشرت مواكب الزهور فى شوارع طهران .. فى حين تطلب زواج الأميرة فوزية من الشاهبور تعديل المادة ٣٧ من الدستور الإيرانى حتى تتمكن السلطات من منحها الجنسية الإيرانية .

وفى نهاية عام ١٩٤١ خلع الإنجليز الشاه رضا بهلوى وأضطر للسفر إلى جنوب أفريقيا وتنازل عن العرش لإبنه محمد رضا بهلوى وهكذا أصبحت فوزية امبراطورة سنية على عرش الطاووس .. وفى عام ١٩٤٢ عادت الإمبراطورة فوزية إلى مصر بعد أن علم فاروق أنها أصيبت بالملاريا وتعانى من ضعف شديد واعراض اغتراب وحنين لوطنها وأهلها .. فدبر فكرة سفرها وعودتها إلى مصر دون إثارة أى شكوك لدى الشاه .. الذى رزقت منه بابنتها «شاهيناز» والملوك عادة لا يبتهجون إلا بمولد ولى العهد .. فليس من المعقول ان تجلس على عرش الطاووس ولية العهد فلم يحدث ذلك ابداً فى تاريخ الأمبراطورية العريقة وهكذا برزت هذه المشكلة على سطح علاقتها بأسرة الشاه الذى كان والده رضا بهلوى يرعى فوزية بمحبته وعطفه أما زوجته الامبراطورة تاج الملوك فلم تختلف كثيرا عن أى حماة شرقية تنتظر ولى العهد .. وقرر فاروق استضافة شقيقته والحاشية الإيرانية فى قصر أنطونيادس بالاسكندرية .. وكان هذا هو الخبر الرسمى الذى أنتشر بين الناس وأفصح عنه القصر رسمياً أما السبب الخفى لعودتها فقد رواه فاروق لكريم ثابت : حيث وصلت إليه تقارير تفيد أن فوزية تعانى بشدة من وجودها فى طهران وتوجد [٢٠] أسباب خاصة دفعته لاستقدامها ففكر فى تدبير خطة محكمة لدعوتها لحضور حفل زفاف شقيقتها فائزة .. وبعد وصولها وإقامتها فى قصر أنطونيادس إنتقلت منه فى سرية تامة إلى قصر المنتزة .. ويستيقظ أعضاء الحاشية الإيرانية صباحاً ويفاجأون بإختفائها .. ويسعد فاروق بنجاح خطته التى جاءت على غرار خطة هتلر والتى اختطف بها حليفه موسولينى من المعتقل .. ويشكك كريم ثابت فى صحة كلام فاروق .. والحقيقة المطلقة علمها عند الله .. لكننا لا نملك إفتراضا آخر سوى الإفتراض الذى ذاع وانتشر أيضاً فى تلك الفترة ومفاده أن الملك فاروق أعتزم طلاق الملكة فريدة عام ١٩٤٨ حيث تدهورت العلاقات بينهما وأصبحا منفصلين فعلياً .. فكان لابد من إتمام اجراءات الطلاق تنفيذيا.. ولم يكن يخفى عليه شعبية فريدة ومحبة الناس لها التى فاقت محبتهم له .. وهو ما تأكد منه بالفعل بعد طلاقهما .. فأعتقد أن طلاق شقيقته سوف يخفف من رد فعل الشعب تجاه أفعاله الشخصية التى كانت محل إستنكار وإزدراء، فهل كانت فوزية مريضة بالفعل ؟ ولماذا لم تعود بعد شفائها ؟ وهل من المعقول أن يقبل أخ على طلاق شقيقته بمحض إرادته لمجرد أنه يريد الطلاق من زوجته وقد عرف عنه قوله مراراً وتكراراً أن حياته الخاصة ملك له وقد دفع ثمن هذه العبارة غالياً أغلب الظن أن الرواية التى رواها بنفسه هى الصحيحة وهو ما أكده لى أحد شهود العيان رفض ذكر اسمه كانت تربط والده بالملك علاقة وثيقة.. ومن العجيب أن فوزية أرادت أن تكتب رسالة إلى الشاه قبل إتمام الطلاق رسمياً فوافق فاروق وأمر الديوان الملكى بإعداد الرسالة بالفرنسية .. فسألوا فاروق عن صيغة الخطاب فقال : بالصيغة التى تكتب بها امبراطورة لزوجها الأمبراطور .. فرجع رجال الديوان إلى المؤلفات الفرنسية التى تعالج شئون المراسم الملكية والبروتوكول وكان لابد أن تنتهى [٢١] صيغة الخطاب كما أعدوه بعبارة : زوجتك وخادمتك فوافق فاروق على الفور .. متعللاً بأنه يجب الأصول .. فالخلاف شئ والأصول شئ آخر والإنسان لا يندم أبداً على عمل

الأصول والواجبات !!!

وفى عام ١٩٤٨ تم طلاق فوزية من الشاه وفاروق من فريدة .. وأستقرت فوزية معه فى قصر المنتزة .. وعهد إلى السفير المصرى فى طهران بتسوية الأمور مع شاه إيران ولم يعبأ برد فعل الحاشية الإيرانية فكان يقول : ما أهمية علاقتنا بإيران ولماذا تتأثر إذا حدث الطلاق ؟ إن سلامة شقيقتى [٢٢] وسعادتها أهم عندى من كل اعتبار وهما الشئ الوحيد الذى أحسب حسابه فشقيقاتى أمانة فى عنقى بما دمن محرومات من الوالدين فوالدتى تنازلت عن دورها فليس أمامهن ملجأ سواى !!

وفى الحال أصدر تعليمات مشددة بمنع نشر صور أبنتها فى الصحف حتى لا تنهار قواها وبعد مفاوضات وافق الشاه على الطلاق على أن تحتفظ بجميع مجوهراتها وطلب منه فاروق تأجيل إعلان الطلاق حتى يتم إعلان طلاقه من فريدة فى آن واحد وربما كان هذا هو السبب فى إنتشار شائعة سعيه لطلاق فوزية إمتصاصاً لصدمة طلاقه من فريدة وفى كل الأحوال فقد استقرت فوزية فى قصر القبة واستطاعت أن تملأ فراغها وتؤنس وحدتها وإفتقادها لإبنتها من خلال إندماجها فى الأنشطة الخيرية فكان لها دور رئيسى فى إنشاء مبرة محمد على .. وكانت تنوى القيام بزيارة المحاربين فى فلسطين .. ولكن ظروف الحرب منعتها من ذلك .. لكنها استمرت فى نشاطها التطوعى أثناء الحرب ومنحها فاروق رتبة فريق .. كما عهد إليها بمهام السيدة الأولى أو الملكة بعد طلاقه فكانت تستقبل قرينات السفراء وتحضر معه الحفلات الرسمية .. وترعى بناته وتحضر حفلاتهن .. ويشكو فاروق من إسرافها المفرط فى ملابسها وزينتها حين نما إلى علمه أنها أنفقت ١٤ ألف جنيه فى السنة ثمناً لفساتينها . وفى عام ١٩٥٩ تتزوج أبنتها شاهيناز وتراها للمرة الأولى فى لندن منذ أن تركتها طفلة صغيرة !!

ولم يمض وقت طويل على طلاق فوزية حين فكر فاروق فى زواجها مرة أخرى .. ورأى أنه من الأفضل أن يترك لها فرصة إختيار العريس بطريقة مقنعة فوقع إختياره على إسماعيل شيرين وهو من أحفاد الأميرة أمينة فاضل، درس الاقتصاد السياسى بجامعة كمبردج وعمل برئاسة مجلس الوزراء ثم أنتدب للعمل بوزارة الدفاع، وتولى منصب وزير الدفاع لمدة ١٨ ساعة فى وزارة الهلالى (٢٢ يوليو ١٩٥٢) .

فكر فاروق فى دعوته لقضاء يوم شم النسيم فى أنشاص [٢٣] على الرغم من أنه .. كان يكره تعاليه وغروره على حد تعبيره .. لكنه رآه مناسباً لفوزية وبالفعل حدث التقارب بينهما وتم الزواج وتؤكد الملكة ناريمان إن إسماعيل شيرين كان دائم الانتقاد والنصح لفاروق فلم يكن ينافقه خاصة حين أشتدت أزمة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ .. فقد أستخدم جميع الأساليب لإقناعه بمهادنة طلبات الضباط لعل هذا السبب فى أن الملك لم يمنحه رتبة الباشوية على الرغم من أنه زوج شقيقته .. ألم يقل الشاعر : ومن لم يصانع فى أمور كثيرة .. يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم .. وهو الذى اقنع جمال عبدالناصر بعودته بعد موته فى روما ودفنه فى مسجد الرفاعى مع والده .. عملاً بوصيته .. ووافق عبدالناصر بعد جهود أستمرت أكثر من أسبوع . والآن تعيش فوزية فى فيلا بالأسكندرية فى عزلة شبه تامة مع ذكرياتها .. قرنفلة جميلة ذكية ارتدت ملابس الحداد على سعادتها منذ أمد بعيد وتوارت بين صفحات التاريخ الوادعة وقد احترمنا عزلتها فلم نتطفل على وحدتها التى نتمنى أن تهنأ بها!!!

الأميرة فائزة

جريئة .. منطلقة .. ضاحكة .. ورثت عن أمها تهورها وعن أبيها ذكاءه .. وحدث أن تقدمت إحدى أميرات الأسرة العلوية بصورة شخصية لمحمد على رءوف بغرض مصاهرة فاروق والإرتباط بشقيقته فائزة فهو حفيد الأميرة فاطمة إسماعيل ووالده ينتمى لأسرة تركية عريقة .. درس العلوم السياسية لكن ثروته المادية كانت متواضعة وبمجرد أن شاهدت فائزة صورته وافقت على الإرتباط به وأدرك فاروق أنها سئمت القيود [٢٤] الملكية وتريد أن تتمتع بحريتها الشخصية من خلال حياة زوجية مستقلة وتم زفافهما عام ١٩٤٥ فكان زوجها هو أول من أبتكر حفلات جلابية بارتى فى مصر بالاضافة لهواياتهما المشتركة فى مشاهدة العروض السينمائية الجماعية والاندماج فى مجتمع الامراء والنبلاء فهى اجتماعية مرحة على نقيض شقيقتها فوزية.

وعاشت فائزة فى قصرها (الزهرية) بالزمالك بعد زواجها الذى مر هادئاً .. فرأست الهلال الأحمر المصرى وساهمت فى العمل التطوعى أثناء حرب فلسطين ومنحها فاروق رتبة «لواء» وكانت موضع إنتقاد أخيها لإسرافها الشديد .. كما كان يكره محمد على رؤوف لانه لا يضع الطربوش على رأسه فى المناسبات الرسمية وأثناء إلتقاط الصور الفوتوغرافية .. فقد كان حريصا على متابعة صور شقيقاته التى تنشرها الصحف والمجلات وخصوصاً صور فائزة التى كانت تنشر صورها فى الصحف الأوروبية بما لا يتناسب مع التقاليد الملكية .. وجه إليها فاروق نقداً علنيا لاذعاً فى آخر احتفال بشم النسيم له فى مصر .. يتعلق بملابسها فضحكت ضحكة ساخرة وقالت : إنها من كابرى !! وكانت تشير إلى رحلة فاروق إلى كابرى التى كانت موضع إنتقاد الصحف المحلية والأوروبية لبذخه وإستهتاره فكأنها تشير بمكر إلى أن فاقد الشئ لا يعطيه .. فلم تكن تتقبل منه أى إنتقادات



ومن المفارقات انها ليلة ٢٢ يوليو كانت تتنزه مع مجموعة من اصدقائها فى نادى اليخت بالأسكندرية فتهادى إلى اسماعهم أصوات طلاقات نارية وأبواق بعض القطع البحرية لكنها أهملت الاتصال بفاروق على الرغم من شعورها بأن شيئا غير عادي يجرى إعداده فى ميناء الأسكندرية .. وربما كانت فائزة هى الوحيدة التى أستطاعت الخروج بكامل مجوهراتها من مصر بعد قيام الثورة ، حيث قامت بتهريب جزء كبير منها من خلال فؤاد طوغاى سفير تركيا فى مصر (زوج عمتها أمينة) وقد تطوع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة بتهريب متعلقاتها الخاصة إلى الخارج أى ما خف حمله وغلا ثمنه وفى لندن أفتتح زوجها مطعماً باسم «المفجوع» ولكن سرعان ما تبددت الثروة فأنفصلت عنه عام ١٩٦٢ .. والتقت بالعديد من الشخصيات العالمية وارتبطت بعلاقة عاطفية مع على خان الذى كان يصفها بأنها امرأة قابلة للإشتعال مثل الشرق الأوسط وربما لهذا السبب تزوجها المليونير الأمريكى أرثر كاميرون الذى كان يمتلك ابارأ للبترول فى تكساس .. فأستقرت فى بيفرلى هيلز .. وعاشت معه فى سعة هونت عليها ما حدث .. ولكن سوء الحظ كان متربصاً للاقتناص من أفراد هذه العائلة التى اختار لها الملك فؤاد حرف الفاء لكى يجلب الحظ لهم .. ولكن يبدو أنه كان سبب تعاستهم جميعاً فسرعان ما تبددت ثروتها وصادرت البنوك أموالها وانتقلت للعيش مع والدتها فى منزل صغير بسانت مونيكا وعرض عليها العمل فى السينما الأمريكية ولكنها رفضت وقبلت أن تكون فتاة غلاف لإحدى المجلات الفرنسية.

وتوفيت الأم عام ١٩٧٦ حزناً على ابنتها فتحية .. أما فائزة التى كانت تؤمن أن الجميع سيموت لا محالة .. الحمار من التعب والملك من السأم وهى من الحب ، فقد توفيت عام ١٩٩٤ بعد صراع طويل مع مرض السرطان !!! ■

كتاب تذكارى


اعتنني الملك فؤاد بتربية الأميرات واختار لهن
نخبة من المربيات المصريات والإنجليزيات


فوزية وفائزة وطفولة سعيدة
قصيرة .. ثم فراق طويل




فوزية وفائزة التى
كان فاروق حريصا
على مشاهدة
صورها قبل نشرها
بالصحف والمجلات
فقد كانت صورها
تنشر فى الصحافة
الأوربية بمالا
يتناسب مع
التقاليد الملكية



فـوزية وفـائزة
بصحبة فاروق
أثناء زيارته
لصعيد مصر



فى نهاية عام ١٩٤١ خلع الإنجليز الشاه رضا بهلوى.. فتنازل عن العرش لابنه محمد رضا بهلوى



فوزية تعكس ملامحها جمال القمر ورمانسيته.. أما فائزة فهي وهج الشمس المتأجج دفئا وحيوية



فائزة ورثت عن أمها
تهورها وعن أبيها ذكاءه



فائزة تتوسط شقيقتي شاه
إيران محمد رضا بهلوي
زوج شقيقتها آنذاك



محادثات ثنائية بين الفريق فوزية واللواء فائزة
بزيهمـــا الرســمى أثناء حــرب فلسطين



الأميرتان أثناء
تفقدهما لبعض
المشروعات الخيرية



زفاف فوزية والشاهبور - ولى عهد إيران آنذاك - الذى تحمس له فاروق فى البداية لدعم الروابط بين مصر وإيران



زواج فوزية من الشاه تطلب تعديل المادة ٣٧ من الدستور الإيرانى لكى تحصل على الجنسية الإيرانية


الأميرتان فائزة وفوزية أثناء حضورهما أحد حفلات الأوبرا الملكية عام ١٩٥٠



فى حفل زفاف فوزية شدا محمد عبد الواهاب قصيدة مهيار الديلمي: أبى كسرى فى ايوانه ليس بين الناس أب مثل أبى ضممت المجد من أطرافه سؤدد الفوس ودين العرب



على الرغم من
أنهـا أجـمـل
جميلات الأسرة
المالكة إلا أنهـا
ظلت تـعـانى
مـعظم حياتها
من الحـزن
الـدفـيـن



فوزية يصفها فاروق بأنها ملاك بشرى فهى بسيطة.. هادئة تتحمل ولا تشكو ويقر أنها تختلف عن بقية شقيقاته



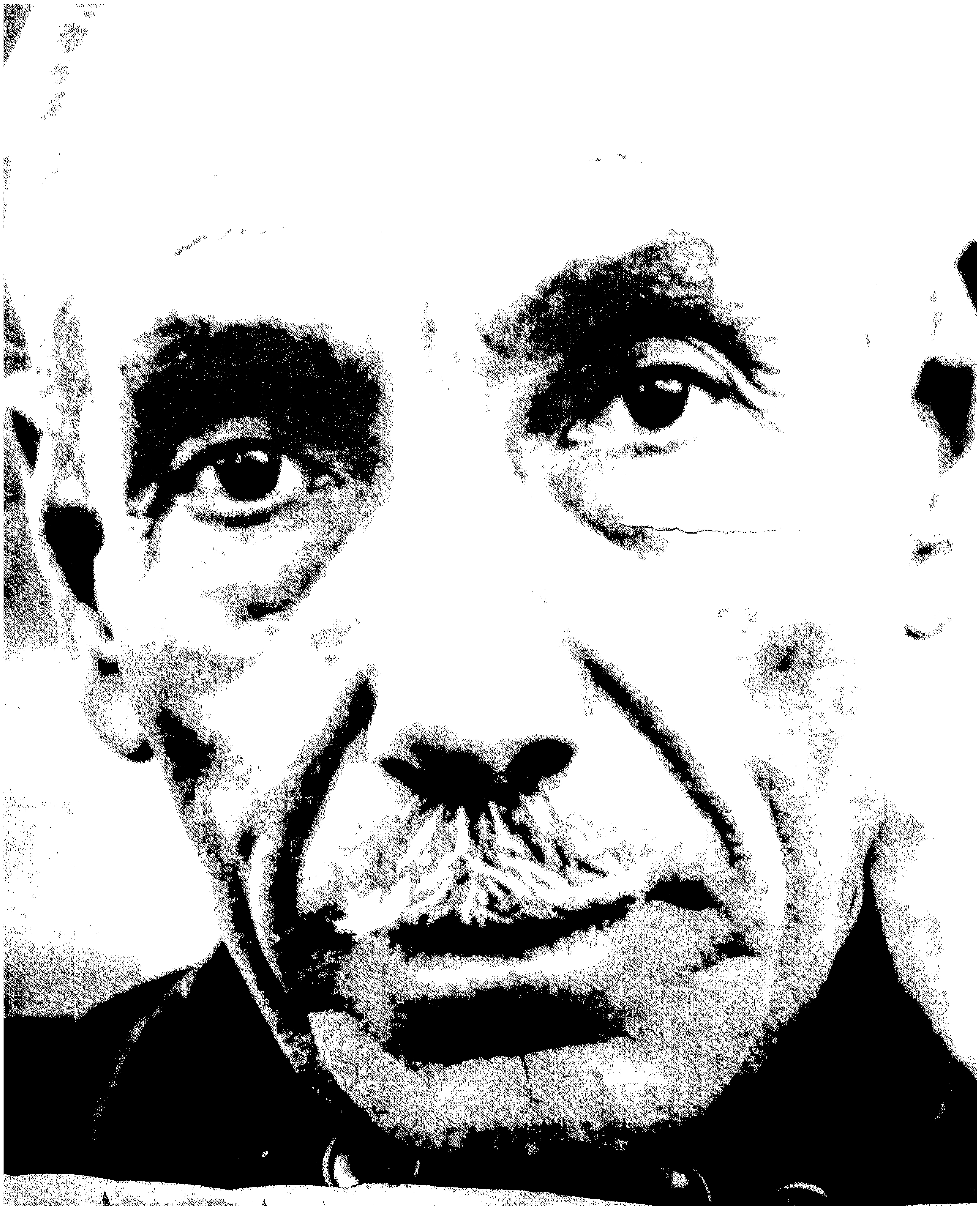
رزقت فــوزية من الشـــاه
بابنتها شاهيناز والملوك
لا يبتــهــجــون عــادة إلا
بمولد ولى العـــــهــد



فوزية عهد إليها بمهام
السيدة الأولى بعد طلاقة
فكانت تحضر معه
الحفلات الرسمية
وتستقبل قرينات الوزراء

تزوجت فوزية للمرة الثانية من إسماعيل شيرين وهو من الأميرة أمينة فاضل

تولى إسماعيل شيرين منصب وزير الدفاع لمدة ١٨ ساعة في وزارة الهلالي ٢٢ يوليو ١٩٥٢ وهو الذي اقنع عبدالناصر بعودة فاروق بعد وفاته في روما ودفنه في مسجد الرفاعي عملا بوصيته



عزيز المصرى.. حائر بين الملك والحلفاء والمحور!

النجاح الذى يصفق له الجمهور، لا يفرح به القائد المحنك إلا إذا كان عن مقدرة تشهد بها أعماله .. فقيمة الرجل فى نظر قائده هى اداؤه الواجب فى كل الأحوال مهما كانت الظروف المحيطة به ومهما تكن النتائج، فالإنسان يحاسب على نيته وعمله لا على النتائج التى يجنيها من وراء هذا العمل .. فكثيراً ما أدرك الأنذال أبعد الغايات ونالوا إحترام الجميع .. وكثيراً ما انقلبت الأمور ضد الشرفاء .. الجيش ليس معناه الأسلحة والعربات المصفحة .. تماماً مثل أدوات الجراحة ليست هى كل شىء فى الطب، كونوا النواة فى مستقبل الجيش، فالكتاب والسيف هما الرمزان اللذان يجب أن ينقشا على راية التقدم .. كان نابليون شاباً صغيراً مثلك لكنه استطاع أن يقود بلاده وجيشه .. لم يتلق توجيها من أحد إلا الإيمان الذى ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الإيمان ولاتعتمدوا إلا على أنفسكم.

يقول السادات كان لكلمة الإيمان أثر عميق فى نفسى فقد كنت أنا أيضاً أبحث عن الإيمان وأؤمن بأنه المخرج الوحيد من الحيرة التى كان المصريون يعيشون فيها فحين يتقدمون يعودون مرة أخرى يائسين تهزمهم مخاوفهم - كان الرجل يتحدث بإنفعال فى خطبته التى ألقاها عام ١٩٣٨ أمام طلائع الجيش المصرى - حتى كدت أبكى وعندما هممت بالانصراف قال لى إن كان معك خمسة أفراد مؤمنين فأنا مستعد لأن أحمل مسدسى وأتقدمكم .. لعمل أى شئ لإنقاذ مصر لن يكون خلاص هذا البلد إلا بإنقلاب على أيدى العسكريين»



إنه عزيز المصرى .. ذلك اللحن الحربى الحماسى رائد المدرسة العسكرية المناهضة للإستعمار البريطانى وأول رئيس مصرى لأركان حرب الجيش بعد سبنكس باشا، فروسية، جرأة، نبل إنسانى - تضحية وطنية .. وميول محورية .. داعية الوحدة العربية .. وسندباد العسكرية .

بدأ عزيز المصرى حياته محارباً فى جيش مصطفى كمال أتاتورك بتركيا ضد السيادة العثمانية .. كما كانت له دراية كبيرة بسوريا ولبنان والعراق، حيث شارك فى الثورة العربية فى الحجاز ضد الحكم العثمانى .. صدر ضده حكم بالإعدام قبل الحرب العالمية الأولى من خلال مؤامرة دبرها الأتراك ووقف الرأى العام المصرى معه واضطرت تركيا لإلغاء الحكم .. فظل على رأس القائمة السوداء حتى عاد إلى مصر .. فعهد إليه بإدارة مدرسة البوليس وهو أول من طلب الإستعانة بالكلاب البوليسية لتقصى أثر المجرمين .. ويزداد الرجل شهرة وصيتاً لكفاءته وتميزه .

إلى أن يقع اختيار الملك فؤاد عليه لمرافقة فاروق إلى انجلترا لإعداده عسكرياً من خلال اتباع النظم والأوامر المحددة التى تهيئ الإنسان لتحمل الشدائد وتعلمه الإلتزام والجدية .. كان فؤاد على ثقة تامة من إلتزام عزيز المصرى ومصداقيته إلى أبعد الحدود .. ولنفس السبب لم تنجح مهمته ولم يتمكن من أداء رسالته نتيجة لتدخل العناصر السيئة من الحاشية المرافقه وتدليلهم لفاروق .. فانعدمت لغة الحوار بينهما وعاد إلى مصر وختمت علاقتهما بعدم الإستلطاف على حد تعبير فاروق .. ومن الطريف أن التقارير التى كان يكتبها عزيز المصرى عن سلوكيات فاروق وعدم إلتزامه فى بريطانيا قرأها بالكامل بعد وفاة والده وعودته إلى مصر حيث كانت محفوظة بمكتبه الخاص .. وقررت الحكومة أن تسند إليه وظيفة غير محددة الإختصاصات فى وزارة الداخلية ولم يهدأ عزيز المصرى فقد كان أشبه بالبركان الثائر الموشك على الانفجار .. فظل ينتقل بين تركيا وطرابلس وألمانيا .. فهو أشهر رحالة عسكرى مصرى فى النصف الأول من القرن العشرين .

وفى عام ١٩٣٨ فى عهد حكومة (محمد محمود باشا) تم إختياره مفتشاً عاماً للجيش المصرى فى عهد حسين رفقى وزير الحربية فى منصب لا يحمل من إختصاصاته إلا اسمه فقط فقد ظل بلا مكتب خاص !! وفى الوقت الذى كان يطالب فيه بأن تكون له اختصاصات الفريق سبنكس باشا مفتش الجيش المصرى سابقاً الذى كان يقوم بأعمال سردار الجيش أيضا بعد مقتل لى ستاك عام ١٩٢٤ .. وتزداد حيرة الأوساط السياسية والعسكرية تجاه هذا الوضع الشاذ وتجميد هذا الرجل الذى شهد الجميع بكفاءته .. ولم يكن ذلك امراً غريباً لرجل يخطب خطبة نارية وهى التى عرضناها فى المقدمة .. فهى تذكرنا بخطبة عرابى الشهيرة وهى خطبة ساهمت إلى حد كبير فى معرفة نواياه الإصلاحية والثورية تجاه الجيش إذ ان تعيينه فى هذا المنصب الأعزل كان يمثل قمة التحدى لبريطانيا .. وفى عهد وزارة على ماهر تم تعيينه رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى حيث عمل مع الوزير صالح حرب ويصطدم بنفس المعوقات ويجمد الرجل .. حتى إنه فى احدى المرات طلب من على ماهر أن يسمح له بممارسة مهنة أخرى غير العسكرية .. وطلب ان يقوم بمهمة تدريس التاريخ لأبناء بلده لأنها الكتاب الأول فى الوطنية لشعب لا يعرف تاريخه ولا يعرف المحسن من المسئ .. ويتعلق قلب السادات (الشاب الثائر المغامر) بوهج هذه الشخصية الساحرة المغامرة مثله ويلتقى به فى عيادة الدكتور إبراهيم حسن بناء على ترتيب مسبق من الشيخ حسن البنا [٢٥] .. ويبدأ الإنجليز فى التفكير عملياً فى إبعاد عزيز المصرى ونقله مديراً لسلاح الحدود لكنه يرفض هذا المنصب وتتأكد بريطانيا أن الرجل أصبح يشكل تحدياً جديداً وعبئاً وطنياً أكيداً يضاف إلى مهامها القمعية والاستبدادية فى مصر ويضغط السفير البريطانى لإقصائه بأقصى سرعة فالرجل له نشاط محورى وقام بزيارة ألمانيا النازية حين اشتعلت الحرب العالمية الثانية.

وبعد مضى اسبوعين فقط من تشكيل وزارة على ماهر تم إعلان الاحكام العرفية وفقاً لنصوص معاهدة ١٩٣٦ التى كنا بمقتضاها حلفاء مع بريطانيا فى حالة نشوب حرب، وتم تعيين على ماهر حاكما عسكريا واتخذت الحكومة كافة الاجراءات الضرورية لتأمين البلاد ويلات الحرب وفى فبراير ١٩٤١ ونتيجة لرفض عزيز المصرى تحمل مسئولية ابادة الجيش طلب السفير عزل عزيز المصرى بعد هجوم روميل المباغت وسقوط بنى غازى .. حيث طلب الجنرال ستون من الفريق عزيز المصرى توجيه الجيش المصرى [٢٦] إلى سيوة لمواجهة قوات المحور من الجنوب وترك المنطقة الساحلية للجيش الإنجليزى .. فرفض عزيز المصرى لأن الجيش لم يكن يمتلك أى مدرعات ثقيلة يستطيع ان يواجه بها المدرعات الألمانية ومدفعية روميل .. واذا حدثت معركة فاصلة فلن يتمكن الجيش المصرى من العودة إلى الدلتا .. ورد على الجنرال ستون أن مرسى مطروح لا تصمد أمام روميل ٢٤ ساعة [٢٧] .. وإنه من الأسلم عسكرياً تأمين دفاعه وأشار بقلمه على الخريطة وسأل صالح حرب ما اسم هذه المنطقة فأجاب : العلمين !! فقال له عزيز المصرى ركز دفاعك هنا فهذه المنطقة هى عنق الزجاجة فى الصحراء .. إذا حصنتها فلن يتمكن روميل من إقتحامها .. (وهو ما حدث بعد عام حين تولى مونتجمرى قيادة الجيش الثامن البريطانى وأحرز انتصاره فى معركة العلمين الشهيرة .

وفى فبراير ١٩٤١ منح عزيز المصرى إجازة لمدة ثلاثة شهور ثم ستة

شهور ثم أحيل إلى المعاش وعلى أثر ذلك دوت هتافات طلبة الجامعة فى أحد الاجتماعات التى حضرها الملك وقوبل بالتحية والهتاف «يحيا الملك [٢٨] .. يحيا عزيز المصرى قائد الجيش .. المصرى هو روح الجيش» وحاول الإنجليز أيضا اقصاء صالح حرب وزير الحربية وعبدالرحمن عزام المسئول عن الجيش المرابط والمسئولان عن الجوانب العسكرية وتزداد الضغوط البريطانية التى يمارسها السفير خوفاً من التعاون بين السياسيين والمحور وعلى رأسهم الملك فاروق شخصياً .. الذى سبب لهم صداعاً مزمناً بسبب هواه المحورى .. فقد نشأ محاطاً بحاشية إيطالية بل إن اقرب الناس إلى قلبه كان أنطونيو بوللى بالاضافة لبترو وجارو (حلاقه ومساعده) وكافاتسى (مدرب الكلاب) .. أما كاهنهم الأعظم «فيروتشى» مهندس القصر فقد عانت بريطانيا الأمرين لكى تخرجه من القصر بالإضافة لعبد الوهاب طلعت رئيس الديوان بالنيابة ولم ينس فاروق لإيطاليا أنها كانت الملاذ الآمن لجده الخديوى إسماعيل .. وفيها ترعرع والده صبيا وتلقى تعليمه ودراسته .. أما هتلر فكانت تربطه به صلات صداقة ودية وقد اهدى فاروق سيارة مرسيدس بمناسبة زفافة عام ١٩٣٨ كما أنعم على الملكة فريدة بوسام الصليب الأحمر الألمانى .. وخلال حكم فاروق تردد على مصر كبار النازيين وعلى رأسهم جوبلز [٢٩] وزير دعاية هتلر الشهير فى محاولة لنشر الدعاية لصالح المحور، كما زاد إهتمام الشعب المصرى بالإستماع إلى إذاعة برلين التى كانت تتحدث بثقة وزهو شديدين عن المخزن رقم ١٣ الذى يحتوى على أسلحة فتاكة سوف تقلب الموازين العسكرية وتقضى على الحلفاء فى ساعات ومن حسن الحظ أن هتلر كان يجرى تجاربه بالفعل لانتاج قنابل ذرية عام ١٩٤٥ .. ولكن شاءت الأقدار ان تنتهى الحرب قبل أن يدرك غايته.. ولاحظت المخابرات البريطانية التى انتشرت عيونها فى كل مكان فى المقاهى والأحياء الشعبية والاسكندرية أن الإذاعة الإيطالية تردد بعض المعلومات التى لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال الإتصال بقصر عابدين .. وأصبح شبه مؤكد لديهم أن القيادة العامة فى روما كانت على دراية بما يحدث فى مصر قبل أن تتمكن السفارة البريطانية من معرفته من خلال الايطاليين الذى يملأون القصر وعلى رأسهم فيروتشى واكتشفت المخابرات البريطانية أن الملك فاروق يمتلك أقوى جهاز إرسال وإستقبال فى الشرق الأوسط يحتفظ به فى قصره بأنشاص [٣٠] .. فهو سبب الثغرة فى جهازهم الأمنى .. فلجأوا إلى حيلة لكى يحسموا هذا الأمر .. فسربوا معلومة إلى القصر بخصوص عدد قواتهم التى تعمل فى الدلتا وأضافوا صفرا إضافيا للعدد وجاء رد الفعل الايطالى يؤكد شكوكهم وتتأكد بريطانيا أن فاروق ليس مخلصاً لها وتفكر الخارجية البريطانية فى دعوته لزيارتها فى محاولة منها لإحتوائه وتلجأ لكافة الوسائل الدبلوماسية الهادئة فيقابل لامبسون الأميرة [٣١] «نعمت مختار» عمة فاروق لمحاولة تدخلها وإقناعه بإنتهاج سياسة الدولة الحليفة (بريطانيا) كما تنص معاهدة ١٩٣٦ ويؤكد شريف صبرى (خال الملك) والأمير محمد على توفيق ولى العهد للسفير البريطانى أن فاروق صورة طبق الأصل من الخديو عباس حلمى الثانى الذى عزلته بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى لنفس الأسباب وألقى الرجلان باللوم على على ماهر وأكد شريف صبرى للسفير أنه متفق مع نازلى بأن تصرفات فاروق قد تفقده عرشه . ومن جانبه فقد كان السفير لامبسون يرى أن الأسرة المالكة مدينة ببقائها للحماية البريطانية منذ الحرب العالمية الأولى .. ومن ثم يتحتم على فاروق مساندة المصالح البريطانية فى مصر .. ويحاول فاروق إمتصاص غضب السفير ويظهر بعض الملاينة فى حواره معه .. وكان السفير قد وصفه : بالصلابة فى الرأى والجهل والانقياد لمستشاريه غير العقلاء .. فهو من وجهة نظره لا يوجد لديه أدنى إستعداد لأن يتصور أن محدثه يعرف أكثر منه فى أى موضوع !! ويقترح لامبسون على فاروق الإستعانة بحاشية مصرية بدلاً من الإيطالية .. أما تعليق الخارجية البريطانية على هذا التقرير الذى ارسله لامبسون فهو اللجوء لقطع الشك باليقين وتصوير فيلم لفاروق [٣٢] بعد مقابلته للسفير لكى يظهر رد فعله الحقيقى، فقد ظلت لدى لامبسون قناعة لفترة طويلة حتى عام ١٩٤٦ بأنه ممثل بارع يظهر خلاف ما يبطن، وتظهر فكرة التخلص من فاروق أكثر من مره وتبالغ بريطانيا فى طلباتها بسبب الحرب وقد أصابها الهلع من إجتياح هتلر لأوربا وفى نوفمبر ١٩٤٠ يلتقى السفير مع الأمير عبدالله – أمير شرق الأردن– وينقل إليه الأخير انطباعه عن فاروق حيث أكد له أن موسولينى تمت إستضافته فى قصر عابدين وأفاض الأمير عبدالله فى [٣٣] نعت الملك بالتكبر وعدم تحمل المسئولية وأنه ضد وجهة النظر البريطانية وينتقد المعاهدة ويعتبرها فى غير صالح مصر .. ويذكر الأمير عبدالله أنه عندما قال إنه ومن معه يعملون مع إنجلترا بكل قلوبهم نظراً لظروف الحرب ولن يطلبوا منها شيئاً ويتركون لها ما تراه مناسباً بعد الحرب ضحك فاروق كما لو كان حشاشاً واستطرد الأمير فى حديثه مع السفير فوصم فاروق بالرجعية وإنتمائه للمدرسة القديمة وصرح بعدم اتباعه لتلك الطريقة ويضيف الأمير عبدالله ولامبسون يستمع فى سعادة بالغة أن الملك وصمة عار على جبين العرب والمسلمين وحبذ فكرة خلعه عن عرشه وإحلال الأمير محمد على توفيق أو الخديو السابق مكانه ويعقب وزير الخارجية البريطانية على رسالة السفير موضحاً أنه يتمنى أن يأتى اليوم القريب الذى لا يرى فيه فاروق على العرش لكن الظروف الحالية لا تسمح بذلك ويطلب من سفيره مقابلته والافصاح له عن الحقيقة وهى ان تصرفاته ستعرضه للخسارة مهما كانت نتائج الحرب ففى حالة انتصار المحور سيكون عبداً وفى حالة انتصار الحلفاء لن تنسى له بريطانيا انه كان عدوها وسيدفع الثمن غالياً.



ويتردد فى الوثائق البريطانية التلويح بعزل فاروق أكثر من مرة وأغربها أنهم كانوا يفكرون فى عزله منذ عام ١٩٣٧ .. أثناء نزعاته الشهيرة مع حكومة النحاس التى انتهت الى إقالة حكومة النحاس بصورة فجة لم يستخدمها الملك فؤاد ذاته أثناء صراعه الخفى مع النحاس وقد عرف عن الملك فؤاد بالفعل انه كان يستبد من خلال وزرائه فكان يبقى خلف الستار حيث كان يعلم جيداً انه لا يحظى بأية شعبية فى مصر تؤهله للافصاح عن اوتوقراطيته واستبداده ولكن فاروق يلجأ لإقالة حكومة النحاس.. وقد اقترح [٣٤] النحاس ومكرم عبيد على السفير فكرة عزل فاروق وإحلال الأمير محمد عبدالمنعم (ابن الخديو عباس حلمى) وأكدا للسفير أن تصرفات فاروق تهدد المصالح البريطانية !! ولكن الحكومة البريطانية لم يكن أمامها خيار فى هذا الوقت الحرج إلا التلويح المستتر باستخدام القوة حيث بلغت شعبية الملك مداها فى بداية الحرب العالمية الثانية فكان قوة تحسب لها بريطانيا ألف حساب بالاضافة إلى ولاء معظم وحدات الجيش له .. لذلك رأوا أنه الأفضل ممارسة الضغط على رئيس الوزراء على ماهر ببعض الطلبات السياسية والتى بدت كوميدية لغرابتها .. فطلبوا منه تفتيش المفوضية الإيطالية ومنزل المفوض الإيطالى وعدم السماح لأى إيطالى بالسفر بإستثناء الوزير المفوض .. بل إنهم طلبوا إعتقاله فرفض على ماهر قائلا : إنه ملتزم بقواعد الدبلوماسية الدولية وإذا قامت إنجلترا بإعتقال السفير الإيطالى فى لندن فسيقوم هو أيضا بإعتقال السفير الإيطالى فى القاهرة !!

ورفض التفتيش ورأى انه من الأفضل ان يتم بمعرفه السلطات البريطانية كما طلبوا اعتقال كل من إسماعيل صدقى (رئيس الوزراء السابق) وتوفيق دوس وأحمد كامل لأنهم اعضاء بمجالس إدارات ألمانية.. ويتساءل السفير عن السبب فى إنبعاث إشارات ضوئية من قصر المنتزه وهل الهدف منه مساعدة الطائرات الإيطالية والغواصات فى أداء مهامها .. وينفى على ماهر بالطبع .. ويطلب السفير إعتقال أطباء المستشفى الإيطالى .. ويفيض الكيل بالرجل ويستنجد بالسفير المصرى فى لندن لعرض الأمر على وزير الخارجية البريطانى .. كما يشكو فاروق إلى ملك بريطانيا.. ويشرح تدخل لامبسون السافر فى شئون مصر الداخلية بما يناقض المعاهدة واستخدامه لعبارات تهديدية جارحة .. ويكسب السفير الجولة وتلوح بريطانيا بإستخدام القوة إذا لم يتم إقالة وزارة على ماهر وفى ٢١ يونيو ١٩٤٠ بعث السفير برسالة إلى الخارجية البريطانية يقول فيها : «إن مصر كلها تعلم أننا قد طلبنا من الملك طرد على ماهر من رئاسة الحكومة فمن المستحيل أن نستمر فى التعامل معه وقد طلبت من الملك فاروق إقالته فوراً وإذا لم يفعل سيكون علينا إدارة مصر تحت الأحكام العسكرية البريطانية» وهكذا يضطر الملك لإقالة على ماهر الذى قام بنفسه باتخاذ هذه الخطوة الحرجة ورأى أن تكون عزلة بشرف أكرم من شرف أعزل فقدم إستقالته إلى الملك وأوضح فيها أن الاستمرار فى الحكم أصبح متعذراً لأسباب قاهرة خارجة عن ارادته وإرادة الشعب المصرى أما السر الذى لم ينشر آنذاك فكان يتعلق بوالدى «رودلف هيس» نائب هتلر والرجل الثانى فى ألمانيا والذى قام عام ١٩٤١ بالهروب إلى بريطانيا .. ولد رودلف هيس فى الاسكندرية .. حيث ظل أبواه يعيشان حتى وصل ابنهما إلى هذا المركز .. وحين اكتشفت المخابرات البريطانية ذلك عام ١٩٣٩.. كان على ماهر (رئيس الوزراء) وعبدالرحمن عزام قد ساعداهما فى الهروب على إحدى البواخر تحت اسمين مستعارين ومنذ ذلك الحين والخلافات لا تنتهى بين على ماهر والسفارة البريطانية على الرغم من تأكد الخارجية البريطانية من سلامة نواياه تجاهها إلا أن لامبسون كان يضيف أنه رجل ذو طموح كبير .. عصبى المزاج لا يقبل النصح ولكن سلامة النوايا لم تكن كافية اثناء الحرب من وجهة نظرهم .. كما أن بريطانيا رأت أن اقالة على ماهر قد تكون هى «البروفة الجنرال» التى من الأفضل إجراؤها لجس نبض الملك والشعب تمهيداً لإجراء البروفة النهائية فى ٤ فبراير ١٩٤٢!!



ووقع الاختيار على حسن صبرى لتشكيل الوزارة الجديدة وهى وزارة ائتلافية من الأحزاب طرح خلالها د. أحمد ماهر رئيس مجلس النواب فكرة إعلان الحرب على إيطاليا ودافع عن رأية بعقيدة ثابتة فقد كان يرى أن إنتصار إيطاليا فى الحرب يمثل أكبر كارثة على مصر وأن إنتصار بريطانيا يضمن قاعدة سياسية لها وهو رأى معظم السعديين (النقراشى وإبراهيم عبدالهادى) وغيرهم فذلك أكرم من وجهة نظرهم .. فلا يعقل أن يدافع الإنجليز عن بلادنا .. أما غالبية أعضاء المجلس والقصر فكان يرجح تجنيب مصر ويلات الحرب إلا إذا اعتدت إيطاليا على اراضينا وكان الشيخ المراغى يقول إنها حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

وحين [٣٥] توغلت إيطاليا واحتلت سيدى البرانى استقال أربعة وزراء من الوزارة وكتبوا إستقالات مسببة وهم (النقراشى – إبراهيم عبدالهادى – على أيوب – محمود غالب) ويطلب السفير من حسن صبرى اعتقال «على ماهر» نظراً لنشاطه السياسى .. فقد كان له مريدوه من طلبة الجامعة والأزهر والإخوان فهو سياسى غيور يحمسهم على مناقشة الأحوال السائدة فى البلاد.

كما عرف بنشاطة الخيرى وخاصة مشروعة «يوم الفقير» بالاضافة لميوله المحورية أيضاً ودسائس حسين سرى وكلها أمور كانت كفيلة بأن يصبح الرجل سبباً أساسياً لإزعاجهم أمنيا.. ويقف حسن صبرى موقفا شريفا ويرفض اعتقاله.

وأثناء افتتاح البرلمان فى نوفمبر ١٩٤٠ وبحضور الملك فاروق وجميع الوزراء ورجال الدولة سقط حسن صبرى من على منبره أثناء إلقائه خطبة العرش وفارق الحياة !! عن عمر يناهز سبعين عاماً .. وكان طبيعياً أن تتجه السياسة الانجليزية تجاه النحاس فهو «الأب الروحى» لمعاهدة ١٩٣٦ فهو الذى نعتها بأنها «معاهدة الشرف» فلا يوجد أجدر منه على تطبيق بنودها التى تكفل أقصى درجة من الأمن والأمان للسياسة البريطانية أثناء الحرب .. وقد عبر النحاس عن ذلك فى احدى خطبه عام ١٩٣٩ فذكر أن الانجليز ليسوا اصدقاءنا وليس لدينا حاجة خاصة نرجوها منهم ولا يوجد ثأر قديم .. ولكنها مصلحة البلاد فهى محك علاقتنا بهم فهم أصدقاؤنا حين يحترمون المعاهدة وخصومنا حين لا يفعلون ذلك .. ولكن أحمد حسنين الذى اصبح رئيساً للديوان فى عهد وزارة حسن صبرى يقترح على الملك عدم إعطاء الانجليز الفرصة لممارسة ضغوطهم الشهيرة بإستخدام ورقة الوفد وأقترح عليه إسناد رئاسة الوزراء إلى شخصية محايدة غير مكروهة وفديا ومفضلة إنجليزيا وبالفعل وقع الإختيار على حسين سرى الصديق الأوفى للإنجليز (وزوج خالة الملكة فريدة) ليصبح أصغر رئيس وزراء قبل الثورة – ٤٨ عاماً– وفى غضون ذلك اشتدت الغارات الجوية على القاهرة والاسكندرية بصفة خاصة .. فكان الأهالى يسمعون دوى القنابل والمدافع وتم إنشاء المخابئ وتناقضت مشاعر الشعب بين قسوة الحياة أثناء الحرب وبين الفرحة الخفية لقناعتهم أن هتلر سينتصر لا محالة فقد اكتسح أوربا وكل الشواهد تؤكد ذلك وظل الأمل فى الخلاص من المستعمر البريطانى على طريقة (عدو عدوى صديقى) يراود كل المصريين .. على الرغم من أن نتائج الحرب كانت لصالح الحلفاء فى البداية حيث أستولوا على سيدى البرانى واستردوها من الإيطاليين ثم احكموا سيطرتهم على السلوم وبرقة وطبرق وفى فبراير ١٩٤١ وصلوا إلى بنى غازى ثم جغبوب .. ولكن دوام الحال من المحال فقد عهدت قوات المحور إلى الجنرال روميل (ثعلب الصحراء) بقيادة قوات المحور وكانت القيادة البريطانية تتوقع ان يبدأ هجومه فى مايو ١٩٤١ لكنه قام بباكورة أعماله الثعلبية الماكرة وفاجأهم بالهجوم فى آخر مارس .. الأمر الذى لم تحتط له القوات البريطانية المفككة برئاسة الجنرال أوكلنلك قائد الجيش البريطانى فى الشرق الأوسط والجنرال ريتشى قائد الجيش البريطانى فى مصر وباقصى سرعة استرد روميل بنى غازى وبرقة منفذ وميناء القوات البريطانية على البحر المتوسط فى شمال أفريقيا وظلت طبرق مستعصية عليه .. فى غضون ذلك تعرضت لندن لضربات جوية قاسية وعنيفة راح ضحيتها الآلاف خاصة بعد سقوط فرنسا وفى مايو ١٩٤١ ألقى تشرشل خطابه الشهير الذى قال فيه : «لا أملك لكم إلا الدموع والدم والعرق ومع ذلك فأنا كفيل بتحقيق النصر لكم حتى لو اضطررنا إلى الجلاء من انجلترا إلى كندا !!» .

كامل الشناوى فى جيب صالح البهنساوى

أما القاهرة فقد انتشرت فيها نكته سياسية لاذعة تعبر عن قدرة الشعب المصرى على تجاوز محنه وآلامه عن طريق الفكاهة .. فقد سأل أحد الأشخاص أحمد زيور باشا عن رأيه فى حال البلد فرد قائلا : حال إيه يا مونشير؟ شعب مصر ألمانى وملك مصر إيطالى والحكومة

إنجليزية اشارة إلى تعاطف الشعب مع ألمانيا وميول الملك فاروق الإيطالية التى ورثها عن أبيه .. أما الحكومة فإشارة لحكومة حسين سرى صديقة الإنجليز !! ولم يكن حسين سرى شخصية سياسية ذات كفاءة عالية .. ولم تعرف اتجاهاته فى القضايا العامة ولم يكن خطيباً برلمانيا (اهم مقومات الزعامة آنذاك) وليس حزبياً أى أن وزارته كانت غير دستورية ولا تحظى بأغلبية اعضاء البرلمان فى الإنتخابات وانما تم تعيينها .. لكنه أفضل من تولى وزارة الأشغال وصفه السادات بانه مهندس رى عظيم وسياسى فاشل وأفضل من يمثل نفشة الديك الرومى على مائدة الطعام وبالطبع كانت ثقافته إنجليزية فهو حاصل على دبلوم الهندسة من بريطانيا.. وعلى الرغم من ذلك فقد عانت وزارته الكثير أيضاً أثناء الحرب وهى وزارة من اسوأ الوزارات التى مرت على الشعب حيث واجهت البلاد مشكلة نقص المواد الغذائية حتى وصلت إلى أدنى حد اثناء الحرب فقد شح الخبز وفى بعض أحياء القاهرة كان المارة يهجمون على المخابز للحصول على الخبز [٣٦] ويخطفون الرغيف من حامله فى الشوارع ولجأ بعض الأهالى لإستخدام البطاطس والمكرونة بدلاً من العيش كما شح السكر والكيروسين مصدر الطاقة الاساسى آنذاك وهبط سعر القطن وتعذر تصديره .. وفرضت القيود على الصحف لتقليص صفحاتها إلى أربع صفحات فى بعض الأحيان ومن الطريف ان أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام كان يطلب من الصحفيين ضغط الأخبار بالطريقة التى تمكنهم من ضغط كامل الشناوى المعروف بضخامته لكى يضعوه فى جيب صالح البهنساوى النحيل الجسم ومن جهة أخرى أصبحت القاهرة مقراً للجواسيس الإنجليز والألمان على حد السواء.

ومنذ بداية عام ١٩٤٠ والمخابرات الألمانية تراودها فكرة إختطاف عزيز المصرى (عدو الانجليز) نظراً لخبرته ودرايته التامة بأحوال الجيش وبالخرائط والطرق المصرية دراية تامة . بالإضافة لخبرته بمعظم البلدان العربية فهو محورى الهوى .. رائد العسكرية المصرية .. مفجر الوطنية فى شباب جيشه ومريديه .. فلا يوجد من هو أفضل منه لكى تستفيد منه المخابرات الألمانية وبالفعل تم اختيار وتجنيد ضابط نمساوى كان يعمل فى الجمعية الملكية الجغرافية المصرية يدعى «ماسزى» وهو من القليلين الذين قاموا برسم الصحراء المصرية وطار فوقها لأغراض المسح وعمل الخرائط .. بالاضافة لارتباطه ببعض العلاقات فى القاهرة فلن يكون موضع شك .. فتم ارسال جهاز لاسلكى فى حقيبة السفير المجرى لكى يتمكنوا من الاتصال به وقام قس نمساوى بوضعه فى كنيسة سانت تريز بشبرا وكان يستغفر ربه كل يوم عن أعماله التى يقوم بها فى القاهرة .. ولم تغفل المخابرات البريطانية عن هذه النيات الألمانية فقد كانت تتوقع أن يقدم عزيز المصرى على الهرب إلى الخارج .. فقامت بسحب جواز سفره وفرضت رقابة مشددة على تحركاته ولكن فى عام ١٩٤١ تحدث مفاجأة كبرى ونترك الحديث لأنور السادات يروى واحدة من أفضل البطولات إلى قلبه اثناء فترة شبابه وارتباطه بقطب العسكرية الصوفية الذى ظل مغامراً حتى تجاوز الثمانين من عمره لم تخب جذوة الوطنية فى شرايينه يقول السادات (عضو حركة المقاومة السرية ضد الإنجليز آنذاك) : فكر عزيز المصرى طويلاً .. [٣٧] وفكرت معه ثم استقر رأينا على وجوب سفره وعدم إفلات هذه الفرصة .. وفى اليوم التالى .. عاد عملاء الألمان إلى عزيز المصرى فأبلغهم بالقبول وطلبوا منا أن نحدد لهم مكاناً خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وعلى الفور تناولنا الخرائط ومعنا زميلى عبدالمنعم عبد الرءوف ندرس جميع الأماكن وجميع الإحتمالات واخترنا مطار الخطاطبة وحددنا مكانا على الخريطة بالطريقة الطبوغرافية العسكرية وأرسلناه إلى الألمان .

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد الألمان يرفضون فكرة الخطاطبة ويعينون جبل رزة على طريق الواحات البحرية .. وأخذنا ندرس أسباب هذا التغيير ووجدنا أن الألمان كانوا على حق وأنهم على دراية كاملة بصحرائنا ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر وعلى الفور ولا أدرى كيف توقعت مخابرات انجلترا .. أننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة، فصدرت إلى فى نفس اليوم أوامر بالنقل إلى الصحراء الغربية وأخبرنى مدير السلاح وهو يصدر إلى أمره بوجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة (الخميس) ولم يكن لهذا النقل أسباب وإنما كان أمراً واجب التنفيذ ووقفت حائراً أمام مدير السلاح وهو يصدر إلى أمره وكان على أن اختار إما أن اسافر فى الموعد المحدد وإما أن ارفض السفر ويعني هذا إعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب .. وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى ضابط بالجيش وعرضت الأمر على عزيز المصرى ففوضنى فى كل شئ واتفقنا على سفره مع عبدالمنعم عبد الرءوف على أن يصحبه حتى مكان الطائرة الألمانية وتركت الأمر لهما وتوجهت إلى المستشفى العسكرى وادعيت أنى أشعر بآلام نتيجة مرض فى القلب أصبت به إثر تصادم كان قد وقع لى ولم يكن صعباً أن أحصل على إجازة مرضية من المستشفى العسكرى وأن أبطل بذلك – ولو مؤقتاً – أمر النقل إلى الصحراء الغربية وقضيت يومين فى المستشفى أترقب يوم السبت وأتعجله وجاء يوم السبت وزارنى عبدالمنعم وكان حزينا يائسا فالرحلة لم تتم ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل إلى «جبل رزة» ولم يكن السبب انكشاف أمر الرحلة ولا رقابة البوليس ولكنه القدر فقد خرج عزيز المصرى وعبدالمنعم بسيارة جديدة تم شراؤها خصيصاً لهذا الغرض وسارت بهما ثم توقفت عن السير فجأة بالقرب من شارع الهرم وقبل أن يدخلا بها طريق الواحة البحرية الذى كانت الطائرة الألمانية ستهبط به عند الغروب ويصعد إليها عزيز المصرى .. فتركاها فى مكانها وعادا .. وعزيز المصرى فى حالة عصبية سيئة وبعد يومين أخبره الألمان أنهما أرسلا الطائرة فى موعدها ولم تجد الإشارة المتفق عليها .. ثم مرت أيام لم يتصل فيها الألمان بعزيز المصرى .. ولكن فكرة الوصول إلى خطوط الألمان قد اختمرت فى ذهنه وسيطرت على تفكيره.



وتتجدد المحاولة مرة أخرى بعزيمة المقاتل واصرار العسكرية وطموحات الوطنى النبيل ويتصل الطيار عبد المنعم عبد الرءوف بزميله الطيار حسين ذو الفقار صبرى ويتم التعارف بينه وبين عزيز المصرى.. وينسجمان سريعاً وتتداخل أمانيهما الوطنية.. ويبوح عزيز المصرى بخطته الدبلوماسية غير المباشرة عسكرياً لإحداث خلل بالجبهة البريطانية فى الصحراء الغربية وقطع خطوط مواصلاتها والعمل على إنهيارها إذا تم استغلال اندلاع ثورة «رشيد عالى الكيلانى» فى العراق – ضد الانجليز – ومن خلال التنسيق مع قادتها.. فى هذا التوقيت الحرج للقوات البريطانية. المشتتة شرقاً وغرباً من خلال التشكيلات الفدائية المصرية .. تلك التشكيلات التى كان يشرف عليها «اليوزباشى» أنور السادات.. ومن المفارقات أن الطيار حسين ذو الفقار صبرى كان يشغل منصب رئيس نوبة الحراسات الليلية لمطار ألماظة وكانت أسراب الطائرات المخصصة للملك فاروق تقع فى نطاق مسئوليته «يقول حسين ذو الفقار وصبرى»[٣٨] وافقت على الفور وطالبت

باعطائى مهلة خمسة عشر يوماً حتى يحين دورى فى النوباتجية حيث يسهل إستعمال احدى الطائرات بحجة قيامها بمأمورية سرية من مهام القصر وخاصة أن الملك قد قام بسبع رحلات خاطفة من القاهرة إلى الاسكندرية وبالعكس أثناء أزمة وزارة على ماهر وفى كل مرة كنت متواجداً على متن طائرته بوصفى الطيار المناوب وتم الإعداد على أن نتوجه إلى بيروت هرباً من ضربات الصحراء الغربية .. خاصة أن بيروت كانت تحت سيطرة حكومة فيشى (الموالية للمحور).. على أن نسلك طريق دمياط .. ولكن واجهتنا مشكلة معرفة كلمة السر الضوئية كالتى تستخدم فى الإتصالات التلغرافية ونظراً لظروف الحرب كانت هذه الكلمة تتغير من ليلة إلى أخرى .. وهى تجيز لنا المرور دون التعرض لقصف المدفعية .. وللأسف يطير حسين ذو الفقار بأقصى سرعة .. وتطالبه الرقابة الأرضية بكلمة السر وتسلط أضواءها الكاشفة وتلاحقه .. فيضطر إلى الإنخفاض إلى أدنى مستوى ممكن حتى كاد أن يلامس الاشجار وفجأة يشعر عزيز المصرى وعبدالمنعم عبدالرءوف بحرارة شديدة تنبعث من الطائرة ويتضح أن الفنى الذى قام بإجراء فحص الطائرة قبل طيرانها .. أخطأ .. فقام بإغلاق دورة زيت التبريد الخاصة بالمحركات .. ويضطرون للهبوط قبل إشتعال النيران وأثناء هبوطهم النارى والاضطرارى قطعت أسلاك الضغط العالى فساد الظلام فى كل المدينة .. فتركوا حقائبهم وكل أوراقهم التى قادت البوليس إلى معرفتهم بسهولة ويسر .. وبعد هبوطنا سألنا بعض المارة عن مكان وجودنا فقالوا قليوب .. وذهبنا نحن الثلاثة إلى مركز البوليس وكان مدير المركز أحد تلامذة عزيز المصرى فاخبره انهم كانوا فى طريق عودتهم من الزقازيق بعد حضور حفل عقد قران وتعطلت السيارة بهم فرتب لهم سيارة نقلتهم إلى ميدان الأوبرا .. ثم اقترح أحدهم الاختباء لدى المثال المعروف (عبدالقادر رزق) .



واستمرت إقامتهم فى الخفاء لمدة ثلاثة أسابيع وفى ٢٣ مايو ١٩٤١ نشرت الصحف المصرية الإعلان التالى : (فرار عزيز المصرى باشا بصحبة ضابطين من سلاح الطيران الملكى المصرى .. غادروا القاهرة بعد منتصف ليلة الجمعة واضطروا للنزول بالطائرة بين قها وقليوب .. ألف جنيه مكافأة لمن يرشد عنهم واجتماع طارئ لمجلس الوزراء لمناقشة الحادث) ومن الطريف ان عزيز المصرى حاول الهروب مرة اخرى وكلف عبدالقادر رزق بالاتصال باليوزباشى «أنور السادات» لتدبير وسيلة هروب جديدة وبالفعل اتصل السادات بالضابط «أحمد مظهر» الذى لم يكن نجماً سينمائيا لامعاً بعد .. وانطلق أحمد مظهر بسيارة عسكرية تحت جنح الظلام من وحدته فى منطقة القناة قاصداً أول طريق الصحراء الغربية .. ولكن سوء الحظ كان ملازماً لخطط عزيز المصرى .. فقد أصيب أحمد مظهر أثناء انقلاب سيارته قرب القناة.. وفى النهاية ينجح فريق البحث البوليسى ويتمكن البكباشى «محمد إبراهيم إمام» – رئيس البوليس السياسى فيما بعد – من مراقبة منزل عبدالقادر رزق بامبابة حيث لاحظ عليه شراء كميات كبيرة من الطعام من محل جروبى وهو يعيش بمفرده إذن هناك من يختبئ بالمنزل فقام بمداهمته وفوجئ الثلاثة بوجود إبراهيم امام الذى قام بتحية أستاذة فى كلية البوليس – عزيز المصرى – ومن الطريف أنه ذهب بمفرده دون أى قوة ترافقه .. واستأذنهم بوعد شرف أن يكونوا بكامل هيئتهم ويعدوا حقائبهم لأنه سيتركهم بمفردهم لإجراء مكالمة تليفونية مع قادته يبلغهم انه تم العثور على المتهمين الثلاثة .. لأن المنزل لا يوجد به تليفون .. ويقوم عزيز المصرى بتسليم إبراهيم إمام الطبنجات التى كان يحملها .. وتنتهى قصة القبض على عزيز المصرى لتبدأ قصة دفاعه عن نفسه فى قضيته التى عرضت على النائب العام والسلطات العسكرية ذلك أن الحكومة قررت الإستغناء عن خدماته فأصبح فى حالة عصبية فقد كان مفترضا أن يظل فى الخدمة أكثر من خمس سنوات يمكن أن يقضيها خارج الجيش فى أية وظيفة .. لكنه ظل بلا وظيفة بعد أن كان يشغل منصب «رئيس اركان حرب الجيش المصرى» كان يشكو للكثيرين متاعبه وتمنى لو سافر إلى تركيا حيث يوجد العديد من اصدقائه الحميمين .

ولكن السلطات المختصة لم تسمح له بالمرور من فلسطين . وفى موسم الحج منعته من السفر .. ومن تلك اللحظة تمنى ان يكون طياراً حراً منطلقاً أينما يشاء . ومنذ تلك اللحظة اضاءت هذه الفكرة مخيلته ولم تفارقها إلا بعد فشل المحاولات السابقة .

وينشغل الرأى العام بالقضية وتوليها الحكومة اهتماما خاصاً وينجح عزيز المصرى فى تركيز دفاعه على مفاجأة بريطانيا والرأى العام بالأسرار الكامنة لهذه الرحلة .. ويذكر ان المخابرات البريطانية طلبت منه القيام بمساع حميدة لتخفيف الآثار المترتبة على ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق .. لكى لا تتشتت الجبهة البريطانية فى هذا الوقت العصيب .. والحرب العالمية دائرة رحاها .

ويضيف عزيز المصرى وقد كان كل ما ذكره عند هذا الحد صحيحاً بالكامل ولكنه رفض هذا العرض من قبل السلطات البريطانية ولكنه يصرح أثناء المحاكمة أنه قبل القيام بالوساطة الشخصية لدى الكيلانى .. بصفة غير رسمية حتى لا يقال إنه يتلقى تعليمات وتوجيهات من بريطانيا فسافر سراً يدفعه شعوره بالقومية العربية والمصالح الوطنية .. ثم جاءت المرافعة التاريخية التى ذكر فيها مصطفى الشوربجى أن قانون الأحكام العسكرية غير قانونى وغير دستورى فهو لم يعرض على مجلس الوزراء ولم ينشر فى الجريدة الرسمية ومن ثم فان تشكيل المجلس العسكرى بمقتضاه لا يمت لتشريع البلاد بصلة .. فهو باطل والإستناد إليه فى أى محاكمة باطل .. وفى النهاية تم الإفراج عن المتهمين وإلغاء المحاكمة فى عهد وزارة مصطفى النحاس .. التى اكتسبت شعبية كبيرة تجاه هذا العمل الوطنى .. فلم يكن احب الى قلوب الجماهير فى ذلك الوقت العصيب من معاداة بريطانيا التى ورطت مصر فى حربها طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦ .. وهكذا تحولت قصة هروب عزيز المصرى إلى ملحمة من ملامح الوطنية المصرية.

ويتجدد طلب السفير بإعتقال على ماهر ويرفض حسين سرى رئيس الوزراء ويكتفى بأن يوجه لعلى ماهر خطاباً نشرته روزاليوسف يطلب منه الكف عن نشاطه السياسى نظراً للظروف التى تمر بها البلاد ولم يذعن على ماهر واستمر فى نشاطه وإتصاله بطلبة الجامعة والإخوان المسلمين» ويطلب السفير أيضا من سرى باشا نقل حسن البنا «المرشد العام للإخوان المسلمين» من القاهرة إلى الصعيد نظراً لنشاطة المحورى .. ولكن يتدخل بعض أعضاء البرلمان ويعود مرة اخرى إلى القاهرة !!

وفى غضون ذلك كان روميل يسعى لتجنيد بعض الأشخاص وزرعهم بين القوات البريطانية، حيث كان يفتقد بعض المعلومات عن القاعدة البريطانية فى مصر لأنه قرر ان تكون استراتيجية مبنية على الحيلة والدهاء والمفاجأة فرأى ان ارسال جاسوسين ألمانيين أمر ضرورى لابد من الإسراع فى تنفيذه وبالفعل تم تجنيد «أبلر» وهو ألمانى مقيم فى مصر اتخذ لنفسه اسم حسين جعفر و«ساند ستديست» المعروف بساندى وانتحل حسين جعفر شخصية شاب مصرى شديد الثراء .. ولعب ساندى دور الأمريكى وقاما بتركيب جهاز لاسلكى فى العوامة الخاصة بالراقصة المصرية حكمت فهمى التى وصفها الألمان بأنها نموذج للجمال العربى علاوة على أنها راقصة

يندر أن يوجد مثلها فى «الفولى برجير» أو الكافيه دى بارى!! كانت تستقبل الضباط الانجليز المخمورين وتستقى منهم المعلومات العسكرية فكانت من أهم عملاء روميل فى القاهرة.. واستطاع حسين جعفر (ابلر) جاسوس روميل استغلال صداقته لحكمت فهمى التى كانت تكره الإنجليز إلى اقصى درجة .. من معرفة كم هائل من المعلومات والأخبار عن وحدات الجيش البريطانى فى مصر وموقفهم الدفاعى .. [39] ويشرح السادات سبب إصرار الضباط المصريين على الاتصال بروميل حينما فوجئوا انه على أبواب الاسكندرية فقرروا الاتصال به ليشرحوا له حركتهم الوطنية .. واستعدادهم للمحاربة مع الألمان مقابل استقلال مصر الاستقلال التام بعيداً عن القوات الانجليزية أو الألمانية أو الإيطالية .. ومن هنا انتشرت شائعة اتهام السادات بالجاسوسية لحساب الألمان وهو ما لم يكن صحيحاً بالمرة ولكنها الوطنية كما كان يراها جيل بأكمله لمناهضة بريطانيا المتعدية.. واتفق الجميع (السادات - عبداللطيف بغدادى - الطيار حسن عزت وحسن إبراهيم والطيار سعودى) على تقديم عربون حسن نوايا تجاه ألمانيا المحورية .. فقاموا بتصوير جميع المواقع الانجليزية فى مصر ووقع الاختيار على الطيار سعودى لكى يسلمها لروميل وقبل أن تهبط طائرة سعودى فى مطار العلمين - اصيبت الطائرة التى اعتقد الألمان أنها تابعة لسلاح الجو البريطانى لأنها كانت انجليزية الطراز وبذلك نسفت الخطة والمواقع وقامت المخابرات المصرية والبريطانية عن طريق التعاون بينهما بالقبض على حسن عزت واليوزباشى أنور السادات !! وظل روميل يعانى من تشتيت هتلر لقواته وفتح جبهات جديدة تبتلع السلاح والوقود فكان يردد دائما أن يخوض معركة رجل فقير ولولا ذلك لقام بوثبة من وثباته السحرية يكتسح فيها طبرق والدلتا !! ونتيجة لنقص المؤن والذخيرة وتأخر وصول الامدادات وغرق معظمها بواسطة ضربات الأسطول الانجليزى .. لجأ ثعلب الصحراء للمكر والدهاء وتظاهر انه سينسحب فى اتجاه ليبيا وانتشرت الشائعة حتى وصلت إلى الجواسيس الإنجليز فى روما ونابولى وبالفعل أشعل روميل النار فى بعض السفن وسمعت أصوات انفجارات وسرت الشائعة أن الألمان يدمرون أسطولهم استعداداً للرحيل !! وابتلعت القيادة البريطانية الطعم .. وفى صباح ٢١ يناير ١٩٤٢ قام بخدعته الكبرى حيث تظاهر بالتراجع الفعلى فتبعته القوات البريطانية فانكشفت مؤخرتها فقام بوثبة سريعة خاطفة استعاد بها بنى غازى من خلال إعداد خطة عسكرية وصفت بأنها من أعظم الأعمال العسكرية وهى تعرف باسم نظرية السيف والدرع [40] .. يتم فيها تقسيم القوات إلى قسمين القسم الأول يستدرج العدو والقسم الثانى يتوجه إلى مكان آخر .. وعلى الفور جاءت تهنئة هتلر بترقيته من رتبة كولونيل إلى جنرال استناداً لحكمة نابليون (حكم الرجال بالأوسمة والنياشين والترقيات أسهل كثيراً من حكمهم بالمال) .

ولكن كيف استقبل الشعب المصرى هذا النبأ السار ؟ وماذا فعلت القيادة البريطانية والسفير البريطانى ؟ ما هى تداعيات هذا النصر بصفة عامة ؟

فى لندن صرح تشرشل ان سقوط بنى غازى يمثل أسوأ كارثة عسكرية .. وفى القاهرة كان من السهل أن نتخيل وجه السفير البريطانى الأحمر المتفجر غضباً واشتعالاً وشعوره القاتل بشماتة العزال وعلى رأسهم الملك .. وفى اوائل يناير اثناء الاحتفال بتأبين محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين فى دار الأوبرا الملكية هتف بعض الطلاب الموالين لجبهة على ماهر واستقبلوا حسين سرى رئيس الوزراء بهتافات عدائية (يسقط سرى رمز المجاعة على ماهر رجل الساعة) .. ويشتاط السفير لامبسون لهذا الهتاف .. فقط طلب اعتقال على ماهر أكثر من مرة نظراً لميوله المحورية ومداومته على إستثارة النزعة الوطنية فى الطلاب وتدعيم ميولهم المحورية ولكن فى الثانى من يناير فقد لامبسون صوابه تماماً حين ارتجت أبواب السفارة بهتافات الجماهير الحماسية التى كانت تردد (إلى الأمام يا روميل .. تقدم يا روميل) تعبيراً عن الشعور السائد بين الشعب والذى كانت بريطانيا تدركه جيداً فالمظاهرة رسالة مزدوجة محبطة للإنجليز ومشجعة للألمان الذى يعلمون أيضاً ان الشعب المصرى لا يريد تغيير هوية الاستعمار .. ولكنه شعار عدو عدوى صديقى .. والسأم والملل من طول الإحتلال البريطانى .. وقد تكرر نفس الموقف اثناء الحرب العالمية الأولى فكانت الجماهير تردد بعد عزل الخديو عباس حلمى الثانى الموالى للمحور (الله حى .. عباس جاى) اشارة إلى مقدمه واعلاناً صريحاً بالكراهية للحلفاء ممثلين فى بريطانيا دولة الاحتلال الذائعة الصيت .. على الرغم من أن الاحكام العرفية فرضت فى عهد وزارة على ماهر .. وهكذا كانت المظاهرة مخاطرة كبرى فمن السهل اعتقال جميع الأفراد .. لذلك تبادلت الاحزاب والأطراف الاتهامات فاتهم حسين سرى - كما ذكر للسفير- الشيخ المراغى - واتهم البعض على ماهر لاسقاط حكومة سرى .. ونالت الاتهامات حزب الوفد للضغط على الملك .. كى يعهد إلى الوفد بتشكيل الوزارة .. أما الاتهام الارجح فكان من نصيب بريطانيا الماكرة التى تحرص دائماً على خلق مبررات مسبقة تمهد لسياساتها الاستبدادية !! وعموماً تعددت مظاهر الإحتفال بهذا الحدث .. ففى ميدان قصر الدوبارة حيث توجد السفارة البريطانية كان رجال لامبسون حريصين على إحراق أوراقهم السرية تعبيرا عن انهيار الموقف البريطانى وفى كازينو الكيت كات كانت حكمت فهمى تشرب نخب النصر مع أصدقائها المصريين .. بينما حطم الضباط الإنجليز الموجودون بالقاهرة كؤوسهم فكأنها ارتطمت بوجه لامبسون الذى اصابته هيستريا مؤكدة منذ قدوم صليب سامى وزير الخارجية فى حكومة حسين سرى وإقدامه على قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشى الفرنسية الموالية للمحور فغضب الملك وطلب إقالته.. ويتمسك حسين سرى بوزيره .. ويبرر مسلكه بأنه دفاع عن العرش لاظهار النوايا الحسنة أمام الحكومة البريطانية فى تلك الحرب الشرسة التى تهدد أمنها داخلياً وخارجياً ويتدخل السفير لامبسون لاقناع الملك ببقاء صليب سامى ويبعث كيلرن للخارجية البريطانية برسالة يقول فيها : «قال الملك لصليب سامى ان سير لامبسون كسب (٤١) الجولة الأولى ولكنى سأهزمه فى الجولة الثانية .. يا لها من وقاحة !!! ويضيف ان رئيس الوزراء (حسين سرى) يرى أن هذا الغلام (الملك) جبان بكل معانى الكلمة ومن ثم يجب الضغط عليه من حين لآخر وإفاقته من اهوائه حتى يعود إلى حجمه الطبيعى» ويقترح كيلرن على رؤسائه فى الخارجية البريطانية أن يذكر الملك فاروق بمصير شاه إيران (خلعه الانجليز عام ١٩٤١ ورحل إلى جنوب إفريقيا) وأن مصيره سيكون كذلك إذا لم يكن طوع إرادتنا وقد وافقنى رئيس الوزراء حسين سرى على هذا الرأى وأضاف أنه يعيش حالة من الذعر والتوتر .. ويعتزم حسين سرى الإستقالة ويسأله السفير عن رأيه فيمن يتولى الوزارة ويقترح سرى باشا أسماء : بهى الدين بركات ومحمد حسين هيكل وأحمد ماهر فيضحك السفير ويعلق قائلا : لابد أنك [42] تمزح بهى الدين بركات لا يفى بالغرض ومحمد حسين هيكل لا قيمة له وأحمد ماهر قدراته محدودة وعاجز عن النهوض بالحكم ويقترح السفير إسناد الوزارة إلى الوفد .. وفى ٢ فبراير تقدم حسين سرى باستقالته .. فلجأ السفير لامبسون لإستخدام الدبلوماسية الخشنة .. فكان حادث ٤ فبراير الشهير عام ١٩٤٢ ■





لقطة نادرة لفـاروق وفـريدة أثناء
قضائهما شهر العسل بقصر أنشاص





بصحبة أفضل صديق فى
الدنيا.. الكتاب بالطبع



يراقص الأميرة أشرف بهلوى شقيقة الشاه فى إحدى حفلات قصر عابدين عام ١٩٤٢

إحدى حفلات
شم النسيم
بصحبة
شقيقته فائزة

لقطة نادرة للملك
خارج مستشفى
القصاصين أثناء
اصابته فى حادث
سيارة عام ١٩٤٣
وقد شعر بالملل
فهرب من الأسرة
البيضاء وجلس
بالبيجامة خارج
أسوار المستشفى
يتحدث مع أحد
المواطنين

المائدة الملكية والبساط أحمدى فى الرحلات الترفيهية وقد جلس عن يساره ويمينه الشقيقان محمد وحسين عنان باشا»

محبة متبادلة جمعت بين فاروق وعاهل الجزيرة أثناء زيارة فاروق لرضوى عام ١٩٤٥ وقد التف الملكان والأمير محمد عبد المنعم حول المائدة العربية المخصصة لأكلة السماط السعودية الشهيرة

لامات الانفعال والترقب أثناء
متابعة سباق الخـ

فاروق وفيروتشى مهندس القصر الإيطالى الذى أصر الإنجليز على استبعاده أثناء الحرب العالمية الثانية خوفا من انتمائه المحورى



ممتطيا صهوة جواد
عربى أصيل أثناء إحدى
رحلاته الصحراوية

جلسة حميمة بين
أحد أوفيائه كلبه
لورينو الذى قال عنه
إنه أوفى أصدقائه



القطار الملكي الفاخر حيث
اعتاد تحية الجماهير في
سنوات المحبة والشعبية

فاروق وعلى ماهر رئيس الوزراء

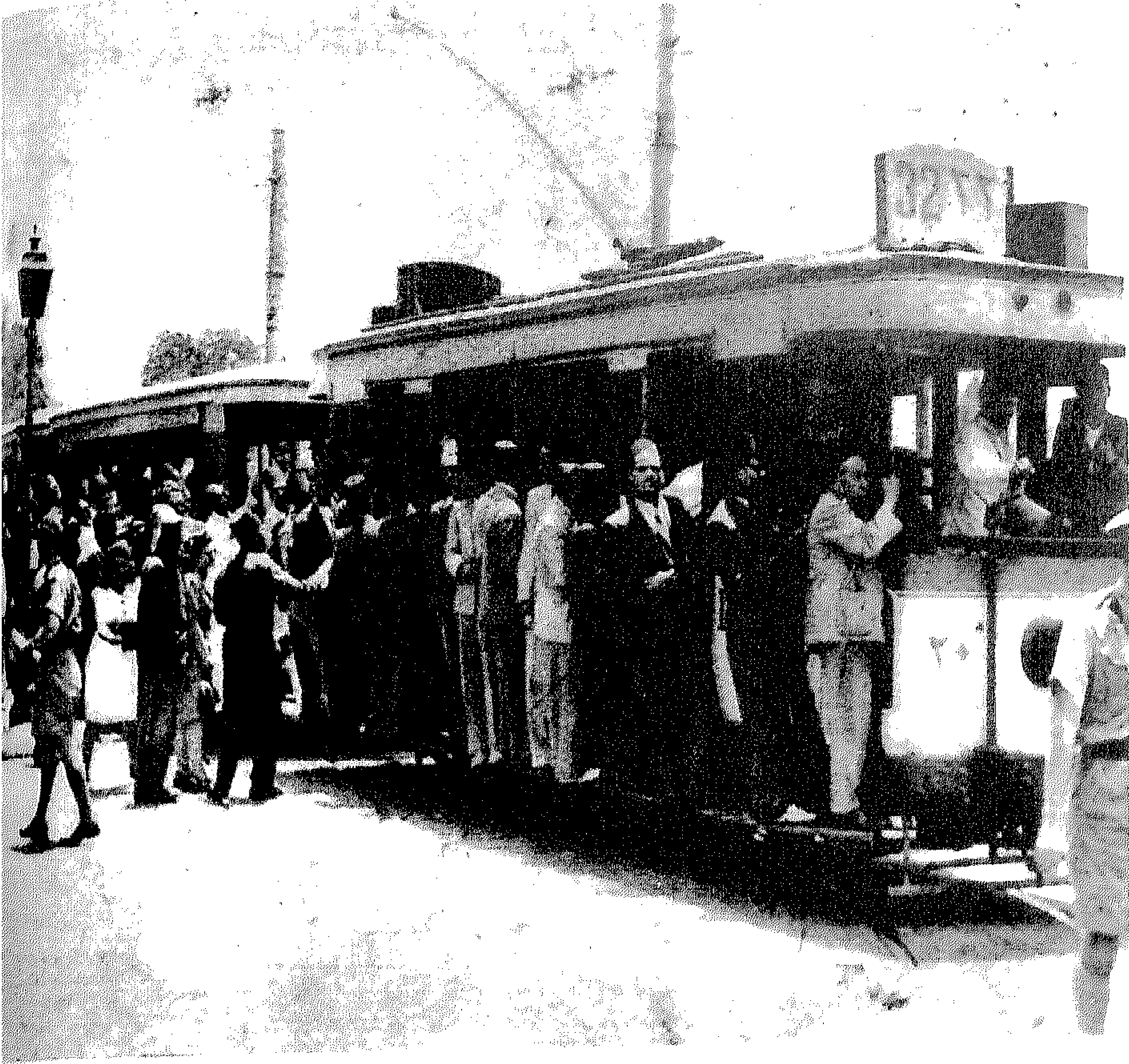
مراسم الاستقبال فى محطة السكة الحديد



فاروق يحتفل مع رجال حاشيته: إسماعيل تيمور وسعيد ذو الفقار بتمثال جدة إسماعيل
الذى قامت الجالية الإيطالية بإهدائه لمدينة الإسكندرية وتمت إزالته بعد الثورة



فاروق يزيح الستار عن تمثال طلعت حرب
في المحلة الكبرى وخلفه الفريق عمر فتحي



يا وزارة الاشغال : نظرة !

فى هذه الأيام التى ازدحمت فيها القاهرة بشكل
ان يجب أن يحسب حسابه المسئولون عن
ركات الترام والاوتوبيس التى تحتكر وسائل
واصلات فيها فيعملوا على زيادة عرباتها ،
جلى فى العاصمة ظاهرة عكسية من جراء نقص
ذه العربات نقصاً فاحشاً واضطراب مواعيدها
مورة يعانى الناس من آثارها ما يعانون حتى
عذر على أكثرهم ان يجدوا لهم مكانا ، لا فى
بات الترام ، ولا فى سيارات الأوتوبيس
يترتب عليه تعطيل أعمالهم وتعرضهم لنتائج
ا التعطيل . ومن أسعده الحظ منهم فوجد
سه مكانا هنا أو هناك اما أن يحشر نفسه
سراً بين الركاب فى هذا الحر الخانق الذى

الشكوى من ازدحام المواصلات.. حتى فى قاهرة الزمن الجميل

أزمة الخبز والغذاء فى مصر.. أثناء الحرب العالمية الثانية



حادث ٤ فبراير.. السفير الإنجليزى أقوى من الملك

يقول السفير البريطانى لامبسون فى مذكراته: «لم أندم على أى عمل قمت به فى حياتى إلا عندما شاهدت[٣] الملك فى اللحظة الأخيرة وقد سيطر الانهيار عليه لقد كان الغلام (الملك ٢٢ عاماً) تحت سيطرتنا تماماً وقد صدم أكبر صدمة فى حياته وفى إجباره على قبول النحاس رئيساً للوزراء ولكنى اعتقد أننا سنكون قادرين على قصقصة جناحيه وتقليم أظافره وبذلك نستطيع تطويعه لصالحنا فى المستقبل أما أنور السادات فكتب يقول: «٤ فبراير تاريخ لا ينساه جيلنا ففى ذلك اليوم سقط النحاس فى نظرنا فكيف يقبل أن يفرضه المستعمر على البلد بقوة السلاح فتجمع الضباط فى القاهرة وسرنا إلى قصر عابدين تحية للملك الذى خرج لرد التحية ، ولم نكن راضين عن فاروق ولكن ما حدث كان إهانة لمصر جيشاً وشعباً واعتداء على سيادتها بصرف النظر عن شخص هذه السياده ومن يمثلها».

وفى ١٠ فبراير يبعث جمال عبدالناصر برسالة من السودان لزملائه يقول فيها: «إننى أشعر بالخزى والعار الشديدين لأن جيشنا سكت على هذا العدوان وأرتضاه ولكنى مسرور على كل حال لأن ضباطنا بعد ٤ فبراير بدأوا يتحدثون عن الانتقام والثأر لقد كان درساً قاسياً».

حينما استقالت وزارة حسين سرى.. أيقنت بريطانيا أن من الحكمة إسناد الوزارة إلى حزب الوفد حزب الأغلبية والشرعية، التى اقتنصت أحزاب الأقلية حقه الشرعى فى الحكم منذ إقالة وزارة النحاس فى آخر عام ١٩٣٧ ووجدت إنه لا يوجد أفضل من النحاس صديقاً سياسياً ورائداً دبلوماسياً لمعاهدة ١٩٣٦ لتنفيذ بنودها وامتصاص غضب الشعب الذى أنهكته ظروف الحرب حتى كادت الحالة الاقتصادية فى مصر تقترب من المجاعة كما ذكرنا.. أما الملك.. فلم يكن يجهل بالطبع من خلال حاشيته وأعوانه واتصاله المباشر بالسفير أن الحكومة البريطانية لن تتردد فى التلويح له وتذكيره بمصير شاه إيران رضا بهلوى الذى غدروا به لشكهم فى ولائه فأجبروه على التنازل عن العرش لأبنه الشاهبور محمد رضا بهلوى.. كما كان يعلم تماماً مدى اشتياق الأمير محمد على توفيق لاقتناص هذه الفرصة لكى ينقض على العرش الذى سلبه الإنجليز من أخيه عباس حلمى.. فى البدء اقترح الملك فاروق على النحاس فى ٣ فبراير تشكيل وزارة قومية من كل الأحزاب يتولى هو رئاستها (الأحرار الدستوريين – السعديين – الوفد – الحزب الوطنى) واعتذر النحاس للملك.. عن هذا الائتلاف.. وطلب تأليف وزارة وفدية خالصة.. ووجهة نظره أن الوزارات القومية التى تتألف من الأحزاب تكثر فيها الخلافات والشقائق مما يؤدى إلى انهيار هذا التحالف الحزبى وهى أمور كان يعلمها جيداً ومارسها من خلال تاريخه السياسى الذى لم يخلُ من هذه التصادمات الحزبية.



وفى مساء ٣ فبراير بدأ السفير يتحدث بصورة سافرة تخلو من الدبلوماسية ويطلب تكليف النحاس بتكشيل الوزارة وفى الرابع من فبراير أرسل إنذاراً مع رئيس الديوان أحمد حسنين هذا نصه:

"Unless I hear by 6.PM today that, Nahas has been asked to Form government, his Majesty king farouk must accept the Consequences"

«ما لم أسمع قبل السادسة من مساء اليوم أنه تم تكليف النحاس بتشكيل الحكومة فإن جلالة الملك فاروق عليه أن يتحمل تبعات ذلك» وهذا النص هو أشهر تبليغ أو إنذار بريطانى رسمى خلال فترة إحتلال بريطانيا لمصر يهدد بعزل الجالس على عرشها حيث تم خلع الخديو عباس حلمى أثناء سفره إلى تركيا. فهو موقف فريد وواحد من أهم المواقف التى ترتب عليها تداعيات سياسية فاصلة أثناء فترة حكم فاروق.. وظهر رد فعله الأول متمثلا فى دعوة رؤساء الأحزاب وكبار السياسيين وإعادة قراءة الإنذار على مسامعهم الأمر الذى أصابهم جميعاً بالذهول والوجوم!! ثم تركهم يتشاورون فى الأمر من الثالثة حتى السادسة مساء (الساعة التى حددها الإنذار) ومن خلال مناقشاتهم ومدولاتهم رفض النحاس جميع الاقتراحات.. وتمسك بموقفه فى تأليف وزارة من حزبه فقط.. ولكنهم اتفقوا جميعاً على أن الإنذار يعد اعتداءاً مباشراً على استقلال مصر وسيادتها فقاموا بكتابة احتجاج رسمى وقعه كل رؤساء الأحزاب والنحاس باشا أيضاً.. الذى استنكر الإنذار بشدة وأنصرف الجميع.

وفى التاسعة مساء كانت الدبابات تحيط بقصر عابدين والسفير لامبسون يضع أمام الملك وثيقة التنازل عن العرش التى كاد أن يوقعها لولا تدخل أحمد حسنين وانتهى الأمر بموافقة الملك على تفويض النحاس بتشكيل وزارة وفدية وانصرف السفير فى سعادة بالغة فقد نجح فى إرهاب الملك وإذلاله ولم يتركه إلا حينما تأكد أنه أذلله دمعاً من خلائقه الكبر!!!

هذا الحدث التاريخى الذى فاضت الأقلام فى تسجيله وامتلأت الصفحات بأحداثه.. رأيت أنه من الأفضل أن نعرض له هنا من خلال أبطاله الحقيقيين الذين قاموا بأداء أدوارهم على المسرح السياسى نستمع إلى أقوالهم ووجهات نظرهم حتى يمكننا الإلمام بأكبر قدر من الحقائق (النسبية دائما).

ونبدأ بمذكرات السفير البريطانى فى مصر «سير مايلز لامبسون» الذى أصبح اللورد كيلرن عام ١٩٤٣ وعمل فى مصر فى الفترة ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٦.. التلميذ المجتهد فى مدرسة أستاذه اللورد كرومر.. تلك المدرسة التى أرست مبدأ فرق تسد على أوسع نطاق فى السياسة المصرية منذ احتلالهم لمصر عام ١٨٨٢ كان لامبسون يدير شئون بلاده فى مصر معتمداً على توازن القوى الثلاثى الملك وحزب الوفد والهيمنة البريطانية على الاثنين معاً لتحقيق أعلى درجة من التوازن وعلى حد تعبير السفير فقد أستخدام الوفد لكبح جماح القصر (يقصد بالقصر الملك وحاشيته) وبنفس الأسلوب كان يمكنهم استخدام القصر لكبح جماح الوفد إذا مارس أى ضغوط على الحكومة البريطانية مستنداً إلى شعبيته الطاغية.

ويذكر السفير فى مذكراته ما يؤكد قناعته بأنه كان الحاكم الفعلى لمصر فسلطته تفوق سلطة الملك.. وإذا كانت الوزارات التى كان يعينها ويقيلها الملك لم تكن تستهدف إلا تحقيق مصالحها والحصول على الرضا السامى، فإن السفير كان محاطاً بأعوانه المخلصين من السياسيين الذين كانوا حريصين على إرضاء الغرور الانجليزى الذى يتدفق فى دماء السفير الزرقاء. لذلك لم يكن عسيراً أن تكون تهمة «العمالة الإنجليزية» هى كعب أخيل السياسة المصرية فى ذلك الوقت وهى تهمة أصابت الوطنيين المخلصين والمنتفعين على حد السواء.. وكانت تزدهر كثيراً أثناء فترة الانتخابات البرلمانية.. ولعل أشهر سياسى مصرى حظى بلقب صديق الانجليز الأول هو «أمين عثمان باشا» فالرجل كان انجليزيا خالصاً قلبا وقالباً نشأة وتعليماً.. ولد فى مصر فهو مصرى المولد، انجليزى الولاء.. وهو أشهر وسيط مصرى لجأت إليه الحكومة البريطانية لاستخدامه كأداة من أدوات الدبلوماسية الفاعلة وحتى اغتياله على يد حسين توفيق فى القضية الشهيرة التى اعتقل السادات فيها وعرفت بالاغتيالات السياسية وقد نعاه لامبسون بقوله: «إن غيابه يعد خسارة كبيرة لنا فلن تسير العلاقات والمصالح المتبادلة كما كانت ولن يصبح الأمر هيناً كما كان من قبل» وهذا ملخص لمذكرات السفير كما دونها من خلال مراسلاته لوزارة الخارجية أبان هذه الأزمة فى الفترة من ٢ إلى ٤ فبراير يقول السفير:

■ يوم ٢ فبراير (الاثنين):

طلبنى حسين سرى وأخبرنى أنه[٤] أجبر على تقديم استقالته فى تمام الساعة ١٢,٣٠ ظهراً حينئذ حاولت الإتصال بأحمد حسنين لكى أقابل الملك ولكنى شعرت بمراوغته فتحدثت معه بشدة وجفاء وأنهيت الحوار ثم طلبنى أحمد حسنين واوضحت له بكل تأكيد إذا لم أسمع بتغيير الموقف فسوف أكون بالقصر فى تمام الساعة الواحدة بعد الظهر ثم أجتمعت بالجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر وبقية القيادات البريطانية وأتفقنا على أن نضع أمام جلالته النقاط التالية:

أولاً: تشكيل حكومة ملتزمة بتنفيذ كل بنود معاهدة (١٩٣٦) نصا وروحاً خاصة المادة الخامسة من المعاهدة.

ثانياً: تشكيل حكومة قوية قادرة على إدارة شئون البلاد والسيطرة على الشعب تكون حائزة لثقته.

ثالثاً: أن نبعث إلى النحاس زعيم حزب الأغلبية ونكلفه بتشكيل الوزارة.. وفى الساعة الواحدة من بعد الظهر أستقبلنى الملك فاروق وكان ودوداً للغاية فى لقائه معى بخلاف عاداته فشرحت له لماذا حضرت على وجه السرعة ومعى مذكرة بخصوص إستقالة حسين سرى من منصبه بصفتى ممثلاً للحليفة بريطانيا فصرح الملك بأنه يعرف تماماً أن النحاس هو الذى يستطيع تشكيل الحكومة وأضاف أن علاقته مع النحاس فى الوقت الحاضر على خير ما يرام ولم

يوضح جلالته إذا ما كان سيستدعى النحاس للتشاور معه قبل ظهر الغد ولكنى أكدت بكل وضوح أنى أتوقع إخبارى بإستدعاء النحاس ولم أستخدم أى أسلوب تهديدى ولكنى كنت جاداً حازماً فى حديثى معه وقبل مغادرتى القصر حرصت على مقابلة أحمد حسنين (رئيس الديوان) وأخبرته بكل ما تم فى اللقاء واكتشفت أن خطة القصر تتضمن تشكيل حكومة انتقالية لترتيب التشكيل النهائى لحكومة ائتلافية برئاسة النحاس.

■ **الثلاثاء (٣ فبراير):**

طلب منى أمين عثمان أن يقابلنى وبكل صراحة تحدثت عن حقيقة الموقف وقد أوضح أنه حضر لمقابلتى الآن نيابة عن النحاس وبمجرد[٤٥] أن أكد لى أن النحاس مستعد تماماً أن يقوم بدوره لو أننى ناصرته فأجبته: إننى أعتقد أنه يتعين على النحاس أن يعرف بعض النقاط التى أثارتها وزارة الخارجية (البريطانية) معى وسوف أثيرها بدون شك مع النحاس بشكل مباشر فيما بعد إذا ألف النحاس الوزارة بالشكل الذى أريده.. وكان أمين عثمان يتوقع أن النحاس لن يثير أية مشاكل تجاه أى من هذه النقاط وسألنى أمين عثمان عن الاتجاه الذى أنصح النحاس بضرورة الالتزام به قبل مقابلة الملك فقلت: أن يرفض أى عرض بضرورة تشكيل حكومة انتقالية فستكون بمثابة مناورة من القصر.. ثم عاد أمين عثمان مرة أخرى حاملاً رسالة من النحاس تشير إلى أن النحاس كان يعتقد أنه من الأنسب تشكيل حكومة انتقالية ولكنه الآن ضد الفكرة لعدة أسباب: من بينها «مرض أحمد ماهر (رئيس مجلس النواب): والأوضاع الدولية المتردية إلى أبعد الحدود، كما أن القصر ملئ بالمكائد والدسائس تحت سمع وبصر حسين سرى بالرغم من علاقاته الخاصة بالعائلة المالكة – فهو زوج خالة الملكة فريدة – وتخوف النحاس من بعض عناصر الائتلاف الوزارى التى سوف تخضع للملك وفى هذه الحالة فإن النحاس لا يستطيع تنفيذ كل مطالبنا».

انتهت رسالة النحاس ويعلق السفير البريطانى لوزارة الخارجية البريطانية قائلا بالنسبة للعمل معنا لاشك فى إخلاص النحاس بصفة دائمة سابقاً[٤٦] وفيما بعد حتى ولو لم تكن هناك معاهدة تربط بين بلدينا.

وبعد مناقشات مثمرة أبديت خلالها أهمية الاستعداد لتكوين حكومة ائتلافية أمليت الآتى لكى ينقله أمين عثمان إلى النحاس: على النحاس أن يخبر الملك فاروق بأن الموقف سيئ للغاية وليس لدى أدنى ثقة فى التعاون المخلص للأحزاب الأخرى خوفا من المكائد المحتملة والعلاج الوحيد حكومة وفدية بالكامل حتى تتمكن من أن تتحمل المسئولية وتستطيع القيام بالمهام المطلوبة ومن المستحسن الأخذ فى الاعتبار فيما بعد تخصيص حصة معينة من المقاعد فى الانتخابات العامة للأحزاب الاخرى وتكوين هيئة استشارية كرمز للائتلاف وانصرف أمين عثمان ثم عاد وأتصل بى تليفونيا وأخبرنى أنه لم يتمكن من مقابلة النحاس باشا الذى ذهب مباشرة إلى القصر قبل أن يتمكن من تبليغه مضمون الرسالة ووصلتنى رسالة من وزارة الخارجية البريطانية تقر فيها كل خطواتى وتمنحنى موافقه بلا حدود على كل ما سوف أتخذه من خطوات أرى أنها ضرورية. ويمضى السفير البريطانى فى مذكراته قائلاً: طبقاً لوجهة نظر أنتونى ايدن (وزير الخارجية) فمن الضرورى ألا يخرج القصر منتصراً فى هذه المرحلة الحاسمة.

هذا وقد أخبرنى أمين عثمان بما دار فى مقابلة الملك والنحاس وخلاصة القول أن الملك طلب من النحاس تشكيل حكومة ائتلافية ولكن النحاس رفض هذا الاقتراح موضحاً الاسباب والدوافع لقراره هذا وعرض تشكيل حكومة وفدية.

وفى تمام الساعة السابعة حضر «أحمد حسنين» إلى دار السفارة وأخبرته بأنى علمت كل ما حدث بين النحاس والملك وقبل أن يغادر السفارة كررت له أن الملك يجب أن يستدعى النحاس ويطلب منه تشكيل حكومة ثم طلبنى (أمين عثمان) وأخبرته بكل ما سبق أن ذكرته لأحمد حسنين.

■ **الأربعاء (٤ فبراير):**

اجتمعت مع أعضاء مجلس دفاع الشرق الأوسط ووافق الجميع على أن أقابل أحمد حسنين فوراً وأبلغته بهذه الرسالة (الانذار) الشفوية: «ما لم أسمع قبل الساعة ٦ مساء اليوم بأنه تم تكليف النحاس بتشكيل الحكومة فإن جلالة الملك فاروق عليه ان يتحمل تبعات ذلك».

وناقشنا بعض التفصيلات الأخرى وحددنا الساعة الثامنة مساء لكى انزل أنا و «ستون» (قائد القوات البريطانية فى مصر) وبعض المرافقين متجهين إلى القصر وعندئذ نخبر الملك بأنه يجب أن يقدم تنازله عن العرش.

ومن أجل أن نمنع حدوث أى اضطرابات أخرى تعوق تنفيذ مهمتنا فإن بعض الحراس سوف يرافقوننا إلى داخل القصر وقد ناقشنا كل الأحتمالات والحيل المتوقع حدوثها وكانت خطتنا واضحة بأننا سوف نأخذ الملك معنا بعيداً سواء تنازل عن العرش أو لم يتنازل مع ملاحظة أن وثيقة التنازل عن العرش جاهزة فى جيبى.

كان هناك نقاش طويل واقترح الأدميرال أن نضع الملك فى[٤٧] مدمرة حربية ونتحفظ عليه وهو أنسب مكان له. وتم بحث كل الترتيبات العسكرية المحتملة لمواجهة الموقف وعهدت إلى قائد الشرطة لكى يتخذ الاستعدادات كما أرسلت إلى الجنرال «بيزلى» لكى يتعاون معنا الجنرال «والتر مونكتون» وهو الذى أعد وثيقة تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش.

وعدنا إلى السفارة واستدعيت النحاس وقلت له إنه ليس لدى الكثير لأضيفه وأننى آمل أن يمارس ضغطه على الملك فاروق لأننا هذه المرة نظهر الضوء الأحمر بكل جدية ورجوته أن يحذر فاروق إنى أتوقع ردا منه بأنه استدعاه قبل السادسة مساء وإلا ستحدث أشياء ليست فى الحسبان.

والخطوة التالية كان يجب علينا أن نتأكد أن النحاس الذى يصعب دائما معرفة خط سيره يجب أن يكون جاهزاً بعد ظهر هذا اليوم للإستدعاء. وطلبت أمين عثمان وأخبرته نص الكلمات التى قلتها لحسنين فقد كنت آمل ألا يلجأ النحاس لأى طلبات ملتوية يتنصل فيها من الموقف ؟



قال أمين عثمان: لن يحدث شىء من هذا القبيل بل إن النحاس[٤٨] يطلب ألا يحدث أى تراجع أو مراوغة فى موقفنا نحن (بريطانيا) وقد أكد أمين للنحاس بأننا على أهبة الاستعداد لهذا الموقف ووصلتنى معلومات تفيد بمظاهرات الطلبة فى الجامعة وهم يرددون هتافات معادية لنا يعيش روميل.. يحيا فاروق – يسقط الانجليز.. ووصلتنى برقية أخرى بأن الطلبة فى الزقازيق تظاهروا وحطموا بعض المحلات وأعتدوا على بعض الأشخاص الذين يعتقد أنهم عملاء للإنجليز.

وبينما كانت الاتصالات جارية اتصل أمين عثمان يخبرنى أن النحاس باشا علم من القصر أن الملك يقوم بحزم حقائبه الآن وأنه تم استدعاء النحاس إلى القصر مساء اليوم وسرت إشاعة بأن الملك سوف يهرب.. وكان هذا كافيا لكى أذهب مع «ستون لمقابلة قادة وحدات مجلس دفاع الشرق الأوسط (أوليفر ليتلتون وأوكنلك) وقررنا أن نضع كل المطارات تحت المراقبة وإغلاق كل منافذ القاهرة – فيجب أن نؤمن حياة الملك بالتحفظ عليه فى مكان ما وإذا ما حاول الهرب فإنه سوف يعرض حياته للخطر وفى غضون ذلك وصل حسنين إلى السفارة فى ٦,١٥ مساء حاملاً هذه الرسالة.

عندما استلم الملك الإنذار البريطانى استدعى رؤساء الأحزاب بما فى ذلك النحاس لمقابلته وبعد مناقشة مضمون الإنذار البريطانى جاء القرار التالى: (أنهم يرون أن الإنذار البريطانى يعد خرقاً للمعاهدة المصرية – البريطانية كما يعد انتهاكا لاستقلال البلاد ولهذا وبناء على رأيهم فإن جلالته لا يستطيع أن يوافق على عمل من شأنه أن يؤدى إلى خرق للمعاهدة الإنجليزية – المصرية وسيادة البلاد).

فأخبرت أحمد حسنين أن هذا أمر خطير وأننى سأصل إلى القصر فى التاسعة مساء لمقابلة الملك وصعق حسنين لسماعه هذا الحديث وقال: أليس فى إمكاننا أن نجد حلاً من أجل إنقاذ مهابة رؤساء الأحزاب وتقديرهم وهو مستعد أن يتولى بنفسه شئون حكومة إنتقالية مؤقته مع ضمانه لى بأنه سوف يرتب إجراءات تولى حزب الوفد شئون الحكم خلال شهرين.

فأجبته لقد فاض بى.. من خلال تعاملى مع الملك لهذا فإنى أرفض اقتراحه ولن أقبله وإنقاذا لماء وجهه أضفت إنى أقدر

كتاب تذكارى

هذا العرض!!

وتطورت الأحداث ووصل أمين عثمان إلى السفارة وسألته كيف وضح للنحاس وجهة نظرنا؟ وقد ورد اسمه فى الرسالة التى حملها حسنين والتى تطالب بتكوين حكومة من كل الأحزاب بما فى ذلك حزب الوفد وسألت أمين عثمان: هل تستمر ثقتى بالنحاس إذا ما أقدمت على تنفيذ ما أريد أكد أمين عثمان أن النحاس مازال متمسكا بموقفه وإن كان من المحتمل أن يسعى الملك ليكسبه إلى جانبه فى مثل هذا الموقف وأنتهى كلامى مع أمين عثمان وكنت قد أعددت وثيقتين هامتين من الناحية التاريخية:

الأولى: وهى البيان الذى سأقراه على الملك إذا ما تمسك بموقفه وعناده.

والثانية: هى نص وثيقة التنازل عن العرش والتى يتحتم أن أضعها أمامه لكى يوقعها مرغماً يقول البيان:

«تأثرت[٤٩] جلالتك منذ زمن طويل بمجموعة المستشارين المحيطين بك والذين لم يكونوا مخلصين للتحالف مع بريطانيا وكانوا يعملون ضد هذا التحالف ومن ثم فإنهم يساعدون العدو والموقف العام وتشجيعك وتعاونك معهم يناقض المادة الخامسة من المعاهدة والتى تنص على أن تتعهد كل الأحزاب بألا تتخذ موقفاً معادياً للبلاد الأجنبية ويكون متعارضا مع الحلفاء وقد أحدثت جلالتك أزمة خطيرة بطريقة طائشة وغير ضرورية كرد فعلك للقرار الذى اتخذته الحكومة المصرية السابقة استجابة للطلب الذى تقدمت به إنجلترا كما تنص المعاهدة – قطع العلاقات مع حكومة فيشى الموالية للألمان وفى النهاية فإن كل المحاولات التى جرت لتشكيل حكومة ائتلافية قد باءت بالفشل إذ رفضتم أن تعهدوا بأمر تشكيل الحكومة إلى زعيم حزب الأغلبية فى البلاد على الرغم من أنه يتمتع بمكانة خاصة تجعله قادراً على ضمان استمرار تطبيق روح المعاهدة ومثل هذا التهور والطيش وعدم تقرير المسئولية يعرض أمن وأمان مصر للخطر وكذلك القوات الحليفة الموجودة بالعاصمة ويؤكد الجميع أن جلالتك لم تعد جديراً باستمرارك على العرش».



أما نص خطاب التنازل عن العرش الذى وجدوا صعوبة فى إحضار ورقة مناسبة لإعداده نظراً لظروف الحرب فكتب على ورقة فولسكاب انتقدها الملك فى ذلك الموقف الحرج فكان نصه كالآتى: «نحن فاروق ملك مصر تقديراً منا دوماً لمصالح دولتنا، أتنازل بالنيابة عن نفسى وعن ورثتى بموجب هذه الوثيقة عن عرش مصر وعن جميع حقوق السيادة والامتيازات والصلاحيات فى المملكة المذكورة وأننا نعفى رعايانا من ولائهم لشخصنا».

ويمضى السفير البريطانى يقول: أن «أوليفر ليتلتون» (وهو عضو وزارة الحرب المقيم بالقاهرة) لم يكن مستريحاً لهذا القرار إذا ما وضعناه موضع التنفيذ لأننا سوف نخلع (الغلام) عن عرشه الساعة التاسعة مساء وحددنا موعداً مسبقاً نهائياً لأنه لم ينفذ مطالبنا فى الساعة السادسة مساء وهذا عمل لا يروق للرأى العام فى مصر أو فى بريطانيا فمن أجل ثلاث ساعات – يفقد الغلام عرشه واعتقد ليتلتون بأنه من الأفضل أن نمنع نشوب اضطرابات مؤسفة يمكن حدوثها فى البلد كرد فعل لخلع الملك.

ويسترسل السفير البريطانى فى مذكراته ويقول: قررت تنفيذ كل شىء حتى لو استسلم الملك وتراجع عن موقفه العنيد ففى هذه الحالة أكون أنا المخطىء ومن الحكمة أن أتريث بعض الوقت وبرغم كل ذلك فقد صممت على رأيى وصحبنى (ستون) وأحاط بنا مجموعة من العسكريين المسلحين وغادرنا السفارة الساعة ٨,٤٠ متجهين إلى قصر عابدين ومررنا بين صفوف متراصة من القوات المسلحة الذين أحاطوا بكل الطرق المؤدية إلى القصر وأحاطوا القصر من كل جانب.. هذا القصر الذى يذكرنى مدخله بمحكمة شامبرلين.. استقبلنا مدير المراسم وبينما نحن نصعد سلم القصر إلى الطابق العلوى كنت أسمع هدير الدبابات وهى تتحرك لتأخذ موقعها وأزيز السيارات المصفحة.. مرت خمس دقائق قبل استدعائى إلى مكتب الملك ولم أكن مستعدا للانتظار أكثر من هذا الأمر الذى جعلنى أندفع إلى حجرة الملك وقد حاول رئيس التشريفات الملكية منع الجنرال ستون من الدخول معى ولكنى أزحته من طريقى ودخلنا على الملك وسط ضجيج وهياج فانزعج الملك واقترح أن يظل حسنين باشا ووافقته على ذلك وبدون مقدمات دخلت فى الموضوع قائلا: «لقد حددت الساعة السادسة مساء للإجابة بنعم أولا على رسالتى التى وصلت إليك هذا الصباح إنى أريد الإجابة الآن وبدون مراوغة أكثر من هذا فسعى الملك إلى المجادلة فى أمور لفظية وردت فى نص الإنذار ولم أترك له فرصة الحديث وأرتفع صوتى بغضب وحدة بأن الأحداث غاية فى الخطورة وسلمته نص خطاب تنازله عن العرش قائلا: يجب توقيع هذا فورا وإلا سأضطر لاتخاذ إجراءات أخرى غير سارة فتردد الملك للحظة وكاد يوقعه لولا مداخلة أحمد حسنين باللغة العربية..

مضت لحظة مشوبة بالتوتر وطلب منى الملك –الذى روعه التهديد تماماً– بنبرة حزن تخلو من تحديه السابق قائلا: أليس من الممكن إعطائى فرصة اخرى ؟ أجبته: ماذا تقترح ؟ أجابنى أنه سوف يستدعى النحاس فى الحال وفى حضورى إذا أردت وسوف يكلفه بتشكيل الوزارة وشعرت بميل لإعطائه فرصته الأخيرة وأجبته بالموافقة.. بعد ذلك حاول الملك برغم آلامه النفسية أن يتظاهر بالود والبشاشة وشكرنى بصفة شخصية لأننى أحاول مساعدته دائما وتركناه ومررنا عبر الممرات المليئة بالضباط الانجليز وخدم القصر الذين كانوا منتشرين مثل الدجاج المفزوع وسط كوكبة من المصفحات والدبابات وهى على أهبة الاستعداد ثم أتصل بى أحمد حسنين بعد عودتى إلى السفارة يطلب سحب القوات من مواقعها حول القصر حتى لا تعوق حضور النحاس باشا إلى القصر ووعدته بالنظر فى الأمر.. وبعد نصف ساعة حضر النحاس باشا إلى السفارة بعد مقابلته للملك فاروق الذى نفذ كل ما وعدنى به وكلف النحاس بمقابلتى وإبلاغى بكل ما تم واتخذت بدورى كل الترتيبات لإبعاد القوات من قصر عابدين ووافق النحاس على التخلص من العناصر السيئة داخل القصر وأعربت عن رغبتى فى أن أبقى قدر الإمكان وراء الكواليس وأن أدع النحاس يتولى الأمر بنفسه.

وفى المساء أخبرت أوليفر ليتلتون بأنى لست نادماً على أى عمل قمت به فى حياتى إلا عندما شاهدت الملك فى اللحظة الأخيره وقد سيطر الإنهيار عليه لقد كان الغلام تحت سيطرتنا تماماً وقد صدم أكبر صدمة فى حياته وفى إجباره على قبول النحاس وإنى آمل بل وأعتقد أننا سوف نكون قادرين على قص جناحيه وتقليم أظافره والقضاء على المؤثرات السيئة وبهذا يمكننا تطويعه لصالحنا فى المستقبل!! ثم طلبت مقابلة أمين عثمان للتحدث معه فى بعض الأمور التى أود أن يقنع بها النحاس من البداية وهى تعيين «حسين سرى» رئيساً للبلاط فى القصر فهو مخلص لنا ووجوده فى هذا الموقع له أهمية خاصة.. وبذلك نستطيع ان نكبح جماح المستشارين المحيطين بالملك وطلبت منه إقناع النحاس بإقصاء أحمد حسنين وتعيين سرى باشا أما حسنين فمن الأفضل تعيينه فى وظيفة كبير ياوران الملك وفى صباح اليوم التالى تلقيت هذه الرسالة الشخصية من أنتونى إيدن: «أهنئك بكل حرارة وأحيى فيك إصرارك وعزمك وحزمك وتنفيذك لتعليماتنا على الوجه الأكمل» وفى ختام مذكراته يستطرد السفير فى سرد خواطره ويقول: «إذا كان فاروق تنازل عن عرشه فإننا كنا سننصب الأمير محمد على ملكاً على البلاد ولسوء الحظ فإن حياة الأمير لا تتسم بالصلاح والفضيلة ولكن من المؤكد أننى لقنت فاروق درساً قاسياً سيجعله يزداد كراهية لنا وقد يفاجئنا بقرار متسرع يؤدى إلى تجدد الصراع معه مرة أخرى!!!

وقد صدق ما توقعه السفير.. فلم يكن إنسان أبغض إلى قلب فاروق من هذا الرجل الذى كان ذكر اسمه كافياً لعكننة الملك.. أما عبارته المفضلة بعد ذلك الحادث فكان يرددها أمام عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى بريطانيا بمجرد أن يشاهده للوهلة الأولى (خلصنى منه يا عمرو) عن طريق اتصاله بالخارجية البريطانية وشرح الموقف لهم والتأكيد على أنه من أسباب عداوة الشعب المصرى للحكومة البريطانية أما الدعابة التى كان يرددها عبد الفتاح عمرو لأصدقائه سراً (آه.. لو كان الملك يعلم رأى الانجليز فى شخصه) وفى ٦ أغسطس يستكمل السفير ذكرياته عن الملك : ذهبت برفقة ونستون تشرشل *لمقابلة الملك*.. كان فاروق يتصرف طوال الوقت بشكل استعراضى وبتكلف واضح على الرغم من أن تشرشل تصرف معه بصورة طبيعية ونصحه كصديق وأكد له أن بريطانيا تسيطر على كل المقدرات فى مصر وسوف تهزم روميل.. وشعرت أن فاروق كان يلمح لكى يحفر قبر حكومة النحاس التى يأمل التخلص منها بأى وسيلة ممكنة وأنتهت الزيارة لكن تشرشل كان لديه انطباع عام عن هذا الغلام (الملك) بأنه شخصية[٥٠] تافهة وغير محترم وفيما بعد ذكر لى

أنه غير مقتنع بعدم إتخاذ أية خطوة مع هذا الغلام!!

وفي ٢٧ يناير ١٩٤٣ أفصح تشرشل عن رغبته في لقاء الملك بالسفارة البريطانية بالقاهرة وتحدث الملك عن رغبته في تسليح الجيش المصرى.. وبلفتة ذكية وجه تشرشل دعوة للملك فاروق لزيارة لندن زيارة رسمية لمدة اسبوع والإقامة في قصر باكنجهام.. فأحمر وجه الملك عندما أيدت هذا الاقتراح – أى لامبسون – ورد الملك: إن هذه الدعوه يفترض تقديمها لرئيس الوزراء النحاس باشا.. فعقب تشرشل قائلا إن النحاس رجل ذكي ومحنك فنهض الملك فاروق ايذانا بانتهاء الزيارة ولم يكن غريباً على سياسي متمرس مثل النحاس أن ينتزع هذه الإشادة من تشرشل.. نظراً لدبلوماسيته واعتداله.. مقارنة بتعالى فاروق وغروره معهم على الرغم من وصف لامبسون النحاس «بأنهم[٥١] يضعونه في جيبهم» ويعلق السفير على هذه الزيارة فيقول: كنت أعتقد أن المحادثات بينهما سوف تسير بصورة حسنه ولكنى صدمت حين سمعت الملك فاروق وهو مسترخى في مقعده يقول لرئيس الوزراء: إنك تعلم يا تشرشل!!!

وأثناء تناولى طعام العشاء معه في المساء أبدى عدم ارتياحه من مقابلة الملك ووصفه بأنه شخصية وقحة لا تتناسب مع رقة زوجته!!! وكان تشرشل قد وصفه في بداية الحرب بأنه ليس[٥٢] صديقاً لبريطانيا وهكذا تبادل الفريقان الكراهية التي ظل لامبسون يضمرها لفاروق حيث أقدم الأخير بعد توليه العرش مباشرة على إبعاد أعضاء الحاشية من الإنجليز من خدمة القصر وفي مقدمتهم سائق سيارته ورجال الحرس الخاص الذين يرافقونه في موكبه.. ثم أزال كل الامتيازات التي كان يتمتع بها لامبسون كمندوب سام قبل توقيع معاهدة ١٩٣٦.. حيث أصدر تعليماته بمنع استخدامه الباب الملكى في محطة السكة الحديد وعدم تخصيص قطار خاص له أثناء سفره ومنع موكب ركابه الذى كانت تحيطه سيارة خاصة وتتوقف فيه حركة المرور في الشوارع عند خروجه من منزله والإقلاع عن حراسة السفارة البريطانية بحرس من الجيش البريطاني بالإضافة إلى رفضة تعيين «فورد» معلماً له وإلحاقه في الحاشية الملكية ولم يبق بالقصر إلا صيدلى إنجليزى ظل حتى يحين انتهاء عقده بالإضافة إلى مربيات شقيقاته وبناته فيما بعد.. وهو موقف وطنى يحسب له.. ويضع الأمور في مكانها الصحيح بعيداً عن شطط القول ومبالغة الوصف التى لازمت الملك بالعمالة الانجليزية – وإن كنا لا نعفيه من كل أخطائه.

وبنفس الحرص في استقراء الأحداث فإن إقدام النحاس باشا على تولى الوزارة كما تناولته معظم الاقلام بالقدح لم يكن أمراً موضوعياً.. فقد يتجاوز السياسى في اتخاذ بعض التصرفات أملاً في الوصول لغاية أعمق من منطلق نوايا خالصة لا تخضع للمعايير والمكاييل ولكنها عواطف نبيلة مثل الولاء والحب والإيمان مركزها القلب ولا يعلمها إلا الله وكثيراً ما يخالف الظاهر منها الجوهر الحقيقى بل ويتناقض معه أحيانا.. وعلى ذلك فالنحاس كان له منطقه الخاص فالرجل لم يعمل على إذلال العرش على الرغم من إتصاله بالسفير من أجل المفاوضات وهذه الواقعة لا تمحى تاريخ الرجل الذى اعطى لوطنه الكثير منذ فجر شبابه.. وهذه هي الفائدة الكبرى من قراءة التاريخ بعد أن يهدأ الحدث ويتخلص من فورانه ويستقر في ركن هادئ من أركان الحقيقة.. فلنقرأ الآن شهادة النحاس أمام محكمة جنايات مصر أثناء نظر قضية الاغتيالات السياسية حين سئل عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ يقول: كنت في قنا أقوم بزيارة سيدى عبدالرحيم القناوى حيث كنت سواحاً في الوجه القبلي في فصل الشتاء وتصادف أن وقع خلاف بين بعض الأهالى فرأيت التوفيق بينهم ثم جاءنى تليفون من إسماعيل تيمور وأخبرنى أن جلالة الملك يريد مقابلتى غداً بعد الظهر فاعتذرت في البداية نظراً لظروفى العائلية حيث كانت عائلتى ترافقنى فأخذ مكرم التليفون وذكر انى سأحضر.. وتشرفت بمقابلة الملك وعرض على جلالته الموقف.. ولما سألنى رأيى قلت اننى ذكرته مراراً وصممت على ألا نشترك مع آخرين في الحكم وقلت إذا عهد إلى بالحكم ما الذى أستطيع أن أفعله (والبلد جعانة) وتمسكت برأيى فقال جلالته سأكمل مشاوراتى ثم ادعوك ثانية وثانى يوم دعيت وأنا أعتقد أننى دعيت لإتمام الكلام السابق ولم أفهم انه سيتواجد غيرى وخصوصاً إننى أبديت رأيى وهو إنى لا أستطيع التعاون معهم ويومها كان مكرم باشا مدعواً ، فدهشت واحترت حين رأيتهم ودخل علينا جلالة الملك.. وألقى أحمد حسنين بيانا وأوضح أن الحالة خطيرة وأن إنجلترا تهدد كثيراً وجاء اسمى في البيان عدة مرات وكان مطلوباً أن يأخذوا رأيى بصفتى زعيم الأغلبية ويشير النحاس إلى انصراف الملك ويذكر أن مركزه في بيان الملك كان مركز المتهم – والمتهم يجب أن يوضح مركزه، وينفى النحاس علمه بالطلبات التى وجهها الإنجليز عن استدعائه ويقول أنه بعيد عن ذلك بالمرة وكنت قادماً طازة من رحلتى ولا دخل لى فيما حدث.

ويضيف النحاس أن الزعماء بحثوا في كيفية تفادى هذا الموقف لأن هذا اعتداء على البلد وقالوا: نكتب إحتجاجا: قلت : ولكن قبل الاحتجاج أبدى رأيى كوطنى ومجرب وخبير بأعمال الانجليز يجب أن نبحث أن كان هذا الإنذار تهديداً أو تنفيذاً وبيان الملك يفهم منه إنه تهديد وأضفت لذلك يجب علينا الإحتجاج ولكن يجب التريث لتفادى التنفيذ وكيف تكون الطريقة ؟ إبحثوا عنها، قالوا : الطريقة أن نتعاون في حكم واحد قلت لهم : أنا أرى ألا اشترك معكم وأنا مصمم على ذلك فقالوا هذه تضحية.. فقلت التضحية يمكن عملها بشيء آخر غير هذا لأنى لا أقبل أن أغش عقيدتى.

ويمضى النحاس فيقول اتفقنا على كتابة الاحتجاج وقال جلالة الملك حين علم : «أنتم عملتم طيب، هذا عمل مشرف ووطنى فقلت لجلالته يجب أن أصارحكم بشئ هام فالاحتجاج لا غبار عليه ولكن من الممكن أن يؤذى البلد والعرش ويكون نكبة على العرش وعلى شخص جلالتكم.. فقال : أنا قابل كل شيء.. فقلت لجلالته : أنت في مقتبل العمر ونحن إلى فناء وبقاؤكم على رأس الدولة يفيد البلاد كثيراً فقال جلالته : أنا مأيس ولا اسأل عن نفسى وأخذ الاحتجاج وقال لحسنين باشا: بلغ الإحتجاج وقال لنا: أبقوا هنا إلى أن يصل الرد فبقينا في حرج وقالوا: أقبل أن تكون معنا وأختار من تختار فقلت لا أقبل ذلك لأن النتيجة أن هذا قبول لرأى الإنجليز وتنفيذ لأمرهم فقالوا: مادام معنا كلنا لا يعتبر تنفيذاً لأمرهم. فقلت: إشمعنى لما يكون النحاس مع غيره لا يكون بأمر الإنجليز ولما يكون وحده يكون تنفيذاً لأمر الانجليز. وأردت الانصراف فقالوا: جلالة الملك أمرنا بالانتظار فانتظرت وجاء الرد أن السفير سيحضر الساعة التاسعة إذا لم يعدل الملك رأيه قلت الرد خطير.. ثم قيل لنا كونوا على استعداد حتى تنجلى الأزمة ثم أتصل بى أحد الاصدقاء وأخبرنى بحصار القصر بالدبابات فقلت له أنا أسف جداً لأن الحالة وصلت إلى هذا الحد ولم يكن تنبؤى يصل إلى هذه الدرجة.. وذهبت إلى القصر ووجدتهم مجتمعين وقالوا جاءت الدبابات ثم أنصرفت فقلت هذا نتيجة عملكم ودخل علينا الملك وقال اعتبروا إنه لم يحدث شيء.. قال الملك أعهد إليك يا نحاس بتأليف الوزارة ووطنيتك تقتضى أن تستعمل الحكمة فيها فقلت لجلالته إنى لا استطيع تأليفها فقال أنا الملك وآمرك أن تقبلها وأستمر الحوار بين النحاس والملك إلى أن قال جلالته: لابد أن تقبل وتذهب الليلة إلى السفير قلت: مستحيل الليلة فقد كنت أريد أن استريح لأنى متعب. قال الملك: لازم تقبل قال أحمد ماهر: إن قبل يكون على أسنة رماح الإنجليز. قلت: إخرس إنتم الذين جئتم على أسنة رماح الإنجليز ووصلتم بالبلد إلى هذه الحالة والنحاس أشرف منكم كلكم. قال جلالته: إنزل من هنا على السفير.



ويذهب النحاس إلى السفير لا ليطمئنه بل ليحتج على حد تعبيره وفى النهاية يتم الاتفاق مع السفير على سحب الإنذار لمحو هذه الإهانة بعد الإتفاق على كتابة خطاب بذلك وقد رحب القصر بسحب الإنذار كما يقول النحاس ويسأل المحقق النحاس باشا: هل تذكر أن احداً من الإنجليز الذين قابلوك في محطة قنا قال لك بالإنجليزية ما معناه إنى سعيد بمصافحة الرجل الذى سيتولى الحكم قريباً.

يقول مصطفى النحاس رداً على السؤال: أنا شخصياً لا اعرف اللغة الإنجليزية ويؤكد جازما إنه لم يقابل أى شخص من السفارة البريطانية بخصوص تكليفه بتشكيل الوزارة لا مباشرة ولا بالواسطة ويؤكد مصطفى النحاس أن أمين عثمان باشا لم يكن معه في رحلته ولم يحضر إليه قط وحين يسأله المحقق عن سلوكه في هذا اليوم واستغلاله الظروف وتعطيل سلطة الملك الدستورية في هذا اليوم يقول: إن جلاله الملك هو الذى أمره تحت تأثير الظروف وبعد المشاورة والتردد وفى الختام يؤكد

كتاب تذكارى

النحاس باشا إنه ما قبل الحكم إلا لمصلحة مصر.

ومما لا شك فيه أن النحاس كان يدرك بذكائه السياسى الذى يكون نقمة فى بعض الأحيان أن الإئتلاف الوزارى بين الاحزاب لن يصمد أمام خلافاتهم وانقساماتهم المعهودة وقد علمته التجارب ذلك.. ودخول عناصر لا حزبية يرشحها القصر لفرض سيطرته على المجلس قدر المستطاع بالإضافة لشعوره بأنه الاجدر دستورياً لأنه زعيم الأغلبية ومن ثم فهو الأحق بتأليف الوزارة.. ولكن من الحكمة أن يتغابى الإنسان إذا اقتضى الأمر.. ويتجاوز بعض الأمور التى يعلم تماما أنها خاطئة لأن فى تصحيح أوضاعها إهدار لمسلمات دستورية وغير دستورية أخرى قد تكون أشد فتكاً من الوضع الخاطئ ذاته.

وهو ما حدث بالفعل.. ربما يرجع ذلك لطبيعة الرجل.. فالنحاس شخصية سياسية كانت تمتلك الحد الأقصى من المباشرة والتعبير عن مشاعرها حتى ولو كانت سلبية فهو إنسان ريفى بسيط معظم تصرفاته كانت تنبع عن قناعة ذاتية فلا يوجد أبلغ من قول الشاعر لحسم موقف النحاس:

ترفع عن ظلمى إن كنت بريئاً

وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً

ترفعنا وعفونا يا صاحب المقام الرفيع يا خليفة سعد ولكن ماذا كان رد فعل الرأى العام؟ لم تشر الصحف إلى الحادث نظراً لظروف الحرب وفرض الأحكام العرفية.. لكن الشعب المصرى علم بإهانة الإنجليز للملك رمز سيادة البلاد.. كما أذاعت محطة برلين.. وكان معظم المصريين يستمعون إليها تفاصيل الحدث بالكامل.. وقد زاد الطين بلة أن لامبسون قام بزيارة النحاس فى مكتبه فى مبنى رئاسة الوزراء وقد احتفى به شباب الوفد وحملوه على الأكتاف فى ساحة مجلس الوزراء!! الأمر الذى أشعل النار وأثار الاحقاد والضغينة تجاه حكومة الوفد.. التى أنبرت صحيفتها - المصرى - تشيد بوطنية النحاس دون أن تشير للحادث بصورة مباشرة وتؤكد أن النحاس رفض الاشتراك فى وزارة قومية لأن هؤلاء - على حد تعبيره - هم أعداء الديمقراطية يتشدقون بأنهم خدام الأمة ولكنهم فى الواقع مخربين. دعونا إذن نعمل فى هدوء فالمهام جسام والوقت يمر مر السحاب!!



ويرى جلال الدين الحمامصى - أحد أبطال الكتاب الأسود - «إن سحب الإنذار الإنجليزى هو الفصل الأخير فى رواية ٤ فبراير لإرضاء الجماهير التى لا تستهويها النهايات الحزينة فى المسرحيات.

أما السياسى الوحيد الذى أصدر بيانا هاجم فيه مصطفى النحاس رئيس الوزراء والحاكم العسكرى فهو د. أحمد ماهر (رئيس الهيئة السعدية) التى انشقت عن الوفد.. حيث كتب خطابا إلى النحاس يسأله هل يجرؤ على نشر الإنذار البريطانى إلى الملك «ألستم تدعون كل يوم أنكم أنقذتم الموقف ومنعتم الكارثة أنشر نص الإنذار يا صاحب المقام الرفيع.. لقد أملى الإنجليز اسمك إملاء ولم يسجل تاريخ الحكم أخزى منه ولا أذل من أجل الحكم وسلطته طار لب رفعتكم.. استتر بالحكم العرفى.. فإن حكم التاريخ لا فرار منه».

أما السياسى الكبير عبدالعزيز باشا فهمى فكانت له عبارة مأثورة أطلقها خصيصاً حين تألفت حكومة الوفد (لا تجزعوا.. فإن الفلك دوار).

ويدلى أنور السادات بدلوه من وجهة نظر مختلفة فهو يرى أن أحمد حسنين استمر بعد ٤ فبراير على اتصال دائم بالإنجليز لكى يكسب ثقتهم ويقضى لهم مصالحهم كالوفد تماما.. فقد أراد حسنين أن يصبح بطل ٤ فبراير الجديدة ولكن بدون دبابات.

وهكذا تجلى الموقف كما لو كان عرضاً مسرحياً.. يلعب فيه كل فرد دوره بعناية فائقة فوق خشبة مسرح أنيق.. حتى شاعرنا الكبير كامل الشناوى يصف الحادث من وجهة نظره ويقول إنه ينطبق عليه قول القائل ما قال لا إلا فى تشهده لولا تشهده لكانت «لاؤه» نعم ويستمر فى سخريته: سيسجل التاريخ أنه أتى على مصر حين من الدهر كانت بلا حكومة لأن رجالها يتناقشون وسيقول التاريخ وإنه منذ ذلك الحين ألغى استعمال المثل المعروف مناقشات بيزنطية.. وحل محله «مناقشات مصرية»!!!

واقتنع جلالته عملياً أن الأحزاب لن تجتمع لمصلحة وطنية عليا.. أما محبة الشعب ومكانته آنذاك فلم تعبأ بهما بريطانيا كثيراً ومنذ ذلك اليوم فقد إيمانه بجدوى تحمل المسئولية فى عز شبابه (٢٢ عاماً) وأبناء الأسرة المالكة حوله يتمتعون بكامل حريتهم يعيشون سنوات شبابهم بعيداً عن كل هذه المهاترات التى أهمته بالوراثة وتأكد إنه لن يستمر فى حكمه إلا إذا أمن شر إنجلترا مثل أجداده.. فعليه أن يحتفظ بوطنيته لنفسه إذا أراد المحافظة على عرشه أما رد فعل الشعب فباستثناء فرقة الجيش الموسيقية التى ذهبت ١١ فبراير (عيد ميلاده) إلى ميدان عابدين تعبر عن شعورها وولائها فقد كان الشعب يقف موقف المتفرج ويستمع إلى القصة كما لو كانت من قصص أبو زيد الهلالى وقد استغرقته مشاكله اليومية ومعاناته الحياتية وظلم الأقلية.. فأصبح بمرور الأيام أشد بأساً وإيماناً ولكنه أسهل انقياداً نتيجة لتحمله الإستبداد الإنجليزى المزمن الذى جعل الأغلبية مضطربة فقط لكنها لا تثور.. ويسهل فى أحيان كثيرة قمع هذا الاضطراب ألم يقل شاعرنا عبدالله النديم يصف صبر شعب مصر على الشدائد:

إذا ما الدهر صافانا مرضنا

وإن عدن إلى خطب شفينا

لنا جلد على جلد يقينا

فإن زادوا البلاء زدنا يقينا

وفى ٦ فبراير ١٩٤٢ شكل النحاس أشهر وزارة مصرية ومن أبرز الشخصيات التى دخلت الوزارة مكرم عبيد باشا (الملقب بابن سعد البكر) وزيراً للمالية.

ولسنا بحاجة للإفاضة عن شعور الملك تجاه هذه الوزارة بصفه عامة والنحاس بصفة خاصة.. فقد ظل يحمل له الكراهية والحقد ولم يهنأ إلا بإقالة الوزارة فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ بهذا الخطاب التاريخى عزيزى مصطفى النحاس: «لما كنت حريصا على أن تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق أحكام الدستور وتسوى بين المصريين جميعاً فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات الشعب، فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أمكنكم أداؤه من الخدمات اثناء قيامكم بمهمتكم.

«فاروق الأول»

والسؤال الذى تثيره هذه الإقالة، والتى تؤكد فشل الوزارة فى توفير الغذاء والكساء والمساواة بين طبقات الشعب وهل كانت هناك حقاً تفرقة بين المصريين من قبل حكومة الوفد.. وكيف يكون ذلك.. من حزب الأغلبية الذى أصر على الإنفراد بتشكيل وزارة وفدية أبان أزمة ٤ فبراير.. فما الذى حدث ؟

بداية نذكر القارئ أن النحاس قام بتشكيل وزارته فى ظل إعلان الأحكام العرفية بالبلاد نظراً لظروف الحرب منذ عام ١٩٣٩ وقد عارضها فى عهد وزارة على ماهر ولكن الإعتراض شئ والتنفيذ شئ آخر على حد تعبير سعد زغلول فقد استغلت حكومة الوفد هذه الأحكام بصورة سلبية اساءت لسمعة الحزب العريق فقامت بإعتقال خصومها وفرضت الرقابة على الصحف واعتقلت المدنيين الذين يكنون العداء للوفد لإختلاف صبغتهم الحزبية أو الأيديولوجية.. وانتشر فى عهد هذه الوزارة المحسوبيات والاستثناءات بصورة لم تعهدها مصر من قبل فى أية حكومة من حكومات قبل الثورة.. فيكتب العملاق عباس العقاد كاتب الوفد الأول حتى عام ١٩٣٥ قبل انشقاقه عنه بعد أن ظل عشرين عاماً كاتبه الأول ومن أهم مقومات نجاح الحزب (لقد خلقت الوفد بسن قلمى) قبل أن يخرج عنه ويصف أعضائه «بانهم طلاب مناصب يتشاجرون على الوزارة ولا يتشاجرون على الحقوق والنصوص وقد خيل إليهم أنهم استعبدوا الناس فلا معارض لهم.. وهكذا تطورت الحركة الوطنية إلى الوفد والوفد تطور إلى زعامة والزعامة تطورت إلى الزعيم ويرى أن الحزب تغير على الأمة.. لكنه استكبر أن تتغير عليه الأمة وفى النهاية فالعقاد يشهد أنهم أخطر على مصر من الإحتلال البريطانى لأن الاحتلال يحكمنا غاضبين.. لكن الوفد يمهد له قانعاً شاكراً فقد أصبحت قوة النحاس باشا المستعارة من الأمة لازمة للإنجليز لإخضاع الشعب وهكذا أصبحت الزعامة طغيانا علينا واستسلاماً لغيرنا على الرغم من أنها زعامة خلقتها الأمة وما أفلست مصر حتى يكون خير من فيها مصطفى النحاس ولئن أفلست لقد جلت مصيبتها على العزاء وبطلت حاجتها إلى الزعماء «بدأنا بسعد وغاب الإمام فمن شاء فليحسن المختتم» هذا المقال النارى الذى كتبه العقاد فى مجلة روزاليوسف عام ١٩٣٥ لم يعدل حرفاً واحداً فيه حتى أكتوبر ١٩٤٤ تاريخ إقالة الوفد ولكنه رأى

من الأمانة ان يضيف إلى وزارة ٤ فبراير حزمة جديدة من الموبقات الوفدية فيقول: من عبث القول أن نشير إلى نزاهة الحكم فى عهد أناس يحصى لهم عشرة آلاف استثناء فى وظائف الحكومة وحدها.. كانت الرشوة فى عهدهم تطلب فى الطرقات ومكاتب السمسرة تدار علانية فى العواصم والأقاليم».

ويسجل التاريخ لهذه الوزارة أيضاً ظاهرة فصل بعض الموظفين وإحالتهم إلى المعاش ومن أبرز الشخصيات التى تعرضت لهذا الإجحاف الدكتور عبدالرازق السنهورى وكيل وزارة المعارف آنذاك والذى عهد إليه فيما بعد بوضع القانون المدنى وهو واحد من أعظم رجالات القانون الذين عرفتهم مصر فى تاريخها الحديث!!

أما الواقعة السياسية الفريدة غير المسبوقة لهذه الوزارة فتتمثل فى اعتقال صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء لصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا (رئيس الوزراء السابق).. كنا ذكرنا أن السفير لامبسون طلب من حكومتى حسن صبرى وحسين سرى اعتقال على ماهر لأن له نشاطا ضارا بالجهود الحربية البريطانية ولديه ميول محورية يبثها بين أتباعه ومريديه من شباب الجامعات وأعضاء جمعية الشبان المسلمين التى كان يرأسها صديقه صالح حرب.. وكان طبيعياً أن يطلب لامبسون من النحاس نفس الطلب ويتشدد هذه المرة فى تنفيذه فقد أضحى روميل قاب قوسين أو أدنى من الاسكندرية خاصة بعد سقوط طبرق التى كانت حصن الحلفاء المنيع.. فى البداية طلب النحاس من على ماهر أن يوقف نشاطه السياسى والاجتماعى حتى ينتهى الخطر وتضع الحرب أوزارها.. لما كان يعلمه من عصبية بريطانيا وعدم ترددها فى الإقدام على أى عمل إذا ساورتها أى شكوك - مجرد شكوك بأنه يهدد مصالحها وبالفعل امتثل على ماهر للنصيحة على مضض ومن المفارقات أنه كان أول حاكم عسكرى وهو الذى أعلن الأحكام العرفية بمجرد اشتعال الحرب وهو تلميذ سعد ورأس الحربة فى قصر عابدين يذكره النحاس بكل خير إذا أراد مراجعة مبادئ ميكافيللى الهامة لأى سياسى وتحديداً عند إقالة وزارته عام ١٩٣٧ بإيعاز من رفعته للملك.. وقرر على ماهر السفر إلى «القصر الأخضر» الذى كان يمتلكه فى منطقة الحمام على طريق الاسكندرية - مطروح وفرضت الحراسة على القصر من الخارج وفى احدى المرات وأثناء قيام ابنه بزيارته غافل على ماهر حراسة وتسلل من الباب الخلفى وهرب إلى منزل صديقه مصطفى الشوربجى - أحد أعضاء مجلس النواب - وظل مختفياً لمدة اثنى عشر يوماً.. ثم يكتشف البوليس مخبأه ولكنه يرفض الامتثال لأوامرهم ويصحبه صديقه فى سيارته الخاصة ويتوجهان إلى مجلس الشيوخ.. وتصل الأنباء إلى النحاس ويصدر أوامره بعدم انتهاك حرمة البرلمان ويطلب على ماهر الكلمة من رئيس مجلس الشيوخ محمد محمود خليل لكن الأخير يرفض ويثور أعضاء البرلمان وتنتشر أحاديث الممرات والطرقات وتطرح قضية الحصانة البرلمانية دستورياً فى واقعة غير مسبوقة منذ إعلان الدستور ويتهكم فكرى أباظة الحكومة علانية ويتساءل عن سلامة الدولة فى إبعاد على ماهر على مقربة من الإسكندرية «أين السلامة فى هذا وهل الرجل قام بما يستوجب العقاب والمحاكمة هل أثبتت الحكومة واقعة خيانة أو جريمة تتعلق بإفشاء أسرار البلاد» وفى النهاية يتم إلقاء القبض على صاحب المقام الرفيع على ماهر ويتم ترحيله إلى سجن الأجانب.. ويطل حسين سرى برأسه وتتكشف الحقائق من خلال الوثائق البريطانية التى تفضح المؤامرات التى كانت تتم بينه وبين السفير للتخلص من على ماهر ويوضح سرى للسفير «أن النحاس لن يقبل بتولى سرى رئاسة الديوان ما لم يتم التخلص من على ماهر» ويخفف من عناء على ماهر أن الحكومة البريطانية ممثلة فى لامبسون أصدرت أوامرها أيضا باعتقال النبيل عباس حليم والأميران «عمر الفاروق» و«محمد طاهر» لميولهم المحورية أيضاً فقد كان لامبسون يحاسب الشعب على مشاعره الإيجابية تجاه المحور فظل يشعر بالحقد والضغينة طوال فترة الحرب.. ليته أخذ بنصيحة تاليران الوزير الفرنسى لنابليون حين أبصره بأنه يستطيع أن يفعل أى شيء بالحراب لكنه لن يستطيع أن يجلس فوقها وهى الحقيقة التى لم يؤمن بها أى مستعمر يستند إلى القوة العسكرية فقط ويغفل دور أى مقاومة شعبية!!

ولكن هل يعنى هذا أن حكومة النحاس لم تكن لها إنجازات إيجابية.. إحقاقاً للحق فقد قامت هذه الوزارة ببعض الإنجازات الحيوية أهمها: إنشاء ديوان المحاسبة - مجانية التعليم الابتدائى - وأصدرت عقد العمل الفردى وقانون نقابات العمال - وقانون تخفيض الضريبة عن صغار الملاك.. بالاضافة لبعض الانجازات الأخرى وعلى المستوى القومى فيحسب لهذه الوزارة أنها وقعت بروتوكول إنشاء جامعة الدول العربية فى أول أكتوبر ١٩٤٤ ولكن عقدة ٤ فبراير ظلت تطاردها وخاصة بين أعضاء الأحزاب وطلائع ضباط الجيش ضد مقاومة الإحتلال ويروى المشير عبدالحكم عامر ذكرياته عن هذه الحكومة وشعورهم بالمرارة والألم تجاهها.. فيقول أنهم اجتمعوا فى إبريل ١٩٤٢ فى نادى الضباط واختاروا من بينهم هيئة تمثلهم من جميع الأسلحة كان من بينهم الصاغ صلاح سالم - وتوجهوا إلى القصر لمقابلة أحمد حسنين «رئيس الديوان» وعرضوا عليه القيام بأى شئ وأنهم جميعاً رهن الاشارة!!! فشكرهم أحمد حسنين ووعدهم بالاتصال بهم عند الضرورة. ولم تتوقف جهودهم عند هذا الحد وقرروا القيام بمظاهرة ضد الحكومة وانتهزوا فرصة قيام الملك ورئيس الوزراء مصطفى النحاس بأداء فريضة الجمعة فى مسجد الرفاعى.. فقام أحد الضباط بإلقاء حذائه على النحاس بينما كان يغادر المسجد ويضيف عامر: للأسف فالحذاء لم يصب النحاس لكنه أصاب الوزير الذى كان يسير إلى جواره وهكذا وقع أضطراب وحاول البوليس إلقاء القبض على الضابط لكننا أخفيناه.. إلا أن هذا الضابط ألقى القبض عليه فى النهاية فبذلنا جهودنا حتى لا تتم محاكمته واكتفى وزير الحربية بالاستغناء عن خدمته!!!

وخلاصة العلاقة بين الملك والنحاس يمكن تجسيدها فى هاتين الواقعتين الأولى عام ١٩٤٣ حين أصيب الملك بشرخ فى الحوض فى حادث القصاصين أثناء قيادته سيارته المرسيدس التى أهداها له هتلر ووقع حادث التصادم بين سيارته وسيارة لورى ضخمة تابعة للجيش البريطانى.. تم نقله على أثرها إلى مستشفى الجيش بالقصاصين لعلاجه وهناك تعرفوا على شخصه وأنقلبت الدنيا وتعاطف الشعب معه بصورة بالغة ربما ازعجت الوفد الذى التصقت به تهمة الانتهازية الوزارية من الاحزاب الأخرى وهكذا جاء حادث القصاصين رصاصة فى قلب الوفد الذى لم يحضر رئيسه لزيارة الملك إلا فى اليوم التالى.. وحيل بينه وبين مقابلة الملك الكسير ولم يتم اللقاء التمثيلى الفاتر إلا بعد مرور عدة أيام.



والواقعة الثانية حدثت أثناء وجود الملك أيضا فى المستشفى حيث أذاعت الانباء خبر اعتزام تشرشل وروزفلت وشان كاى شيك رئيس الصين لعقد إجتماع زعماء الحلفاء فى مصر وكان طبيعياً أن يطلب الملك من رئيس الوزراء التقدم لزعماء الحلفاء بمطالب مصر القومية والتأكيد على دورنا الإيجابى فى معاونة الحلفاء أثناء الحرب مقابل الاستقلال التام ولكن الإقتراح عهد به إلى بعض السياسيين وقام إسماعيل صدقى بكتابة المذكرة المطلوبة بالفرنسية. ومن الطريف والمؤسف أيضا انه شاهد صورة فى أحدى المجلات لأم كلثوم مع غريمه النحاس وزوجته فغضب عليها على الرغم من محبته لها وإنعامه عليها بنيشان الكمال اثناء حضوره حفلتها فى النادى الأهلى حيث شدت أمامه «يا ليلة العيد» وقد ذهب إلى الحفل نكاية فى حزب الوفد الذى امتنع عن إذاعة القرآن الكريم من قصر عابدين فى شهر رمضان كما جرت العادة.

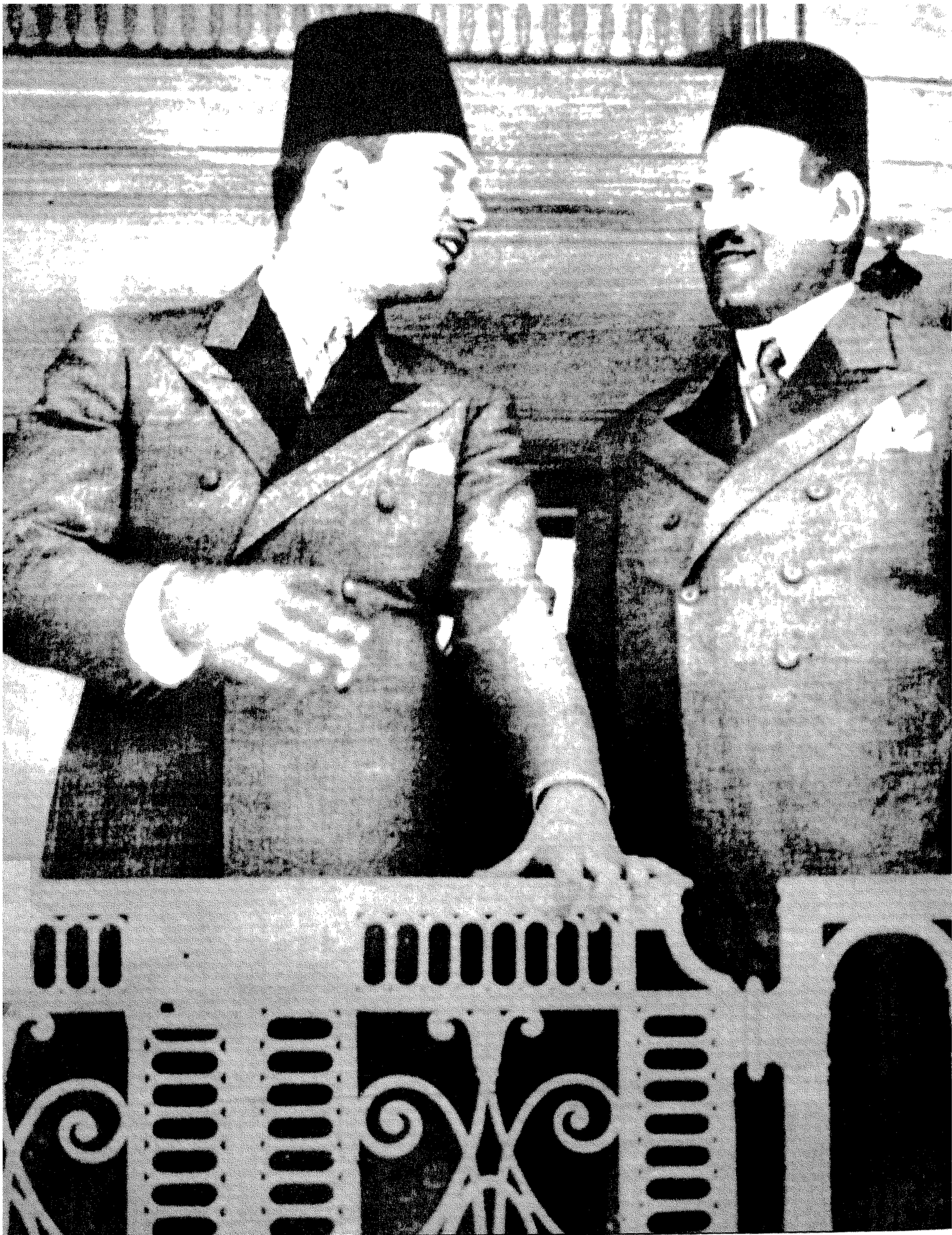
أما مسك الختام أو بمعنى أصح القشة التى قصمت ظهر البعير فوقعت فى سبتمبر ١٩٤٤، حيث توجه الملك بصحبة حاشيته لأداء الجمعة اليتيمة وفى الطريق لاحظ وجود لافتات كتب عليها (عاش الملك.. عاش النحاس) فأمر بإزالتها فوراً واستدعى مدير الأمن العام فى الحال وطلب منه التخلص منها أثناء عودته من الصلاة ونظراً لضيق وقت الصلاة لم يتمكن مدير الأمن العام من الإتصال بوزير الداخلية وتصرف من تلقاء نفسه ونفذ الأوامر الملكية... ومن ثم تم إيقافه عن عمله بناء على تعليمات النحاس وحدثت أزمة بين القصر والوزارة.. عاد على أثرها الرجل إلى عمله ولكن وزارة النحاس ذهبت ولم تعد!!

ولكن من هو مصطفى النحاس الذى تساءل فاروق عنه فى دهشة عندما كان صبياً: مين الراجل ده أنا بشوف صوره كتير فى الجرائد ؟!■


كتاب تذكارى



السفير الإنجليزى مايلز لامبسون هو آخر مندوب سامى بعد كرومر وجورست وكتشنر وماكسويل وونجت واللبنى ولويد جورج وبرسى لورين وأول سفير يمثل بلاده فى مصر عقب توقيع معاهدة الود والصداقة مع بريطانيا عام ١٩٣٦ وهو سياسى محنك كان يطلق على فاروق لقب «ولد» فى الوثائق البريطانية.. قيل عنه إنه أكثر الإنجليز طولاً وأكفأهم فى السلك الدبلوماسى.. كان الحاكم الفعلى فى مصر مثل بقية أسلافه



حين أكمل فاروق السادسة عشرة كان مصطفى النحاس يقترب من السابعة والخمسين.. وبحسن نية وأبوة حانية يربت على كتف فاروق مواسياً أنه مثل والده فسيجد المساندة والعون ولم يكن الملك يرضى عن هذه النظرة فهو صاحب العرش وأكبر رجل فى الدولة على الرغم من صغر سنه



حادث ٤من فبراير ١٩٤٢ واحد من أهم المواقف التى ترتبت عليها تداعيات سياسية فاصلة أثناء فترة حكم فاروق.. حيث فرضت بريطانيا على الملك تعيين مصطفى النحاس رئيسـاً للوزراء وهددته بفقدان عرشه



بعض الكتابات أشارت إلي الغيرة التى كان يشعر بها الملك فاروق من الشعبية التى كان يحظى بها النحاس

تعامل فاروق مع النحاس أثناء رئاسته وزارة ١٩٤٢ سياسياً لكنه ظل يكرهه أفلاطونيا



تشرشل كان لديه انطباع عن
فاروق بأنه شخصية تافهة وأنه
ليس صديقاً لبريطانيا وهى
شهادة تاريخية تنفى اتهامه
بالعمالة الإنجليزية والخيانة
الوطنية بالرغم من كل مساوئه
وسلبيات عهده

كان السفير البريطانى محاطا باعوانه
المخلصين من السياسيين المصريين
وكانت تهمة العمالة الإنجليزية هى
كعب أخيل السياسة المصرية آنذاك
وقد أصابت الوطنيين والمنتفعين
وأشهرهم أمين عثمان صديقهم الأوفى



السفير البريطانى
الذى سحب فاروق كل
المخصصات
والامتيازات الممنوحة
له عقب تغيير لقبه
ومنصبه من مندوب
سام إلى سفير من أجل
تأكيد الاستقلال
الوطنى فظل يكره
فاروق طوال فترة
تواجده فى مصر



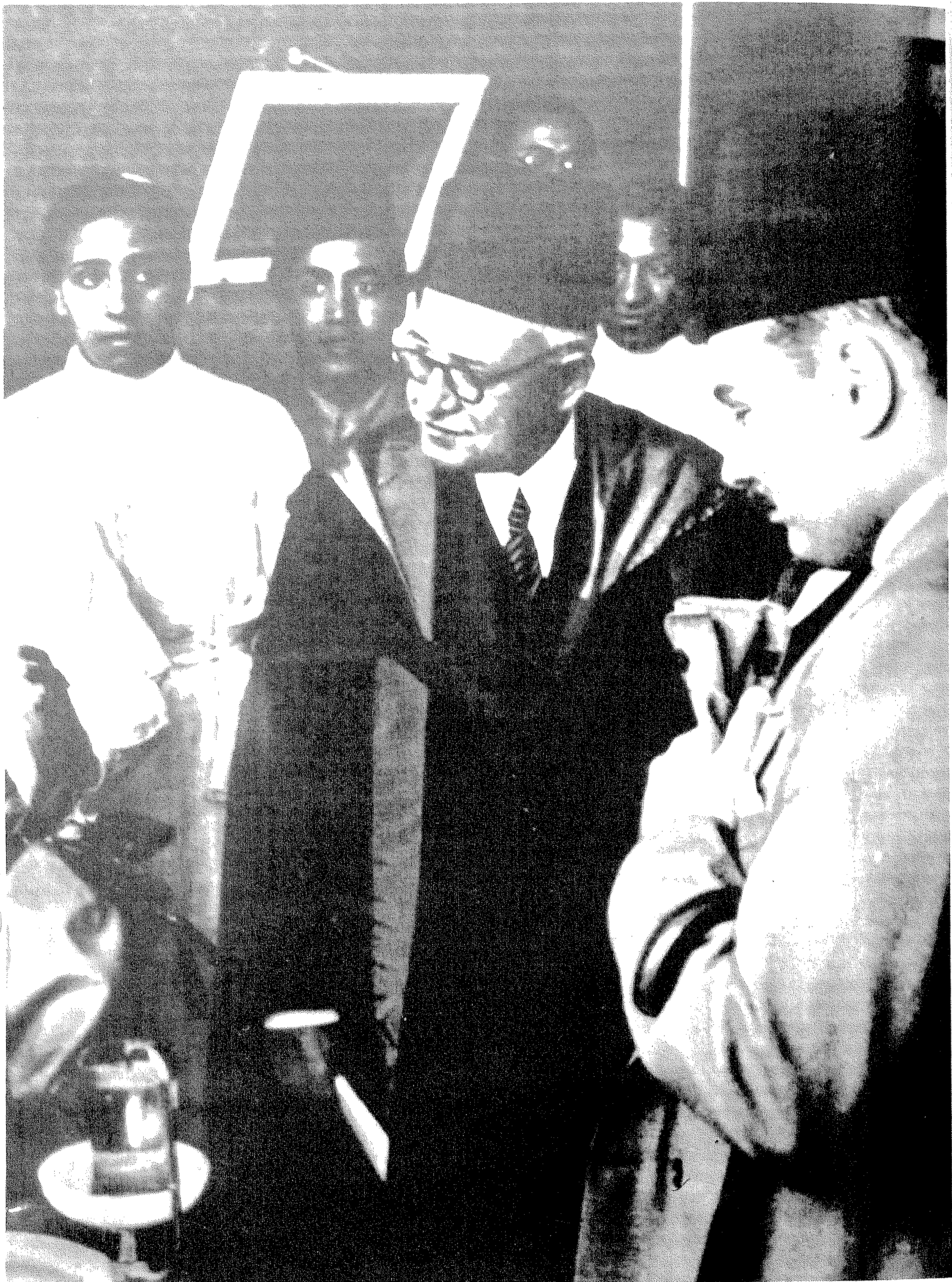
الواقعة
السياسية
الفريدة لهذه
الوزارة تتمثل
فى اعتقال
صاحب المقام
الرفيع مصطفى
النحاس
لصاحب المقام
الرفيع على ماهر
نظرا لميوله
المحورية بناء
على طلب
بريطانيا



يروى المشير عبدالحكيم عامر ذكرياته عن تلك الحكومة فيقول: إنه هو وزملاؤه انتهزوا فرصة قيام الملك والنحاس بأداء فريضة الجمعة في مسجد الرفاعى فقام أحد الضباط بإلقاء حذائه على النحاس.. لكنه لم يصبه وأصاب الوزير الذى كان بجواره فتم إلقاء القبض عليه واكتفى وزير الحربية بالاستغناء عن خدمته ولم تتم محاكمته



حادث ٤ فبراير يمثل نقطة فاصلة فى حياة فاروق وفترة حكمه حيث شعر بعدم الأمان وبدأت تظهر بوادر استخفافه ولا مبالاته طالما أن بريطانيا يمكنها عزله إذا أرادت بالرغم من شعبيته آنذاك



الملك يفتتح المستشفى الجامعى بالمنيل عام ١٩٤١
وفى الصورة د. نجيب محفوظ الذى سُمِّىَ على اسمه أديب نوبل نجيب محفوظ



زينب الوكيل حرم النحاس تنحنى بطريقة التمنيات التركية أمام الأميرة فائزة..
والأميرة نسل شاه فى أقصى اليسار



مصطفى النحاس.. وريث زعامة الوفد!

حزب الوفد جذوة الوطنية المشتعلة.. رائد الوحدة.. صنيعة سعد.. حزب الأمة الذى تصدى لديكتاتورية فؤاد وفاروق.. ترمومتر الشارع المصرى والقوة المعادلة لجميع أحزاب الأقلية والأغلبية.. رحل سعد غير جازع تاركاً الوفد أمانة فى عنق من يصونه.. ربيب ثورة ١٩١٩، رفيق المنفى، الريفى السمنودى البسيط.. المحامى الضليع الذى كان يرى أن أتعاب المحامى فى رضاء ضميره.. الخطيب البليغ والمفاوض الفريد.. يرتدى الردنجوت الفضفاض يحرره من القيود الشكلية.. طيب القلب حين يتحدث بعصبية.. السياسى المتمرس وقت الأزمات.. البرلمانى الماكريلبد فى شواشى الذرة الحزبية لكى يفاجأ خصومه فمن الصعب أن ينال منه أحد.. رئيس الحزب العريق بما يمثله من زعامة شعبية هيأت له استحقاق كل هذه الألقاب الذهبية: صاحب المقام الرفيع والرئيس الجليل، زعيم الشعب وخليفة سعد.. مصطفى النحاس.

ولد فى سمنود عام ١٨٧٩ (العام الذى خلع فيه الخديو إسماعيل) وهو أحد أبناء الشيخ محمد النحاس تاجر الأخشاب البسيط.. فى العاشرة من عمره ظهر نبوغه.. حينما استطاع أن يحفظ كشف الحروف الهجائية ومصطلحاتها التلغرافية من خلال تردده على مكتب التلغراف.. وخلال يوم واحد استطاع أن يحفظها عن ظهر قلب فتنبأ والده بنبوغه وذكائه وقرر أن يستكمل ابنه دراسته فى مدرسة الناصرية الابتدائية بالقاهرة التى كان يتولى نظارتها آنذاك أمين سامى باشا الذى لمح بدوره تفوق الفتى الصغير.. فكافأه بمنحة مجانية تعليمية خلال دراسته فى المدرسة الخديوية التى أنتقل إليها.. وفى إحدى المرات يقرر اللورد كتشنر - المندوب السامى - زيارة المدرسة ويقع اختياره على بعض الطلاب لإلحاقهم بالكلية الحربية ويرفض مصطفى النحاس هذا العرض فى عزة وكرامة بصورة أثارت دهشة أقرانه!!

ويتخذ قراراً حاسماً بإستكمال دراسته فى مدرسة الحقوق ويستكمل مسيرة تفوقه ويتخرج عام ١٩٠٠ وتظهر بوادر الزعامة الشابة وميوله للأفكار التحررية والثورية التى لا تقبل الأمر الواقع كمسلم حتمى.. فيقيم حفلا لزملائه بمناسبة تخرجهم ويناقشهم فى مستقبلهم المحبط.. فكيف سيقبلون العمل بعد تخرجهم فى كلية الحقوق كتبة فى النيابات بمرتب شهرى قدره خمسة جنيهات.. ويقترح عليهم مقاطعة الوظائف الحكومية ويكون هو أول الرافضين.. ويعلم المندوب السامى بأخبار هذا الإجتماع فيتصل بهم عن طريق ناظر مدرسة الحقوق ويوفد إليهم مندوباً وتنتهى أول مفاوضات يخوضها النحاس فى حياته مع دار المندوب السامى بتعديل وظائف خريجى الحقوق وتعينهم فى وظائف «مساعدى النيابة» براتب قدره عشرة جنيهات شهرياً.. ومن الغريب أن النحاس اكتفى بتحقيق هذا النصر الطلائعى لزملائه.. لكنه قرر ألايعمل فى النيابة والتحق محامياً بمكتب محمد فريد بك «رئيس الحزب الوطنى» فتدرب على أصول المهنة وقواعدها فنهل من نبع وطنى صاف كان له دور كبير فى تدعيم قيمه



ومبادئه الوطنية الرفيعة.. ثم عمل محامياً بالمنصورة ذاعت شهرته فى الوجه البحرى.. ولم يمض وقت طويل.. حتى وجد نفسه منخرطاً فى السلك القضائى.. قاضياً.. عادلاً رصيناً لايخشى فى الحق لومة لائم ثم عين فى ميت غمر ويزداد إعجابه بسعد زغلول وزير المعارف ذلك الطراز الجديد من الوزراء الذين كان ينعتهم الإمام محمد عبده (بأنهم ليسوا صماً بكماً) مثل بقية الوزراء وتشاء الأقدار أن ينتقل النحاس إلى القاهرة قاضياً بالمحكمة الأهلية.. التى تتبع سعد زغلول الذى أصبح وزيراً للحقانية.. ويختلف النحاس مع رئيس الدائرة ويترامى الخلاف إلى مسامع سعد.. فيرسل فى طلب النحاس ويمتثل أمامه يروى روايته وسبب خلافه وحين يفرغ من حديثه يبتسم زعيم الأمة وينصحه بأبوة وعطف شديدين: «يا بنى لاتتشدد مع زملائك.. ويطاطىء رأسه فى خجل وتأمل.. ويقول لاتكن مثلى» ويندهش النحاس وباندفاع الشباب يدافع عن موقفه: إننى لا أستطيع الملاينة والمهادنة فى الحق.. يبتسم سعد ويقول: حاشا لله أنا لا أقول لك غير ذلك.. ولكنى أطلب منك الملاينة مع زملائك.. وما أبرىء نفسى من هذا العيب.. فأنا مثلك أتشدد مع زملائى وأحياناً تصل عصبيتى إلى الذروة حتى كدت أضرب أحد زملائى المستشارين وحين أخلو بنفسى أندم أشد الندم على هذه الحدة والعصبية!!

وتشتعل شرارة الحب وتتفاعل كيمياء المحبة والقبول وتتحالف حكمة الشيوخ مع قوة الشباب والاندفاع مع الأناة، والحماسة مع الإيمان والشجاعة والاعتدال.. قطبان متحدان يعملان على ضبط النفس واحتفاظ الحزب بتوازنه الانفعالى.. فتكتب له الزعامة الوطنية بلا منازع لأكثر من ثلاثين عاماً.. ويتم اعتقال سعد ونفيه إلى مالطة ويسافر النحاس حاملاً منشوراته الثورية.. وحين تشتعل ثورة ١٩١٩يساهم مع زملائه فى تنشيط إضطرابات العمال التى كانت سبباً فى الإفراج عن سعد ثم يقرر السفر إلى باريس للاشتراك معه فى مؤتمر السلام وتعلم الحكومة بنشاطه الثورى وتقرر فصله من السلك القضائى وإحالته إلى المعاش وفى عام ١٩٢١ينفى مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشيل إلى أن تم تعينه سكرتيراً للوفد.. ثم رئيساً له بعد وفاة زعيم الأمة سعد زغلول عام ١٩٢٧ ومنذ ذلك التاريخ تفرغ النحاس للقضية الوطنية وخلال حكم الملك فؤاد تولى رئاسة الوزارة مرتين.. أخذ على عاتقه الدعوة والجهاد لعودة دستور ١٩٢٣ والمطالبة بعودة الحياة البرلمانية واستقال عام ١٩٣٠ حين رفض الملك فؤاد صدور قانون بمحاكمة الوزراء. ومن الملاحظ أن التركيبة الاجتماعية للحزب قد تغيرت بعد وفاة سعد فأصبح يضم كبارك الملاك الزراعيين وظلت هذه السمة تلازمه حتى قيام الثورة.. لكن البرجوازية الوفدية كانت هى النواة الصلبة التى تراكمت حولها مختلف الطبقات الشعبية والريفية.. وبذلك اتسعت عباءة الوفد حتى ضمت كل عناصر الأمة.. ومن ثم أصبح هو حزب الأمة.

فإذا استرجعنا الانشقاقات الرئيسية فى تاريخ الحزب سنذكر الإنشقاق الأول على زعامة سعد أثناء خلافه مع عدلى يكن عام ١٩٢١، حيث أصدر بعض أعضاء الوفد بيانا عارضوا فيه موقفه فقام سعد بفصلهم (محمد محمود - حمد الباسل - لطفى السيد - محمد على علوبة - حافظ عفيفى - عبدالعزيز فهمى - على شعراوى).

أما الانشقاق الثانى فحدث عام ١٩٣٢.. حيث وقع الخلاف بشأن فكرة تشكيل حكومة ائتلافية للتفاوض مع بريطانيا لاستكمال مفاوضات عام ١٩٣٠ وفى هذا الانشقاق استقال «فتح الله بركات - فخرى عبدالنور - مراد الشريعى» على أن هذين الانشقاقين لم يضعفا من هيكل الحزب المتين.. فقد أستمر الوفد منذ بزوغه فى سماء الأمة هو لسان حالها وراعى مصالحها والمطالب بحقوقهايجد كل الدعم والمساندة من كل فئات الشعب حتى الذين لاينتمون للوفد.. لقد فوضته الأمة.. واستمر الحال هكذا حتى تم توقيع معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا عام ١٩٣٦ وأطلق على النحاس «أبو المعاهدة» نتيجة لدوره الفعال فى التفاوض وبمقتضاها تم جلاء القوات البريطانية عن القاهرة للمرة الأولى منذ عام ١٨٨٢ مع احتفاظهم ببعض الوحدات العسكرية - فى منطقة القناة.. ومن الطريف أن أعداء الوفد ومعارضى المعاهدة كانوا يهاجمون الوفد من منطلق قانون الحزب ذاته ويستندون إلى المادة الرابعة من قانون تأسيسه والتى تنص على الآتى: «يقوم الوفد مادام العمل الذى أنتدب لأجله مازال قائماً وينقضى بانقضائه». أى أن دور الحزب انتهى من وجهة نظرهم بعد توقيع المعاهدة وعمليا فإن توقيع المعاهدة ترتب عليه تلاشى دور أحزاب الأقلية التى كان يستخدمها القصر ويسخرها لأغراضه ومن ثم أصبح الوفد هو عصا موسى التى ابتلعت الحيات الصغيرة ولكن حزب الوفد الذى تزعم منذ نشأته صدور الدستور وقضية الاستقلال.. أصبح بعد توقيع المعاهدة يبحث عن دور جديد على الساحة السياسية.. ولم يكن هناك دور افضل من الزعامة التى أدمنها الحزب العريق عبر تاريخه.. على الرغم من اختلاف زعامة النحاس وهى زعامة أقل تأثيراً من زعامة سعد إلا أنها كانت تفى بالغرض.. على أن المخزون الأكبر من طاقة الحزب تبددت فى مهاترات وخصومات سياسية !! ولكن فى عام١٩٣٧، يقع صراع مؤثر داخل الوفد ينتهى باستبعاد محمود فهمى النقراشى الذى وصفته «التايمز» بأنه العقل المدبر والقوة التنظيمية للحزب.. وتفوح شبهة فساد سياسى وأزمة نزاهة ويتلخص الموضوع فى اعتراض النقراشى على اختيار شركة إنجليزية محددة لتنفيذ مشروع خزان أسوان دون طرحه فى مناقصة عالية نظراً لضخامته وتكاليفه الباهظة.. كماأخذ على وزارة الأشغال عدم دراسة الموضوع بصورة جيدة تمهيداً لعرضه على الخبراء وتفاصيل أخرى عديدة.. لكن المؤرخ د. عبدالعظيم رمضان نبهنا إلى الخطأ المتكرر الذى وقع فيه غالبية المؤرخين حيث قامت حكومة الوفد باستيفاء طلبات النقراشى وربما كان العرض الذى قدمه النحاس للنقراشى بتعينه فى مجلس إدارة شركة قناة السويس بعد خروجه من الوزارة هو السبب الذى استند إليه المؤرخون إلى هذه الفرضية واعتبروها رشوة مقنعة نظراً لرفض النقراشى هذا المنصب الذى يتيح لشاغله الثراء وتشير أوراق الحزب أن الخلاف بين النحاس والنقراشى وقع فى فترات سابقة لهذا المشروع فقد تقدم باستقالته للنحاس أكثر من مرة (أشهرها حين عارض فى فصل عباس العقاد من الحزب) لكن خلافات الوفد الداخلية هذه المرة أحدثت شرخاً واضحاً فى جدار الحزب فقد كان

النقراشي أحد أهم أربعة من كبار زعماء الحزب (النحاس – مكرم عبيد – أحمد ماهر – النقراشي) وزاد الطين بلة أن د. أحمد ماهر أستقال اعتراضاً على خروج النقراشي واشترك الاثنان في تأسيس الهيئة السعدية التي كان يرأسها أحمد ماهر الذي اطلق عليه حزب الوفد فيما بعد الجنرال «شارل ديجول» الذي هرب من فرنسا بعد هزيمتها على يد الألمان إلى بريطانيا وأسس تنظيم فرنسا الحرة.. كناية عن انشقاقه عن الوفد.. أما السبب الأساسي لخلاف النقراشي مع النحاس فكان يتعلق بقضية الزعامة(*) المقدسة ويمثلها النحاس باشا وفرق القمصان الزرقاء وهي جماعة تتألف من شباب الوفد تم تأسيسها أثناء ثورة الطلاب عام ١٩٣٥ حيث بدأ التفكير في تجميع شباب الوفد لتكوين جماعة شبه عسكرية وأعلن عنها في يناير ١٩٣٦ واقترح مؤسسها محمد بلال اتخاذ القميص الأزرق زياً موحداً للجماعة وقام بتأليف فرقتين أطلق عليهما أسماء بعض الشهداء في أحداث عام ١٩٣٥ وأصبحت هذه الفرق تتبع في معسكراتها الأنظمة شبه العسكرية.. كان مؤسسها يعتقد أنهم لن يكونوا سادة إلا إذا كانوا جنوداً يستردون حقوق مصر على غرار شباب بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وفي بداية تكوينها سارت الفرقة مكونة من ١٥٠٠ شاب بالقمصان الزرقاء متجهين إلى الشارع السعدي.. الأمر الذي أفزع أحزاب الأقلية والقصر ورجال البوليس.. فاتهم الجميع فرق القمصان الزرقاء بالإرهاب الحزبي لمقاومة خصومهم.. ولم تكن هذه هي الفرقة شبه العسكرية الأولى.. فقد سبقها شباب مصر الفتاة ذوى القمصان الخضراء على غرار الأنظمة الفاشية والنازية.. القميص البني في ألمانيا والقميص الأسود في إيطاليا.

وهكذا أصبحت هذه الفرقة مصدر قلق للنحاس.. فصدرت عنهم بعض الممارسات التي رجحت سوء نواياها.. فقاموا بالاعتداء على خصومهم وعلى رجال البوليس وفرق القمصان الخضراء مستعينين بأسلحتهم البيضاء فانتقدهم القصر بشدة.. وأثيرت ممارستهم القمعية في إحدى مناقشات مجلس العموم البريطاني.. فرأى النحاس أنه من الحكمة أن تتبعه هذه الفرق شخصياً فأصدر أوامره بحظر حمل العصي والأسلحة وعدم تنظيم مسيرات في الشوارع إلا بإذنه.. على أن هذه القرارات لم يكن لها أثر واضح في استمالة القصر الذي كان يخشى هذه الفرق ويضعها في اعتباره.. ولكن قرارات النحاس أزالت خطرها ومن ثم اطمأن الملك وأقال وزارة الوفد عام ١٩٣٧ وإن ظلت هذه الفرق واحدة من أهم نقاط ضعف حزب الوفد التي ينفذ منها خصومه لمهاجمته، أما اعتراض النقراشي فكان بسبب ما أسماه «ديكتاتورية الأمة» كناية عن زعامة الوفد التي كان يساندها الشعب.. ويعترض النقراشي على استبعاده من الوزارة هو وزملائه.. ويستقر به المطاف في الهيئة السعدية.. وقد تعرض النحاس لمحاولات اغتيال عديدة وفي كل مرة كانت تمتد يد العناية الآلهية لحمايته فقد فشل خصومه في النيل من شخصه وزعامته.. وحين أعجزتهم الحيلة فكروا في هذه المحاولات الفاشلة.. ففي عام ١٩٣٠ «وزارة إسماعيل صدقي» تعرض النحاس لاعتداء في مدينة المنصورة حيث هجم عليه أحد جنود الشرطة.. وأثناء محاولة صديقه ورفيقه في الجهاد سينوت حنا الدفاع عنه وحمايته أصابته طعنة السونكي المسمومة في ذراعه فمات.. متأثراً بجراحه ليجسد أرفع نموذج للوحدة الوطنية والإخاء الديني وفي عام ١٩٣٧ أطلق أحد أعضاء حزب مصر الفتاة النار على سيارته ولم تصبه الرصاصات وفي عام ١٩٣٨ وضعت المتفجرات داخل موتور سيارته فتم انتزاعها وأحبطت المؤامرة والاعتداء الرابع وقع عام ١٩٤٥ حين ألقى المتآمرون قنبلة على سيارته أثناء مروره في شارع قصر العيني متوجهاً إلى النادي السعدي وفي عام ١٩٤٨ يفكرون في وسيلة أبشع وأعنف لمهاجمته ويتم عمل الترتيبات اللازمة لوضع إحدى السيارات وبداخلها شحنة ديناميت بالقرب من منزله في جاردن سيتي فتحطمت واجهة المنزل وأبوابه ونوافذه وتخترق قطعة من الحديد نافذة حجرته وتتعلق بالناموسية وتستقر فوق سريره.

أما الاعتداء الأخير فوقع في نوفمبر ١٩٤٨ حين أنهال الرصاص عليه من مدفع رشاش أثناء مغادرته سيارته هو وفؤاد سراج الدين.. فافتداه حرسه الخاص ولقي الثلاثة مصرعهم.

رجل تعرض لكل هذه المصاعب والتحديات والقنابل والديناميت والرشاشات.. والشائعات والمؤامرات والإهانات التي تورط فيها الملك وأحزاب الأقلية وأعداء الوحدة الوطنية.. لابد أن تنال منه الأيام ضريبتها خصماً من صحته وشبابه.. ويكفي أن النحاس انتزع شهادة حق للتاريخ أقر بها جمال عبدالناصر بعد قيام الثورة فقال: «النحاس راجل طيب» !!! واكتفى بمصادرة أمواله وأموال زوجته زينب الوكيل وقصرها في المرج وأثناء التحقيق معها قالت: أسألوا فؤاد سراج الدين فهو الذي كان يدير أموالي، وفي عام ١٩٥٤ وضع النحاس في الإقامة الجبرية ثم تقرر إلغاؤها.. أما معاشه فلم يتجاوز المائة وعشرين جنيهاً فاضطرت السيدة زينب الوكيل إلى بيع كل ما تملكه من حلي ذهبية وبعض قطع الأثاث وبيع سيارتهم وفي عام ١٩٥٥ أصبحا عاجزين عن مواجهة احتياجات الحياة الضرورية.. فقام ابن شقيقته بتكليف اثنين من سكرتارية الوفد لجمع التبرعات للنحاس من أعضاء الهيئة الوفدية وحين علم فؤاد سراج الدين من علي سلامة (سكرتير عام الحزب فيما بعد) أستبد به الحزن على الرغم من أنه كان يقضي فترة عقوبه السجن بالمستشفى لظروف مرضه ولكنه تعهد بدفع ٤٠٠ جنيه للنحاس شهرياً وبذلك توقفت حملة التبرعات واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩٦١ حيث وضع سراج الدين تحت الحراسة ولكنه أبدى رغبته في استمراره في التزامه تجاه الزعيم إلا أن النحاس رفض بشدة.. فاتصل سراج الدين بصلاح الشاهد لكي يطلع الرئيس عبد الناصر على حقيقة الأمر وأن النحاس يعاني ضائقة مالية نظراً لظروف مرضه هو وزوجته.. وطلب له معاشاً استثنائياً ووافق عبد الناصر وتقرر صرف ٢٥٠ جنيهاً شهرياً له حتى أغسطس ١٩٦٥ تاريخ وفاته، حيث أصبحت زينب الوكيل تصرف نصف معاشه الأساسي فقط أي ستون جنيهاً فقط وسبحان مغير الأحوال !!! تلك المرأة التي قيل أنها كانت واحدة من ثلاث سيدات يحكمن مصر من خلف الأبواب (الملكة نازلي – زينب الوكيل – جاكلين لامبسون) زوجة السفير البريطاني في مصر !!!

■ الحرب العالمية في مصر

وعلى صعيد الحرب فقد سقطت طبرق في يد روميل في يونيو ١٩٤٢.. فجن جنون بريطانيا.. وأصبحت مصر مهددة بإغراق الدلتا وتحويلها إلى مستنقع من الطين يعوق روميل وتقدم دباباته وبعصبية سياسية ينفعل أحمد حسنين باشا أثناء حديثه مع صديقه الصحفي الكبير محمد التابعي ويقول: «لم يأت يوم على مصر كانت تشعر فيه بوطأة الإحتلال كما هو الوضع الآن.. فالإنجليز يضعون يدهم على كل شيء ويقومون بحراسة المنشآت والطرقات.. لقد تغلغوا في ريف مصر.. والخوف كل الخوف من غدرهم فهم لن يتورعوا عن تدمير كل شيء تحت أيديهم إذا تأكدوا من خسارتهم أمام الألمان.. وهم على الأبواب والبلد مهددة بالخراب.. وكان أحمد حسنين قد أجرى اتصالاته مع بعض رؤساء الأحزاب والزعماء السياسيين لكي يفعلوا شيئاً عن طريق تفاوضهم مع السفير البريطاني للحصول على ضمانات أكيدة بعدم تعريض البلد للخراب.. ولكن أحداً من الزعماء ولا النحاس لم يقابل السفير أويحدثه في الموضوع خوفاً من غضب الإنجليز على حد قوله.



وانفجر رئيس الديوان الأنيق قائلاً: «وديني(**) وما أملك لقد تأكدت من أن البلد دي كلها مفيش فيها راجل واحد !!! أقسم بربي لو الحالة صفيت وربنا أنقذ البلد وأعطاني الملك «كارت بلانش» في تأليف الوزارة فإنني لن أختار ولا واحد من هذا الطقم أبداً وسوف أقوم بتأليف وزارة من الشباب.. وأنا متأكد أنهم لو اخطأوا سيكونون أرحم كثيراً من أخطاء حضرات الزعماء الكبار.. زعماء إيه يا شيخ ؟ إذا قدر لك يا محمد – أي التابعي – أن تكتب يوماً عن هذه الأيام فاكتب واذكر أن شيوخ البلد ونوابها قيل لهم أن هناك خطراً يهددهم بالحرق وأراضيهم بالغرق وريف مصر بالدمار.. لكنهم سكتوا.. خوفاً على الأربعين جنيهاً التي تصرف لهم من البرلمان !!! معقول.. البلد كلها تهتز علشان النحاس أختلف مع مكرم والألمان على الأبواب.. معقول الكلام ده «... فما هي أسرار الخلاف بين النحاس ومكرم عبيد والتي على أثرها قام الأخير بإصدار كتابه الشهير «الكتاب الأسود في العهد الأسود».

هذا الكتاب الفريد الذي لم تشهد الخصومات السياسية في تاريخ مصر ما يماثله في بلاغة بيانه وقوة حجته.. وتوافر أدلته ومكرمية أسلوبة البديع.. وكيف لايكون وكاتبه محام عظيم وخطيب سياسي بليغ وبرلماني أديب ووفدي قديم.. سكرتير عام الحزب العريق.. مكرم عبيد !!!.■

فيصل الثانى ملك العراق
الذى كان يتلقى تعليمه فى
مصر بصحبة فاروق وفريدة

فاروق وعلى يساره الشيخ
مصطفى المراغى أثناء الاحتفال
بذكرى جده محمد على فى مسجده



غنت أم كلثوم «سلو قلبي» في الحفل الذى أقيم للوفود العربية بمناسبة توقيع بروتوكول إنشاء الجامعة العربية. وفي عام ١٩٤٤ فاجأ الملك كوكب الشرق بحضور حفلتها في النادي الأهلي عام١٩٤٤ نكاية في حزب الوفد حيث شدت أمامه أغنية «يا ليلة العيد» ومنحها نيشان الكمال، ثم غضب منها حين شاهد صورتها في إحدى المجلات برفقة النحاس وزوجته!!

كان حريصا على الإمساك بالعصا من قبيل الوجاهة وفي الصورة يشير لفريدة إلى احدى المعروضات في المعرض الصناعي وعلى يساره أحمد حسنين

حادث الاعتداء على منزل النحاس حيث
وضعت شحنة ديناميت بالقرب من
منزله فى جاردن سيتى فتحطمت
واجهة المنزل وحجرة نومه



مصطفى النحاس كان يطلق عليه أبو المعاهدة «١٩٣٦» وكان يقول عن الإنجليز: هم أصدقاؤنا حين يلتزمون ببنودها.. تورطت مصر مع الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية طبقاً لبنود هذه المعاهدة ولوحت بريطانيا بإغراق الدلتا وتحويلها إلى مستنقع كبير يعوق تقدم روميل من القاهرة!!



دفعة مصطفى النحاس عام ١٩٠٠ في مدرسة الحقوق الخديوية

مدرسة الحقوق الخديوية

١٩٠٠

دفعة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

وشعبك في بحر النضال سفينة . وأنت لها في ذلك البحر ربان

سن فهمي رفعت بك قاض . المرحوم مصطفى الخادم بك . جعفر فخري بك محام . المرحوم صالح الغبان

نس خليل عز الات بك مستشار بالمختلط . محمد فهمي البرديسي بك . حسن ابراهيم عاذر بك . المرحوم احمد

الدين بك . مستوقستو المدير . المرحوم الشيخ محمد زيد بك الابياني . عمر بك لطفي ابو الست امين . ابراهيم عارف

مستشار . رفعت مصطفى النحاس باشا الزعيم الاكبر ورئيس الحكومة المختار . حسن محمد رمضان بك . محمود المرحومي

ب العمومي . محمد بهجت مراد . عبد السلام افندي ضابط المدرسة . اسحق غبريال . محمد شريف بك قاض . محمود سامي باشا وكيل الاوقاف

انتونى إيدن «وزير خارجية بريطانيا» الذى وصفه جمال عبدالناصر فيما بعد عندما أصبح رئيسا لوزراء بريطانيا بأنه «خرع» فاحتار فى ترجمتها المراسلون الأجانب

لقطة عائلية مع أسرته فى سمنود وقد غطت شقيقته وجهها خجلا من التصوير

محبة شعبية طاغية
كان يحظى بها
حزب الوفد ممثلاً
في رئيسه الجليل
مصطفى النحاس

فؤاد سراج الدين وعبود
باشا - رجل الصناعة
الأول في العهد الملكي -
أثناء حضورهما إحدى
مباريات النادي الأهلي



الكتاب الأسود لمكرم عبيد

«لقد عملنا على تخليص المصرى من الاستعمار الأجنبى وعلينا الآن أن نخلص المصرى من الاستعمار المصرى.. لقد أصبحنا نبحث عن النزاهة والاستقامة والعدالة والحرية والمسئولية فى الحكم وأصبحنا كأفراد يعنى كل واحد منا بقوت يومه هل يجده فيشتريه.. أولا يجده فيستجديه وبتعليم أولاده وتوظيفهم هل له من حظوة أو رشوة تيسر له العسير وبقضاء مصالحه هل له وساطة إلى هذا أو ذاك الوزير أو الكبير وبحرية شخصه وأهله ومسكنه هل هو فى مأمن من اعتقال أو تفتيش فى جنح الليل لا يدرى عنه أحد وأن درى فليس له أن يسأل وإن سأل فلا جواب. أى مولاى الملك.. أفى عهدك أنت الملك الديمقراطى الحر الذى لم يتح لمصر ملوك كثيرون من مثلك يسام أفراد الشعب كالسوائم - بل أنىّ نحن من السوائم فإن لها جمعيات ترفق بها.. والحق أننا فى عهد (الإباحية) باكمل معانيها فقد سرت جرثومة الفساد أو كادت تسرى فى جسم الأمة السياسى وأصبح المجتمع سوقاً تباع فيه الذمم وتشترى وغدت المحسوبية وسيلة هينة وإن كانت مهينة لقد نشر هذا العهد المشئوم نظام الاحتساب والوساطة بين الناس فتنقلت المحسوبية من بين الموظفين إلى الأهلين ومن الديوان إلى السوق، حتى أصبحت لدى الكثيرين من الناس حالة نفسية..

أكثر منها حالة نظامية وهنا يا مولاى موضع الحذر ونذير الخطر فأخوف ما نخافه أن تقتل روح الاستغلال فينا روح الإستقلال وليس أقتل لوجود الشعب الأدبى والقومى من روح النفاق التى تتولد من روح المحسوبية فالمحسوب على الدوام ذليل مغلوب.. فكيف به إذا كان محكوما حكمًا استبداديا عسكرياً كالحكم الحاضر.

أما الجهاد وثورة ١٩١٩ فابحثوا عنهما بمصباح ديوجين فى مخلفات الوفد لقد شاء النحاس وأعوانه أن تنتهى الثورة المصرية إلى مصير الثورة الفرنسية.. أى ألم أقتل للأمل وأدعى إلى الخجل من أن نشكو إلى سعد خليفة سعد دعونى استمطر من عيونكم عبرة على مصطفىَ النحاس الذى فقدناه، فالرجل الذى يحكم مصر اليوم حكما عسكريا - إنجليزيا مصريا - ليس هو زميلنا فى المنفى وفى الجهاد بل هو رجل آخر ويا لنكبة الرجل الواحد إذا تعددت فيه الرجال» !! ما الذى حدث بين أشهر صديقين فى السياسة المصرية.. على الحلوة والمرة كانوا متعاهدين ما سبب هذه القسوة من مكرم عبيد قطب الوطنية المستنير.. وزير الشباب.. نقيب المحامين ابن سعد البكر.. من هتفت له الجماهير.. يحيى مكرم صديق الأزهر لماذا أصبح هكذا فى قسوته جبار إنها الصداقة حين تنكب بالفتنة وتخدش بالكلمة التى حدثنا عنها الفيلسوف الذى سئل يوما من أطول الناس سفرا ؟! فأجاب: من سافر فى طلب الصديق.. اللهم اخمنى من أصدقائى أما أعدائى فأنا كفيل بهم !!



أصبح مكرم سكرتيراً عاماً للوفد عام ١٩٢٨ وكان له دور كبير فى اختيار النحاس رئيساً للحزب بعد وفاة سعد.. ولد مكرم عام ١٨٨٩ لأب ثرى قناوى.. درس القانون وتخرج فى أكسفورد ثم أكمل دراسته القانونية فى جامعة ليون الفرنسية.. وهو من أهم العناصر الشابة التى ساهمت فى نجاح حزب الوفد.. ونظراً لإجادته للغات الأجنبية كان له دور بارز فى المفاوضات المصرية الإنجليزية، إضافة إلى أنه خطيب مفوه من أعظم خطباء مصر كثيراً ما كان يستشهد بالآيات القرآنية فى خطبه.. فهو نموذج رفيع للوحدة الوطنية التى كانت ومازالت تنشدها مصر من أبنائها.

فى عام ١٩٣٤ قرر النحاس باشا أن يتزوج وكان قد بلغ الخامسة والخمسين.. وعن طريق مكرم عبيد وزوجته من خلال صديقة وسيطة اقترح مكرم عبيد على النحاس ابنة عبدالواحد الوكيل.. وذكرت حرم مكرم أنها على قدر كبير من الذكاء والجمال.. فقال النحاس: مستحيل عبدالواحد الوكيل خرج على الوفد !! فرد مكرم عبيد[٥٦] : السياسة شيء والزواج شيء آخر يا باشا.. واخطأ مكرم وأصاب النحاس. فقد اتضح أنهما شيء واحد وتم الزواج وكتب للنحاس أن يصبح سياسياً ماهراً وزوجاً ناجحاً يلبى طلبات زوجته الشابة ذات الثامنة والعشرين ربيعاً وكان العقاد يأخذ على النحاس فارق السن بينه وبين زوجته وقد تنبأ بضعفه أمام طلباتها.. فالمرأة عندما تشترى طموحاتها غالباً ما يدفع الرجل الثمن خصماً من مبادئه. وفتش عن المرأة فى حقيقة الخلاف بين الرجلين. التوأمان والقطبان الوطنيان منذ نفيهما فى سيشيل مع سعد باشا ظلا متلازمين يجسدان أرفع نموذج للوحدة الوطنية.. حين دب الخلاف بينهما استرشد النحاس بعظات المسيح وذكر مكرم بما جاء فى إنجيل متى: «هو ذا فتاى الذى اخترته.. حبيبى الذى سرت به نفسى.. أضع روحى عليه.. لا يخاصم.. ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته». ويرد مكرم بالحديث النبوى الشريف: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.. فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.. وللأسف الشديد كان محتماً أن تفصم عرى هذه الصداقة التى كان قوامها محبة خالصة لوجه الله والوطن.

بعد مرور أسبوعين فقط من تأليف النحاس وزارة ١٩٤٢ اسندت إلى مكرم وزارة المالية.. وبعد اطلاعه على كشوف الاستثناءات الوظيفية.. أصابه الذهول فكتب تقريراً عرضه على مجلس الوزراء رفض فيه هذه التجاوزات ثم أعد بياناً عن مشروع الميزانية العامة للسنة المالية ١٩٤٢ - ١٩٤٣.. انتقد فيها السياسة المصرية ومظاهر الثراء الحكومى.. ومعاناة الفلاح فكانت أشبه ما تكون بخطبة اشتراكية طليعية.. ثم بدأت معاناة مكرم الحقيقية من طلبات السيدة زينب الوكيل حرم النحاس وأقاربها بخصوص استثنائهم ومنحهم أذونات الاستيراد.. التى كان من الصعوبة منحها فى ظروف الحرب.. من جهة أخرى تزامن ظهور فؤاد سراج الدين فى فترة لاحقه وتقربه إلى النحاس وحرمه وقيامه بشراء بعض الأراضى فى المرج لزينب الوكيل بأسعار زهيدة جداً.. الأمر الذى أرضى طموحاتها الاقتصادية. وكانت السيدة زينب الوكيل تنعى حظ النحاس.. فهو ليس محامياً مثل مكرم فإذا ترك الوزارة فلن يتبقى له إلا معاشه.. فذكر لها مكرم مكانة النحاس وجلال قدرة عند الشعب ومركزه كرئيس للوزراء فقالت ساخرة[٥٧]: يكفينا نعيرها!! وأكد مكرم عبيد لهيكل باشا أن زينب الوكيل كانت حريصة على أن تجعل من الحكم وسيلة استغلال وكسب.. وقد تدخل النحاس شخصياً أكثر من مرة للصلح بينها وبين مكرم.. ولعبت الظروف التى مر بها الحزب وخاصة خروج النقراشى وأحمد ماهر دوراً رئيسياً فى تعديل سلوكيات النحاس الظاهرية مع مكرم عبيد فقد خشى أن يثير أزمة جديدة بين أعضاء الحزب.. إذا لاحظوا أنه يختص مكرم بمحبته وعطفه تجنبا لأحاسيس الغيرة وأحاديث النميمة ولكن مكرم لم يحتمل الشعور باختلاف المعاملة.. فهو رجل عاطفى لم يكن يتمتع برأس بارد يمكنه من التحكم فى انفعالاته.. ويعرب مكرم عن استقالته أكثر من مرة ثم يتصافى الرجلان ويتعانقان.. ولكن الخلاف الموشك على الانفجار يزداد يوما بعد يوم.. خاصة بعد أن نشر مكرم مذكرة اللجنة المالية فى مجلس النواب وأعلن فيها رفضه للاستثناءات ونشرها فى جريدة (المصرى) وهنا أعلن النحاس انتهاء الصداقة والزمالة والوزارة وطلب وساطة عثمان محرم لأنه أكبر الوزراء سناً لإقناع مكرم عبيد بالاستقالة لكنه رفض وفضل الإقالة فلم يكن أمام النحاس إلا اللجوء للملك.. الذى كان ينتظر على أحر من الجمر أية غلطة لحكومة النحاس التى جرحت كبرياءه فى مقتل.. وهكذا رفض الملك التدخل لكى يظهر النحاس بمظهر الضعيف الذى لا يستطيع إقالة وزير.. ولكنه فعل العكس فقد أشعل البيت ناراً وأوعز إلى أحمد حسنين (رئيس ديوانه) بإذكاء هذه الفتنة من خلال خبرته الميكافيلية.. فما كان من النحاس الا أن قدم استقالة وزارته فقبلها الملك.. ثم قام بتشكيلها مرة أخرى بعد استبعاد مكرم منها فى مايو ١٩٤٢ وفصل من الحزب فى يوليو من نفس العام.. ودخل فؤاد سراج الدين -٣١ عاما- هذه الوزارة وزيراً للزراعة خلفاً لعبد السلام فهمى جمعة الذى اختير رئيساً لمجلس النواب.. وقد نالت الإتهامات فؤاد سراج الدين بالشئ الكثير.. وبأنه السبب وراء تحول النحاس عن مكرم.

ولكن سراج الدين ينفى ذلك ويؤكد انه ارتبط بمكرم بصداقة وثيقة للغاية فلا دخل له بما حدث!!

أما أحزاب الأقلية وخصوم الوفد فكانوا ينظرونْ من ثقب باب الحزب العريق يتبادلون الفضائح والإتهامات وهم يرتشفون قهوة الصباح ويتسامرون فى المساء حول رد فعل النحاس.. ولسوء حظ السفير البريطانى أنه كان يستمتع بأجازته السنوية فى جنوب أفريقيا أثناء صدور الكتاب الأسود.. وقد أوعز إلى النحاس بتفنيد محتواه فى الوقت الذى وقف فيه أمام طموحات فاروق فى الإطاحة بالنحاس.

وهكذا قُضى الأمر وتتدفق مرارة الانفصال من الشريان القطيع وضاع الحب والود وذهبت كلمات مكرم التى رددها يوماً أدراج الرياح (ما كان لمكرم أو للنقراشى أو لغيرهما من رجال الوفد أن يحاول أحد منهم أن يتعالى على الزعامة أو يهدم بنيانها ولئن شاء مكرم فى يوم من الأيام أن يتزعم فيجب أن يهدم).. ونظراً لعمق علاقتهما واطلاع مكرم على أسرار النحاس الكاملة.. فقد كان أعلم بالمضرة.. ومن ثم جاء صدور هذا الكتاب الأسود اسماً وفعلاً.. شاملاً جامعاً لم يترك

واقعة كبيرة أو صغيرة تمس نزاهة الحكم دون أن يتناولها بالمستندات والأدلة.. ولم تكن بلاغة مكرم وفصاحته التي يعلمها الجميع إلا جواز المرور لهذا اللغم الذى نصبه محامياً ضليعاً يتخذ من مقولة المسيح شعاراً وإكليلاً «ماذا يفيد الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه» ؟!!

صدر الكتاب الأسود فى ٢٩ مارس ١٩٤٣ وهو تحفة أدبية ممتعة فى بلاغة أسلوبه بغض النظر عن وقائعه وكانت أول نسخة من نصيب جلالته وقد تسلمها رئيس ديوانه.. أما الملك فقد استبدت به الفرحة الغامرة.. فأصدر تعليماته إلى الديوان بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية.. لكى يتمكن من قراءته السفراء والوزراء المفوضين واحتفظ لنفسه بعدد كاف من النسخ التى تدين حكومته.. كان يقوم بتوزيعها على أصدقائه !!! وهكذا كان الملك الشاب يلهو ويشدو «الليلة دى عيد!!» وهو يتصفح صفحاته فى شماتة وتشفٍ عميقين !!

أما صاحب المقام الرفيع «رئيس الوزراء» فقد كلله الحزن وأصابه الغم وطار صوابه.. فأصدر أوامره باعتقال كل من يقتنى نسخة من الكتاب الأسود.

والآن اتركك عزيزى القارئ مع هذا الانفراد الوفدى الذى ينشر للمرة الأولى أجزاء مطولة منه باستفاضة.. نظراً لمصادرة الكتاب وهى فرصة نادرة لمعرفة أسرار الحياة السياسية فى ذلك العهد.. الذى كنت أعتقد مثل غيرى أنه العهد الجميل وأعتذر عن سوء فهمى وأعترف أنه جميل على طريقة الست أم كلثوم سياسياً فهو بالفعل عهد جميل حاسد وعزول والبال مشغول بالمهاترات والخلافات والأحقاد السياسية !!!

الكتاب الأسود فى العهد الأسود

نعرض على جلالتكم مساوئ الحكم الحاضر والقائمين به من رجاله وما كنا لنجد من أنفسنا دافعاً ضد قوم كانوا منا وكنا منهم لولا أن أداة الحكم فى البلاد قد فسدت على أيديهم إلى مدى بعيد يكاد يبعث على اليأس من علاجها نتقدم فى هذه العريضة بالوقائع مفصلة وحسبك يا مولاى أن تلقى بنظرك الكريم على الوقائع الخطيرة المبينة فيها فهى ناطقة بذاتها.

ونحن ندرك أن الكلام مهما تكن قيمته الموضوعية فهو يتلون بلون واضعه.. فهل نحن فيما نعرض مدفوعون بدافع الغيظ أو الحقد ؟ كلا يا مولاى إننا نشفق من أن تلصق بالحكم المصرى فى عهد الإستقلال لوثة تدنسه بعد أن طهره الشهداء بدمائهم. نشفق أن تمس تلك الصداقة الحلوة بين شخصين تعذبا، فتقاربا، فتحابا وكانت محبتهما فى نظرى أنا على الأقل - نموذجاً حيا رائعاً لعاطفة المحبة أو الرحمة التى شاء الرحمن الرحيم أن ينفثها مع الحياة بين حنايا الصدر ليستعين بها الإنسان على وحشة العمر ووحشة القبر أننا نشفق من أن تتنكر لماضينا، فنجعل من ماضينا قاضينا ثم نشفق من عملية البتر فهى تجرح مهما تنجح.. لذلك كله كنت يا مولاى ناصحا لا فاضحا فى كل مرحلة من مراحل الخلاف بين رئيس الوزارة وبينى.

فلما كنت فى الوزارة واستفحل بيننا الخلاف الجوهرى لم أدخر جهداً فى نصحه وتحذيره مما كنت أراه ويراه الوزراء أنفسهم ويتهامسون به فى مجالسهم دون أن يجرأوا على الجهر به أمامه.. بعض الأنسباء كانوا يأتون إلى وزارتى المالية والتموين ويصيحون أمام كبار الموظفين إذا ما أصررت على خطتى فى منع رخص التصدير عنهم فإنهم سيخرجوننى من وزارة التموين بل من الوزارة أصلاً وفصلا.

وما كنت يا مولاى لأستثير إلى هذه الصغائر لولا إنها صغائر تدل على كبائر وأولى هذه الكبائر أن الحكم قد أشرف على الفوضى فى أيدى أشخاص غير مسئولين وأن الحاكم المسئول كان هو نفسه محكوماً بجماعة من النفعيين لا يملك من أمره نفعاً ولا ضرا وقد سرت الجرثومة إلى رئيس الوزراء نفسه فكان هو شخصياً يتصل من وراء ظهرى بالمرؤوسين لى أو بجهات أخرى غير مختصة ملحاً فى إعطاء أنسبائه السكر والأرز من غير علمى كما حاول رفعته جهده أن يمنعنى من تحقيق جنحة تهريب غزل ضد انسبائه وتقديمهم إلى المحاكمة العسكرية إلى غير ذلك من محاولات فشفاعات فمحسوبيات، فتعهدات، فتصرفات ترمى كلها إلى استغلال الحكم لمصلحة الحاكمين وتجعل من أسلوب الحكم ألعوبة مفسدة. لم أجد بداً من أن أبرئ ذمتى بتقديم إستقالتى وأعربت له عن رغبتى فى الإستقالة فى فترات متفاوتة بدل المرة ثلاث مرات قبل خروجى من الوزارة وحين أختلى به فى أى مرة من هذه المرات وأصر على فكرة الاستقالة منه والانفصال عنه، كانت تأخذنى ذكرياتى فتخنقنى عبراتى فأبكى ويبكى ثم يعدنى بإصلاح الحال فأعدل عن فكرة الاستقالة ثم نفترق متوادين متعاهدين ولكن إلى حين ؟ هل يصورون الخلاف على أن مصدره عداء شخصى بين النحاس ومكرم؟ كلا فمن يصدق مثل هذا العداء المفاجئ من غير سبب جدى يدعو إلى مجرد الجفاء فما بالك بالعداء بين شخصين صمدت صداقتهما لمختلف التجارب وقاومت كل أساليب العداء طوال بضع وعشرين من السنين حتى بلغت مبلغ الإخاء.. ثبت للناس من الوثائق الرسمية أن النحاس باشا هو الذى أخرجنى من الوزارة بعد أن ارتضيت العدول عن الاستقالة عقب أزمة الاستثناءات وقبلت العداء فى الوزارة طوعاً للرغبة السامية التى بدت من جلالكم.

تدخل القصر.. للتوفيق بينه وبينى ولكنه رفض وأصر على رفضه فهو أذن الذى غضب لنفسه لا أنا وهو الذى أراد أن يتخلص منى ليخلو له الجو فيستغل الحكم كما يشاء.. أولانى النحاس باشا عند تشكيل وزارته الأخيرة سلطة أوسع من أية سلطة لى فى أية وزارة سابقة، حيث عهد إلى بوزارتى المالية والتموين وهما محور الوزارة ونقطة ارتكازها فى أى وقت وخاصة أن الحرب على الأبواب، كما كنت مستشاره فى اختيار أشخاص الوزراء حتى أنى اعترضت لأسباب لا تمس شخصه على إدخال نسيب له فى الوزارة هو حضرة صاحب المعالى الدكتور عبدالواحد الوكيل بك فقبل متى اعتراضى وسلم بوجاهته كما كنت أنا الذى أشرت وألححت بوجوب الحصول على خطاب من السفير البريطانى كشرط أساسى لقبول تشكيل الوزارة احتفاظا بكرامة العرش المصرى والاستقلال المصرى.

وكان من بين الكتاب الوفديين الذين أبت وفديتهم ورجولتهم أن يطيعوا الأوامر الصادرة ضد سكرتير الوفد الأستاذ محمد جلال الحمامصى فى المصرى، وأحمد قاسم جودة فى الوفد المصرى وقد لقى كل منهما جزاءه بإخراجه من البرلمان.

كنت مطلق اليد فى عمل وزارتى المالية والتموين فعلى أى اساس بنيت تلك الخرافة التى أذاعها النحاس باشا بعد خروجى من الوزارة لكى يبرر ما لا سبيل إلى تبريره وهى إنى غضبت للإنتقاص من سلطتى - ثم أثبت التحقيق الذى اجريته إدانة أنسباء النحاس فى قضية الغزل حيث فتشت مخازنهم فى القاهرة والاسكندرية فلم يجدوا بها الغزل الذى ادعوا أنهم خزنوه ولم يهربوه وحين أحس المحقق بالتلاعب وأثبته فى تقريره اصدرت أمرى بكسر المخزن عنوة فلما كسروه لم يجدوا فيه البضاعة التى ادعوا تخزينها ووجدوه أفرغ من فؤاد أم موسى. ولم أجد بداً حيال هذه الأدلة القاطعة من أن أثبت رأيى بالموافقة على إحالة القضية إلى النيابة العسكرية - ولكى لا أتهم بالتعسف أو التعنت أمرت فى الوقت نفسه بإحالة الأوراق على حضرة المستشار الملكى لأخذ رأيه.. وفى اليوم التالى صدر القرار بتعيين الوزراء الجدد ومنهم وزير التموين.



لم يكن من بد من تقديم العريضة إلى البرلمان لمناقشتها ثم افتتحت الجلسة فإذا برئيس الوزراء يقف ويطلب جلسة سرية لإلقاء بيان عن الحالة الحربية أما رئيس النواب فيعلن أن عريضة موقعاً عليها من ستة وثلاثين نائباً قدمت إليه بطلب المناقشة فى بعض المسائل وإنه بهذه المناسبة يعرضها على المجلس ويتلوها عليه ثم استبعدت العريضة.. بإيعاز من رئيس المجلس ووافق الأنصار المتحمسون.. رغم احتجاجنا بمخالفة هذا التصرف الغريب لأحكام الدستور واللائحة.. بقى إجراء آخر هو أن أفصل من الوفد وزميلى راغب بك حنا ومن الرائع أن اذكر أن بعض النواب والشيوخ الذين ثبتوا معى فى الدفاع عن النزاهة والشرف أرسلوا إلى النحاس باشا استقالة مسببة من الهيئة الوفدية حفاظا على وفديتهم.

فصدر قرار الهيئة الوفدية بفصلهم وهم سبعة عشر عضوا.. ثم صودرت البرقيات الواردة لى وأحيط منزلى بالجواسيس وروقبت حركاتى واتصالاتى التليفونية.

الوقائع السوداء

ذكرنا أن السيدة زينب الوكيل.. كانت هى السبب الغير مباشر فى تناثر أشلاء صداقة العمر بين مكرم والنحاس بطموحاتها ورغبتها فى الثراء.. يقول مكرم عبيد أن زينب الوكيل اشترت من فؤاد سراج الدين ٨٠ فدانا تقع فى مركز شربين.. تفتيش بلقاس التابع لمصلحة الأملاك الأميرية مقابل ٤٢٨٣ جنيها وجاء فى العقد أنه تم دفع ١٤٢٧ جنيهاً عند التوقيع على العقد

كتاب تذكارى

والباقى وقدره ٢٨٥٥ جنيها تتعهد المشترية بسداده إلى خزينة مصلحة الأملاك الأميرية على جملة أقساط تنتهى عام ١٩٥٥ بمعدل قسط سنوى ٢٠٠ جنيه.. وكان النحاس باشا حدثنى خلال الفترة السابقة على إجراء الانتخابات عن نيته فى القيام بمشروع بر يطلب فيه من الأغنياء التبرع بمبالغ كبيرة وينتهز هذه الفرصة لإلتماس الإنعام بالباشوية أو الرتب التى يستحقونها.. ثم تردد لحظة وقال ما معناه إنى أريد أن أطلب الباشوية لصديقك فؤاد سراج الدين وذكر لى سببا لا علاقة له بصفقة الأطيان وقد يبدو غريبا يا مولاى هذا الانتقال المفاجئ من صفقة بيع أطيان إلى مشروع البر (كانت ترعاه زينب الوكيل) والجمع بين البر والباشوية ولكن الغريب فى هذا العهد هو انعدام الغريب.

وقبل انعقاد جلسة مجلس الوزراء - اقترح أحد الوزراء تعيين فؤاد بك سراج الدين وكيلا للداخلية فاعترضت على هذا التعيين لأسباب مصلحية وفنية رغم صداقتى لفؤاد سراج الدين.

ولكن الخير فى التأخير فلئن فاتت الفرصتان السابقتان للحصول على الباشوية ووكالة الوزارة فلقد سنحت فرصة أخرى وهى خلو منصب وزير الزراعة بعد ان أنتخب الوزير محمد عبدالسلام جمعة (رئيسا لمجلس النواب الجديد).

بقيت الباشوية فالتمس النحاس بمناسبة «عيد التولية» ٢٩ يوليو الإنعام بالباشوية على خمس وزراء من بينهم وزير الزراعة الجديد (فؤاد سراج الدين).

ثم ينتقل مكرم عبيد الى قصة شراء «سيارة كوتسيكا» فيقول لعل الإشارة إلى شراء هذه السيارة وما إليها من أدوات الترف أبلغ فى الدلالة على العقلية الجديدة التى حازها النحاس باشا أن معيشة الترف كانت من العوامل التى أدت بالنحاس وأهله إلى الرغبة فى الثراء وهذا بدوره يؤدى إلى الإستزادة من الترف وليست مظاهر الثراء مقصورة على الشراء فهناك مستوى المعيشة إذا ما ارتفع عن الحد المألوف فإنه يتتبع حتما الطفرة فى الإنفاق غير المألوف خاصة إذا كان الثراء طارئا جديدا لم يتعوده صاحبه.. فقد كان للنحاس باشا بحكم منصبه كرئيس للوزراء ووزير للداخلية والخارجية ثلاث سيارات حكومية يستعملها فى شئونها الحكومية والمنزلية ولكنه أبى الا أن يشترى لرئاسة مجلس الوزراء سيارة جديدة فخمة من طراز باكار يبلغ ثمنها الأصلى ثلاثة الاف جنيه وتمتاز على غيرها من السيارات «الديمقراطية» بأن لها جهازا لتكييف الهواء ولكن هذه السيارة الفخمة تملكها الحكومة فهى سيارة حكومية ولرفعة رئيس الوزراء أخرى منزلية ولا يصح ولا يليق أن تقل المنزلية عن الحكومية.. ومن ثم أستقر الرأى على شراء سيارة باكار من نفس الطراز وخاطب تاجر السيارات بهذا الشأن واتضح أنه توجد بالفعل سيارة أخرى باكار ملكاً لأجنبى مليونير هو المسيو كوتسيكا وأتصل به التاجر ووافق المليونير الأجنبى على التنازل عن شراء السيارة التى قام بحجزها وأخذها النحاس لنفسه ملكاً خاصاً ولما كان التاجر صاحب السيارات قد ارتضى طبقاً لرواية النحاس أن يبيعها له بمبلغ أقل من ٣٠٠٠ جنيها فيبدو أن رفعته أراد أن يرد له الجميل ولو على حساب الحكومة وكان قد حدث أن استولت وزارة التموين على أكثر من عشرين سيارة باكار استوردها التاجر فطلب إلى النحاس (وكنت أنذاك وزيراً للتموين) أن أرد له السيارات المستولى عليها فأخبرته أن هذه السيارات قد سلمت للجيش مقابل قيمة الاستيلاء فألح على النحاس باشا فى أن أجد وسيلة لاستردادها من الجيش وتسليمها للتاجر ليتاجر بها ويربح من ورائها فرفضت ذلك بطبيعة الحال وما أن خرجت من الوزارة حتى اشترى الوزراء سيارات جديدة لهم هم أيضا من طراز باكار يقدر ثمن الواحدة منها بأكثر من ١٦٠٠ جنيه.. ولم تكن هذه السيارة الفخمة التى اشتراها النحاس باشا لنفسه هى وحدها من أدوات الترف التى كلفته الافاً من الجنيهات ولكنى ذكرتها دون غيرها من المشتريات كالأثاثات وغيرها مما لدينا دليله ولا يصح تفصيله.. وحسبى أن أشير إشارة عابرة إلى ما يعرفه جميع زائرى النحاس باشا وأهله من بذخ فى المعيشة وفى الانفاق لا يتوافر إلا لثرى لا يخشى الإملاق لقد كان الناس يعجبون كيف يقضى النحاس باشا وأهله شهوراً فى مينا هاوس ينفق فيها ما لا يقل - إن لم يزد- عن ألف من الجنيهات ثم يستأجر لسكنه غير مسكنه فى مصر الجديدة قصر فى جاردن سيتى كان إيجاره الشهرى قبل صدور الأمر العسكرى برفع الايجارات (قصر بـ ٥٠ جنيها) خمسين جنيهاً غير ما يتكلفه من نفقات.



ثم يشير مكرم إلى الحديث عن مئات الألوف من الجنيهات التى حظى بها أنسباء النحاس فيقول أن (فلانا) كان صاحب مصنع للغزل والنسيج وهو سورى الجنسية اتسع نشاطه وأصبح يعمل فى تصدير كل شئ «الزيت والجلود والأرز» حتى بلغت ثروته مليونين من الجنيهات.. وكذلك نسيبه الآخر الذى كان يعمل فى سكرتارية مجلس الشيوخ.. فقد أصبح شريكه فى الإتجار والسمسرة ثم نائباً محترماً فى البرلمان.

ويسترسل مكرم عبيد فى تفاصيل عديدة مؤرخة ومقيدة فى المحاكم الشرعية والدفاتر الرسمية بأسماء أصحابها الحقيقية ويقول:

أقام صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء منذ تولى الحكم فى أماكن متعددة فقضى فترة زمنية فى الباخرة الحكومية «محاسن» وقضى شهوراً أخرى فى مينا هاوس فيما تتم الإصلاحات فى منزله بمصر الجديدة وطلب منى بإلحاح كميات من خشب (الابلاكاج) من وزارة التموين لإستعماله فى اصلاح داره فرفضت وكلفته عملية الاصلاح مئات الجنيهات فى دار يسكنها بالإيجار.. حتى ظهر له ان هذه الدار لم تعد تفى بالمرام ولم يطل بحث مقامه الرفيع أن أعجبه حى جاردن سيتى وترامى إلى سمع رفعته أنه توجد فى الحى دار فاخرة أرسلت صور من نقوشها وحجراتها ومعداتها إلى جنيف لتكون أعظم دعاية لرقى معاهد التربية وفخامتها فى مصر.. وفى هذه الدار الفاخرة تتلقى العلم تلميذات وادعات ولكن معهدهن الفاخر خاضع للحكومة التى يقوم على شؤنها رفعته.. فماذا لو أخرج هؤلاء الفتيات من الحى كله بين عشية وضحاها ليهنأ رفعته بالمسكن الهنئ المنشود؟

وذهب رفعته لزيارة الدار وأسفرت الزيارة عن إعجاب لم يكن أقل مظاهره شدة اللهف على إخلاء الدار فى الحال وصدع وزير المعارف بأمر رئيس الحكومة ووضعت مراقبة تعليم البنات مذكرة تتضمن إخلاء المعهد وتطويح تلميذاته من حى جاردن سيتى إلى حى بولاق.

أما الدار فإيجارها خمسون جنيهاً فى الشهر واستبقى رفعته من معدات المعهد ثلاجة ضخمة باهظة الثمن بحجة إنها لا تصلح للعمل فى حى بولاق كما قيل انه استبقى ستارتين جميلتين من صنع يد التلميذات وبعض ثريات كهربائية إلى غير ذلك مما يحتاج إلى تحقيق دقيق ولم يكتف رفعته بهذا بل نهضت وزارة المعارف بعملية أخرى كلفتها مبلغاً طائلاً تحت ستار إعادة الدار إلى حالتها الأولى وبهذا خرج من اعتماد البناء مبلغ ضخم أنفق على الحمامات الفخمة والأرضيات الثمينة ونحو ذلك من ضروب الإنفاق وبهذا يكون رفعته قد استغل نفوذه للإنتفاع الشخصى على حساب الدولة فيما يتعلق بمسكنه.

ذلك أن النحاس باشا وجماعته يرتكبون أوزار الاستثناء التى يرتكبونها فى هذا العهد مستعينين على كتمانها بخنق الصحافة وتجريد البرلمان من رقابته، أما الصحافة فمحظور عليها بحكم الرقابة أن تنشر عن مسائل الموظفين واستثناءاتهم خبراً ولا إشارة ولكن كيف يمكن الإغضاء عن تمزيق الرقابة الدستورية بحرمان أعضاء البرلمان من حقهم فى طلب البيانات والإحصائيات وقد كان هذا هو الضمان العملى الوحيد لمحاسبة السلطة التنفيذية على إساءة استعمال حقها فيما تقرر من استثناء، من النتائج التى تمس خزانة الدولة يا مولاى بإرهاق الميزانية بإضافة مليون ونصف مليون من الجنيهات إلى الباب الأول من أبواب الميزانية الجديدة وهو باب الأجور والرواتب.

استغلال النحاس للأحكام العرفية

يقول مكرم عبيد فى عريضته التى رفعها للملك: أما عبث النحاس بالحكم النيابى وتقاليده فقد بلغ حداً لم تشهده مصر فى أى عهد من العهود حتى التى شهدتها قبل أن تظفر بدستورها الحديث وقد بدأ هذا العبث الدستورى بطغيان الحكم العسكرى على الحكم الدستورى، وقد بدأ هذا الطغيان فى صورته الملموسة فى أول جلسة من جلسات الدورة البرلمانية الأخيرة التى استهلها النحاس باشا ووزراؤه استهلالاً مشئوم الطالع بسلب البرلمان حق مناقشة الحاكم العسكرى فيما يتخذ من إجراءات وما يصدر من أوامر القبض حتى على أعضاء البرلمان وإيداعهم غياهب السجون أو نفيهم إلى أقاصى البلاد.

لم يكد النحاس باشا يلى الحكم حتى ألقى القبض على رفعة على ماهر باشا دون تحقيق ولا محاكمة ولكنه على كل حال سمح بالمناقشة البرلمانية فى مسألة اعتقاله واعتقل سعادته النبيل عباس حليم ومحمد طاهر بإستثناء أحد أعضاء مجلس النواب وأبى على المجلس أن يناقشه فى ذلك متذرعاً بأن المجلس حين أقر سلطته العسكرية قد

أعطاه فى الوقت عينه تفويضاً يفعل بمقتضاه ما يشاء وله من سلطة الإعتقال ما يسمح له كل يوم بالقبض على من يشاء من النواب وغير النواب.. ومن سوء حظ النحاس باشا وحظ البلد معه أن الحكم العسكرى طغى أول ما طغى على الحاكم العسكرى نفسه فحكمته العقلية العسكرية قبل أن يحكم بها غيره شأنه فى ذلك شأن كل ضعيف يقوى وأن الإنسان ليطغى.. بلغ برفعته أن يتخذ لنفسه من مظاهر الحكم والسلطان علماً يرتفع وينخفض على سطح داره إشعاراً بوجوده أو بغيبته عن البنيان.. ويتمشى مع العلم الخفاق فى أعلى البنيان وجود عساكر الحرس حول الجدران ولقد كان لكل رئيس وزارة وحاكم عسكرى فى سالف العهد والأوان.. عسكرى واحد يحويه كشك خشبى واحد أو على الأكثر حارسان ولكن حاكمنا العسكرى يأبى أن يكون له من الحراس العسكريين الواقفين بأبواب داره الا ستة تحويهم أكشاك ستة فإذا خرج من الدار فى المساء أو فى الصباح زلزلت الأكشاك زلزالها وقال الجيران ما لها... وينتقل مكرم عبيد إلى الفضائح الانتخابية المنقطعة النظير إلى حدثت فى جرجا لتأييد المرشح الحكومى فيها والتى ترتب عليها إرسال أكثر من ألف جندى بمدافعهم ودباباتهم وطياراتهم وحرمان الناخبين من التذاكر وضرب وجرح كل معارض لهذا الحكم الزاهر؟ مولاى... إذا كان قد جنى على الحياة النيابية القائمة فى مصر رجل واحد فهذا الرجل هو مصطفى النحاس باشا وإذا كانت الجناية من عمل رجلين اثنين فالثانى بلا مراد هو رئيس مجلس النواب وعن انتهاك الحصانة البرلمانية يقول مكرم عبيد: لم تتردد الوزارة فى إنتهاك الحصانة البرلمانية على وجه لم تسبقها إليه وزارة سابقة فمن تفتيش منازل النواب إلى اعتقال أى عضو من أعضاء المجلسين دون استئذان البرلمان.. وكان للوزارة ما أرادت، وهدم البرلمان بأيدى أعضائه قيمة قراراته بشأن الطعون وتحقيق صحة النيابة وأخرج قاسم جودة بعد جلسة استغرقت سبع ساعات ثم رأت الوزارة فى عشر دقائق أخرى من الليلة نفسها أن تصب جام غضبها على نائب شاب جرئ تجرأ على أن يقف فى صف مكرم عبيد وهو الأستاذ جلال الحمامصى فأصدر المجلس فى غيبة النائب قراراً بإخراجه فى عشر دقائق لا تزيد.. بعد أن مضى على قرار المجلس نفسه بصحة نيابته بضعة شهور.

ويتطرق الحديث إلى تكبيل حرية الصحافة والتنكيل بها فيقول: ولن يكون للسلطة الرابعة وهى سلطة الصحافة حظ أسعد من حظ البرلمان فى ظلال هذا العهد الغاشم وقد احتج مجلس نقابة الصحفيين بمذكرة جاء فيها: أسف المجلس لأساليب الرقابة الصحفية واحتجاجه على الإجراءات التى تتبعها الرقابة وخروجها على الحدود المرسومة لها والأحكام العرفية وما جرى عليه العمل فى العهود السابقة إن الصحافة والحال على هذا الوضع لن تتمكن من أداء واجبها أما إمضاءات هذا الاحتجاج فكانت لفكرى أباظة - عبدالقادر حمزة - عبدالقادر المازنى - وحافظ محمود ومحمد خالد ومصطفى أمين - وجلال الحمامصى - كامل الشناوى.. وبلغ من تمادى النحاس باشا فى استغلال سلطته العرفية أن اختفت كلمة المعارضة من الصحف وصودر حق الناس الذى كفله القانون العادى فى الرد على ما يكتب عنه وتفنيد ما يفترى عليهم من الأعمال أو الأقوال وحرم على الصحف أن تنشر أسماء أشخاص بعينهم ولو فى مناسبة من المناسبات العادية كتقييد أسماء مكرم وزملائه من أعضاء الكتلة الوفدية المستقلة فى دفتر التشريفات وإعلان ولائهم لشخصكم المعظم ومن طريف ما يذكرهنا أن بعض كبار الساسة البريطانيين الذين زاروا مصر أخيراً يعلنون على مسمع من وزرائنا بأن حرية الصحافة والحريات الأخرى ظلت فى انجلترا على ما كانت عليه قبل الحرب من غير تعديل ويسمع النحاس باشا ووزراؤه ذلك مهللين ولو أن هيرودوت قام بإذن ربه من بين الأموات لتبين صدق نظره من أن مصر بلد المتناقضات !!!

أما نحن والحرب بعيدة عن أبوابنا وخطر الغزو لم يعد يهددنا فقد وجد بيننا رجل يعلن الحرب على حرياتنا باسم الحرب فيعتقل ألسنتنا وصحافتنا وامراءنا وعلماءنا وكل رجالنا وشبابنا كأننا أسرى حرب ولسنا مجرد محايدين أو حتى غير محاربين فى هذه الحرب.

وينتقل الكتاب لتفنيد حالات محسوبيات النحاس باشا وهى تتفرع الى عدة فروع: الأنسباء والأقارب المحسوبون من الموظفين - أعضاء مشروع البر - الموظفون الذين أدوا خدمات خاصة هم أو أقاربهم - الأطباء الذين يعالجونه - خدم المنزل واخيراً محاسيب المحاسيب.

ولست أزعم يا مولاى حصر ما لا يحصر.. بل إن الاستثناءات التى كانت محل نقاش أو تنازع بيننا أثناء الوزارة (وهى لم تزد على اثنى عشر) بلغت بعد خروجى من الوزارة فوق الألف وعلمت أنها تبلغ فى مجموعها ١٥٠٠ حالة وفيما يلى بيان بالقدر الذى حصرته من محسوبيات النحاس باشا وحده الذى له فى هذا المضمار نصيب الأسد.. وينتقل مكرم إلى محسوبية الأنصار بتفاصيل دقيقه على سبيل المثال يقول:

(فلان) رقى إلى الدرجة الخامسة بصفة استثنائية بوزارة التموين (فلان) نسيب سعادة (فلان) أصبحت اقدميته فى الدرجة الخامسة من تاريخ عودته من البعثة وتثبيته بصفة استثنائية تمهيداً لترقيته إلى الدرجة الرابعة ويصل مجموع المحسوبيات التى يحصرها مكرم إلى ٢٠٢ حالة محسوبية مؤرخة ومقيدة بدقة محام لا تنفذ ثغرة من بين استحكاماته المكرمية القانونية بالإضافة إلى المحسوبيات المشتركة (قطاع محسوبيات مشترك) يشترك فيها الوزراء ويتقاسمون منافعها على قاعدة شيلنى وأشيلك ويضيف لها مكرم ١٥٧ حالة محسوبية فى مجلس النواب وديوان المحاسبة الذى انقلب لديوان للمحسوبية فحشر فى هذا الديوان كافة أنواع المحاسيب على اختلاف مؤهلاتهم فمنهم الضابط والصيدلى والمهندس والصحفى والكاتب وعضو النيابة وابن الجناينى وابن المرضعة.

مولاى: إنها لفضيحة للنظام المالى بل وللنظام الحكومى كله فى مصر أن ينقلب ديوان المحاسبة إلى ديوان للمحسوبية وأن تتحمل الدولة نفقات هذا العبث المجسم فى نظام. ومما يذكر أنه أقيم أخيراً امتحان لحضرات موظفى ديوان المحاسبة لمعرفة مبلغ إلمامهم بأعمال المحاسبة وواجبات الوظائف التى عينوا لها فبلغت نسبة النجاح عشرة فى المائة فقط !!

أما مكتب أمين باشا عثمان - صديق الانجليز الاوفى فيتحدث مكرم عن سكرتارية مكتبه المكونة من ١٧ سكرتيراً.

ولعل من مسك الختام أن نذكر أن وزارة الزراعة أصدرت أمراً إلى المتحف الزراعى بأن يعد كمية من الزهور ترسل لرفعة رئيس الوزراء فى سرايا جاردن سيتى برفقه سائق الموتوسيكل الحكومى رقم ٩١٣ واسمه محمد أبو العلا وفيما يلى نص إيصال بامضائه أرفقه مع هذه العريضة: عدد ٧٥ وردة - ٧٥ زهرة بسلة.. أما فضيحة الفضائح التى يعرضها مكرم عبيد من وجهة نظره فيقول عنها: وصل إلى علمى من أوثق المصادر وأتحدى الحكومة أن تكذبنى إذا اجترأت - أن برقية أرسلت أخيراً بالشفرة من وزارة الخارجية المصرية إلى سعادة سفيرنا بلندن لشراء ست قطع من الفرو (فرو الشعلب الأبيض) ثمنها ثلاثة آلاف جنيه لصاحبة العصمة حرم رئيس الوزراء.. أى عبث بعد هذا يا مولاى بكرامة الدولة ؟ وأعمال الدولة ؟ ووظائف الدولة ؟ ثم من أين لك كل هذا يا سيدى النحاس باشا وقد كنت الرجل الفقير إلى الله تعالى وإذا ما انفقت ثلاثة الاف جنيه على مادة من مواد الترف والزينة فأنت إذن رجل ثرى وثرى جداً فهل لى أن أسألك كيف تنفق مبلغاً كهذا على شئ كمالى كهذا ومثله لشراء سيارة كوتسيكا والاف أخرى من الجنيهات لشراء النفائس والأثاثات فضلاً عن شراء المئات من الفدادين هل لى أن أسألك كما سألنا نسيبك المليونير من أين جاءك هذا الثراء الطارئ الوفير ؟ دعنى أسألك وأبكى عليك ولك ؟



وإني يا مولاى لأحمد الله شاكراً لا مفاخراً - أنى لم أرتكب منذ دخولى هذه الوزارة وحتى خروجى منها محسوبية واحده لمصلحة قريب أو صديق أو نصير - رغم ملاقيته من إغراء - فما كان الوفاء بعهد قطعته على نفسى بل هو فضل الله على.. بل ربما كان لى أن أشير إلى ما فعلت وما لم أفعل لولا إنى أخذت على غيرى إن فعلوا وإن نكلوا - ويختتم مكرم عبيد عريضته الموجهة إلى الملك بهذه القطعة الأدبية السياسية الفريدة فيقول: فيم كل هذا العناء الذى احتملنا من ألوانه لتصوير حالة البلاد فى ظلال الحكم الحاضر وإزاحة الستار عن شتى سيئاته وجناياته.

لقد تضمنت هذه العريضة اتهامات خطيرة، حاولت فيها علم الله أن أبرز الحقائق ظاهرة سافرة، بل لعل صحتها وضراوتها أشد جوراً على الشاكى منها على المشكو ولاسيما إذا كان المشكو قسيم العمر للشاكى. كنت خلال هذه العريضة أصارع نفسى وأجاهد حتى لكأننى شخصان فى واحد.. هذا يمنعنى وذاك يدفعنى.. هذا يذكرنى بما فى الألفة والوداد.. وذاك يحذرنى أن لا أهدر فى سبيل الصديق ما بذلته فى سبيل الوطن من التضحية والجهاد.. ليتها أزمة داخلية قائمة بين الأحزاب بل

هى أزمة وجود.. لأنها انتهت إلى أبجدية الوجود القومى نعم يا مولاى.. فقد انحدرت الأزمة بنا فى هذا العهد الأسود إلى تلمس المبادئ الأولى للآداب القومية الفردية.

إننى أكتب هذه الكلمات الختامية فى قنا ولا حديث لأهل الصعيد إلا الإنتخابات بدباباتها وطياراتها ومدافعها الرشاشة وما صحب هذه الانتخابات من وسائل الإكراه والتزييف التى لم يعهدوا لها من قبل مثيلاً وكلما زاد الوزراء مسعاهم فى تكذيبها زاد الناس اقتناعاً بكذبهم فالناس هنا لا يرون المخزيات التى وقعت كمجرد رواية بل رؤية وليت الحكومة وأبواقها فى البرلمان يسمعون ما به الناس يتندرون – فليس أظرف من المصريين مرحاً وأخفهم روحا، فهم كالفرنسيين يتندرون مما هم منه متذمرون.. لقد أخبرنى أنجال المغفور له فخرى بك عبدالنور أنهم هم الثلاثة أنتخبوا مرشح الحكومة ولم ينتخبوا أخاهم (وهو أحد المرشحين) فلما أبديت دهشتى قالوا إن تذاكرهم الإنتخابية وزعت على آخرين فأعطوا أصواتهم لمرشح الحكومة وأن بعضهم تضاعفت شخصيته بدل المرة ثمانين فانتخب بدل المرة ثمانين وأن القليلين الذين لم تمنع عنهم التذاكر الانتخابية كانوا إذا انتخبوهم ينتخبهم البوليس للضرب والتنكيل فيخرجون من غرفة الانتخاب إلى المستشفى ذاكرين للحكومة الشعبية هذا العطف الشعبى النبيل.

يستمر مكرم عبيد فى ختام العريضة التى رفعها باسم الكتلة الوفدية المستقلة بالمطالبة بالتخلص من الحكومة الحالية هانحن أولاء وقد تبينا خطورة الحال وسوء المآل – نهرع إلى ملاذ العرش بإسم هذا الشعب الأمين، راجين داعين أن يأخذ الله بيدك لتأخذ بيده، وأن يحفظك له زخراً ليومه ولغده، فترفع عنه ما يلقى من شقاء وعناء وتعيد الأمور إلى نصابها، فترد الحقوق إلى أصحابها حتى يعرف المصريون مرة أخرى ما كادوا ينسونه على يد هذه الوزارة من معانى الحكم العادل وحرية الرأى ونزاهة اليد والنفس ويدركون ما كادوا يفقدون من معانى الكرامة الوطنية والشخصية والتزام الحدود وحفظ الكرامات ورعاية الحرمات.



وهكذا.. لا يمكننا إضافة تعليقات أخرى لهذه العريضة التى لم تكن كلها صحيحة وكلها باطلة سوى رد فعل كبار السياسيين المعاصرين وعلى رأسهم د. هيكل الذى شغل منصب «رئيس حزب الاحرار الدستوريين» ورئاسة مجلس الشيوخ حين دخل عليه مكرم بالكتاب وقال له ستقرأ العجب العجاب.. ويقول هيكل قرأتها بالفعل ووجدت فيها الشئ الكثير مما كنت أعرفه.. لكنه يرى أن كثرة الوقائع والأحداث التى استشهد بها مكرم أضرت بالكتاب.. لأن إثبات عدم النزاهة لا يتطلب سوى حالة أو اثنتين فالمبادئ لا تتجزأ. أما الرافعى فهو يأخذ على مكرم تطرفه فى الخصومة والعداء الأمر الذى أضاع الحقيقة فى ضجة الانفعال.. بالإضافة لرد الفعل المحلى.. فقد تناولت الصحف الانجليزية الكتاب الأسود بالتحليل والتفسير وظلت حكومة تشرشل تساند النحاس نظراً لظروف الحرب وتخوفها من اجتياح روميل لجيوشها، وهكذا أثار الكتاب أزمة نزاهة الحكم فى حكومة الوفد.

الأمر الذى دفع الوزارة لوضع خطة ليست خمسية ولكن لتنظيم تقديم بعض الاستجوابات بواسطة الأعضاء الوفديين حول بعض الوقائع التى وردت بالكتاب فى محاولة لتفنيدها.. كما تقدم مكرم عبيد باستجوابه فكان مثار اهتمام كل الشعب.. استمر الاستجواب ساعات.. ثم تناوله النحاس وركز هجومه على النقاط الضعيفة فى الكتاب الأسود فنال إعجاب السادة النواب ومعظمهم وفديون.. وأصدر أوامره بطبع الكتاب الأبيض وهو وثيقة برلمانية تضمنت جميع الاستجوابات التى وردت فى الكتاب الأسود وتفنيدها بالأدلة وتم طبع الكتاب فى سبتمبر ١٩٤٣.

وهو كتاب تاريخى لكنه لم يحظ بشهرة الكتاب الأسود على الرغم من إنه جاء شاملاً مفصلاً تدرج من تفنيد الإتهامات إلى إبطال الأدلة وإضعاف الحجج ورد الإساءة بالوقائع والإهانة بالتأنيب.. وأول سؤال تبادر إلى ذهنى بعد قراءة الكتاب الأسود.. هو.. هل لجأ الوفد للقضاء للفصل فى هذه الاتهامات التى لوثت سمعة الحزب وأدانت الوزارة ؟ وتكشف الأحداث عن تأنى النحاس وتشهد أنه الأمهر إنفعاليا.. فقد فطن بخبرته الواسعة.. أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً إذا عرض على القضاء لكى يجتاز درجاته المختلفة.. وخلال تلك المدة ستظل الوزارة فى موقع الإتهام فلن تتدخل تحقيقاً لمبدأ فصل السلطات.. ومن ثم يزداد اللغط وإثم الكلام وقد يتطور الأمر بين الرأى العام خاصة أن الكتاب أصبح قضيته ويكاد يكون هو تسليتهم اليومية الوحيدة.. وأكتفى النحاس بالاستجوابات والكتاب الأبيض الذى اتخذ من البيت الشعرى التالى شعاراً له:

إذا اراد الله نشـر فـضـيـلة
طويت أتاح لها لسان حسود

ويعلن النحاس أمام البرلمان أن رأسماله النزاهة والشرف وثروته هى الأمانة والطهارة.

ويتقدم النواب بأسئلتهم المعدة سلفاً.. والتى تم إعداد إجاباتها بعناية فائقة.. لسد أية ثغرة فيتقدم النائب إبراهيم مكاوى بسؤال عن نقل مدرسة التدبير المنزلى من جاردن سيتى وإخلائها لتكون مسكناً لمصطفى النحاس !!! وتجئ الإجابة على لسان وزير المعارف فيقول: تقدم إلينا أحد المراقبين بقلم البنات باقتراح يطلب فيه ضم أربعة معاهد فنية على أن تكون جميعها فى مكان واحد وتحت إدارة ناظرة واحدة وان د. طه حسين بوصفه مستشاراً فنياً للوزارة قد وافق على الاقتراح وأن السيدة مديرة معهد التدبير المنزلى.. عارضت الاقتراح وذهبت إلى النحاس باشا وكان يقيم وقتئذ فى منزل فؤاد سراج الدين المقابل للمعهد تشكو إليه وزارة المعارف طالبة منه أن يزور المعهد بنفسه ليتبين مقدار الضرر الذى سيحصل من النقل وقد زار رفعته المعهد فعلاً واقتنع برأيها وكان ذلك كله بعد صدور القرار.. وفيما بعد عرف النحاس باشا أن الموضوع درسه الفنيون وصدر به قرار وزارى عندئذ تفاوض النحاس مع مالكة المكان فى أن تؤجره له عندما تخليه وزارة المعارف فى شهر أكتوبر جاء فى الرد أيضا أن النحاس دفع ٨٦٠ جنيهاً قيمة ما أنفقته وزارة الأشغال من إصلاح المبنى وقال وزير المعارف إن رئيس الوزارة قد استبقى ثلاجة ضخمة وبعض الثريات الكهربائية.. فالثلاجة لا يمكن استعمالها بالمكان الجديد لإختلاف التيار الكهربائى ونفى وزير المعارف أن يكون النحاس باشا قد استبقى أيضا ستارتين جميلتين من صنع يد التلميذات وأن نقل عفش رئيس الوزراء لم تتم بواسطة سيارات حكومية بل تم بواسطة محلات (....) ويضيف وزير المعارف من سخرية الأقدار أن يشغل رئيس الحكومة والوزراء والبرلمان بمثل هذه السفاسف وأن يضطر إلى الرد على صغائر لا تصدر إلا عن نفوس مريضة فى الوقت الذى يهتز العالم فيه لعظائم الأمور.

وعن قصة شراء ست قطع من الفراء يتساءل النائب عمر عمر عن البرقية التى أرسلت بالشفرة إلى وزارة الخارجية لشراء ست قطع من (فرو الثعلب الأبيض) قيمة كل منها ٥٠٠ جنيه ومجموع ثمنها ثلاثة الاف جنيه ويرد رفعة رئيس الوزراء قائلا:

عندما كنا مع نشأت باشاى فى برلين سنة ١٩٣٦ وكان وزيرا مفوضاً لمصر فيها كان واسطة فى شراء فراء لنا ولزملائنا ومنهم مكرم باشا وحرمه ولمن كانوا مرافقين لنا كذلك. فلما حضر نشأت باشا إلى مصر أخيرا سألناه قبل سفره عما إذا كان يوجد فى لندن فرو من فراء الثعلب الأبيض وعما إذا كان ثمنه مناسبا لأثمان قبل الحرب. ثم وصلتنا برقية منه تفيد أنه عرضت عليه فراء ثعالب بيضاء من نوعين نوع ثمن القطعة منه أربعة عشر جنيهاً مصرياً والآخر ثمن القطعة ستة عشر جنيهاً ثم طلب فى برقية موافاته فى حالة الموافقه على الثمن بعدد القطع التى يشتريها ثم سأل عن صحتى فى أثناء مرضى الأخير وفى مارس كلفت وكيل وزارة الخارجية الإبراق إليه شاكرا سؤاله عن صحتى وطلب شراء ست قطع من الفرو الأبيض وارسلت البرقية بالشفرة وهذا نصها: «يشكرك رفعة الرئيس شكراً جزيلاً على تفضلك بالسؤال عن صحته ويرجوك أن تعمل على شراء ست قطع من فراء الثعلب الابيض للسيدة حرمه».

وظاهر مما تقدم أن قيمة القطعة من الفرو المذكور تتراوح بين أربعة عشر جنيهاً وستة عشر جنيهاً وأن قيمة الست قطع تتراوح بين ٨٥ جنيهاً و ٨٠ قرشا وبين ٩٨ جنيهاً و ٤٠ قرشاً وأن مجموع الست لا يبلغ آلافا ولا مئات بل ولا مائة واحدة.. ويضيف النحاس ويسرنى أن أودع جميع هذه الأوراق المجلس ليطلع عليها حضرات النواب المحترمين ليتبينوا قيمة الكتاب الأسود وما فيه من كذب ولجاجة وقبح وسماجة ولكن الكذوب المفترى لا يقف عند حد لأنه لا من الله يتقى ولا من الناس يستحى وقد أراد أن يوهم أننا سخرنا وزارة الخارجية فى شأن خاص وحملناها نفقات البرقيات فى هذا الشأن الخاص. وفى هذا أيضاً يكذب الرجال فقد أعتادت وزارة الخارجية أن تقوم للمصريين ولغيرهم من المقيمين فى مصر بتولى الإجراءات الخاصة بمصالحهم فى الخارج وإذا كان صاحب الشأن من الشخصيات المعروفة للوزارة أو كانت هناك أحوال استعجال فإن الوزارة فى مصر والبعثات فى الخارج تقوم بالعمل ثم تطالب صاحب الشأن بتسديد ما صرف فى سبيله بعد ورود المستندات.

وطبيعى أن تكون أجور البرقيات المتعلقة بالفراء على حسابنا الخاص وأن تتولى الخارجية ارسالها أسوة بكل مصرى آخر يقصد إليها فى مثل ذلك.. ولكن الكذوب المحتال دأب على الكذب والتهويل والتشنيع

فجعل عشرات الجنيهات الآفا ليشكك فى أمانة مصطفى النحاس الذى عرف بالتعفف عن الحرام فى كل شأن خاص أو عام وستتبينون من الردود على الأسئلة المتابعة من كتابه أن أكاذيبه لا تحصى بالعدد.

ويسأل النائب عبدالفتاح الشلقانى عن حادثة وردت فى الكتاب الاسود عن ضبط غزل بمصنع أنساب النحاس بالاسكندرية.

ويفندها النحاس ويقول فى جزء من هذه الفقرة إذا كان مكرم باشا يرى فى هذه الجزئية التافهة سلوى لنفسه فإنى أسلم له بها أما الحقائق كلها فباقية ونعلم فى النهاية بقرار النيابة العسكرية بحفظ موضوع الغزل ويتلو النحاس على البرلمان القرار.

ويسأل النائب عمر عمر النحاس عما ورد فى الكتاب من طريقة معيشة وحياة البذخ والتبذير التى ظهرت عليه والثراء المفاجئ الذى طرأ عليه مثل شراء سيارة ثمنها ثلاثة آلاف جنيه تنازل عنها المسيو «كوتسيكا المليونير» إلى سكن مينا هاوس بمبلغ لا يقل عن ألف جنيه الى تأجير مسكن فى جاردن سيتى بخلاف مسكنهم فى مصر الجديدة وما يتكلفه ذلك من نفقات ويجيب النحاس قائلا: منذ تولينا الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ كانت السيارات التى يقدمها النقل الميكانيكى لرئيس الحكومة عاطلة جميعها تقف فى الطريق من وقت لآخر.

وفى أبريل ١٩٤٢ حضر إلينا وكيل محل «بناكى» وعرض علينا سيارة باكار سوبر ليموزين موديل ١٩٤٢ قائلا إن ثمنها ثلاثة آلاف جنيها وعرضت أمر هذه السيارة على مجلس الوزراء وكان مكرم عبيد وزيراً للمالية فوافق الوزراء على شرائها وترك تقدير ثمنها للنقل الميكانيكى ثم قلت لوكيل بناكى إنى أرغب فى شراء سيارة خاصة أخرى مثلها.. فأجاب انه لم ترد مع هذه السيارة إلا سيارة أخرى حجزها المسيو كوتسيكا. وأخبرت وكيل المحل إنى سأقوم بدفع ثمن سيارتى الخاصة مثلما يتقرر للسيارة الحكومية.. وبعد ذلك قدم بناكى طلبا إلى الحكومة يطلب فيه ثمن سبع سيارات باكار منها السيارة الخاصة برئيس الحكومة وست سيارات اخرى مقدراً لها ١٢ ألف جنيه وأخذت المفاوضات بين الحكومة والمحل شوطاً طويلا فى تقدير الثمن لهذه السيارات السبع وتم تأليف لجنة، فلما رأيت الأخذ والرد قد طال دفعت أنا ثمن السيارة التى اشتريتها بمبلغ ١٥٥٠جنيهاً وهو الثمن الذى يتناسب مع تقدير اللجنة فى فبراير ١٩٤٣.

علما بأن السيدة حرمى كانت تملك سيارة بويك ذات سبعة مقاعد تمتاز عنها ماركة باكار التى اشتريناها ببعض الشئ وبأنها جديدة.. أما السيارة بويك فكانت مستعملة وبيعت بثمن قدره ١٠٩٥ جنيهاً و ١٢١ مليماً.. ولم نتحمل سوى الفرق بين الثمنين الذى لم يبلغ ثلاثة آلاف جنيه ولا ألفين ولا آلفا، ولكن كان ٤٥٤ جنيهاً و ٨٧٩ مليماً جعلها الغارق فى بحر الضلالات ألوفا من الجنيهات.

وتحت يدى الآن جميع مستندات هذا الموضوع وأوراقه الرسمية أودعها مكتب مجلسكم الموقر لتطلعوا عليها فتتبينوا قيمة الإفتراء ومبلغ الادعاء.

ويقول وزير الزراعة «ان الزهور ترسل للكبراء والشخصيات العامة وحتى لمن هم فى المعارضة وترسل لمن يطلبها وبأثمان محددة ويقول وزير الزراعة وهو يخاطب النواب نفترض يا حضرات النواب المحترمين إن صهر رئيس الحكومة انتقل إلى جوار ربه وأن وزارة الزراعة قدمت باقة من الزهور باسم الوزارة فهل فى هذا ما يتنافى والمجاملة من وزارة لرئيس الوزراء ومع هذا فشئ من ذلك لم يحدث وإنما هو الافتراء!!!.

ويعيب علينا صاحب الكتاب أننا أقمنا فى مينا هاوس مدة من الزمن للإستجمام ويعتبر هذه الإقامة ثراء طارئا وبذخاً غير مألوف، كأنما كانت سكنانا فى مينا هاوس حدثا جديداً علينا، ألم يفكر أن إقامتنا فى مينا هاوس أو فى غيرها من الفنادق الكبرى فى القاهرة والإسكندرية أو فى غيرها من بلاد الصعيد ومصايف القطر المصرى وأوروبا ليست بنت عام ولا عامين وإنما هى حياتنا تعودناها ونظمناها طبقا لدواعى راحتنا وانتجاعاً لصحتنا وأننا نعيش هذه العيشة على قدر طاقتنا ونزولنا فى الفنادق اللائقه بكرامتنا وظهورنا بالمظهر المتناسب مع حالتنا لا مقترين على انفسنا بل محترمين مركزنا، مراعين صحتنا.. لقد أقمنا فى مينا هاوس أربعة وتسعين يوماً لم تكلفنا آلف جنيه ولكن جميع ما دفعناه فى هذه المدة كلها مبلغ ٣٢٣ جنيهاً و٣١٥ مليما.

ويتحدث المختلق المضطرب عن سكنانا فى منزل بجاردن سيتى إيجاره الشهرى خمسون جنيهاً اثثناه بالأثاث الفاخر ولكن مكرم الكذاب الذى رأى كل هذا وعرفه بل هو الذى فكر حينما رأى اشتداد الغارات على المدن فأشار علينا أن نهاجر إلى جهة أمينة لا تغشاها غارات ولا قنابل. أما عن منزل جاردن سيتى وتأجيره فقد ذكر زميلى وزير المعارف القصة بالتفصيل.. أما من أين لنا إيجار هذا المنزل الجديد ونحن نستأجر منزلاً آخر بمصر الجديدة فاسمعوا ثم احكموا فلكى نستطيع أن ندفع ايجار المنزل الجديد اضطررنا إلى أن نعيد تأثيث منزلنا فى مصر الجديدة ببعض الفائض لدينا من الأثاث مضافا إليه قليل غيره وأجرناه إلى من يستخدمه لسكنى ضباط الحلفاء بأجر مناسب لنستطيع القيام بدفع ايجار المنزلين ولتظل عيشتنا فى مستواها الطبيعى.

والآن وقد سمعتم ما أدليت به من بيانات وما أقمته على كذب الكذاب من أدلة بينات.. لقد طعن فى الأخلاق وفى الأعراض وفى الذمم وفى القضاء وفى الوزراء وفى الجماعات وفى الهيئات.. لقد دخل سوق السياسة تاجرا متسترا وخرج منها خاسرا مضيعاً كل شئ من الكرامة والرجولة والشهامة وإن كان قد خرج منها بالأصفر الرنان والقصور والأطيان.. ويمينا لولا انتسابه إلى الوفد وتقريبنا اياه خداعاً بأمره وحسن ظن منا بمن يجيد امثاله التمثيل لولا هذا لظل مخلوقاً عاديا، شأنه شأن سواد الناس لا يحس به أحد غاب أو حضر.. ولكن الله الذى يعلم خائنه الأعين وما تخفى الصدور كشف عن دخيلته فأقصيناه عن حظيرتنا فأصابه من هول الصدمة السفر وأخذ يعض بالناب والظفر ويستعين بمن كان بالأمس يكيل لهم الضربات كانوا خصومه الأعداء، فأصبحوا اليوم أصدقاءه الألداء.. فليأنس بعض إلى بعض وليهنأ بعضهم ببعض (والله يهنى سعيد بسعيدة).

وإنه ليحزننى ويحز فى نفسى أن نضيع أوقاتنا وأوقاتكم ونشغل أنفسنا وأنفسكم بمثل هذه الصغائر والمهازل والعالم فى جد بكبريات المشاغل.. ولكن هيهات فلن ينال أحد منا غايته فإن البرلمان ينصرنا والشعب يؤيدنا والله معنا مطلع على أعمالنا وأسرارنا.

وهكذا أسدل الستار على هذه الدراما السياسية.. والتى انتهت نهاية حزينة بإعتقال مكرم عبيد فيما بعد حتى أكتوبر ١٩٤٤ (تاريخ إقالة الوزارة).. وكان مكرم قد خرج من الوفد جريحاً وقد عكف على تأسيس حزب الكتلة الوفدية الذى ظل تأثيره ضعيفا سياسيا ونصيبه ضئيلاً فى مقاعد البرلمان.. وكان دائماً يردد أنه أحق برئاسة الوزراء من النقراشي وأحمد ماهر لأنه كان سكرتير عام حزب الوفد وهما عضوان فقط.. وبعض الخبثاء كانوا يشيرون إلى أن طموحاته السياسية هى السبب الكامن وراء اندفاعه بقوة وثقة لإصدار مثل هذا الكتاب.. ولكن الوثائق البريطانية تؤكد أن السفير البريطانى الذى فوجئ بصدور الكتاب لم يكن يعلم عنه شيئاً ويقول فى مذكراته: «كنت أخشى أن نكون طرفاً أو حكماً بين الملك والحكومة.. وأستبعد أن يكون الملك قد قام بتحريض مكرم أو شجعه على المبالغة فى وقائع الكتاب الأسود وأعتقد أنه من الحكمة أن أترك الأحداث تأخذ مجراها دون تدخل منى لحماية النحاس من الملك، فمن الأفضل أن يكون النحاس فى المعارضة لكى تتضح الأمور الخفية أكثر ولكى أعرف الشخصية التى كان الملك يريد أن يوليها زمام الأمور فى ٤ فبراير ١٩٤٢ !!!



وتفاقمت الأمور بين الملك والنحاس.. فاستغاث السفير بتشرشل وكتب يقول[٥٨]: تواجهنى مصاعب عديدة للتوفيق بين الملك والحكومة فأنا.. أشبه بمن يخلط الزيت بالخل !! فهدئ تشرشل من روعه مداعبا إياه: لاتنزعج يا عزيزى من عملية المزج هذه فهى مألوفة لكى تكون السلطة شهية المذاق!!! يجب أن تُشعر النحاس أننا نسانده لأننا نريد حياة مستقرة فى مصر.. أما إذا كان هو مصدر الإزعاج وإثارة المتاعب فسوف يسقط فى الهاوية إن هدفنا دائما مناصرة الحرية والسلام !! وللأسف الشديد لم يقرأ النحاس هذه البرقية الغادرة وفيما بعد حاول فاروق انتزاع موافقة تشرشل لمحاكمة النحاس لكن الأخير رفض بشدة واتهم فاروق تجاوزات الوزارة بأنها تندرج تحت بند الخيانة العظمى.

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر عتاب أصدقاء مكرم له وعدم صبره وتذكيره بالآيات القرآنية التى كان يحفظها جيداً «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» فكان يجيبهم وهل إذا صبرت أنا كان سيصبر غيرى ولا ينال منى ثم إننى لو فعلت ما تطالبوننى به ما كنت مكرم عبيد.. مكرم عبيد لا يمكن إلا أن يكون مكرم عبيد.

ويلتقى الرجلان فى جنازة صبرى أبو علم ويتعانقان ويبكيان بحرارة فقد شيئا هما أيضا صداقتهما ويعانيان مرارة الفراق ولوعة الأسى !!!



لقطة نادرة لأم كلثوم تتحدث ضاحكة مع مكرم عبيد والسيجارة تظهر في يدها.. فى عام ١٩٤١ شدت كوكب الشرق برائعتها «رق الحبيب».. وفي عام ١٩٤٢ كانت قوات روميل تتأهب لاجتياح حدود مصر الغربية وفى العام نفسه اختلف مكرم عبيد مع النحاس وفى عام ١٩٤٣ صدر «الكتاب الأسود فى العهد الأسود» هذا الكتاب الفريد الذى لم تشهد الخصومات السياسية في مصر ما يماثله فى بلاغة بيانه وقوة حجته فكاتبه محام عظيم وخطيب سياسي بليغ وبرلماني أديب ووفدى قديم



خرج مكرم من حزب الوفد الذي كان سكرتيرا عاما له منذ عام ١٩٢٨ عقب خلافه مع النحاس وقام بتأسيس حزب الكتلة الوفدية لكنه لم يحز الأغلبية البرلمانية التي كان يمتاز بها حزب الوفد والصورة للنحاس ومكرم عبيد في المستشفى أثناء إصابتهما في أحد الاعتداءات التي تعرض لها النحاس



السيدة زينب الوكيل كانت تنعى
حظ النحاس فهو ليس محاميا
يمارس المهنة مثل مكرم فإذا ترك
الوزارة فلن يتبقى له إلا معاشه
فيذكرها مكرم بجلالة قدر
النحاس ومكانته لدى الشعب
ومركزه كرئيس للوزراء فكانت
تجيب يكفينا نعيرها!!

قام السفير البريطانى لامبسون أو اللورد كيلرن بزيارة
النحاس عقب حادث ٤فبراير في مقر رئاسة الوزراء
وقام شباب الوفد بحمله على الأكتاف الأمر الذى أشعل
النار وأثار الأحقاد تجاه حكومة الوفد

كان الكاتب الكبير عباس العقاد ينتقد فارق السن الكبير بين النحاس وحرمه زينب الوكيل.. فالمرأة عندما تشترى طموحاتها غالبا ما يدفع السياسى الثمن خصماً من مبادئه



جماعة «مصر الفتاة» التى أسسها أحمد حسين المعروفة بذوى القمصان الخضر والسهم يشير إلى الرئيس جمال عبدالناصر وكان عضوا بها فى مطلع شبابه



ابتسامة النصر والرغبة في الاستحواذ علي القدر الأكبر من الأموال تدعيماً لمشروعها أسبوع البر والذى كان يهدف لجمع التبرعات من الأغنياء مقابل الإنعام عليهم بالباشاوية وفى الكتاب الأسود يتعجب مكرم عبيد من الجمع بين البر والباشاوية ويقول إن الغريب فى هذا العهد هو انعدام الغريب

النحاس باشا أثناء مغادرته مسجد الرفاعي عقب أدائه صلاة الجمعة حيث يقوم أحد البسطاء بمعاونته لارتداء حذائه.. أسوة بنفس المشهد الذى تكرر مع الملك

أصــــدر الملك فـــاروق
تعليـــمـــاتـه إلي الديوان
بترجمة الكتاب الأسود
إلـى الإنجليـــــزيـة
والفرنسية لكي يتمكن من
قراءته الوزراء المفوضون
وأصدر النحاس أوامره
باعـتـقـال كل من يقتنى
نســخــة من الكتـــاب

أحزاب الأقلية وخصوم الوفد كانوا ينظرون من ثقب باب
الحزب العريق ويتبادلون الاتهامات والفضائح التي
وردت في الكتاب الأسود وهم يرتشفون قهوة الصباح



"الشماشرجية" .. يحكمون البلد

«البلد كان بيحكمها خُدّام».. عبارة شهيرة أطلقها حسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة أمام محكمة الثورة وهى تشير إلى سطوة الشماشرجية واتصالهم المباشر بالملك دون رئيس الوزراء ورئيس الديوان ذلك النظام الكهنوتى العجيب.. الذى ابتدعه على ماهر أثناء رئاسته الديوان لكى يعزل الملك عن وزرائه ورجال الحاشية وينفرد بالرضا السامي والسلطة المطلقة فكان له ما أراد.. ثم انقلب السحر على الساحر وأصبح على ماهر أول ضحايا هذا النظام.. فلايمكنه الإتصال بالملك إلا من خلال «محمد حسن» الشماشرجي الأول.. وهى كلمة تركية تعنى «اللبيس» الذى يعهد إليه الاعتناء بملابس الملك.. فرأى فاروق أن يتكفل هو بشئون اناقته.. أما أمور الدولة ومذكرات الوزراء وتقارير الخارجية والأنشطة الحزبية والجماعات الأيدلوجية والعلاقات السياسية والشئون البرلمانية والمراسلات الرسمية وجميع شئون الحكم فهى من اختصاص الشماشرجي، يهتم بأناقتها، يهندمها، يرتبها، يفهرسها.. ويختمها بالختم الخاص بمكتب جلالة الملك ثم يعرضها على مولاه.. أو الطاغية - أشهر القابه شيوعاً بعد الثورة - فهل كان حقاً طاغية ؟!!

فى سنوات الصبا أثناء تدريبه على القفز بالجواد سأل مدربه مستنكرا «لماذا لا أسقط أنا أيضاً من فوق صهوة جوادى لقد سقط ولى عهد انجلترا أمامى تسع مرات إذا لم أتدرب على كبح جماح فرسى فكيف أتعلم؟!» هكذا كان يرى فاروق أول حقوقه الفضية.. حقوق الطفولة والصبا بما تحتمله من متعة التجربة والخطأ شأن بقية أقرانه.. لكنه لم يدرك آنذاك.. أن واجباته كملك فيما بعد سوف تحيل أى سقطات إلى انتهاكات دستورية صارخة تضيف المزيد من الثقوب والثغرات فى نسيج دستور ١٩٢٣ المهترئ الذى منح الملك سلطات مطلقة فى بعض بنوده كتعيين الوزراء وإقالتهم وحل البرلمان فبمقتضى الدستور يحق للملك تعيين الوزراء والسفراء والوزراء المفوضين.. وكبار رجال الدين والقصر وكبار موظفى الدولة.. وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة.. يعلن الحرب ويبرم المعاهدات ويعقد الاتفاقيات وقد أكتسب هذه الحقوق وهو دون الثامنة عشر عاماً.. بالإضافة إلى حقوقه المكتسبة بواسطة فتاوى رجال القصر فيما عرف بالدستور الغير مكتوب الذى كانت له قوة القانون وفى بعض الحالات تطغى سطوته على بنود الدستور وتعصف بها.. فعلى سبيل المثال.. كان لابد من الرجوع إلى القصر فى الأمور التالية : حركة ترقيات وتنقلات رجال السلك الدبلوماسى والقضائى.. منح الأوسمة والنياشين.. أجازات السفراء والوزراء المفوضين.. تغيير ملابس رجال الجيش والبوليس صيفاً وشتاء.. سفر الأمراء من أفراد أسرة محمد على.. أجازات الوزراء.. مواعيد سفر المحمل وغيرها من التفاصيل الدقيقة التى تؤكد أنه فرعون صغير منح سلطة وراثية ودستورية مثل أبيه وهكذا أصبحت رئاسة الوزراء مثل حبل السيرك المشدود.. يتطلب أمهر اللاعبين للبقاء أطول مدة ممكنة دون أن تزل قدماه وهنا يكمن الفرق بين رؤساء الوزراء.. أما الملك فهو صاحب العرض الجماهيرى الذى لا يكتب له الدوام بدون الجمهور (الشعب) الذى أكتفى بموقف المتفرج معظم الأوقات وإن كبت ثورته وانفعاله.



يقول د. حسين هيكل «مرجع ذلك أن الظالمين الذين حكموا بلادنا أزماناً طويلة فرضوا تشريعات يأباها العدل ولم نكن نستطيع أن نثور صراحة.. فكنا نتحايل على هذه الأحكام والتشريعات ونفرح لمخالفتها وقد بلغ بنا الأمر أن صرنا نتحايل على أحكام الشريعة ووضع فقهاؤنا المؤلفات فى الحيل الشرعية فالشعوب التى لا تستطيع الثورة على الظلم تلجأ إلى الحيلة.. وقد انتقل هذا الميراث إلى حكامنا فأصبحوا يلجأون إلى الحيلة لتفادى حكم القانون وما يقدمه من ضمانات للحرية وإمعاناً فى ظلم الشعب، واقتناعاً منهم بأن العاجز لا يستبد». وبما أن الشئ بالشئ يذكر فمن الإنصاف أن نستدعى تاريخ التجربة الدستورية فى بريطانيا، مقارنة بتاريخ دستورنا ففى عام ١٢١٥ صدر الدستور الإنجليزى - أعرق دساتير العالم الذى قيل عنه «أن حكمة جميع الحكماء فى العالم لا تعادل فضائله..» أما فولتير ومونتيسكو فقد أكدا أنه وضع بعناية فائقة تدعو إلى الإعجاب خاصة فيما يتعلق بحماية الفرد وممتلكاته من طغيان أى ملك وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت التشنجات البرلمانية قرابة الثلاثمائة عام قامت خلالها حرب أهلية وتطلب الأمر التضحية برأس الملك الشاب «شارلز الأول» على يد كرومويل -زعيم البرلمانيين الثائرين - نتيجة لقيامه بفرض الضرائب دون الرجوع للبرلمان.. بمثل هذا العنف فى الممارسة.. ترسخ فى بريطانيا بعد مرور مئات السنين أهم المبادئ الدستورية.. «الملك يملك ولايحكم» ولا يحق له فرض الضرائب دون الرجوع للبرلمان.. أما قانون التصويت العام فلم يتقرر فى بريطانيا إلا عام ١٨٦٠ وفى عهد الملكة فيكتوريا وقعت مشادة دستورية بينها وبين جلادستون رئيس الوزراء حين قررت الملكة تعيين وصيفة لها دون الرجوع إليه كما ينص الدستور فالوصيفة تتطلع على أدق أسرار الامبراطورية ومن ثم لابد أن تكون محل ثقة الوزارة.. وغضبت الملكة ولكن جلادستون كسب الجولة ورضخت فيكتوريا لسطوة الدستور الانجليزى اللعين الذى منحها ملكية مقيدة لا يمكنها تجاوزها !! ذكرتها بنهاية أسطورة حق الملوك الألهى التى سادت أوروبا.

وتاريخ الفكر السياسى فى مصر يؤرخ له بقدوم نابليون قائدا لحملته الفرنسية بأفكارها السياسية وتياراتها الثقافية الباردة التى تفاعلت مع اجوائنا الدافئة فأمطرتنا بعشرات المذاهب والايدلوجيات والاتجاهات.. ذلك أن الحملة الفرنسية التنويرية التى رفعت شعارات الثورة الفرنسية (الحرية - الإخاء - المساواة) لم تبدأ فى مصر من فراغ وربما يدهش القارئ حين يعلم أن مصر شهدت العديد من الثورات الشعبية فى عهد المماليك مثل ثورة عبيد القاهرة عام ١٢٦٠ وثورات الدهماء أو الحرافيش كما كان يطلق عليهم لتحقيق بعض مطالبهم الشعبية وثورة البدو والفلاحين فى عام ١٢٥٣م بزعامة حصن الدين بن ثعلب التى كانت تهدف لإقامة سلطنة بدوية مستقلة عن سلطة المماليك تلك الثورة التى جاء ذكرها فى بدائع الزهور لابن اياس وأفزعت المماليك قرونا طويلة وحالت بينهم وبين استخدام البدو فى صراعاتهم الداخلية.. إضافة إلى ثورة العبيد التى اندلعت عام ١٤٣٧ مطالبة بتوزيع الأراضى الزراعية بالعدل والقسطاس على الفلاحين وتتوالى ثورات الحرافيش حتى نصل إلى أقوى وأعجب ثورة عرفتها مصر قبل قدوم الحملة الفرنسية.. بل إنها سبقت الثورة الفرنسية ذاتها فى الدعوة للنظام الجمهورى.. ويبدو الكلام عجيبا خاصة بين الأجيال الشابة التى لا تعلم إلا همام بطل الفيلم السينمائى الشهير «همام فى أمستردام» أما ثورة «همام» شيخ قبيلة الهوارة فى الصعيد وبطل تلك الثورة التى نجحت فى الاستقلال بحكم الصعيد بدءاً من المنيا عن الحكومة المملوكية فى القاهرة فله شأن آخر فقد أستمرت ثورته أربع سنوات (١٧٦٥ - ١٧٦٩) استقل فيها الصعيد بعد مناوشات ومساجلات بين همام والمماليك بهدف تخليص مصر من بين ايديهم فيذكر رفاعة الطهطاوى[١٠] فى كتابة الشهير «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» تلك الثورة الهمامية التى تمخض عنها تأسيس أمارة الصعيد التى كانت جمهورية التزامية وذلك فى معرض حديثه عن النظام الجمهورى فى فرنسا أو الملكية الشعبية المنتخبة وذلك فى عهد «لويس فيليب» ومقارنته بالنظام الجمهورى فى مصر فى عهد جمهورية همام وتدور عجلة التاريخ وتشهد مصر صدور الدساتير الآتية (١٩٢٣ قبل الثورة ثم دستور ١٩٥٦ ودستور ١٩٥٨ المؤقت إثناء الوحدة مع سوريا ثم دستور ١٩٦٤ المؤقت عقب الانفصال واخيراً دستور ١٩٧١). وهكذا اكتسبت الممارسة الدستورية فى مصر عمقا فقهيا تاريخيا عبر عشرات السنين وفى كل مرة كانت الظروف الطاحنة والقيود الاستبدادية الدامية تأتى بأزمة ديمقراطية خانقة لكنها كانت تلد الهمة والوعى والمسئولية على حد تعبير المصلح العظيم جمال الدين الأفغانى..وللوهلة الأولى قد يبدو هذا الاستطراد التاريخى اقحاماً لتاريخ الفقه الدستورى فى غير موضعه.. ولكننا فى اطار تقييم عهد فاروق وبعد انقضاء أكثر من خمسين عاماً على الثورة لايمكننا ترديد نفس الاكلشيهات الناقدة والعبارات الدامغة دون محاولة الوصول لعمق التجربة الدستورية فى إطار سياقها التاريخى.

وفى مصر صدر أول دستور رسمى عام ١٩٢٣ بعد صراع وطنى مرير وثورة شعبية كاسحة.. ووصفته جريدة «الديلى تليجراف» بأنه وثيقة وضعت على عجل وقامت على النمط الاوربى وهو ملائم لسلطة الوفد ولكن المحافظة على روح هذا الدستور كانت تتطلب دوماً يقظة مستمرة من أمناء الفصل بين السلطات الثلاث (التشريعية - التنفيذية - القضائية) ومن هذا المنطلق لم يكن تشبث الملك فؤاد واستئثاره بالسلطة ومن بعده فاروق أمراً خارقاً أو غير مألوف ولكنها الحتمية التاريخية لنظرية النشوء والارتقاء الدستورية فى مصر كما شاهدنا وبجميع المقاييس فإن الدستور المصرى كتب له الريادة ذلك أن مصر كانت ولاتزال تمتلك أفضل وأعرق الممارسات الدستورية والبرلمانية فى المنطقة العربية.. على الرغم من كل السلبيات التى أكتنفت هذه التجربة قياساً بسنوات عمرها التى تجاوزت الثمانين عاماً فمن الإنصاف حين نتطرق لاستبدادية فاروق وطغيانه دستوريا والتى كان على ماهر هو بطلها الحقيقى.. فهو أول من لقنه دروس التغاضى الدستورية وشجعه على تطبيقها..يجب أن نضع كل هذا فى اطاره الزمنى الصحيح.. ونستدعى جميع العوامل التى هيأت المناخ العام ومهدت الطريق أمامه لكى يعصف بالدستور مرات ومرات. باختصار فالدستور نص وتطبيق ولم يطبق النص بحذافيره إلا فى استثناءات قليلة (وزارة الوفد ١٩٣٧ - وعام ١٩٥٠) وهو أمر متوقع فى ظل وجود سيادة استعمارية تناطح السيادة الوطنية وتملى ارادتها عليها لذلك كان يرى بعض الحكماء ان الجلاء اولى بالجهاد من الدستور.. فهو

ليس مهدداً وفى الوقت الملائم يمكن أن يسترد أنفاسه وتعود إليه الحياة مرة أخرى.. فالأولوية لجلاء الانجليز فهم العائق الأكبر أمام أى ممارسة دستورية سليمة ولكن للأسف لم تتسع قاعدة هذا الرأى الرشيد الذى كان يتزعمه الكاتب الكبير عباس العقاد فكان الهياج بديلا عن النضج السياسى. وانتهى الأمر بالمهادنة فى الحقوق السياسية والدستورية فى معظم الأحوال واستمر الكفاح السياسى بعد الثورة حتى وصلنا إلى عمق ونضج ممارستنا الدستورية الحالية وهى فى الحقيقة نتاج نضال سياسى يتناساه البعض ويتجاهله فى خضم موجة من التيارات النقدية التى لا تبحث إلا عن السلبيات وتغض بصرها عن شرف المحاولة والجهد الجهيد الذى بذلته أجيال وزعامات سياسية مستنيرة.

نظام الشماشرجية

عانى فاروق طيلة حياته من اختلال ساعته البيولوجية فغالباً ما يجافيه النوم ويستعصى عليه فلايخلد للنوم إلا مع انبثاق فجر كل يوم جديد وبزوغ ضوء النهار وفى بعض الأيام يظل مستيقظا حتى صباح اليوم التالى وأحياناً يباشر أعماله ويصدر أوامره من الصباح الباكر ومن تمرد النوم الذى كان السبب الرئيسى وراء سهره كل ليلة ولدت فوضى النهار الملكية.. فكان لايستيقظ قبل الثانية عشرة ظهراً وأحياناً الساعة الثانية.. ويحظر حظراً باتاً إيقاظه إلا للضرورة القصوى وفى حالة إرتباطه بموعد هام يستيقظ فى العاشرة صباحاً ويتولى الشماشرجي النوبتجي القيام بهذه المهمة الجليلة ويتناوب أشهر ثلاثة شماشرجية فى تاريخ أسرة محمد على الخدمة فى جناح الملك أو «بُلك مولانا» كما كان يطلق عليه وهم خليل الكردى وعبدالعزيز عثمان ومحمد حسن الشماشرجى الأول أو شهر زاد القصر الذى يروى يومياً قصص المذكرات الرسمية لمولاه وهو نوبى الأصل يمتلك قدرات خاصة تضاف إلى رصيده بالإضافة لذكائه ونبوغه وقوة ذاكرته ولباقته ومن ثم أصبح هذا الرجل الذى بدأ حياته مساعداً فى متجر أحد الأثرياء من أهم رجال الثقة وهمزة الوصل والفصل بين الملك ورجاله.. كان الوزراء يحسبون له ألف حساب وفى عام ١٩٥١ أنعم عليه فاروق بنيشان النيل من الطبقة الرابعة.. تقديراً لخدماته العظيمة التى أسداها لمولاه حتى قيام الثورة وحصار مقر رأس التين وشكوى حافظ عفيفى رئيس الديوان من عدم إمكانية الاتصال المباشر بالملك أثناء ذلك الظرف العصيب.. حيث تولى محمد حسن مهمة الرد على طلبات الثوار نيابة عن الملك.. ومن الطريف أنه ظل مقتنعاً بعدم جدية الثورة حتى اللحظات الأخيرة وحين أدركه الصباح تنكر فى شال وقفطان وطأطأ رأسه وسكت عن الكلام المباح وهرب من قصر رأس التين.

استمد محمد حسن سلطته من انفراده بمقابلة الملك يومياً حيث ينتهى مطاف المراسلات والتقارير والمذكرات الحكومية والإشارات التليفونية المرسلة من الديوان إلى مكتبه المجاور لمكتب الملك ويتولى ختمها تمهيداً لعرضها على جلالته أما مساعده فلم يكن أقل شأناً من محمد حسن فى القصر فهو أحد حلاقى الملك (بترو الإيطالى الذى كان يعمل مساعداً لجارو حلاق القصر منذ عام ١٩١٩، وحسنين وهو الحلاق المصرى فى القصر) ويتناوب الرجلان - بترو وحسنين - مهمة معاونة محمد حسن فى إعداد البوستة تمهيداً لعرضها على جلالته.

وفى بدايات هذا النظام الفاروقى المستحدث كان يطلع على تقارير وشئون الدولة بنفسه ويؤشر ببعض التأشيرات المقتضبة بالرفض أو الإيجاب أو طلب المزيد من الاستفسارات.. ثم تطورت الأمور من سيئ لأسوأ خاصة حين تملك منه داء القمار.. وما استتبع ذلك من نفاد صبره وعدم اكتراثه وفتور إهتمامه ولا مبالاته بالشئون السياسية وما يستتبعها من تفصيلات دقيقة ودراسة متأنية قبل إصدار أى قرار.. فكان يكتفى بالاستماع إلى التقارير والمذكرات التى يتلوها عليه محمد حسن أثناء تناوله وجبة أفطاره أو حلاقة ذقنه ثم يصدر أوامره بشأنها ويقوم الشماشرجى بكتابة التأشيرة بخط يده بالصيغة الأقرب لتوجيهات الملك.. أما المقابلات الرسمية فكان يرتدى لها الردنجوت وتبدأ من الرابعة وتمتد حتى السابعة وفى كل الأحوال كان يحرص بشدة على الإطلاع على البوستة يومياً مهما تكن مشاغله حفاظاً على المبدأ فقط «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد» وهذه الحكمة كانت تمثل حلقة رئيسية فى سلسلة الإلتزام بالقواعد والبروتوكول التى تشربها منذ نعومة أظافره من خلال مربيته الإنجليزية القادمة.. لذلك لم يكن عجيباً أن تحمل شخصيته هذه التناقضات.. التزام مفرط فى بعض المواقف.. وفوضى وعشوائية فى مواقف أخرى.. ففى بعض الأحيان كان يستدعى بعض أصدقائه المقربين جداً إلى صالونه الخاص أو إلى جوار سريره إذا كان يشعر بالإعياء ويريد التحدث مع أحدهم.. وبعد انتهاء المقابلة كان يقوم أمام ضيفه بتفريغ طفايات السجائر فى طفاية كبيرة ثم يرن الجرس للخدم لاستكمال شئون النظافة وفى أحيان أخرى يطلب من أحد اصدقائه (تجاوزاً) أن يعيد كرسيه إلى موضعه الأصلى بالسنتيمتر فى حالة إستخدامه لمضيفه بجوار سريره.

أما عجب العجاب.. الذى سيدهش له القارئ أن السكرتارية الخاصة للملك.. كانت لا تحمل من أسمها شيئاً.. فالملك كان له سكرتير خاص هو د. حسين حسنى الذى عمل معه منذ عام ١٩٣٧ وحتى قيام الثورة وحصل د. حسين على الدكتوراه من جامعة مونبلييه بفرنسا والتحق بالقصر فى عهد الملك فؤاد عام ١٩٣٠.. وهو من أخلص رجاله ومن أكثر الشخصيات التى حرصت على إسداء النصح الأبوى لفاروق فى بدايات عهده.. ولكن إخلاصه لم يمنحه أى استثناء من قاعدة الشمشرجية التى كانت تحكم القصر.. ولم يتمكن من الإتصال بالملك إلا من خلال محمد حسن وزميليه وفى شهادته أمام محكمة الثورة أكد هذا العبث وعدم إتصاله المباشر بالملك شهوراً متواصلة.. وكان فاروق يكتفى بتوجيه الدعوة الرسمية له فى المآدب والحفلات الملكية.. ولنا أن نتخيل كيف ارتضى هذا النظام جميع رؤساء الوزراء فى مصر أصحاب المقام الرفيع ورؤساء الديوان على ماهر - أحمد حسنين - حسن يوسف - حسين سرى - إبراهيم عبدالهادى - حافظ عفيفى.. وجميع الوزراء وهم حاصلون على أرفع الدرجات العلمية والمناصب الرسمية.. والإذعان لأوامر خادم الملك وتبادل الحوار والرأى معه فى شئون الدولة.. فلم يجرؤ أحد على الاعتراض الصريح.. أو التلميح الخفيف.. ومن المؤسف أنهم سارعوا بتقديم فروض الولاء والطاعة لمحمد حسن.

الشئون العربية

وفى أكتوبر ١٩٤٤ تم توقيع بروتوكول مشروع إنشاء جامعة الدول العربية فى الأسبوع الأخير لحكومة النحاس تلك الجامعة التى تدين بالفضل لعبدالرحمن عزام أول من تحدث عن أهمية إنشاء اتحاد بين الدول العربية على غرار الولايات المتحدة.. فمصر فى جميع العصور الفرعونية والإسلامية وفى أيام الطولونيين والإخشيد والفاطميين والايوبيين والمماليك وفى العهد الحديث أيام محمد على لم تترك مقدرات عرب آسيا دون أن يكون لها دور رئيسى فى المنطقة العربية فقد فرضت طبيعة دفاعها عن النفس هذا الدور الحيوى لأكبر دولة عربية حيث كان يبلغ عدد سكان مصر أثناء توقيع الاتفاقية (عشرين مليون نسمة) والعراق أربعة ونصف مليون والسعودية ستة ملايين وسوريا ثلاثة ونصف مليون ولبنان أكثر من مليون واليمن ستة ملايين.. وشرق الأردن مائتين وثلاثين ألف وفلسطين مليون ونصف مليون نسمة.. ومن المؤلم أن فكرة[١١] إنشاء الجامعة العربية.. لم تخلُ من الخصومات الحزبية وانطبق عليها المثل القائل «عدوك يتمنى لك الغلط» فقد انتقدت أحزاب المعارضة.. معظم أعمال وزارة النحاس وانتقدها المؤرخ الكبير وعضو الحزب الوطنى عبدالرحمن الرافعى فقال: «إن فكرة[١١] إنشاء الجامعة كانت بإيعاز من بريطانيا.. وكان الأجدر بالنحاس أن يعمل على توحيد جبهة مصر الداخلية لتكون يداً واحدة أمام الأحداث التى واجهتها خلال الحرب العالمية ويؤكد الرافعى أن الزمن أثبت عدم إخلاص وتضامن هذه الحكومات العربية.. فمعظمها أسير السياسة الاستعمارية البريطانية أو الأهواء الشخصية وبذلك لم تفد مصر من اشتراكها فى الجامعة العربية ولكنها جلبت عليها خسائر كبيرة ويذكر ما أصاب فلسطين وعرب فلسطين.. فهى إذن هيئة شكلية أقرب إلى المظاهر البراقة منها إلى العمل الجدى».



هكذا ظهرت الانقسامات والخلافات والعدوات مصاحبة لميلاد الجامعة منذ أكثر من خمسين عاماً.. وكان طبيعياً أن يتطلع فاروق للزعامة.. ذلك الحلم الذى سيطر على كيانه وألهب خياله.. ودعمه مستشاروه.. والأهم من كل ذلك القيام بدور رئيسى فى تدعيم الوحدة العربية يتجاوز دور غريمه النحاس ففكر فاروق فى الاجتماع مع الملك عبدالعزيز آل سعود (بسمارك الجزيرة العربية آنذاك) وبالفعل اجتمع الملكان عام ١٩٤٥ فى رضوى بالقرب من ميناء ينبع وكانت رحلة غير رسمية فى عهد وزارة أحمد ماهر.. وصرح الديوان أنها رحلة استجمام على اليخت الملكى «فخر البحار» واكتفى فاروق بدعوة عبدالرحمن عزام فقط ولم يدع وزير الخارجية أما الملك عبدالعزيز فقد رافقه أنجاله.. وعلى الرغم من أن المحادثات بين فاروق والملك عبدالعزيز.. كانت تهدف فى المقام الأول إلى تعزيز العلاقات بين الدولتين.. فلم يكن خافياً على الملك والرؤساء العرب.. حميمية العلاقة بين فاروق والملك عبدالعزيز خاصة أن الأخير كان ينظر له نظرة الأب لابنه

كتاب تذكارى

دون أن يشعره بذلك.. فبذكائه المعهود فطن إلى أهمية دور مصر المحورى فى المنطقة العربية فى ظل التحديات الاستعمارية الكائنة وعلى الصعيد العربى فقد أزعج هذا الاجتماع الأسرة الهاشمية فى الأردن «الملك عبد الله ملك شرق الأردن» الذى كان يحلم بتحقق مشروعه الطموح سوريا الكبرى.. وفى العراق كان الأمير عبدالاله «الوصى على عرش العراق» يحلم أيضاً بمشروع «الهلال الخصيب» فأزعجهما هذا التقارب المصرى السعودى وخاصة أن الملك عبدالعزيز قام فى العام التالى ١٩٤٦ بزيارة رسمية لمصر على متن اليخت الملكى (المحروسة) رافقه خلالها بعض رجال الدولة فى مصر والكاتب الكبير عباس العقاد وكريم ثابت.. واستقبله فاروق فى ميناء السويس ثم استقلا القطار الملكى من أنشاص إلى القاهرة.. وأظهر إعجابه الشديد بالقطارات وقرر إنشاء خط سكة حديد بعد عودته بين الرياض والظهران.. ونفذه بالفعل والتقى الملك عبدالعزيز أيضاً وفاروق وتشرشل بالسفير البريطانى فى مصر.

وفى مايو ١٩٤٦ دعا فاروق الملوك والأمراء العرب إلى اجتماع أنشاص الذى استغرق ثلاثة أيام وحضره الأمير سعود بن عبدالعزيز ولى عهد المملكة العربية السعودية والأمير سيف الإسلام عبدالله (اليمن) والأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق والملك عبدالله ملك شرق الأردن وشكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وبشارة الخورى رئيس لبنان وظهر استبداد فاروق واستهانته بحكومته أمام ضيوفه ولعلهم تساءلوا فى دهشة أين رئيس الوزراء ولماذا لم يحضر هذا الحدث الوطنى والقومى فقد اكتفى فاروق بدعوة عبدالرحمن عزام - الأب الروحى للجامعة العربية - أما إسماعيل صدقى رئيس الوزراء.. فقد توجه من تلقاء نفسه دون أن يوجه له الملك الدعوة إلى القصر الملكى فى أنشاص وقدم تهانيه الخاصة بنجاح المؤتمر.. وكان الأولى به أن يستنكر تجاهل فاروق.. ويتشبث بكرامة وزارته.. ولكن لماذا يحظى وحده بغضبة ملكية قد تجبره على تقديم استقالته وتفقده منصبه.. وهكذا سارت الحياة السياسية خانعة مستكينة.. وقد صرح فاروق نفسه بذلك وكان يأخذ على الوزراء ورؤساء الأحزاب طعنهم فى بعضهم البعض أمامه وعلى حد تعبيره كانوايكشفون عوراتهم فلماذا لايستبد برأيه ويستهين بآرائهم.. وقد تأكد من حرصهم الشديد على رضائه السامى فى المقام الأول.



وبذلك انتهى اجتماع أنشاص - الذى لم يكن له جدول أعمال - بصدور ميثاق إنشاص دون أن يحمل أى جديد.. حيث بدأ الخطاطون فى كتابته فى الساعات الأخيرة من الليل.. فحرص فاروق على توقيعهم بمجرد الانتهاء من كتابته بماء الذهب ثم توجه إلى جناح الملك عبدالله (ملك شرق الأردن) وأيقظه من نومه خوفاً من تغيير رأيه ووقع الملك الميثاق «بالروب دى شامبر» ولعل هذه الواقعة تؤكد أن الميثاق ولد غريب الأطوار حريرى الملمس مثل الروب دى شامبر لا يصلح للنفع أو التدفئة فهو للأناقة والزينة فقط.

وعلى الصعيد العربى فتحت مصر أبوابها أيضاً لاستضافة مفتى فلسطين أمين الحسينى.. حيث أقام فى أنشاص واستقبلت أيضاً عبدالكريم الخطابى بطل المغرب الذى طلب حق اللجوء السياسى أثناء مرور سفينته بقناة السويس متوجهاً إلى فرنسا.

ورثة الوفد فى رئاسة الوزراء

وبعد انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية.. لم تعد هناك ضرورة بريطانية لوجود زعامة شعبية لاحتواء الموقف مثل زعامة النحاس فصدرت الأوامر السامية بتكليف أحمد ماهر - رئيس الهيئة السعدية بتشكيل وزارته عام ١٩٤٤.. أحمد ماهر الذى وصفه الإنجليز بأنه «شخصية سلسة ومطيعة.. ومحل تقدير الجميع.. لكن من الصعب أن نضعه فى جيبنا مثل النحاس.. وهو الشخص الثانى المسئول عن إقالة وزارة النحاس» على حد تعبير السفير البريطانى لامبسون فقد حاولوا إستغلال تغيير الوجوه.. لتغيير الرأى العام المناوئ لهم فى مصر.. وفى عهد حكومة أحمد ماهر تطلع فاروق إلى تقديم النحاس للمحاكمة الأمر الذى رفضه أحمد ماهر بشدة كسياسى محنك يدرك خطورة الموقف إذا برئت ساحته وحاول ماهر إقناع الملك بحرج الموقف وإنه لن يقدم أبداً على هذه الخطوة مالم يتأكد من إدانة النحاس بنسبة ١٥٠٪ فإذا خسر الخمسين بالمائة.. فلن يخسر يقينه بالمائة المتبقية بالإضافة لصعوبة تشكيل محكمة عليا وما يستلزم ذلك من ضم بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى عضويتها ومعظمهم وفديون.. وهكذا نجح فى إقناع الملك بالإقلاع عن الفكرة وتناسى الوزارة الوفدية التى أصبحت فى الظل فعلياً.. وكان طبيعياً أن يسارع د. أحمد ماهر بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين فى عهد وزارة النحاس وعلى رأسهم شقيقه على ماهر ومكرم عبيد ورفاقه وشركاؤه فى صنع الكتاب الأسود.. وعلى الرغم من مطالبة السعديين مراراً بإلغاء الأحكام العرفية.. أثناء وزارة النحاس إلا أنها استمرت كما هى.. فالسلطة الفعلية شىء والسلطة الكلامية شىء آخر.. وهنا يكمن الفرق بين معظم الأحزاب قبل قيام الثورة من جهة أخرى فقد تحسنت الحالة الاقتصادية نسبياً بعد انتهاء الحرب وأصبح من اليسير التوسع فى استيراد السلع الضرورية وفى عام ١٩٤٥ اجتمع فاروق والرئيس الأمريكى روزفلت وتشرشل على ظهر الطراد الأمريكى فى البحيرات المرة أثناء عودتهم من مؤتمر القرم الذى عقد بعد انتهاء الحرب حيث عرض تشرشل وروزفلت على فاروق إمكانية اشتراك مصر فى مؤتمر سان فرانسيسكو تمهيداً لقبولها عضواً فى هيئة الأمم المتحدة إذا هى أعلنت الحرب على دول المحور قبل أول مارس ١٩٤٥ وهذا هو الشرط الأساسى للاشتراك فى المؤتمر فاعترض فاروق فى البداية وعلق بأن موقف مصر سيكون مضحكاً فقد أنتهت الحرب بالفعل.. ولكن تشرشل أقنعه أنه مجرد إجراء شكلى فأقتنع فاروق وأقنع بدوره أحمد ماهر بإعلان الحرب.. فاستشاط طلبة الجامعة وعقدوا مؤتمراً طلابياً فى ساحة الجامعة نددوا فيه بسياسة أحمد ماهر وهتفوا بسقوطه.. ووصلت الأنباء أحمد ماهر.. فقام بما لم يفعله أى رئيس وزراء آخر وتوجه مباشرة إلى الجامعة بصحبة د، حسين هيكل دون وجود أى حراسة واخترق صفوف الطلاب المتظاهرين بصعوبة شديدة.. وارتفع صوته الجهورى قائلاً : «أنا أحمد ماهر الذى تطالبون بسقوطه» وبدأ يشرح لهم وجهة نظره ومصلحة مصر التى تحتم عليها إعلان الحرب شكلياً على المحور.. فهتفوا بحياته وعاد إلى مكتبة منتصراً وفى مساء ٢٤ فبراير ١٩٤٥ دعا إلى عقد اجتماع مجلسى الشيوخ والنواب واستمر يفند أسباب إعلان مصر الاشتراك فى الحرب.

وانتهى من بيانه المستطرد أمام أعضاء مجلس النواب وأثناء مروره بالبهو الفرعونى الذى يصل بين مجلسى الشيوخ والنواب أطلق محام شاب النار عليه فأرداه قتيلاً فى الحال.. وكانت بعض التهديدات قد وصلته صباح الحادث وعلمت بها الجهات الأمنية ولكنها لم تحتاط بالقدر الكافى لهذه العاصفة التى أثارها موضوع إعلان الحرب وأحمد ماهر هو ثانى رئيس وزراء يتم اغتياله فى مصر بعد اغتيال بطرس غالى عام ١٩١٠ وفى فبراير ١٩٤٥ شكل النقراشى الذى أصبح رئيساً للهيئة السعدية وزارته الأولى وهى الوزارة رقم ٥٩ فى تاريخ الوزارات المصرية فهل كان النقراشى طرازاً فريداً من الرجال أتته الوزارة ولم يسع إليها.. مبدئياً فقد أشرنا إلى واقعة استقالته من وزارة المالية فى عهد وزارة النحاس الأولى عام ١٩٣٧ اعتراضاً على مبدأ الزعامة النحاسية المطلقة وإحتجاجاً على بعض الأمور المالية التى لم يستسغها وما استتبع ذلك من فصله من الحزب وتشكيله الهيئة السعدية بالاشتراك مع د. أحمد ماهر وبعد اغتياله تولى إعلان قرار الحرب على الرايخ الألمانى، وفى مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب تماماً باستسلام ألمانيا وفى أغسطس من نفس العام استسلمت اليابان وتأكد جميع المعارضين المتسرعين أن قرار الإعلان كان شكلياً بحتاً وهكذا دفع أحمد ماهر حياته نتيجة للتطرف السياسى ورد الفعل المتهور.. وبإنتهاء الحرب العالمية.. بدأت الخلافات السياسية فأنشق حزب الكتلة بزعامة مكرم عبيد عن الوزارة الائتلافية.. وفى يونيو ١٩٤٥ تم توقيع ميثاق الأمم المتحدة.. حيث مثل مصر فى هذا المحفل العالمى د. عبدالحميد بدوى وزير خارجيتها وهو رجل من أعظم رجالات مصر.. ساهم فى وضع ميثاق الأمم المتحدة كما شغل منصب نائب رئيس المحكمة الدولية.. اشتهر بأنه حلال العقد والمشاكل الدستورية ولم يكن غريباً أن يرثيه مجلس الأمن عند وفاته.

وفى عام ١٩٤٥ صدم تشرشل صدمة عمره حين خذله الشعب فى انتخابات رئاسة الوزراء على الرغم من انتصاره الساحق ودوره البطولى فى الحرب.. ولكنه أدرك السبب الحقيقى فيما بعد ذلك أن تغيير السياسة يستلزم دائما تغيير الجياد والرجال.. وقد نجحت وزارته إبان الحرب حيث الدفاع والقتال والمكر والدهاء والخداع وشراسة المقاومة.. أما السلم فيتطلب نموذجا مختلفاً من الرجال قادراً على البناء والنهوض والصعود بعيداً عن حطام الحرب.. وحين تولى النقراشى رئاسة الوزراء كان يقع على عاتقه نفس العبء الذى يقع على وزارة السلم فى مصر أيضا.. فقد انتهى زمن الحرب فكان لابد من رفع الأحكام العرفية وإنهاء الرقابة على الصحف ومنع الإعتقال وقد تم كل ذلك بالفعل ومن ثم تطلع الشعب لتحقيق أمانيه القومية فى الاستقلال وإنعاش الحياة الاقتصادية التى أصابها كساد الحرب.. فبادر النقراشى بإرسال مذكرة من مجلس الوزراء وسلمها لعبدالفتاح عمرو - لاعب الشيش العالمى وسفير مصر فى لندن - حيث قام بتسليمها إلى الخارجية البريطانية بشأن إعادة المفاوضات بين البلدين وإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ بعد انتهاء الحرب.. وجاء الرد

كتاب تذكارى

البريطانى غادراً متنكراً من وعوده السابقة للحرب.. وأبدت بريطانيا استعدادها للتفاوض فى إطار ميثاق الأمم المتحدة (الغربال الجديد آنذاك) وأصدرت أوامرها لسفيرها فى مصر بهذا الشأن أى استمرار معاهدة ١٩٣٦، فاستشاط الرأى العام وشهدت البلاد حالة من السخط والعنف لم يشهدها عهد فاروق من قبل حيث تم اعتقال قادة التنظيمات الشيوعية فيما عرف بقضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ وفى ٩ فبراير من نفس العام وقعت أشهر مظاهرات بين طلبة الجامعة ورجال البوليس والمعروفة تاريخيا باسم حادثة «كوبرى عباس» حيث خرج مئات الطلاب من جامعة فؤاد الأول هاتفين منددين بسياسة بريطانيا القمعية.. وسياسة القصر وحين أقتربوا من كوبرى عباس وجدوه مفتوحاً فقام بعض الطلاب بإغلاقه لإستخدامه كمعبر للوصول إلى الضفة الأخرى من النيل وبمجرد أن أجتازوا الكوبرى وقع صدام بينهم وبين رجال البوليس أسفر عن إصابات بالغة لأكثر من ثمانين شخصاً ولم يقتل فى الحادث إلا طالب[٦١] واحد على الرغم من اقتران هذه الحادثة بوفاة مئات الطلبة فى عهد حكومة النقراشى ولكن الحادث دخل التاريخ من خلال خطاب التهويل والمبالغة وهما عنصران أساسيان فى بعض مراحل تاريخنا الحديث.. لكن الحقائق المسجلة والأرقام المدونة تنفى ذلك فلم تسجل أية حالة وفاة أو غرق فى السجلات وذلك لا يهون بالطبع من قيمة الحادث الثورية بصورة أيقظت الوعى القومى والوطنى فقد كانت إصابات الطلاب بالغة وديكتاتورية الحكومة سافرة إزاء مظاهرات سلمية تعبر عن الرأى العام بصورة حضارية لن تعرفها مصر يوم ٢٦يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) وسرعان ما أنتشرت النار فى الهشيم فدوت الهتافات فى أرجاء الاسكندرية والمنصورة وأسيوط والزقازيق.. فأهتز كرسى العرش وصدم الملك حين توجه إلى جامعة فؤاد الأول لإفتتاح المدينة الجامعية عام ١٩٤٦ وكانت تمثل هدية الملك لطلابه فى عيد ميلاده.. فقام الطلبة برد الهدية على طريقتهم الخاصة حيث اكتشف البوليس السياسى بعض المتفجرات فى إحدى العمائر بحوزة بعض الأشخاص بهدف إلقائها على الموكب الملكى !! فتم اختصار برنامج الاحتفال وسط هذه الأجواء المشحونة بنار الغضب وفورة الإنفعال.. وغادر جلالته الجامعة حزينا مندهشا فقد علم أن الأقدام وطئت صورته وهكذا تحطم تمثال الملك الجميل الشاب الذى استقبلته مصر بالبهجة والبشر عام ١٩٣٦ مبشراً بعهد جديد أكثر تحرراً وديمقراطية ولم يتوقع فاروق أن تكون حياته الخاصة التى كان يقول عنها دائما (إنها ملكى فقط) ستقوض شعبيته وتبدد رصيده بين الشعب إلى هذه الدرجة فقد كان الشعب يشعر أنه فى واد والملك فى واد آخر يتنقل بين الأوبرج وكازينو الاسكارابيه والحلمية بالاس بالإضافة للشائعات والمغامرات العاطفية التى نسجت حوله وكانت تمثل تعاليا وتحديا لمشاعر الشعب.. ونحن لا نناقش هنا منطقية موقفه من حياته الخاصة من عدمه وحتمية غضب الشعب ومبرراته ولكننا نعرض هذه الصورة الحاسمة التى انتهت إليها العلاقة بين الطرفين ولم تشفع نزاهة النقراشى ولا وطنيته فى الإحتفاظ بكرسى الوزارة المضطرب دائما فى عهد فاروق فأكتسحت رياح المظاهرات وعواصفها الاستقامة والنزاهة.. فطلب السفير لامبسون إقالة وزارة النقراشى بصفة خاصة بعد إغتيال «أمين عثمان» رجلهم الأول فى مصر.. وكقاعدة عامة طالما أن الوفد ليس فى الحكم فكل الأمور يمكن التعامل معها وتسويتها من وجهة نظر الملك.. وعلى الفور أصدر أوامره بتشكيل وزارة قومية تشترك فيها كل الأحزاب السياسية فقد كان يعتقد أن الوزارة القومية تستطيع ابتلاع أى معارضة.. فكل الأحزاب السياسية تشترك فيها ومن ثم تتضاءل الخصومات السياسية فمن غير المعقول أن يعارض حزب وزارة يشترك فيها بعض وزرائه.. ومن سخريات القدر أن يكون الخارج على الأحزاب السياسية سابقا هو موحدها لاحقا فقد وقع اختيار الملك على إسماعيل صدقى السياسى المخضرم وصاحب دستور ١٩٣٠ سيئ السمعة الذى عصف بدستور ١٩٢٣ فكان اختياراً غير متوقع فهو شخصية زئبقية منذ نعومة أظافره أسماه والده إسماعيل صديق تيمناً بإسماعيل صديق المفتش وحين انقلب الخديو إسماعيل على المفتش رأى والده أنه من الأفضل أن يكون أسمه إسماعيل صدقى وقد انتقلت هذه الأفكار الوراثية إلى عقلية الرجل السياسية.. فأصبح سياسيا شهيراً من أجل أعماله إنشاء كورنيش الاسكندرية وبنك التسليف الزراعى واقامة بعض مشروعات الرى والصرف ومن الطريف أن نذكر ان إسماعيل صدقى عام ١٩٣٠ حينما كان رئيسا للوزراء يصول ويجول كان فاروق يظهر أمامه (عشر سنوات) بالشورت.. فلم ينس الطرفان هذا المشهد المختزل فى غرفة الذكريات.. وهذه الإشارات الصغيرة كانت تفضى إلى نتائج كبيرة من خلال التفاعل الإنسانى بين فاروق ومحيطيه وهكذا تشكلت وزارة صدقى غير الدستورية فالرجل لا ينتمى لحزب فاز بأغلبية برلمانية تمكنه من تشكيل وزارته.. لذلك رفضت معظم الأحزاب الاشتراك فى وزارته باستثناء حزب الأحرار الدستوريين وبعض المستقلين.

واتخذت وزارة صدقى شعاراً براقا لإضفاء اللمسة الشعبية على أعمال وزارته فأعلن محاربته للفقر والجهل والمرض وهل يوجد فى مصر آنذاك مشكلات أكثر أهمية من هذه الكلمات الثلاث ولكن للأسف فقد أتقن الشعب إستراتيجية اللا مبالاة تجاه هذه الشعارات فكانت تموت من تلقاء نفسها لأنها ليست جادة فهى شعارات استهلاكية وقد تبنى فاروق مشروع مكافحة الحفاء فى مطلع الأربعينيات وأمر بتوزيع الصنادل على الحفاة والمحتاجين وطالب بنشر الوعى بين الجماهير عن إضرار الحفاء فكان موضع سخرية بعض طبقات الشعب فكتب أحدهم زجلاً يقول فيه : الشعب جوعان لم يشك الحفاء أبدا.. ولم يمد رجل لإنصاف.. فقد يبيع الحذاء الفخم صاحبه.. لينقذ النفس من الجوع والإتلاف.

وبدأت بشائر المظاهرات تعود مرة أخرى فى عهد هذه الوزارة فقتل وجرح عدد كبير من المتظاهرين هاجمتهم السيارات الإنجليزية فى الاسكندرية والقاهرة والمنصورة وفى مارس ١٩٤٦ رحل السفير لامبسون أو (اللورد كيلرن) عن مصر إلى غير رجعة وهو أشهر مندوب سام وسفير عرفته مصر بعد اللورد كرومر فقد قضى فى مصر أكثر من أثنى عشر عاماً أذاق خلالها فاروق الأمرين.. أثناء حادثة ٤ فبراير بصفة خاصة وحين علم فاروق بالنبأ الذى أنتظره سنوات.. جسد كل مرارته وكراهيته فى فرحته الغامرة التى كانت تشع شماتة وتشفياً.

وفى قصر عابدين أستقبل السفير الجديد والدبلوماسى الأنيق «رونالد كامبل».. كانت بريطانيا تعلم جيدا إن تغيير الوجوه قد يوحى باختلاف السياسة وكان الهدف من ذلك الإيحاء للشعب المصرى بأن مفاوضاتهم ستكون أكثر يسراً وفى مارس ١٩٤٦ ألف إسماعيل صدقى وفد المفاوضات الرسمية فوقع خلاف كلاسيكى رفض بمقتضاه مصطفى النحاس رئاسة صدقى للوفد على غرار الخلاف الذى وقع بين عدلى يكن وسعد زغلول عام ١٩٢١.. أما الحزب الوطنى فقد رفض الاشتراك فى المفاوضات حفاظا على مبدئه الثابت لا مفاوضات إلا بعد الجلاء.. وكأن المبادئ والمواقف لا تتغير تبعا لمستجدات الأوضاع المحلية والعالمية ومتطلبات ومصالح الشعب الضرورية وكيف كان سيتم الجلاء دون مفاوضات وذلك الموقف تحديدا هو الذى اضعف دور الحزب الوطنى قبل الثورة !!!



وفى ٤يوليو ١٩٤٦ قررت بريطانيا إجلاء الجيش الإنجليزى عن القلعة وتسليمها إلى الجيش المصرى واحتفلت مصر عسكريا بهذا الحدث ورفع الملك العلم فوق القلعة فى أغسطس من نفس العام ومن جهة أخرى تعثرت المفاوضات التى عرفت باسم صدقى – بيفن، بعد أن رفض وفد المفاوضين المصريين مشروع الاتفاقية المقترح، ومن ثم لم يرحب الرأى العام بمفاوضات يرفضها ساسته وزعماؤه، فقدم صدقى استقالته للملك وسط دلائل تشير إلى تراجع الحكومة البريطانية عن تعهداتها السابقة وعلى النقيض أنتهز المفاوض الإنجليزى اعتراض الجانب المصرى ليساوم مرة أخرى بشروط أقل عدلاً وأكثر ظلما ونشير إلى واقعتين حدثتا أثناء وزارة صدقى ترتب عليهما تداعيات نالت من سمعة الملك ونزاهته حيث قام بتعيين كريم ثابت مستشاراً صحفياً لديوانه دون استشارة الوزارة وحدد مخصصاته المالية من البنود السرية وحين اعترض إسماعيل صدقى على عدم مشورته فى الأمر واجه الملك اعتراضه بمزيد من التحدى وقام بمضاعفة المبلغ الذى يتقاضاه كريم ثابت، فكان تصرفه أكبر تجسيد للمثل الشعبى القائل «انصح الجاهل يعاديك!!» وكان صدقى محقا فى اعتراضه بل إن كريم ثابت هو أول رجل من حاشيته ينهش سيرته ويتهمه علناً ويتبرأ من أفعاله أمام محكمة الثورة ومذكراته التى كتبها بعد ١٩٥٢.. والواقعة الثانية لم تكن إلا حدثا سياسيا فريداً لم تعهده السياسية المصرية تتمثل فى إجراء إسماعيل صدقى تعديلا وزاريا فى وزارته اشترك فيها بعض الوزراء السعديين فدخل إبراهيم عبدالهادى وزيراً للخارجية بالإضافة لتوقيع مشروع إنشاء مجلس الدولة ويبحث صدقى عن الملك لكى يوقع المراسم ويفاجأ أنه سافر إلى قبرص لقضاء إجازة عيد الأضحى.. حدث ذلك أثناء مفاوضاته مع الإنجليز وبعد أن نشرت الصحف أنباء التعديل وينتظر صدقى عودة الملك بعد يومين كما قيل له دون جدوى ويسافر[٦٢] الملك من قبرص إلى رودس ويستغرق الأمر عشرة أيام.. وفاض الكيل بالرجل وهو يؤجل نبأ التعديل يومياً بالصحف فى هذا التوقيت الحرج من المفاوضات أيا كانت نتيجتها وفى نهاية المطاف يبلغه القصر إنه إذا أراد توقيع

كتاب
تذكارى

المراسم فيمكنه السفر إلى جلالة الملك فى محل إقامته على متن يخته الخاص.. ويتضح أن جلالته كان مشغولا بقضاء أجازة عيد الأضحى بصحبة الممثلة كاميليا !!! وينتهى أجل الوزارة ويقدم صدقى استقالته لاسباب عديدة ويعهد الملك إلى النقراشى بتأليف وزارته الثانية فى إطار لعبة الكراسى الوزارية وهى وزارة حزبية من السعديين فطنت إلى مطلب الشعب الجماعى (الاستقلال التام) وشاءت الظروف أن تجنح بريطانيا لإظهار بوادر حسن نيتها وإجلاء قواتها عن مصر تدريجيا من قلعة رأس التين ومصطفى كامل وكوم الدكة بالإسكندرية ومطار هليوبوليس وباب الحديد ومعسكر الحلمية والعامرية بالاسكندرية والعباسية وفى مارس ١٩٤٧ احتفلت مصر برفع العلم المصرى على ثكنات قصر النيل حيث قام الوزيران عثمان محرم وعبدالفتاح حسن بهدمها واجلاء الجيش الإنجليزى عن القاهرة والإسكندرية.. فى الوقت الذى استأنفت فيه حكومة النقراشى المفاوضات مع السفير البريطانى كامبل لكنها عادت وتعثرت مرة أخرى نتيجة لتشدد الحكومة البريطانية فى موقفها فقرر النقراشى الحصول على موافقة البرلمان تمهيداً لعرض القضية المصرية «إلغاء معاهدة ١٩٣٦» على مجلس الأمن فسافر بصحبة د. عبدالرازق السنهورى.. وللمرة الأولى يقف أحد رجالات مصر ويجلجل صوته مطالبا بإستقلالها فى هذا المحفل الدولى وبإنفعال وصدق شديدين يقول النقراشى: «إن إحتلال القوات البريطانية للأراضى المصرية رغم معارضة الإرادة الشعبية ووجود قوات أجنبية فى أراضى دولة هى عضو من أعضاء الأمم المتحدة فى زمن السلم يعد إمتهانا لكرامتها وتناقضا لميثاق الأمم المتحدة.. ويطالب النقراشى بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاما. ويضيف أن مصر لم تكن طرفا حرا أثناء عقد معاهدة ١٩٣٦ فقد كانت بريطانيا تحتل أرضها ويقول (إخرجوا هؤلاء القراصنة من بلادنا) وهى المرة الأولى أيضا التى يوجه فيها زعيم مصرى هذا الهجاء السياسى الصادق !!! وللأسف الشديد تتجلى أكبر مآسى الخلافات الحزبية قبل نظر القضية أمام مجلس الأمن حيث أرسل مصطفى النحاس برقية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة قال فيها:



«إن الحكومة المصرية التى رفعت دعوى مصر أمام المجلس لا تمثل شعب وادى النيل الذى تؤيد أغلبيته - الوفد المصرى - وأن هذه الحكومة تمثل الأشخاص الذين تتألف منهم وأنها تدعى لنفسها حق التصرف فى سياسة مصر الدولية رغم أنفها ووفقاً لما تمليه مصالح سياسية رجعية وإقطاعية رفضها الشعب المحكوم حكما ديكتاتوريا وأن شكوى تلك الحكومة إلى مجلس الأمن لا يمكن أن تكون لها قيمة الوثيقة القومية المعبرة عن مطالب الشعب» فكانت طعنة من القريب يحق لها أن تصبح رصاصة قاتلة عند الغريب وهو ما حدث بالفعل حيث علقت القضية إلى أجل غير مسمى وصرح بعض السياسيين آنذاك أن الحكومة المصرية تأخرت بعض الوقت فى عرض قضيتها على مجلس الأمن وكان من الأفضل عرضها مع سوريا ولبنان وإيران عام ١٩٤٦ حيث وافق المجلس على إجلاء القوات الأجنبية عنها.


وفى سبتمبر ١٩٤٧ فى عهد وزارة النقراشى أيضا تفشى وباء الكوليرا فى مصر ويحصد أكثر من عشرة آلاف شخص ويتبارى الملك والنحاس فى زيارة مدن الصعيد، فى محاولة منه لإعادة بناء رصيد شعبى من أحجار المحبة المتصدعة فقضى ليلة عيد ميلاده السابع والعشرين فى إحدى القرى الموبوءة وفى نفس العام ظهر وباء لم يتم القضاء عليه إلى يومنا هذا حيث أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ أتخذت الدول العربية قراراً مفاجئاً بإعلان الحرب على إسرائيل أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين.

وعلى الصعيد الاقتصادى حاولت حكومة النقراشى حل مشكلة المديونية التى خلفتها الحرب العالمية الثانية نتيجة لقيام مصر بتموين جيوش بريطانيا وكل ما تحتاج إليه من مؤن ومعدات من الأسواق المصرية.. فقد كادت بريطانيا أن تتوقف عن دفع هذه الديون ولكن نتيجة لارتفاع معدلات التضخم عاما بعد عام بصورة أهدرت قيمة الجنية المصرى نتج عنها موجة من الغلاء والسخط العام ونجح النقراشى فى الإفراج عن ٤٦ مليون جنيه من الأرصدة الاسترلينية التى كانت بريطانيا مدينة بها لمصر وترشيد استيراد السلع الضرورية.

اضرابات واضطرابات

وأضرب رجال البوليس فى عهد حكومة النقراشى فى أبريل ١٩٤٨ مطالبين بتحسين أوضاعهم وتحسين دخلهم أسوة برجال الجيش وإزاء سلبية وزارة الداخلية تجاه مطالبهم قاموا بإضراب عام فى مدينة الاسكندرية الأمر الذى أدى لإرتكاب بعض أعمال السلب والنهب نظراً لإختفاء رجال البوليس فتمت السيطرة على الموقف من خلال الاستعانة برجال الجيش وانتشر العنف بصورة متكررة وأصبح الاغتيال هدفا للتخلص من الخصوم السياسيين فخلال عقد واحد تم إغتيال اثنين من رؤساء الوزراء (أحمد ماهر ١٩٤٥ والنقراشى ١٩٤٨) وأمين عثمان عام ١٩٤٦ على يد حسين توفيق تلك القضية التى اتهم فيها أنور السادات وبرأته المحكمة لعدم كفاية الأدلة !! ويتعرض النحاس لأكثر من محاولة اعتداء وفى عام ١٩٤٨ تم اغتيال وكيل محكمة الإستئناف على يد شاب من الإخوان المسلمين وفى نفس العام انفجر البارود فى شوارع مصر بسبب سخط الشعب تجاه هزيمة حرب ١٩٤٨ وفى نهاية هذا العام الكئيب محلياً وعربياً ودولياً تم اغتيال «حكمدار العاصمة» ورئيس القلم السياسى اللواء سليم زكى حيث القيت قنبلة من مبنى كلية طب قصر العينى على موكبه.. وسرعان ما تفشت الإضرابات فى جامعة فؤاد الأول وساد الساحة هرج ومرج فقرر النقراشى - بعد صدور الضوء الأخضر من الملك - حل جماعة الإخوان المسلمين وتصفية نشاطها ومطبوعاتها وأموالها تماما وأستند إلى تورطهم فى ارتكاب العديد من الجرائم السياسية خاصة بعد تأسيس فرقة الجوالة المسلحة بين صفوفها.. فتم مصادرة نشاط الجماعة الاقتصادى المتمثل فى شركة الإخوان للنسيج والمحاجر العربية وغيرها من الشركات فجاء رد الجماعة القائل والقاتل باغتيال النقراشى فى مدخل وزارة الداخلية التى كان يرأسها إلى جانب رئاسة الوزراء وفقدت مصر رجلاً من أفضل رؤساء الوزراء فى عهد فاروق شهد الجميع باستقامته ونزاهته.. سياسياً وطنياً غيوراً صادقاً لا يعرف المزايدات الكلامية.. لا يخشى فى الحق لومة لائم ومن أهم أعمال وزارته «إصدار القانون المدنى رقم ١٣١ لعام ١٩٤٨» حيث تولى رجل القانون الفقيه الضليع الدكتور عبدالرازق السنهورى مهمة إعداده وهو القانون الذى حل محل القانون المدنى لسنة ١٨٨٣، كما تم إصدار قانون الشركات رقم ١٣٨ لسنة ١٩٤٧، وتنفيذ مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان والاستغناء عن البعثة العسكرية الإنجليزية التى كانت تتولى تدريب الجيش والسيطرة عليه فى آن واحد.

وبدأت رحلة البحث عن رئيس وزراء جديد ولم يكن هناك أفضل من إبراهيم عبدالهادى رئيس الديوان الملكى فهو رجل القصر وأبرز أعضاء الهيئة السعدية لهذه الإعتبارات تم اختياره امتداداً للنقراشى وشكل الرجل وزارته من السعديين والأحرار الدستوريين والمستقلين.. وتستهل الوزارة عهدها على دوى الإنفجارات حيث حاول أحد أعضاء جماعة الإخوان نسف محكمة الاستئناف ومكتب النائب العام الذى كان يضم أوراق قضية المتهمين من أعضاء جماعة الإخوان وفى اليوم الثانى لعيد ميلاد جلالته التاسع والعشرين (١٢ فبراير ١٩٤٩) تم اغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أمام جمعية الشبان المسلمين على يد قاتل مجهول لم تصل إليه يد العدالة وانتشرت الشائعات التى تؤكد أن الاغتيال تم بواسطة البوليس السياسى بإيعاز من القصر انتقاماً لمقتل النقراشى على الرغم من مهادنة البنا وليونته الحكيمة لامتصاص دوى العنف والارهاب اللذين زلزلا التفكير الرشيد بين الشباب الثائر ومن خلال مفاوضاته مع إبراهيم عبد الهادى خليفة النقراشى أصدر بيانه الشهير «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» ويتعرض إبراهيم عبدالهادى أيضا لمحاولة اغتيال فاشلة ومع إستمرار فرض الأحكام العرفية التى فرضت أبان حرب ١٩٤٨ ينجح إبراهيم عبدالهادى من تقييد نشاط الشيوعيين والإخوان المسلمين والجماعات الأيدلوجية المناوئة للقصر الأمر الذى أدى إلى توسيع كراهية السعديين فى نفوس تلك الجماعات وفى عهد وزارته أيضا تم توقيع الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل والإحتفال بعودة أبطال الفالوجا برئاسة الضبع الأسود أو «الأميرالاى السيد طه» واللواء فؤاد صادق قائد الجيش المصرى.. وفى عهد وزارته أيضا استقبل الملك فاروق حسنى الزعيم قائد الانقلاب العسكرى فى سوريا واعترف بانقلابه دون استشارة رئيس وزرائه كالمعتاد وسرعان ما أنهارت وزارة إبراهيم عبدالهادى أثر الخلافات التى وقعت بين السعديين والأحرار الدستوريين فوقع الاختيار على حسين سرى ليشكل وزارته الثالثة فى يوليو ١٩٤٩ وهى وزارة غير دستورية فالرجل لا ينتمى لحزب ولكن الملك كان يرى أنه الشخص الملائم لتشكيل وزارة قومية من كل الأحزاب فى تلك الظروف الحرجة التى تمر بها البلاد ومرة أخرى تتعالى نغمات الخلاف فى هذا الائتلاف.. بعد أن وضعت الوزارة مشروع قانون «من أين لك هذا» وقانون محاكمة الوزراء. وقد شهدت هذه الوزارة تحالفاً عجيباً بين الإخوان المسلمين والشيوعيين نكاية فى السعديين ولم يطل عمر الوزارة مثل بقية شقيقاتها.. وفى يناير ١٩٥٠ تم إجراء الانتخابات البرلمانية وفاز حزب الوفد بأغلبية ساحقة وتم تكليف النحاس باشا بتشكيل وزارته ومن هنا كان اشتياق النحاس ولوعته وانتظاره وحرصه على الجلوس الهادئ على كرسى الوزارة بعد طول غياب والحصول على الرضا السامى بالقُبَل!!!



كان يمتلك مجموعة من اندر العملات المعدنية فى العالم وفى الصورة يفحص احد القطع بالعدسة المكبرة



العظمة الملكية التى كان يتقنها تماما
فهو فاروق ابن فؤاد حفيد إسماعيل
وسليل إبراهيم نسبة إلى جده الأكبر
محمد على.. الحقيقة والانطباع الذاتى




أثناء زيارته للتكية
المصرية بالمدينة المنورة
وفى الخلف حيدر باشا



يفتتح الخط التليفونى
بين مصر والسودان

كان يجيد أداء دوره كملك
منذ نعومة أظافره

استقبال الجماهير
له عقب وفاة والده..
أبكاه من التأثر

رصيد شعبى بددته الأيام والأحداث
وسوء الأفعال والشائعات

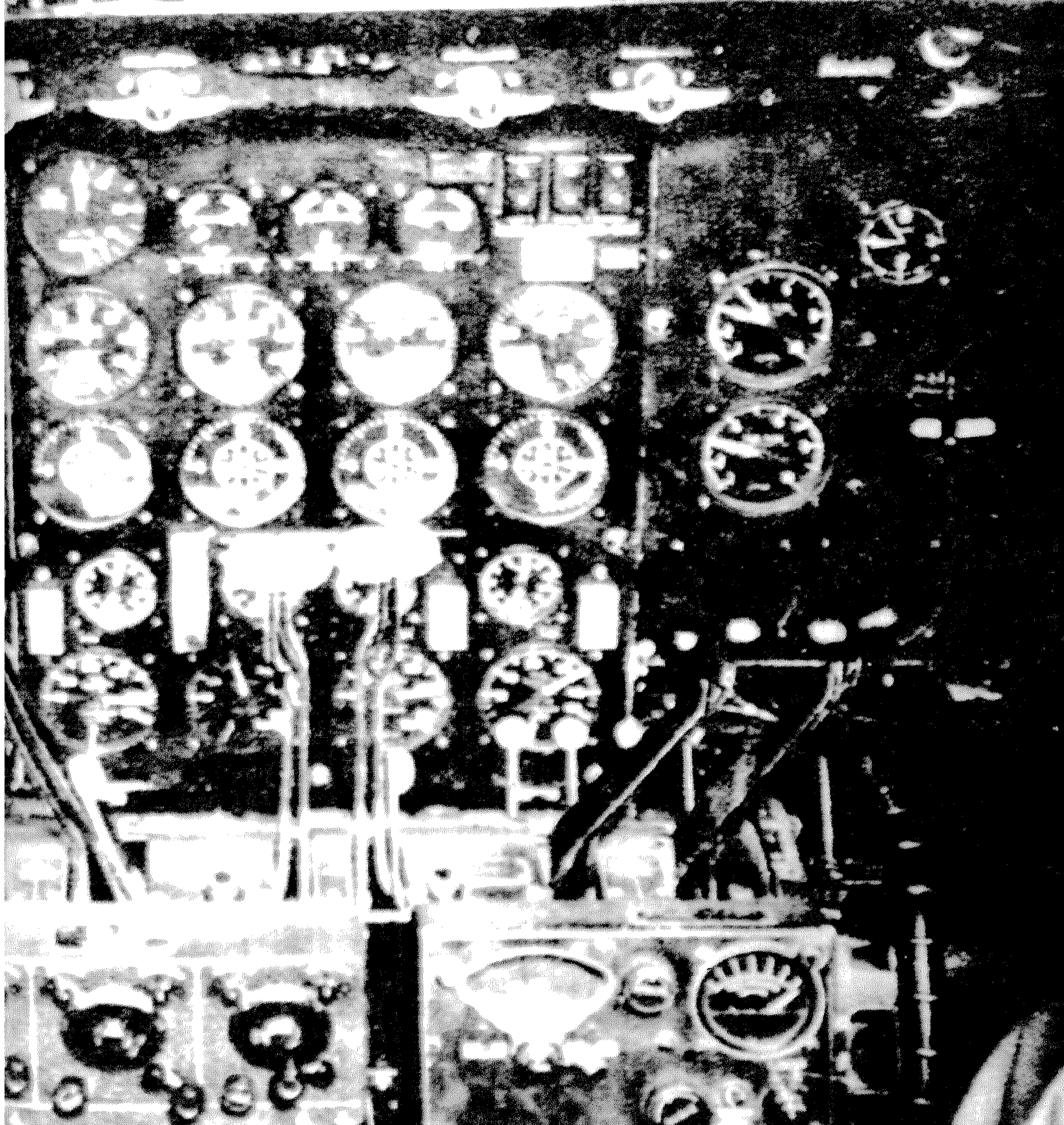
محبة
شعبية
جارفة لم
يحظ بها أى
حاكم من
أفراد أسرة
محمد علىّ

أثناء إحدى زياراته الرسمية
بصحبة إبراهيم عبدالهادى
والأمير محمد عبدالمنعم

لم يترك مكانا فى الصحراء الشرقية
ولا الغربية.. كان يهوى الزيارات الرسمية
ويطيل أمدها إذا شعر بتملل من يحيطونه

بمسبحته الشهيرة وعن
يمينه أحمد ماهر وشكرى
القوتلى رئيس سوريا
وعن يساره أحمد حسنين

كان مغرماً
بالآثار
الفرعونية
وصديقا للأب
دريتون «مدير
عام الآثار»


لقطة نادرة لفاروق داخل كابينة طائرة «C45» أثناء زيارته للمطار الأمريكي بالقاهرة حيث كان يرتدي زى القائد الأعلى لسلاح الطيران



فاروق أثناء
زيارته لمستشفى
المنيل الجامعى

عربة الخيول الملكية
المذهبة التى كان
يستخدمها فقط
أثناء افتتاح البرلمان


انتهاكه للدستور
وتبديل الوزارات أصاب
الحياة السياسية فى
مصر بالفوضى

لحظات الانتظار والترقب فى الخيمة المعدة لاستقبال جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وقد ظهر فى الصورة الأمراء وأحمد حسنين والنقراشى وعبدالرحمن عزام

دعاء ليلة القدر المشترك بين مصر ولبنان حيث يظهر رياض الصلح رئيس الوزراء ومفتى الديار المصرية الشيخ عبدالمجيد سليم

فاروق وبطريرك الكنيسة المرقسية الأنبا «مكاريوس الثالث»

محمد محمود خليل - ملك المقتنيات الرائعة والنادرة - بصحبة فاروق في أحد المعارض الفنية



الملك عبدالعزيز آل سعود
أثناء زيارته لمصر عام
١٩٤٦ بصحبة عدد كبير
من الأنجال الأمراء.. وقد
عـــرض على الملك
عبدالعزيز استضافته في
المملكة بعد تنازله عن
عرشه فشكر فاروق عطفه
الأبوى واهتمامه





فاروق بالزى السعودى الذى أهداه له الملك عبدالعزيز آل سعود

عاهل الجزيرة مع
الملك والنقراشي
وأحمد حسنين
وحيدر باشا
والنجومي باشا

الملك عبدالعزيز أقام في قصر
الزعفران وقام بزيارة جامعة فؤاد
الأول «القاهرة» وسافر إلى
الإسكندرية وشاهد مسرحية
«العباسة» للشاعر الكبير عزيز أباظة



يستقبل الملك
يحيى «ملك اليمن»



من اليمين: إسماعيل تيمور كبير الأمناء - عمر فتحي - حيدر باشا والشيخ المراغي يتوسطهم فاروق بمسبحته التي كانت تلازمه دائما عقب أدائه فريضة الحج



مع الرئيس الأمريكى فرنكلين روزفلت
أثناء زيارته لمصر حيث التقى بفاروق
على ظهر الطراد الأمريكى فى
البحيرات المرة بالإسماعيلية عام
١٩٤٥ فى طريقه لحضور مؤتمر القرم





وتفرق الجمع الضاحك فيما بعد كل
فى طريق من اليسار: مصطفى أمين
ومحمود أبوالفتح والملك وأحمد
حسنين وأنطون الجميل





أشهر شقيقين فى تاريخ الحياة السياسية فى مصر علي ماهر وكان السادات ينعته بالدهاء والمكر اشتهر بمشروعه الخيرى يوم الفقير ود. أحمد ماهر «موسس الهيئة السعدية» بعد انفصاله عن الوفد



حرب ١٩٤٨.. نظام فاسد وأسلحة فاسدة

«سأل رجل حكيم الصين كونفوشيوس ذات يوم: إذا أصبحت قائداً عسكرياً وأوكلت إليك مهام القتال فمع أي نوع من الرجال تتعاون؟ أجاب كونفوشيوس بحكمته الشهيرة: لن أختار رجلا يزهو بشجاعته ويصعق النمر بقبضة يده، ولن أتطلع إلى مقاتل يعبر النهر واقفاً على سطح الماء بقدميه العاريتين ولن أتخير جندياً لا يبالي الموت مهما تكن التضحية.. ولكني سأختار من يحسب للأمور حسابها ويقدر العواقب بمنتهى الحيطة والحذر ويصل بحسن تقديره إلى تحقيق أغراضه كاملة».

هذا ما لم تعرفه حرب فلسطين التي اندلعت في ١٥ مايو ١٩٤٨ ودخلتها مصر إرضاء للسياسيين ضد رغبة العسكريين فكانت حربا بلا تخطيط ولا خرائط ولا أسلحة.. وبعد إعلان الهدنة الأولى في ١١ يونيو ١٩٤٨ كان النقراشي رئيس وزراء مصر يصرخ بأعلى صوته موجهاً حديثه لأمين عام الجامعة العربية التي أتخذت قرار الحرب بالإجماع قائلاً: «كفاية لوترية يا عزام !! أنا لست مستعداً للحرب وكل ما أستطيعه هو تقديم المال!» على الرغم من أن النقراشي هو الذي أعلن قرار دخول مصر الحرب في البرلمان.. فلماذا تغيرت الكلمات واختلفت المواقف؟

إنها مأساة العرب الأزلية، قضية فلسطين وعروبتها المثبتة تاريخياً منذ عهد عمر بن الخطاب.. تلك القضية التي أرقت شعب مصر وساستها في جميع مراحل صراعها.. أما الحركة الوطنية فكانت لها مواقف حاسمة أزاء القضية وكانت ذكرى وعد بلفور من أعياد الجهاد الوطنية !!.. وفي عهد فاروق عقد في القاهرة مؤتمر عربي في أوائل عام ١٩٣٩ تمهيداً لسفر الوفود العربية لحضور مؤتمر لندن الدولي لمناقشة مشكلة فلسطين، حضر مؤتمر القاهرة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (كان يشغل منصب وزير الخارجية) الأمير خالد بن عبدالعزيز والأمير سيف الإسلام عبدالله ولي عهد اليمن ومن الأردن فؤاد باشا الخطيب وعن العراق نوري السعيد ومن فلسطين حسين الخالدي ومثل مصر محمد محمود باشا وعبدالفتاح يحيى باشا ومحمد علي علوبة، أما الملك فاروق فقد رافق هذه الوفود لتأدية صلاة الجمعة في جامع قيسون وقام رجال القصر بإصدار تعليمات للإمام للتنحي، وأتخذ جلالته موقع الإمام وأمهم في الصلاة، فمازال في أوائل عهده .. يحظى برعاية الشيخ المراغي، الذي كان ينصحه بالصلاة أسبوعياً في مساجد القاهرة.. وفي اليوم التالي تصدر مانشيتات الصحف وتتحدث عن الملك الصالح وصلاة الجمعة التي حضرها في أحد مساجد مصر !!! مع عامة الشعب !! فما بالنا إذا كانت هذه المرة مع الملوك والرؤساء العرب وكان إمامهم !!



وعلى الرغم من شيوع قصة طموحه في الزعامة الإسلامية في معظم الكتابات التاريخية، إلا أن استقراء الاحداث لا يؤكد شغفه بزعامة إسلامية !! فقد كان يتمتع بقدر كبير من الذكاء وكان يدرك أن مصر هي أكبر دولة عربية وإسلامية، فكان يستند لمكانة مصر الفعلية والحيوية في المنطقة العربية .. ومن ثم لم يتجاوز طموحه تأكيد وضع مصر تاريخيا فهو يعلم جيداً أن هذا الدور أكبر من حجمه بالاضافة لتفاقم مشاكل مصر الداخلية بصورة متصاعدة تنذر بالخطر.. إضافة لمآسيه العائلية مع زوجته فريدة وأمه وشقيقاته فقد أصبح لا يحظى بقاعدة شعبية فكيف يطمح في زعامة إسلامية !! فحياته الخاصة بطلاقتها كانت تتناقض مع واجبات هذا الدور الفضفاض!!

ونعود لمؤتمر القاهرة حيث طرحت مصر وجهة نظرها عام ١٩٣٩ وتقدمت ببعض الإقتراحات لحل المشكلة الفلسطينية - فطالبت بتشكيل حكومة وطنية ووضع نظام دستوري في فلسطين وإيقاف الهجرة اليهودية وتنصيب أحد الأمراء العرب على عرش فلسطين وأشارت الصحف إلى الأمير عمر الفاروق والأمير محمد عبدالمنعم نجل الخديو عباس حلمي الثاني.. وفي مؤتمر لندن ألقى علي ماهر كلمة باسم كل الوفود العربية وفي مايو ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا مقترحاتها السياسية التي عرفت باسم «الكتاب الأبيض» حيث أقرت بحق فلسطين في الاستقلال وإنشاء دولة مستقلة وتحديد الهجرة اليهودية تحديداً نهائياً وإنهاء الانتداب، فرفض العرب الكتاب الأبيض رفضاً قاطعاً ووصفوه بالغموض نظراً لعدم تحديد موعد إعلان الاستقلال ..

وبدأت بوادر الشقاق بين أعضاء الوفد الفلسطيني .. فوافق راغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع الفلسطيني على مقترحات الكتاب الأبيض من منطلق مبدأ «خذ ثم طالب»، وأعطى علي ماهر رئيس وفد مصر الأولوية لإقرار السلام في فلسطين للفلسطينيين واليهود على حد السواء !!! ونصح كبار الساسة المصريين إخوانهم الفلسطينيين بقبول مقترحات الكتاب الأبيض واستشهدوا بموقف مصر من تصريح ٢٨ فبراير١٩٢٢ الذي أعلنته بريطانيا ومنحت فيه مصر استقلالاً مشروطاً فرفضته الأغلبية آنذاك وكان أول الرافضين سعد زغلول.. ولكن التصريح هو الذي هيئ الفرصة لتشكيل أول وزارة دستورية رأسها سعد زغلول عام ١٩٢٤، وفيما بعد وبمزيد من المفاوضات أستطاعت مصر إلغاء التصريح أوتوماتيكيا ودبلوماسياً بعد توقيع معاهدة الصداقة مع بريطانيا عام ١٩٣٦ ولم تجد النصائح في إقناع الفلسطينيين بمقترحات الكتاب الأبيض، ومن ثم قررت الحكومة البريطانية إلغاءه، خاصة أن اليهود وصفوه بالخيانة البريطانية والمراوغة غير المتوقعة من دولة وعد بلفور، ومنذ ظهور هتلر على الساحة السياسية عام ١٩٣٢ وإعلانه الحرب على يهود ألمانيا والعالم ومع بدايات الحرب العالمية الثانية بدأت بشائر الهجرة المتلاحقة إلى فلسطين تزداد بصورة ملحوظة حيث فتحت لها الأبواب على مصراعيها .. وفي عام ١٩٤٠ أصدرت بريطانيا قانوناً ينظم انتقال الأراضي في فلسطين ، حيث جاء ضمن مقترحات الكتاب الأبيض ضرورة وضع قيود تحد من ظاهرة انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .. فمنذ إنشاء الوكالة اليهودية والأموال تتدفق عليها من يهود أمريكا وأوروبا .. فقاموا بتأسيس «تل أبيب» التي تعني تل الربيع وادعوا أنها ذكرت في نبوءة النبي حزقيال وبدأت الوكالة تشتري أراضي العرب بأسعار باهظة .. ولم يفطن العرب لخطورة هذا المخطط ولكنهم اعتقدوا إنه من الأفضل شراء أراضي أكبر وأوسع من تلك التي باعوها!!! وقد لعب «هربرت صموئيل» أول مندوب سام في بريطانيا دوراً إجرامياً لتحقيق أغراضه كاملة في هذا الصدد فكان يرغم الفلاحين على بيع أملاكهم وأراضيهم عن طريق حظر تصدير الحبوب والمحاصيل.. ومن ثم تهبط الأسعار ويضطر العرب لبيع أراضيهم لتسديد الضرائب والديون، وترتب على صدور الكتاب الأبيض أيضاً تنشيط الجماعات الصهيونية مثل الهاجاناه والبالماخ وشتيرن لمقاومة الانتداب البريطاني، والمقاومة الفلسطينية النشطة منذ العشرينيات.. حيث استطاع جيش الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ أن يلحقا باليهود خسائر فادحة.. وفي عام ١٩٤٢ صرح أنتوني ايدن وزير خارجية بريطانيا أن بلاده ستنظر بعين الإعتبار إلى أي نشاط عربي جماعي أو جامعة عربية يزمع العرب إنشاءها ولم يكن الهدف نبيلاً بالطبع حيث أرادت بريطانيا سحب البساط والاستئثار بنفوذ فرنسا في بلدان الشرق الأوسط - خاصة في سوريا ولبنان - واحتفاظها بقاعدة إستعمارية في المنطقة بصفة دائمة تصلح لأن تكون بديلاً عن مصر التي كانوا يعلمون جيداً أنهم سيرحلون عنها في يوم من الأيام.. ومنذ نهاية عام ١٩٤٥ وبعد انتهاء الحرب العالمية بدأت العصابات اليهودية في مهاجمة سكان فلسطين لأكثر من عامين أستولت خلالها على العديد من الأحياء والأراضي والمدن.. فبدأت الهيئة العربية العليا التي يرأسها المفتي أمين الحسيني الذي أتخذ من القاهرة مقراً له - يعمل على جمع الأسلحة من مختلف الدول العربية- ويقوم بإرسالها إلى فلسطين.. من جهة أخرى أعدت بريطانيا ميناء حيفا أثناء فترة الإنتداب وسلمته لإسرائيل قبل جلاء قواتها عن فلسطين.. وأنشأت بريطانيا أيضا مطار اللد وتعاونت مع اليهود في الخفاء بتنسيق تام وهيئت لهم فرصة الاستعداد الشامل عسكرياً وإنشاء معاقلهم وتزويد الجماعات اليهودية بالأسلحة الحديثة وكافة الإستعدادات التي تؤهلهم للدفاع عن فلسطين المغتصبة بعد انتهاء انتدابهم في الوقت الذي شهدت فيه الساحة العربية مؤتمرات ومؤامرات روجت فيها تماماً فكرة تدني المقاومة اليهودية وهزالتها.. أمام القوات العربية التي ستغزو فلسطين وتؤدبهم وتلقيهم بحراً!!! فانعقد مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ وكان رأي المملكة العربية السعودية لحل القضية على سبيل المثال: يتمثل في إيفاد وفد يمثل الفلسطينيين والجامعة العربية إلى واشنطن لإجراء المفاوضات وإستغلال كل الوسائل السياسية .. وطالبت المملكة بإعلان قرارات واقعية للمشكلة الفلسطينية وأشارت إلى الأعمال التي تتجاوز

كتاب تذكاري

قدرات الدول العربية وطاقتها ومن الأفضل تجنبها!!

وفى عام ١٩٤٦ أيضا طلبت الدول العربية من بريطانيا ألا تتخذ سياسات حيال القضية الفلسطينية.. تتناقض مع الكتاب الأبيض .. الذى سبق وأن رفضه العرب!!!

وفى أكتوبر ١٩٤٧ عقد مؤتمر عالية الذى طالب فيه مفتى فلسطين أمين الحسينى بإنشاء حكومة لفلسطين .. فاعترض العراق وسوريا وشرق الأردن وملكها عبدالله الذى كان يأمل فى إتمام مشروعه الطموح سوريا الكبرى .. الذى يتطلب اقتطاع الجزء الغربى من فلسطين والدفاع عنه .. من هنا كان خلافه الدائم مع شكرى القوتلى رئيس سوريا .. أما الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق فكان مؤيداً لسياسة عمه عبدالله ملك شرق الأردن !! ولديه طموح مشابه أيضا وهو مشروع الهلال الخصيب !! فالأردن كان يخضع للإحتلال البريطانى الذى كان يدعو إلى فكرة التقسيم وكانت مصر أول المعارضين لهذا الإتجاه ورفضته بشدة وأقرت وحدة الدولة الفلسطينية.

وفى مؤتمر عالية طرحت للمرة الأولى فكرة دخول الجيوش العربية حرباً فى فلسطين - يقول عبدالرحمن عزام - أول أمين للجامعة العربية وهو سياسى من الطراز الأول وصديق لكل الزعماء العرب «إن العراق وسوريا تحمستا للحرب وفى الاجتماع[٦٥] أشار مندوب العراق إلى خريطة فلسطين وأخذ يشرح خطة الجيش العراقى للتوغل داخل فلسطين حتى قمة جبل الكرمل وتحرير حيفا من اليهود» .

وسرعان ما تشعبت الخلافات العربية التى ولدت مع مولد الجامعة العربية (مصر والسعودية وسوريا) يمثلون كتلة متجانسة سياسياً والأردن والعراق يمثلون كتلة موازية .. أما بقية الدول العربية فظلت محايدة.. بالإضافة للخلافات الفلسطينية حول الزعامة والخلافات السورية الأردنية والعراقية السورية.. وعلى الفور نشطت الدبلوماسية المصرية لاحتواء المواقف والخلافات فبالإضافة لمؤتمر الملوك والرؤساء العرب فى أنشاص الذى قام فيه الملك فاروق بتقديم شرائح اللحم بنفسه للملك عبدالله وعبدالإله لكى يمحو من نفسيتهما أى ضغينة تتعلق بمحاباته للسعوديين فقط !!! ردعت مصر أيضاً لعقد مؤتمر القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٧ بعد صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى نوفمبر ١٩٤٧.

واجتمع مجلس الجامعة العربية للعمل على الحيلولة دون تنفيذ القرار فعلياً وقيام دولة إسرائيل.. وتم الإتفاق على تدعيم اللجنة العسكرية الدائمة فى فلسطين بعشرة آلاف بندقية تقرر أن تكون حصة مصر منها[٦٦] ٢٠٠٠ بندقية بالإضافة لإرسال خمسمائة متطوع من مصر والأردن والعراق وسوريا والسعودية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين.. وعلى الفور سلمت مصر السلاح المطلوب لمفتى فلسطين أمين الحسينى وتم إرساله إلى اللجنة العسكرية فى فلسطين وبعد الفحص تبين أن هذه البنادق غير صالحة للاستعمال.. فأرسلت مصر ضابطاً متخصصاً لمقابلة القائد العام لجيش فلسطين فى دمشق وكانت المفاجأة أن البنادق التى قدمتها مصر وسلمتها للمفتى أمين الحسينى فى القاهرة كانت سليمة مائة بالمائة.. وكشفت التحريات عن تورط أعوان المفتى فى الاتصال بأهالى فلسطين العرب وجمع الأموال منهم لشراء الأسلحة لهم .. وحين اكتشفوا أنها (فاسدة) لا تصلح للإستعمال طالبوا بإعادة أموالهم مرة أخرى فتدخل المفتى وقام بتسليمهم البنادق التى أرسلتها مصر وأستعاد منهم الأسلحة (الفاسدة) التى بحوزتهم .. ثم عاد وارسلها إلى اللجنة العسكرية تنفيذاً لقرارات مؤتمر القاهرة على اعتبار أنها البنادق التى تبرعت بها مصر!!

وهكذا بدأت نواة فضيحة الأسلحة الفاسدة قبل بدء الحرب فعلياً !!! من جهة آخرى كان هناك شبه إجماع عربى على الإستعانه بالمجاهدين الفلسطينيين فى المقام الأول للدفاع عن بلادهم فهم أدرى الناس بشعابها ودروبها ولديهم الحافز النفسى المتأجج للدفاع عن أرضهم .. فتم تنظيم المقاومة الفلسطينية من جيش الجهاد المقدس بقيادة عبدالقادر الحسينى وجيش الإنقاذ العربى.. وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل .. فاعترفت بها أمريكا على الفور ومارست ضغوطها على أعضاء الجمعية العمومية لكى يعترفوا بها.. وتكاد تكون فلسطين هى الدولة الوحيدة التى أنهت بريطانيا انتدابها وجلت عن أراضيها من تلقاء نفسها.. وقبل موعد انتهاء الانتداب رسمياً بشهرين.. على الرغم من محاولات عبدالرحمن عزام المستميتة مع السفير البريطانى فى القاهرة رونالد كامبل.. بعدم جلاء بريطانيا قبل نهاية الانتداب لكى يستعد العرب لمواجهة الموقف.. وفات الميعاد ووقعت الغلطة القاتلة.. فلم تستعد الدول العربية لهذا اليوم المشهود على الرغم من أنها كانت تعلم جيداً موعد إنهاء الإنتداب رسميا.. وخرج البريطانيون من فلسطين وبدأت المواجهة السافرة مع العصابات اليهودية فأستخدم العرب سلاح العشوائية والعبثية وغياب القيادة المشتركة والخلافات العربية .. وكلها أسلحة ورقية لا تصمد أمام هبات الريح فما بالنا بوجود ترسانة أسلحة أمريكية وفرق عسكرية دموية أتقنت حرب العصابات حتى أصبحت أسلوب حياة وسمة أساسية فى سياسة الدولة اليهودية.. وزاد الطين بلة حين انبرى بن جوريون وأعلن ضم كل الجماعات المسلحة والفرق المتطرفة مثل البالماخ.. واتخذها نواة لجيش الدفاع الإسرائيلى!!

موقف مصر من الحرب

كانت مصر من أول المعارضين لفكرة تقسيم فلسطين.. ولكنها كانت تؤيد الرأى العربى القائل بحتمية حل المشكلة عن طريق القوات غير النظامية من الفلسطينيين والمتطوعين المصريين والعرب على أن تقوم بمساعدتهم مالياً وعسكرياً وتدريبياً وإمدادهم بالسلاح المطلوب.. على أن مشكلة التطوع ذاتها كانت تتم بصورة عشوائية فلم يتم انتقاء العناصر المتمرسة فى الدفاع والقتال بأسلوب حرب العصابات!! الأمر الذى نتج عنه خسائر بشرية فادحة فابتلعتهم جغرافية فلسطين التى يجهلونها.. وعلى هذا الأساس تشكلت القوات العربية من القوات النظامية (مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق والسعودية بالإضافة لجيش الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ الفلسطينيين والمتطوعين المصريين) .



ومنذ إعلان قرار التقسيم تبنى النقراشى عرض وجهة النظر المصرية فكان يردد دائما: «إنه ذهب إلى مجلس الأمن وأعلن أمام العالم كله عن رغبة مصر فى خروج الإنجليز القراصنة منها.. وتعهد أمام العالم أيضاً بقدرة الجيش المصرى وحده على حماية قناة السويس، دون الإستعانة بالجيش البريطانى لنفس الغرض .. ومن ثم فهو لا يريد أن يعرض الجيش وهو - سنده وحجته - لحل القضية المصرية لأى أخطار عن طريق زجه فى حرب فلسطين وكان يضيف دائماً أنه لا يريد المجازفة بالجيش ولو بنسبة واحد فى الألف». وحقيقة الأمر أن الملك أتخذ قراراً بإعلان الحرب استجابة للرغبة الشعبية العارمة التى أجتاحت الشارع المصرى الذى كان ينظر للحرب نظرة قداسة دينية إلى الدرجة التى أتهم فيها المعارضين بدخول الحرب بعدم العروبة والوطنية.. ولم يختلف الأمر كثيرا فى معظم الدول العربية.

وفيما يتعلق بحالة الجيش عام ١٩٤٨ فقد صرح اللواء[٦٧] المواوى قائد القوات المصرية فى فلسطين أن الجيش المصرى كان يفتقر إلى التدريب وإنه لم يقم بأية مناورة عسكرية خلال الفترة من عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٤٧ ومعظم المهام المنوطة به كانت تنحصر فى الإشتراك فى كسوة المحمل والمولد النبوى ومكافحة الجراد والكوليرا ومقاومة الفيضانات وحراسة الوزراء وقمع المظاهرات، فإذا كان هذا هو وضع الجيش فى أكبر دولة عربية وأكثرها عدداً وعدة فكيف كان حال الجيش فى البلدان العربية الأخرى ؟

فى الأردن صرح جلوب باشا (الإنجليزى) قائد الفيلق العربى الأردنى فى حرب فلسطين «أنه ليس من المستحسن أن يعادى الأردن اليهود، فى البلاد العربية التى تنادى بعدائها لليهود لأنها ستترك الأردن وحده فى الميدان وقد يظن البعض أننى أقول هذا لأننى متشائم وأن العرب لن تتفرق كلمتهم وإنهم إما أن يحصلوا على النصر مشتركين أو يموتوا متحدين وهذا ما لا أصدقه !!

وصرح الملك عبدالله - الذى عين قائداً عاماً للجيوش العربية - لوفد الجامعة العربية : «إن جنح القوم - أى اليهود - للسلم[٦٨] فسنجنح لها وإن دعينا للدفاع فسنفعل ولايزال أمر السلم فى أيدى اليهود .. على أن يمنحوا حقوقاً لا مركزية للعرب فى المناطق التى يعيشون فيها ولا أعتقد أن العرب

كتاب تذكارى

يرفضون ذلك» !! ولابد أن نوضح نقطة هامة.. فالجيش الأردني وسلاحة وذخيرته ومرتباته وضباطه وجنوده كلها كانت تصرف من الخزانة البريطانية.. من هنا أيضاً خدع العرب وأعتقدوا أن الأردن إذا دخل غمار الحرب فذلك يعني موافقة بريطانيا ومساندتها له بالسلاح والمؤن وهو ما لم يكن صحيحاً.. ولكنها افتراضات وهمية.. فبريطانيا كانت تفرض على شرق الأردن سياستها الاحتلالية وتشجع تقسيم فلسطين إلى قسم عربي وآخر يهودي وقسم ثالث ينضم لشرق الأردن.. لذلك أتفق العرب فيما بعد على إيجاد بديل يضمن استقلال جيش الأردن عن بريطانيا فتعهدت الدول العربية[٦٩] بدفع مائة الف جنيه للملك عبدالله ثم توقفت عن الدفع لأن الجامعة العربية قررت إيقاف المبلغ لأنه لم يقم بشراء الأسلحة المطلوبة وفقاً للإتفاق !!!

وعن الموقف السورى فقد اقترح رئيس أركان حرب الجيش السورى عدم دخول الحرب بقوات نظامية نظراً لقلة السلاح والأفراد وكان يرى أن الأمر يحتاج إلى ثلاث سنوات لاستكمال التسليح والتدريب والبديل المتاح هو إرسال متطوعين مزودين بالسلاح ولكن حينما أشتعلت الحرب أصبحت سوريا هي مركز العمل العربي !! وفي لبنان عارض بشارة الخوري (رئيس الجمهورية) فكرة الحرب وطالب بضرورة الوقوف عند حدود لبنان إتساقاً مع رأى رئيس أركان حرب الجيش اللبناني الذى أكد أن الجيش لا يستطيع خوض غمار المعركة نظراً لقلة العدد والعتاد !! الأمر الذى أعترض عليه رياض الصلح (رئيس الوزراء) الذى طالب بحتمية الهجوم وفي السعودية رحب الملك عبدالعزيز آل سعود بإشتراك المملكة فى الحرب فقد كان يصف فلسطين بأنها بؤبؤة العين لكنه لم يفضل إستخدام البترول سلاحاً للضغط وعرضت السعودية مساهماتها بإرسال كتيبتين من المشاة وسرية رشاشات وفصيلتين من المدرعات وتم ضم هذه القوات إلى الجيش المصرى .. ويبدو أن عبارة «أعرف عدوك» لم تكن تحظى بإهتمام العرب فأعتقدت القيادة العراقية فى بغداد أن القوات اليهودية شرائم متناثرة ضعيفة لا تحتاج إلى جيش كبير.. ولولا حشود المظاهرات التى قام بها طلبة المدارس وإضرابهم عن الطعام والضغوط البريطانية على الوصى على عرش العراق الأمير عبد الإله لم يكن ليوافق على إرسال الجيش .



وهكذا بدت حالة الجيوش العربية حيث كانت لاتزال تئن من الاحتلال ووطأته الاستعمارية التى تستهدف إضعاف الجيش بصفة خاصة فى معظم الدول العربية حتى لا يقاومها ويظل الشعب خاضعاً عاجزاً عن حماية نفسه!!! فقد كانت بريطانيا على علم تام بحالة الجيوش العربية الثلاث (مصر والأردن والعراق) وكانت تعلم كل التفاصيل عن هذه الجيوش وقدرتها العسكرية!!

وفي فلسطين استخدم بن جوريون استراتيجية الحصار الدائرى فى المدن الفلسطينية وبذلك تم الإستيلاء على المدن الساحلية: يافا وعكا وحيفا قبل نهاية الإنتداب البريطاني .. فتعقد الموقف وأصبح من المحال تحرير فلسطين من الداخل فقط دون تدخل الجيوش العربية!! ومن المؤسف أن أحداً من الساسة العرب لم يذهب إلى فلسطين خلال عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ لمشاهدة الحقائق على الطبيعة والمؤلم أنهم لم يقرأوا تقارير قناصلهم فى القدس!! ووقع العرب فى الفخ الذى نصبته لهم بريطانيا ذات السياسة المزدوجة، فشجعت العرب على خوض معركة تحرير فلسطين ووعدتهم بتقديم كل الدعم والمساعدة فى الوقت الذى تخلت فيه عن إلتزاماتها وتعهداتها عند بدء المعركة فعلياً وعقدت العزم على جعل القدس مدينة دولية !! وأعترفت بدولة إسرائيل .. يقول وايزمان فى مذكراته: «إن ساسة بريطانيا كانوا يعتقدون أن العرب واليهود يجب أن يترك بعضهم لبعض فترة من الزمن يراق فيها الدماء بين الطرفين !!!» وقد عانى الجنود البريطانيون فى الفترة الأخيرة من الإنتداب فتعرضوا للقتل والتعذيب على أيدى العصابات اليهودية، فوجدت بريطانيا ضالتها فى دخول الحرب لكى تثأر من الطرفين ... ففى مصر واجهت مطلباً قومياً بجلائها فرأت بحنكتها الإستعمارية إنه من الأفضل توريط الجيش المصرى فى هذه الحرب لتتضح عدم قدرة الجيش على حماية قناة السويس مما يستدعى بقاء قواتها ومعاهدة ١٩٣٦.. وتبديد الفائض المالى فى خزائنها والقضاء على بوادر الانتعاش الاقتصادى الناتجين عن رخاء الحرب العالمية الثانية، وشاءت الأقدار أن يجتمع سوء النية البريطانية مع اشتعال العاطفة ومطالبة جميع الشعوب العربية حكوماتها بإعلان الحرب على اليهود وتحرير فلسطين ومدينة القدس ثالث الحرمين تلك المدينة التى تحظى بمنزلة خاصة لدى المسلمين والمسيحيين، ومن ثم أخذت الدعوة للتحرير طابعاً دينياً حماسياً خاصة بين الإخوان المسلمين سرعان ما انتشر بين الثائرين وأصبح من اليسير اتهام أى شخص يعارض دخول الحرب بالخيانة .

ولم يختلف وضع مصر عن بقية الدول العربية، فكانت الحرب مطلباً شعبياً .. ثم تحول إلى مطلب سياسى، فوجد فاروق أن إعلان دخول مصر الحرب قد يمتص شحنة الغضب والمعاداة واستخدام الحرب كوسيلة سياسية لصرف الأنظار عن المشاكل الداخلية التى يعانى منها الشعب وشاهدها بعينه أثناء مظاهرات عام١٩٤٦.. فإذا أنتصرت مصر فى هذه الحرب التى وصفها النقراشى بأنها مجرد حرب سياسية فربما ينجح فى إعادة بناء قاعدة شعبية تحيطة بالمحبة والولاء كما حدث فى أوائل عهده .. فقد كان شديد الاعتزاز بالجيش دائم الزيارة لوحداته.. حريصاً على مجاملته واحتوائه بصفته القائد الأعلى وقد قال يوماً : «إذا جاء يوم أصبحت فيه مصر فى خطر فإننى سأقود جيشى بنفسى» !! الأمر الذى كان يثير حفيظة بريطانيا دائما وكانت ترى فيه اقحاماً للجيش فى شئون السياسة.. وساهم فى ترسيخ اعتقاده بضمان نتيجة الحرب إيجابياً .. وجود مناخ عام بين الساسة العرب يهمش ويهون من مقدرة اليهود الدفاعية فهم أفراد عصابات متناثرة !!! وقد أشيع أن فاروق والملك عبدالله كانا يتنافسان أيهما يصلى أولاً فى المسجد الأقصى.. ولكنى لا أعتقد أن المناخ العام والمشاكل المحيطة بفاروق كانت تترك لخياله العنان وتطلق فى نفسه الحماس للمنافسة على الزعامة العربية آنذاك ومن الجدير بالذكر أن الملك عبدالله البالغ من العمر ٦٨ عاما عام ١٩٤٨ كان أديبا ومن رواة الشعر ومن أمهر الرماة وأحسن لاعبى الشطرنج فى العالم منحته بريطانيا رتبة مارشال فى سلاح الجو البريطاني .. وفي العراق كان نورى[٧٠] السعيد يعتقد إن إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين أمر محال وإن حدث فلن تبقى أكثر من خمسة عشر يوماً !! .. أما الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود فكان أكثر تشاؤماً .. وأكد أن هذه الدولة تستطيع بما لديها من السلاح أن تستمر سنتين !!! وأعلن الملك عبدالله أن الجيش الأردنى سيحتل القدس خلال ٤٨ ساعة ثم يزحف إلى تل أبيب.

يقول أحمد فرج طايع قنصل مصر فى القدس (من يوليو ١٩٤٧ حتى أكتوبر ١٩٤٨) حين اندلعت حرب فلسطين تخلت انجلترا عن حماية القنصليات العربية .. ولو استمعت الحكومات العربية فى ذلك الوقت لممثليها الدبلوماسيين فى فلسطين وهم عيونها لما استهانوا بقوة اليهود الفعلية !!

إعلان مصر الحرب

ولكن فجأة وبدون مقدمات فى ١١ مايو ١٩٤٨ طلب النقراشى من دكتور حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ عقد جلسة سرية ليعرض قرار الحكومة بدخول القوات المصرية فلسطين وتحريرها من اليهود .. بناء على توجيهات الملك بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة وفى الجلسة لخص النقراشى الأسباب التى حملته على تناقض موقفه من دخول مصر الحرب فذكر تهديد السفير الأمريكى بقطع المساعدات[٧١] الاقتصادية عن مصر إذا لم تتدخل لحل قضية فلسطين واقتراح أمريكا لمبدأ الوصاية لإحتواء القضية وأوضح النقراشى للمجلس فى الجلسة السرية رفضه التام واستنكاره لتهديدات الجانب الأمريكى وأنه اكد للسفير أن مصر كانت تحذر دائما من تدهور الحال فى فلسطين.. وأن الدول العربية كلها لا تستسيغ مبدأ الوصاية وأن الهجاناة تحيط بالمجاهدين العرب وأنه تلقى برقية عاجلة من الملك عبدالله يطلب فيها إرسال نجده فورية.. إضافة إلى الطلب المماثل من عبدالرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية وأضاف النقراشى أن بريطانيا صرحت بأنها غير مسئولة عن الأمن فى فلسطين بعد ١٥ مايو وبالتالى فلن تسمح لأى جيش بالتدخل فماذا تفعل الدول العربية بعد اطلاق سراح رجال العصابات اليهودية الهاجانة – شتيرن – أرجون ولم يقلل النقراشى من قوة بأسهم وتوافر مواردهم وأسلحتهم.. لكنه عدد محاسن الجيوش العربية أيضا وفى النهاية طلب اعتماد مبلغ ٤ ملايين جنيه من أجل

كتاب
تذكارى

استعداد الجيش المصرى وهكذا وافق البرلمان بالإجماع وفقا للحقائق المعروضة والحقيقة المؤكدة التى يعلمها كل نوابه وتتمثل فى الرغبة الشعبية الجارفة لخوض الحرب.. وهكذا أصدر حيدر باشا وزير الدفاع أوامره بالتنفيذ وقبل أن يصدر قرار البرلمان أو مجلس الوزراء فعلياً فى ١٥ مايو ١٩٤٨ كانت قوات الجيش تعبر الحدود وتتوغل داخل فلسطين.. وهو قرار يتنافى مع الدستور الذى ينص على أن الملك هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ولكنه يستعمل سلطاته بواسطة وزرائه، أى أن قرار الحرب نفذ أولاً واستكملت إجراءاته الدستورية ثانياً بلا مشورة أو مناقشات أو اعتراضات الأمر الذى جسد استبدادية فاروق وافتقاره للإتزان والتروى وعموماً فالبرلمان كان سيوافق حتماً على دخول الحرب .. فقد أصبحت مطلباً قومياً عربياً ولم يكن الشعب المصرى يقبل آنذاك أن تخذله حكومته عن أداء واجبات الأخوة والعروبة والتخلف عن مسيرة الصف العربى .

وبكل ثقة أعلن حيدر باشا وزير الحربية أن الجيش المصرى وحده ودون أية معاونة من الجيوش العربية سيصل إلى تل أبيب خلال خمسة عشر يوماً فقط، يتم خلالها القضاء على العصابات اليهودية التى تعتدى على عرب فلسطين !!! وسبحان مغير الأقوال عندما وقعت الكارثة!!!

وخلف الكواليس السياسية كان[٧٢] إسماعيل صدقى رئيسا لمجلس إدارة شركة كوم أمبو لاستصلاح الأراضى والتى كانت تملكها اسرة قطاوى وهى أكبر وأشهر أسرة يهودية آنذاك ومن خلال المنصب الإدارى والعلاقات الشخصية مع افرادها توطدت علاقته بساسون رئيس القسم العربى فى الوكالة اليهودية لفلسطين وعد الأخير صدقى بالمعاونة فى دفع مفاوضات صدقى بيفن وأنهم سيتدخلون فى المفاوضات بشكل غير مباشر لحث بريطانيا على تقديم المزيد من التسهيلات والامتيازات المزعومة لتحقيق الجلاء التام عن مصر ولكن استقالة وزارة صدقى بعد فشل مفاوضاته أحبطت جهود إسرائيل فى تغيير صورتهم العدوانية فى مصر ومن المؤسف أن صدقى كان من مؤيدى مشروع تقسيم فلسطين والوثائق اليهودية تؤكد ذلك وتنعى وعوده لهم نتيجة لاستقالته بأنها أصبحت ماضيا لن يعود.. وهكذا انفرد إسماعيل صدقى بالإعتراض تماماً على قرار الحرب واستند الى منصبه كرئيس سابق للوزراء يعلم حالة الجيش جيداً من نقص العتاد والأسلحة، وأعلن أنه يخشى من رد فعل الأمم المتحدة إزاء هذا القرار الذى قد تعتبره تحدياً لها وأعلن أن مصر لا شأن لها بخوض معركة لا تخصها وأن مشاكلها الداخلية تكفيها !!! وحنق عليه الملك فاروق حتى مماته فعلى الرغم من حصوله على نيشان محمد على الذى يتيح لحامله الحق فى تشييع جنازته عسكرياً على عربة مدفع إلا أنه أصدر أوامره لرجال القصر بعدم الإشتراك فى الجنازة أو تشيعها رسمياً !!! وفيما يتعلق بحيدر باشا وزير الحربية، فقد كان ضابطاً من ضباط السجون لا شأن له بالعسكرية .. بدأت علاقته بالملك من خلال إهتمام حيدر باستصلاح بعض أراضى الخاصة الملكية عن طريق الاستعانة بجهود المسجونين !! وقصة تعينه وزيراً للحربية قصة ضاحكة باكية.. ففى آخر عام ١٩٤٧ شاءت الظروف أن يشاهد الملك أحمد عطية وزير الحربية وعبدالمجيد بدر وزير المالية بصحبة وزيرين آخرين فى كازينو حلمية بالاس وبمجرد أن شاهدا الملك انصرفا على الفور.. وأكمل وزير الحربية والمالية سهرتهما.. وفى صباح اليوم التالى طلب الملك من النقراشى -الذى كاد يستقيل- إقالتهما وتم تعيين حيدر باشا – ضابط البوليس – وزيراً للحربية ومن مكتب هذا الرجل فى القاهرة كانت تدار العمليات الحربية فى حرب فلسطين فى واقعة غير مسبوقة فى تاريخ العمليات العسكرية دون وجود قيادة عسكرية فى ميدان المعركة .. ذلك أن قادة الحرب لم يكونوا موضع ثقة وكفاءة تسمح لهم بإدارة الحرب .. وبنفس القدر من العبثية كانت تصدر تعليمات جلالته (القائد الأعلى للقوات المسلحة) من قصر عابدين وبهذه الصورة التراجيدية دخلت مصر الحرب إرضاء للعسكريين وضد رغبة السياسيين زادها العشوائية والعنترية والجدعنة العربية.. بلا خرائط أو أسلحة أو أهداف استراتيجية .

وفى بادئ الأمر أسندت قيادة القوات إلى اللواء أحمد المواوى بك الذى كان يقوم بتدريب القوات المصرية فى رفح وعن ذكرياته كقائد أول حملة مصرية فى فلسطين يقول: «أخبرنى[٧٣] النقراشى أن الاشتباكات ستكون مجرد مظاهرة سياسية وليست عملاً حربياً.. وأن المسألة ستسوى سياسياً عن طريق تدخل الأمم المتحدة وسينتهى الأمر سريعاً!!» ويذكر أنه أخبر الفريق حيدر عندما أخبره بدخول الحرب أن الوحدات غير مدربة فقد كان قائدا لسلاح المشاة ويدرك الوضع تماما!!!

ومن ميدان المعركة بدأت ترد البلاغات الرسمية عن سير الجيش.. وتوغله داخل فلسطين دون أى عراقيل أو مقاومة واتضح فيما بعد أنها كانت تتقدم فى المناطق التى خصصتها الأمم المتحدة للعرب فى قرار التقسيم ولن نتحدث عن مشكلة الأسلحة الآن .. ولكن البيانات كانت تؤكد بعد مرور أسبوع على القتال أن الجيش المصرى يتحرك باتجاه القدس.. وأنه يقترب من تل أبيب، وفعلياً كان الجيش المصرى يتقدم باتجاه السهل الساحلى حيث حاصر أهم مستعمرات النقب دير سنيد أو دير مردخاى وأشدود وبير سبع ووصلت قواته حتى جنوب القدس وأصبح على بعد ثلاثين كيلو متر من تل أبيب ودخلت بقية الجيوش العربية السبع أو (الوحوش السبع كما كان يطلق عليهم بن جوريون) فلسطين بأقل من خمسة عشر ألف جندى مقابل سبعة وستين ألف جندى إسرائيلى أى أكثر من أربعة أضعاف قوات الجيش العربية .. وبلغت المأساة ذروتها حين "افتقدت هذه الجيوش وجود قيادة مشتركة تجمعها فكان الجيش العراقى بدون خرائط[٧٤] فعسكر فى مثلث نابلس وطولكرم وجنين وهى أرض عربية لا يوجد بها يهودى واحد ولم يلتحم مع اليهود على الرغم من انتظار العالم العربى للمفاجآت التى كان يتوقعها منه وحين كان يسألهم الفلسطينيين عن سبب إحجامهم عن قتال اليهود.. فتكون إجاباتهم «ماكو أوامر» أى لا توجد لديهم أوامر من قيادتهم ولكن إحقاقاً للحق فقد اشتركوا فى معركة استرداد جنين وأثبتوا كفاءة قتالية عالية.. على الرغم من أنها استغرقت نصف يوم فقط !! أما الجيش الأردنى فكان بلا ذخيرة تكفى لمدافع الهاون وكانت أسلحة الجيش المصرى فاسدة.. بالإضافة لنقص المعلومات وسوء التدريب وعلى الرغم من كل هذه المستحيلات فقد اعترف ضابط المخابرات الإسرائيلية المسئول عن قيادة الجنوب «بأن الضابط المصرى هو أفضل ضابط فى الجيوش العربية» وأكد اهتمام الجيش[٧٥] المصرى بالمدفعية والمدافع المضادة واستغلال الإلغام كسلاح مضاد للدبابات وبراعتهم فى التمويه والإخفاء» وكانت هذه الإيجابيات سبباً رئيسياً لتطويق الجيش المصرى وتركيز الهجوم الإسرائيلى ضده باعتباره أكثر الجيوش فاعلية خاصة فى منطقة الجنوب.



ومن ناحية أخرى أنضمت القوات غير النظامية التى كانت تضم عدداً كبيراً من الإخوان المسلمين وكانوا فى طليعة القوات التى حاربت فى النقب حتى بيت لحم بقيادة البكباشى أحمد عبدالعزيز الذى لقب بالنمر .. نظراً لهجماته الشرسة والأضرار التى أحدثها فى صفوف جيش الدفاع الإسرائيلى فى منطقة الجنوب وكان ضابطا فى سلاح الفرسان دخل فلسطين مع مجموعة من الضباط المصريين بعد أن تخلوا عن وظائفهم الرسمية فعقب قرار التقسيم تحدث مع أمين الحسينى وعرض عليه تدريب المتطوعين من خلال ضباط الجيش المصرى فرد الحسينى بضرورة استئذان الحكومة المصرية فرفضت الحكومة فتطوع هو ومجموعته إيمانا منه بأن مصر شجرة جف عودها ولن يعود إلى هذا العود اخضراره إلا إذا ارتوى بدماء الشهداء على حد تعبيره!!

وتجلت مأسى الحرب وذكرياتها الأليمة فى بؤرة غياب قيادتها المركزية ووجودها فى القاهرة وتداخل السياسة فى استراتيجية الحرب حيث أبلغ قائد القوات البريطانية[٧٦] فى فلسطين .. قيادة الطيران المصرى بعدم التعرض لأحد المطارات البريطانية وأغفل القائد المصرى تبليغ هذه الإشارة فصدرت الأوامر بضرب المطار البريطانى فقتل خمسة من أفضل الطيارين المصريين نتيجة لسوء القيادة وفشلها!!! والواقعة الثانية يرويها حافظ عفيفى رئيس الديوان : «كنت فى زيارة لمكتب حيدر باشا وزير الحربية وأثناء الزيارة أتصل بقائد القوات فى فلسطين وتبادل معه الحوار حول أهمية استيلاء القوات المصرية على مدينة بئر سبع

كتاب
تذكارى

فرد قائد القوات أن الاستيلاء على الموقع المطلوب فى نفس اليوم سيترتب عليه خسائر فادحة والأفضل حصار المدينة لمدة ثلاث أيام .. فرد حيدر باشا : إن الاستيلاء على بئر سبع فى نفس اليوم يمثل مطلباً سياسياً هاماً !!

والواقعة المؤسفة حقاً.. أصابت البحرية المصرية التى كان معظمها يعمل كوحدات فى خفر السواحل لمنع تهريب المخدرات بالإضافة إلى كاسحات الألغام العتيقة الطراز.. وأثناء القتال اتصلت بارجتان مصريتان وأبلغتا موقع القيادة بأنهم فى وضع هجومى يسمح لهم بمهاجمة القوات الإسرائيلية.. ولكن القيادة أمرتهما بالانتظار لحين ورود أوامر عسكرية من القاهرة.. الأمر الذى ترتب عليه إصابة إحدى البارجتين بطوربيد إسرائيلى نسفها فى الحال!!! وبرغم كل المصاعب التى واجهت الجيوش العربية وعدم وجود خطة عسكرية ونفاذ المخزون الاستراتيجى لبعض المواد ونقص الأسلحة فى الوقت الذى تدفق فيه سيل من أحدث الأسلحة التكنولوجية وآخر ما توصلت إليه ترسانة الأسلحة الأمريكية والأوروبية إلى الجيش الإسرائيلى فقد أستطاع العرب إحداث هزائم متكررة وأضرار متعددة فى المدن الإسرائيلية .. وسرعان ما خرجت المظاهرات تطالب بن جوريون بوقف إطلاق النار فهرع بدوره إلى أمريكا يطلب منها استصدار قرار هدنة من الأمم المتحدة .. وفيما بعد اعترف القنصل الأمريكى فى القدس أن قرار مجلس الأمن الذى فرض الهدنة الأولى فى ١١ يونيو ١٩٤٨ هو الذى أنقذ إسرائيل من الدمار وقبلت الدول العربية الهدنة لمدة أربعة أسابيع.. ونظراً للبيانات البطولية والحماسية التى كانت تذاع يومياً.. لم يلق قرار وقف إطلاق النار أى ترحيب شعبى فالأمل كان يساورهم فى دخول تل أبيب.. حيث أن الجيش المصرى كان على مسافة ٣٠ كم جنوب تل أبيب والجيش العراقى ١٦ كم شرقى تل أبيب.. ولكن الخبراء العسكريون فى الدول العربية كان لهم رأى آخر وقرروا عدم استئناف القتال وأيد الملك عبدالله هذا الرأى وصرح أنه لن يستأنف القتال مالم تحشد الجيوش العربية جميع قواها وكتب فى مذكراته يقول : «عندما اعلنت الهدنة الأولى لم يكن لدى الجيش الأردنى أى عتاد من الأسلحة الثقيلة ما يكفيه لحرب يومين» .



وتخوف العرب من استغلال الهدنة فى تهريب السلاح أو المتطوعين وهو ما حدث بالفعل فبلغ حجم القوات الإسرائيلية بعد الهدنة ١٠٦ آلاف مقاتل تم تدريبهم جيداً وتزويدهم بأحدث الأسلحة لاستعادة مستعمراتهم!! وفى ٦ يوليو ١٩٤٨ (قبل انتهاء الهدنة) قام الملك فاروق بزيارة الجبهة بصحبة وزير الحربية حيدر باشا وأمضى جلالته ليلة فى الميدان زار خلالها مواقع بعض الجنود لتشجيعهم ورفع الروح المعنوية لهم بالأوسمة والنياشين .. فى تلك الآونة ظهر السويدى الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة بين العرب وإسرائيل والذى أقترح ضم النقب لمصر وضم الأجزاء المجاورة لكل دولة عربية على أن تكون الجليل من نصيب إسرائيل فرد النقراشى بعبارة موجزة كما ورد فى مذكراته أن تقسيم فلسطين عار فى[77] عار نرفضه تماما كمصريين وعرب.. وقبل عرض المشروع أغتيل الكونت برنادوت بواسطة اليهود فقد رفضوا مقترحاته واستنكروها !! وأعلنت إسرائيل أنها ستنفق الجهد والمال وستفعل ما لم يفعله العرب فى قرون طويلة لإصلاح النقب[78]!!!

انتهكت إسرائيل الهدنة الأولى وبعد انتهائها رسمياً وضعت إسرائيل خطة هجومية عرفت بخطة الأيام العشرة فى محاولة لاستعادة مستعمراتها وحدثت مفاجأة غير متوقعة وإن توقعها فاعلها (جلوب باشا) البريطانى الذى كان يقود الجيش الأردنى فسحب قواته من المناطق الأمامية من خليج العقبة بعد أن أصدر أوامره للجيش الأردنى بعدم المقاومة والقتال فسقطت اللد والرملة اللذان استولت عليهما مصر فى أيدى القوات الإسرائيلية حيث تنكر اليهود فى ملابس الجيش الأردنى واقتحموا اللد ثم أخذوا يطلقون النار على أهلها .. وحشدت إسرائيل قواتها وجهاً لوجه أمام القوات المصرية التى استبدلت قائد قواتها المواوى باللواء فؤاد صادق.. وبعد الهدنة الثانية – التى أعلنت فى ١٩ يوليو وكانت إسرائيل تخترقها وقتما تشاء – حشدت معظم قواتها فى الجبهة الجنوبية المصرية واحتلت بئر سبع وأعترف موشى ديان قائد الحملة بأن الجيش الأردنى انسحب[79] عن عزم وتصميم!!

وأستمر القتال حتى ديسمبر ١٩٤٩ (قرار مجلس الأمن بوقف القتال) خلال تلك الأونة هاجمت إسرائيل عراق المنشية وعراق سويدان ونجحت فى فك حصار النقب وعزلت اللواء الرابع مشاة (٤٠٠٠ مقاتل) فى جيوب صغيرة فى الصحراء وهى قوات الفالوجا التى كان يقودها الأميرالاى السيد طه (الضبع الأسود) وأركان حربه جمال عبدالناصر .. وفكرت القيادة العسكرية فى الإستعانة بالأردن لفك الحصار وتم الإتصال بجلوب قائد القوات فوضع خطة لإنسحاب القوات المصرية ليلاً بين الصخور فى الظلام فرفضتها القيادة المصرية لأنها تعرض الجيش للخطر وصدرت الأوامر للسيد طه بالدفاع حتى آخر طلقة وفيما بعد تحققت القيادة من أن خطة جلوب تسربت إلى الإسرائيليين وأنها كانت ستؤدى إلى كارثة عسكرية وسرعان ما أنهالت المساعدات العربية فعرض الجيش العراقى المساهمة فى فك الحصار إلا أن وضعه كان حرجاً فلا يوجد لديه غطاء جوى ويعانى من نقص المؤن والسلاح !!! واقترحت سوريا إرسال كتيبتين أحتياطيتين أما بقية الجيوش فكانت لا تملك أى قوة تمكنها من المساعدة !!! وصمد أبطال الفالوجا (اسطورة العسكرية) لمدة ١٢٥ يوماً وخرجوا بكامل أسلحتهم فى فبراير ١٩٤٩ .. ولم تبخل إسرائيل عليهم أثناء حصارهم بهجماتها الجوية وضرباتها المدفعية وقنابلها اليدوية .. وبدأت تظهر أعراض سوء التغذية .. فأضطر الجنود لأكل حزم الفجل إنتظاراً لوصول قافلة الجمال التى تحمل المؤن والأدوية !!

وقبل استشهاد البطل أحمد عبدالعزيز أضاءت بصيرته ومضة مستقبلية وقال لزميله الرائد كمال الدين حسين عبارته التاريخية: «معركتنا الحقيقية فى القاهرة!!».. وكتب جمال عبدالناصر فى مذكراته عن حرب فلسطين يقول: «لم يكن معقولاً أن تكون هذه حرباً.. فلا قوات تحشد ولا إستعدادات فى الأسلحة والذخائر.. لا خطط ولا معلومات ومع ذلك فهم فى ميدان قتال إذن فهى حرب سياسية، هى حرب بلا حرب، تقدم بلا نصر وعودة بلا هزيمة!!» وهى كلمات تجسد الموقف وتجسمه بصورة بالغة لا تحتاج إضافة!!! فقد كانت حرب فلسطين مأساة داخل مأساة أكبر وأفدح.. وبعد استيعاب هذه الكارثة كان طبيعياً أن تؤدى نتائجها لحدوث صحوة قومية وصدمة عربية إزاء هذه الدولة الصهيونية التى زرعت شيطانياً فى قلب الأمة العربية ولا تزال!!!

اتفاقية سلام فى عهد فاروق

أثناء سفر د. محمد حسين هيكل إلى باريس فى نهاية عام[80] ١٩٤٨ لحضور مؤتمر الاتحاد البرلمانى الدولى، تحدث معه شخصان إسرائيليان وأخبراه أن إسرائيل اقترحت مشروعاً لمعاهدة مودة وصداقة ثنائية تعقدها مع مصر وتم إرسال المشروع إلى إبراهيم عبدالهادى رئيس الديوان .. ولكنهم لم يتلقوا منه أى رد!!! وأرسلا صورة المشروع إلى الدكتور هيكل فقرأه ووجده أنه صنع على غرار معاهدة ١٩٣٦ وبشروط أقسى يقوم على إلتزام الدولتان بعدم اتخاذهما سياسة فى البلاد الأخرى تتناقض مع سياسة الدولة الحليفة.. بل يجب مساندة الحليفة إذا تعرضت للاعتداء وأضافا أن مشروعهما سيكون مقدمة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا خاصة حين تستعمل إسرائيل كافة وسائلها المتاحة لمعاونة مصر فى إلغاء هذه المعاهدة.

يقول د. هيكل: واستفزنى الكلام فقلت لهم: إن مصر قادرة بمفردها على تحقيق أهدافها. فقالوا: ماذا نفعل لكى نوطد العلاقات بيننا وبين مصر قلت: لاتزال الخصومة بين مصر وإسرائيل على أشدها ومصر إلى اليوم لم تعترف بإسرائيل ولن تعترف والرأى عندى أن تتركا الأمور عاماً أو عامين وألا تثيروا إية ثائرة من جانبكم وكثيراً ما حل الزمن مشكلات عجز أقدر الساسة وأمهرهم عن حلها !! وعدت إلى مصر وأفضيت إلى جلالة الملك بما دار فى هذه المقابلة فأبتسم جلالته وقال : «لقد بلغ من أمر هؤلاء القوم ، أن خاطبونى مباشرة بخطاب بعثوا به وكان أمامهم طريق الحكومة أو الديوان !!!».

الخلاف بين الملك فاروق والملك عبد الله

تكرر فى معظم الكتابات التاريخية التى تناولت عهد فاروق مقولة ثابته توضح العلاقة التنافسية بين فاروق وعبد الله ملك الأردن وأيهما يصلى فى المسجد الأقصى أولاً؟ وأكد البعض أن فاروق قرر دخول الحرب إعلاء لنزعة حب الظهور وحلم الزعامة العربية اللذين طغيا على

شخصيته.. فإذا كان التنافس والغيرة هما السبب الرئيسى فلماذا يغار من الملك عبدالله فقط ملك شرق الأردن؟ هل توجد أسباب كامنة وراء شيوع هذه المقولة والاستشهاد بها حينما يتطرق الحديث عن حرب ١٩٤٨؟ هل كان بسبب مشروع عبدالله الطموح «سوريا الكبرى».. فقد تم اختيار الملك عبد الله قائداً للجيوش العربية أثناء الحرب فكان يردد «إنه عين فى منصب لا يعلم عنه شيئاً» جاء فى أقوال عبدالله التل المتهم بقتل الملك عبد الله وأحد ضباط جلوب باشا فى الجيش الأردنى أنه عين حاكماً لمنطقة القدس ثم اختلف مع الملك عبد الله ولجأ إلى مصر فى نهاية عام ١٩٤٩ ولم يكن هو قاتل الملك عبد الله وإنما قتله مصطفى عشو وكان عضواً فى قوات الجهاد المقدس الفلسطينية التى تشكلت قبل إعلان الحرب العربية لتحرير فلسطين، ووجدت الجماعة مقاومة شديدة من الملك عبدالله فأمر جنوده بإحتلال مراكزها واعتقال ضباطها والاستيلاء على أسلحتها بحجة تعاونها مع مصر ومفتى فلسطين أمين الحسينى الذى قدم إلى مصر فأحتضنته قلب العروبة، وشاءت الظروف أن يقتل شقيق مصطفى عشو على أيدى القوات الأردنية فعقد العزم والنية على الأخذ بثأره فقام باغتيال الملك عبدالله الذى كان لا يخفى سروره بانسحاب القوات المصرية من بعض المواقع أثناء حرب فلسطين.. وكان يصرح علانية أنه يفضل انتقال جنوب فلسطين إلى اليهود على بقائه فى يد المصريين!! ويضيف إنى أخاف على فلسطين من قريب حاسد أكثر من عدو حاقد!!! إن[٨١] استرداد النقب من اليهود أهون كثيراً من استرداده من المصريين !!!

فلم يكن غريباً أن يشن حملة قوية لتحطيم سمعة الجيش المصرى فى فلسطين وفى حديث له مع الصحفية الأمريكية وورثى[٨٢] طومسون «يوضح لها كيف غرر الإنجليز بوالده الشريف حسين قائد الثورة العربية ضد العثمانيين وتنصلهم من وعودهم بمنحه مملكة عربية فانتهى به المطاف فى منفاه فى قبرص ونصبوا شقيقه فيصل أميراً على العراق وخلفه ابنه الطفل الصغير فيصل الثانى والأمير عبد الاله وصيا ونصبوه هو على إمارة شرق الأردن عام ١٩٤٦ .. ثم طلب الإنجليز منه الاعتراف بالانتداب البريطانى على فلسطين أو الخروج من شرق الأردن إلى الأبد.. فلم يكن أمامه أى خيار آخر فرضى بشروطهم» .

وفى حديث له مع الكاتب الصحفى زكريا لطفى جمعة قال جلالته: «أين حارب جيشكم؟ عفواً بل جيش فاروق فى ١٩٤٨ لقد دخلتم غزة وهى مدينة ليس بها[٨٣] يهودى واحد ثم وقفتم عند مجدل وعسقلان فاستردها اليهود منكم.. وجعلتم من قائد جيشكم الضبع الأسود - السيد طه - أسطورة عسكرية وهو لم يدخل معركة واحدة ولم ينتصر على اليهود فى اشتباك واحد ولولا الأعمال الفدائية للإخوان المسلمين بجوار بيت لحم والخليل لكان سجل فاروق فى حرب فلسطين لا يشرفه كثيرا !!

وفى مجلة آخر ساعة نشر التابعى مقالاً رداً على مقالة الملك عبدالله التى كتبها فى جريدة النهضة الأردنية والعنوان : «من يكون التابعى[٨٤] هذا !!!» فكتب التابعى : أطلع القراء فى العالم العربى على عدد أخبار اليوم وعلى وثائق بخط يد الملك العربى الهاشمى.. وثائق دامغة تثبت أنه بوصفه القائد الأعلى للجيوش العربية فى فلسطين كان يفاوض العدو سراً ومن وراء الظهور وتثبت الوثائق أن الملك أعترف بحكومة إسرائيل وتبادل الخطابات مع رجالها بوصفهم وزراء فى دولة مستقلة ذات سيادة وأنه أشترك فى حرب فلسطين وليس فى نيته ولا نية الجيش الهاشمى الآخر (العراق) أن يزحف على تل أبيب.. لأن جلالته كان قد أتفق مع مندوبى إسرائيل على أن يقف جيش الأردن وجيش العراق عند حدود القسم الذى أعطاه قرار التقسيم لإسرائيل فلا يتعداه الجيشان ومعنى هذا أن الهاشميين دخلوا حرب فلسطين لا لينقذوا فلسطين وإنما لينفذوا عملياً قرار التقسيم»!!

وفى سبتمبر ١٩٤٨ قرر أمين الحسينى مفتى فلسطين إعلان حكومة فلسطين لكى يبسط يده على كل أرضها ولكى يفسد مشاريع الملك عبد الله الذى بدأ ينفذ حلمه فى سوريا الكبرى فثار الملك وتوقف عن الحرب وبدأ يشق صفوف الفلسطينيين تمهيداً لإعلان ضم ما بقى من فلسطين لدولته ولم يخالجه أى شك أن قرار أمين الحسينى تم بإيحاء من الملك فاروق فقرر أن يقطع علاقاته بمصر وبملكها وجيشها !!

وحين تم إغتياله أتهم ناصر الدين النشاشيبى (أمين الملك عبد الله ورئيس التشريفات الملكية) فى مذكراته الملك فاروق بأنه دبر مؤامرة اغتياله.. وذكر أن أحد المتهمين وهو من عائلة الحسينى الفلسطينية علم من عبدالله التل وهو أحد المتهمين أيضاً.. أن المؤامرة وراءها مقام عالٍ فى مصر أتصل بهم ووعد بدفع مبلغ محترم إذا تم الاغتيال!!!

فسأله النائب العام عن السبب فأجاب: «إن مصر كانت تريد القضاء على سياسة عقد صلح منفرد مع إسرائيل»!! وأنتهت هذه الشكوك بإلقاء القبض على القاتل مصطفى عشو .. أما الملك فاروق فمن الممكن أن تكون لديه دوافع عدائية متبادلة بينه وبين الملك عبدالله ولكن من الصعب أن تتطور إلى القتل فهما لا يتنافسان على ملك واحد !!!

ومن مأساة حرب ١٩٤٨ تكاثرت مآسى مزمنة عديدة فى أنحاء الوطن العربى.. ففى مصر فتح ملف قضية الأسلحة الفاسدة فأقام الدنيا ولم يقعدها حتى يومنا هذا!!! فهل انهزمت مصر حقاً بسبب الأسلحة الفاسدة!!!

أسلحة فاسدة وتدريب أكثر فسادا

«إن جميع[٨٥] القوى العسكرية مزودة بعتاد يكفيها فى الجولة الأولى فقط من عملياتها فإذا أمتدت الحرب إلى جولات تتطلب وقتاً أطول استهلكت هذه القوات سلاحها وعتادها ووقعت تحت وطأة الحاجة إلى السلاح والعتاد، فكل البلاد العربية تستورد السلاح ولا تصنعه ومعنى ذلك أن أية دولة عربية لا تملك إمكانات شن الحرب إلا إذا ضمنت تأييد دولة عظمى لها. وإذا كان هناك مجال للحديث عن العتاد المادى المتوفر للدول العربية فمن المشكوك فيه وجود مجال للحديث عن الحالة المعنوية فيها وهى الفاصلة فى نيل الأغراض العسكرية.. فمن الصعب تجنيد الشعب لعمل حربى لا يقوم على أساس مصالح هذا الشعب ومن المشكوك فيه إمكان إقناع البدو والفلاحين بأن الدولة اليهودية تشكل خطراً عليهم أو إغرائهم ببذل أرواحهم فى الحرب ضد هذه الدولة .. هنا ستشعر القوات أنها مسخرة فلا تخلص فى حربها الإخلاص الكفيل بالنصر .. إن الدراسة العسكرية لحالة خصومنا تدل على أنه فى أخطر الحالات ليس لنا أن نتوقع منهم أكثر من قذفنا بأربع فرق عسكرية يعززها بضعة آلاف من رجال العصابات لا تستطيع شن حرب طويلة الأمد بدون مساعدة من أحدى الدول العظمى» .



كان هذا جزءا من المقال الطويل العميق الذى كتبه محلل عسكرى يهودى فى شهر ديسمبر ١٩٤٧ فى جريدة هابوكر استعرض فيه كافة الإمكانات العسكرية وقوات الجيش النظامية والإحتياطية فى البلاد العربية .. ولم يترك المقال كبيرة أو صغيرة تتعلق بالدفاع الاستراتيجى فى فلسطين دون أن يتناولها وعلى الفور أرسل أحمد فرج طايع قنصل مصر فى القدس ترجمة المقال إلى الخارجية المصرية والمسئولين المختصين ويبدو أن المقال لم يقرأه أحد ولم يعره أى أهتمام كما توقع القنصل وتسلسل الأحداث يؤكد ذلك !!!

فقد عرضنا قرار دخول مصر وكافة الدول العربية الحرب فى ظروف عربية بالغة القسوة .. فمعظم الدول العربية يسيطر عليها الصلف البريطانى أو الإستبداد الفرنسى والعقل والمنطق كانا يحتمان الإمتناع عن دخول هذه الحرب .. نظراً لعدم كفاية الإستعدادات العسكرية والبشرية والإقتصادية !! ولكن للأخوة العربية والعاطفة الإسلامية والمشاعر الإنسانية والإتهام بالخيانة متطلبات أخرى لا تخضع للتحديات الدولية .. وقرار الأمم المتحدة بحظر توريد السلاح إلى الأطراف المشتركة فى القتال بمجرد نشوب الحرب وعلى الفور نقضت بريطانيا عهودها بتزويد مصر بكافة المؤن والذخائر التى وعدتها بها وتذرعت بإتباع قرارات الأمم المتحدة الصادرة فى هذا الشأن .. فكيف تدبر مصر احتياجاتها العسكرية التى تمكنها من إجتياح القسم اليهودى فى فلسطين وإحتلال بعض مواقعه وإحراز النصر والدفاع عن عرب فلسطين ضد هجمات الإسرائيليين !!! خاصة إذا علمنا أن القوات التى أرسلت - فى البداية - ٨٨٥ فرداً كانوا مسلحين[٨٦] بمائتى بندقية فقط!!!

وبنفس السرعة والعشوائية التى أعلن بها قرار الحرب تشكلت لجنة احتياجات الجيش من السلاح بقرار من مجلس الوزراء منحها صلاحيات عديدة فأعفيت من كل القيود والإجراءات المالية ومنحها القرار أيضاً سلطات مطلقة لمواجهة الظروف الاستثنائية لكى تسرع فى الحصول على الأسلحة والذخائر لسد احتياجات

الجيش أثناء المعركة التى اشتعلت فعليا.. وكما أوضحنا كان هناك حظر على التعاقد باسم اللجنة لأنها حكومية .. لذلك تعاقدت اللجنة مع بعض الأفراد – بعضهم من رجال الحاشية – لشراء السلاح وعهد إلى الأميرالاى حسين سرى عامر رئيس حرس الحدود بتدبير بعض الأسلحة والذخائر من الصحراء الغربية من مخلفات الحرب العالمية الثانية وعهدت إليه لجنة الإحتياجات بالمهمة وسلمته ٢٦ ألف جنيه لتحقيق هذا الغرض على وجه السرعة .

وتكاد تكون الحملة التى قادها الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس فى مجلة روزاليوسف والتى وجه فيها إتهامات صريحة للمسئولين بالهزيمة فى حرب فلسطين بسبب الأسلحة الفاسدة هى أشهر حملة صحفية عرفتها الصحافة المصرية .. حيث تعهد الضابطان مصطفى صدقى و حسن فهمى بإمداده بكافة المعلومات والوثائق والمستندات .

يقول إحسان عبدالقدوس : «إن القنابل التى استخدمها المصريون كانت ترتد إلى الوراء فتصيب من يطلقها وأتهم صراحة بعض ضباط الجيش بالثراء المفاجئ وطالب الحكومة إعلان الحقائق وتحديد المسئولية فى هذه النكبة العسكرية ومحاكمة المتهمين .. ونجحت الحملة التى استندت على أدلة دامغة لا تحتمل التأويل والتهويل فى تعبئة الرأى العام الذى تبنى القضية وضمها لنقائص العهد ومساوئ الحكم .. وعلى الفور انتدب وكيل النائب العام للتحقيق ووجه تهمة الكسب غير المشروع لحسين سرى عامر وسلاح الحدود وتورطهما فى الكسب غير المشروع والثراء المفاجئ وتدوين الأسلحة بأسعار مغايرة لأثمانها الحقيقية وتوريد أسلحة غير صالحة للجيش المصرى !! وأخيراً طلب النائب العام من وزارة الحربية محاكمة حسين سرى عامر أمام مجلس عسكرى أو إخراجه من الجيش .. وبالفعل قامت النيابة بالتحفظ عليه لمدة ثلاثة شهور ووجهت إليه تهمه اساءة التصرف فى العهدة المالية ووجود عجز يقدر بتسعة آلاف قنبلة من القنابل التى تم شراؤها لحساب الجيش ..



وفى ٧ نوفمبر ١٩٥١ نشرت جريدة الأهرام تقول : أن وكيل النائب العام الذى نظر القضية تحامل فى اتهامه ضد حسين سرى عامر لوجود ضغائن بينهما تعود إلى سنوات سابقة حين كان يعمل وكيل النائب متعهداً لتموين الجيش البريطانى بمنطقة عتاقة وكانت له إحتكاكات مع مصلحة الحدود ورئيسها حسين سرى عامر .. حيث حررت مخالفات ضده فأضمر الضغينة ضد رجال الحدود.. ولكن كيف ومن أين دبر حسين سرى عامر الذخائر رغم الحظر المفروض دولياً؟ لم يكن أمام حرس الحدود واللجنة إلا الحصول على الأسلحة من العرب والبدو فى الصحراء الغربية ومن «جغبوب» بصفة خاصة وكلها من مخلفات الحرب العالمية الثانية بالإضافة لفتح بعض مخازن الأسلحة فى السلوم وسيدى البرانى والحمام وهى مخازن تحتوى على الأسلحة التى يتم ضبطها مع المهربين ويتم التحفظ عليها وكان البدو يضعون أيديهم على بعض هذه المخازن.. والتى تحتوى أحيانا على أسلحة جديدة لم تستخدم بعد.. فوجدت فى بعض المخازن قنابل مضادة للطائرات ومدافع جوفرز!! وأثناء التحقيق أثبت السيد فرج وكيل محافظة الصحراء الغربية أنه كان مكلفاً بالاتصال[٨٧] بعرب الصحراء وشراء الذخائر والأسلحة وتسديد ثمنها وفحصها مبدئياً .. لكنه لم يرسل إلى الجيش إلا الصالح منها فقط !! وتبنت الحكومة الدفاع عن اللجنة ولكن قانون الذخيرة أغلق ملف القضية نتيجة لإحدى ثغراته التى تنص على أن «القنابل التى تترك فى العراء أو يتركها الأعداء يجب إعدامها فوراً نظراً لعدم صلاحيتها بفعل التأثيرات الجوية».. مما يترتب عليه .. براءة اللجنة التى جمعت الذخائر من البدو نظراً للحاجة الماسة والملحة وفى نوفمبر ١٩٥١ صدر الحكم ببراءة حسين سرى عامر ووكيل محافظة الصحراء الغربية وأشادت المحكمة بجهودهما وتعرضهما للخطر أثناء البحث عن مصادر للسلاح .. ومن العجيب أن ثورة يوليو برأت المتهمين ولم توجه إليهم تهمة توريد أسلحة فاسدة للجيش ولكنها حاكمت اللواء حسين سرى عامر الذى أقترحه فاروق – رئيساً لمجلس إدارة نادى الضباط بدلا من محمد نجيب – بتهمة الهروب من الخدمة وعقوبتها السجن ستة أشهر وفصله من الخدمة.. فأتفق مجلس قيادة الثورة على أن الحكم ليس شافياً.. خاصة أن القضية أصبحت قضية رأى عام كبرى هيأت الناس لسماع أحكام رادعة تتناسب مع تهمة الخيانة التى وصم بهما جميع المتهمين!!!

فاتصل اللواء محمد نجيب بالدكتور عبدالرازق[٨٨] السنهورى -رئيس مجلس الدولة – وتم الإتفاق على تغليظ العقوبة لتصبح الهروب من خدمة الميدان بدلاً من الهروب من الخدمة وعقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة!!!

وهذا هو الشق الأول من القضية (توريد أسلحة من الصحراء الغربية) .. أما الشق الثانى والأكثر فساداً وأهمية فهو يتعلق باستيراد الأسلحة والذخائر من الخارج حيث عقدت وزارة الحربية عقداً مع شركة أورليكان التى يمثلها النبيل عباس حليم ونشر إحسان عبدالقدوس أيضاً صورة عقد بين زوجة أحد الضباط وتاجر أسلحة ووجهت النيابة أيضا لعباس حليم تهمة الإنتفاع المالى مقابل شراء ستة عشر مدفعاً عيار ١٠٥ مليمتر ميدان وذخيرتها وعدم التدقيق فى قدرتها وكفاءتها.. تبلغ قيمتها أكثر من أربعة ملايين دولار أمريكى وتبديد أكثر من ٦٠٠ ألف دولار أمريكى ثمن شراء بنادق «لى انفيلد عيار ٣٠٣ بوصة» ووجهت للنبيل تهمة الحصول على عمولات مقابل إتمام هذه الصفقة واتهام عبد الغفار عثمان كبير مفتشى المفرقعات بالجيش بتوريد ٢٥٠ ألف قنبلة يدوية مخالفة للشروط الواردة بالعقد المبرم بين إدارة الاحتياجات والشركة الإيطالية الموردة ومخالفة خمسة آلاف طلقة من الذخيرة للمواصفات الفنية.

فكتب النائب العام تقريره ورفعه لوزير العدل وطالب باستبعاد حيدر باشا وزير الحربية والفريق عثمان المهدى.. وفجأة استقال وزير العدل عبدالفتاح الطويل حين شعر أن التوجيهات الملكية تسير فى اتجاه حفظ التحقيق خاصة تجاه الحاشية الملكية وعلى رأسها آدمون جهلان الذى تستر عليه الملك فهو مورد القصر وكانت تربطه به صلات منفعة تبادلية بالإضافة لانطونيو بوللى وحسن عاكف «طياره الخاص» بل إن وزارة النحاس أصدرت بيانا بناء على التوجهات السامية تعتذر فيه لحاشية جلالته عما أصابها من أضرار أدبية ومعنوية أثناء التحقيقات وأوصى جلالته بمنحهم النياشين كما عاد حيدر باشا وعثمان المهدى إلى منصبيهما.. وتحت ضغط الإلحاح الشعبى ورغبة النحاس فى كشف الحقائق أمام الشعب.. تم فتح التحقيق مرة ثانية واستبعدت الحاشية واحيل جميع المتهمين إلى محكمة الجنايات جلسة أبريل ١٩٥٢ وأثناء نظر القضية نشبت ثورة يوليو وتم تأجيلها حتى ديسمبر ١٩٥٢ وظهرت المفاجأة الكبرى التى لم يتوقعها أحد حيث صدر الحكم[٨٩] فى يوليو ١٩٥٣ برئاسة المستشار أحمد كامل ثابت ببراءة جميع المتهمين فى القضية من جميع التهم الموجه إليهم وتغريم المتهمين مبلغ مائة جنيه لكل منهم وتوجيه تهمة الإهمال الذى لا يصل إلى حد سوء النية.. إذن كيف أثيرت هذه الزوبعة وأين هى المدافع التى ارتدت لصدور ضباطنا تلك العبارة التى رددناها طويلا؟ وهل يعنى هذا ان الأسلحة لم تكن فاسدة؟ هذا ما دفع الباحث الأكاديمى عبدالوهاب بكر لدراسة هذه القضية علميا من خلال رسالة الدكتوراة التى تقدم بها لجامعة عين شمس وتناول فيها موضوع الأسلحة الفاسدة فعليا من واقع استخدامها فى ميدان المعركة وفى النهاية خلص إلى النتائج الآتية: انفجرت أربعة مدافع فى مواسيرها أثناء القتال وأسفر ذلك عن مقتل اثنين وإصابة ثمانية آخرين أما سبب الانفجار فيعود لعدم تقدير الخبراء لعمر الماسورة الافتراضى ولم يكن بسبب عيب فى التصنيع أو التصميم.. فيما يتعلق بالدبابات «لوكاست» التى تسببت فى حرق وموت عدد كبير من الضباط.. فلم تكن ضمن صفقة الأسلحة الفاسدة.. وعن الألغام الأرضية التى استخدمت فى الحرب فكانت تصنع محليا وجرى العرف على إرسالها بدون المفجر خوفا من شحن المفجر معها تحسباً لأى ظروف طارئة أثناء عمليات النقل ولكن نظراً لعدم التنسيق والتصاق تهمة الإهمال والاستهتار بالحرب فقد تم شحن الإلغام وإستعمالها قبل وصول المفجر !!

ويمكننا حصر الأسلحة الفاسدة التى استعملت فى حرب فلسطين فى «القنابل اليدوية الإيطالية» ولم تحدث أى شكوى منها إلا فى الثلاث أيام الأخيرة من إنتهاء القتال فى فلسطين أى أن أثرها لم يكن حاسماً فى سير القتال ولم تتسبب إلا فى إصابة واحدة ولكن د. حسن رجب يقول: إن الملحق[٩٠] العسكرى البريطانى حذر إدارة الجيش الفنية من خطورة انفجار القنابل اليدوية أحيانا بمجرد اللمس.. وهى القنابل التى تعاقد عليها عبدالغفار عثمان كبير مفتشى الذخيرة والمفرقعات فى الجيش المصرى ومدير المتحف الحربى للملك!! بالإضافة لما تقدم فلم يكن الوقت كافيا لتدريب الجنود المصريين على استخدامها لأنها لم تكن مستخدمة من قبل ولكن ظروف إقحام قوات الجيش بصورة مفاجئة أدى إلى حدوث هذا الخلل ولكن ماذا قال شهود العيان بعد أن تبدد شبح الهزيمة وهدأت

الزوبعة وبزغت الحقيقة بعد مرور السنين!!.

يقول حسن فهمى من الضباط الأحرار وأحد اثنين كانا يزودان إحسان عبدالقدوس بالأخبار: «أعتقد[٩١] أن سوء تدريب الجنود والعساكر كان سبباً لا يمكن إغفاله لم تكن أسلحة فاسدة.. الصور التى شاهدتها لمدافع الهاون تؤكد أنه سوء تدريب.. فالضباط كانوا يضعون القنبلة معكوسة فينفجر المدفع على الفور فالمدفع الـ ٢٥ رطلاً كان من أفضل المدافع فى العالم وعلى الرغم من ذلك كان ينفجر بعد الماسورة لأنه كان يستخدم فى ضرب طلقات عديدة الأمر الذى أدى إلى سخونته بشدة وكان ينتج عن ذلك انفجاره بعد وضع القنبلة بداخله مباشرة».

ويدلى رشاد مهنا بشهادته فيقول: «الأسلحة[٩٢] الفاسدة اسم على غير مسمى.. لقد انفجر مدفع بالفعل لأن الأسلحة من مخلفات الجيوش فى الحرب العالمية الثانية.. وقد انفجر أحد المدافع أثناء تجربته ومات الضابط.. وأنا أعتقد أن الأسلحة الفاسدة قضية تم تهويلها بصورة كبيرة جداً ضد القصر وأنا أشهد أمام الله أننى حصلت على أسلحة جديدة بالشحم من مخازن القلعة وقمت بتسليمها للضباط» !!!..

أما د. محمود الجوهرى فيؤكد أنه لم تكن هناك[٩٣] أسلحة فاسدة تماماً كان يوجد بعض الأسلحة الفاسدة .. وهناك أشياء سليمة مائة بالمائة ويقول حين ذكرت ذلك غضب جمال عبدالناصر وقال لى: «إذا لم تكن كل الأسلحة فاسدة .. فلماذا قامت الثورة إذن» ؟

أما فتحى رضوان رئيس الحزب الوطنى[٩٤] الجديد والسياسى الشهير ينظر للموضوع من وجهة نظر مختلفة ويعتقد أن أمريكا كانت تقف وراء الدعاية المبالغ فيها لهذه القضية فيما عرف بالأسلحة الفاسدة!!!

وأخيراً يقول د. عبدالمنعم الدسوقى الذى قام بدراسة هذه القضية دراسة تاريخية، اطلع خلالها على الوثائق والمستندات التى أمدته بها أبنة اللواء حسين سرى عامر: «إن جميع المتهمين فى هذه القضية برئوا بعد انتهاء النظام الملكى وقيام الثورة أى أن براءاتهم تمت فى ظل حكم الضباط الذين ذاقوا مرارة ما حدث فى فلسطين ١٩٤٨ واكتووا بنيرانها وهم أول من يحق لهم الانتقام ممن اتهموا بأنهم ضربوا الجيش من الخلف مما يؤكد أن الزوبعة التى أثيرت حول هذا الموضوع لم يكن الهدف منها سوى التشهير بالنظام وأعوانه ومحاولة تبرير ما حدث فى ١٩٤٨ .. فالمتهمون كانوا كبش فداء لآخرين قام القصر بحمايتهم وتكفل بإبعادهم عن يد العدالة والقانون».. وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ كتب الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس مقالاً فى بابه الشهير فى مجلة أكتوبر «على مقهى[٩٥] فى الشارع السياسى» مستعيداً ذكريات هذه القضية واستهل حديثه قائلاً : «الحرب ليست مجرد اندفاع وطنى ولكنها مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالسياسة التى يتبعها البلد وأى انتصار عسكرى هو نتيجة انتصار سياسى وعندما هزمنا فى حرب ١٩٤٨ كنت أقول إن المعوقات التى واجهت القضية أفسدت وأضاعت كثيراً من أدلة الإتهام فى حينها.. فهى قضية سياسية المتهم فيها عهد من عهود التاريخ المصرى.. وعندما هزمنا أيضاً كنت أقول إن سبب الهزيمة هو وضع أسلحة فاسدة فى يد القوات التى تحارب بها ولكننى لم أكن أقصد مجموعة الأفراد الذين يستوردون هذه الأسلحة الفاسدة!! ولكننى كنت أقصد النظام السياسى الداخلى الذى اتاح لهؤلاء الأفراد استيراد هذه الأسلحة» والحقيقة أنها حرب عشوائية.. لم تستعد لها كل الدول العربية وليس مصر وحدها فقد اعتمدت الجيوش العربية على قدرات بعضها البعض وكلها للأسف كانت تخضع لسلطات استعمارية فقد تحالف انعدام التخطيط والتدريب وعدم التنسيق مع افتقاد القيادة المشتركة وغياب الأهداف وانعدام المتابعة ونفاذ المخزون الاستراتيجي وخلو الأيدى من الأسلحة نتيجة لقرار مجلس الأمن الذى يحظر توريد الأسلحة إلى البلاد العربية بصفة خاصة ويذكر أن اللواء محمد نجيب اعترض «على دخولنا حربا يرى أننا لن نكسب منها شيئا بإظهار ضعفنا الحربى وكان أفضل لنا أن نحصر جهودنا فى[٩٦] حرب العصابات وبذلك نقلل الهجرة اليهودية نظراً لحظر بيع الأسلحة للدول العربية ربما لو فعلنا لم نكن لنخسر الحرب بالصورة الحاسمة كما حدث فكل ما استفدناه فى حرب فلسطين هو أننا ساعدنا الصهيونيين من أن يمثلوا دور الأقلية المظلومة التى تدافع عن حياتها.. لقد انسقنا وراءهم حين اطلقوا على السيد طه «الضبع الأسود» والضبع حيوان جبان فنحن نقول بالحس الشعبى سبع ولا ضبع واستمرت المبالغة فى دور السيد طه حتى أن فاروق استقبله عند عودته من الفالوجا ولم يستقبل فؤاد صادق قائده.. لقد كانت الحرب سلسلة من الهدنات تتخللها معارك صغيرة بين الهدنة والهدنة كنا نحارب جيدا بالأسلحة والمعدات الرديئة التى تحت تصرفنا ولم يمكننا استعمال مدافع الميدان والهاون البريطانية لعدم وجود القنابل وكثير من دباباتنا الأمريكية صارت عاجزة لعدم وجود قطع الغيار والقنابل الإيطالية رديئة الصنع جدا حتى أن الكثير تفجر فى وجوه جنودنا.. وفى عام ١٩٤٩[٩٧] وقعت عدة انفجارات مريبة أبادت مستودعاتنا للذخيرة فى جبل المقطم فتأكدنا مما كنا نشك فيه من أن الملك وصنائعه خزنوا أنواعا فاسدة من الذخائر وادخلوا فى جيوبهم الفرق بين الأثمان التى طالبوا بها الحكومة والاثمان التى دفعوها بالفعل لقد كانت هزيمتنا فى فلسطين ناتجة عن عوامل سياسية دولية لا نملك حيالها شيئا وعن أداة فاسدة طال احتمالنا لها!! ولم يكن تقصيرا أو فقدان شجاعة من الجانب العسكرى المصرى!!» انتهت شهادة نجيب التاريخية..

أما إسرائيل فقد استفادت من الهدنتين سلاحاً وعتاداً.. بل إن جواسيسها انتشروا فى معظم عواصم الدول الغربية ونجحوا فى اختراق معظم صفقات الأسلحة التى كانت تتعاقد عليها البلدان العربية وأولها مصر وبذلوا اقصى طاقتهم لعرقلتها أو إفساد بعضها كما حدث.. ومن المعروف أن عمولة صفقات السلاح تدفع عند عقد أى صفقة فى ظل الظروف العادية والتى يكون فيها السلاح سليما.. فلماذا يتعمد وسطاء السلاح التعاقد على شراء أسلحة فاسدة وهم يعلمون أن الحرب دائرة رحاها وأن هذه الأسلحة لن يكون مصيرها المخازن العسكرية وأن أى غش أو تدليس متعمد لابد وأن يفضحهم فى الحال ويرتد إلى صدورهم بأبشع تهمة يمكن أن يوصف بها إنسان وهى «الخيانة الوطنية» !!! المنطق يؤكد أن بعض الأسلحة كانت فاسدة وان الموضوع لم يكن كله باطلا ولكنها لم تكن السبب الوحيد فى هذه النكبة التى أعتقد ان المتهم الأول فيها هو الإهمال والتراخى وعدم الاستعداد للمعركة قبل جلاء القوات البريطانيةوالاستعاضة عنها بالشعارات العربية التى تحدث عنها نزار قبانى : «إذا خسرنا الحرب لا غرابة !! لأننا ندخلها بما يملكه الشرقى من مواهب الخطابة بالعنتريات التى ما قتلت ذبابة».



وفيما يتعلق برد فعل الملك وتورطه وتورط حاشيته «ادمون جهلان وبوللى وكريم ثابت» فنشير إلى واقعة طلب ديوان المحاسبة من وزارة الحربية عام ١٩٤٩ تقديم بعض المستندات الخاصة بحرب فلسطين ونظراً لاشتعال الحرب توخت وزارة الحربية الحذر فى البيانات والأرقام .. وأشار التقرير إلى أن أكثر من ٧٥٪ من نفقات تسليح حرب فلسطين تم تبديده فى الرشاوى والعمولات .. ووجه التقرير الذى أعده – محمود محمد محمود – نجل رئيس الوزراء السابق اتهاماً صريحاً لرجال الملك وعلى رأسهم كريم ثابت حيث تقاضى أموالاً بصورة غير قانونية من مستشفى المواساة وعرض الأمر على مجلس الشيوخ فقال د. هيكل رئيس المجلس إنى هنا حفيظ على الدستور فاستشاط الملك واعتبر هذه العبارة من د. هيكل تحمل تقليلا لسلطته .. وتقدم أحد الأعضاء باستجواب (مصطفى مرعى) ثم تغيب عن حضور الجلسة بإيعاز من القصر فتبنى استجوابه د. إبراهيم مدكور وتفجرت قضية الأسلحة الفاسدة وميزانية القصر الملكى فى أرجاء المجلس.. وبانفعالية تركية قام فاروق بحل مجلس الشيوخ واستبعاد رئيسه محمد حسين هيكل وتسعة عشر عضواً أسقطت عضويتهم .

وكان هذا بالإضافة لتحفظه على رجال حاشيته وحفظ التحقيق بالنسبة لهم سبباً كافياً.. لكى تناله الاتهامات بالشئ الكثير الذى يضاف إلى ملفات عهده فاضيف ملف بارز ارتبط باسمه وكان أكثرها شيوعاً «عهد فاسد وأسلحة فاسدة» وكان سبباً من أسباب قيام ثورة يوليو والحقيقة أنه لا يمكن أن تهزم أمة من الخارج ما لم يكن الفساد قد حطمها من الداخل!!!■



اندلعت حرب فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ودخلتها مصر إرضاء للسياسيين ضد رغبة العسكريين فكانت حرباً بلا تخطيط ولا خرائط ولا أسلحة

أعلن اللواء المواوى قائد القوات المصرية فى فلسطين أن الجيش لم يقم بأية مناورة عسكرية بين عامى ١٩٣١ حتى عام ١٩٤٧ واقتصرت مهامهم على الاشتراك فى كسوة المحمل والمولد النبوى ومكافحة الجراد والكوليرا وحراسة الوزراء وقمع المظاهرات

فاروق مع أعضاء الصليب الأحمر الأمريكى

الملك فـــاروق والملك عبدالله أمير شرق الأردن وقد أشيع آنذاك أنهما يتنافسان أيهما يصلي أولاً فى المسجد الأقصى



في عام ١٩٤٨ شهدت مصر أسوأ موجة من الاضطرابات والتفجيرات فتم اغتيال حكمدار العاصمة ورئيس القلم السياسى واغتيال النقراشى وتفجير حارة اليهود الموضحة بالصورة



اليوزباشي حرم ابراهيم بك زكى . .

لأول مرة فى تاريخ مصر

٧٥ مجندة مصرية في ميدان القتال!



القوات المصرية التطوعية وكانت تضم عددا كبيرا من الإخوان المسلمين وقد حاربوا فى النقب حتى بيت لحم تحت قيادة البكباشى أحمد عبدالعزيز الذى كان يقول: مصر شجرة جف عودها ولن يعود إلي هذا العود اخضرارا إلا إذا ارتوى بدماء الشهداء



السيد طه
الملقب
بالضبع
الأسود قائد
قوات
الفالوجا



فى ١١ مايو ١٩٤٨ طلب النقراشى من د. حسين هيكل «رئيس مجلس الشيوخ» عقد جلسة سرية ليعرض قرار الحكومة بدخول القوات المصرية فلسطين وتحريرها بناء علي توجيهات الملك بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة



بريطانيا كانت تفرض على شرق الأردن
سياستها الاحتلالية وتشجع تقسيم
فلسطين إلى قسم عربي وآخر يهودي
وقسم ثالث ينضم لشرق الأردن





الملك عبدالله «ملك شرق الأردن» كان يمتلك مشروعا سياسيا طموحاً «سوريا الكبرى» وهو أديب ومن رواة الشعر وأمهر لاعبى الشطرنج فى العالم.. منحته بريطانيا رتبة مارشال فى سلاح الجو البريطانى عُين قائدا للجيوش العربية فى فلسطين

عبدالرحمن عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية كان صديقا لكل الرؤساء والملوك العرب



فى ٦ يوليو ١٩٤٨ قبل انتهاء الهدنة الأولى قام الملك فاروق بزيارة الجبهة وصحبه حيدر باشا «وزير الحربية» لرفع الروح المعنوية للجنود

الملك فاروق والفريق فوزية واللواء فائزة فى زيارة لجرحى الحرب والهزيمة

يقول قنصل مصر فى فلسطين: لو أن الحكومات العربية استمعت لممثليها الدبلوماسيين فى فلسطين لما استهانوا بقوة إسرائيل الفعلية



وفى واقعة غير مسبوقة فى تاريخ العمليات العسكرية كانت حرب فلسطين تدار من القاهرة دون وجود قيادة مركزية فى الميدان

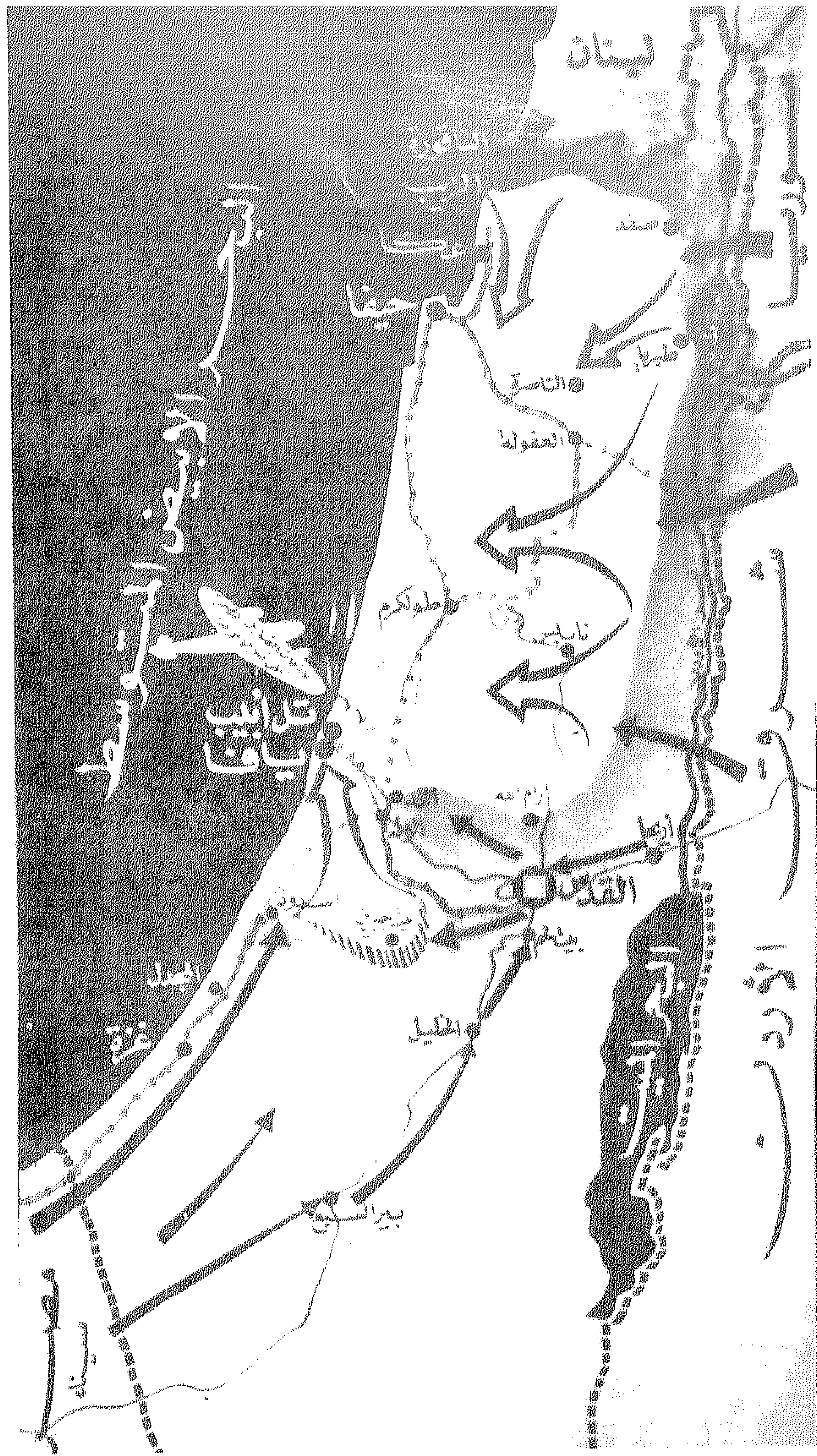


دخلت الجيوش العربية السبعة «مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق والسعودية» فلسطين بالإضافة إلى جيش الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ الفلسطينى بأقل من خمس عشر ألف جندى مقابل سبعة وستين ألف جندى إسرائيلى

قضية الأسلحة الفاسدة التى أثارها
الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس
أقامت الدنيا ولم تقعدها وكانت من
أهم أسباب السخط والغضب بين
ضباط الجيش على الرغم من تهويلها
لأغراض سياسية أقرُبها شهود العيان



الدعة والطيبة..
وبورتريه نادر لفاروق



اقتحام فلسطين فى مايو ١٩٤٨ طبقا لخطة الجامعة العربية «مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية والأردن وعرب فلسطين»



البكباشى أحمد عبد العزيز.. البطل المغوار .. دخل فلسطين فى إبريل ١٩٤٨ مع مجموعة من الضباط المتطوعين الذين استقالوا من وظائفهم.. رفع العلم المصرى والفلسطينى على بيت لحم.. وكان ريحانة شهداء الحرب



اللواء المواوى قائد الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨



يمين الملك حيدر باشا وزير الدفاع وفى اليسار عثمان المهدى مفتش عام الجيش المصرى

لقطة نادرة بالنظارة الطبية

الملك عبد العزيز آل سعود وأنجله الأمراء أثناء زيارتهم مصر عام ١٩٤٦
وفى الصف الثانى أقصى اليسار وخلف الأمير محمد عبد المنعم
يجلس الأمير عبد الله بن عبد العزيز ملك السعودية حاليا

الملك عبد العزيز آل سعود وانجاله الأمراء ثناء زيارتهم لمصر عام ١٩٤٦



إلغاء معاهدة ١٩٣٦

صاحب الجلالة : إن البلاد لتذكر لكم أياماً سعيده كنتم فيها الراعي[٩٨] الصالح والرشيد واليوم تجتاز البلاد مرحلة من أدق مراحل تاريخها الحديث ومن المؤسف أنها كلما اتجهت إلى العرش فى محنتها حيل بينه وبينها لا لسبب إلا لأن الأقدار قد أفسحت مكانا فى الحاشية الملكية لأشخاص أساءوا النصح والتصرف.. كما ساد الإعتقاد أن الحكم لم يعد للدستور وأن النظام النيابى قد أضحى حبراً على ورق حتى أصبحت سمعة الحكم المصرى مضغة فى الافواه.. تصورنا صحافة العالم فى صورة شعب مهين يسام الضيم فيسكت عليه ويساق كما تساق الأنعام والله يعلم أن الصدور منطوية على غضب شديد.. وكان حقاً على حكومتكم أن تصارحكم بهذه الحقائق ولكنها توهمت أن فى رضاء الحاشية ضماناً لبقائها فى الحكم وستراً لما افتضح من تصرفاتها.. يا صاحب الجلالة إن احتمال الشعب مهما يطل لابد أن ينتهى وإننا لنخشى أن تقوم فى البلاد فتنة تتعرض فيها إلى الإفلاس السياسى والمالى والخلقى فتنتشر فيها المذاهب الهدامة بعد أن مهدت لها آفة استغلال الحكم أسوأ تمهيد.. لهذا نرجو مخلصين تصحيح الأوضاع الدستورية ورد الأمور إلى نصابها ومعالجة المساوئ وطهارة الحكم وسيادة القانون.

الإمضاءات

إبراهيم عبدالهادى - محمد حسين هيكل - مكرم عبيد - إبراهيم الدسوقى أباظة - عبدالرحمن الرافعى - حافظ رمضان - عبدالسلام الشاذلى... وآخرين (ستة عشر سياسياً)

كان هذا هو نص عريضة المعارضة التى قدمها كبار السياسيين إلى الملك عام ١٩٥٠ بعد عودته من مصيف (دوفيل) بفرنسا متنكراً باسم فؤاد باشا المصرى وسهره يومياً فى الكازينوهات ونوادى القمار وإستهتاره المفرط بسمعة مصر وانفلات عياره الملكى تماماً خاصة بعد طلاقه من الملكة فريدة.. واصطحابه لحاشية ضخمة (أكثر من خمسين فرداً) ١٣ سيارة كاديلاك وحجزه لجناح مكون من ١٧ غرفة فى فندق «جولف» الذى فوجئ أنه قد توجه إليه تهمة تحديد إقامة ملك مصر.. نظراً لأن طول جلالته ١٨٤ سنتيمترا أما طول سريره فى جناحه الخاص ١٩٠ سنتيمترا.. الأمر الذى أفزع مدير الفندق حين ذكر له فاروق أنه قد يضطر إلى النوم على مرتبة أرضية.. وقد فعل ذلك مراراً فى مصر وأخيراً تم إحضار سرير لجلالته يزيد طوله عن مترين وعشرة سنتيمترات لكى ينعم بمد قدميه.. فلم تجد الصحافة الأوربية وصفاً أبلغ من إطلاق لقب القاطرة على موكبه الذى كان يتقدمه بجسمه الضخم ومن خلفه حاشيته.. فقد وجدت الصحافة ضالتها ومادتها المنشودة يومياً فكانت تتابع جميع تحركاته وتنتقد تصرفاته وتقدمه للقارئ الأوربى.. فى صورة شهريار عصره وقد أكد جلالته هذه الصفة ولم ينفها. ويروى د. هيكل أن المصريين[٩٩] الذين يصطفون فى أوربا آنذاك كانوا يخجلون من ذكر جنسيتهم نتيجة للمبالغات المفرطة التى صورتها الصحف وتجاوزها لكل حدود الإنصاف ووصفه بصورة مشينة للكرامة المصرية. ولم تكن الصورة العامة بالداخل أفضل كثيراً.. فمنذ بداية عهده حتى عام ١٩٥٠.. اكتملت جميع النقائص التى عانى منها المجتمع المصرى وتراكمت حتى أضحت ألوانها صريحة دامية باكية.. من فقر.. وإنقسامات.. وخيانات.. ومأساة حرب فلسطين وقضية الأسلحة الفاسدة.. فقد أنتهت الحرب العالمية الثانية وبدأ رصيد الملك الشعبى يتبدد تدريجياً.. بالاضافة لطلاقه من الملكة فريدة.. وإسقاطه عضوية تسعة عشر عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ نتيجة لإستنكارهم فساد الحاشية وتفاقم مشاكل الملك الشخصية مع والدته نازلى التى سافرت إلى أمريكا بصحبة شقيقتيه فتحية وفائقة.. والهتافات الجارحة التى دوت أمام قصر عابدين : «ويكا يا ويكا هات أمك وأختك من أمريكا!!!» وتعثر المباحثات بين مصر وبريطانيا وإختفاء الزعامة الشعبية الكاريزمية.. فنحاس عام ١٩٥٠ علمته حكمة السنين ألا يكون صلباً فيكسر كما كسر بإقالته من الوزارة عامى (١٩٣٧ - ١٩٤٤).



ونكتشف من خلال قراءتنا للعريضة الغاضبة التى ذكرناها أن وجود حزب الوفد فى الحكم عام ١٩٥٠ جاء مخيباً لكل الآمال التى كانت تعول كثيراً على قدرة النحاس فى تقويم سلوكيات الملك دستوريا مثلما حدث عام ١٩٣٧ وفى أول مقابلة بين الملك والنحاس أعرب الأخير عن أقصى أمانيه وأعز مطالبه وطلب من صاحب الجلالة أن يتفضل بعطفه السامى ويسمح لصاحب المقام الرفيع بتقبيل يده.. ويا لهول ما حدث!! فقد سرت القشعريرة فى يد الملك (ثلاثين عاما) على الرغم من إعتياد جلالته ذلك فلم تكن قبلة عادية.. ولكنها شرارة عاطفية أذابت الجليد الذى تراكم بين الرجلين عقب - حادث ٤ فبراير - وإتهام السيدة زينب الوكيل الملك بتدبير مؤامرة نسف منزل النحاس بالمفرقعات.. وللمرة الأولى يتصدع الحزب صحفيا ويتبادل أعضاؤه الاتهامات صراحة فيما بينهم على صفحات الجرائد وما أصعب المقارنة بين وفد سعد ١٩١٩ ووفد النحاس ١٩٥٠ ووفد النحاس ذاته عام ١٩٣٧.. من جهة أخرى ترتب على إتباع الوفد لسياسة الصوت الخفيض.. ومهادنته للقصر إستفزاز الأحزاب الأخرى.. التى رأت أن هذا التحالف الشعبى والملكى قد يؤدى إلى تلاشى دورها المتلاشى من الأساس وإطالة عمر هذه الوزارة التى أراحت واستراحت من خلال انحنائها سمعاً وطاعة ولم تفطن هذه الأحزاب المتكالبة.. إلى حقيقة مؤكدة وهى أن شهور العسل غالباً ما تكون هى أقصر الشهور عمراً وسرعان ما حدثت واقعة سياسية كان لها أثر وصدى عميقان فى عهد هذه الوزارة تتلخص فى طلب الإستجواب الذى تقدم به مصطفى مرعى (عضو مجلس الشيوخ) للإستفسار عن بعض الأمور التى وردت فى تقرير رئيس ديوان المحاسبة فقد ذكر التقرير أن كريم ثابت المستشار الصحفى لديوان الملك تقاضى خمسة آلاف جنيه من أموال مستشفى المواساة وأشار التقرير إلى صفقة الأسلحة الفاسدة وتورط بعض رجال القصر فيها ونشرت الصحف موعد نظر الإستجواب ولكن مقدمه سافر فجأة وتبنى الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الإستجواب.. وتصدى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الرد باسم الحكومة.. فدافع دفاعاً مستميتاً عن كريم ثابت وأكد أن تحقيق الأسلحة الفاسدة قد برأ جميع المتهمين وتمسك د. مدكور بعرض الإستجواب على لجنة تحقيق برلمانية.. فعاتب د. حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ فؤاد سراج الدين لدفاعه عن كريم ثابت.. فأجابه بالرد الشهير الذى سجله التاريخ فقال معاليه[١٠٠] (لقد ظل الوفد فى الشارع عشر سنوات حتى كاد يقضى عليه فلنا كل العذر فى الإتفاق مع القصر وسياسته) إذن فسياسة تقبيل يد الملك هى السياسة العامة للوفد.. فكان منطقياً أن يتجاهل الملك الأحزاب الأخرى فقد تحالف مع الجوكر ولم يعد يعبأ بأى شئ آخر وفى نفس اليوم الذى نظر فيه الإستجواب أسقطت عضوية مجلس الشيوخ عن تسعة عشر عضواً ورئيس المجلس د. هيكل عقاباً لهم على خوضهم فى بعض المسالك التى تمس حاشية جلالته فقدشعر فاروق أن مجلس الشيوخ يتطاول على ذاته الملكية ويشهر بحاشيته المشبوهة.

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.. بدأت تتكشف حقيقة الأهداف والميول والاتجاهات.. الملك فى أهوائه وملذاته وحياته الخاصة وحريته الشخصية لعله يجد عزاءه فى شبابه الضائع وطفولته المختزلة.. وإحباطه العائلى وفشله كزوج.. وانزلاق قدميه فى مسايرة حاشية المنتفعين أما الشعب.. فلن نكرر حياته وماله ويأسه ومعاناته ومرارته فكان لابد أن يبحث كل من الطرفين عن واحة خلاصه.. وجنة احلامه.. ومن خلال التقييم الموضوعى لخطاب المعارضة الجرئ لا يسعنا إلا الإقرار بأنه كان ثورة تقدمية ووثبة ديمقراطية وإنتكاسة ملكية فى عهد فاروق.. فما كان من حكومة النحاس إلا أن قامت بمصادرة الصحف التى نشرت العريضة التى وصفها النحاس بأنها اجرام سافر.. لكن حنكته السياسية وإستيعابه الكامل للموقف.. جعله يتغاضى عن تقديم كاتبيها للمحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية.. فالعريضة كتبها أساتذة القانون ومحترفو السياسة.. وتحروا فى كتابتها وصياغتها جميع الاحتمالات التى قد تعرضهم للمساءلة فتجنبوها.. ومن الطريف أن إحدى الصحف نشرت فى صفحتها الأولى المانشيت الرئيسى : (نص عريضة المعارضة إلى جلالة الملك) وتركت الصفحة بأكملها بيضاء وتوقيعات المعارضين فى نهاياتها.. فواجهت الصحيفة[١٠١] تهمة العيب فى الذات الملكية.. واستندت النيابة فى قرار الإتهام إلى أن نشر الخبر

بهذه الصورة ينطوى على إشارة واضحة تحمل لوما صريحاً للملك.. الذى يجب ألا يكون موضع أى لوم أو مساءلة.. أما الملك فقد احمر وجهه غضباً فهب واقفاً وآثر أن يحتفظ بغضبه فى جيبه -احدى عاداته- حيث وضع عريضة المعارضة الممهورة بأسماء أصحابها.. تذكره إذا راودته فكرة الصفح أو العفو عنهم بإستثناء حافظ رمضان عضو الحزب الوطنى الذى نشر اعتذارا رسميا لجلالته فى الأهرام.. ومن الإنصاف تقييم موقف الملك فى إطار هذه الحقبة التاريخية.. وهنا لن يسعنا إلا أن نقر بأن تغاضيه عن معاتبتهم وإحتفاظه بغضبه المشروع إزاء معارضة صريحة كانت بمثابة صرخة مدوية فى وجه تحمل فى ثناياها الإستنكار واللوم والإتهام والشعور بالعار وتنتهى بالتوجيه الصريح ولو بصيغة الأمر الشفيف.. كل ذلك كان يعد شيئاً فريداً غير مسبوق فى المنطقة العربية آنذاك مما يؤكد فجر الديمقراطية فى مصر فى ظل عهودها الملكية أيضا وأن ريادتها السياسية لم تأت من فراغ.. مقارنة ببلاد أخرى شقيقة تنتهى المعارضة فيها بمآس تصل إلى القتل والسحل والنفى.. ويدور الزمان تعى ذاكرة التاريخ مواقف عديدة لرجال الثورة وما ارتكبوه وفعلوه بمعارضات هينة وتعليقات ناقدة ونكات ضاحكة مقارنة بكلمات تلك العريضة.. ولكن ذلك لا يعنى أيضاً إتساع صدر فاروق وديمقراطيته.. فمازال العنيد المستبد بالرأى الذى يزداد عناداً يوماً بعد يوم ولو أذعن فاروق لسماع صوت العقل ومراجعة نفسه بعد قراءة هذه العريضة.. لو استمع لصوت الحكمة واستشار آباءه سناً ومعارضيه سلماً لكان أمن شر يوم هو أطول أيام حياته.

وفى عهد آخر وزارة وفدية (١٩٥٠).. تشتد كراهية معارضيها ويصفونها بأنها وزارة الإرهاب والتزييف الذى لم يحدث فى أى وزارة أخرى فمنذ تولى[١٠٢] فؤاد سراج الدين وزير الداخلية مهمة الإشراف على العملية الانتخابية تحولت إلى عملية إجرامية تخلو من الحياد والنزاهة ففاز جميع مرشحى الوفد فى جميع الدوائر ولم ينجح أى مرشح من أحزاب المعارضة ويؤكد عبدالرحمن الرافعى - عضو الحزب الوطنى - أن إسماعيل صدقى كان أرحم من فؤاد سراج الدين فيما يتعلق بتدخل الأخير فى الانتخابات البرلمانية!!! أما النحاس فلم يشأ أن تختم صحيفة جهاده الوطنى بالعداء والاستنكار الشعبى وهو الزعيم الوطنى فهو مازال الزعيم الجدير بالمحبة الشعبية والريادة السياسية الكفيلة بتحقيق الأمانى الوطنية - أى جلاء بريطانيا عن مصر - وبما أن النحاس هو أبو معاهدة ١٩٣٦ كما كان يطلق عليه.. إذن فهو الوحيد الكفيل بإيجاد حل جذرى للتخلص منها.. أى (اللى شبكنا يخلصنا)!!!

فسعى لإعادة المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية مرة أخرى مستعيناً بوزير الخارجية محمد صلاح الدين وكانت المفاجأة أن المفاوض الإنجليزى الماكر تنصل من بنود إتفاقية صدقى - بيفن ورفض ما سبق أن وافق عليه.. فى الوقت الذى وصل فيه إلى مصر المارشال «سلم» رئيس أركان حرب الجيش البريطانى فى مايو ١٩٥٠ حيث صارح النحاس بعدم إمكانية جلاء بريطانيا عن مصر من منطلق سيادة إستعمارية متطفلة تفترض عجز مصر عن حماية نفسها.. ويستمر الفصال السياسى بين شد وجذب.. وتشاء الظروف أن يفصح السفير البريطانى (رالف ستيفنسون) لوزير الخارجية محمد صلاح الدين - لأسباب تهديدية- بمشروع إتفاقية الدفاع المشترك الرباعى.. حيث اتفقت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا على التقدم لمصر بهذا المشروع بديلاً لمعاهدة ١٩٣٦ على أن تقبل مصر بمقتضى هذه الإتفاقية أن تكون حماية قناة السويس مسألة دولية تشترك فيها بالإضافة للدول الأربع إستراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا مع بقاء جزء من هذه القوات الدولية بمصر فى حالة السلم.. أى تحويل الإحتلال البريطانى إلى إحتلال دولى فسارع النحاس بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ الخاصة بإدارة السودان فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ فى اجتماع برلمانى تاريخى ضم المجلسين (الشيوخ والنواب) وقد ترتب على هذا الإلغاء تعديل الدستور وأصبح لقب الملك «ملك مصر والسودان» والغاء اتفاقية ١٨٩٩ الخاصة بإدارة السودان والاقتراح بوضع دستور خاص به بالإضافة لإلغاء كافة القوانين المتعلقة بإعفاء القوات البريطانية من الرسوم الجمركية على الأسلحة ومواد التموين والرسوم المستحقه على مرور السفن كما امتنعت الجمارك عن التسهيلات الأخرى بما فيها من شحن وتفريغ ومعاملتها مثل السفن الأجنبية الأخرى.. وامتنعت أيضاً السكك الحديدية عن أداء أى خدمات للقوات البريطانية وكذلك فعلت الحكومة التى أوقفت التسهيلات والخدمات التى كانت تؤديها من قبل ومنعت وصول الضباط البريطانيين من الدخول إلى مصر والرعايا البريطانيين مالم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من القنصلية المصرية.. وأصدرت أوامرها بعدم هبوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية.

وامتنع عمال السكك عن نقل الجنود ورفضوا تزويد القطارات بالماء والوقود ورفضوا تفريغ بواخرهم وخسر البريطانيون أكثر من مليونى جنيه نتيجة للمقاطعة الشعبية.. بالإضافة لإضراب العمال المصريين فى معسكراتهم وإضراب الموردين والمتعهدين الذين كانوا يمدون الجيش البريطانى بمواد التموين.

إذن فقد تم الطلاق رسمياً بين مصر وبريطانيا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وقررت مصر أن يكون الطلاق بائناً ينهى وجودهم نهائياً فى مصر وفى منطقة القناة وصممت بريطانيا أن تكون طلقة واحدة وبدأت المقاومة بالإستنكار الذى اطلقته السفارة يوم الثامن من أكتوبر واعتبرت فيه المعاهدة سارية المفعول وكأن شيئاً لم يكن.. أما تشرشل فقد عبر عن الموقف بأنه إهانه للكرامة الإنجليزية!!

وتتجلى الروح الوطنية عملياً بدون منشورات ولا مظاهرات ويتطوع الشباب فى كتائب الفدائيين التى كان يتولى تدريبها الفريق عزيز المصرى وبعض ضباط الجيش على الأعمال العسكرية وحرب العصابات ومهاجمة الإنجليز فى مواقعهم ومعسكراتهم فى القناة حيث كانت آخر معاقلهم وسرعان ما انهمرت التبرعات لشراء الأسلحة للفدائيين الشباب الذين كانوا ممثلين لكل الأيديولوجيات (الإخوان المسلمون - الضباط الأحرار - الشيوعيين - أحزاب الأقلية - المستقلين) وهكذا أصبحت المقاومة منظومة وطنية الأمر الذى دعا الحكومة إلى الإشراف بنفسها على تنظيم الكتائب وأخذ فؤاد سراج الدين وزير الداخلية على عاتقه القيام بهذه المهمة الجليلة.. فجن جنون الإنجليز.. وهددوا بقطع البنزين والمواد البترولية الواردة من السويس عن القاهرة واستنجد النحاس بالملك الذى اتصل بالسفير الأمريكى كافرى وتدخل لدى نظيره البريطانى وتم إنهاء الموضوع وفى محاولة لتفريغ الكبت الشعبى تظاهر أهالى الإسماعيلية احتفالاً وابتهاجاً بإلغاء المعاهدة والوجود البريطانى الثقيل.. لكن النيران الإنجليزية حصدت عشرات القتلى وتكرر المشهد فى بورسعيد وأشعل الأهالى النيران فى مخازن البحرية البريطانية فقام الإنجليز بوضع يدهم على مرافق الإسماعيلية مثل محطة المياه والسكك الحديدية والكبارى واحتلوا كوبرى الفردان.. وقرروا عزل منطقة القناة بأكملها عن مصر وخططوا لحكمها عسكرياً بعيداً عن السلطات المصرية وتمادوا فى سياستهم الإستفزازية والإستعمارية فقاموا بالقبض على بعض ضباط البوليس وإعتقال بعض ضباط الجيش والإستيلاء على منازل الأهالى ومتعلقاتهم.. ولم يشف كل ذلك غليلهم فقاموا بعزل الجيش المصرى فى غزة وسيناء ومنعوا إتصاله ببقية وحداته غربى القناة.. فالتهبت مشاعر الكتائب الوطنية التى جرحت كرامتها وكرامة الوطن الأمر الذى دفعها للمقاومة بضراوة وإلحاق أكبر ضرر بالإنجليز.. فإذا سمع الأهالى طلقة من بنادق الإنجليز كانت تستعد المدينة بأكملها للرد عليها.. كذلك نجح الأهالى فى نسف كوبرى سالا الذى أقام الإنجليز عليه أكبر محطة لاسلكى.. وبذلك عزلت القيادة البريطانية عن الإسماعيلية وتحولت منطقة القناة إلى جحيم بالنسبة لهم نظراً لمهاجمة الفدائيين للمعسكرات البريطانية فى التل الكبير والقصاصين أما الإسماعيلية فقد أصبحت مدينة الرعب.. فأصدرت القيادة البريطانية أوامرها لرعاياها بعدم الخروج بدون حمل السلاح.. وتحولت شوارع المدينة إلى ممرات مظلمة كئيبة خالية من المارة.. تنتشر فيها رائحة الموت والدمار.. فكانت لا تستطيع أى سيدة إنجليزية الذهاب إلى سوق المدينة دون حراسة مسلحة بمدفع رشاش.



وهكذا تحول السوق إلى ميدان حربى كبير.. بالإضافة إلى ما تقدم فقد هاجر عدد كبير من العائلات الإنجليزية إلى قنا وأسوان واستمرت المقاومة الشعبية السرية وحرب العصابات بالإضافة للمقاومة السلبية أى الامتناع عن التعاون معهم وقطع

المؤنة والخدمات عنهم.. ونجحت هذه السياسة فى إحداث أشد الأضرار بهم واضطر جنودهم لتفريغ مراكب الشحن وسط موجة عارمة من الضجر والمعاناة فيما بينهم فتأكدت شكوكهم بأن امبراطوريتهم تتهاوى إلى غير رجعة.. فقد كانت المقاومة الشعبية جارفة حتى أن جمهور كوكب الشرق أم كلثوم ضحى بحفلة كانت ستحييها فى النادى الأهلى وتشدو فيها بأغنية سلو قلبى على الرغم من أن ايرادها كان مخصصاً لشهداء القناة.. فقد خشيت حكومة النحاس من احتمال غضب بعض قطاعات الشعب الذى جلله الحزن والسواد على شهدائه.

واشتدت ضراوة المقاومة المصرية وتقرر تعطيل الدراسة فى القاهرة والاسكندرية نظراً للحالة النفسية السيئة لطلاب المدارس والجامعات على أثر تساقط شهداء الإسماعيلية والسويس حتى ان العام الدراسى (١٩٥١ - ١٩٥٢) لم تنتظم الدراسة فيه إلا مائة يوم كما شهدت البلاد موجة من المظاهرات الغاضبة.. ثم وقعت الواقعة.. وقام الإنجليز بأسوأ عمل وحشى منذ إحتلالهم مصر بعد مذبحة دنشواى حيث قاموا بتدمير قرية كفر عبده بالسويس وإبادتها إباده تامة وإجلاء وتشريد أكثر من ٢٠٠٠ مواطن وإلقائهم فى العراء وهدم أكثر من ١٥٦ منزلاً بالدبابات والمصفحات كما حاصرت السفن البريطانية مدينة السويس وبذلك أعادوا للذاكرة يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ المشئوم تاريخ غزوهم للاسكندرية!!!

وعلى الفور نقلت وكالات الأنباء العالمية أخبار المأساة وبعثت الخارجية المصرية بتقرير عن الحادث عرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة مشفوعاً بالأدلة يؤكد همجية الدولة العريقة فى الوحشية والإستعمار وعلى الفور استدعت مصر سفيرها فى بريطانيا «عبدالفتاح عمرو» وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا.. ولكن الملك الذى أصبح مستخفاً بالمدح والهجاء على حد تعبير المعرى يسئ تقدير العواقب تماماً ويقدم على قرارين استفزازيين أثارا غضب الشعب عليه بصورة لم يسبق لها مثيل ولا تقارن بالهتافات التى رددها الطلاب ضده عام ١٩٤٦.. فالصورة كما أوضحناها.. كانت تشى بالمشاعر العدائية التى بلغت أقصى مداها منذ الاحتلال عام ١٨٨٢ وفاض الكيل بالشعب وهم يشيعون يومياً خيرة شباب الأمة.



وهكذا أصبح الناس لا يطيقون اسم بريطانيا.. يتمنون لها الموت فالهتاف الشعبى «يا عزيز يا عزيز كبة تأخذ الإنجليز» ميراث وطنى يظهر دائماً عند الضرورة.. والإنسان كما يسعده فى أحيان كثيرة أن يعلن عن مدى حبه.. فقد كانت مصر عن بكرة أبيها يرضيها أن تعلن أمام العالم أجمع عن مدى كراهيتها لبريطانيا.. ومن ثم أصبح أى شخص تربطه علاقات مع الإنجليز يتهم بالخيانة الوطنية ويحظى بالازدراء فإذا كانت له معاملات ضرورية.. كان يسعى للتخلص منها.

وسط هذه العاصفة من الغضب الجامح قرر الملك تعيين عبدالفتاح عمرو السفير السابق فى لندن مستشاراً خاصاً له ؟ وقد يندهش القارئ ويتساءل وما المشكلة فى هذا ؟ الإجابة بسيطة للغاية فقد كان هذا الشخص إنجليزياً قلباً وقالباً لم يحظ بأى شعبية فى مصر.. بل إن الصحف كانت تطلق عليه تهكماً سفير بريطانيا فى مصر أما القشة التى قصمت ظهر البعير.. فهى قيام جلالته بتعيين حافظ عفيفى رئيساً للديوان الملكى.. وهو سياسى مصرى اشتهر بصداقته لبريطانيا.. عمل وزيراً مفوضا بها ثم سفيراً من ١٩٣٦ - ١٩٣٨.. كان من أبرز آرائه السياسية عدم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ والتعاون مع بريطانيا الحليفة وتترامى إلى أسماع الملك ردود أفعال الجماهير التى تجمعت فى ساحة قصر عابدين (يسقط عفيفى).. و (حافظ عفيفى) حافظ : أى الملك (أين الغذاء والكساء يا ملك النساء!!) بالاضافة إلى دور الصحافة الوطنية التى فتح بعضها النيران على الملك كصحيفة الاشتراكية لسان حال الحزب الاشتراكى وصحف التنظيمات الشيوعية.

وسرعان ما اشتعلت المظاهرات التى لم تهدأ فى الجامعة من ملك يتحدى مشاعر شعبه ومعاناته من فقر وآلام ومشاق وصعاب شعب يقتطع من قوته لتوفير السلاح والدفاع عن أرضه وعرضه!!! وتؤكد جميع المراجع وشهود العيان أن الملك فقد ٩٩,٩٪ من شعبيته بعد تحديه لمشاعر الجماهير.. التى استهان من رد فعلها.. واعتقد أنها وقتية انفعالية تزول بعد زوال لحظات الغضب.. ولم يكن الأمر كذلك فقد تراكم السخط وتكاثر اللغو حول حياته الخاصة (القمار - سهرات النساء - الأسلحة الفاسدة) بالاضافة لقيامة بتجديد يخت المحروسة واعتماد مليون وثلاثمائة جنيه.. لتعديله بالكامل فى الوقت الذى كان يعانى فيه الشعب من شظف العيش.. وقلة موارده المالية للإنفاق على الفدائيين فى منطقة القناة.. ثم جاء تعيين عبدالفتاح عمرو عفيفى لكى ينهى صحيفة محبته بالسخط والإستفزاز الشعبى.. ولم يكن الحال فى الجيش أفضل فمنذ هزيمة ١٩٤٨.. والجراح مازالت متخنة بقضية الأسلحة الفاسدة وحصار الجيش فى الفالوجا وفى خضم هذا الصخب الاستعمارى والمقاومة الوطنية بدأ تنظيم الضباط الأحرار منذ نهاية هذه الحرب يدخل فى طور التنفيذ الفعلى.. وتشكلت الهيئة التأسيسية للتنظيم فى عام ١٩٤٩ بعضوية خالد محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وعبدالمنعم عبد الرءوف وعبدالحكيم عامر وجمال سالم وصلاح سالم وأنور السادات وعبداللطيف بغدادى وفى يناير ١٩٥٠ تم انتخاب جمال عبدالناصر رئيسا لها بالإجماع.. وخلال فترة وجيزة نجحوا فى تعبئة الروح العامة بين زملائهم بالمبادئ التى استقرت فى وجدانهم فانتشرت مطبوعاتهم السرية وتداولها زملاؤهم بإهتمام شديد.. فقد كانت تتحدث بلسانهم وتشكو حالهم.. وهكذا اصبح داخل كل وحدة من وحدات الجيش تقريبا بعض الأفراد الموالين لهم.. بالاضافة لدور الضباط الأحرار المؤثر فى تدريب الفدائيين فى منطقة القناة.. وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ تقرر إنتخاب رئيس نادى الضباط الذى كان موضع إهتمام الملك الشخصى فقد كان يولى النادى عناية خاصة ويتردد عليه فى المناسبات وظل حتى اللحظات الأخيرة مخدوعاً يعتقد أن الجيش هو سنده الأول وأعتقد أن قضية الأسلحة الفاسدة ليست إلا زوبعة انتهت بإنتهاء التحقيق، من هذا المنطلق كان القصر يحرص دائما على إختيار رئيس النادى - شأنه فى ذلك شأن جميع المناصب الرسمية، فتعرض عليه قائمة بالاسماء ويختار منها الملك من يشاء.. ووقع إختياره على اللواء حسين سرى عامر (لرئاسة النادى) وهو من رجاله المفضلين.. واجتمعت الجمعية العمومية وحين علم فاروق أنهم يعتزمون إستبعاد حسين سرى عامر أصدر أوامره بإلغاء الإجتماع وتأجيل الإنتخابات لأجل غير مسمى.. ولكن الضباط لم يعبأوا بذلك.. وقرروا الإتفاق على ترشيح بعض الزملاء.

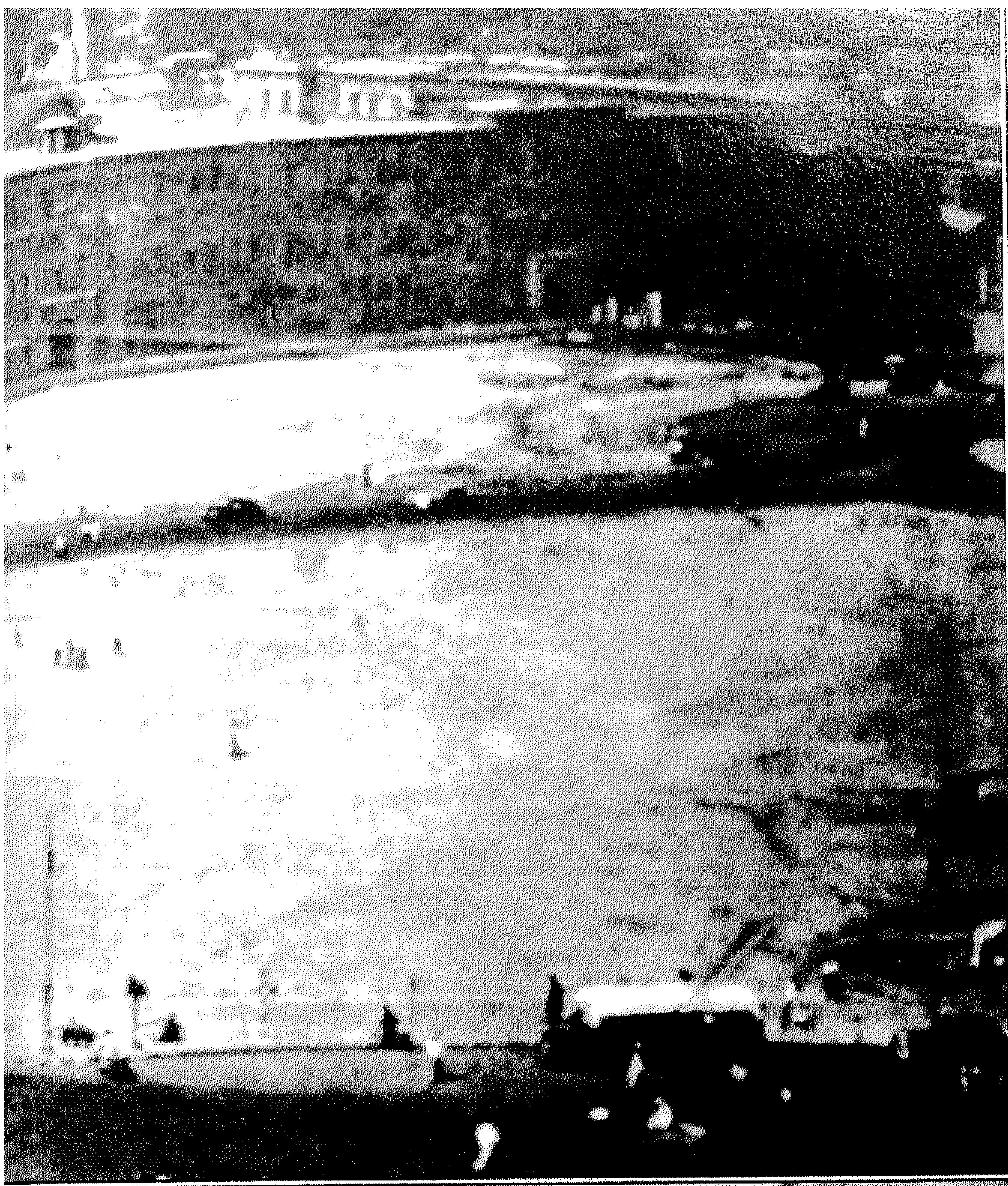
ثم اجتمعت الجمعية العمومية وانتخب اللواء محمد نجيب «مدير سلاح المشاة» رئيساً للنادى.. ثم سارت الأحداث كالشلال الهادر بالنسبة لموقف الملك وأطاحت به خلال ستة شهور فقط.

وفى ٢٥ يناير ١٩٥٢ حاصرت القوات البريطانية مبنى محافظة الإسماعيلية بقيادة قائد القوات فى الإسماعيلية البريجادير اكسهام الذى وجه إنذاراً لقوات البوليس بالمحافظة أو قوات بلوكات النظام - كما كان يطلق عليهم- بتسليم أسلحتهم والجلاء عن المحافظة.. فرفضوا وأصروا على دخول مبنى المحافظة والدفاع عنه.. وبشجاعة عسكرية.. يتصدى الضابط مصطفى رفعت هو وزملاؤه بأسلحتهم البسيطة لتهديدات أكسهام.. الذى أحاط المكان بالدبابات والمدرعات إستعداداً لهدمه فعلياً.. واستمرت المساجلات بين الطرفين ويتساقط جرحى جنود بلوكات النظام ويتوفى أكثر من خمسين شهيداً.. فلم يسع إكسهام إلا الإنحناء أمام هذا الدفاع والإستبسال حتى آخر طلقة.. بل إنه اصدر أوامره بتحية طابور العساكر المصريين أثناء خروجهم من مبنى المحافظة.. وأمر بنقلهم إلى معتقل نظيف تمهيداً لنقلهم إلى القاهرة أو (وزارة الداخلية) تحديداً وهكذا تحولت منطقة القناة إلى جحيم.. وأصبح (٢٥ يناير) عيداً للشرطة تمجيداً لذكرى هؤلاء الشهداء النبلاء.

وتصل أخبار هذه المذبحة إلى القاهرة فى الساعات الأولى من صباح يوم السبت ٢٦ يناير فيمتنع عمال المطار عن تزويد أربع طائرات تابعة للخطوط البريطانية بالوقود بعد أن وصلتهم أنباء المذبحة وحاول بعض عمال المطار إشعال النار فى الطائرات فتدخلت وزارة الداخلية.. وأقنعتهم بتزويد الطائرات بالوقود تجنباً لحدوث أى مشاكل دولية فخمدت النيران ظاهرياً وإن ظلت مشتعلة تحت الرماد استعداداً لإنطلاق الشرارة الأولى صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ ■



تولى الفريق عزيز المصرى تدريب كتائب الفدائيين فى منطقة القناة على الأعمال العسكرية وحرب العصابات وأصبحت المقاومة منظومة وطنية



ثكنات قصر النيل التى تم هدمها بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ عام ١٩٥١ ويشغل مكانها الآن فندق هيلتون النيل وجامعة الدول العربية




تحولت منطقة القناة إلى جحيم بالنسبة للإنجليز عقب إلغاء مصر معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ وصممت مصر على إنهاء وجودهم نهائيا. لكنهم استمروا فى المقاومة والهجوم حتى أن تشرشل وصف إلغاءها بانه إهانة للكرامة الإنجليزية

فى عهد آخر وزارة وفدية ١٩٥٠ سعت مصر لاستكمال المفاوضات الثنائية مع بريطانيا للحصول على الاستقلال التام.. ولأسباب تهديدية يفصح السفير البريطانى لوزير الخارجية محمد صلاح الدين بمشروع الدفاع المشترك بين بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا بديلا لاتفاقية ١٩٣٦ على أن تقبل مصر بمقتضى هذه الاتفاقية أن تكون حماية القناة مسألة دولية فسارع النحاس بإلغاء المعاهدة لكى لا يتم تحويل الاحتلال البريطانى إلى احتلال دولى




قرر الإنجليز عزل منطقة القناة بأكملها عن مصـــر ووضع يدهم علي المرافق والسكك الحديدية فتحولت شوارع الإسماعيلية إلي ممرات كئيبة خالية من المارة وقام الإنجليز بتـــرحـــيل أســـرهم إلي قنا وأســـوان





كتائب الفدائيين كانت تمثل كل الأيديولوجيات آنذاك: الإخوان المسلمين والضباط الأحرار والشيوعيين وأحزاب الأقلية والمستقلين.. حتي أن العام الدراسي ١٩٥١ - ١٩٥٢ لم تنتظم فيه الدراسة إلا مائة يوم فقط



فى عام ١٩٥٠ سافر فاروق إلى دوفيل بفرنسا بصحبة حاشية كبيرة.. فكان مثار انتقاد الصحافة الأوروبية واستياء المعارضة السياسية ويذكر د. حسين هيكل أن المصريين الذين كانوا يصطفون فى أوروبا كانوا يخجلون من ذكر جنسيتهم نتيجة لمبالغات الصحافة فى أوروبا والعنوان فى أعلى الصورة كما نشر عام ١٩٥٠



البيجوم أغاخان تصادف وجودها فى دوفيل
أثناء زيارة الملك وسهره يوميا فى الكازينوهات
وأندية القمار واستهتاره بسمعته ولا مبالاته
واللقطة تضم بعض أعضاء حاشيته



بعض الهتافات الشهيرة ضد الملك عام ١٩٥١ يسقط عفيفى وحافظ عفيفى.. أى الملك تعبيرا عن السخط الشعبى تجاه اختيار الملك حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى ومن أبرز آرائه السياسية عدم إلغاء معاهدة ١٩٣٦

موجة من المظاهرات الغاضبة اجتاحت مصر عقب قيام الإنجليز بتدمير قرية كفر عبده بالسويس إبادة تامة فقامت مصر بقطع علاقتها الدبلوماسية مع بريطانيا وسحب سفيرها عبدالفتاح عمرو من لندن عام ١٩٥١



عبدالفتاح عمرو الذى كانت تطلق عليه الصحف تهكما سفير بريطانيا فى مصر.. قام فاروق بتعيينه مستشارا له فاشتاط الرأى العام فى مصر.. فهو شخصية لم تحظ بأية شعبية



لقطة تاريخية نادرة لليوزباشى
أنور السادات - آنذاك - فى قاعة
محكمة الجنايات أثناء نظر
قضية الاغتيالات الكبرى وفى
الصورة يتحدث إليه والده محمد
أفندى السادات بشاشة أكدتها
إجراءات الإفراج عنه وبراءته



أنور السادات فى قفص الاتهام حبيسا وراء القضبان
على ذمة قضية اغتيال أمين عثمان عام ١٩٤٦



حريق القاهرة.. "الفاعل إنجليزى"

تستطيع ان تخدع بعض الناس بعض الوقت لكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت لأن كل الوقت هو التاريخ.. ولم تعرف مصر في تاريخها خلال القرن العشرين يوماً أسوأ من السبت الأسود ٢٦ يناير ١٩٥٢.. حين احترقت القاهرة واشتعلت فيها النيران تتطاير ألسنتها شرقاً وغرباً تتوالد بقوة كما لو كانت موجات متلاحقة تنتقل من مكان لآخر بسرعة رهيبة تنثر أشلاء المدينة المتهالكة وتحولها إلى شظايا صغيرة تستخدم لإشعال موقع جديد وخلال اثنتى عشرة ساعة تحولت القاهرة إلى نائحة شعثاء تنعى حظها وتبكى أطلالها وتتأمل حطامها.. أما رجال المطافئ الذين عجزوا عن إطفاء الحريق فقد وصفوه بانه لم يسبق حدوثه في أى مدينة في العالم بمثل هذا العدد الضخم من الحرائق في وقت واحد وبصورة متعمدة.. وانتهى الأمر بتبادل الإتهامات بين جميع الأطراف.. فأشارت الحركة الوطنية بأصابع الاتهام إلى الملك الذى دعا في ذلك اليوم العاشر لميلاد ولى عهده أحمد فؤاد رجال الجيش والبوليس والقيادات العليا على وليمة غداء على شرف جلالته.

واتهمت بريطانيا بالتواطؤ مع الملك وهى بدورها اتهمت حزب الوفد الذى ألغى معاهدة ١٩٣٦ عام ١٩٥١ وأنهى الوجود البريطانى في مصر سياسيا وقانونياً.. واتهم الملك الشيوعية وهو إتهام كان يحتفظ به دائما عند وقوع أى اضطرابات أو مظاهرات واتهم الاخوان المسلمين الشيوعيين.. ولفقت الحكومة اتهاماً رسمياً لأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى واحتاج الأمر لمرور بعض الوقت حتى يظهر الجانى الحقيقى.. متلبسا بالوثائق وهكذا كان الحريق هو قبلة الموت التى انقضت على الملكية في مصر والتقطت انفاسها الأخيرة.



في تمام الساعة ١٢,٢٧ ظهراً بدأت الشرارة الأولى لحريق القاهرة حيث شب حريق هائل في كازينو بديعة (بميدان الاوبرا) وفى الحادية عشرة مساء.. احترقت القاهرة وأتت النيران على قلبها بصورة لم تحدث إلا نادراً في تاريخ الإنسانية.. فقد احترقت قاهرة المعز في عهد الدولة الايوبية حين اختلف شاور وضرغام أيهما أحق بحكمها.. لكن في ٢٦ يناير ١٩٥٢ احترقت قاهرة إسماعيل الحديثة أو باريس الشرق.. وفاتنة الشرق أيضا.. فكانت جريمة مروعة مدمرة اهتز لها العالم أجمع ولنا ان نتخيل هذه الكارثة التى ظلت مصر تتحدث عنها بأسى سنوات وسنوات.. ففى غضون ساعات اشتعلت النيران في ميدان الأوبرا وشارع إبراهيم (الجمهورية) - شارع فؤاد (٢٦ يوليو) [١٠٣] - شارع عدلى - قصر النيل - سليمان باشا - عبدالخالق ثروت - ميدان مصطفى كامل - شارع شريف - شارع محمد فريد - البستان - عماد الدين - نجيب الريحانى - محمود بسيونى - البورصة الجديدة - ميدان التوفيقية - شارع الملكة (رمسيس) ميدان الإسماعيلية (التحرير) شارع الشواربى - الفلكى - شارع الانتكخانه - شارع شامبليون - كلوت بك - كامل صدقى (الفجالة) ميدان باب الحديد - شارع محمد على وامتدت النيران حتى شارع الهرم أى قلب العاصمة بمبانيها البديعة وعمارتها الأوربية الرفيعة ذات التراث المعمارى العريق.. أما مجموع الخسائر فقدر بأكثر من ٧٠٠ حريق شملت ثلاثة عشر فندقا (شبرد - متروبوليتان - فيكتوريا).. ٤٠ دار سينما (ريفولى - راديو - مترو - ميامى - ديانا - متروبول) ٧٣ مقهى ومطعما (الأمريكين - جروبى) ١٦ ناديا (نادى محمد على - النادى اليونانى - الترف كلوب (انجليزى) نادى رمسيس - نادى دار العلوم منها أكثر من ٣٠٠ محل تجارى منها (شيكوريل وسلسلة المحلات اليهودية آنذاك)، ٣٠ شركة كبرى و ١١٧ مكتبا وعشرة محلات لبيع السلاح و ٩٢ بارا و ٨ معارض سيارات وبنك باركليز الانجليزى. الأمر الذى شل جهاز المطافئ في القاهرة.. فبالإضافة إلى ضعف الإمكانات وإعلان حالة (ج) والاستعانة بأكثر من ١٠٠٠ عسكرى فإن إنتشار الحريق على النحو الذى عرضناه.. كان يهدف إلى تشتيت المطافئ في عشرات الإتجاهات وإفشال مهمتها قبل أن تبدأ حيث كانت تقطع خراطيم الحريق أثناء عملية الإطفاء.

وقدرت الخسائر البشرية بوفاة ٣٦ شخصاً وإصابة ٥٥٢ بجروح وتشريد آلاف العاملين في المنشآت التى احترقت . أما الخسائر المالية فقدرها الخبراء بمائة مليون جنيه وهو رقم يصعب تخيله في عهد لم يعرف من لغة الأصفار الا قليلا.

واستناداً إلى التداعيات التى ترتبت على الغاء معاهدة ١٩٣٦.. والتى تم إعلانها تحقيقا لرغبة شعبية عارمة.. والكفاح المسلح في القناة وحادثة كفر أبو غبده.. وإنتهاء بمذبحة جنود بلوكات النظام في الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير تلك الحادثة التى أثارت زملاءهم وأشعلت النيران في قلوبهم.. فخرجوا في أول مظاهرة مسلحة لجنود البوليس في مصر منذ السادسة صباحاً.. فأضربوا عن الخدمة في ثكناتهم بالعباسية.. ثم توجهوا إلى زملائهم في مديرية أمن الجيزة.. وانضم الطلبة إليهم وساروا جميعاً إلى مجلس الوزراء الساعة الحادية عشرة تقريباً وقرروا الإعتصام بالمجلس حيث كان مقررا إنعقاده في ذلك اليوم.. ومرض النحاس فتقرر انعقاد المجلس في منزله.. وتحولت القاهرة إلى ساحات منبرية للخطباء والساخطين تستعيد الذكريات وتفتح الجراح وتنعى الشهداء.. فلم يكن غريبا أن تخرج المظاهرات الطلابية والعمالية تجوب شوارع القاهرة بجموع غفيرة متوحدة شعورياً.. يصعب التصدى لها وتهدئة روعها وفى تمام الساعة ١٢,٢٧ ظهراً شب حريق ضخم في كازينو بديعة - بميدان الأوبرا - وحسبما جاء في رواية «لاكوتير» فقد استفز بعض المتظاهرين مشهد رجل يحتسى الخمر في ظهيرة ذلك اليوم الحزين بصحبة إحدى السيدات وتعرض الرجل لتأنيبهم واستنكارهم الشديد.. فكيف يستشهد الفدائيون في القناة بالأمس وهو يلهو ويعبث فتحول العتاب إلى شجار.. ثم إلى نار وفى غضون دقائق اشعل المتظاهرون النار.. ولكنها قصة غير منطقية شأن العديد من الروايات التاريخية المتداولة.. التى غالبا ما تدخل بوابة التاريخ وتستقر في جوف الحقيقة بالتكرار المزمن.. وفى أحيان نادرة تستصرخ الحقائق بعض عشاقها ومريديها وتستحلفهم بتتبع خطاها حتى النهاية.. وتعدهم بكشف المستور وتختصهم بالرؤية الصافية، والنظرة المتعمقة للظاهر من الأمور.. والباحث القدير جمال الشرقاوى من أبرز الباحثين الذين بذلوا جهودا مضنية وقضى من عمره سنوات يتتبع فيها خيوط هذا الحادث الفريد.. فكانت دراسته وكتابه الذى نعرضه هنا «حريق القاهرة» أوفى دراسة في المكتبة العربية عن ذلك الحادث المروع الذى اهتز له العالم وأثار الرأى العام العالمى.. وأول الحقائق المنطقية التى توصل إليها الباحث تدحض هذه الرواية التى عرضناها فالكازينو مكون من دور أرضى يشغله معظم الرواد يحتسون المشروبات العادية [١٠٤].. اما الدور العلوى فهو مخصص لشرب الخمر بالإضافة إلى البار.. وقد نفى رئيس البوليس السياسى اللواء/ إبراهيم إمام الواقعه تماماً ونفاها ضابط البوليس النوبتجى في ميدان الأوبرا فالهدف من القصة إخفاء عنصر التآمر.. بين طيات الإنفعال وإلصاق التهمة بالشعب الثائر أو (الضحية) ويذكر ضابط البوليس المكلف بالخدمة في ميدان الأوبرا صبيحة ٢٦ يناير أنه شاهد مظاهرة كبرى تتجه إلى ميدان الأوبرا قادمة من شارع إبراهيم (الجمهورية) في تمام الساعة ١٢,١٥ وعلى الفور اتجه بعض الأشخاص إلى كازينو الأوبرا لتدميره فتصدى لهم هو وجنوده فحاصروه ومنعوه من الحركة ثم صعدوا إلى الكازينوا وبدأوا تدميره واحراقه ويضيف شاهد عيان

كتاب تذكارى

آخر أنه شاهد ستة أشخاص يصعدون إلى الدور العلوى ثم اخرج احدهم (حرملة) مشمع لونها برتقالى كالتى تستعمل لأغراض الدفاع المدنى ووضع على ظهره مخلة محملة ببودرة حارقة.. اكتبش بعضا منها ثم أشعل فيها النيران وبدأ يلقى بعض الكراسى المشتعلة من الدور العلوى.. فتجمهر الناس وحدث هرج ومرج.. وتساءل الجميع عما يحدث فقيل لهم إن بعض أفراد الشعب يشعلون النار فى المحلات الأجنبية والكازينوهات وجميع ممتلكات الإنجليز احتجاجاً على مذبحة الإسماعيلية.. فتحمس الناس واعتقدوا أنه عمل وطنى.. ووصلت عربة المطافئ وحدثت الكارثة الفعلية.. حيث حيل بين رجالها وأداء واجبهم فقام (الرعاع) -وهو الوصف الذى أطلقه جميع الشهود على الجماهير التى كانت تحيط بالحرائق - بقطع خراطيم الحريق بالأمواس بالإضافة لصياحهم وهتافاتهم الحماسية.. والمحزن ان حماستهم المدمرة تحولت فى غضون ساعات إلى عدوى وبائية انتشرت فى أنحاء القاهرة وبينما ألسنة النار تتصاعد كالبركان فى كازينو الأوبرا وخلال ربع ساعة فقط كانت سينما ريفولى تحترق أيضا.. ثم مترو وميامى... الخ.

فكيف نجح هؤلاء الرعاع فى إشعال القاهرة وما المقصود بوصفهم هذا بالرعاع؟! يقول الشهود هم مجموعة من الصبية يرتدون الجلابيب ليسوا أفندية [١٠٥] ولا تلامذة بل هم أولاد حفاة ملابسهم رثة.. فكيف يستطيع مثل هؤلاء الرعاع إشعال النار فى أكثر من ٧٠٠ موقع بالقاهرة فى أقل من اثنتى عشرة ساعة.

فقد جاء فى الأقوال الرسمية التى اجرتها النيابة أن الطريقة الفنية التى استخدمت فى إشعال الحرائق من خلال أقوال قومندان مطافئ القاهرة.. أثبتت بصورة قاطعة إستعمال مواد سريعة الإشتعال كالكيروسين والبنزين والكرات المعدنية (المحشوة بالمسامير) بعد غمسها بالبنزين وقذف واجهات المحلات بها.. وإستخدام البلط والأجنات فى فتح المحلات التى كان معظمها مغلقاً يوم السبت (محلات أجنبية) وبمجرد كسر المحلات يتم اشعال النيران بداخلها وباستخدام القطع المشتعلة لإشعال المحل بأكمله من الداخل.. واستعمال صفائح البنزين .. كما حدث فى اشعال سينما ريفولى حيث اكتشفت صفيحة بنزين مغلقة أما الشئ العجيب حقا فهو الاستعانة بعلب البنزين الصغيرة التى تستعمل لملء الولاعات التى تنتجها شركة شل الإنجليزية.. وبالرجوع إلى الشركة أفادت الإدارة ان مخزونها من بنزين التنظيف.. نفد منذ ١٨ ديسمبر.. ولم يكن منطقيا ان يتم تجميع العدد الهائل من هذه العبوات فى يوم واحد ولكنه أمر يحتاج لبعض الوقت.. فكان الرد مشبوها يحمل بعض الشكوك!!

أما البودرة الحارقة وهى مادة فوسفورية شديدة الاشتعال فلم تكن متوافرة للجيش المصرى ذاته.

إذن فالقاهرة لم تشتعل عشوائيا فى ثورة غضب عارمة ولكنها حرقت بأيد خبيرة والعملية بأكملها وراءها تنظيم محكم وتخطيط مدبر كما أكد التقرير الفنى لقومندان المطافئ أن الحوادث تمت بطريقة متشابهة والذى قام بالتنفيذ فريقا تم تدريبه على أعلى مستوى.. وفقا لخطة دقيقة.. لم يمض سوى ساعات قليلة حتى انتشر الخبر فبدأت السرقات واختل الأمن العام تماما.. ووقف البوليس عاجزاً عن حماية عاصمة أكبر دولة عربية.. ويعترف حكمدار القاهرة بذلك (لو اطلقنا رصاصة واحدة لقتلونا) يقول جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل الوطنى: «حريق القاهرة مهما يكن وراءه من تدبير المدبرين كان يمكن اطفاؤه ولكن ثورة السخط الشعبى زادته اشتعالاً.

«لقد كان منظر العاصمة وهى تحترق من أبشع المناظر فى كفاحنا ولكن الواجهة البشعة لم تكن إلا الستار الخارجى والحقيقة ان الجماهير التى اشتركت فى هذا المشهد البشع عبرت عن غير وعى عما يعتمل فى نفسها من الغضب والحقد».

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن لماذا عجزت حكومة الوفد عن حماية القاهرة؟ وما حقيقة الاتهامات التى وجهت لفؤاد سراج الدين وزير الداخلية بالإهمال وإنشغاله عن الحريق بشراء عمارة جورج عريضة التى تم تسجيلها فى الشهر العقارى؟!!! ولماذا حددت إقامته فيما بعد؟! هل كان لفاروق دور رئيسى فى الحريق أم أن الحريق كان هدفا أساسيا لزعزعة النظام السياسى وتقويضه نهائياً؟! لماذا تم تحديد موعد المأدبة الملكية يوم الحريق ولم يتم الإلغاء على الرغم من علمه بتفاصيل الحريق؟ ولماذا لم يدع وزيرا الحربية والداخلية وما السر فى تعديل موعدهما حتى اللحظات الأخيرة؟ وكيف لا يلام الملك ورجال الجيش والبوليس يحتفلون بقدوم ولى عهده ويستمعون إلى نطقه الكريم والقاهرة تحترق بأكملها فى الخارج فكيف على رائحة الدخان وألسنة النار يستمتعون بشرف الصحبة الكريمة لمولانا؟ وهل حقا رفض تدخل الجيش؟ ولماذا لم يطلب رجال الجيش والبوليس انفسهم من الملك إلغاء المأدبة للدفاع عن عاصمة بلادهم؟ هل يقتصر الأمر على سوء التصرف وربكة رد الفعل المفاجئ لواقعة غير مسبوقة فى تاريخنا الحديث أيمكننا ان نفسر الأمور تفسيراً منطقياً يضع الحادث فى مكانه الطبيعى دون مزايدة وطنية مفتعلة.. هل يمكن أن يقدم ملك.. مهما ساءت الأحوال وجنح به الخيال إلى التفكير فى حرق عاصمة ملكه مثل نيرون.. لكى يتخلص من حزب الوفد كما قيل؟ أكان عاجزاً عن إقالة النحاس؟ والآن وبعد هذه التساؤلات الملحة لا يسعنا إلا العودة إلى إحداث ذلك اليوم فى السجلات الرسمية والصحف اليومية.. نتابع تطور الأحداث وتسلسلها وتداخلها وملابساتها لعلنا ننجح فى استيعاب مسارها وكشف غموضها.

المأدبة الملكية



رزق فاروق بالأمير أحمد فؤاد بعد طول انتظار واشتياق كادا يقضيان على أمله فى ولادة ولى عهد من صلبه يرث عرشه ويخلفه فى ملكه حتى أن السفير البريطانى وعدوه اللدود لامبسون حدثه فى هذا الشأن بصورة مباشرة وأهمية أن يكون له أبن.

فلم يكن خافياً على بريطانيا الكراهية المتبادلة بين فاروق والأمير محمد على توفيق ولى عهده الذى كاد يقترب من السبعين.. الأمر الذى يهدد استقرار الملكية فى مصر ذلك النظام السياسى الذى ارتضته بريطانيا وأقرته سياستها الاستعمارية.. وحتى اللحظات الأخيرة لانهياره.. كانت تتمنى تغيير الوجوه برحيل فاروق وبقاء الإطار الملكى المذهب اطاراً شرعياً لبقائها فى مصر التى رفضتها حكومة وشعباً حين فصمت عرى الصداقة الوهمية وأنهت المعاهدة.. فلم يكن أمامها سوى الاحتفاظ بالكارت الأخير على الرغم من يقينها أنه خاسر لا محالة!!!

وفى السادس عشر من يناير ١٩٥٢ ولد أحمد فؤاد ولى العهد وآخر ملوك مصر حتى ١٨ يونيو ١٩٥٣ (تاريخ انتهاء الملكية رسميا) فقرر الديوان الملكى منح جميع المواليد فى هذا اليوم السعيد إعانه مالية والاحتفال برفع علم ولى العهد وإطعام أكثر من مائة ألف فقير وإعفاء الطلبة من المصروفات.. واستبشر فاروق خيراً.. واعتقد أن سعادته الحاضرة ستمحو أخطاءه الماضية من ذاكرة شعبه.. الذى احاطت به المتاعب السياسية والاقتصادية.. حتى بلغت مداها إبان ميلاد ولى عهده وقد شعر بالأسى وانحصار شعبيته بصورة افزعته حين خرج لتحية بعض الجماهير القليلة التى جاءت لتحيته.. من جهة أخرى نظم الديوان الملكى أربعة موائد ملكية احتفالا بقدوم ولى العهد نشرت فى الصحف المائدة الأولى للأسرة المالكة (١٩ يناير) والثانية لمجلس الوزراء وأعضاء البرلمان ورجال القضاء ورجال القصر (٢١ يناير) والثالثة لعلماء

الأزهر وكبار العلماء والحاشية العسكرية (٢٣ يناير) والرابعة لكبار ضباط الجيش والبوليس (٢٤ يناير) فاقترح الديوان تأجيل هذه المأدبة حتى لا يضطر الملك إلى حضور مأدبتين فى يومين متتاليين ومن ثم تعديل موعدها وقرر الملك دعوة جميع ضباط الجيش وضباط البوليس من رتبة صاغ (رائد) وفى ٢٥ يناير وجهت الدعوة إلى قيادات الجيش وابلغوها بدورهم إلى وحداتهم حددت الساعة الواحدة والربع لحضور المأدبة فى اليوم التالى ٢٦ على أن يتم الحضور إلى القصر الساعة الثانية عشرة والربع لتسجيل الأسماء فى سجل التشريفات والحضور ببدلة التشريفة.. ولم توجه الدعوة لوزير الداخلية فؤاد سراج الدين ومصطفى نصرت وزير الحربية.. وهو أمر غير مفهوم ربما اكتفى القصر بحضورهم مأدبة مجلس الوزراء ولكن ذلك لا ينفى غرابة عدم توجيه الدعوة لهما لحضور اجتماع الملك مع مرءوسيهما.

وهكذا أغلقت أبواب قصر عابدين على أكثر من خمسمائة ضابط وجميع قيادات البوليس ومأمورى الأقسام وقائد المطافئ والمرور وبلوكات النظام.. وفى غضون دقائق اخترقت رائحة الدمار والخراب قاعة الطعام الكبرى وفشل الاحتفال بولى العهد قبل أن يبدأ فقرر الملك إلغاء الوليمة الساعة الواحدة إلا الربع ولكن رئيس الديوان (حافظ عفيفى) ابلغه إن الإلغاء من الصعب تنفيذه بعد أن حضر جميع المدعوين.. وهى غلطة كبرى وسوء تقدير بالغ أفضى إلى اتهام الملك بسوء النية وتواطئه مع الانجليز فى إشعال الحريق.. وهو إتهام يفرض ذاته ويتحمل الملك تبعاته نتيجة لعدم اتخاذه القرار الحاسم بإلغاء المأدبة نظراً للظروف التى تمر بها البلاد.. وأى ظروف أكثر حرجاً وأشد بؤساً من احتراق القاهرة.. ومن المؤسف أن الملك غشيت بصيرته تماماً فى ذلك اليوم حتى أنه تحدث أمام الضباط وذكر أنه فكر فى إلغاء هذه الوليمة ولكنه أراد التحدث معهم فى أهمية الضبط والربط خلال تلك المرحلة الحرجة التى تمر بها البلاد ومذبحة الإسماعيلية التى وقعت فى اليوم السابق (٢٥ يناير) واضاف ان احداث الشغب لا يستفيد منها إلا الاعداء.. وبدأ تناول الغداء وحمل أحد الشمشرجية ولى العهد ومر به على الموائد فجلالته يهدى فلذة كبده وأعز ما يملك إلى جيش مصر وفى تمام الساعة الثانية والنصف انتهى الجميع من الغداء وغادر الجميع قصر عابدين من الأبواب الخلفية تجنباً للتعرض لأى مخاطر حيث ارتجت ساحة قصر عابدين بالهتافات منذ الصباح الباكر.. أما الشخص الوحيد الذى غادر القصر بعد ان علم بالحريق واعتذر لكبير الأمناء عن حضور المأدبة هو حكمدار القاهرة وللأسف الشديد لم يسلك أحد من ضباط البوليس مسلكه.. فانتشر الهرج والمرج والسرقات نتيجة لهذا الفراغ الأمنى أما الملك.. فقد تخلص من نزعته التمثيلية التى كانت تهيئ له القيام بمهامه الملكية بسهولة واتقان وبدأت علامات الهلع والفزع ترتسم على وجهه لتؤكد اضطرابه وتشهد زوجته ناريمان [106] بأن يوم الحريق كان من أسود أيام حياته اضطراباً وقد استبد به الخوف على وليده وفكر فى تجهيز طائرة هليوكوبتر لنقل ناريمان وطفلها إلى قصر القبة وتذكر ناريمان انهما ظلا ساهرين طوال الليل بأكمله وقد اعدا حقائبهما استعداداً لهبوب الأسوأ ويحدثها بمخاوفه صراحة وظل يتابع الحريق بنظارته المعظمة..



إذن كيف تورط فى الحريق كما يعتقد البعض للتخلص من حكومة الوفد.. الأمر الذى سخر منه حسن يوسف وكيل الديوان الملكى واستنكره بشده فيقول : لم يكن الملك بحاجة لحريق لكى يقيل النحاس فمن السهل جداً أن يصدر أوامره لى ويطلب منى إقالته [107] والذى لا يعلمه الكثيرون أن خلافا قد وقع بين الملك والنحاس فقدم الأخير استقالته يوم ٩ ديسمبر ١٩٥١.. ثم عادت المياه إلى مجاريها فإقالة وزارة الوفد لا تحتاج إلى حرق القاهرة بأكملها!! إذن لماذا رفض تدخل الجيش من البداية؟!

وبدأت التحقيقات وملأت أوراقها ملفات النيابة.. التى تصدت لقضية من أخطر قضايا الرأى العام محلياً ودولياً.. يقول محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى وأول رجل بوليس يصل للحادث حين سئل عن الصورة التى ألتقطت للضابط الذى يجلس بكازينو الأوبرا وكان سبباً فى اشعال المكان نتيجة لسلوكه الاستفزازى.. لم يستطع إبراهيم إمام الجزم بهويته هل هو ضابط بوليس أم جيش لأن الصورة التقطت من الخلف.. فهى صورة غامضة لا تؤكد أى شئ أو تنفيه.. ومن اللافت للنظر فى هذه القضية الشائكة عجز البوليس السياسى عن التنبؤ بأى بوادر تشى بوقوع المأساة وتلك أولى المهام المنوطة به. بل إن البوليس السياسى وقف موقف المتفرج فى واقعة فريدة منذ نشأته عقب وفاة بطرس باشا غالى فكان العجز تاماً.. والغموض الذى اكتنف موقفه عجيباً، ويزداد عجباً حين نستمع إلى أقوال عبدالفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية [108] «توجهت إلى قصر عابدين فى الحادية عشرة صباحاً لمعرفة الأحوال الداخلية.. لم تكن التجمعات الجماهيرية ضخمة.. ثم توجهت إلى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية واقترح نزول قوات السوارى وراكبى الخيول فربما كان مرورهم يحد من احتمالات اتجاه المتظاهرين للعنف ووافق سراج الدين على الاقتراح وفجأة بلغنا نبأ حريق كازينو الأوبرا فنزلت بسيارتى فورا إلى مكان الحادث الساعة ١٢,٤٥ فوجدت اللواء محمد إبراهيم إمام (رئيس البوليس السياسى) الذى سارع بقوله (الأمر بسيط.. اتفضل أنت!!) ويؤكد عبدالفتاح حسن أن الميدان لم يكن به مظاهرات ولا حتى اعداد كبيرة من الناس.

وفى أقوال فؤاد سراج الدين أمام النائب العام.. اتهم اللواء إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى بمخالفة التعليمات الصادرة له بتفريق المظاهرات حتى لو اضطرت الظروف لإطلاق النار.. وهو ما لم يفعله يوم ٢٦ يناير.. على الرغم من انه شاهد المظاهرات والحرائق بعينه منذ اندلاع حريق الأوبرا.. وهو تصرف غامض مبهم من رئيس البوليس السياسى المنوط به احكام قبضته على أى مظاهر شغب تجتاح البلاد!!! ويضيف سراج الدين : انه اتفق فى آخر عام ١٩٥١ مع حيدر القائد العام للجيش على استعانة البوليس ببعض وحدات الجيش فى حالة الطوارئ. وبناء عليه اتصلت به صباح ٢٦ يناير الساعة ١١,٣٠ [109] وأوضحت أن احوال البلاد تموج بالفوضى والاضطراب والغضب وأعربت عن رغبتى فى نزول قوات الجيش نظراً لظروف المظاهرات.. وفضل حيدر باشا إرجاء هذه الخطوة منعاً لحدوث أى تصادمات بينهم وبين الجماهير الأمر الذى قد يترتب عليه نفورهم وكراهيتهم للجيش.. ووعدنى بأنه سيصدر اوامره بهذا الصدد عند الضرورة (وقد انكر حيدر باشا هذا الاتصال فى اقواله أمام النائب العام) وفى تمام الساعة ١٢,٣٠ اتصل مدير الأمن العام بفؤاد سراج الدين وابلغه ان المتظاهرين اشعلوا كازينو الأوبرا وانهم يمزقون خراطيم الاطفاء.. وقوات البوليس المحدودة تتراخى فى أداء واجبها وان عدداً من جنود بلوكات النظام يشارك فى المظاهرات والتجمعات.. ونقل سراج الدين الصورة بأكملها لحيدر باشا فأجابه : ان قوات الجيش الموجودة فى القاهرة معظمهم حديثو التخرج.. يفتقرون9 إلى الخبرة وربما انضموا إلى المتظاهرين.. والأهم من كل ذلك ان نزول الجيش يستلزم موافقه الملك.. ثم اتصل مدير الأمن العام بسراج الدين واخبره أن البوليس احكم قبضته على ميدان الأوبرا واطلق النار على المتظاهرين. فسارع سراج الدين بالاتصال بحيدر.. فلا توجد ضرورة إذن لنزول الجيش.. ولكن الأخير كان قد توجه إلى القصر لطلب موافقه الملك (تمام الساعة الواحدة ظهرا) ووصلت المعلومة إلى حيدر واتفقا على وجود قوات الجيش فى وضع استعداد أيضا.

وبمجرد انهاء المكاملة كانت كل دقيقة تمر يشتعل فى القاهرة موقع جديد.. وانفلت الأمن العام تماماً وفقد سيطرته التامة وتأكد سراج الدين ان الحريق يتم وفقاً لخطة محددة.. فاتصل بالقصر الملكى

الساعة ١,٣٠ وطلب التحدث إلى حيدر باشا الذى كان يحضر المأدبة.. ونقلت إلى المتحدث حرج الموقف واهمية التحدث إلى حيدر باشا فى الحال واننى سأظل منتظراً على التليفون.. فأرسل الملك اللواء وحيد شوقى لكى يعرف سبب اتصال فؤاد سراج الدين لحيدر؟!! فشرح الحالة له وطلب نزول الجيش فوراً فالقاهرة تحترق وانتظر سراج الدين حتى الساعة ٢,١٥ ثم ذهب إلى القصر بنفسه ودخل القصر الساعة ٢,٣٠ أثناء مغادرة الضباط (بعد خراب مالطة) وصعد سراج الدين إلى مكتب رئيس الديوان حافظ عفيفى وطلب منه استئذان الملك فى نزول الجيش ثم انضم إليهما حيدر باشا وعرض الموقف على الملك فأصدر اوامره بنزول الجيش الساعة ٣,٤٥ واحتاج تنفيذ القرار فعليا لبعض الوقت ولكن الشئ المؤسف حقاً افتقاد التنسيق بين جهازى البوليس والجيش الأمر الذى أعاق مهمتهم فى بعض الأماكن، وفى ٨ مارس ١٩٥٢ نشر تقرير النائب العام الذى أدان خطبة وزير الشئون الاجتماعية عبدالفتاح حسن التى كانت العامل الاساسى فى تحلل مقاومتهم والتهاب مشاعرهم للقيام بهذا العمل الاجرامى.

ويتقدم السفير البريطانى بطلب اعتقال سراج الدين نظراً لتشجيعه للفدائيين فى منطقة القناة وامدادهم بالسلاح.. مما ترتب عليه إثارة الحماسة الوطنية بين الشعب واندلاع المظاهرات والحريق!! وطلب أيضا إعتقال عبدالفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية لأنه خطب فى المتظاهرين اثناء وجودهم فى ساحة مجلس الوزراء فانسابت مشاعر الجماهير المشتعلة محملة بالغضب الصريح فاشتعل الحريق.. أما السبب المباشر الذى طلب من اجله السفير اعتقال الوزيرين فيرجع إلى تعهدهما التنسيق بين الكتائب الفدائية المصرية.. وهى كتائب تمثل كافة الاحزاب (السعديون والوفد والاخوان المسلمين والطلبة والمستقلون وضباط الجيش) ونتيجة لحسن تنظيمها.. كان يخشى الانجليز تمرسها فدائياً بصورة قد تقضى على وجودهم تماماً فى منطقة القناة.. ويؤكد عبدالفتاح حسن براءته التامة من هذه الشبهة فالحريق الأول بدأ الساعة ١٢,٢٧ بينما انتهى من خطابه الساعة ٤,٤٥.. فكيف ينسى الانجليز له انه هدم ثكنات قصر النيل التى حوكم فيها عرابى وفى ٤ يناير عندما احترقت كنيسة السويس اشار بأصابعه إلى اتهام الانجليز وقال ان الحريق (بروفة) لمؤامرة أكبر.. فاحترسوا!!! وفى مارس ١٩٥٢ تم تحديد اقامة (سراج الدين وعبدالفتاح حسن) الأول فى عزبته فى بلبيس والثانى فى المحلة الكبرى.

واضاف بيان الداخلية الذى اذاعه وزير الداخلية المراغى «ان نشاطهما تجاوز المدى الذى يعيق الأمن العام فكان لابد من الحد من نشاطهم ووقاية البلاد من عواقب فتنة قد تنبعث فى البلاد.

وتبرير فؤاد سراج الدين لتداعيات الموقف فى أقواله أمام النيابة لم يبرئ ساحته أمام الرأى العام بصفته وزير الداخلية المنوط به حماية العاصمة وبذل أقصى طاقة لكفالة أمنها وسلامتها وعلامة الاستفهام الأولى التى تصدرت غموض موقفه فى ذلك اليوم العصيب تتلخص فى الآتى : إذا لم يخرج وزير الداخلية من مكتبه فى الوزارة لاستطلاع الأحوال الأمنية بالعين المجردة وإصدار اوامره المباشرة وفقاً لهذا الواقع الفعلى الأسود. إذا لم يقم وزير الداخلية بجولة استطلاعية والقاهرة تحترق فمتى يفعل هذا!!

ويذكر عبدالرحمن الرافعى (١١٠) ود. حسين هيكل أن سراج الدين كان مشغولاً بتوقيع عقد شراء عمارة رقم ٢٣ شارع عبدالخالق ثروت من شخص يدعى جورج عريضة بمبلغ ثمانين ألف جنيه.. وتم توثيق العقد فى تمام الساعة الواحدة والنصف ظهراً بحضور مدير الشهر العقارى الذى انتقل خصيصا الى الوزارة وأجرى التوثيق فى هذا الوقت العصيب!! ونحن لا نملك دليلا يبرهن صحة الواقعة وان كان الرافعى يمتاز بموضوعيته ودقته فى رصد الأحداث التاريخية ولكننا لا يمكننا اغفال عامل الحزبية الذى قد يصبغ آراءه وقد عرف بتمسكه بمبادئ الحزب الوطنى.. وتحامله فى بعض الأحيان على حزب الوفد

ولكن هل تحامل أيضا د. حسين هيكل على فؤاد سراج الدين وبنفس الادعاء!! أغلب الظن ان الواقعة تحمل قدراً كبيراً من الصحة وقد اعترف فؤاد سراج الدين (١١١) فيما بعد بصحتها لكنه اختلف مع خصومه فى تفسيرها حيث أكد ان توقيع العقد قد تم تحديده سلفا مع بائع العمارة الذى حضر خصيصا من الاسكندرية إلى القاهرة ولم يستغرق التوقيع أكثر من نصف دقيقة.. ويبرر عدم خروجه من وزارته فى ذلك اليوم حتى تتهيأ خطوات مركزية القرار الوزارى فى سهولة ويسر وقدلا يتحقق شيء من هذا فى حالة انصرافه لمتابعة الحريق ومغادرة مكتبه شأن بقية مرءوسيه!! عموما الواقعة بملابساتها لا تمحو تاريخ الرجل السياسى ولا تنفى وطنيته ومواقفه البطولية.

يكفى أنه غامر وهو وزير داخلية وأصدر أوامره بوضع الأسلحة التى يتم تجميعها للفدائيين فى مخازن البوليس ونقط البوليس فى منطقة القناة تجنبا لمصادرتها إذا داهم الانجليز مواقع الفدائيين.

على أن وحشية الحريق وبشاعته دفعت معظم السياسيين إلى انتقاد الحكومة فاستنكروا غيابها.. قال البعض إذا طاف وزير الداخلية ومعه بعض أعوانه وعدد من ضباط البوليس المسلحين.. ربما أخافوا المتظاهرين وقمعوا حركة المخربين وفروا هاربين لاحتمال إلقاء القبض عليهم. «فالسلطة هيبة فى المقام الأول وليست سلاحا فقط».

وقد أقر اللواء مراد الخولى حكمدار بوليس (١١٢) مصر بأن قوة البوليس كانت ضعيفة ومعظمهم عساكر دورية الليل (٩٠٠ عسكرى) يبدو عليهم التعب والاعياء فقد كانت هذه القوة ساهرة طوال الليل لأنها كانت فى الخدمة فهى منهكة القوى.. لا تكفى لمقاومة سكان القاهرة (٤ ملايين آنذاك) والكارثة الكبرى انها قوة منزوعة الرصاص يقول: فلم يكن معنا رصاصة واحدة ولو حدث لقضوا على البوليس بأكمله لأن الجمهور كان أكثر من البوليس بخمسين مرة على الأقل.. المواطنون كانوا يعتقدون ان هذا العمل وطنى فكانوا متحمسين لاشعال الحريق وقطع خراطيم المطافئ.. وانهم بذلك ينتقمون من الانجليز. وكان هذا سبباً كافيا لإقالتى من الخدمة أننى لم أطلق رصاصة واحدة!!! إذن فتقصير الحكومة وعجزها لم يعد موضع خلاف ولكنه ساحة لتبادل الاتهامات.



والآن نأتى لمرحلة سماع الأقوال وتفنيد الاتهامات لكل الأطراف ونبدأ بالملك الذى اتهم الشيوعيين ولكن ماذا عن اتهامه شخصياً بتدبير أو تدعيم الحادث؟

تذكر (١١٣) الوثائق البريطانية ان الملك استدعى السفير الأمريكى كافرى يوم ٢٦ يناير فى الرابعة مساء وأعرب عن مخاوفه وأن شبح ٤ فبراير مازال ماثلاً أمامه وأعرب عن حرج الموقف وخطورة الأوضاع وانتقد الانجليز. وتحدث الملك مع السفير البريطانى بشأن احداث ٢٦ يناير وأخبره انه أرسل احد الضباط الى موقع الجيش المصرى عن طريق السويس ليتأكد بنفسه من تنفيذ أوامر الملك بشأن عدم مقاومة الجيش إذا تحركت القوات البريطانية بإتجاه القاهرة وقال للسفير حين تطرق الحديث عن الجيش إنه يوجد حوالى اثنا عشر ضابطا من غير الأكفاء سوف يطردون من الجيش وأن احدهم قد اشترك فى المظاهرة التى قام بها البوليس صباح ٢٦ يناير.

وفى ٣٠ يناير (١١٤) التقى السفير والملك : «استقبلنى الملك ظهر اليوم ووافق معى على أن الشيوعيين هم العقول المدبرة للحادث وأنهم استخدموا الحزب الاشتراكى وقد علم جلالته باستعدادنا لتحريك قواتنا نحو القاهرة.. وأعطانى تأكيدا قاطعاً بأنه فى حالة استمرار الفوضى كان سيخبرنى بالقطع ولم يكن ليتردد فى طلبه هذا يوم الأحد (اليوم التالى للحريق) إذا ساءت الأمور.

وأكد انه سوف يتخذ بعض الاجراءات لإخماد الصحف المتطرفة وفيما يتعلق بأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي فقد طلب منى الا ننشغل به كثيرا؟! فلن تكون محاكمته أمراً مفيداً والأفضل اتخاذ بعض الإجراءات الأخرى.. حيث تم القبض على عدد لا بأس به من المعتقلين السياسيين.

وفى برقية اخرى [١١٥] بعث السفير لخارجية بلاده يقول : انتقد الملك موقف فؤاد سراج الدين فهو يرى أنه ارتكب خطأ جسيما عندما هاجم الجيش وحاول تبرير اعماله الخاصة!! ربما يعنى الملك واقعة شراء العمارة فالعبارة ليست صريحة.

يقول [١١٦] السفير كان الملك مشمئزاً عواطفه محبطة من موقف البوليس لكنه كان شديد الإعجاب بالجيش وسعيد جداً أيضا لأنه استطاع أن يتخلص من الوفد فى اللحظة التى انحدر مركزهم فيها إلى الصفر وبصفة عامة فقد كان يشعر بالخوف يوم ٢٦ يناير ولكنه استعاد هدوءه وثقته بنفسه.. فهو شخصية متقلبة ومشاعره ورغباته عمرها قصير.. عموما فقد تلقى درسا قاسياً قد يستفيد منه مستقبلاً ويأخذ مسئولياته بصورة أكثر جدية!!!

يقول فتحى [١١٧] رضوان السياسى الكبير ورئيس الحزب الوطنى الجديد فى شهادته للتاريخ عن الحريق أنا لا ابرئ الملك من الحريق لنبله ولكن بحكم موقعه فهو على قمة السلطة ومن الطبيعى أن يخشى أى شغب او اضطرابات ولكنه كان ينازعه شعور آخر بالإحجام عن مساعدة حكومة الوفد فربما ورطها فى المزيد من الأخطاء : هذه العبارة الموجزة لفتحى رضوان تلخص موقف الملك بإختصار شديد مقنع.. وكما رأينا من خلال برقيات السفير البريطانى فقد كان يعتزم الاستعانة بالانجليز إذا تدهور الموقف فى اليوم التالى.. على الرغم من كراهيته الشديدة لهم كما أثبت سفراؤهم ورئيس وزرائهم الشهير «تشرشل» فى وثائقهم.. فكيف يشعل حريقا يعجز عن اخماده ويهدد به عرشه وحياته وحياة وليده، ولا يعنى هذا أنه لم يتورط فى الحريق..فقد تورط فعليا من خلال سوء تقديره وحماقة تصرفه.. حين مضى فى الإعداد لوليمة الغداء كما تقدم، وليس من المستبعد ان يكون لبريطانيا دور ما فى تزامن الحريق مع الوليمة خاصة إذا علمنا أنها أقدمت على هذه الفعلة التى تتوافق مع سياستها الاستعمارية الرادعة.. رداً على الغاء المعاهدة، أما المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى فيؤكد انه عمل محلى قامت به بعض العناصر الرديئة من الشعب وينفى تورط فاروق أو الانجليز فى الحادث مثلما ثبت تدبيرهم لمذبحة الاسكندرية عام ١٨٨٢.



نوبية تتنبأ بحريق القاهرة

وازاء تلاحم الوقائع وتشابك الأحداث واختلاف الرؤية وتناقض بعض شهادات السياسيين وهو غالبا ما يحدث فى الحوادث الكبرى.. فقد استمع الاستاذ جمال الشرقاوى إلى أربعة شهود عيان من مهن مختلفة من رواد كازينو الأوبرا بعضهم اعتاد الجلوس فيه ما يقرب من الأربعين عاما مثل الفلكى عبدالحليم الطويل [١١٨] وعن ذكرياته فى هذا اليوم المشئوم يقول : الساعة الثانية صباحا يوم ٢٦ يناير كنت فى زيارة لمنزل صهرى وبعد ان شربنا القهوة جاءت إمرأة نوبية يعرفونها وقرأت لى الفنجان ثم قالت : أنت بتقعد فى مكان يشبه وابور البحر لكن المكان عليه دخان كثير.. قلت لها بلاش تخريف وضحكنا.. وصافحتهم وتوجهت إلى مكانى المفضل (كازينو بديعة) وعندما وصلت إلى الميدان وجدت النيران والدخان يتصاعد من الكازينو ولأول مرة أكتشف انه يشبه الباخرة أو وابور البحر.. فآمنت بأن ما قالته النوبية لم يكن تخريفا ومنذ ذلك اليوم بدأت أدرس علم الفلك والتنجيم وأصبحت فلكيا!!!

أما الذين كانوا يحرقون فهم جماعة من الرعاع لا يتجاوزون الثلاثين ثم بدأ العدد يزداد.. واكتفى البوليس بالفرجة وجاءت المطافئ وكانت هى أيضا كسلانة ومزق الناس خراطيمهم.. ولم تكن هناك أى مظاهرات مجرد مجموعات من أولاد الشوارع تتجمع وتهيص!! ويؤكد الشاهد الثانى (صالح أحمد على) الذى كان يقيم بفندق الكونتننتال المواجه لكازينو الأوبرا شهادة الشاهد الأول (لم نشاهد أى مظاهرات اثناء الحريق لذلك لم نعرف سببه!!!) وأكد الشاهد الثالث الشهادتين السابقتين.. أما الشاهد الرابع (أحمد فؤاد ندا) فقد انفرد بأنه شاهد الشخص الذى كان يقوم بتنفيذ حريق الكازينو يرتدى حرملة ويضع مخلة على ظهره محملة بالبودرة الفوسفورية الحارقة ويضيف سألت بعض الناس عن سبب الحريق قالوا انهم يحرقون المحلات الأجنبية والملاهى علشان حوادث الإسماعيلية ثم تدخل بعض الناس واشتركوا فى الحرائق التى انتشرت ثم توجهوا إلى عمارة الايموبيليا وهناك التقيت بهذا الشخص وجها لوجه طويل القامة مكان ياقة القميص ظاهر فى رقبته من أثر الشمس مما يدل على أنه يرتدى بدلة دائما وجهه أحمر.. أكاد أجزم أنه غير مصرى، وكان فندق شبرد آخر مكان رأيته فيه.. فقد حاولت اقناع الناس بمنع التخريب والسرقة فشغلنى هذا عن ملاحقة الرجل.. اثناء اشتعال الحرائق وصلت المظاهرات ميدان الأوبرا وكان فى المظاهرة عساكر بلوكات النظام فربط الناس بين الحريق والمظاهرات فاعتقدوا أنه عمل وطنى!!! بالاضافة لهذه الشهادة فقد تفشت سلبية الجميع نتيجة تعاطفهم أيضا مع المنشآت التى احترقت ومعظمها محلات يملكها الانجليز والأجانب وهو تفكير عاطفى وخاطئ أيضا فهذه المحلات تمثل جزءا من أرض مصر الغالية وان تملكها الآخرون.

ويذكر الكاتب الكبير فكرى أباظة موقفه الإيجابى من الحريق فيقول : كنت أحد قاطنى عمارة الايموبيليا فاحترق مطعم الايرميتاج فى الدور الأول.. أما الدور الثالث فكان مقر شركة كيماويات وفى الحال جمعت بعض البوابين الجبناء ونهرتهم واستعنت ببعض السكان ثم هجمنا على العيال فهربوا واستطعنا اطفاء الحريق فى المطعم وانقاذ العمارة بأكملها من الحريق ومعظمهم أولاد من الطبقة المتواضعة لا يوجد فرد ذو حيثية تمكنه من تولى الزعامة واصدار الأوامر انها قضية غامضة حاولت مراراً أن أؤرخها فلم أجد ما استند إليه.

فى قفص الإتهام

انتهى العهد الذى يظن فيه الحكام أنهم قادرون على البطش بالشعب عن طريق البوليس والجيش والنيابة ستأتى ساعة تتكتل فيها هذه القوى الثلاث ضد الحاكم نفسه. ففى يوم من الأيام بينما تدعو النيابة إلى قطع رقبة إنسان ستتحول نحو الحاكم نفسه لتقول له بل رأسك أنت التى سوف تقطع كما حدث أيام روبسبير الذى وقف يطالب القضاة بقطع رقبة الخونة فطالب القضاة برقبته هو لأنه «الخائن الأعظم».

على أى اساس تظل السينمات تستقبل عشرات ومئات الألوف من رواد اللهو وقطع الوقت كأنه ليس هناك حرب فى القنال.

هل ستظلون أيها الوزراء.. هل ستظل يا مصطفى النحاس تعيش فى الهانك والرنك والأفراح والزينات.. وهل حفلات الغناء والهناء تشنف الآذان وأندية القمار تجرى لمستقرها.. ان شعور الغضب الذى تملك الشعب الآن لا أول له ولا آخر وهو يبحث عن منفذ لينطلق منه.. ولو استمرت الحكومة أسبوعاً واحداً على أسلوبها الذى سارت عليه الآن فإن الإنفجار سيتم ضد الحكومة نفسها وينسفها نسفا.

ونشرت «الشعب الجديد» مقالا بعنوان «بنك باركليز الانجليزى - اسحبوا أموالكم منه» وآخر بعنوان «قاطعوا سينما ريفولى.. خائن وحقير كل من يدخل سينما ريفولى».

تلك هى المقالات التى كتبها أحمد حسين (رئيس الحزب الاشتراكى) وأكثر الصحفيين تطاولاً على الذات الملكية نشرها على صفحات جريدته مصر الفتاة فى نهاية عام ١٩٥١، واتخذتها النيابة ذريعة

أساسية فى إتهام أحمد حسين [119] فى القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا والتى عرفت باسم (قضية التحريض على حريق القاهرة) حيث أدانته النيابة بوضع النار عمدا فى محل الأمريكيين والانجلو اجيبشان وسينما ريفولى.. وبنك باركليز وجميع الحرائق التى وقعت فى مدينة القاهرة. وذلك بدافع العداوة للنظام السياسى والاجتماعى القائم، عقد النية على إحداث فتنة ترتكب فيها الجنايات والجنح ويختل الأمن على نطاق واسع وقد دأبت الجريدتان «مصر الفتاة» «والشعب الجديد» لسان حال الاشتراكية والمعبرتان عن سياسته دعوة البوليس إلى العصيان وتحريض رجال الجيش على عدم الطاعة والعيب فى حق الذات الملكية المصونة وتحريض العمال والفلاحين على الثورة. وانتهز فرصة إلغاء معاهدة ١٩٣٦ مستغلا حساسية الجمهور ودفعه نحو الفتنة.. ووقع حادث الإسماعيلية ٢٥ يناير واستغله فى التحريض ووجد المتهم فى تمرد بعض قوات البوليس الفرصة التى كان يتحينها.. كما ثبت أن المتهم الأول (أحمد حسين) مر فى سيارة أوقفها فى شارع سليمان باشا حين كان الجناة يحرقونه فما أن رآه بعضهم حتى هتفوا (الزعيم.. الزعيم.. ووقف بعضهم معه.. كما مر فى سيارة فى شارع الملكة مع شخص يحمل سارية عليها العلم المصرى وقت إشعال عمارة الشواربى وكان الجمهور يقول : يحيا أحمد حسين.. تحيا الاشتراكية) وصدر قرار اتهام أحمد حسين مدعماً بقائمة [120] تضم ثمانية عشرة شاهد إثبات.. بعضهم شاهده بسيارة ستروين سوداء ولم يجزم أحد من الشهود انه شاهد أحمد حسين ولكن شاهدا واحدا ذكر انه شاهد أحمد حسين بنفسه ولكن عندما عرض عليه المتهم أشار إليه وقال إنه يشبه الشخص الذى كان يركب سيارة يوم الحادث، كما شاهده شخص آخر يدعى (جلال لطفى) يركب سيارته ويتجول بها فى شوارع القاهرة يوم الحريق وهكذا حددت النيابة ابعاد المؤامرة وحصرتها فى اتهام أحمد حسين بحريق القاهرة عن طريق الاستعانة بكتائبة فى الشرقية واستغلال ظروف البلاد للاستيلاء على الحكم بالتفاهم مع الإنجليز بعد ايقاف الكفاح المسلح فى القناة وهى تهمة عظمى.. لم تجد ما يؤيدها من أدلة وقوانين جنائية فكيف اختزلت أسباب حريق هذا اليوم العصيب اللهيب المروع فى نشر ثلاث مقالات تحريضية.. لم تكن أعنف ما نشرته الصحافة خلال حملتها السياسية والاجتماعية ضد الفساد فقد نشرت عبارات تفوق فى سلاطتها وجراتها ما نشر فى هذه المقالات، فعلى سبيل المثال كتب إحسان عبدالقدوس عام ١٩٥١ مقالا فى روزاليوسف عنوانه «دولة الأغوات وحملة القمائم وتنابلة السلطان» سجن بسببه وأفرج عنه بكفالة مائة جنيه وفى نفس العام كتب فتحى رضوان مقالا بعنوان «عهد الكلاب» تعرض بسببه لتهمة العيب فى الذات الملكية.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هل الرعاع الذين انخرطوا فى أعمال التخريب والحرق والتدمير يقرأون هذه الصحف.. صحافة النخبة المثقفة الاشتراكية ولماذا اختصته النيابة بهذه التهمة إستناداً إلى شهود عيان لم تبرأ شهادتهم من الشكوك والالتباس؟ هل وجدت النيابة ضالتها فى الرجل الذى انفرد تاريخه الصحفى بالحد الأقصى من المعارضة والهجوم وسلاطة اللسان، ففى عام ١٩٥١ وجهت له خمس اتهامات بالعيب فى الذات الملكية.. ولكن متى توجه هذه التهمة إلى البعض وما هى المعايير التى تحدد الاتهام؟

فى عام ١٩٤٦ أرست محكمة النقض مبدأ قانونياً هاماً أقرت فيه «أن توجيه اللوم إلى الملك أو مجرد إلقاء المسئولية عليه ولو كان ذلك مسوقا فى قالب من الإجلال والإكبار معاقب عليه، فالملك لا يكون محل مساءلة. وقد دأب أحمد حسين على مهاجمة النظام الملكى على صفحات جريدة مصر الفتاة من خلال مانشيتات مستفزة ملكيا ومثيره شعبياً فكتب يقول : «جريدة الفيجارو تسأل هل لعب القمار من الدين الإسلامى»، «كيف قضى لويس الخامس عشر على سمعة الملكية فى فرنسا»، «حيدر وكريم ثابت وبولى والنقيب وأمثالهم يجب تطهير أداة الحكم من هذه العصابة».

وهكذا أصبحت العبارات سافرة تكاد تسقط لغة الغمز واللمز تماماً من كلماتها فلم يكن غريباً ان يصدر قرار مجلس الوزراء بإلغاء (مصر الفتاة) فى يناير ١٩٥١ وفى يونيو من نفس العام الغى مجلس الدولة قرار الالغاء وصدرت الجريدة مرة أخرى فى طبعة جديدة ساحقة ماحقة لكل نقائض العهد شاركت فيها مجلة «الشعب الجديد» بسلسلة مقالات نارية.. كان أحدها سبباً فى القاء القبض على إبراهيم شكرى وللمرة الأولى فى تاريخ الحياة البرلمانية يتم القاء القبض على عضو برلمانى اثناء انعقاد الدورة البرلمانية.. وهكذا لم تفلح جميع أساليب الردع التى اتخذتها الحكومة فى اثناء الرجل عن تأدية رسالته.. وفى عدد مميز جداً صدرت مصر الفتاة تحمل فى صدر صفحاتها صوراً لأفراد غاية فى البؤس والشقاء والعناء يمثلون الشعب المصرى.. وكان العنوان كافياً لفتح بوابات السجن العتيق «رعاياك يا مولاى.. أيها المواطن أنت معرض لهذا المصير».

وفى أقواله أمام النيابة أكد أحمد حسين إنه كان ملازما الفراش ولم يغادر منزله فى ذلك اليوم ويستطرد قائلا «اتصلت بعلى ماهر [121] بعد سماعى الأخبار وطلبت منه أن يبذل جهوده لكى يقيل الملك حكومة الوفد لأنها سبب كل الكوارث التى تحدث.. ثم اتصل بادجار جلاد باشا وتأكدت النيابة من اتصاله بعلى ماهر فى بيته الساعة ١٢,٣٠ قبل بدء الحريق الفعلى.. ومن خلال التحقيقات المتشعبة.. لاحظ أحد ضباط المرور وجود سيارة ستروين سوداء أثناء عملية الحريق فدون أرقامها وتبين بالبحث أنها تخص شخصا يدعى (على عبدالحليم هاشم) ولم ينفى وجوده برفقه صديق له بسيارته فى الأماكن التى ذكرها الشهود.



وتولى جمال العطيفى التحقيقات.. وجاء تقرير البوليس السياسى ليضع علامات استفهام جديدة ويضيف المزيد من الغموض إلى الموقف المتشابك.. حيث ثبت أن الشخصان اصحاب الستروين السوداء ليس لهما أى نشاط سياسى ومن خلال البحث الدءوب والقراءة المتعمقة لأوراق القضية ومن خلال عملية عرض المشتبه فيهما (أحمد حسين) و (على عبدالحليم هاشم) اللذين تضاربت حولهما الآراء فيما يتعلق بوجودهما فى السيارة الستروين السوداء تعرف أحد الشهود على (على عبدالحليم هاشم) وقال انه هو الذى كان يركب السيارة ظناً منه أنه أحمد حسين والشاهد الوحيد الذى أكد انه شاهد أحمد حسين لم تجر النيابة عرضا يتعرف فيه على أحمد حسين!!!

وهكذا تضاربت أقوال الشهود ونكتشف أن على عبد الحليم هاشم كان يشبه أحمد حسين بصورة كبيرة تحتمل الخطأ والإلتباس بالنسبة لعامة الناس.. وقد أدرك البوليس السياسى ذلك منذ البداية [122] فلم يسمح بتصوير على عبد الحليم ومن ثم لم تنشر صوره فى الجرائد على الرغم من تتبعها لأحداث القضية أولاً بأول حتى لايدرك الرأى العام هذا السر: ويضيف الأستاذ جمال الشرقاوى قائلاً: شاءت الظروف ألا يجتمع الرجلان فى مكان واحد.. أثناء نظر القضية نظراً لإضراب أحمد حسين عن الطعام وعدم حضور الجلسات.. ومن ثم أفرج عن على عبد الحليم هاشم وصديقه.

وأدين أحمد حسين أمام الرأى العام وبشهادة الشهود.. ورضاء القصر ومباركة الإنجليز وتوتر الموقف وطلب أحمد حسين رد المحكمة ووجهت النيابة إليه تهمة التحريض بطريق النشر.. فأضرب أحمد حسين عن الطعام وأصر على عدم محاكمته أمام محكمة عسكرية وبالفعل اكتفت المحكمة بتهمة التحريض بطريق النشر وأسقطت الشق الجنائى من قرار الإتهام.. وأجلت الجلسة حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢!!! فأطيح

كتاب تذكارى

بالملك وصدر قانون العفو السياسى وشمل جميع الجرائم السياسية كما سقطت قضايا العيب فى الذات الملكية واصرت حكومة على ماهر على استمرار التحقيق فى قضية أحمد حسين فالحريق من وجهة نظره حدث خطير يتابعه الرأى العام العالمى.. وبعد قيام الثورة تقدم أحمد حسين بتظلم من استثنائه من قانون العفو بالاشارة إلى مادتين من قانون العقوبات.. ثم شمله العفو وصدرت أحكام لصالحه اعتبرت أحكاماً بالبراءة.. يقول أحمد حسين ان السادات زاره فى السجن ثلاث مرات باسم مجلس قيادة الثورة واخبره ان جمال عبدالناصر يعتزم الإفراج عنه فى أقرب وقت ويضيف أحمد حسين : جمال عبدالناصر كان يعتبرنى استاذه فى مصر الفتاة [123] وأنا مدين له بحياتى لانه لو لم تقم الثورة لكنت قد أعدمت.. ان حريق القاهرة جريمة تقع مسئوليتها على عاتق الملك ووزير الداخلية (سراج الدين) أما الوفد [124] فكان يخوض الكثير من المعارك مع الملك ولم تكن نعلم بها وكثيراً مما هاجمنا به فواد سراج الدين لم يكن صحيحاً وقد اعتذرت له على صفحات احدى المجلات اللبنانية.. كنا نعتقد أن الوفد عدونا الرئيسى مع الإنجليز والملك وانه الحاجز بيننا وبين عدونا كنا نريد إزالة هذا الحاجز.

فإذا لم يكن أحمد حسين هو الفاعل الحقيقى.. فمن الذى حرق القاهرة؟

الضباط الأحرار والإخوان والحريق

أتسعت دائرة الإتهام بين الحركات الأيدلوجية والأحزاب السياسية وسرعان ما ظهرت صلة الضباط الأحرار بأحداث الحريق.. فهم التنظيم الوحيد المسلح الذى تتوافر فيه القوة اللازمة للاضطلاع بمثل هذا العمل.. ولم تثبت الأيام صحة الاتهام.. وان كانت لم تثر أو تناقش إلا بعد قيام الثورة فمن خلال التعارف بينهم وبين الإخوان المسلمين أثناء فترة الكفاح فى القناة بعد إلغاء المعاهدة بدأ الإرتباط السرى بينهما فى بعض كتب التاريخ تقترن أحداث الحريق بعلاقة جمال عبدالناصر بالإخوان وحسنى العشماوى على وجه الخصوص ولنترك الحديث لخالد محيى الدين - العضو البارز فى تنظيم الضباط الأحرار آنذاك : يوم الحريق[125] عقدنا اجتماعاً فى منزل حسن إبراهيم وابلغنا جمال عبدالناصر انه تعرف على عبدالمنعم النجار وهو ضابط بالمخابرات وله صلة بنا وتربطه صلة قرابة بالملكة ناريمان فاستخدامه عبدالناصر لإيصال رسالة للملكة ومن ثم للملك فحواها «ان اشتعال القاهرة دون وجود أى وجود للبوليس.. فى الوقت الذى اصبح فيه الملك لا يملك سيطرة فعلية على الجيش.. فإذا كان الضباط الأحرار (قوة يعتد بها) لاستطاعوا أن يستولوا على البلد لانه لم تكن هناك سلطة فى ذلك اليوم.. وهذا أكبر دليل على أن تنظيم الضباط الأحرار تنظيم ضعيف لا قيمة له.. وبالفعل بلع الملك الطعم ودعم حيدر باشا - المخادع الكبير - هذا الإتجاه ويستطرد خالد محيى الدين فى حديث ذكرياته «كان لدينا أسلحة ومخازن ذخيرة لابد من نقلها يوم الحريق وبالفعل نقلناها إلى منزل مجدى حسنين» (أمين صندوق الضباط الأحرار ومؤسس مديرية التحرير) ومن هناك وزعت على الإخوان الشيوعيين واضطررنا إلى إلى اخفاء ماكينة الرونيو التى كنا نطبع عليها المنشورات عند «منظمة حدتو» لأننا توقعنا أن تتم مراقبة الضباط الأحرار.



أما ما تردد من مشاهدة عبدالناصر فى مواقع الحريق.. فهو رجل سياسى [126] يجب أن يرى ما يحدث.. لكنه لم ينزل ليحرق فهذا ضد مصلحتنا كضباط أحرار وهو إتهام بلا قرينة كل ما فى الأمر أن عبدالناصر كان يريد أن يعرف ما يحدث هل هى حركة شعبية أم ثورة، وفهمى لعبد الناصر يجعلنى أتصور ما جال بخاطره لقد سأل نفسه ألا يحتمل أن تكون هذه حركة مدبرة للإستيلاء على السلطة فقد كانت لدية فكرة ثابتة وهى ان الشيوعية قوة سياسية ليست للحرب وإنما للفكر والإقناع والدعاية والمنشورات أما «الإخوان» فللعمل الفدائى والعسكرى.. فسؤاله الإخوان بهذه الكيفية له مدلول خاص لإنه لو سألهم هل أنتم الذين تحرقون الإجابة ستكون لا.. وإنما إذا سألهم فى صيغة المستعد للمشاركة فسيتلقى منهم الإجابة الصحيحة بدون تحفظ.

وعن صلة الضباط الأحرار بأمريكا ينفى خالد محيى الدين وجود أى علاقة فى يناير ١٩٥٢.. ويشير إلى أن الصلة بدأت فى مارس ١٩٥٢ يقول : شعرت بذلك قبل قراءة كتاب «مايلز كوبلاند» من خلال ملاحظتى لموقف عبدالناصر من الاتجاه اليسارى.. حيث بدأ ينتقد التفسير العلمى للتاريخ ويكتب المنشورات بنفسه بعد ان كنا نكتبها.

وفى حديث ذكرياته يسترجع أحمد حمروش ذكريات ذلك اليوم الكئيب ويقول : اقترح عبداللطيف البغدادى فى اجتماع التنظيم يوم ٢٦ يناير الاستيلاء على الحكم واستغلال وجود الجيش فى المدينة.. ورفضت الهيئة التأسيسية وجمال عبدالناصر القيام بأية عملية رد فعل وقرروا جميعاً أن الوقت غير مناسب للاستيلاء على السلطة فغضب البغدادى ولزم بيته!!!

ويؤكد جمال عبد الناصر وجوده فى هذه المعمعة «يوم ٢٦ يناير نزلت بالليل بسيارتى ومررت على وحدات الجيش فى القاهرة حيث كان التجول ممنوعاً.. يرافقنى صلاح سالم وعقدنا اجتماع لما سمى بعد ذلك مجلس قيادة الثورة وبعد الاجتماع نزلنا لنتصل بأكبر عدد من الضباط ونقول لهم «لاتضربوا فى الشعب».

فإذا تطرقنا للحديث عن علاقة الإخوان بالحادث فلا يمكننا اغفال المسحة الدينية التى اكتنفت بعض الحوادث وكانت سبباً مباشراً لإتهامهم دون وجود قرائن فعلية أيضاً.. فقد استند الإتهام إلى اسباب ظاهرية كتدمير البارات والكباريهات وغيرها من دور اللهو بالاضافة لشائعة وجود أحد أعضاء الإخوان البارزين وقد أتخذ موقعاً قيادياً أثناء حريق الأوبرا..واستبعد سراج الدين الاتهام ولم تتوصل تحريات اللواء/ إبراهيم إمام (رئيس البوليس السياسى) إلى اشتراكهم فى حوادث هذا اليوم.. بينما يؤكد صالح عشماوى رئيس تحرير جريدة الدعوة ان شحنة الأسلحة التى نقلها عبدالناصر لمنزل حسن العشماوى يوم الحريق كانت بهدف مساهمة الضباط الأحرار فى نشاط كتائب الفدائيين فى قناة السويس ويفسر سبب عدم ضرب حركة الإخوان بعد الحريق مثلما حدث مع الحزب الاشتراكى والوفد.. أن القصر كان يدرك جيداً أن الإخوان المسلمين هم القوة الشعبية الثانية بعد الوفد فمن المستحيل ضرب قطبى الجماهيرية الوطنية فى آن واحد.

حريق القاهرة فى الوثائق البريطانية

أشرنا إلى موقف بريطانيا بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، والمعاناة التى واجهتها بسبب حرج موقفها دولياً ومحليا وتزعزع نفوذها فجاء حريق القاهرة وقلب الأمور رأساً على عقب وبين عشية وضحاها أصبحت هى المستفيد الأول من الحريق الذى قضى على حركة كتائب الفدائيين فى منطقة القناة وفى أول مقابلة بين على ماهر والسفير البريطانى بعد الحريق طلب الأخير حل كتائب الفدائيين نهائيا فى منطقة القناة.. فى الوقت الذى حاولت فيه القوى الوطنية تناسى خلافاتها وصحت من غفوتها الحزبية.. أعلن على ماهر أن سياسته ستكون امتداداً لسياسة «سلفه العظيم» مصطفى النحاس وبعد مرور عدة أيام على الحريق تلقى على ماهر خطابا مجهولا من أحد الأشخاص:

تحية طيبة... احيطكم علما [127] إننى أثناء تجوالى بسيارتى يوم ٢٦ يناير الماضى بالقرب من فندق شبرد وجدت سيارة بها سيدة متوسطة القامة والعمر بجوارها رجل بنفس المواصفات يبدو أنهما أجنبيان ورأيت غلمانا مصريين يحومون حول هذه السيارة وكانت السيدة والرجل يوزعان نقوداً على هؤلاء الغلمان وكان البعض راكباً دراجة والبعض على الأقدام إلى أن اتت سيارة جيب ووقفت بجوار سيارتهما

وأخذ أحد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيدة وانصرفت السيارة الجيب إلى شارع فؤاد وتلتها السيارة الأخرى ثم انحرفت وتعقبتها حتى ضاحية مصر الجديدة.. وأثناء سيرى خلفها حاولت ان أدون رقم السيارة فوجدته رقم هيئة سياسية مطموس فلم أتمكن من قراءته ولكن قائد السيارة تابع سيره إلى السفارة البريطانية.. هذه هى معلوماتي وأرجو إعفائي من ذكر اسمي».

فاحال على ماهر الخطاب على الفور إلى مرتضى المراغى وزير الداخلية.. أما نتيجة التحقيق فسنتركها جانباً.. لكى نتمكن من استيعاب أبعادها كاملة.. ونتطرق الآن لأهم سؤال عن دور بريطانيا فى الحريق.. وهل تورطت فعليا فى أحداث ذلك اليوم المشئوم.. هل أحرق الجنود الانجليز القاهرة بأنفسهم؟ هل استعانوا ببعض العناصر خاصة من الرعاع الذين ذكرهم الشهود؟ وهل اضلعت المخابرات البريطانية فى الحادث؟

يقول كمال رفعت عضو تنظيم الضباط الأحرار ومسئول المخابرات فى منطقة القناة بعد الثورة : إن المؤسسات والشركات البريطانية فى مصر [١٢٨] كانت تعمل بتنسيق تام مع المخابرات البريطانية.. فمديروها وكبار موظفيها يكونون عادة من رجال المخابرات.. أما مقر قيادتهم فشركة «شل» وحين انكشف الأمر نقل المقر إلى مكتب الشاى الدولى، بالاضافة لمخابراتهم العسكرية فى القناة وفى وزارة الخارجية بالقاهرة ومن خلال حفلات الصالونات التى يقيمها أعوانهم المصريون.. كانت تنقل المعلومات لرجالهم.. أما الملفات الحكومية الهامة فكانت تؤخذ بواسطة عملائهم وتترجم بالكامل.

وكانت توجد فى مصر جماعة منظمة تدعى «جماعة اخوان الحرية» التى اسسها المستر فاى فى اوائل الثلاثينات لمناهضة التيار الشيوعى فى المجتمع المصرى تضم أكثر من ٦٠٠٠ شخص مركزها كلية الآداب جامعة فؤاد وعن طريق البروفيسور سكيف رئيس قسم الأدب الإنجليزى كان يتم تجنيد بعض الطلاب وتوجيههم إلى بعض المراكز وقد وصل الكثيرين منهم إلى مقاعد الإدارة العليا يصدرون نشرة دورية تعزز العلاقة المصرية البريطانية من خلال مطبعتهم الخاصة فى شارع محمد على، وللجمعية رئيسان انجليزى ومسلم (الشيخ الزواوى) وقد شنت جريدة الجمهور المصرى حملة صحفية ضده قادها الأستاذ فتحى الرملى حيث نجح ثلاث شبان من التسلل إلى بيت السنارى وتمكنوا من الاستيلاء على ماكينات الطباعة وسجلات أعضاء الجمعية التى كانت تحتوى على ٥٠ ألف اسم من المصريين وعلى أثر هذه العملية فر الشيخ الزواوى إلى إحدى دول آسيا وأصبح مفتياً شرعياً!!

بالاضافة إلى «الاتحاد المصري البريطانى» الذى انشأه أمين عثمان ويضم الشخصيات البارزة فى المجتمع وهما جهازان تابعان للمخابرات البريطانية مباشرة وهى مخابرات تضم عناصر فى غاية الذكاء.. وكان يوجد قسم يختص بشئون الأحزاب المصرية.. بالإضافة إلى أقسام الجامعات والمصانع والعمال والوزارات.. بالإضافة إلى طلاب المدارس الثانوية ومعسكرهم الخاص فى كسفريت بمنطقة القناة والذى يضم خليطاً من الارهابيين والقتلة الذين يتم تدريبهم على أعمال العنف والنسف والتخريب. وهكذا كان تغلغل المخابرات البريطانية الاخطبوطية فى المجتمع من القوة التى تتيح لهم تجنيد الرعاع وغير الرعاع بطريق غير مباشر وبالصورة التى تكفل تحقيق مخططاتهم كاملة.

وقد ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيقات النائب العام ان عبدالوهاب غنايم رئيس تحرير صوت الأمة قدم له مذكرة تفيد أن الإنجليز كانوا يعلمون بحوادث ٢٦ يناير قبل وقوعها بعدة أيام.. ولم تثبت المذكرة فى أوراق التحقيق.. وسعت الصحافة بكل قوتها لتتبع خيوط الحادث الذى تصدر المانشيتات الحمراء ففى فبراير ١٩٥٢ نشرت روزاليوسف عنوانا «الأصابع الإنجليزية» فى حوادث ٢٦ يناير».

«موظفو الشركات الإنجليزية يغادرون مكاتبهم قبل الحريق بثلاث ساعات». «بنك باركليز ينقل دفاتره قبل الحريق بيوم واحد».

«الإنجليزى الذى اندس بين المتظاهرين».

وتم الاستشهاد بالأوامر التى صدرت إلى موظفى الشركات البريطانية الكبرى حين أعلن بنك باركليز عن نقل جميع معاملاته من فرع الموسكى وفتح أبوابه لعملائه فى اليوم التالى للحريق حيث نقلت جميع دفاتره ومستنداته من فرع قصر النيل إلى فرع الموسكى قبل حوادث الحريق بيوم واحد. بالإضافة إلى مؤشر آخر هام لفت الانظار فى التحقيقات فبينما كان الترف كلوب يزدحم يوميا بالاعضاء الانجليز الذين اعتادوا تناول الخمور كل يوم ابتداء من الساعة الثانية عشر قبل الغذاء ويقدر عددهم فى الغالب من أربعين لخمسين عضوا الأمر الذى اختلف يوم الحريق فلم يكن به سوى عشر من الإنجليز ربما بسبب ظروف الحريق ولكن ماذا عن البنزين المستخدم والمعبأ فى علب صغيرة والذى اشرنا إلى انه من انتاج شركة «شل» التى اكدت ان مخزونها قد نفذ من هذا النوع فى ١٨ ديسمبر ١٩٥١!! وإذا كان الحريق قد راح ضحيته بعض مواطنيهم أيضا.. فالأمر لا يتعدى التموية والتضليل المخابراتى.

وفى اليوم التالى للحريق بعث انتونى ايدن ببرقية للسفير البريطانى يقول فيها [١٢٩] : «عليك ان تفعل كل ما بوسعك لمنع اتخاذ الحكومة المصرية اجراءات عنيفة ضد بريطانيا مثل قطع العلاقات والمزيد من طرد الرعايا البريطانيين.. عليك ان توضح بجلاء انه إذا اتخذت الخطوة الأخيرة فإن حكومة جلالته (بريطانيا) لن يكون أمامها خيار الا الرد بالقوة ومن المحتمل ان نضطر للقيام برد اقتصادى».

أما المفاجأة الكبرى فهى ما ذكره الإنجليز فى وثائقهم وتحقيقاتهم عن الحريق «ان الذين قاموا بعمليات الأحراق والتدمير.. هم عصابات منظمة.. وتنفيذهم لمهامهم كان يتم بطريقة لم يعرفها الشعب المصرى فى تاريخه.. بل إن أحمد حسين (المتهم الأول) وحزبة الاشتراكى لا يملكان مثل هذه الكفاءة وأكد التقرير ان السرعة التى اقتحمت بها المبانى كانت نتيجة لتنظيم فريد استعان فيه المخربون بشخص أو اثنين على دراية تامة بكل مبنى والنقط الحيوية به وأشار التقرير البريطانى إلى بعض الأفراد الذين شاركوا فى الهجمات والإحراق فى شارع عدلى تحديداً.. بأزيائهم الأوروبية ولغتهم الانجليزية الجيدة، الأمر الذى لفت انظارهم.. وتحدث التقرير عن استخدام البودرة الحارقة والتى كان يحملها شخص فى مخلة فى أول حادث (كازينو الأوبرا) وهى مادة لا تباع فى مصر ولم يستخدمها الجيش كما أشرنا والآن وبعد أن عرضنا هذه الشبهات التى تحتاج لقرائن وأدلة.. ماذا أسفرت التحقيقات التى اجراها مرتضى المراغى فيما يتعلق بالخطاب المجهول الذى أحاله على ماهر؟



أثبتت التحريات التى أجراها محمد إبراهيم أمام رئيس البوليس السياسى انه بعد وضع المنزل المشار إليه فى الخطاب تمت مراقبته خمسة وثلاثين يوما.. نجح البوليس فى حصر شبكة مخابرات بريطانية مكونة من تسعة أشخاص من جنسيات بريطانية وإيرانية وأرمنية وأمكن حصر الأماكن التى يترددون عليها والسيارات التى يستخدمونها.. وهكذا يمكننا الإشارة إلى بريطانيا بأصابع الإتهام الثابته الواثقة فهى المستفيد الأول من الحريق ولم تكن مصادفة أن يتم اغتيال عميد جاليتهم فى القاهرة سيسل كامبل حين تحدث عن حوادث ٢٦ يناير باشمئزاز واستنكار وقد أسكت الرجل إلى الأبد وتم إغتياله فى ظروف غامضة.. ربما تكون أشد غموضاً من حريق القاهرة. وهكذا أختتمت بريطانيا صحيفة احتلالها لمصر بهذا العمل الأسود المشين. فكانت نهاية طبيعية لأحقاد دولة استعمارية أجبرت تحت ضغط المقاومة الشعبية على التراجع والإنسحاب نهائيا من بلاد الفراعنة فكانت خسارتهم فادحة لا يمكن تعويضها أبداً!!!!■

كتاب تذكارى



رجال المطافئ عجزوا عن
إطفاء الحريق ووصفوه بأنه
لم يسبق حدوثه فى أية مدينة
فى العالم بمثل هذا العدد
الضخم من الحرائق فى وقت
واحد وبصورة متعمدة





سينما مترو
وقد احترقت
بأكملها

في غضون ساعات اشتعلت النيران في ٤٠ دار سينما (مترو وراديو وميامى وديانا إلخ) وأكثر من ٣٠٠ محل تجارى خصوصا المحلات الكبرى و٧٣ مقهى ومطعما و٣٠ شركة كبرى



انتشار الحريق كان يهدف إلى تشتيت المطافئ فى عشرات الاتجاهات وإفشال مهمتها قبل أن تبدأ حيث خراطيم الحريق أثناء عملية الإطفاء كانت تقطع


COOKS
TRAVEL



انتهى الأمر بتبادل الاتهامات بين جميع الأطراف فاتهمت الحركة الوطنية الملك الذى دعا قيادات الجيش والبوليس إلى وليمة غداء فى ذلك اليوم احتفالا بميلاد ولى عهده واتهمت بريطانيا بالتواطؤ مع الملك وهى بدورها اتهمت حزب الوفد الذى ألغى معاهدة ١٩٣٦ واتهم الملك الشيوعيين وكذلك الإخوان المسلمين

أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى الذى لفقت الحكومة له اتهاما رسميا بالتحريض على حريق القاهرة بدافع العداوة للنظام السياسى وظل بالسجن حتى قيام الثورة



فى ٢٥من يناير وقعت مذبحة الإسماعيلية فخرجت مظاهرة مسلحة لجنود البوليس وانتشرت المظاهرات الطلابية والعمالية تجوب شوارع القاهرة

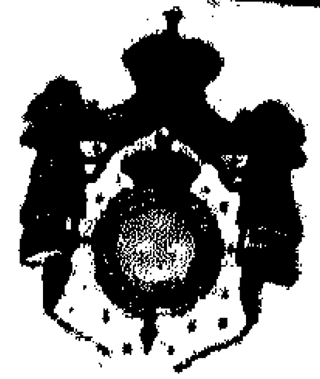
تفاقمت الآثار السلبية للحريق بسبب ضعف قوة البوليس (٩٠٠ عسكرى) من عساكر الدورية الليلية المنهكة من الإعياء لسهرها إضافة إلى أنها قوة غير مسلحة لا تكفى لمقاومة سكان القاهرة أنذاك ٤٠مليون نسمة



أثبتت تحقيقات النيابة أن إشعال الحرائق استخدمت فيه مواد قابلة للاشتعال مثل الكيروسين والبنزين والكرات المحشوة بالمسامير واستخدام البلط أيضا والأجنات فى فتح المحلات التى كانت مغلقة يوم السبت ومعظمها أجنبي



ذكر الإنجليز فى وثائقهم أن حريق القاهرة تم تنفيذه بطريقة لم تكن مألوفة فى مصر وأن أحمد حسين المتهم الأول وحزبه لا يملكان مثل هذه الكفاءة



مشهيات متنوعة

بوريك باللحم والجبن

دجاج محمر بحشو الغراب

بامية خضراء على الطريقة التركية

لحم حمل محمر

بطاطس بالفرن

سلاطة بلاد الشمال

أرز طاس كباب

مهلبية بصدور الدجاج

فطائر


حلوى

فواكه

قصر عابدين
يوم السبت ٩ [illegible] سنة ١٩٥٢

الوليمة التى أعدها القصر لضباط البوليس والجيش سبقتها ولائم أخرى لأعضاء مجلس الوزراء والبرلمان ورجال القضاء وكبار علماء الأزهر وأعضاء الأسرة المالكة كما توضح الصورة

فاروق بصحبة البيجوم
... الماتسية الملكية أثناء زيارته
لوفيل عام ١٩٥٠ من اليسار :
الهامي حسين - البيجوم - الملك -
مدام كـ... ثابت



بملابس الصيد
أثناء إحدى
رحلاته لبركة
دهشور



الملك بصحبة أحمد حسنين وإسماعيل تيمور
أثناء زيارته مسجد أبى الذهب الأثرى

فاروق لايشرب الخمر وقد التقطت له هذه الصورة أثناء رحلته إلى أوروبا عام ١٩٥٠ زجاجة الشمبانيا تخص صديقه..
لكن الصورة أثارت جدلا.. وكان من الصعب أن يصدق الشعب أنه لايقربها

الملك بصحبة ناهد رشاد والنقراشى وعمر فتحى وزوجته فى حفل خيرى



فاروق.. لم يشرب الخمر.. لم يلبس بيچامة.. ينام على الأرض صيفا

يحاسب الإنسان إجتماعيا فى أى عصر وفقا للوائح العادات وقواعد التقاليد وقوانين الأعراف السائدة .. وهى أشد بأسا وأوضح أثراً إذا تطرق الحديث عن الحكام والملوك والرؤساء والشخصيات العامة – فما أكثر أشجار التفاح المحرمة فى حدائقهم الغناء والمتاحة للعامة على الدوام .. ما أحلك البقعة الصغيرة السوداء إذا استقرت بثيابهم والطامة الكبرى إذا كانت بيضاء .. إنها متطلبات الحكم وضريبة الملك التى تستودع الحرية الخاصة أمانة لديها مقابل السلطة والجاه والصولجان ولا تسترد إلا بإنتهاء المدة أو انقضاء الأجل وللأسف الشديد لم يعرف التاريخ ضريبة تسعد دافعها وإن إلتزم بسدادها .. والعرف السائد عالمياً رسخ مبدأ التضحية بالحرية الشخصية مقابل غاية أسمى وأرفع وأهداف أنبل لخدمة الوطن من هذا المنطق فقد تعاظمت أخطاء فاروق الشخصية وإن لم تخلف التجربة وعدها معه فهى على عهدها معلم قاس يمتحن الإنسان أولاً ثم تلقنه الدرس ثانيا .. وما قيل عن فارق وحياته الخاصة وغرامياته وفساده وظلمه وإستبداده لم يترك إلا ثغرة صغيرة تنفذ منها الأقلام المحايدة من عنق زجاجة الأصنام التاريخية الأرشيفية المكررة .. فما أكثر ما كتب عنه بعد الثورة !! فأين الحقيقة ؟

حكايات تروى وغراميات تنسج ودون جوانيات تتوارد وشائعات نسائية تسطع فى سماء لياليه الحمراء .. فهل كان حقا زير نساء وهل كان يشرب الخمر ؟ ولماذا ابتهج حين أصيب بالصلع؟ هل كان خجولا ؟ ما هى أسرار مداعباته الصبيانية ! وبخاصة فى حياته الرسمية كملك يجيد إتقان دوره بعناية فائقة ؟ لماذا كان يكره الطربوش ويرتدى الملابس القطنية شتاء ؟ وسبب حبه للأطعمة البسيطة والشعبية ولماذا كان يقود سيارته بسرعة جنونية ويطهو السمك بنفسه؟ ومتى عرف طريقه إلى المائدة الخضراء وتمكن منه داء القمار حتى قضى على عرشه ؟ ما السر فى تعلقه برحلات الصيد والسباحة والغطس؟ وماذا عن هوايته فى جمع العملات والطوابع والتحف الفنية ! وحقيقة ثروته وحاشيته الايطالية وهل هى سبب فساده الأكبر كما تقول الملكة فريدة . ولماذا أبدل السلام الملكى بالسلام الوطنى فى واقعة غير مسبوقة تاريخيا . هل كان على علم بكل ما يقال عنه من نكات وشائعات وانتقادات ؟! ما سر حبه إرتياد الأحياء الشعبية والتوجه بكامل حاشيته إلى زقاق صغير لشرب فنجان من القهوة مدحه أمامه أحد المقربين ؟! لماذا كان يحفظ كلمات الباعة الجائلين والحرفيين وإستخدامه عبارة «على البرسيم» كناية عن إفلاسه أحيانا بسبب لعب القمار على غرار التعبير الشائع الآن بين الشباب «على الجنط».



ترى هل كان الملك فاروق البالغ من العمر (٢٨ عاما) حين تم طلاقه رسميا من الملكة فريده شخصية روشة بلغة الشباب الآن .. ملك يرقص ويسهر ويلعب ويغني وينكت ويتحدث مع من يشاء رجالاً ونساء؟ إذن فقد تحلل من جميع القيود الملكية . وإذا كانت السياسة فنا فلا يوجد فن بلا قواعد وقيود ومن تلك القيود يولد الإحساس بالجمال والكمال .. فهل كان فاروق فنانا فى سياسته أم سياسيا فاشلا فى حياته الخاصة التى سنحاول اختراقها خلسة نسترق السمع ونشاهد رؤيا العين أحواله ونستنشق بعبق التجربة عطر حياته !!

وهبت الطبيعة فاروق قامة ملكية مهيبة فارعة ممتلئة توحى بالعظمة والأهمية والرجولة المتحدية ووجها حسنا تشفع ابتسامته الساحرة لجميع هفواته .. أما العينان فتجسدان تلاطم موجتين هادرتين من الأزرق السماوى والأخضر النيلى .. يشع منهما بريق طفولى .. وانكسار رجولى حزين (خاصة عينه اليسرى) ويوحى الأنف بالأعتزاز الوراثى ويؤكد الفم بساطة سجيته ومرح طباعه وتلقائيته .. وكان لهذه المزايا والسجايا الخلقية دور بارز فى إرتفاع رصيده الشعبى فالوجه الحسن والوجاهة والأناقة يضاف إليهم الخطابة للسياسيين .. آنذاك كانوا يغنون عن جهود الآلة الاعلامية .. فى عهد لم يعرف طريقه بعد لتشتيت اهتمامات الشعب اعلاميا بين نجوم الفن والرياضة والغناء.. والفضائيات الخ.. ومن ثم فقط كان من سوء حظه وحظ الشعب أيضا أن يظل فى بؤرة اهتماماتهم النقدية دون أن ينافسه أحد .. فكل خطوة وكل همسة تصدر عنه لها شكل مختلف ومبدئياً فإن استقراء الأحداث يشير إلى أن الملك كان يعانى من عقدة معكوسة تتمثل فى حرمانه مما يتمتع به الناس ففى الوقت الذى تتطلع فيه الأغلبية لشهوة الحكم وأبهة الملك كان لفاروق رأي آخر فهو على أتم الاستعداد للتضحية بكل ذلك لكنه لم يفرط أبداً فى حريته الشخصية ولم يغير من نمط حياته الخاصة .. ربما أراد أن يموت شوقا ولا يحيا ملكاً كما يقول خليل جبران .. فقد آل إليه الملك وراثيا ودستوريا فيما عدا ذلك فهو إشتراكي فى حياته الخاصة .. كان يطالب بمساواته بالآخرين .. فكان يرى الشباب من أفراد عائلته والمحيطين به يتمتعون بكامل حريتهم وينعمون بثرائهم .. إذن فهم يمتازون عنه حرية وانطلاقا وإن افتقدوا سلطاته .. التى اعتاد عليها منذ طفولته فلم تعد تبهره كثيرا فى شبابه خاصة حين توالت الأزمات السياسية .. ولكى يفوز أمام نفسه فى هذه اللعبة التى فرضتها عليه الأقدار قرر التمرد على قيوده وبمرور الوقت فطن إلى اخطائه ومن السخرية انه كان يصرح لمقربيه أن الزمان لم يعد زمان ملوك باستثناء ملوك الكوتشينة وملك إنجلترا .. ويستدرك فيقول إذا كنت لا أعجب الشعب فليبحثوا عن شخص آخر فأنا أبذل أقصى طاقاتى .. ومنذ عام ١٩٤٦ حين اندلعت مظاهرات طلاب الجامعة ووطئت الأقدام صورته وتهادى الى سمعه الهتافات الجارحة بدأ يدرك أنه خسر تماما القوة الرئيسية التى كان يعتمد عليها من الشباب المستنير فى تأييد تصرفاته وحياته الخاصة أمام الرجعيين !! فإذا كان ذلك يقينه فلماذا لم يتنازل عن العرش؟ الإجابة ليست عسيرة فإن التوقع والتكهن شئ والدعاء بمخالفة الظنون شيء آخر والمفاجأة والمباغتة شيء ثالث !!

وبدأت شكواه من قصوره الملكية الباردة التى كان يفر منها دائما وما أشبهه بالبارودى الذى كان يصف منفاه بقوله :

منازل لم تألف بها النفس مألفا

على أن فيها كل ما تشتهى النفس

فكان يبدأ يومه ظهرا وقد تطرقنا إلى مواعيد استيقاظه ومقابلاته الرسمية فهو بسيط فى حياته الخاصة لا يتناول طعام إفطاره ويكتفى بالقهوة وعصير الليمون .. وغالبا ما يضم وجبتى الغداء والعشاء فى وجبة واحدة يستغرق دقائق معدودة فى ملابسه التى قد تكون بدلة عادية فى الصباح أو ردنجوت للمقابلات الرسمية أو سموكنج للسهرات أو بدلة التشريفة ويرتديها فقط فى إفتتاح البرلمان ومقابلة السفراء .. وأثناء حرب ١٩٤٨ استعاض عنها بالبدلة العسكرية واستمر على هذه الحال حتى رحيله عن مصر ولم يرث عن فؤاد صرامته فى أناقته الإيطالية واتخذ فاروق لنفسه مبدأ خاصا «كل اللى يعجبك والبس اللى يعجبك واخرج فى المكان اللى يعجبك وفى كل الأحوال أنت الملك !!»

فكانت معظم بدله فضفاضة مثل ممارساته العامة .. ومن الطريف أنه كان يرفض إجراء بروفة على بدله أمام الترزى .. فقد استعاض عن مقابلة رئيس الوزراء ورئيس الديوان واكتفى بتسيير شئون البلاد بالمراسلة عن طريق الشماشرجى .. ولم تكن ملابسه أعظم شأنا وأكثر اهمية من المذكرات والتقارير الرسمية فكان يكتفى ببروفة المراسلة حيث يقوم بارتداء البدلة ويقوم الشماشرجى بكتابة الملاحظات ثم ترسل إلى الترزى لتعديلها وإلى هذه الدرجة كان ضنيناً بوقته الثمين فى شئون أناقته !! بل إنه كان رائداً فى استخدام سوستة البنطلون ولم تكن معروفة فى عهده وكان إستخدامها قاصرا على السيدات فقط وذلك من أجل راحته وانعدام صبره ومن الطريف أنه سافر فى إحدى المرات إلى دوفيل بفرنسا واكتشف أنه يمتلك بدلة واحدة ملائمة وبقية البدل بحاجة إلى تعديل .. نتيجة لسمنته المتزايدة وعدم إجراء البروفة عمليا وكلها صغائر وتفاصيل سلوكية تفضى أحيانا إلى كبائر فى

الميول والإتجاهات الشخصية وفقا لهذا المنطق، وكان طبيعيا أن يبحث عن راحة قدميه فهو ثقيل الوزن يشكو من الجهد ويتعب سريعا .. غزير العرق يبحث عن كل ما هو مريح لذلك كان يرتدى الأحذية ذات النعل الكريب المريح وينتقد إنتقادا لاذعاً كل من يرتدى حذاء ذا لونين على الرغم من كونها موضة سائدة فى عهده !! فهو من أنصار اللون الواحد .. والنغمة المكررة فيعجب بخاتم معين من خواتمه العديدة .. فيرتديه فترة طويلة متصلة ولا يستبدله بآخر إلا اذا شعر بالملل والأمر كذلك بالنسبة لولاعته الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة وعلب سيجاره وساعاته التى كانت تضم مجموعة من أندر الساعات فى العالم وكان يكتفى بحفظها عند الأمين الخاص الذى يقوم بترقيمها فى سجل خاص هى وجميع متعلقاته الشخصية التى أشرنا إليها .. وحين انتشرت الولاعات البلاستيك طلب شراءها واستعملها على سبيل التجربة مثل عامة الشعب .. ووفقا لقواعد البروتوكول لا يبدأ أحد ضيوفه بإشعال سيجارته قبل أن يشعل هو سيجاره الكوبى ويذكر بعض رفاقه أنه عقب إحدى المآدب الرسمية تحدث إلى فؤاد سراج الدين مشيرا إلى سيجاره قائلا : «بعد انتهاء المأدبة الرسمية ليس من الضرورى أن يلتقط المصورون صورك بالسيجار !! وكانت ملاحظة صائبة تؤكدها صور فؤاد سراج الدين قبل الثورة ومعظمها لا تخلو من سيجاره الشهير !!! ونظرا لنشأته فى أجواء حاشية إيطالية إنجليزية مصرية .. فقد كانت تصرفاته تتأرجح بين تلقائية البحر المتوسط الدافئة الصاخبة والكلاسيكية الإنجليزية المتأنقة التى تحترم اللقب لا حامله والتى انعكست آثارها على التزامه وتشدده إزاء بعض الموروثات التى لا يقبل نقاشها .. وان كانت هفوات صغيرة .. ولكنها كانت تشعره بإمتلاك زمام أموره وجدية طباعه .. فكان يجيد عقد الكرافتات بصورة لافتة ومن طرائفه أثناء سهره فى أحد كازينوهات دوفيل التى كانت تغنى فيها مطربة فرنسية اشتهرت بمداعباتها مع الحاضرين عن طريق قص رابطة أعناقهم بمقص أثناء وصلتها الغنائية .. فاستعد فاروق لمداعباتها واحضر معه رابطة عنق أخرى وضعها فى جيبه إضافة إلى تلك التى يرتديها وحين اقتربت منه المطربة وهمت بإخراج المقص من جيبها كان قد فك رابطته وأعطاها لها فدهشت لسرعته وما أن عادت إلى المسرح حتى اكتشفت أنه ارتدى رابطة جديدة وقام بعقدها فصفق جميع الحاضرين لبراعته !! وأثناء سفره إلى دوفيل كان يحرص على ان يصطحب معه سفرجيا يرتدى رداءه التقليدى الجميل الأزرق المقصب .. لكى يحمل له خصيصا القهوة التركى فى فنجان وظرف من الذهب الخالص وكانت تسعده تلك الطقوس ويقول عنها إنها دعاية جميلة لمصر !!

وفى جناحه الخاص كان يرتدى الشورت صيفا وفوقه عباءه حريرية .. ولا يرتدى البيجامات .. وحين أصيب فى ساقه فى حادث القصاصين - الذى قيل إنه ترك أثرا فى عينه اليسرى أيضا - فوجئ الجميع أن الملك لا يمتلك بيجامة .. واضطروا لاستعارة بيجامة من حلاقه بترو الإيطالى وفى الشتاء كان يكتفى بارتداء قميص قطن واذا كان الجو شديد البرودة يرتدى الروب دى شامبر أما المفاجأة الكبرى فهى اقلاعه عن النوم فى حجرته الخاصة صيفا والإستعاضة عن السرير بمرتبة تفرش له بجوار الشرفة المجاورة لجناحه الخاص يوضع فوقها ناموسية ضخمة كانت هذه النومة الأرضية هى المفضلة لديه صيفا فى قصر عابدين والمنتزه ورأس التين غير عابئ بتيارات الهواء ورطوبة الإسكندرية.

وفيما يتعلق بالطعام فى قصوره فقد عرف عنه ملله من تكرار القوائم على الرغم من المخصصات المالية التى كانت تتجاوز المائة الف جنيه لمطابخه وظل لديه اعتقاد دائم بأن أى طعام خارج قصوره هو أشهى مذاقا .. وألذ طعما وله مواقف غريبة تؤكد نزعته التمردية على طعام القصور الملكية ففى احدى المرات فوجئ صاحب مقهى بلدى متواضع فى زقاق ضيق بين المنتزه والسيوف فى الاسكندرية بصاحب الجلالة «ملك مصر والسودان» يدخل مقهاه مع حاشيته ويطلب فنجانا من القهوة التركى لانه علم أن هذا المقهى يجيد صناعتها .. ومرة أخرى أمر بايقاف الديزل الملكى فى محطة دمنهور ونزل أحد رجال الحاشية وتوجه إلى محل العاصى الشهير وصعد لمولانا بطبق فول ساخن لذيذ .. ولماذا يحرم نفسه مما كان يستمتع به الناس ؟ وبهذا السلوك التلقائى كان يجد راحته فى السير وراء رغباته .. ولشدة حبه للأيس كريم كان لا يتردد فى الذهاب إلى أى مكان يشتهر بإجادته وكافيتريا «سان سوسى» الشهيرة بميدان اسماعيل أنذاك (التحرير الآن) هى أكبر شاهد على سيره وراء شهيته .. أما أحب الأطباق الى قلبه فلم تكن أكثرها تأنقا وأشهرها ارستقراطية وزخرفية .. والعكس هو الصحيح تماما فكان شغوفا بالأطعمة الشعبية .. عاشقا للمكرونة الاسباجيتى واللحوم والحلويات وان ظل يمتلك مزاجا خاصا فعلى سبيل المثال كان يقول ان كل من يعصر ليمونا على السمك أو الكافيار لا يفهم فى الطعام !! وكان يفضل أن يطهو السمك الذى يصطاده بنفسه .. ظلت بدانته مقيدة بشدة خلال حياة والده الذى استشعر قابلية ابنه للبدانة منذ صغره وبوفاة فؤاد .. ازداد وزن فاروق تصاعديا حتى إن وزنه عند وفاته بلغ ١٦٨ كيلو جراما .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لا يشرب الخمر على الإطلاق وتلك هى الطامة الكبرى فى سجل شائعاته التى ربطت بين سكره وعلاقاته النسائية وهو ما لم يكن صحيحا على الإطلاق .. بل إن بعض ضيوفه من المصريين كانوا يتحرجون فى شربها أمامه .. ويضعونها فى أكواب عادية كما لو كانت مياها غازية .. والحقيقة أنه لم يحب الخمر وصرح ذات يوم لأحد أصدقائه حتى لو كانت غير محرمة فى الإسلام فإنه كان سيعرض عنها أيضا !! وكان يكتفى بعصير الليمون أو البرتقال فى الكازينوهات التى كان يغشاها مع اصدقائه المقربين «بوللى وكريم ثابت ود. يوسف رشاد وإلياس أندراوس بالاضافة لبترو وجارو حلاقى القصر» ..



ولنا أن نتخيل التحدى الأمنى الذى فرضته ممارساته المنطلقة التى لا تتماشى مع مهمة حمايته كملك .. وما أكثر المرات التى اشتكى فيها رؤساء الوزارة خاصة محمد محمود والنقراشى باشا من خطورة مسلكه وتهديده لحياته بصفة مستمرة .. فكان من اليسير جدا دس السم له فى أى مكان من اماكنه المفضلة .. واقصى ما كان يفعله الجهاز الأمنى هو محاولة ايفاد بعض افراد الأمن المدنيين اضافة لطاقم حراسته الخاصة الذى كان يتبع سيارته التى كان يقودها بنفسه أيضا منذ توليه الحكم وحتى رحيله عن مصر .. حيث كانت متصلة بقصر عابدين لاسلكيا .. وقد اشتهر بسياراته الحمراء القانية المزودة بكلاكس خاص يعرفه البوليس .. ينطلق بها فى شوارع القاهرة بسرعة مذهلة حتى اطلق البعض عليها «إسعاف ورحمة» وكان يسعده احيانا توصيل بعض السيدات بسيارته إلى منازلهن اثناء مغادرته أحد الكازينوهات على سبيل التباهى بسمات الفالنتينو المحترف.. ومن نوادره أنه سمع عن تردد سيارات المحبين والهاربين عن أعين الفضوليين فى طريق السويس . فقرر أن يخوض التجربة مع إحدى صديقاته .. فقد ضاقت به قصوره الرسمية واستراحاته الخاصة فلا مخرج من هذا المأزق إلا بالمغامرة العاطفية التى ساقت الاقدار اليه من يفسدها حين تصادف وجود صحفى ومصور يقومان باجراء تحقيق لاحدى الصحف القومية حول هذه الظاهرة التى تتنافى مع الآداب العامة وبمجرد اقترابهم من سيارة الملك وتعرفهم على شخصيته قام باطلاق طلقتين فى الهواء ففروا هاربين وألمحت أخبار اليوم الى الواقعة وفهم العامة انه هو المقصود بهذه الغمزة .

ولعل مداعباته الصبيانية فى تلك الأماكن التى كان يغشاها هى السبب وراء شيوع شربه للخمر .. حيث كانت تنتشر أصداءه ضحكته الشهيرة المدوية .. وهو يداعب جالسيه ويقذفهم بالبكرات الورقية بعد غمسها فى الماء فتترك أثرا

واضحا وخاصة على ملابس السيدات فتتعالى الضحكات . وقد يداعب أصدقاءه الرجال ويطيح بطرابيشهم بسيف يده فى الهواء .. وأحيانا أخرى يهم بإشعال سيجارة لامرأة تجاوره من الحاضرين فيقترب منها ولا يشعل ولاعته ولكنه يطبقها على السيجارة وينتزعها من فمها وتكتمل شبهة سهراته الحمراء بإندماجه التام مع الموسيقى ودندنته وصفيره وكان يردد دائما أن صوته جميل - كل ذلك كان يحدث احيانا من خلف ستائر مخملية كانت تسدل له خصيصا فى بعض الكازينوهات فيصعب على الحاضرين وهم يسمعون ضحكاته المجلجلة وقرع الكئوس والضوضاء التى تحدث عادة فى أماكن شرب الخمر وما يصحبها من مداعبات كلامية ضاحكة بافتراض حسن النية.. وإذا جلس فى احد الكازينوهات لمشاهدة عرض راقص أوروبى أو مصرى فكانت تخصص له مائدة خاصة بصفة مستديمة سواء حضر أم لم يحضر .. كان محبا للرقص الشرقى تأسره لولبية الراقصات الأكروباتية خاصة حين تحنى ظهرها للخلف تمهيدا لملامسة الأرض فكان يضحك حين تقترب منه الراقصة ويطلق نطقه السامى لها «إنزلى» فينثنى ظهر الراقصة كالزاوية الحادة دون أن ينزلق أو يكسر وقد يدعوها لمداعبة أحد اصدقائه أو أقرب مقربيه من الرجال وهذا أقصى ما كان يحدث فى هذه الحفلات على حد تعبير كريم ثابت وقد تستمر مداعباته الصبيانية فى الأماكن العامة أيضا فيمد قدميه لكى يتعثر أحد اصدقائه ويسقط على الأرض . وكما كانت لديه أيضاً مجموعة من الحشرات البلاستيكية الجيلاتينية التى يفزع بها أصدقاءه وفى بعض الأحيان كان يرسل بعض مندوبى القصر بهديه ملكية «صندوق أنيق مغلق» ويفاجأ متلقيها أنها تحتوى على بعض الضفادع التى تنتشر وتقفز فى بيته وتشغله حين يحاول جمعها !! ويتندر صاحب البيت فى مجالسه من مقالب جلالته الصبيانية التى لم يسعده حظه بممارستها فى طفولته الغائبة !!



أما حفلاته الخاصة فكان بوللى - مدير شئون الخاصة والمفسد الأكبر فى الحاشية الإيطالية - يقوم بعرض كشف المدعوين المقترحين على فاروق فيشير برفض البعض .. ويطلب حضور آخرين .. كما كانت شقيقاته يحضرن بعض هذه الحفلات التى كان ينطلق فيها خدمه وحاشيته خاصة إذا كانت الحفلة فى قصره بأنشاص أو استراحة الهرم أو ركن فاروق بحلوان فكان يتبسط مع خدمه بدرجة كبيرة ويسمع منهم بعض النكات التى تعنيه شخصيا .. ويتبادل معهم الضحكات بل إن بعضهم كان يدخن احيانا سجائر الحشيش فى هذه الرحلات والحفلات الخاصة فترتد رائحتها المميزة تحملها نسمة هواء ندية فيضحك ويقول : «أما أولاد كلب صحيح!!!» ويكتفى بهذا السب المازح الذى كان غالبا ما يختصهم به بالإضافة إلى بعض الشتائم التركية القديمة التى كان يحفظها منذ صغره وقد عرف عنه مقته الشديد للغة التركية .. وهو أول حاكم من أسرة محمد على لا يتحدث التركية حتى أنه كان يمنع التحدث بها أمامه وفى عهده احتضرت هذه اللغة فى القصور الملكية التى كانت تتحدث لغتها الفرنسية المفضلة وهى لغته الثانية التى أتقنها منذ صغره .. وتعلم الإيطالية شفويا من خلال اتصاله بحاشيته الإيطالية .. أما اللغة الانجليزية فقد تشربها منذ نعومة اظافره من خلال مربيته وكان يجيدها نطقا وكتابة إجادة تامة .. وتواضعت قدراته فى اللغة العربية كتابة وأسلوبا ويحسب له أنه أول حاكم من أفراد أسرة محمد على يتحدث اللهجة المصرية بطلاقة مدهشة بل إنه كان يعرف بعض الكلمات والمصطلحات التى تنتشر فى الأوساط الشعبية والتى يستخدمها الباعة الجائلون وكان يحلو له أن يرددها من حين لآخر بين أصدقائه فكانوا يندهشون لقدرته العجيبة على إلتقاط هذه الكلمات وإختزالها كأنه نشأ فى حى من الأحياء الشعبية !!

ويمثل مسدسه الصغير الذى كان يلازمه ويحتفظ به فى صديرى الجاكت وبندقيته القابعة فى سيارته وكانت لا تفارقه قمة حذره وحرصه على حياته التى كان يقول عنها دائما «لن أموت ناقص عمر !!» وما أكثر المرات التى كان يغافل فيها حرسه الخاص ويخرج بمفرده وينطلق بسيارته يسابق الريح ويتحدى القيود .. ومن مواقفه الفريدة التى تدل على عناده وشغفه بالتشفى من أعدائه والنيل من خصومه أنه كان يحتفظ بورقة كبيرة مطوية فى جيبه .. مدونا فيها جميع أسماء خصومه واعدائه .. بناء على التقارير السرية التى كان يرفعها البوليس السياسى للقصر .. فهو يعتقد أن هذا الفعل من شأنه تيسير مهمة البوليس ومعاونته فى إلقاء القبض على المتهمين فى حالة إغتياله !!!

وكان شغوفا بالسباحة والرحلات البحرية خاصة فى البحر الأحمر والإسكندرية وكان يمتلك شاليها صغيرا على ربوة صخرية قرب رأس التين حيث كان يفضل قضاء هوايته للصيد بعيدا عن أعين الفضوليين المحيطين به فى القصر وكانت تربطه صداقة خاصة بأسرة يونانية شاركه افرادها هوايته فى الغطس تحت الماء والسباحة وصيد الأسماك التى كان يجيد طهوها بنفسه أما موسم «صيد البط» فكان يفتتحه بصحبة أصدقائه وأعضاء نادى الصيد وبعض الدبلوماسيين الذين كان يدعوهم فى بركته الملكية فى التل الكبير ودهشور والفيوم ووادى الرشراش وهى بركة خاصة لصيد الغزلان .. ومن الجدير بالذكر أنه كان يجيد الرماية جيدا بكلتا يديه حتى أنه فى إحدى المرات وضع «قلم روج» ونجح فى إصابته .. أما أحب الأماكن إلى قلبه .. فلم يكن قصرا ولكنه «ركن فاروق» فى حلوان وهى فيلا مقامة على ربوة عالية تطل على النيل، بالاضافة لقصر الطاهرة الذى كان لا يقيم فيه إلا صيفا أثناء سفره من القاهرة إلى الاسكندرية لمدة يوم أو اثنين .. بالاضافة لاستراحة الهرم التى بناها على الطراز الفرعونى فى نفس المكان الذى بنى فيه جده إسماعيل الاستراحة التى خصصها لأوجينى لكى تقيم فيها عند زيارتها العابرة للأهرامات !!! «وهى آخر مكان فى القاهرة شهد ولائمه».

وكان مغرما بالآثار الفرعونية تربطه صلة صداقة وحميمية بالأب دريتون مدير المتحف المصرى !! بالإضافة إلى هوايته فى جمع العملات والطوابع التى ورثها عن أبيه وكانت هذه الهواية محط اهتمامه الشديد نظرا لأهمية ابعادها المادية والترويحية، وقيل انه كان يمتلك ثانى مجموعة طوابع فى العالم بعد ملك انجلترا .. بالاضافة لهواية جمع التحف واللوحات الفنية الأمر الذى جعله يفكر جديا فى جعل احد أدوار قصر القبة متحفا فنياً !! ومن المعروف انه كان يستعين بفيروتشى ذلك المهندس الفنان الإيطالى الغامض فى تنسيق القصور جماليا وفنيا وترتيب ألبومات الصور واللوحات والإشراف على صنع التماثيل لجده إسماعيل وأبيه !!


وفيما يتعلق بإصابته بعقدة الكليبتومانيا وشغفه بالاستحواذ على ممتلكات الآخرين عنوة .. ربما ارتبط الأمر بإعتقاد راسخ وخاطئ أيضا بأنه يستغل من وراء ظهره فلماذا لا يستغل الآخرين علانية !!! أما أشهر الوقائع المتواردة تاريخيا فأهمها استيلاؤه على سيف الامبراطور رضا بهلوى الذى توفى فى جنوب أفريقيا وإكتشاف ابنه السرقة عند نقل جثمانه .. وهو سيف مرصع بالجواهر والأحجار الكريمة ويقال إن السادات رد للشاه سيف أبيه اثناء فترة رئاسته !!! وتكرر نفس الموقف تقريبا مع الأمير سيف الاسلام ولى عهد اليمن الذى طلب منه فاروق خلع خنجره اليمنى الثمين قبل مأدبة غداء فى عابدين وبعد انتهاء المأدبة فقد السيف بعد أن أمر فاروق رجاله بإخفائه والله أعلم !! والواقعتان تكفيان لخلق نواة مثيرة تنسج حولهما عشرات القصص المزيدة والمنقحة !!! ليس دفاعا عن شخصه وسلوكه المتهور أحيانا ولكنها الطبيعة البشرية التى تميل للمبالغة والتهويل فى معظم الأحيان !!! ■

أثناء رحلته للبحر الأحمر كان يستمتع بصيد الأسماك ويتولى طهيه بنفسه فى بعض الأحيان ويظهر فى الصورة ممسكا حوتا صغيرا



لقطة نادرة بين
الـزوجـيـن
الحبيبين فاروق
وفريدة عند سفح
الهرم وسعادة لم
تدم كثيرا





يداعب فريال كبرى بناته ببساطة وتلقائية وجلسة شعبية مريحة





أنطونيـــو بوللى..
خادمه الخاص وتوءم
روحــه والرجل الأول
فى حــاشيــة القصـر
الإيطالية حيث ترعرع
فاروق على أيديهم فى
صباه وفجر شبابه

عن يساره مهندس القصر الإيطالى الذى
شك الإنجليز أنه يعمل جاسوسا لإيطاليا
وأصروا على إبعاده هو والحاشية
الإيطالية أثناء الحرب العالمية الثانية نظرا
لميولهم وانتماءاتهم المحورية

الصيد فى الماء العكر
والتراشق بالاتهامات
والخطب الهجائية
والمقالات النارية
والاختلافات الحزبية
آفة السياسة المصرية
قبل ثورة يوليو





بنظرات خبير فاحصة
يتأمل قرن الغزال البرى

كتاب
تذكارى

كان يمقت الصيف ويفضل الشتاء غزير العرق.. أما لياليه الباردة فكان يتحايل عليها بتلك النزهات الصحراوية والنار البدائية فوق الرمال



بملابس الصيد بصحبة الأمير عبدالمنعم ابن الخديوى عباس حلمى الثانى وبعض رجال القصر وأعضاء السلك الدبلوماسى وأفراد حاشيته هكذا كان يتكون كوكتيل رحلات الصيد ويقوم القصر بتوجيه الدعوة لهم

الأسرة الملكية كانت موضع محبة الشعب في بدايات عهده.. ثم أصبحت الثغرة الأولى في قاموس أخطائه لبذخهم في مجتمع يعاني الفقر والحفاء والأمراض

كان من هواة الرقص الشرقي وارتباطه بسامية جمال عاطفيا شائعة نفتها قبل وفاتها



الزواج الملكي شأن اي
زواج آخر.. خلافات..
مشاحنات وعتاب

ذكر فاروق لسكرتيره الخاص فى المنفى أنه لو ذبح القطة لفريدة كما يفعل أولاد البلد.. لظلت زوجته.. لكنه تعامل معها هى وناريمان كملكات فاعتقدن أنهن مثله!!

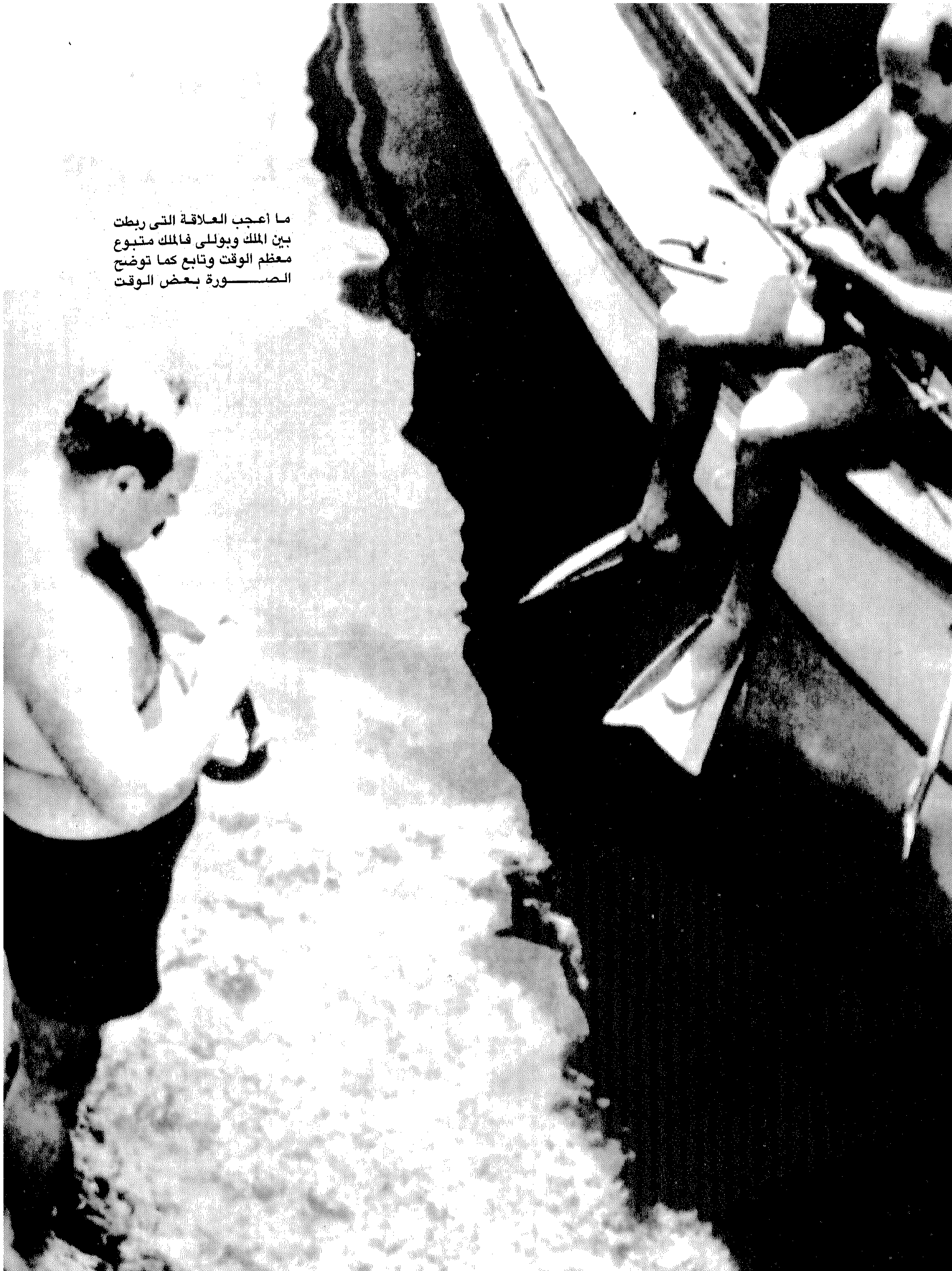


لقطة نادرة اثناء زيارته للأعراب
فى مرسى مطروح وفى الصورة
جلس الملك فى الخيمة الشرقيه
وعن يمينه على ماهر يليه مراد
محسن ناظر الخاصة الملكية وعن
يساره خيرى باشا

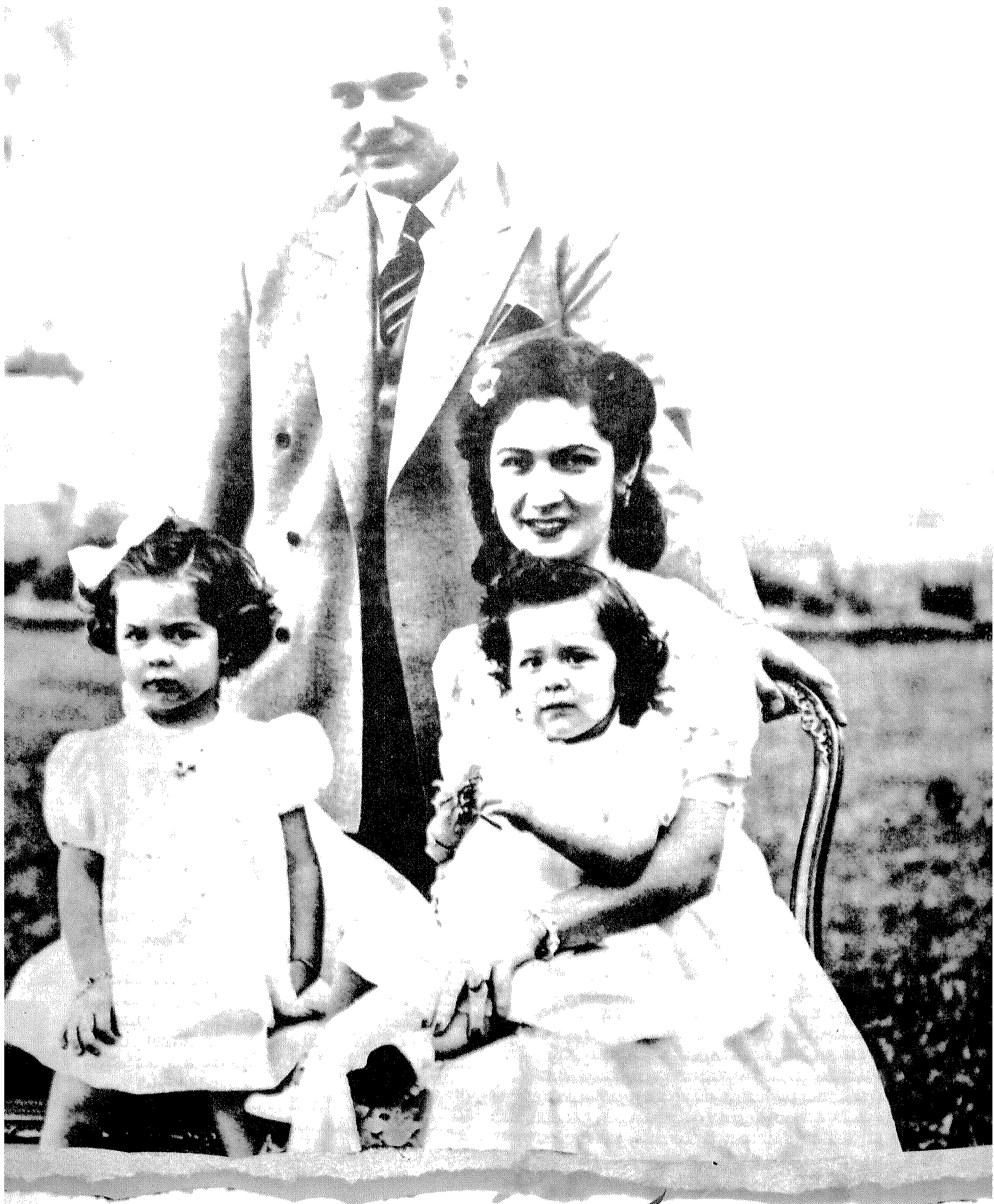
يحنو على فريال
الصغيرة التى كانت
بدورها تحبه حبا جما

فريدة هي المرأة الوحدة
التي أحبها بصدق
والسعادة تفيض من
عينيها أثناء زيارتهما
لأحد المصانع

فى نادى الصيد مع
بوللى الذى تركه فى
مصر حين غادرها
وكان يبكيه دون دموع



ما أعجب العلاقة التى ربطت بين الملك وبوللى فالملك متبوع معظم الوقت وتابع كما توضح الصــــــورة بعض الوقت



المقامر طلّق فريدة فخسر كل شيء

من المؤكد أن فاروق لم يكن يستلهم عبارة القديس ديلاكروا الزاهدة «لقد وطنت نفسى على الخسارة فإذا بى أربح كل شئ» اثناء لعبة القمار كل ليلة .. بل أن خسارته كانت فادحة شأن أى مقامر يخسر ماليا ومعنويا ومنذ القرن التاسع عشر لم يسمع عن حاكم يمارس القمار علنا على مستوى العالم بإستثناء «فوكس» رئيس وزراء بريطانيا واللورد ساندوتش وهو أول من أبتدع هذه الوجبة السريعة التى اخذت اسمه وذلك حتى لا يضطر إلى مغادرة المائدة الخضراء .... وانتقل نفس الداء بأعراضه إلى فاروق .. فى البداية تطورت الكوتشينة إلى البوكر اللعين تلك الجرثومة التى تنفذ من مسام المقامر تغريه وتحفزه وتستحلفه الا يغادر مقعده إلا بعد الحصول على مكاسبه فإذا خسر !! يتذرع بمزيد من العدوانية والعدائية ويتشبث بمقعده ساعات وساعات.

وتحريم القمار دينيا له مبررات موضوعية وجيهة لم تأت من فراغ .. فهو آفة تفتك بلاعبها تقضى على سنوات عمره وماله ... ولم تع ذاكرة التاريخ اسما واحداً تسبب القمار فى مجده أو ثرائه بإستثناء بعض الشخصيات التى كانت تضمها «برتيتة» فاروق فى نادى السيارات ومعظمهم من أصدقائه الحميمين الذين كانوا يحرصون على الخسارة عمدا أمامه – مثل الياس اندراس– لإرضاء غروره كلاعب محترف وملك لا يعرف الخسارة أو الهزيمة وإن تجرعها فى حرب ١٩٤٨ إلا أنه كان يرفضها تماما على المائدة الخضراء وفى نادى السيارات الذى تشهد جدرانه وأركانه بأحداث تلك المأساة الأخلاقية .. كان يجلس ملك أكبر دولة عربية وإسلامية يلعب القمار كل ليلة وعربات الحراسة الخاصة تقف فى حراسته وانتظاره على مرأى ومسمع من الشعب الفقير الذى أنهكه الغلاء وأعباء الاستعمار وكسرته الهزيمة !!! وتدريجيا تمكن القمار منه تماما حتى أصبح يلعب من المساء حتى صباح اليوم التالى «أى ما لا يقل عن عشر ساعات يوميا!!» فى أحدى المرات فكر النقراشى فى مخاطبته واسداء النصح المشفق .. لكنه تراجع أمام ما يعرفه من عناده وتحجر رأيه وقال ربما أحرجنى قائلاً : «لقد كان رئيسك رحمه الله يلعب القمار أيضا» !! فأمسك عن النصيحة ولم يجرؤ رئيس وزراء واحد على مخاطبته فى هذا الموضوع وانطلقت الصحافة تغمز وتلمز ولكن الموقف لم يتقدم ولكنه تأخر وساءت حالته حتى أنه أصبح عازفا عن أى مشاركة اجتماعية فى نطاق عائلته وشبه معرض عن المشاركة الفعالة فى الشئون السياسية فيكتفى بالتعرف على الخطوط العريضة اليومية بصورة سريعة خاطفة وسرعان ما أعرض عن مجالسة النساء أيضا تجنبا لثرثرتهن أثناء لعبه .. بالإضافة لإنشغال ذهنه وتركيزه التام فى محاولة الكسب وإعراض المقامر المحترف عن الصداقات والعلاقات النسائية قاعدة مألوفة فى عالم القمار !!! واكتفى بمجالسة بعض الأجنبيات إذا سمح وقته الثمين !! ولم تكن عصبيته فى حالة الخسارة تضاهيها أى نار أخرى .. وفى حالة لعبه وخسارته تماما كان يتوقف ويصرح لأعضاء البرتيته إنه على البرسيم أى مفلس أو «على الجنط» كما يقول الشباب الآن !!! ومن وقائعه النادرة أنه ظل يلعب فى نادى السيارات فى الاسكندرية ليلة العيد حتى أدركه الوقت فما كان منه إلا أن غادر المائدة الخضراء رأسا إلى المسجد لاداء صلاة العيد !!! وتدريجيا تدهورت خريطته اليومية وبدأت تظهر عليه كافة أعراض التبلد الشعورى العام إزاء ما يجرى من حوله !!!



وهكذا وجدت التنظيمات الشيوعية ضالتها المنشودة دون عناء البحث عن أخطائه وتتبع سلبياته بل أنها لو دفعت الملايين لما أساءت لصورته كما تكفل هو بذلك على حد تعبير سكرتيره الخاص !!!

ثروته

يقول المتنبى : إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وكما رأينا فقد ساءت الأفعال وهبطت أسهمه الشعبية وتشوهت صورته الذهنية ومنذ أن وطئت الأقدام صورته .. أصبح يعد العدة لغده فيستقبل فيكتور عما نويل الثالث ملك إيطاليا وزوجته بعد نفيهما ويحرص على حسن رعايتهما ويصرح بما فى قلبه «علشان ربنا يكرم الواحد لو حكمت عليه الظروف يوما أن يرحل عن العرش!!» ومرة أخرى يجتمع بوزرائه على مأدبة غذاء فى عام ١٩٤٩ ويفاجأهم بأنه قرر تعديل اسم السلام الملكى (١٣٠) إلى سلام الدولة ويعلل السبب فى غيرته وحرصه على وقوف الناس اثناء عزف السلام ويستطرد فى حديثه مع كريم ثابت : «لقد لاحظت أن الكثيرين لا يقفون عند عزف السلام اعتقادا منهم انه سلام الملك فقررت تعديله إلى سلام الدولة لكى يحترمونه وفى ذلك احتراما لكرامة الوطن ولكن لم اشأ أن اصرح بذلك للوزراء وعملتها بجميلة منى .. البلد تسير نحو الجمهورية بخطوات سريعة ولا يوجد لدى مانع أن اترك كل شئ وأرحل إذا وجدوا من يحكمها !!!» وإحقاقا للحق فقد شهد د. حسين حسنى سكرتيره الخاص بمدى حرصه على إحترام السلام الملكى .. عندما كان يعود الملك فى فراشه أثر اصابته بنزلة برد فطلب من د. حسين حسنى الوقوف بدلا منه عندما تهادى إلى سمعه أنغامه الملكية !!! وبالرغم من كل سلبياته فلن نناقش مدى حبه لمصر من عدمه فتلك أمور موطنها القلب يعلمها العليم بذات الصدور .. فإذا كانت الوطنية ألوانا وأطيافا تختلف بإختلاف أشكالها لكنها تتحد فى مكوناتها .. ومعظم المستبدين والمفسدين يكرهون أنفسهم لا شعوريا لا بلادهم وموطن أى إنسان هو ملاذه وبيته الآمن وان تمرد عليه أو تكدر منه !! فما بالنا إذا كانت مصر هى الوطن والحضن الدافئ وإن ارتجت أطرافه غضبا وحنقا .. من الذى يقاوم حب مصر الآثر فى قلوب من حكموها منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عهد الإحتلال !!! فنحن لا ننكر عليه محبته لمصر الساحرة ولكنها محبة اثرة لا إيثار فقد ظل حبه الأكبر لنفسه وهو شأن جده محمد على استحوذ على معظم الأراضى الزراعية التى ورثها عن الملك فؤاد وكانت تقدر بخمس الأراضى الزراعية .. بالاضافة لتفاتيش الخاصة الملكية فى ادفينا وانشاص والعامرية ورأس الحكمة حيث شيد استراحة فى هذا المكان الرائع بالقرب من مرسى مطروح ذلك المكان الذى اشتهر بصخوره وشطآنه ورماله فيما عرف «ببحيرة الأميرات» !!! بالاضافة لثروته من الاراضى البور الغير مستصلحة والاوقاف الملكية التى ضم إليها أوقاف جده إسماعيل وتدخله فى شروط الوقف بالاضافة إلى نصيبه من الأسهم والمستندات والتى كانت تقدر بأكثر من ٢ مليون جنيه معظمها أسهما فى شركة بيبسى كولا العالمية وشركة سعيدة للطيران بالاضافة لثروته من التحف والمجوهرات والعملات والاسلحة الاثرية وثروته من الخيول العربية والسيارات وطائرات السرب الملكى واليخوت وعلى رأسها المحروسة الذى ورثه عن جده إسماعيل وأبحر به إلى إيطاليا وكان يقول عنه أنه الأثر الوحيد المتبقى والذى يشير إلى عراقة البحرية المصرية !! وفى عهد النقراشى طلب اعتماد مليون جنيه لإصلاحه .. فرفض النقراشى لضخامة المبلغ وتعارض الطلب مع الظرف الاجتماعى عام ١٩٤٨ !! وتجددت الرغبة مرة أخرى فى عهد الوزارات التالية وبالفعل تم اصلاحه بمبلغ ١,٣٢٠,٠٠٠ جنيه ورضخت الحكومة لاصراره وعناده ولم يخل الأمر من عمولات السمسرة التى تطلبها اصلاح اليخت فى إيطاليا وفى خضم الليونة الوفدية امام الرغبات الملكية تم زيادة مخصصاته واعفاءه من الضريبة على الايراد .. بالاضافة ليخت فخر البحار الذى باعه للحكومة ثم احتفظ به لنفسه وقبض ثمنه كاملا والذهبية ستار.. وفتحت الصحافة نيرانها على هذا الإستفزاز الصارخ الذى هرب منه فى القاهرة حين توجه لقضاء شهر العسل لمدة ثلاث شهور فى أوربا.

وعلى الرغم من أن الخوف والقلق كانا جزءا لا يتجزأ من شخصيته المزقة وكثيرا ما كان يقرض اظافره إلى الدرجة التى يسيل معها الدم وكانت المانوكرست الخاصة به تعانى من هذه المشكلة وهو لا يتجاسر إلا إذا تأكد من إختلال ميزان القوة لصالحه !!! غالبا ما يتجنب الصدام والمواجهة فالخجل من طبيعته وقد عرف طريقه للحديث الغير مباشر منذ طفولته من خلال أفاعى الحاشية واعتيادهم على عدم اظهار ما يبطنون واستخدام الآخرين سلاحا وستارا ومرسالا وهو أسلوب عتيق متخلف فى السياسة والحياة فلا أنجح ولا أقوى من المباشرة والصدق والمواجهة لكشف الحقائق وتجنب الغموض وسوء التأويل المتعمد من قبل المرسال الذى لا تخلو نفسه من الأغراض !!! فلا غرابة أن تأتى النتائج التى يجنيها الإنسان عشوائيه وهلامية وغير حازمة مثل وسائله !! وهو ما حدث فى الفصل الأخير من هذه التراجيديا الفاروقية ففى الوقت الذى تعاظم فيه دور الضباط الأحرار وثبتت الرؤية وكتبت المنشورات التى قرأها بنفسه وتأكد الخبر .. فقد ظل حيدر باشا يهدئ من روعه ويبعد عن ذهنه أى مخاوف حقيقية .. وبدلا من احتواء الصراع ومعالجته بالمواجهة والتفاوض من خلال اتصاله شخصيا بالضباط والوقوف على أسباب اعتراضهم وتحقيق بعض مطالبهم ومحاولة إستيعابهم ولو تكتيكيا .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث واستسلم بسذاجة مفرطة لكل ما جاء على لسان حيدر باشا وزير الدفاع .. الذى لم يخف عليه بالطبع ما يدور فى كواليس الجيش المشتعل

ثورة وغضبا .. وهكذا احتاط فاروق من وجهة نظره القصيرة لتوافه الامور وغامر بعرشه فى آخر دور يلعبه فى حياته على المائدة الخضراء !! «فقد عمل حساب الحية (الشيوعية) ولكن العقربة لم تأت على البال (الحاشية) فكانت اللدغة مباغتة سريعة قاتلة !!!

ولنعود إلى نشأته التى تطرقنا إليها ولكننا نخوض هذه المرة فى قصة زواجه من ذات الدلال المحصن (أو صافيناز) ذو الفقار باللغة التركية أو (فافيت) بلغة الدلع العائلية !!! حين توفى فؤاد ونودى بفاروق ملكا كان حبه واحترامه لأمه قد بلغ ذروته .. وكان طبيعيا أن ينشد حنانها واحتوائها فى شخصية زوجته الصغيرة الجميلة .. الهادئه .. الرقيقة القوية الفنانة الفريدة وهكذا أطلق عليها أول ألقابها وأبقاها !!

الزفاف الملكى

ولدت فريدة فى سبتمبر ١٩٢١ .. وهى ابنة المستشار يوسف ذو الفقار سفير مصر فى ايران فيما بعد .. جدها الأكبر هو قائد جيش محمد على وسمى ذو الفقار نسبة إلى سيفه جدها لأمها فهو محمد سعيد باشا رئيس وزراء مصر سابقا . أما خالها فهو واحداً من اعظم فنانى مصر التشكيلين محمود سعيد صاحب اللوحة الشهيرة الفاتنة «بنات بحرى» وسوف نتطرق لاثره فى حياتها الفنية فى فصل لاحق !!! دخلت فريدة حياة فاروق عن طريق والدتها «زينب هانم» وهى أحدى وصيفات الملكة نازلى .. والوصيفة هى السيدة التى ترافق الملكة وتجالسها وتصادقها صداقة لا تخلو من الفواصل وإن كانت خيوطها ذهبية لا تتعداها الوصيفة وتذكرها بعدم الندية فى هذه الصداقة الملكية !! كانت صافيناز أو فافيت كما كان يدللونها ماتزال طالبة فى مدرسة نوتردام دسيون بالاسكندرية حين قررت الملكة نازلى فى فبراير ١٩٣٧ دعوتها هى ووالدتها بناء على رغبة فاروق للسفر معهم إلى أوروبا .. فأشتعلت شرارة الحب بينهما فى جبال سان موريتز الجليدية بسويسرا وقرر فاروق أن يتزوجها .. وعلى الرغم من معارضة نازلى فى البداية لصغر سنه فقد كان فى الثامنة عشر من عمره وهى فى السابعة عشر حين عقد القران إلا إنها رحبت بالعروس فهى أبنة وصيفتها .. فلن تعصى لها أمرا !! هكذا اعتقدت .. ثم أنها لا تفضل لابنها أى أميرة من أميرات الأسرة .. فهى شخصيا لا تجرى فى عروقها دماء زرقاء .. وصافيناز وإن كانت مثلها من طبقة ارستقراطية إلا أنها فى النهاية من الشعب .. وإذا كان رأس المرأة له ثمن إذا كانت تضع عليه قبعة .. فقد أصبح رأس فريدة المتوج لا ينافسه أى رأس أخرى على الأقل فى المنطقة العربية .. وعلى الفور أصدر الملك أوامره بإنتقال اسرة العروس من الاسكندرية إلى القاهرة وانعم على والدها بالباشوية وعلى والدتها بنيشان النيل وخصص لهم قصر الفريد شماس بمصر الجديدة للاقامة به إلى حين انهاء اجراءات الزفاف .. وفى ٢٠ مايو ١٩٣٨ عقد القران فى قصر القبة وصدرت صحيفة الأهرام تزف البشرى إلى الشعب وكتبت فى صدر صفحاتها «أشرقت الأرض بنور ربها وازدهر الكون بفرح وليه واحتفلت الطبيعة بعرس أجمل من فيها» توالت الهدايا من جميع انحاء العالم فأهداه هتلر سيارة مرسيدس وجورج السادس ملك بريطانيا بندقيتى صيد والملوك العرب قدموا خيولا عربية اصيلة .

تألقت العروس فى فستان ملائكى من خيوط الدانتيل والفضة صممه بيت أزياء ورث بباريس . أستمرت الاحتفالات الرسمية ثلاث أيام تحولت خلالها شوارع مصر إلى لوحة فنية مضيئة تشع بهجة وفرحا فأضيأت المبانى وتلألأت الذهبيات والعوامات وانعكست أضواؤها على صفح النيل الذى تحول ماؤه إلى ثغر كبير يضحك ويغنى .. لم يكن زفافاً فهو ملحمة بهجة شعبية قضى العروسان شهر العسل فى قصر أنشاص الذى يتوسط جنة خضراء وطبيعة ساحرة اشتهر بها ريف مصر .. فى القرن الماضى !!!

وقد توافق موعد الزفاف بعد إقالة وزارة الوفد .. وبالفعل نجح تخطيط على ماهر فى اختيار الوقت المناسب لابتلاع هذه الصدمة السياسية والانتكاسة الدستورية بكل سهولة ويسر مستغلا شعبية الملك الجارفة آنذاك والتى لم يتمتع بها أى حاكم آخر عرفته مصر قبل الثورة .. فخطب طه حسين فى الإذاعة بمناسبة الزفاف الملكى فقال : «إن الذين يطلبون من الأدباء أن يصوروا لهم ما يعمر نفس الشعب المصرى من بهجة وما يملأ قلبه من غبطة وما يشيع فى حياته من سرور يكلفونهم مالا قبل لهم به .. فالمصريون يجمعون على حب مليكهم يظهر فتمتلئ به العيون وينطق فتمتلئ به الأسماع .. إن سته عشر مليونا هم أبناء مصر قد أجمعوا على الإبتهاج الذى لا حد له «أما خطبة فكرى أباظة فى جمعية المواساة بالاسكندرية فلم تكن أقل مدحا وإفاضة فى محاسن الملك وطلعته البهية «مولاى .. لو تنكرت جلالتك كما تنكر عمر بن الخطاب (الفاروق) وغدوت من أفراد الشعب لأحسست كيف تربع فاروق على ملايين القلوب ولعرفت كيف أصبح مولاى فاروق زعيم الملوك المحبوب .. أنه الحب الربانى الذى حفره الله سبحانه وتعالى حفراً فى الضلوع .. مولاى .. يا أحب ملوك الدنيا للشعب والرعية !!» .

أما الكاتب الكبير عباس العقاد فله قصيدة تحمل اسم «ليث الصحراء» اشاد فيها بفاروق والملك عبدالعزيز ال سعود وهو أشهر كتاب عصره اعتزازا بكبريائه ورفضه لشعر المناسبات .. وانتقاده بشدة ما لم يكن نابعا من عاطفة صادقة وحس أمين وفى جريده الاساس كتب يقول : نستطيع فى كلمتين أثنتين أن نوجز الخاصية البارزة التى أمتاز بها عهد الفاروق حفظه الله وهما (مكانة مصر) فقد أصبحت مصر أمة ذات مكانة مرعية فى العالم أجمع وفى الشرق خاصة فالمكانة أهم من السيادة فى حقيقة الواقع فقد أصبح شعار مصر كما يقول البارودى : خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة على يداً أغضب لها حين يغضب !!

إن الفارق بين الحر والعبد أن الحر يفعل واجبه وإن غضب من غضب أما العبد فلا لا يفعل إلا ما يرضى الآخرين .. وهذا هو الفارق الذى حققته لمصر شجاعة الفاروق» ويجسد عبدالقادر المازنى أقصى درجات المحبة الشعبية فيقول «لو استطاع رجل الشارع أن يقول لقال أفاض ولكنه تلجلج تلعثم .. فهو يدرك أن جلالته هو (ابن الثورة – ثورة ١٩١٩) وهو يمثل عظمة الأمة بعد الرقاد واقدامها بعد القعود .

وقصيدة اخرى لسيد قطب واخرى لبيرم التونسى بمناسبة عيد ميلاده الذى انتقده وهو فى مهده !! ولكن المديح الأعظم والذى لم يسمعه أحدا من قبل فقد كتبه شاعر الكوخ محمود حسن إسماعيل عام ١٩٤٦ حين أصدر ديوانا شعريا كاملا فى مدح فاروق يحمل اسم «ديوان الملك» وهو نفس العام الذى خمدت فيه خميرة المحبة إلى أدنى مستوياتها وسويت بالأرض !! وهى أبيات لشاعر كبير مبدع تجاوز الحد الأقصى للمبالغة والمجاملة والاطراء إلى الابتهالات والتوسلات !! يقول شاعر الكوخ :



فاروق لو أن للأيام أجنحة
رأيتها بالهوى تأتيك أسرابا
آفاق مصرك سيناء وأنت لها
موسى يشعشع منك الحالك العكر
هذى موازين شعب أنت سائسه
فأحكم أنك فى ايامه عمر
هذا جلالك يا فاروق كل ثرى
تمشى عليه مشت فيه القداسات
ملك فى شباب العمر تحسبه
لحكمة الرأى تحدوه القداسات
قبس النبوة فى جبينك والعلا
رفعته للدنيا جبين قياصر
فاروق خطوك فى الرمال نبوة
للخير فى يدها البشير العاجل
فى دجى كوخ كأحشاء الضريع
لحت فى ظلمائه مثل المسيح
بزورة كنت عيساها وبى خدر
لولا جلال الهدى ادعوك رحمانا

انها عينة من كتابات كبار مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا .. فمهما كانت تحمل من مجاملات إلا أنها تعكس محبة وشعبية مؤكدة !!! فهو «الملك الصانع» و «الملك المحبوب» و «الفلاح الأول» والصانع الأول .

وهكذا تسللت هذه المعانى والكلمات الى مسام الملك الشاب وتدريجيا أصبح سميك الجلد محصنا ضد أى انتقادات .. يملؤه الزهو والثقة (الظاهرين – بأنه سديد الرأى صائب المشورة ولا أدل على ذلك من خطبته فى أحد الاعوام فى الاذاعة وتباهيه بصلابة رأية وتشدده ونفيه امكانية تعديله وفقا لأى مشورة .. وهى صفة ورثها عن والده .. فهو حفيد اسماعيل وسليل إبراهيم باشا .. أما جده الأعظم فهو محمد على مؤسس مصر الحديثة .. بمثل هذه الاسطوانة المتعالية وان كانت حقيقة

واقعـة اقنعـه مقربيـه أنه الأعلـى أو الاعظم The Supreme كما كان يطلق محمد على كلاى على نفسه .. وأصبح من المحال على زوجته فريدة أن تطلب منه شيئا بصورة مباشرة حتى لا يرفض طلبها .. فكانت تلجأ للوسطات .

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٣٨ ولدت الأميرة فريال – على اسم جدته والدة الملك فؤاد – فأحبطت الفرحة وضاعت البهجة فالملوك لا يسعدون إلا بقدوم ولى العهد .. خاصة أن ولى عهده (محمد على توفيق) كان من أبغض الشخصيات إلى قلبه ومنذ ذلك التاريخ الفاصل بدأت فريدة تعرف طريقها إلى المهدئات وفى ٧ ابريل ١٩٤٠ أنجبت طفلة جميلة أخرى وهى الأميرة فوزية .. التى تلقيا خبر ميلادها بكلمات المواساة وجبر الخاطر وعلى حد تعبير الملكة فريدة كانت كل مهنئة تقول : «لها شدى حيلك وهاتى الولد !! والنساء الأكثر أدبا يقلن لها إنشاء الله المرة القادمة يكون ولد !! كأن الأمر بيدها !!» وتجد الملكة نازلى ضالتها المنشودة فى عكننة جو المحبة والصفاء الذى كان يربط فريدة بالملك .. وتستعين بالسحر والتعاويذ وتضع بعض العظام الملوثة بالدماء فى مخدع فريدة لكى تنجب ولدا !! أما فاروق فقد بدأ مسلسل اللهو الملكى الذى دفعته إليه حاشية البلاط «بوللى وجارو وبترو وكافاتسى «مدرب الكلاب» فهم أصدقاء طفولته المشوهة .. يعرفون جيدا جميع نقاط ضعفه وميوله واتجاهاته ففاروق صنيعتهم ومن ثم أمكنهم السيطرة على الكثير من سلوكياته عن طريق التوجيه غير المباشر والإستمالة التى يجنح لها الإنسان بفضل طول العشرة .. ويمكننا القول أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ هو العام الذى شهد تغييرا جذريا فى حياة فاروق الخاصة.. فبعد الحادث الذى هز مصر كلها .. بدأ يشعر باليأس والإحباط أمام جبروت بريطانيا ممثلا فى سفيرها لامبسون .. وعلى الفور أجتمع بعض أفراد الأسرة العلوية وعلى رأسهم الأميرة شويكار زوجة أبيه السابقة وفكروا فى إقامة الحفلات الخاصة فى قصورهم للترفيه عن جلالته .. وليتهم ما فعلوا .. فالأميرة شويكار لم تنس يوماً ما فعله أبوه بأموالها التى بدد نصفها وخلافاته معها وكيف تنسى أن ابنها إسماعيل الذى توفى صغيرا كان من المفترض ان يرث عرش أبيه لو أمد الله فى عمره كيف لا تنتقم من نازلى فى شخص ابنها وقد خطفت زوج ابنتها لطفية (أحمد حسنين) !!! أنه الحقد الدفين الذى ترسخ فى أعماقها وانعكس على كافة تصرفاتها فأتخذت من قصر محمد على بشبرا وأرض الجزيرة مقرا لحفلاتها ولياليها لتدعيم مبرة محمد على الخيرية ومن خلال الفقرة الاستعراضية التى كان يتضمنها كل حفل كانت تحرص على إختيار أجمل الفتيات فى زمن كان الجمال فيه هو القاعدة – من مصريات ويونانيات وتركيات وإيطاليات اللاتى يقمن بتقديم تابلوهات راقصة غير بريئة بثياب شفافة لا تعرف الحياء ومن كان بلا خطيئة فليرجمه بفتيات فى مثل جمالهن فى ظل أجواء موسيقية هادئة .. وأضواء هامسة وبحيرات ساحرة .. يكفى ان السفير البريطانى كتب فى مذكراته يصف حفلا من حفلات الأميرة شويكار دعى إليه فبهره ما شاهد فقال «أعتقد أن الإنسان لا يمكن أن يشاهد فى أى مكان ما رأيت هنا فى قصر شويكار حيث يوجد تجمع كبير يضم نساء جميلات جدا والكل يتحلى بمجوهرات بديعة !! بل أن السفير البريطانى كان على علم تام بمعظم خلافات الملك والملكة من خلال جواسيس القصر وخدمه ففى إحدى الليالى تشاجر فاروق وفريدة فى الساعة الثالثة صباحاً وفى اليوم التالى كان السفير البريطانى على موعد مع رئيس الوزراء فى الحادية عشر صباحا واخبره بموضوع الشجار !! وبعد أن تخيلنا رد فعل الملكة فريدة والحروب التى بدأت بينها وبين شويكار من أجل المحافظة على حبيبها وزوجها ومليكها ووالد بناتها فلتستمع الى ما تقوله الملكة فريدة عن هذه المحنة «فى بداية الخلاف كنت أذهب أشاهد البروفات والإستعدادات لهذه الحفلات وكنت أعطى بعض الملاحظات على الحفل .. ألغى وأعدل فى بعض الفقرات المبتذلة وكانت الأميرة شويكار تنفذ ما أقول ولكنها تشكو للملك من تدخلى وتتهمنى بالغيرة وإفساد الحفلات وبذلك استطاعت أن تحصل على أمر ملكى صريح بعدم اطلاعى على برامج الحفلات !! ثم تطور الموقف واصدر فاروق أمرا آخر بعدم حضورى حفلات الأميرة شويكار التى بلغت حد العربدة» .. وهكذا أنتقل فاروق من مرحلة البراءة الصبيانية إلى عالم الذئاب الملكية وأيقنت فريدة بحاستها الأنثوية أن زوجها لن يستطيع



العودة مرة أخرى إلى سابق عهده ووده وحبه وإخلاصه القصير العمر فقد أصبح شهريار ولم تقنعه فريدة بقدراتها كزوجة فى القيام بدور شهر زاد ويالها من ملكة تعيسة فقد تحالفت نشأته وطفولته وهروبه من مشاكله مع والدته وفضائحها وانكسار أنفه امام الانجليز وعدم انجاب ولى العهد وحفلات شويكار اللا اخلاقية ولا شئ أقسى على نفس المرأة العاشقة حين تكتشف اخطاء الوثن الأكبر الذى كانت تتعبد له دون أن تفطن الى تفاهته على حد تعبير سيمون دى بوفوار . تقول فريدة : «كان ينتابنى احساس فظيع قبل الولادة كأننى أصعد جبل (١٣١) المشنقة وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٣ رزقنى الله بفادية وكانت أحب بناتى إلى» وقبل ولادتها كان كل ما بينى وبين فاروق قد أنقطع وأصبحنا زوجين على الورق فقط ويئست تماما من ولادة ولى العهد بل أننى فكرت فى التخلص من الحمل ولكن إيمانى بالله منعنى من ذلك وبدأت الخلافات تزداد بينى وبين فاروق ولا اراه إلا قليلا فى أعياد ميلاد البنات وأصبحت حياتى بلا معنى أو هدف فهو دائم السهر خارج القصر واذا حضر فلكى ينام !! وبدأ كل منا يتجاهل الآخر فأعتنيت ببناتى وأصبحن يستفسرن عن أبيهن وانعكس كل ذلك على حالتى النفسية .. فأصبحت لا أغادر القصر ولا أرى أقارب أو أصدقاء وأنقطعت عن الحياة الاجتماعية وأصبحت اكره التواجد فى الحفلات والمقابلات فهى عبء نفسى لا أستطيع إحتماله فهى سوق لبيع الرذيلة واصطياد الفريسة حتى فى الحفلات الخيرية التى تقام من أجل الخير وأدركت كل سيدة وفتاة نقطة الضعف فى زوجى وهى النساء ولم يحاول فاروق ان يقاوم هذا العبث النسائى لكنه كان شغوفا بالعبث اللا أخلاقى وتلك كانت مأساتى» وأصبح فاروق لا يستطيع التخلى عن سهراته فى الكباريهات والنوادى الليلية ونوادى القمار فقد وصل الأمر الى ما يشبه الإدمان .. ادمان السهر ولكل سهرة نوع معين من النساء .. كانوا حوله اشبه ما يكونون بشلة فساد مثل شباب المراهقين أنتهى كلام الملكة فريدة حيث جسدت الموقف بعبارات واضحة لا تحتمل اللبس أو التأويل وتركت هاتين الصفتين للملك ينالان من سيرته إذ أن حاشية جلالته لم تقف مكتوفة الأيدى أمام تيار السمو والنبل الملكى الذى تزعمته فريدة .. الأمر الذى قد يهدد مصالحهم وربما أبعدهم عن القصر .. فقد كانوا يدركون جيدا أن أى تقارب بين الملك والملكة قد يفضى إلى الإطاحة بهم وإغتيال احلامهم الشرهة .. وزاد الطين بلة أن الأمر لم يتوقف على الحاشية الايطالية فعلى الرغم من انها رأس الأفعى والسبب المباشر لفساد الملك .. ولكن الاحداث الدرامية فى تلك المأساة وجدت من يدفعها ايضا بكل مكر ودهاء من ثعالب السياسيين أمثال (كريم ثابت – أحمد حسنين – على ماهر – الياس اندراوس) وبعد فوات الأوان وإنهيار المعبد تجتر الملكة أحزانها وتعترف بجوهر المأساة التى كانت ضحيتها وتقول : «كنا أطفالاً (١٣٢) صغارا بين عجائز مخضرمين أفسدوا كل شئ بيننا لقد دللنى فاروق كثيرا ودللته فهو حبى الكبير .. فهو طيب القلب جدا .. أنا وحدى أعلم هذا .. لا تصدقوا كلام الصحف .. لقد فرقت دسائس القصر بيننا !!!» وأعتقد أنها رددت كثيرا عبارة شاتوبريان فيما بعد «فلنضن بالاحتقار ونقتصد فيه فما أكثر الذين يستحقونه فلو وزع عليهم فلن يكفيهم» !! وبالفعل لم يبخل رجال القصر بخططهم الشيطانية فأقنعوا الملك أن فريدة على علاقة بشخص متزوج من أحدى أميرات العائلة.. وبكل أسف أقتنع فاروق بهذه الاتهامات الباطلة وتمكنت منه الشكوك حتى أصبح يراقب منزل هذا الرجل الذى كانت له ميول يسارية .. وورث ثروة ضخمة وهو لاعب ماهر فى لعبة البولو وبالفعل كانت تتردد فريدة على منزله ولكن لسبب آخر بعيد تماما عن هذا الافتراء .. فقد كانت صديقة للأميرة زوجته التى تعلمت منها بعض فنون الرسم .. وهى تكبر زوجها بعشرين عاما كانت تمت لفاروق بصلة قرابة وكانت دائمة النصح له هى وزوجها فاتهمهما فى البداية انهما السبب الرئيسى لتمرد زوجته وشكواها المستمرة وكاد يطلق عليه الرصاص فى احدى المشاجرات وأستبد به الخوف حتى أنه تشكك بعض الوقت فى نسب ابنته فادية – رحمها الله.. فما كان من أحمد حسنين تجنبا لوأد تلك الشكوك الباطلة التى قد تقضى على سمعة مليكه وتفتح بوابات الثرثرة واللغط على مصراعيها اقترح على مصطفى أمين أن ينشر صورة الأميرة فادية بجوار صورة جدها الملك فؤاد وكتب مصطفى أمين تعليقا على الصورة قال فيه : إن الأميرة فادية تمتلك عينى وانف جدها الملك فؤاد !!! ولنا أن نتخيل قوة احتمال امرأة تتعرض لإتهامات زوج عابث يقلب الأمور رأساً على عقب فيتحول المجنى عليه إلى جانى !!

فهى سيدة فاضلة وفنانة راقية نشأت فى بيئة صالحة تؤمن بأن الأخلاص هو أقوى إغراء تقوم به المرأة وسط هذا الصخب اللا أخلاقى بصفة خاصة ولا شئ يؤكد ترفعها وتساميها إلا لجوءها الى الفن بعد طلاقها !!!

لم تنس فريدة الطعنة الأولى .. وتمثلت فى حبه للأميرة الجميلة فاطمة طوسون زوجة الأمير حسن طوسون وهى علاقة اكدتها الوثائق البريطانية ووردت فى مذكرات معظم معاصريه ومثلما أتهم فريدة ظلما وبهتاناً .. لاكت الألسنة سيرته وأكد بعض مقربيه أن ابنة هذه السيدة وتدعى «ملك بر» هى ابنة غير شرعية تشبهه كثيرا ويشيرون إلى خلاف فاطمة طوسون معه عقب وفاة زوجها ورفضها الزواج منه وسفرها بمفردها إلى أوربا .. وعدم سماحه بسفر ابنتها الطفلة الصغيرة معها وحرمانها من لقبها بعد زواجها من أمير برازيلى !!! وهى قصة من طلائع غرامياته وأكثرها تداولاً .. هل يعنى هذا أنه تحدى مشاعر الملكة مباشرة ؟ نعم فهو ملك البلاد يفعل ما يشاء فجميع رجال الدولة ينحنون أمامه ويقبلون يديه مبتهلين بأسمى أيات الدعاء للحصول على رضاه السامى وهى وان كانت الملكة فهى زوجته وفى النهاية هى احدى رعاياه هكذا تسربت الديكتاتورية والاستبدادية الزوجية الى يقينه ولم يجد القصر من يطفىء ناره وإنما من يشعل النار ناراً فوصفت نازلى فريده بأنها فلاحة تريد أن تسيطر على الملك وتتحدث عن حياتها الخاصة مع افراد اسرتها !! وبدأ صراع نازلى لإحتواء الملك وفرض سيطرتها عليه كملكة أولى يتضاءل إلى جوارها دور فريدة وكان هذا أقصى أمانيها وأصبح من المحال ان تتواجد الملكتان فى مكان واحد دون أن تطغى نازلى بشراستها المعهودة على جموع الحاضرين فتتجه إليها الانظار وتتوالى انكسارات فريدة ويتعمق شعورها باليأس «نازلى كانت تكرهنى واستعملت السحر لتعذيبى» وفجأة قرر الملك تقديم هدية ثمينة لزوجته الصامدة والصامتة فقام بشراء ألفى فدان فى الشرقية عرفت باسم «تفاتيش الفريدية» كما أهداها قصر الطاهرة الذى اشتراه من ابن عمته محمد طاهر بأربعين ألف جنيه وقد سمى الطاهرة نسبة لشاعرة إيرانية وليس نسبة لمحمد طاهر -كان يضع منشورا صغيرا عن الشاعرة فى ردهة القصر متضمنا تلك المعلومة - وهكذا أعتقد فاروق أن ملكية هذا القصر قد تشعر فريدة بشئ من الأمان خاصة أن القصور الملكية لم تكن ملكه ولكنها تخضع للملكية الدولة وهى قصور غير مريحة سكنيا على حد تعبيره .. وقبلت الملكة الهدية ولم تبهرها فمازال كبرياؤها يؤلمها وحزنها يغلبها وواجبها كأم يناديها أن تبقى وتحاول مرة أخرى وكنوز العالم لن تمنحها سعادة تنشدها .. ولكن ما حدث عام ١٩٤٥ كان شيئاً يفوق إحتمال أى امرأة .. فقد اكتشفت وجود سيده تركية تدعى ليلى شيرين فى الصالون المخصص لجناحها فأمرت بإلقاء القبض عليها والتحقيق معها رسميا فى قسم شرطة عابدين .. والمدهش أن الملك لم يكن متواجدا فى ذلك اليوم فى القاهرة فقد سافر إلى الفيوم لحضور اجتماع تحضيرى خاص بمؤتمر سان فرانسيسكو .. أما المفاجأة ففجرتها ليلى شيرين التى اعترفت بأنها دخلت القصر مرات عديدة من خلال الأبواب الخلفية التى كان يفتحها الحرس لمرورها .. وأكدت ان الملك أعطاها موعدا فى ذلك اليوم .. ويبدو أن الشمشرجية نسوا إلغاء الموعد ولم يخطروها بعدم تواجده وسفره خارج القاهرة !! وأفاد تقرير طبيب القصر انها مختلة عقليا وأصبحت الفضيحة رسمية وأتهم الملك فريدة بأنها أجبرت السيدة على الإعتراف لكى تثأر منه وتشوه صورته أمام شعبه .. ولم تكن فريدة تحتاج لكل ذلك فقد تكفل بتدمير نفسه وتقويض عرشه وأصبح من المحال أن يعيشا معا «لقد دفعونا إلى الطلاق فقد أصبح من المحال ان أناقشه أو أجادله لم يعد الغضب هو الحل» . فمكثت فريدة وبناتها فى قصر عابدين وانتقل٨٨ فاروق للإقامة فى قصر القبة واتفقا على الطلاق ولم يعلن إلا فى ١٨ نوفمبر ١٩٤٨ حيث اعلن طلاقه من فريدة (طلاقا بائنا) وطلاق فوزية من الشاه !! هذا الطلاق الذى حاول أحمد حسنين منعه قبل وفاته بشتى الطرق حفاظا على شعبية الملك التى تدعم سلطته وسطوته شخصيا فهو رجل البلاط الأول يستمد نفوذه من نفوذ مليكه .. إنها دهاليز القصور وعالمها الفاسد الأنيق .. وجاءت النصائح لفريدة تحمل فى طياتها تلك الواقعية الصادمة .. وتدعوها لأن تتغاضى عن سلوكيات الملك فهكذا يعيش كل الملوك .. ولكنها لم تحتمل خيانات زوج أحبته حبا شديداً والمحب لا يمكنه إحتمال أى خيانة من حبيبه .. فإذا كانت الخيانة مسلسل يجرى إعداده وترتيبه بواسطة الآخرين هنا تتحول المقاومة الى عبث والاعتراض إلى ثرثرة .. والغضب إلى حماقة فامتنعت الملكة عن الظهور معه فى المناسبات الرسمية وفشلت كل محاولات ترميم هذه العلاقة الآيلة للسقوط من جانبه .. وحاول فاروق استصدار فتوى من شيخ الأزهر مصطفى المراغى بمنع زواجها ورؤية بناتها من شخص آخر فأعترض المراغى وقال عبارته الشهيرة:

«أما الطلاق فلا أرضاه .. وأما التحريم فلا أملكه» وعلى الرغم من إرتباطه بالشيخ المراغى فى بدايات عهده .. فهو أستاذه ومعلمه فى شئون دينه وهو الذى أخذ على عاتقه تنقية بذور نشأته وتقوية نزعته الدينية خاصة فى بدايات عهده فكان يصحبه لصلاة الجمعة كل أسبوع .. وبفضله أطلق الشعب عليه اسم «الملك الصالح» كما أن المراغى هو الشخص الوحيد الذى كان فاروق يقبل يده كما تقول الملكة فريدة ولكن حاشية السوء أفزعها تأثير المراغى على فاروق دينياً الأمر الذى يتعارض مع فسادهم وجشعهم واحباط خططهم !! .. وخرجت فريدة من بيت الدعارة إلى بيت الطهارة كما رددت الهتافات آنذاك .. وخسر الملك أكثر قلاعه شعبية فقد كان يحظى ببقايا محبة خاصة لا يعرفها إلا المصريون «لأجل الورد ينسقى العليق» وكانت فريدة هى زهرة اللوتس الفرعونية بأصالتها وعصفور الجنة بسموها وترفعها والقرنفل بسحر أريجه والورد البلدى بشعبيته الطاغية .. ولن نغالى .. إذا أشرنا إلى أفول نجمه وسوء حظه وانخفاض شعبيته منذ وقوع الطلاق .. الذى تنازلت فيه عن لقبها وتاجها وثرائها وزهدت فيما لا تزهد فيه النساء وخرجت من أفخم قصور العالم إلى منزل والدها لتصطحب معها صغرى بناتها فادية .. تنازل لها الملك عن تفتيش الفريدية ومجوهراتها وفيما بعد منحها فيلا فى الهرم قامت بتصميم ديكوراتها تحت إشرافها .. وحرصت أشد الحرص على أن يكون تصميمها بعيدا عن القصور .. وما أن وقعت عيناها على عامودين فى الردهة حتى صرخت فى وجه مهندس الديكور معترضة بمرارة وحزن : كفانى أعمدة رخامية !!!



ومن المؤلم أن حاشية القصر ظلت تخشى من أى تقارب بين فاروق وفريدة بعد طلاقهما .. حتى أنها ارسلت برقية رقيقة للملك تهنئه فيها بقدوم ولى عهده أحمد فؤاد .. فاغتبط فاروق وأبدى تأثره وأصدر أوامره لسكرتيره الخاص د. حسين حسنى بإرسال أكبر باقة من نوع محدد من الزهور كان يعلم أنها تفضله وبدوره فوض السكرتير أحد الشمشرجية بإنهاء المهمة وتمر السنين ويلتقى د. حسين حسنى وفريدة فى أحد معارضها الفنية ويسترجعان شريط الذكريات وتندهش فريدة من الواقعة وتؤكد عدم استقبالها لأى زهور من الملك ولكنها مكائد القصور التى كانا يعلماها جيدا !!

وعلى الرغم من تصدع صرح حياتهما الزوجية فقد ظلت فريدة حبه الأول وربما الآخير .. فقد أدى تعدد علاقاته النسائية إلى تعميق حبه الحقيقى الذى حاول الهروب منه إلى سراب لم يرويه .. أما هى فقد ظلت طيلة حياتها تردد «فاروق والد بناتى وهو الذى جعلنى ملكة» ورفضت اغراءات عديدة للكتابة عنه أو ضده بكلمة واحدة . ويروى د. أحمد عوضين من كبار موظفى وزارة الخارجية ما يؤكد وفاءها لذكراه ففى السبعينيات أثناء عمله بسفارتنا بباريس .. تلقت السفارة خطابا مفتوحا من الملكة فريدة مكون من ٤ صفحات فولسكاب تطلب ارساله للسيدة جيهان السادات وتشكو فيه من تداول الصحافة المصرية لسيرة فاروق وسمعته بصورة مشينة .. وترجو إيقاف هذه الحملات وتؤكد أنها مازالت تحتفظ له رغم طلاقهما ووفاته بكل ذكرى عطرة .

وظلت فريدة حرة طليقة كطائر النورس الذى لا يأكل إلا السمك الذى يصطاده بنفسه من أعماق البحار ولا يأكل الجيف أبدا وإن مات جوعاً .. فإذا استعصى عليه طعامه يرتفع إلى عنان السماء ثم يلقى بنفسه على صخور الشاطئ العتيقة لانهاء حياته .

وبكامل إرادتها دخلت محراب الفن الذى أنقذها من الجنون على حد تعبيرها حيث رفضت تقديم أى تنازلات فى حياتها .. وأغلقت الباب تماما فى وجه عروض الزواج وفضلت أن تكون .. فنانة تشكيلية تنشد صدق الإحساس وبكر المشاعر وقوة التعبير وديمومة الانفعال التى تغلغلت فى أعماقها المتأججة .. فكانت ملكة فى فنها الفطرى .. فنانة فى اعتزالها الملكى ■



حاشية البلاط أقنعت فاروق أن فريدة زوجته واحدى رعاياه أيضا.. فهو ملك البلاد يفعل ما يشاء



فـريدة تنازلت عن
لقبـهـا وتاجـهـا
وزهدت فيما لا تزهد
فـيـه النسـاء



فـريدة تحـتـضن نادية ـ
يرحـمـهـا الله ـ صـغـرى
بناتها وأحبهن إلى قلبها



فريدة حاربت من أجل
المحافظة على زوجها
ومليكها ووالد بناتها..
دون جدوى فقد الطلاق

فاروق لو أن للأيام أجنحة رأيتها
بالهوى تاتيك
أسرابا ملك فى شباب العمر تحسبه
لحكمة الرأى تحدوه القداسات
قبس النبوة فى جبينك والعلا
لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا
«من أشعار شاعر الكوخ محمود
حسن إسماعيل فى مدح فاروق»



في ٢٠ من مايو ١٩٣٨ عقد القران الملكي وكتبت الأهرام في صدر صفحاتها: «أشرقت الأرض بنور ربها وازدهر الكون بفرح وليه واحتفلت الطبيعة بعرس أجمل من فيها»

إن الـذيـن يـطـلـبـــون مـن الأدبـاء أن يصـوروا لـهم مـا يـعـمـر نفس الشـعب المصـرى من بـهـجـة ومـا يملأ قلبـه من غـبطة يكلفـونهم مـا لا قـبـل لهم بـه فـالمصـريون يـجـمـعـون على حب مليكهم يظهـر فـتـمـتـلئ بـه العيون وينطق فتمتلئ به الأسماع إن ستة عشر مليـونا هم أبناء مـصـر قـد أجـمـعـوا عـلـى الابـتـهـاج الذى لا حـد لـه «خطبة طه حسين فى الإذاعة بمناسبة الزفاف الملكى»



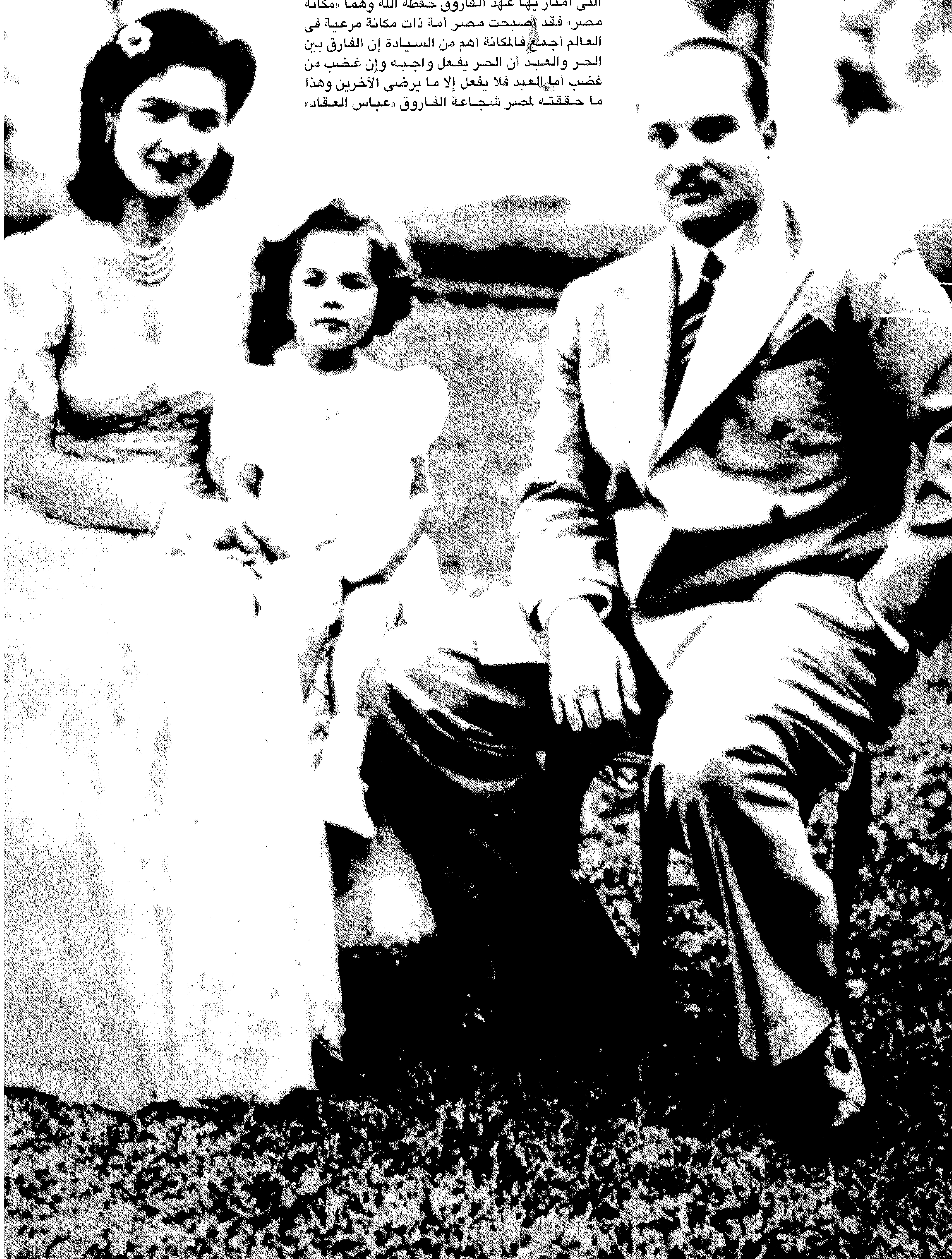
البونبونيرة الفاخرة المزينة بصورة فاروق والتى تم اهداؤها للمدعوين فـى الـزفـاف الملكى

الملكة فريدة بكامل أناقتها بملابس السهرة
في الأربعينيات بصحبة الأميرات والنبلاء

يالها من مشكلة عائلية
إذا وجدت الملكتان
نازلي وفريدة في مكان
كما توضح الصورة

مولاى لو تنكرت
جلالتك كما تنكر
عمر بن الخطاب
وغدوت من أفراد
الشعب لأحسست
كيف تربع فاروق
على ملايين
القلوب.. إنه الحب
الربانى الذى
حفره الله فى
القلوب.. يا أحب
ملوك الدنيا
للشعب والرعية
«فكرى أباظة»





نستطيع فى كلمتين اثنتين أن نوجد الخاصية البارزة التى امتاز بها عهد الفاروق حفظه الله وهما «مكانة مصر» فقد أصبحت مصر أمة ذات مكانة مرعية فى العالم أجمع فالمكانة أهم من السيادة إن الفارق بين الحر والعبد أن الحر يفعل واجبه وإن غضب من غضب أما العبد فلا يفعل إلا ما يرضى الآخرين وهذا ما حققته لمصر شجاعة الفاروق «عباس العقاد»



عن علاقتها وخلافها مع
فاروق قالت الملكة فريدة:
كنا أطفالا صغارا بين
عجائز أفسدوا ما بيننا

ابنتا فاروق فريال وفوزية قررتا البقاء مع والدهما عقب الطلاق ثم لحقت بهما نادية عندما انتهت سنوات حضانتها





قمة الاستهتار واللامبالاة تجسدها هذه الصورة التي التقطت له عام ١٩٥٠ بمناسبة الاحتفال بعيد رأس السنة وفيها يظهر عباس حليم وكريم ثابت وأنطونيو بوللى وزوج الأميرة شويكار.. ضحى فاروق بمتطلبات الحكم وضريبة الملك التي تستودع الحرية الخاصة أمانة مقابل التمتع بالسلطة والجاه



الاحتفال بالزفاف الملكى عام ١٩٣٨




الملك فاروق الأول



استمرت الاحتفالات الرسمية بالزفاف الملكى ثلاثة أيام تحولت خلالها شوارع مصر إلى لوحة فنية مضيئة.. لم يكن زفافا بل ملحمة بهجة شعبية انتهت بالعروسين إلى ريف مصر فى قصر جلالته بأنشاص



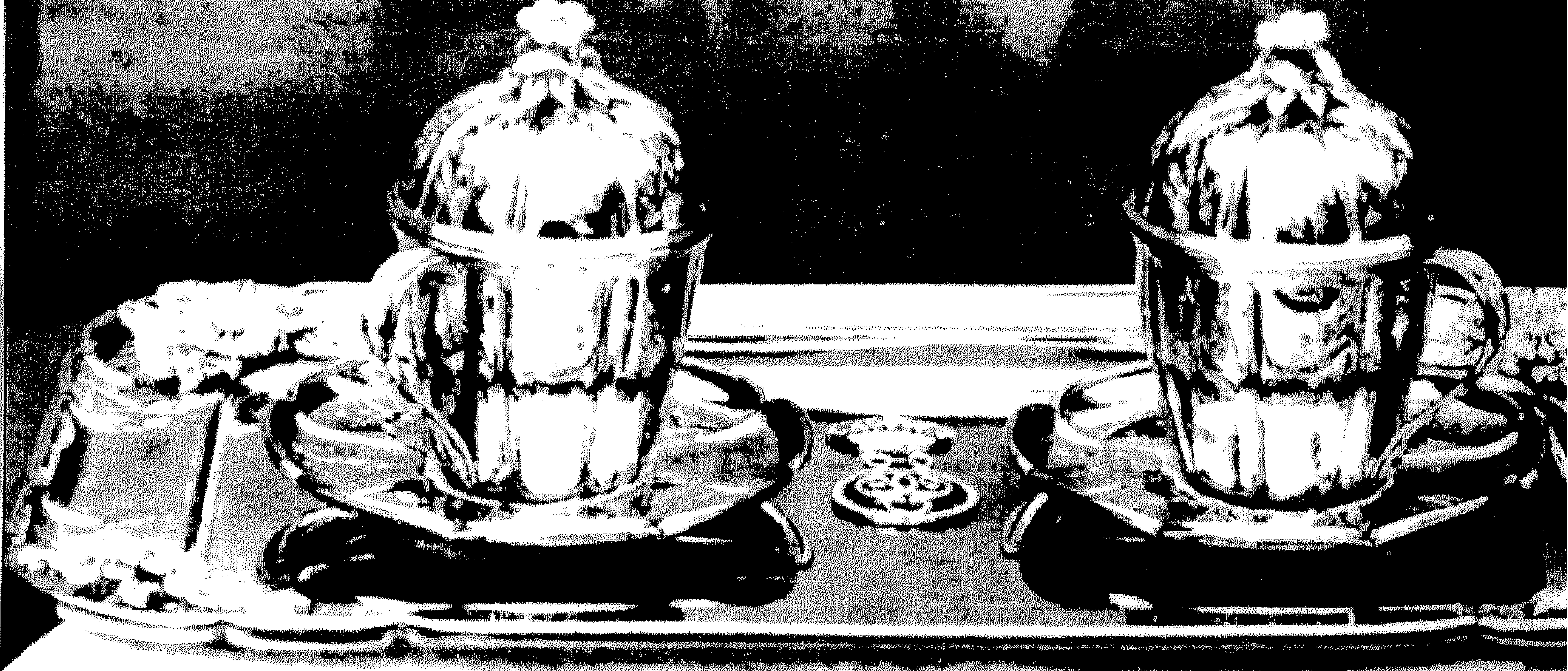




أكواب الشربات الملكية الكريستالية يزينها التاج الملكى

هدية فاروق لعروسه عقد ماسى ثمين استغرق صنعه عاما كاملا كان يبلغ ثمنه أنذاك ٢٧ألف جنيه.. أما التاج فهو هدية الملكة نازلى لفريدة





صينية من الذهب الخالص المطعم بالماس هدية من أمراء العائلة المالكة بمناسبة الزفاف





قال الشيخ المراغى عبارته الشهيرة حين طلب منه فاروق إصدار فتوى بعدم إمكانية زواج فريدة بعد طلاقهما.. «أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه»



فريال كبرى بنات
فـاروق ظلت ترعى
أخاها أحمد فؤاد
بعـد وفـاة أبيـهـا



بـــراءة وكلاسيكية فى ملابس فريال وفوزية بنات فـــاروق



فريال وفوزية أعلى سلم الذكـــريات

لقطة جميلة للأميرتين ومازالت فريال الكبرى ترعى شقيقتها الصغرى فوزية

فريدة أهداها الشاه «محمد
رضـا بـهلوى» شـقـة فى
باريس لكنها قررت بيعها
نظرا لارتفاع ضـرائبـهـا
وقـررت أن تفـتح أتيليـهـا

فريدة سافرت عام ١٩٦٧ إلى سويسرا حيث تقيم بناتها - ولا يزلن - لكنها استشعرت وجود غلالة جفاء تحمل بعض اللوم والتأنيب لطلاقها من والدهن

بالرغم من معاناة فاروق من ظروف نشأته وانعزاله عن بقية أقرانه إلا أن ظروف تنشئة بناته لم تكن أسعد منه حالا نظرا لطلاقه وانفصاله عن والدتهن

كبيرة
المرشدات
العظمى
بصحبة
المرشدة
الصغرى
فريال





الملك والملكة أثناء الاحتفال بعيد ميلاده (١١من فبراير) عام ١٩٤٢ أى بعد حادث ٤من فبراير وقد ألقت تلك التجربة القاسية بظلالها على تعبيرات وجهه الحزين



فاروق يتابع ابنته فادية وهى
تسجل اسمها فى سجل
التشريفات فى إيطاليا

يستمع إلى آيات الذكر الحكيم بصوت الشيخ أبو العينين شعيشع

مكتب جلالته فى قصر المنتزه.. تحفة فنية رائعة



الملكة فريدة بصحبة السيدة هدى شعراوى

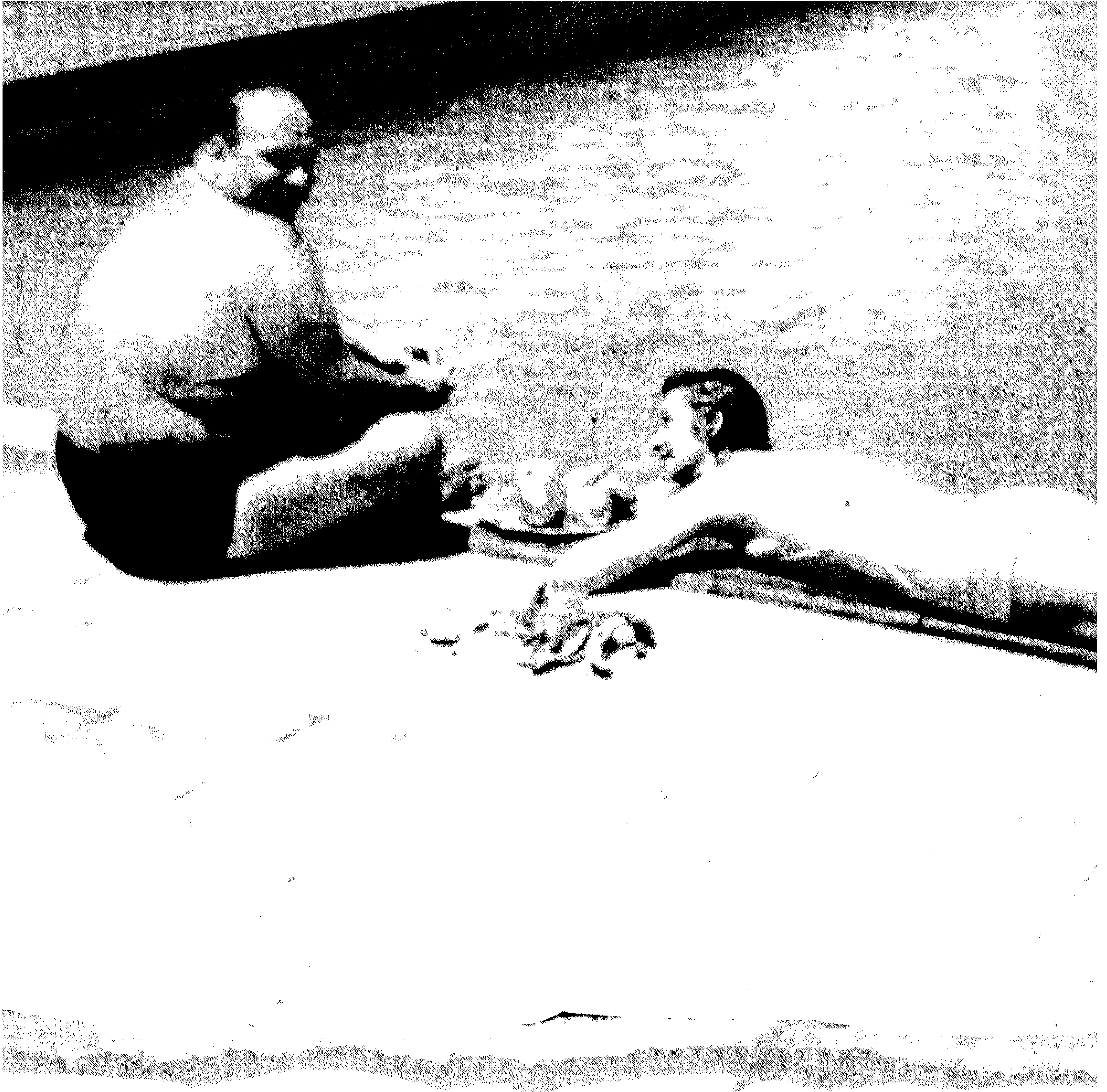
الملكة فريدة تداعب ابنتها الكبرى الأميرة فريال



الملكة فريدة بكامل زينتها وأناقتها وابتسامتها

الأميرة
فاطمة طوسون

فاروق
بملابس الصيد



نساء فاروق.. "ضجيج بلا طحين"

يقول الشاعر العربي:

كل يدعي وصلا بليلى

وليلى لا تقر لهم بذاكا

أما الملك فاروق فيقول: «لو أن جميع الفتيات الصغيرات والراقصات وكل الممثلات والطموحات والزوجات والفتيات الباحثات عن الإثاره واللاتى قبل إننى مارست الحب معهن جمعن معا لما استطاع طبيب واحد ان يعطى كلا منهن حقنة فيتامين دون أن يسقط من الإعياء.. فالإنسان حين يعيش تحت شجر التفاح فغالبا ما يفقد الرغبة فى أكله لكن المحرومون من الجنس هم الذين يجدون الإثارة عن طريق الانغماس فى هذه القصص الصبيانية الشرهة!!».

بعد الثورة فاضت الأقلام فى أكثر جوانب حياته جدلا وإثارة على جميع المستويات وربما انشغل الناس بغرامياته العاطفية ومغامراته النسائية أكثر من أى جانب آخر من جوانب عهده الفاسد.. كما أطلق عليه والكلمة على إطلاقها غير دقيقة فهو وان كان يتحمل القدر الأكبر من المسئولية إلا ان الأمانة الموضوعية تقتضى وضع إطار مرن نستطيع من خلاله أن نقيم دوره سلبا وايجابا فنعطى ما لقيصر لقيصر وليس لأنطونيو.. وفاروق ليس استثناء من هذه القاعدة وان اتفقنا جميعا على النتيجة النهائية والحتمية التاريخية لإنهاء الملكية فى مصر وعدم أهليته للحكم لأسباب أفضنا فى تناولها.. أما اسباب وحيثيات هذا الحكم فهى جوهر الخلاف وموطن الشطط خاصة فيما كتب عن علاقاته النسائية ولكننا لا نغفل أيضا انزلاقه فى الفترة التى أعقبت طلاقه لفريدة وتمتعه بحرية كاملة.. إذ أن الادعاء بامتلاك ناصية الحقيقة فى مثل تلك الأمور هراء وافتراء وانتقاص من الحق ولكن حين تجتمع السلطة والجنس يصبح للحديث مذاق رائع من الصعب جدا أن تبتعد عنه الصحافة إلا بعد التأكد من عصره حتى آخر قطرة تمهيدا لتعبئته فى زجاجات التاريخ الراكدة.. فعلى سبيل المثال كتب زكريا الحجاوى بعد الثورة يقول: يجب أن يقام لفاروق تمثال ضخم ومن حق هذا التمثال أن تصوب إليه الأضواء والزهور والرياحين وأن تتناوب الفتيات الرقص عرايا عند قاعدته، يصفقن له بأناشيدهن ويهتفن له بأنوثتهن ثم يسلمن ميدان التمثال لغيرهن من الفتيات.. يجب أن يقام لفاروق تمثال[١٢٣] على هذه الصورة فى قلب تل أبيب، فقد خرجت الصهيونية العالمية من دور الابتهالات والأدعية فى بناء وطن قومى إلى دور العمل الجدى فتركت مبكى اليهود فى القدس دون أن يبكى تحت أسواره أحد واتجهت إلى الفلاسفة ورؤساء الحكومات العالمية ولكنها باءت بالفشل ولكن رجلا واحدا هو الذى حقق لها ذلك الوطن القومى.. ذلك الرجل هو.. فاروق!!».



لم ينفرد الحجاوى بالكتابة الإنفعالية الساخنة عن حدث لم يزل طازجاً آنذاك وما كتبه لا يتعدى أن يكون لبنة فى جدار طويل عميق كتب بمداد المبالغة والانفعال والغضب وعرف طريقه إلى أرفف المكتبات العربية فى جميع أنحاء الوطن العربى.. وإذا كان فاروق هو آخر ملوك الأسرة العلوية الذى عاش حياته الخاصة بصورة لم يعرفها أى ملك فى العالم.. فقد دفع ثمن سنوات شبابه وعنفوانه.. وهى سنوات دلاله على الحياة.. مبكرا (نفى فى الثانية والثلاثين)... فاستعاد الزمان حقوقه كاملة وتدللت الحياة عليه.. بل إن فاروق دفع فاتورة حساب جميع أفراد عائلته بعد أن أصبح اسم العائلة يختزل فى شخصه.

مملكتى من أجل امرأة

هو اسم الفيلم الذى أخرجه المخرج «راتوف» عن حياة الملك فاروق بعد نفيه.. وأى فنان مبدع لابد ان يداعب خياله قصص شهريار الشرق ولابد لأى مخرج طموح أن يستغل مواهبه وملكاته فى خلق عمل فنى فريد عن ملك أقدم مملكة فى العالم خاصة.. إذا اكتشف فى حياته هذا الكم الهائل من النساء والفتيات فى معظم الصحف والمجلات محليا ونقلا عنها بعد إضافة النكهة الأوروبية كتبت الصحف العالمية عن ملك مصر الفرعونية القائمة التى نسبت إليه وتضم اسماء عديدة منها:

«الأميرة مهوش طوسون وفاطمة طوسون – ليليان كوهين وكاميليا ـ الراقصة سامية جمال – الأميرة باتريشيا – المغنية الفرنسية آنى بيريه – ناهد رشاد – ميمى ميدرت – هيلين موصيرى – زوجة ولى عهد دولة أوروبية – باربارا سكيلتون – آناماريا جاتى – جيرداد جنيبيرد – كريستيان دورى – بيرحين استنبرج – ايرين جينيل – سوزى سوليدر – جريس فيلدن».

واستنادا إلى عبارة جاك روسو الشهيرة: «الرجل يكون رجلا فى بعض أوقاته.. أما المرأة فهى أنثى فى جميع مراحل حياتها» فأين كان يقف فاروق من هذه القاعدة التى تسرى على رقاب العباد لا تفرق بين ملك وخفير.. غنى أو فقير.. أما لماذا نخوض فى مثل هذه الأمور الخاصة التى ننتقد الكتابة فيها.. فلأننا نؤمن بأن إدراك الحقيقة (النسبية) يساعد على إدراك حقائق أخرى جديدة وتحطيم أكاذيب متحجرة عفنة تفسد عبق التاريخ وقاعدة التقصى تبدأ بعبارة «ابحثوا تجدوا».. والحقيقة الرسمية سجلتها الخارجية البريطانية فى الوثيقة رقم «٣٤٢٧» عام ١٩٤١ من خلال البرقية المرسلة من السفير البريطانى فى القاهرة لامبسون إلى أنتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا وفيها سجل السفير حوارا دار بينه وبين حسين سرى باشا رئيس الوزراء وزوج خالة الملكة فريدة.. حيث أكد سرى باشا للسفير أن الملك يعانى من خمول فى بعض غدده.. الأمر الذى يترتب عليه معاناته من بعض مشاكل الضعف الجنسى.. فتحاول بريطانيا استقطابه فعرضت عليه العلاج ولكنه رفض بشدة.. أما المفاجأة فهى علم الخارجية البريطانية بهذا الخلل الهرمونى منذ كان طالبا فى بريطانيا قبل زواجه!!!

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن إذا كانت هذه هى حالته الصحية فكيف يفرط فى علاقاته النسائية كما أشيع عنه!! الإجابة يفصح عنها كريم ثابت مستشاره الصحفى وأقرب المقربين إليه وواحد من رجاله القليلين الذين كانوا يصادقونه ويلازمونه فى معظم مجالسه «كان فاروق كرجل[١٢٤] يشكو مركب نقص فكان من الطبيعى ان تكون لدية عقدة نفسية كانت علته تشعره دائما بأنه أقصر من سائر الرجال باعا فى دنيا النساء وأضعف منهم بأسا فى مباشرة أحداثها فالرجل الذى تكون هذه حالته وعلته يستحيل عليه ان يكون زير نساء لأن ظروفه لا تمكنه من السيطرة على الموقف إلا نادراً وبعد جهد كبير!! ولم أكن أود أن أسوق تلك الإشارات وانما اضطررت إلى ذلك اضطرارا، إذ بدونها لا يتسنى تفسير السر الجاثم وراء تلك المظاهر التى كان فاروق يحرص على تسليط الأضواء عليها!! لم تشغله تلك العقدة النفسية كثيرا فى البداية فقد تزوج فى سن مبكرة فكان سره مكتوما ثم عرف مغامرته الأولى بعد زواجه وكانت مع سيدة نبيلة ليس من خلقها أن تكشف تفاصيل علاقتهما فظل أمره مستوراً!! ثم اختار صديقاته من الأجنبيات فلم تنشر أخباره فى المجتمع المصرى واستمر حاله مجهولا ثم اتصل ببعض المصريات وكن من أرخص البيئات وسرعان ما ردد المجتمع روايات كثيرة من أحاديثهن فذاع ما لم يكن معلوما وبلغت تلك الروايات سمع فاروق وكان بطبيعته يجب سماع كل ما يقال عنه، فأصابته فى موضع العزة من رجولته فقرر أن يحارب ما يروى عنه فى المجالس والمجتمعات ولم يجد خيرا من المظاهر التى تظهره بأنه

كتاب تذكارى

«زير نساء» انتهت شهادة كريم ثابت التى تؤكد المثل الشعبى القائل «ما يفرقعش إلا الصفيح الفاضى!!» وأصحاب السير الذاتية من تلاميذ مدرستى كازانوفا وفالنتينو يؤكدون هذا المبدأ فالذئب المحترف ينأى بنفسه عن نشر علاقاته النسائية لاعتبارات عديدة أهمها الشعور بالذنب وان غفل الضمير وقتيا «إذا بُليتم فاستتروا».. وقد جرح فاروق فى سنوات عنفوانه لكنه كان يفتقد الارادة الصلبة الحديدية التى لا تهزم الإنسان مهما واجه من مشاكل «ما لا يقتلنى يقوينى» أو كما يقول طاغور: لا يوجد ألم فى الوجود لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منه ويحيله إلى مسرة.. فلا أسمى من مكابدة الشعور بالألم.

وإذا كانت الحالة ميئوساً منها طبيا - على الرغم من إنجابه - فإن الإيمان بقضاء الله كان كفيلا أن يمنعه من الانسياق وراء الثرثرة الجوفاء... التى مهد لها الطريق واناره بعلاقاته المتعددة بصورة هوائية تتسق مع صفات برجه «الدلو» وفى غضون سنوات قلائل انهارت سمعته كملك لأكبر دولة عربية وإسلامية فقد تلاشى سياج الفضيلة.. وتبخر رصيده من المحبة والاحترام!! إنها قضية الناس والخوف من الناس ولم يبالغ سارتر حين قال: إننا مستعبدون مادام من الضرورى أن نظهر أمام الآخرين!!! والخوف أعلى درجات العبودية.. بكل هذه التناقضات والصراعات والانكسارات النفسية دخل عالم فاروق طابور طويل من النساء.

كاميليا

أو ليليان كوهين لم تتعد مرحلة الكومبارس فى السينما حين شاهدها مع المخرج الدونجوانى أحمد سالم فى أوبرج الهرم.. أثارت إعجابه الشديد ولم يكن من قبيل المصادفة وجود درجة كبيرة من التشابه فى سمات الملامح أو Type فى وجوه (كاميليا - سامية جمال - ناريمان) الوجنتان المرتفعتان والعينان الضاحكتان والشفاه الإيطالية الممتلئة وان تشابهت سامية جمال وكاميليا فى قوامهما الرشيق وقامتهما الفارعة.. ولكن وقوف ناريمان بجوار قامته الملكية كان كفيلا بإطالة قامتها سنتيمترات عديدة!!!

ولدت كاميليا عام ١٩٢٩ لأب يهودى (فيكتور كوهين) ولأم مسيحية تدعى أولجا.. قامت بتنصيرها دون علم الأب فاشتد الخلاف بينهما وافترقا..

ونصح بعض الأصدقاء الأم بالاتصال بأحد المخرجين فمن الأفضل أن تعمل فتاة جميلة مثل كاميليا فى السينما وكان اللقاء مع المخرج الشهير أحمد سالم الذى أخذ على عاتقه رعاية كاميليا فنياً وفى إحدى الليالى شاهدها الملك فاروق بصحبته فى الأوبرج وتكفل بوللى.. مدير الشئون الخاصة - بتحديد موعد لها لمقابلة جلالته.. وسرعان ما انتشر الخبر فى مصر كلها فقد أعجب فاروق بنساء عديدات وأقام الكثير من الصداقات.. لكن قصته مع كاميليا كان لها شأن آخر فهى نجمة يهودية مشهورة يشار إليها بالبنان ومن ثم اتخذت قصته معها طابع الثرثرة الشعبية فلأول مرة يرتبط بعلاقة مع امرأة يعرفها الناس جيداً.. ويشاهدونها فى السينما ويقرأون أخبارها فى الصحف أذن فالقصة شيقة توحى بعشرات المشاهد المتخيلة من أفلامها السينمائية ومن بعض اللقطات الساخنة!!

ومن السخرية أن فاروقا أراد أن يتوارى عن الجحيم أو عيون الآخرين القاتلة.. فقرر أن يسافرا لقضاء فترة استجمام فى قبرص ولم تكن المرة الأولى التى أراد فاروق فيها أن يعمى عيونا أراد تكحيلها.. ووصلت أخبار هذه الرحلة الغرامية مصر عبر موجات البحر المتوسط.. حيث نشرت «أخبار اليوم» خبرا عن لقاء فاروق وكاميليا فى قبرص بصيغة عرف منها القراء أنه بيت القصيد!! ونكتشف أن إسماعيل صدقى رئيس الوزراء هو الذى أمد صديقه مصطفى أمين بهذه المعلومة التى تسببت فى غضب الملك عليه ومنعه من دخول القصر وفقا لرواية مصطفى أمين!!.. حيث اضطر صدقى للسفر الى قبرص شخصيا حين طالت رحلة الملك الأمر الذى وضعه فى موقف حرج حيث تم الاتفاق بينه وبين رؤساء بعض الاحزاب على اشتراكهم فى وزارته بعد توقيع الملك على المراسم.. فاضطر للسفر بعد أن اشار فاروق إليه بالحضور إلى قبرص.. وهناك تم توقيع التعديل الوزارى الذى كان سببا فى استبعاد كاميليا من جنة فاروق.. حيث أعتقد أنها هى التى سربت خبر هذه الرحلة البحرية.. فغضب منها وسافر إلى تركيا.. فأرسلت إليه رسالة عاجلة تخبره فيها بعزمها على الانتحار إذا لم يعد إلى عشهما القبرصى واستقبل الملك مرة أخرى فى جزيرة قبرص بالفلاشات والاستفسارات خاصة أن رحلته لتركيا عام ١٩٤٦ كانت محط الأنظار سياسيا.. أما رد فعل الملكة فريدة فقد خلدته فى عبارتها الشهيرة آنذاك «إنها هدية الملك لى فى عيد ميلادى»!!! فقد تزامنت الرحلة مع عيد ميلاد فريدة فى ٥ سبتمبر وتكتسب قصة الملك مع كاميليا اليهودية طابعا وطنيا خاصاً تجلى أثناء حرب ١٩٤٨.. حيث اشتد خوفها وأعلنت فى الصحف أنها ليست يهودية ولا تمارس أى شعائر يهودية فهى مسيحية.. فطلبت حماية فاروق فاختار لها مسكنا بالاسكندرية وسرعان ما تردد اسمها فى قضية الأسلحة الفاسدة ولم يتعد الأمر الشائعات فلم تجر معها تحقيقات وان ظل شبح تجنيدها من قبل الوكالة اليهودية واختيارها عميلة للموساد الذى تأسس آنذاك فى جنيف ورأسه جيمس



زارب الذى كانت له صلات مباشرة بأيزاك ديكسون وهو يهودى مصرى كان يمتلك صالة للتدريب على فنون الرقص فى مصر.. وإذا صح هذا التكهن غير المثبت... فإن اتصال كاميليا بالملك كان كارثة كبرى كفيلة بإثارة الحنق والغضب العارم ضده خاصة بعد هزيمة ١٩٤٨ وهى فترة شهدت نشاطا مكثفا لمعظم أجهزة المخابرات الاسرائيلية والانجليزية والألمانية والمصرية.. ولم تكن المرة الأولى التى تستعين فيها أجهزة المخابرات المذكورة بفنانات.. وأيا كانت طبيعة العلاقة التى لا نعلمها علم اليقين ولكننا نرصد آثارها المباشرة على اهتزاز عرشه وصعوده إلى الهاوية.

أما الأديبة سنية قراعة التى لقبت بالجاسوسة الحسناء فقد كان لها دور بارز فى إمداد وزارة الداخلية بالعديد من المعلومات الهامة التى تتعلق بالملك.. وفى احدى المرات تمكنت من اكتشاف تورط الملك فى علاقة نسائية بامرأة يهودية ولنترك الحديث لسنية قراعة:

قلت للملك: أنا(١٣٥) ياMولانا لا أترك أية معلومة تتعلق بجلالتك ولا أبلغها لوزارة الداخلية فقال لى: لا أنا عاوز يكون فيه تعاون مباشر بينك وبين الديوان الملكى يعنى أية معلومات خاصة بى أو بالعرش تبلغيها للديوان دون أن تمر على الداخلية ويتسلمها منك عمر فتحى باشا وتقررت لى مكافأة شهرية من القصر مماثلة لمكافأة الداخلية.. كان القصر الملكى يريد معلومات عن اليهود ونشاطاتهم فى مصر وعلاقات الشخصيات السياسية الخاصة وأحيانا كانوا يريدون صورا مختلفة لأفراد الأسرة المالكة.

كنت أجمع معلومات كثيرة بواسطة البنات اللواتى يعملن معى وكان نشاطهن جيدا، وفى إحدى(١٣٦) المرات علمت ان سيدة معروفة فى القصر الملكى قدمت للملك فى الفترة التى أعقبت طلاقه من الملكة فريدة جاسوسة يهودية خطيرة

كتاب تذكارى

وعرفت الحكاية من مندوبتى فى الوكالة اليهودية وكانت هى واحدة من اثنتين قدمتهما سيدة القصر إلى الملك فأعجب بإحداهما أما الثانية فكانت تمدنى بالمعلومات عن رفيقتها.. وفى إحدى المرات وصلنى تقرير كتبته عشيقة الملك اليهودية التى كانت تتظاهر بأنها فرنسية الجنسية وقد كانت تحمل هذه الجنسية وروت فى التقرير أنها كانت تتمشى مع الملك ذات يوم على شاطئ قصر المنتزة فى الاسكندرية فإذا به يخطف حقيبة يدها ويرميها فى البحر.. ثم أهداها حقيبة جديدة.. وقالت فى تقريرها ان الحقيبة التى رماها الملك كانت مليئة بالأخبار والصور عنه وقد سلمت صورة من هذا التقرير إلى كبير الياوران «عمر فتحى» فأعجب الملك بالطريقة التى كشفت بها حقيقة السيدة اليهودية وفى إحدى المرات راقبت لقاء بينها وبين أحد العملاء القادمين من الخارج حيث تم لقاؤهما فى الاسكندرية وعلمت بواسطة مجنداتى أن الرجل قال للجاسوسة: لا تسهرى مع الملك بعد غد اعتذرى له بأى شكل لكى أتسلم منك كل ما لديك من أفلام ومعلومات وتم إبلاغ الملك وترقب ما سيحدث فى فضول وفعلا استأذنت من الملك وأصرت على عدم اللقاء معه فى هذا اليوم!!.. وتأكد الملك من صدق المعلومة وفى اليوم المحدد داهم الحرس الملكى البنسيون الذى التقت فيه الجاسوسة اليهودية مع العميل وألقى القبض عليهما ووجدوا معهما أفلاما صورت للملك بكاميرا خفية وهو فى أوضاع غير لائقة!!!».

وهكذا هيأت ظروف الطلاق الفرصة أمام الملك لمدة عامين التنقل بين الأزهار الندية مثل الفراشة الحائرة التى لا تقنع ببستان واحد!!!



وفى أغسطس ١٩٥٠ اعتذر أحد ركاب شركة الطيران المتحدة عن السفر إلى سويسرا نظراً لظروف مرض والدته والمفاجأة الكبرى أن هذا الراكب كان هو الكاتب الشاب الصاعد الواعد آنذاك أنيس منصور.. وشاءت الأقدار أن تسافر كاميليا على نفس الرحلة وتشترى تذكرته لتلقى حتفها حرقا وتنتهى قصتها مع الملك الذى كان ينتظرها.. كما قيل - فى دوفيل بفرنسا حيث استقبل خبر وفاتها المأساوية بالحزن والتشاؤم.. لكنه كان على موعد مع قصة غرامية جديدة نسجت خيوطها فى دوفيل ثم انتقلت أخبارها إلى مصر.

راقصة مصر الرسمية

هل كانت علاقته بها تستحق هذا الهتاف الشعبى الذى رددته الجماهير فى آخر عهده «ملك مصر والسودان وسامية جمال» أو سالومى العصر الحديث كما أطلقت عليها الصحف الفرنسية فلنستمع إلى القصة التى ترويها سامية جمال: «أتصل القصر[١٣٧] بدار الأوبرا للإعداد لحفل إستعراضى يحضره الملك... كنت أعمل فى ذلك الوقت مع متعهد حفلات يدعى رفائيل وشاءت الظروف أن يتصل شكرى راغب وكيل دار الأوبرا به للإعداد للحفل لأنه أكثر تخصصا منه فرشحنى لشكرى راغب قائلا له: لدى راقصة تمتلك الموهبة ولكنها غير مشهورة فرد عليه شكرى راغب «الموهبة هى التى ستهز وسطها وليست الشهرة».

وفى القصر كنت أقف ببدلة الرقص فى أعلى السلم الداخلى فى انتظار إشارة مشرف الحفل للبدء وفجأة شعرت بشئ ما يتساقط على ظهرى واكتشفت انها حبات فستق فبحثت عن مصدرها فوقعت عينى على الملك متلبسا وممسكا بكيس من الفستق فضحك ضحكة عالية وقال: أفزعتك أليس كذلك!!! ومنذ ذلك اليوم أصبح القصر يطلبنى بالاسم وبلا وسيط كان فاروق يقول لحاشيته: اطلبوا لنا سامية جمال وفى إحدى المرات استدعانى ووجه إلى عدة أسئلة تتعلق بأصلى وقصتى مع الرقص فأجبته بصراحة عن أسئلته كلها فقال: أنت فلاحة مصرية مطينة واعتبر جلالته ما قاله نكته فضحك عاليا وضحكت بدورى لأن ضحكة الملك كانت أمرا بالضحك!!».

وفيما يتعلق بلقب راقصة مصر الأولى.. فقد التصق بسامية جمال فى الفترة التى كانت ترقص فيها فى أحد كازينوهات دوفيل والتى كان يتردد عليها الملك وكانت إدارة الكازينو تضع علم مصر بنجومه الثلاث على سارية عالية.. مجاملة لفاروق وحاشيته الكبرى.. وقد نفت سامية جمال نفيا قاطعا وجود أية علاقة خاصة تربطها بالملك فاروق ولم يتعد الأمر اعجابه برقصاتها الايقاعية المتجددة واستعانتها ببدل الرقص المشغولة بالسيرما حيث أنها كانت أول من ارتدتها.. وهى أول راقصة ترقص حافية نظراً لضيق الحذاء كما ذكرت فبدت من الراقصات المجددات الأنيقات ليس إلا.. وفى أيامها الأخيرة سألها الكاتب الكبير أنيس منصور عن حقيقة العلاقة الحميمة التى ربطتها بفاروق... وبصدق وشفافية من يستشعر نهاية الرحلة وإقتراب الأجل أجابت بعد أن وضعت يدها على المصحف الشريف وأقسمت أمامه أنها لم تربطها به أية علاقة شائنة فى يوم من الأيام!!

أما القصة التى دهشت لها فهى تتعلق باعجابه بزوجة ولى عهد إحدى الدول الأوروبية وكانت تجلس مع زوجته فريدة فى قصر عابدين حين دخل غرفتها وأمر فريدة بالانصراف لكى ينفرد بالأميرة الأوروبية ونشرت مجلة «لايف» الأمريكية القصة وكادت تقع أزمة دبلوماسية بين مصر وهذه الدولة الأوروبية لولا تكذيب وزير خارجيتها الذى قدم الى القاهرة وقدم اعتذار بلاده للملك ونفى الخبر رسميا.. وفى الوثائق البريطانية قصت هذه الأميرة على السفير الانجليزى واقعة أخرى.. حين داهم فاروق منزلها وصعد إلى غرفتها من السلم الخلفى أثناء انشغالها مع مدعويها فى حفل خاص فى منزلها فقام الخدم بإغلاق الباب عليه وصعدت هى وزوجها وحاولا إنزاله والواقعتان تدلان على تصرفات شاذة لا يقبلها منطق ولا ننفيها لعفته التى دنسها فى بعض الحالات والمواقف... ولكننا نتوقف أمام مغزى مثل هذه الحكايات والشائعات التى كان من السهل جدا على الشعب بل وبعض المؤرخين الكبار قبولها دون تمحيصها.. والواقعة تشى بوجود علاقة ما كانت تربط الملك بتلك الأميرة الأوروبية أيا كان نوع العلاقة وإلا لما تحدثت عنه مع السفير البريطانى!!.

أما آنى بيريه وهى مطربة فرنسية جميلة .. سحرته بأغنيتها الشجية عن «النيل» وكان لايمل سماعها بصوتها.. فقد استمرت علاقته بها لفترة ثم تلاشت نتيجة للتكرار والملل.. فقد كان حبه ظاهريا وليس عميقاً ولكنها أحبت خفة ظله وبساطته الملكية وحين تأكدت أن العلاقة ستنتهى لا محالة إلى كتابة إسمها مرقماً فى قائمة صديقاته قررت قطع علاقتها به ورأت فى جاذبية رشدى أباظة ما يعوضها عما افتقدته فى علاقتها مع الملك وأنهت علاقتها بأغنيتها التى اسمعتها لرشدى أباظة بعد أن قطعت علاقتها به: «من أجله[١٣٨] اصعد الجبال وأعبر البحار واهبط الوديان وامشى فوق الاشواك واخوض المحال فأنا لا أسمعه بأذنى.. بل اسمعه بقلبى.. ولو قال لى يوما إنه يحب غيرى فأنا من أجله اتركه لغيرى! » وقد فعلت آنى بيريه وتركته للعشرات ينتظرون دورهن ويتطلعن إلى لقائه السامى ولفتته الكريمة.. وانشغلت الفتيات والنساء الطموحات بتحويل هذا الحلم إلى واقع بعد أن تحولت بعض قصص غرامه المبالغ إلى فيلم سينمائى تتمنى كل منهن أن تكون بطلة نهايته خاصة فى الفترة التى اعقبت طلاقه وكان يبحث فيها عن عروس.. حتى وجد ضالته المنشودة لدى خبير المجوهرات أحمد نجيب باشا الجواهرجى من

خلال تعارفه بالجميلة الفاتنة أو ناريمان باللغة التركية وقصة زواجه الشهيرة وخطوبتها لزكى هاشم واصرار الملك على الإرتباط بها وفسخ خطبتها.. وهو الأمر الذى فاضت فيه الأقلام بطلاقة على أصداء نغمة واحدة تؤكد أن الملك مصاب بداء الكليبتومانيا أو داء السرقة ولكننا لا نملك إلا حكايات وروايات تتناقل من عقد لآخر منذ أكثر من خمسين عاماً.. وهى بحاجة للكثير من التحليل المنطقى.. على الرغم من شهادات بعض رجاله.. بما يؤكد إحساسه بالنقص ورغبته فى الاستحواذ والتملك.. لكننا لا يجب أن نغفل تمتعه بروح الدعابة وشعوره بأنه الآمر الناهى فمنذ ولادته والجميع يتطلعون لإرضاء صاحب التاج ومن هذا المنطلق كان يدرك أن إعجابه بشيء ورغبته فى اقتنائه لن يقابل إلا بالرضا والسرور أما ما غفلته الاقلام وحدثتنى به شاهدة عيان أن الملك كان يقوم بتعويض أى شخص يحصل على شيء من ممتلكاته وان كان التعويض لا يجدى احيانا اذا كان هذا الشئ يحمل ذكرى خاصة أو يرتبط به الشخص بعلاقة ألفة يصعب معها فقدانه!!!

وفيما يتعلق بواقعة زواجه من ناريمان فقد أفاض فى شرحها.. ويقينى أن قصة الزواج تعرضت لمبالغات شديدة فأنا لا أقتنع أنها اضطرت للزواج منه وان أباها رفض طبقا لرواية عمها مصطفى صادق.. والعكس هو الصحيح فلم تكن ناريمان جميلة الجميلات وكان بوسعه أن يقترن بمن تفوقها جمالا وحسبا ونسباً بل إن بعض أفراد عائلته كانوا يعارضون هذه الزيجة وعلى رأسهم الأمير محمد على توفيق ولى العهد والأمير يوسف كمال.. وحسين سرى باشا زوج خالة الملكة فريدة الذى وصفها أنها لا تليق بالملك.. الذى كانت له وجهة نظر مختلفة تماما.. فقد رأى أنها عروس مناسبة من عامة الشعب.. لعلها تعيد إليه جزءا من رصيده المتلاشى.. وربما أرضت هذه الزيجة بعض الاتجاهات الاجتماعية الاشتراكية.. فالعروس ابنة حسين فهمى بك صادق وكيل وزارة المواصلات وهى طالبة بمدرسة الأميرة فريال.. توفى والدها قبل اعلان الخطبة الرسمية فى ١١ فبراير ١٩٥١ فأمر الملك رجال البلاط الملكى بالسير فى جنازته وتعلل حسين سرى باشا بالمرض لكنه شوهد فى مساء نفس اليوم فى حفل كوكتيل واثارت الواقعة حفيظة الملك ضده.. وحفظا لماء وجهه سارع الرجل وقدم إستقالته من منصبه قبل أن تتحول إلى إقالة.

وعلى الفور قرر الملك إرسالها إلى إيطاليا قبل الزفاف برفقة عمها مصطفى صادق قائد الأسراب.. وتم الاتفاق مع عبدالعزيز بدر سفيرنا فى روما على ترتيب كافة الاجراءات وتمويه الصحافة من خلال الإدعاء بأن ناريمان هى ابنة اخته واختار لها اسما مستعارا.. وفى خلال سبعة شهور تعلمت ناريمان الفرنسية والإتيكيت وقواعد البلاط الملكى وتأصلت لديها غريزة حب الشراء التى ورثتها عن والدتها أصيلة هانم، وأقيم حفل الزفاف فى ٦ مايو ١٩٥١ وشتان بين زفافه الملائكى الشعبى الذى شاركت فيه الأمة جمعاء وهو لم يزل شابا بريئا.. مبشرا.. حانيا.. واعداً.. فقد تزوج الشعب معه فريدة عام ١٩٣٨ على حد تعبير الانجليز الذين رفضوا زواج ملكهم أدوارد الثامن من مسز سمبسون فى مجلس العموم.. وموقف أحد فقهاء الدستور فى مجلس العموم حين وقف مفسرا شارحا أسباب الرفض المنطقية والدستورية فكان أول ما ذكره أن الملك لا يتزوج المرأة التى يختارها وحده.. فجميع دافعى الضرائب الذين تقتطع من أموالهم مخصصات القصر الملكية يملكون حق إختيار ملكتهم!!! ومن ثم يرفضون زواجة من سيدة أمريكية مطلقة... وفى مصر لم تكن العروس هى موضع الخلاف شعبيا ولكنه الملك بسلوكياته المتمردة.. وممارساته الدستورية الغائبة وعلى رأسها الإطاحة بحزب الأغلبية (الوفد).. إنه فاروق ١٩٥١... حيث الهزيمة العسكرية والجريمة الاخلاقية (الأسلحة الفاسدة) والمعاناة الاجتماعية والفروق الطبقية والانتكاسة الاقتصادية تلك كانت صورته وهيئته اثناء احتفاله بزواجه من ناريمان الذى أعقبه شهر عسل طويل استمر قرابة الثلاثة شهور.. بدأه متحديا للمشاعر الإسلامية فى أول شهر رمضان وكان سببا فى العبارة الشهيرة التى أطلقها شيخ الأزهر عبدالمجيد سليم وأدت إلى إقالته من منصبه «تقتير هنا وإسراف هناك» وهناك كان يقصد بها نفقات شهر العسل فى المدن الأوروبية «كابرى - نيس - كان - مونت كارلو» فى ظل وجود حاشية ضخمة ووكالات أنباء تحقن الأخبار بالكوريتزون فتصل إلى القاهرة منتفخة.. تكاد تنفجر من شدة الغضب الشعبى الذى وصل إلى الذروة.

ومن جهة أخرى فقد أنكمشت هدايا الزواج عالميا.. فأهداه الرئيس ترومان أربع فازات كريستال وقدم ستالين مكتبا صغيرا وملك انجلترا سيارة وتظل قصة هدايا زواجه من ناريمان أكثر القصص إثارة فكتب الكثيرون عن الهدايا الذهبية التى كان يقوم القصر ونجيب باشا الجواهرجى بالتلميح للوزارات والهيئات بتقديمها - فذكر البعض إنه كان يقوم ببيعها مرة أخرى لنجيب الجواهرجى أما الواقعة المضحكة.. فهى قصة تحويل الهدايا الذهبية إلى سبائك حيث عهد إلى بوللى القيام بهذه المهمة والإستعانة بمصهر من أجل هذا الغرض تمهيدا لتهريبها إلى الخارج وكأن صهر الذهب يتم بهذه السهولة دون وجود ورشة وأجهزة متخصصة وفنيين وهو الأمر الذى نفاه جواهرجى كبير!! فلو أن بوللى كان يقوم بتسييح الزبدة الفلاحى.. ربما فشل فى مهمته فهى تتطلب خبرة بتوزيع درجات الحرارة والتحكم فيها فى أوقات محددة وإلا فشلت المهمة وضاعت «المرتة» فما بالنا بتسييح الذهب!!!



ومن العجيب أن لجنة جرد القصور الملكية لم تعثر على هذا المصهر إلى يومنا هذا على الرغم من مئات البنود التى اثبتتها فى كشوفها!!! ونعود مرة أخرى إلى نهاية الرحلة السعيدة التى أنتهت ببشائر الحمل ونسائم الأمل فى ولادة ولى العهد «أحمد فؤاد» الذى شرف فى السادس عشر من يناير ١٩٥٢ وهو ابن سبعة شهور مثل أبيه.. فكان سبباً فى منحة سنوية لكل الأطفال المولودين فى ذلك اليوم وإطعام مائة ألف فقير فى مصر.. ولنا أن نتخيل فرحة فاروق التى أنهكها الانتظار لأكثر من عشر سنوات فأطلق لها العنان يفيض من عينيه وتصرح بها شفتاه وتلمسها يداه فى مهد الرضيع المتوج الآن أصبح مثل أبيه أبا لولى العهد.. الآن تبددت مخاوفه من اهتزاز عرشه.. الآن يريد أن يفتح صفحة جديدة من حياته.. الآن... ولكن مشاعر الشعب هيهات.. فقد ظهرت الحقيقة سافرة فجاءت بعض الوفود لتهنئته بمولوده أمام ساحة قصر عابدين على استحياء.. فنظر من الشرفة وقال بإنكسار وغصة: الميدان فاضى ليه!!! وسرعان ما خمدت فرحته الغامرة.. وكعادته دائما.. لم يغفل رسميات الحدث السعيد فأصدر تعليماته برفع علم ولى العهد إلى جوار علمه وكان للخبر وقع سيئ على الأمير محمد على توفيق الذى أحيل إلى المعاش من ولاية العهد بميلاد أحمد فؤاد.. واحتفل الملك بولى عهده وأعلن القصر عن الولائم الملكية على النحو الذى عرضناه عند الحديث عن حريق القاهرة وبدأ العد التنازلى تمهيدا لإسدال الستار الملكى وإغلاق مسرح الأحداث فى ٢٣ يوليو١٩٥٢.■



ناريمان لم تكن
فارعة الطول



فاروق انتظر قدوم
ولى العهد طويلا..
لكن سعادته بعد
ولادته لم تدم كثيرا





ناريمان فى سنوات
البـراءة والنقـاء





«نورا نورا.. اسمك على رسم الصورة» أغنية فريد الأطرش الشهيرة التي ربطتها الشائعات بقصة حب لها بعد طلاقها



ناريمان كانت
ضحية بعض
المحتالين فى أوروبا



نازلة السلالم يا
ماشاء الله عليها
وذيل فستانها فى
يد ناهد رشاد وليلى
ثابت والأميرة فوزية
تتابع حركتها

الأميرة فوزية
تستقبل الأميرة
فاطمة طوسون





سوزى سوليدر
المغنية
الفرنسية التى
رفعت قضية
تعويض ضد
فاروق

نــاريـمــان
بـالـحـجــاب
الأبيض بصحبة
ليلى كـريم ثابت

فاروق أوضح فى مذكراته أنه لم يخطف ناريمان من خطيبها

العروسان بين أفراد أسرة محمد على

كان يفضل التنزه
مع الأوروبيـــات

حفلات رأس السنة
بطقـــوسـهـــا
ومداعباتها يحرم
منها الملوك أمام
عدسات الكاميرا

لو أنفقت التنظيمات
الشيوعية الملايين
للتعريض بالملك لما
نجحت مثلما تكفل هو
بذلك من خلال تصرفاته

ظل يبحث عن
امرأة تنتشله من
نفسه دون جدوى



بوللى كان يتبعه مثل ظله أثناء سهراته ورحلاته وفى الصورة تظهر المطربة الفرنسية آنى بيريه مع فاروق وكانت موضع إعجابه

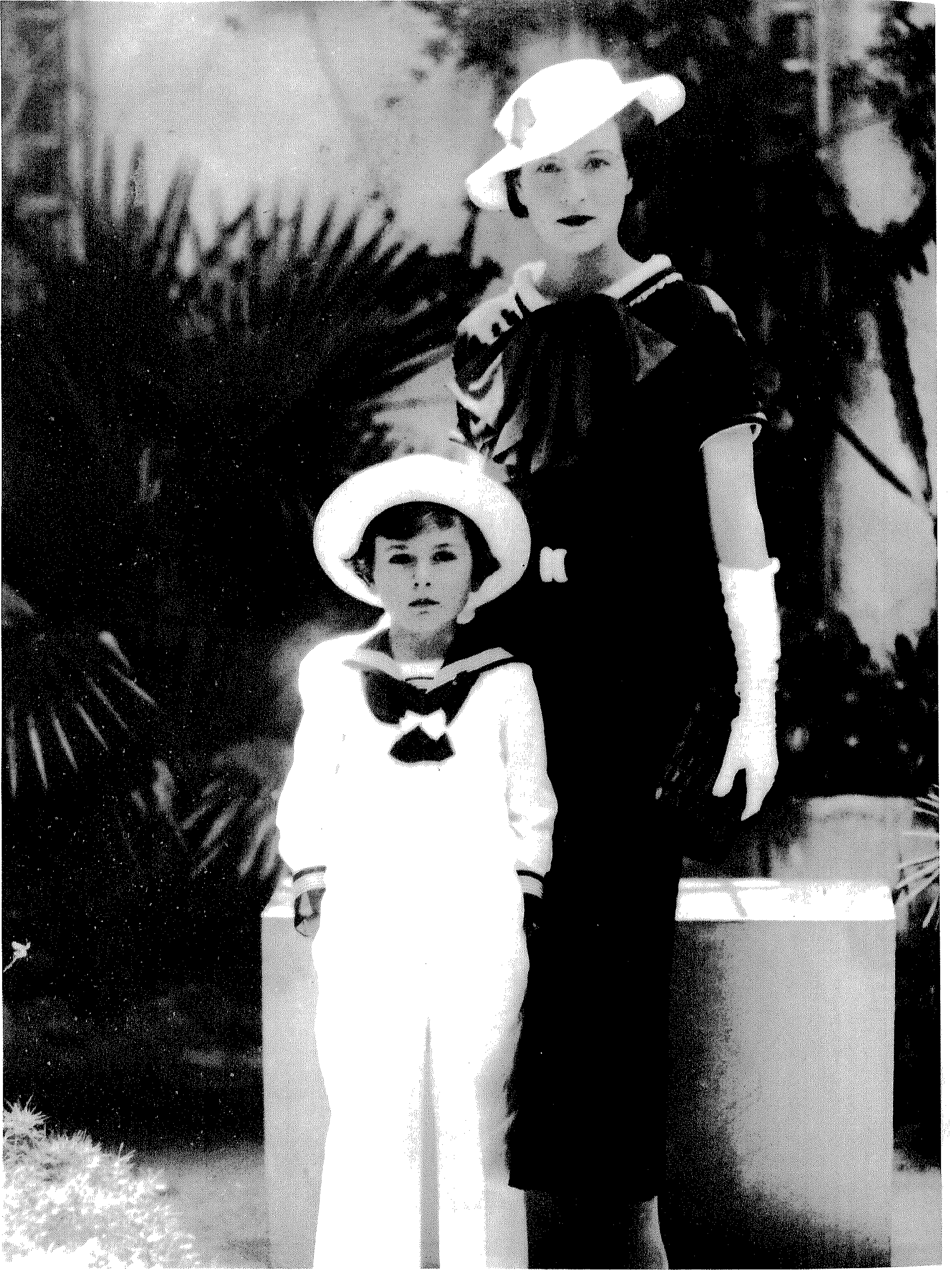


الملك أثناء تفقده قرى الصعيد المنكوبة بالملاريا عام ١٩٤٣ بصحبة د. يوسف رشاد وفي الصورة يتذوق خبز الفقراء والتعليق كما نشر آنذاك



فاروق بالروب الجامعى أثناء الأحتفال بافتتاح جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) فى فبراير ١٩٤٣ وقد منحته الجامعة الدكتوراه الفخرية بهذه المناسبة ويظهر فى الصورة أحمد حسنين وعمر فتحى وإسماعيل تيمور

الملك بصحبة خاله شريف صبرى



الأميرة فوزية مع مربيتها الإنجليزية



الأميرة فوزية والشاهبور محمد رضا بهلوى عام ١٩٣٩



العيب فى الذات الملكية!

هل السياسة فن يجيده البعض ويفشل فيه البعض الآخر؟! هل هي حرفة يتعلمها الإنسان ويدرسها في المعاهد والكليات السياسية؟! يرى أنور السادات أن السياسي المحنك أو ذا الناب الأزرق هو ذلك الرجل الذي يعلم جيداً احتياجات الشعب وطموحاته وآماله إلى حد العمق والإستغراق ووفقاً لهذه النظرية الساداتية فإن كل من يبتعد عن مطالب الشعب ليس سياسياً وإن اشتغل بالسياسة لعشرات السنين وهو ما حدث بالفعل قبل الثورة وخلال عهد فاروق والمثل العامي يقول «ولا كل من ركب الحصان خيال» فما أكثر الباشوات الذين انخرطوا في السلك السياسي والبرلماني من قبيل الوجاهة الإجتماعية والعلاقات والمصالح الشخصية فقط من منهم كان يشعر بنبض الشعب وآلامه كأنها نبع من نفسه يحزن ويئن لأوجاع وطنه دون أن يستعير شعوراً زائفاً بالشراكة الشعبية.. السياسي الدخيل إذن يحتاج إلى مهارات تمثيلية وفيض هائل من الخبرات التراكمية والرصيد الإنفعالي لكي يتمكن من أداء مهمته التمثيلية وقد تهيأ فاروق لهذا الدور منذ طفولته.

فهو ملك ابن ملك حفيد ملك حتى جده الأعظم محمد علي فكان من اليسير عليه اتقان دوره كملك رسمياً وإن لم يكن سياسياً على النحو الذي أوضحناه!!! فكلما ارتفع الإنسان ضعفت جاذبية الأرض التي تشده وتربطه بمشكلات أهلها والاستثناء من تلك القاعدة حلم لم يتحقق كثيراً في تاريخ الشعوب!!! وإذا كان الشكل يتبع المضمون في أي عمل فني فقد كان فاروق يجيد كل أدوات دوره كملك شاب وسيم يمتلك قدراً كبيراً من الذكاء واللماحية وقدراً آخر من الغرور والأنانية والاستعلاء وهي صفات إن لم تكن وراثية فقد تم تدعيمها بالممارسة والمران.. فمن ذا الذي لا يغتر ويتعالى وهو يرى أكبر الكبراء والعظماء ينحنون في خجل وتواضع أمامه وهو طفل صغير يقبلون يده في انحناءة تمن تركية عتيقة.. ولا يستدبرونه قبل الرجوع للخلف خطوتين!! وبإشارة صغيرة من أصبعه تسرع الخطى ويهرول الرجال.



يروي حافظ محمود شيخ الصحفيين كيف أنه تقزز واستاء من مشهد الملك وهو يرتدي قفازه وجموع الحاضرين يطبعون قبلة مبللة على قفاز جلالته.. وحين أتى عليه الدور امتنع عن تقبيل يده فغضب الملك كما يغضب الملوك على ذويهم بالعقاب والحرمان!!!

أما ضيوفه الدبلوماسيون فكان يستقبلهم واقفاً بطربوشه لتجنب وقوفه عند دخولهم وسرعان ما يستدعي جميع أدواته من إبتسامة هادئة وصوت وقور وحوار متزن يدخل الهيبة في نفس محدثه.. أحياناً كانت تلازمه مسبحة في يديه ولا يتخلى عن طربوشه إلا بعد انتهاء الزيارة وغالباً ما تعينه ذاكرته القوية على استرجاع بعض التفاصيل الدقيقة عن محدثه فتكون موضع سروره وتقديره كأن يتذكر تاريخ عيد ميلاده أو يتحدث معه في إحدى هواياته أو عادات بلاده أو يقدم له سيجاره المفضل... وعادة يرفع الديوان الملكي إليه تقارير سفراء مصر في الخارج بالإضافة لاطلاعه على أهم الموضوعات في الصحافة الأجنبية.. وكل ما تختص به السياسة الدولية وبنفس الاهتمام والجدية كانت تتم زياراته للمدن والمصانع... الخ.. وفي الأعياد والمناسبات كان حريصاً على متابعة سجلات التشريفات التي يدون بها المهنئون إلى قصر عابدين أسماءهم رسمياً دليلاً على المحبة والطاعة الشكلية.. وهو جوهر هذه الحياة الرسمية!! التي مثل فيها دور الجنتلمان المتأنق وترك العنان لحياته الخاصة تقوده وتتآمر عليه تلك الحياة التي شيعها لعبة للقمار إلى الدرك الأسفل.

وعلى الصعيد الداخلي تعددت زياراته في أنحاء مصر في الصعيد والواحات البحرية والبحر الأحمر ومحافظات الوجه البحري حيث تردد على أكثر مصانعه وغالباً ما يداعب عمال مصانع الغزل والنسيج في كفر الدوار.. ويحرص على إطالة أمد الزيارة إذا شعر أن محيطيه بدأوا يتململون أو يشعرون بالتعب!!! وفي بداية عهده الذهبي كان يصطحب معه الملكة فريدة ويتنكر أحياناً في ملابس ضابط أو رجل عادي.. ولم يكن شيئاً غريباً ألا يتعرف عليه بعض فلاحي محافظات بحري وصعايدة الجنوب.. فالرجل تنشر صوره فقط في الجرائد والمجلات التي لم تكن في متناول الأيدي في ظل أمية متفشية وتليفزيون مازال في علم الغيب وراديو ينقل صوته مرة كل عام!!! أما أهالي القاهرة العامرة.. فلم تكن تخفى عليهم خافية ولعله كان بقصصه ومغامراته وحكاياته.. إضافة لقدره كسياسي غير مناسب في مكان غير مناسب يشكل محور اهتمامات سكان العاصمة!!!

ومن الطريف انه كان يتنافس مع السيدة زينب الوكيل أثناء حملتها لجمع تبرعات أسبوع البر وكان يدعو فريدة لتكثيف نشاطها الاجتماعي والخيري خاصة بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كما تطلع لمنازعة النحاس في شعبيته.. فكان حريصاً على فتح أبواب قصوره للطلبة المتفوقين والعمال خاصة مآدب رمضان التي كان يفتح فيها ساحات قصر عابدين للعامة يستمعون إلى القرآن!! وتنصب لهم موائد الرحمن وكثيراً ما كان يتذوق من طبق أحدهم أو يقضم من رغيفه وتكون فرحة الشخص غامرة والسعادة بالغة الأمر الذي أدهش مراسل وكالة تاس السوفيتية فأبرق إلى بلاده أنه شاهد في القاهرة العجب العجاب وأن فاروقاً هو أول ملك يستقبل أفراد الشعب في قصره!!! وأحياناً كان يشارك القصر في احتفال الطلاب بذكرى (شهداء الجامعة في عهد والده عام ١٩٣٥)!!!

وفي عام ١٩٥٠ أنعم عليه ملك انجلترا برتبة جنرال في الجيش البريطاني ولم يخف سعادته بهذا التكريم واعتبرها ترضية بريطانية واعتذاراً بأثر رجعي عن حادث ٤ فبراير!! الأمر الذي أثار الرأي العام ضده خاصة حين دعا بعض رجال الجيش البريطاني على مأدبة غداء في قصره بأنشاص في وقت وصل الاستياء الشعبي فيه أقصى مراحله.. فكانت حماقة سياسية تكررت بتردده على بعض مواقع الجيش البريطاني بهذا الزي الإستعماري!!! وتكتب جريدة اللواء الجديدة - لسان حال الحزب الوطني - «الأنذال الذين يأخذون نياشين بريطانية لانهم يخدمون عدوة بلادهم ودينهم»... وحين فاض به الكيل من شراسة الصحافة ضده بالغمز واللمز خاصة بعد سفر والدته وشقيقتيه إلى أمريكا.. سعى لإصدار قانون أنباء العائلة الملكية لعام ١٩٥٠ وينص على معاقبة كل من تسول له نفسه نشر كل ما يتعلق بالأسرة أو صورها في الصحف والمطبوعات دون الحصول على اذن مسبق وإلا تعرض لعقوبة لا تزيد على سته أشهر وغرامة لا تتجاوز المائة جنيه!!.. ولم تردع العقوبة اصحاب الاقلام الشجاعة الثائرة.. وتوالت قضايا العيب في الذات الملكية وبحلول عام ١٩٥٠ أصبحت موضة التهم في مصر هي العيب في الذات الملكية على حد تعبير د. جمال العطيفي إضافة لاستمرار الاحكام العرفية في عهده لمدة (١١ عاماً) بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وارتباط مصر مع بريطانيا بمعاهدة ١٩٣٦ اثناء حربها مع المحور إضافة لظروف حرب فلسطين.. الأمر الذي أجهد الحركة الوطنية في ظل احكام البوليس السياسي قبضته على كل الانشطة والتجمعات واطلاق يد الوزارات في تقييد الحريات وإعتقال الخصوم السياسيين!!! ومن أشهر قضايا العيب في الذات الملكية تلك القضية التي كان بطلها محمد شافعي البنا «رئيس تحرير جريدة المصري» حيث كتب مقالاً عنوانه «نظام تعس وعهد أسود» ومقالاً آخر شن فيه هجوماً على أحد خطباء المساجد قال عنه «هذا الخطيب المأجور هو المصداق الحق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان لا يقرب إلا الماحل ولا يظرف إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يتخذون الفئ مغنماً والصدقة مغرماً وصلة الرحم مناً والعبادة إستطالة على الناس وعند ذلك تكون دولة النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان» فرأت المحكمة ان الكاتب استشهد بحديث الرسول بهدف العيب في الذات الملكية اشارة الى «إمارة الصبيان» وأن ذلك يعد تعريضاً وتجريحاً بمقام صاحب الجلالة!! فصدر حكم محكمة الجنايات ثم النقض بحبس محمد الشافعي البنا سنة مع الشغل وإغلاق جريدة المصري لمدة شهر وكتب إحسان عبدالقدوس مقالاً نارياً عنوانه «دولة الأغوات وحملة القمائم وتنابلة السلطان» فسجن إحسان ثم أفرج عنه بكفالة!!! ووجهت نفس التهمة إلى مصطفى أمين حين نشر أنباء زواج الأميرة فتحية ورياض غالي وأبدى تعاطفه مع الأميرة!! وخرج مصطفى أمين من التهمة بكفالة.. وفي

عام ١٩٥١ يكتب فتحى رضوان فى جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطنى مقالات بعنوان «عهد الكلاب».. أما أحمد حسين رئيس مصر الفتاة والحزب الإشتراكى فقد وجهت له خمس تهم عيبا فى الذات الملكية ووجهت أيضا إلى سيد قطب.. وهكذا كما يقول د. سيد عشماوى تحولت هيبة القصر إلى خيبة!!!

إنجازات مطوية

عادة قديمة متأصلة فى صحيفة أعمالنا القومية فلكى نبنى حجرا ينبغى أن نسقط حجرا آخر فإذا أردنا أن نضئ الحاضر فلنعتم الماضى اتساقا مع قول المتنبى: دع كل صوت غير صوتى فإننى.. الطائر المحكى والآخر الصدى.. وعهد فاروق وإن ضن بالأمانى الوطنية والتطلعات الديمقراطية وعلى الرغم من فساد بعض كباره وفقر صغاره وكفاح طلابه ومعاناة موظفيه وبؤس فلاحيه إلا أنه لم يخل من الإنجازات الوزارية التى تحققت على أيدى وزاراته التى تجاوزت العشرين وزارة وهو رقم يحمل دلالته الديناميكية فى سرعة التعديل الوزارى وافتقاد النضوج والرشد السياسى فى عملية صنع القرار.. فكيف يستكمل رئيس الوزراء خطة سلفه؟! فالخطة الوحيدة التى كان يعتد بها جميع الوزراء هى قدرتهم على المكوث أطول فترة ممكنة فى كرسى الرئاسة وإجادة أساليب المناورات مع القصر والأحزاب.. لم يكن فاروق رجل إنشاء وأفعال ومبادرات ولا عازفا ماهرا مثل أبيه على أوتار الأحزاب وفى إطار ما تقدم فهو يجيد التعامل مع ردود الأفعال.. فهو غير مقتحم والخوف والوجل من طبيعته فعهده لم يشهد إنجازات معمارية مضيئة ولعل والده كان نصيبه أوفر منه فى هذا الجانب إلا أن صحيفة أعمال عهده لم تخل من الإنجازات التى شهدتها البلاد وكان لها أوقع الأثر فى تاريخنا النضالى.

معاهدة ١٩٣٦

وقعت مصر معاهدة الود والصداقة عام ١٩٣٦ فى بدايات عهده.. والتى توجت كفاح الأمة السياسى واعترفت بريطانيا بمكانة مصر الدولية ففى عام ١٩٢٤ تمت المفاوضات بين سعد زغلول وماكدونالد على أساس سحب كل القوات البريطانية من الأراضى المصرية وضمان حياد قناة السويس ورفض أية قوات بريطانية بها.. وفشلت المفاوضات وعاد سعد وألقى خطبته الشهيرة التى قال فيها: «طلبوا أن تكون لهم قوة عسكرية فى مصر بشرط ألا تتدخل فى شئوننا ولنا مطلق الحرية فى طلب الضمانات التى نريدها فرفضنا لأننا نعلم أن وجود عسكرى واحد على الأراضى المصرية أمر مخل بالإستقلال فرفضت وما أظن رفضى هذا أمرا جليلا لأن الرجل لا يعتبر فاضلا إذا امتنع عن خيانة وطنه.. لقد دعونا لكى ننتحر فرفضنا الانتحار!!» مرورا بمفاوضات عدلى عام ١٩٢١ وسعد زغلول ١٩٢٤ وعبد الخالق ثروت ١٩٢٨ والنحاس ١٩٣٠ وإلغاء دستور ١٩٢٣ واقرار دستور ١٩٣٠.. وهكذا استمرت المداولات وتشددت اللجان وأصر المفاوض المصرى على الإنتقال من الاستعمار التام إلى الجلاء التام وهو المبدأ الذى أقره سعد زغلول واستغلت «أم الاستعمارية» الوقت لصالحها وفى أغسطس ١٩٣٦ تكونت هيئة المفاوضات المصرية برئاسة مصطفى النحاس ومايلز لامبسون عن الجانب البريطانى وقبلت مصر ما سبق أن رفضته وبشروط أكثر اجحافا فقد أحكمت بريطانيا قبضتها على مصر فى عهد فؤاد وطال الانتظار ولا يوجد بديل آخر.. نصت المادة الأولى على إنهاء إحتلال مصر عسكريا وانتقال القوات العسكرية البريطانية من القاهرة إلى منطقة قناة السويس وبناء الثكنات والمنشآت العسكرية اللازمة لإقامتهم الجوية والبرية على نفقة الحكومة المصرية.. وبدء التمثيل الدبلوماسى بين مصر وبريطانيا من خلال السفراء المعتمدين ونهاية عصر المندوبين السامين الذين أذاقوا الشعب المصرى الأهوال وكانوا الحكام الفعليين وانطلقت نكته ساخرة بين رجال السلك السياسى فى بريطانيا تقول: «إن مصر مقبرة المندوبين السامين» فقد خرج منها لورد لويد - اللنبى - وونجت - جورست - كرومر - وكتشنر - برسى لورين.. فعلق السير مايلز لامبسون آخر مندوب سام وأول سفير بريطانى قائلا: لقد حافظت مصر على هذه المقولة أيضا فى عهدى وقامت بإلغاء لقب المندوب السامى تماما.

وبتوقيع المعاهدة بدأ الكفاح الوطنى يتخذ مسارا وطنيا معارضا مناوئا للأحزاب المنافسة.. وهدأت مراجل الغضب الشعبى نسبيا ولم تكد مصر تلتقط أنفاسها وتتطلع لتحقيق آمالها ومشروعاتها حتى خيم شبح الحرب العالمية الثانية على المنطقة بأكملها وتورطت مصر طبقا لشروط المعاهدة فى مساندة الحليفة بريطانيا على النحو الذى عرضناه ورفض الحزب الوطنى صاحب شعار «لا مفاوضات إلا بعد الجلاء» المعاهدة رفضا باتا ووجه اتهاما صريحا لمؤيديها فالمعاهدة تعنى أن الأمة قد تعبت من الجهاد القومى وانصرفت عنه فهى معاهدة باطلة لان مصدرها الاحتلال والرضا بها باطل لأنها تفتقد القبول الشعبى وهكذا شرخت الجبهة الوطنية.. ورفض الحزب الوطنى الاشتراك فى تشكيل الوزارات ولم يشترك الا عام١٩٣٩ الأمر الذى ادى إلى حدوث انقسام ذاتى داخل الحزب الوطنى.. أما النحاس فقد أطلق عليها وثيقة الشرف والاستقلال وتم اعتبار ٢٦ أغسطس عيدا للاستقلال... ومما لاشك فيه أن توقيع المعاهدة كان من أجل أعمال الوفد.. وعهد فاروق على الرغم من مساوئها التى تجاوزتها مصر كفاحاً وجهادا حتى قامت بالغائها عام ١٩٥١ فى عهد وزارة النحاس أيضا.. وفى مايو ١٩٣٧ تم إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة التى أنشئت فى عهد إسماعيل عام ١٨٧٥.

وفى عام ١٩٣٧ أيضا تسلم المصريون قيادة الجيش المصرى وعين اللواء محمود شكرى رئيسا للأركان وأصبحت مصر عضوا فى عصبة الأمم فى مايو من نفس العام أما أبرز الانجازات الوطنية وفقا لظروف الحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٤٨ وصراعات الأحزاب وفساد الحاشية وانفلات الملك فيمكن حصرها فى الآتى:

- إنشاء مدرسة المهندسين العسكرية فى مسطرد ومدرسة أركان الحرب وضباط الصف ومدرسة الطيران ومدرسة الصناعات الميكانيكية وإنشاء كلية أركان للحرب.
- إلغاء صندوق الدين الذى تأسس فى عهد إسماعيل وكان سيفا مسلطا ورقيبا خانقا على الأوضاع المالية.. وفى عام ١٩٤٠ تم افتتاح قناطر محمد على الجديدة ومحطة مياه الشرب فى الفيوم.. وفى عهد وزارة النحاس (١٩٤٢) تم إنشاء ديوان المحاسبة وإقرار مجانية التعليم الابتدائى وقانون تخفيض الضريبة على صغار الملاك الزراعيين واقرار قانون نقابات العمل واستكمال إنشاء جامعة فاروق الأول (الاسكندرية) وإنشاء مدرسة ثانوية بالخرطوم وتوقيع بروتوكول جامعة الدول العربية بالاسكندرية فى أكتوبر ١٩٤٤ وفى عام ١٩٤٦ تم إنشاء مجلس الدولة.



وفى نفس العام رفع فاروق العلم المصرى على القلعة احتفالاً بجلاء القوات الإنجليزية عنها وفى عام ١٩٤٨ وضع حجر الأساس لمشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان.. أما الصفحة المضيئة فى هذا السجل المتواضع فهى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ عام ١٩٥١ ومن المفارقات أن معظم وأهم الإنجازات التى تمت فى عهد فاروق كانت تتعلق بإنشاء المدارس الحربية وكلية أركان الحرب وكأنه كان يخطو نحو قدره بخطى وئيدة.. ولا غرابة فى ذلك فقد كان الجيش موضع اعتزازه وتقديره حتى اللحظات الأخيرة.. كما أن حكومة الوفد (عام ١٩٣٧) أبدت اهتماما كبيرا بتأسيس المدارس العسكرية والاعتناء بها بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ الأمر الذى ترتب عليه جلاء الجيش البريطانى وبداية عهد جديد يعتمد على العسكرية المصرية إعتمادا كاملا وان ظل التدريب خاضعا للعسكرية البريطانية وفقا لبنود المعاهدة.. وهكذا يمكننا استشعار قلة الإمكانات والتدريب والمناورات والتسليح فى المؤسسة العسكرية قبل الثورة وهى سنوات قليلة لا تنهض بجيش مع افتقاد التدريب والتسليح الرسمى.. باستثناء الجهود الذاتية لضباطنا العظام وتشكيل الخلايا الوطنية المتطوعة التى خاضت غمار حرب ١٩٤٨ واستأنفت الكفاح فى القناة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى مقابل هذا الهزال التنموى المتناثر تموج الساحة السياسية بالعديد من الايديولوجيات والتيارات الدافقة الأمر الذى أحدث صحوة وعمقا وحيوية سارية فى الحياة الاجتماعيه بأكملها!!■



توالت قضايا العيب في الذات الملكية وبحلول عام ١٩٥٠ أصبح العيب في الذات الملكية هو موضة التهم في مصر إضافة لاستمرار الأحكام العرفية في عهد فاروق ١١ عاما بسبب ظروف الحرب العالمية وارتباط مصر مع بريطانيا بالمعاهدة أثناء حربها مع المحور



تعرض محمد شافعي البنا «رئيس تحرير جريدة المصرى» لتهمة العيب فى الذات الملكية حين استشهد بحديث للرسول «ﷺ» يأتي على الناس زمان لا يقرب إلا الماحل ولا يظرف إلا الفاجر.. وعند ذلك تكون دولة النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان» فرأت المحكمة أن الكاتب استشهد بالحديث الشريف إشارة إلى «إمارة الصبيان» للعيب فى الذات الملكية

كتب إحسان عبدالقدوس مقالا ناريا عنوانه «دولة الأغوات وحملة القمائم وتنابلة السلطان» فتعرض لنفس التهمة.. وانفرد أحمد حسين رئيس مصر الفتاة والحزب الاشتراكي بخمس تهم تخص العيب في الذات الملكية المصونة

كان يصطحب فريده
في بدايات عهده في
زياراته الرسمية



ندا مسعود ومصافحة ملكية
لأول مصرية تحصل على
شهادة تدريس الطيران



سامية
جمال..أكدت
أن ارتباطها
بإسمه
شائعة كبرى

عام ١٩٥٠ أنعمت بريطانيا على فاروق برتبة جنرال فى الجيش الإنجليزى فلم يخف سعادته بهذا التكريم واعتبرها ترضية واعتذارا بريطانيا بأثر رجعى عن حادث ٤فبراير الأمر الذى أثار الرأى العام ضده

تعددت زياراته في صعيد مصر والبحر الأحمر والوجه البحرى حيث تردد علي أكثر مصانعه



انتقد فاروق مسلك فؤاد سراج الدين في المراسم الملكية وحرصه بعد تسجيل اسمه في سجل التشريفات علي الظهور أمام عدسات المصورين دائماً بالسيجار وحين لامه د. حسين هيكل علي دفاعه المستميت عن كريم ثابت قال عبارته الشهيرة «لقد ظل الوفد عشر سنوات في الشارع حتى كاد يقضى عليه فلنا كل العذر فى مهادنة الملك والقصر»



٢٢ وزارة خلال ١٥ سنة!

الوزارة فى اللغة مشتقة من «الوزر» وهى الحمل الثقيل الذى ينوء بحمله الإنسان لفداحة مهامه وتشعب مسئولياته ومن ثم فأسباب الزهد والترفع عن المنصب أقوى من أسباب الطلب والسعى ولكن اغراء السلطة يذهب الفطنة ويزعزع الأسباب المنطقية عند تقييم الأمور.. فى عهد لم يعرف طريقه بعد إلى صناعة الكراسى الوزارية التيفال التى لا يلتصق بها الوزراء فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن فاروق انتهج أسلوبا اجتماعيا قلما يخفق فى العلاقات الزوجية واتخذه مبدأ أساسيا فى تشكيل جميع وزاراته مفاده أن طول العشرة من أسباب الألفة والمودة التى قد تفضى إلى الركود الأمنى مرورا باللامبالاة وانتهاء بمرحلة التبلد الشعورى.. فلا غرابة أن يشهد عهده خلال عقد ونصف عقد تقريبا تشكيل ٢٢ وزارة بدءا من مايو ١٩٣٦ حتى ٢٤ يوليو ١٩٥٢ وهو رقم قياسى بكل المعايير يعكس الإهتزاز السياسى وعدم النضج كما أشرنا وفيما يلى نستعرض أسماء هذه الوزارات:

١- وزارة مصطفى النحاس (١٤٠): من مايو ١٩٣٦ إلى ٣١ يوليو ١٩٣٧

تولى فاروق خلالها سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧.



٢ - وزارة مصطفى النحاس: من أغسطس١٩٣٧ إلى٣٠ ديسمبر١٩٣٧

والتى شهدت خروج النقراشى وأحمد ماهر من الوفد وتكوينهما للهيئة السعدية.

٣ - وزارة محمد محمود: من ديسمبر ١٩٣٧ إلى أبريل ١٩٣٨

٤ - وزارة محمد محمود (الثانية): من أبريل ١٩٣٨ إلى يونيو ١٩٣٨

٥ - وزارة محمد محمود (الثالثة) من يونيو ١٩٣٨ إلى أغسطس ١٩٣٩

٦ - وزارة على ماهر من أغسطس ١٩٣٩ إلى يونيو ١٩٤٠

بعد أسبوعين من تشكيلها اندلعت الحرب العالمية الثانية.

٧ - وزارة حسن صبرى من يونيو ١٩٤٠ إلى نوفمبر ١٩٤٠

حيث توفى حسن صبرى أثناء القائه خطاب العرش فى البرلمان.

٨- وزارة حسين سرى من نوفمبر ١٩٤٠ إلى يوليو ١٩٤١

٩- وزارة حسين سرى الثانية من يوليو ١٩٤١إلى ٤ فبراير ١٩٤٢

١٠- وزارة مصطفى النحاس من فبراير ١٩٤٢ إلى ٢٦ مايو١٩٤٢

حيث قدم النحاس استقالته لكى يتمكن من إعادة تشكيلها بعد استبعاد مكرم عبيد وانشقاقه عن الوفد.

١١- وزارة النحاس من مايو ١٩٤٢ إلى أكتوبر ١٩٤٤

دخلها فؤاد سراج الدين للمرة الأولى وزيرا للزراعة

الوزارات الائتلافية

وهى الوزارات التى تم تشكيلها وفقا لرغبة القصر فى تشكيل وزارات ائتلافية من مختلف الأحزاب (الأحرار الدستوريون - الحزب الوطنى - السعديون).. لكى يضمن عدم انفراد الوفد بالسلطة الشعبية التى كان يتمتع بها ولم ينجح أى حزب فى أن ينازعه فيها.. خاصة أنها وزارات سعدية (نسبة إلى الهيئة السعدية المناوئة للوفد).

١٢- وزارة أحمد ماهر من أكتوبر ١٩٤٤ إلى يناير ١٩٤٥

١٣- وزارة أحمد ماهر من يناير ١٩٤٥ إلى فبراير ١٩٤٥

١٤- وزارة محمود فهمى النقراشى من فبراير ١٩٤٥ إلى فبراير ١٩٤٦

الوزارات القومية

وهى الوزارات التى شكلت وفقا لرغبة الملك أيضا ولم تكن ممثلة لأغلبية برلمانية تتيح لها تشكيل الوزارة ومعظمهم من المستقلين... الأمر الذى شكل إعتداء وانتهاكا للإرادة الشعبية.. أما فاروق فكان لديه اعتقاد عبر عنه مراراً يتلخص فى توحيد جهود الأحزاب تمهيداً للإستعداد لمفاوضة بريطانيا فى جلائها عن مصر وهكذا تم استدعاء إسماعيل صدقى رئيس الوزراء المحنك والأب الروحى لدستور ١٩٣٠ السيئ السمعة ليتولى مقاليد الوزارة.

١٥- وزارة إسماعيل صدقى من فبراير ١٩٤٦ إلى ديسمبر ١٩٤٦

تحمل هذا السياسى المخضرم تصرفات فاروق الصبيانية التى أصابته بغصة متكررة.. فقد شاء قدره أن يتخلص فاروق من عدوه اللدود السفير لامبسون إلى الأبد وخالف المثل الشعبى «وفرح باللى ماشى قبل وصول السفير اللى جاى !!» وشاء حظ صدقى أن تشهد وزارته كل الكبت الفاروقى المختزن منذ بداية عهده حتى رحيل لامبسون فقام بتعيين كريم ثابت مستشارا صحفيا لديوانه دون استشارة الوزارة واجتمع بالملوك والرؤساء العرب فى إنشاص دون علم صدقى ووزارته !!!

١٦- وزارة النقراشى من ديسمبر ١٩٤٦إلى ديسمبر ١٩٤٨

وهى من أطول الوزارات عمرا فهى الوزارة التى شهدت إعلان حرب فلسطين وانتهت نهاية مأساوية باغتيال النقراشى على يد الإخوان المسلمين ردا على قيامه بحل جماعتهم وتفكيك نشاطها.

١٧- وزارة إبراهيم عبد الهادى من ديسمبر ١٩٤٨ إلى يوليو ١٩٤٩

تم اغتيال حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين رداً على اغتيال النقراشى.

١٨- وزارة حسين سرى من يوليو ١٩٤٩إلى نوفمبر ١٩٤٩

١٩- وزارة مصطفى النحاس السابعة (والأخيرة) من يناير ١٩٥٠ إلى ٢٧ يناير ١٩٥٢

وهى الوزارة التى ألغت معاهدة ١٩٣٦ وكان ذلك سببا كافيا لإقالتها وهو ما تم بالفعل عشية حريق القاهرة وفى

غضون ستة شهور بدأت الأحوال تنحدر بمعدلات متزايدة يوما بعد يوم إلى أن استقرت فى الهوة السحيقة التى خلفها تساقط الوزارات السابقة الواحدة تلو الأخرى حتى أن عمر بعض الوزارات سيتم حسابه بالساعات كما لو كانت أزمنة محبين وليس سياسيين.. إنها وزارات الفصل الأخير.

٢٠- وزارة على ماهر أو رجل المهام الصعبة من ٢٧ يناير ١٩٥٢ إلى مارس ١٩٥٢

وهى الوزارة التى عول الإنجليز على قدرتها فى تحجيم النشاط الفدائى فى القناة ضد الإنجليز وإعادة الأمور إلى نصابها بعد حريق القاهرة وكان لهم كل هذا بل أن بعض العمال المصريين عادوا إلى المعسكرات البريطانية وجمد مشروع القانون الذى طرحته وزارة الوفد بشأن حظر العمل فى المعسكرات البريطانية والأمر كذلك بالنسبة لتشريع حمل السلاح لجميع المواطنين والذى تم وأده وهكذا سارت وزارة على ماهر فى طريقها لمهادنة الإنجليز وخلفا لسياسة سلفه العظيم «مصطفى النحاس» على حد تعبيره فى محاولة فاشلة لإرضاء سيدين (الإنجليز والوفد) وملك وهى مهمة عسيرة قلما تنجح.. فالإنجليز كعادتهم استنفدوا أغراضهم من وزارته... ولم تشفع مهادنته للوفد وحصوله على الأغلبية البرلمانية الوفدية فى إطالة عمر وزارته.. فقد حنق عليه فاروق ذلك أنه على الرغم من جهود على ماهر لإستئناف المفاوضات مع بريطانيا من أجل الجلاء التام فعليا وقيامه بخطوات عملية لمحاربة الغلاء وتخفيض أسعار السلع الأساسية واعتماد مبلغ خمسة ملايين جنيه تعويضا لأصحاب المنشآت والمحلات التى دمرها حريق القاهرة وإنتظام الدراسة مرة أخرى بالمدارس والجامعات وإعلانه الحرب على الفساد وتطهير الحياة السياسية من الرشوة والمحسوبية استجابة لاتجاهات الرأى العام التى كانت تعكسها مقالات كبار الكتاب فى معظم الصحف والمجلات التى كانت تصدر آنذاك... ولكن فى فبراير ١٩٥٢ قرر مجلس الوزراء إصدار مرسوم بتأجيل انعقاد البرلمان ووقعه فاروق فتركه على ماهر شهراً فى مكتبه دون إعلانه نظراً لأنه كان موقعاً بدون تاريخ وقد انتفى الغرض من التأجيل بعد موافقة البرلمان على اعتماد مبلغ الخمسة ملايين جنيه كتعويضات للحريق.. إلا أن وزيرى المالية والداخلية (المراغى وزكى عبدالمتعال) قدما استقالتهما احتجاجا على تصرف رئيس الوزراء.. فقدم الرجل استقالته وقبلها الملك على الفور وفقا للسيناريو الوزارى فى عهد فاروق الذى رسخ الإشارات والإيماءات التى قد تدعو رئيس الوزراء إلى تقديم استقالته ذاتيا الأمر الذى يعنى الإقالة الضمنية وتفوق التلميذ (فاروق) على أستاذه (على ماهر) الذى جنى ثمار الإطاحة بلوائح الدستور التى لقنها لتلميذه فى شباب ملكه.

٢١ - وزارة نجيب الهلالى من مارس ١٩٥٢ إلى ٢ يوليو ١٩٥٢

وهى وزارة التطهير كما أطلق عليها تطهير الحكم وإلغاء الاستثناءات الوظيفية خاصة تلك التى حدثت فى عهد وزارة الوفد إذن فالانتقام من الوفد والتربص به ظل شغل فاروق الشاغل حتى اللحظات الأخيرة وفشلت جهود الهلالى الذى شهد له الجميع باستقلاله ونزاهته فى الخروج من دوامات هذه الأحداث المأساوية سالما فقد استيقظ وحوش الحاشية وكبار الفاسدين على دوى صيحات النزاهة والفضيلة.. وسرعان ما اجتمع غربان الفساد فعرض عبود باشا على كريم ثابت والياس اندراوس رشوة مالية تقدر بمليون جنيه لإسقاط وزارة الهلالى نظرا لإصرارها على تحصيل الضرائب المستحقة على أمواله ومشروعاته.. ومع تزايد الحملات التى شنها الهلالى وتتبعه لقضايا الفساد والتى اتخذت الثورة من بعضها أساسا لمحاكماتها فيما بعد... إضافة لقناعته بإطلاق أسعار القطن لسوق العرض والطلب وهو أهم سلعة رأسمالية تشكل بؤرة أموال الإقطاعيين والأثرياء ومن ثم اقترب الضرر ومس معظم أفراد الحاشية ورئيسها (الملك) الذى توجس من مسلكها العام فى التطهير.. وكان الفساد أقوى من آمال الرجل.. وزاد الطين بلة أن الوزارة قامت بتأجيل انعقاد البرلمان تمهيدا لإجراء الانتخابات فى ١٨ مايو ثم تقرر تأجيله إلى أجل غير محدد الأمر الذى أحدث ضجيجا سياسيا وقلقا شعبيا وشعورا بعدم الاستقرار الإجتماعى والاقتصادى(ارتفاع نسبة البطالة والغلاء إلى حد مخيف) وتطايرت منشورات الضباط الأحرار عبر الأثير تطالب بتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ومحاكمة حسين سرى عامر.. ولم يجد الرجل مخرجاً من هذا المطب الوزارى المشتعل والموشك على الانفجار إلا تقديم استقالته بغير أسف وفى واقعة غير مسبوقة تشير إلى الفوضوية المألوفة فى تصرفات فاروق يكلف شخصين فى آن واحد لتشكيل الوزارة بهى الدين بركات وحسين سرى وترجح كفة الأخير فيقتنع فاروق أنه الرجل المناسب فى الوقت المناسب فقد تفاقمت حالة السخط العام وتشكلت الوزارة رقم«٢٢».



٢٢- وزارة حسين سرى من ٢ إلى ٢٢ يوليو ١٩٥٢

اشتهر الرجل بصلاته الميكافيلية برجال القصر البارزين وعلى رأسهم كريم ثابت الذى تم تعيينه وزير دولة فى هذه الوزارة التى استمرت عشرين يوما صاخبا بالاحداث الطازجة والمنشورات السرية للضباط الأحرار والتى كانت تمثل انعكاسا واقعيا ومطلبا حتميا لتوقعات واتجاهات ٢٢ مليون نسمة من عدالة اجتماعية والجلاء البريطانى التام والقضاء على الفساد المتشعب والإستبداد المزمن وإيجاد فرص عمل جديدة حتى أصبح الحصول على وظيفة أمراً عزيز المنال بالنسبة لطلبة الجامعات والمعاهد وفى يناير ١٩٥٢ بلغ العجز فى الميزانية ما يقرب من خمسة وعشرين مليون جنيه يقابلها ثراء فاحش وملكيات زراعية متوحشة ٢٨٠ مالكا يملكون ٥٨٣,٤٠٠ فدان أى ٧٪ من مجموع الأراضى فى مقابل أكثر من مليون ونصف مليون نسمة يملك كل منهم نصف فدان لا تفى باحتياجاتهم الضرورية والحد الأدنى لحياة كريمة.. إضافة إلى تناقص هذه المساحة نتيجة لتوارثها وتفتيتها بمرور السنين فيما عرف بمجتمع النصف بالمائة.

وبحلول عام ١٩٥٢ انسحبت ألوان قوس قزح تماما من جدارية فاروق المتداعية فتآكلت الرسومات وانطمست الخطوط وتساوت النتوءات إيذانا بإعلان المسطح المستوى أو الكل فى واحد.■

الملك يتوسط حيدر
باشا بالإسموكنج
البيضاء وإسماعيل
تيمور كبير الياوران
واللواء عمر فتحى

الخطة الوحيدة التي كان يعتقد
بها جميع الوزراء تتمثل في
قدرتهم على الاحتفاظ بكرسي
الوزارة ورئاستها أطول فترة
ممكنة وإجادة أساليب
المناورات مع القصر والأحزاب

قام فاروق بتغيير السلام الملكي إلى السلام الوطني عام ١٩٤٩ لأنه وجد أن بعض الأفراد يعزفون عن مراسم تحيته.. فالوطن أبقى من الملكية

النحاس يلقى خطاب العرش عام ١٩٣٧



لقطة
جماعية
ضاحكة
لأعضاء
وزارة صدقى
عام ١٩٤٦


ثورة يوليو ١٩٥٢

في البداية قررت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار التخطيط للثورة بحلول عام ١٩٥٥ واقترح جمال عبدالناصر «رئيس الهيئة بالإجماع» ترشيح ثلاثة أسماء من ذوي الرتب العسكرية الرفيعة لاختيار واحد منها لقيادة الثورة فطُرح اسم عزيز المصري الذي اعتذر عن المنصب ولكنه تعهد بتقديم كافة ما يطلب منه من مساعدات واكتفى باحتضانه لشباب الثورة وكونه الأب الروحي في سن لا يعين على القيام بدور أكبر من هذا الدور المعنوي!! فوقع الإختيار على فؤاد صادق الذي كان من المفترض أن يعين رئيسا لأركان الحرب خلفا لعثمان المهدي..

ولم يدرك الرجل في البداية حقيقة تشكيل الضباط الأحرار وتشعبهم في جميع وحدات الجيش واستبعد الرجل تماما من الترشيح بعد مقابلة قصيرة قام بها صلاح سالم[١٤٢] في منزله كشفت عن معدنه البرجماتي فقط!! وإعلاءً للقيم الريفية والأمثال الشعبية التي تجسد المثل والأعراف والتقاليد اتخذ الضباط الأحرار من المثل الشعبي القائل: «اللي مالوش كبير يشترى له كبير» ركيزة شعبية وشرعية سيكولوجية لإضفاء سمات القوة والوقار والهيبة العسكرية على الإطار العام للثورة.. في مجتمع أعلن ملله وتملله من حكم مليك شاب طائش.. ولعل هذا الاختيار كان من أذكى الخطوات المنطقية الهادئة التي ساهمت في نجاح الثورة في البداية.. فهم جميعا قيادات عسكرية صغيرة لا ينقصها الحماس ولكنها تفتقد لحنكة الكبار ووجاهتهم.. فوقع الاختيار على محمد نجيب قائد سلاح الحدود لقيادة «الحركة المباركة» كما أطلق عليها.. في البداية.. حيث تدرجت أهدافها ومطالبها.. وفقا لموقف الملك الرخو والانفعالي والإذعان لمطالبهم الثورية في مقابل مقاومة هزيلة منهكة مثله!!!.. فمن هو محمد نجيب قائد ثورة يوليو فهو إن لم يكن مفجرها ومفكرها فهو أول رئيس لمصر.



محمد نجيب «دون كيشوت»

إنه كرومويل مصر الرحيم أو أيوب الثورة - الذي حمل رأسه على كتفه وتصدى للأسد الجريح وعرض حياته للخطر فثار وأشار وأطاع وقاد ثورة بيضاء دون إراقة الدماء.. وفي نوفمبر ١٩٥٤ تباح دموع الرجل لمدة ٢٩ عاما لم يتوقف خلالها عن ترديد قول الشاعر العربي «ومن لا يظلم الناس يُظلم». في بيت سوداني بوادي حلفا من الطوب اللبن العتيق أفترش فضاءه بجلود النمور وتغطت جدرانه بأنياب الفيل ورؤس الخراتيت ومن وداعة النعام وإنكساره وتمرد القرد وإنطلاقه وفي سواد ليل طويل رطب يرخي أسداله في فروع شجرة عتيقة على ضفاف النيل الأسمر تتهادى إلى أسماعه أصوات أفريقيا الساحرة الزاخرة.. وفي أصداء طفولة تلهو مع التماسيح بالأحجار وتضرب الضباع بالنبال وتألف عواء الكلاب.. قضى محمد يوسف نجيب سني حياته الأولى في السودان طفلا شغوفا مغامراً يرقص مع الذئاب يمتلك قلبا جريئا لا يمارس القسوة إلا على الذات فأثناء دراسته في كلية جوردون بالخرطوم قرر أن يختار الألم مسارا وأقداراً يجب أن نقبلها من الحياة كسلسلة دائمة تطهرنا من الآثام وتهبنا غلالة من الشفافية.. فلماذا نجزع إذن من الألم؟! فقرر أن يكوى ساعده الأيسر بالنار فيما يعرف عند الأخوة السودانيين بعادة «الشطارة» ومنذ ذلك اليوم وحياته سلسلة متصلة من الشطارة القهرية اكتوى بنيرانها الرجل بأيدي الآخرين.

وُلد محمد نجيب في ٧ يوليو ١٩٠٢ لضابط مصري من النحارية بكفر الزيات حارب في حملة استرداد السودان في عهد الخديو توفيق وعقب زواجه من زهرة عثمان «والدة نجيب» وهي ابنة ضابط مصري قُتل في السودان.. عمل يوسف نجيب مأمورا برتبة «يوزباشي» في أحد السجون بوادي حلفا ثم أنتقل إلى وادي مدني.. وأنتقل معه أبنه محمد نجيب الذي أدهشه أن يقضي أبوه معظم وقته على صهوة جواده يطارد قُطاع الطرق والمهربين ولصوص الماشية وهي المهام الموكلة بالمأمور في السودان آنذاك، والتحق محمد نجيب بكلية جوردون بالخرطوم وفي البداية حاول والده أن يثنيه عن رغبته في الالتحاق بالعسكرية وكان دائما يردد أمامه أن الجيش عبارة عن أورطة احتياطية نتيجة لخضوعه للاستعمار البريطاني لذا فمن الأفضل لابنه أن يخدم بلاده عن طريق الدراسات الأكاديمية (القانون أو الهندسة).. وتبخرت أمنيات الأب أمام طموح نجيب العسكري.. فتقبل الجلد ثلاث مرات كعقوبة بدنية من مدرسه الإنجليزي نتيجة لتمسكه برأيه «مصر لا يحكمها البريطانيون ولكنها تحت الاحتلال البريطاني فقط» وبدأ نابليون - حلم كل زعيم عسكري - يداعب خياله ويلهب وجدانه بإنتصاراته وفتوحاته وعاداته فأصبح ينام على الأرض مثله ويأكل خبزه الأسمر خبز الأشداء والبؤساء.. ويعلم الأبن بوفاة أبيه ويصر على اجتياز امتحانه على الرغم من إمكانية إعفائه ويتحول إلى ولي أمر العائلة (والدته وثمانية أشقاء) وهو لايزال صبيا لم يتجاوز الخامسة عشر وتقسم تركة الأب ١٢ فدانا بالنحارية[١٤٣] بالعدل والقسطاس ويصمم يتيم الأب على الإلتحاق بالجيش وبينما يفضل أساتذته اشتغاله بالترجمة ويبدأ طلائع مغامراته ويهرب عبر الحدود المصرية ويتنكر في زي خادم سوداني وينتقل من عطبرة إلى وادي حلفا إلى الشلال إلى أسوان إلى القاهرة وينجح في مقابلة السلطان حسين كامل الذي يعده بتقديم المساعدة اللازمة له حتى يتمكن من الإلتحاق بالكلية الحربية المصرية التي بدأت دراستها قبل أن يدركها نجيب.. فيكثف جهوده ويتصل بالمندوب السامي في مصر «ونجت» ويذكره نجيب بوالده فيوصي قومندان الكلية الحربية بقبول نجيب في الفترة الدراسية الثانية ويعوق زهده في الطعام قبوله في الكلية ويرفض قومندان الكلية قبوله نظراً لضآلته وقصر قامته فطوله يقل بوصة عن الحد الأدنى للأطوال التي تقبلها الكلية (خمسة أقدام وأربع بوصات) ولكنه يراهن على زيادة طوله أثناء فترة الدراسة ويعد بممارسة جميع التمرينات والسباقات ويشتري جهازاً لإطالة القامة ويصبح الأمر مدعاة للفكاهة بين أقرانه وينجح بالفعل في إضافة نصف بوصة لقامته الحكيمة ويبكي يوم تخرجه ويتمنى البقاء بالكلية لفترة أطول حتى يتقن ركوب الخيل والمزيد من تمرينات الرماية.. ولكن هربرت قومندان الكلية يربت على كتفه ويستقرأ طالعه ويهدئه بقوله: «أنا أريد أن تكون لك الأسبقية حتى تحصل على رتبة لواء» ويلتحق بأورطة البيادة التي تنقل السكة الحديد بالسودان - مرتع طفولته - وينتهز فرصة هدوء المناخ وقلة المهام ويتعلم اللغة الفرنسية وفيما بعد سيتعلم الإيطالية والألمانية وبعد حرب ١٩٤٨ يتعلم العبرية -وبعد ١٩٥٢ يأمر بتدريسها بالكلية الحربية - وبدأ يشعر بأن نصيحة أبيه لم تخالف واقعه فليته تخرج محاميا أو مهندساً فعمله أشبه ما يكون ملاحظا للعمال الذين يكسرون الأحجار ويرفعون التراب تمهيدا لإنشاء سكة حديد السودان وهو عمل يحتاج إلى إمكانات مقاول وليس ضابطا.. وبإنتقاله إلى فرقة السواري السودانية في شندي عام ١٩١٩ تتوارى نزعته التشاؤمية ويلتحق أخوه علي بنفس الفرقة وفي شندي تتصالح إحلامه وطموحاته في إجادة ركوب الخيل والرماية ولعبة البولو.. الآن أصبح فارسا نبيلا ولو قرأ الغيب لعلم أن نبتة الفروسية في ثنايا صفاته ستكون وابلا عليه طوال حياته.. فسيغدر به ولن يبالي.. سيظلم ويقهر.. لكنه زاهد مؤمن.. فروسيته تكبله وإيمانه يعصمه.

ومع بزوغ ثورة ١٩١٩ تنتعش بذور الوطنية في وجدانه وينخرط في جمعية اللواء الأبيض عام ١٩٢٣ وتشتد معاناته من البريطانيين المستبدين الذين يرفضون تدريبه على استعمال المدفعية.. وبمزيد من الإصرار والإلحاح يحصل على التدريب الكافي ويتم استدعاؤه إلى القاهرة لتدريب الحرس الملكي على استعمال المدافع الرشاشة في عهد فؤاد الذي لم يشاهده كثيرا على حد تعبيره وكان يكتفي بالتعامل معه عن طريق ياوره الحربي وفي غضون تلك الفترة من حياته كان قد فرغ من الحصول على شهادة البكالوريا وأصبح ملازماً أول ويبدأ في دراسة القانون في أوقات فراغه حتى يحصل على ليسانس القانون والماجيستير في الاقتصاد السياسي وماجيستير في القانون المدني وهو على أعتاب الثلاثين ويوشك الرجل على الإستقالة من منصبه في الجيش ولكن ترقيته إلى رتبة «يوزباشي» تتيح له مراجعة حساباته في ظل هذه الترقية الميري المتميزة التي فتحت شهيته ويعقد العزم على

استكمال دراسته العليا والحصول على الدكتوراة ويقدم عدة أقتراحات لرسالته أهمها «النواحى الإنسانية والترفيه فى الجيش» لكنه لم يكملها.

تزوج نجيب أكثر من مرة وفى عام ١٩٣١ ولدت ابنته الكبرى سميحة وفى عام ١٩٣٤ يطلق زوجته الأولى ويتزوج عائشة لبيب وهى ابنة بكباشى فى سلاح المشاة وينتقل نجيب إلى سلاح خفر السواحل.. ويقضى السنة الأولى من زواجه فى العريش ضابطا منوطا به منع المهربين وتطويق تجار المخدرات وينجح فى القبض على كبير المهربين بالصحراء الشرقية ويمارس هوايته ويختبر سلامة قدراته فى التصويب والرماية ويتبادل النيران مع لصوص ومهربى الصحراء وينتقل بالقرب من دير سانت كاترين تل البقعة النورانية فى أرض كليم الله موسى.. ويدهشه كل هذا الصفاء والنقاء النابعان من وحشة الصحراء... أو الباب السحرى للتأمل والمعرفة وإعادة التشكيل والصياغة لمفرداتها المألوفة!!

وتدفعه مشاعره الإنسانية الرفيعة لمساعدة المرضى وأصحاب العلل ويشعر بالطمأنينة النفسية حين يتمكن من معالجة بدو الصحراء الفقراء بأدويته الأولية البسيطة «المسكنات ومضادات وأدوية الإسهال وغسيل العيون والرمد حتى انتشرت سمعته فى القدرة على الاستشفاء بصورة لا يستحقها على حد تعبيره.. وينتقل إلى الصحراء الغربية وفى عام ١٩٣٧ ينشئ مجلة «الجيش المصرى» وفى مارس ١٩٣٨ رزق نجيب بأول العنقود واختار له اسم بطل حطين صلاح الدين.. ولكن زوجته أصرت ان تسميه فاروقا تيمنا بالملك الشاب البرئ الجميل آنذاك.. وفى نفس العام يشاهد فاروق لأول مرة ونغوص معه فى حديث شجونه وآلامه وأوجاعه وآماله وأحزانه أى ذكرياته التى سجلها عام ١٩٥٥ فى كتابه الذى صدر بالإنجليزية فى لندن فى فبراير عام ١٩٥٥ وترجم إلى العربية فى ابريل من نفس العام تحت اسم «مصير مصر» وتمت مصادرته على الفور وبعد مرور أربعين عاماً صدر عن دار ديوان للنشر ونحن نسجل أيضا كلمتنا للتاريخ عن أول رئيس مصرى.. لم يعلم أبناء جيلى عنه شيئاً فى كتب التاريخ المدرسية ما يحفظ للرجل صدارته وزعامته ورئاسته لمصر بأمانة تاريخية وضمير متيقظ يتجاوز الخلاف الشخصى ويقر بأصالة الدور الوطنى والريادة الرئاسية لصاحب الوجه الهادىء الحزين الذى يسكنه الطيبة والرجولة وبينما دخان غليونه يؤنسه كتب يقول:

«فى صيف[١٤٤] ١٩٣٨ رقيت إلى رتبة صاغ وأسندت إلىَّ رئاسة المتحف الحربى فى القاهرة أثناء غياب مديره حين قرر فاروق أن يكون له مجموعة خاصة من الأسلحة فذهبت إليه فى الاسكندرية وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاما أما عمرى فكان ٣٧ عاما كان يوما حارا ووجدته يسبح فى البحر أمام قصر المنتزه مع بوللى.. فظهر أمامى ببنطلون خفيف وصندل وبرنيطة شمس وعرضت أمامه مدفعين صغيرين أحدهما من البرونز يرجع تاريخه إلى عهد إسماعيل واضطرب رجالى فى حضرة الملك فاضطررت إلى أن أحمل المدفع بنفسى فقال فاروق: أنت قوى يا صاغ ماذا تأكل فول؟ ثم حمل المدفع هو أيضا اظهاراً لقوته أمامى... ولفت نظرى عضلاته المترهلة وطبقات الشحم التى تعلو صدره.. فقد كان عمرى ضعف عمره ولكنى أكثر قوة ولياقة.. وقضيت ستة أيام بصحبته فى قصر المنتزة أظهر خلالها اهتماما كبيرا بتاريخ المدافع المصرية وأمرنى أن أحضر له أحد المدافع القديمة وإحدى القذائف التى صنعت فى مصر فى زمن جده محمد على فأحضرت مدفعين من مجموعته المعروضة بالمهندسخانة بالقاهرة وفرح فاروق بالغنيمة كالطفل الصغير وعندما شرعنا فى إزالة كبسولة الانفجار جاء عبدالغفار عثمان الذى صار فيما بعد مستشار الملك للأسلحة لمساعدتى فركع وقبل يد فاروق على الرغم من تعليماتى له بأن يفعل مثلى ويحيى الملك كما كنت أفعل بالطريقة العسكرية التى تليق بضباط وأخطأ عثمان وأراد أن يظهر خبرته العسكرية أمام الملك أثناء فك مسمار تأمين القذيفة وحاولت أن أنبهه ولكن الملك أدرك خطأه وغمز لى ووضع أصبعه على فمه وترك عثمان يفك المسمار بالطريقة الخاطئة ثم قال له: أين تعلمت العسكرية يا عثمان؟ فقال له: فى إنجلترا فقال فاروق: كان من الأفضل أن تتدرب فى الكلية الحربية المصرية وفيما بعد رقى عثمان إلى رتبة بكباشى وحصل على نيشان النيل وهو الرجل المسئول عن شراء القنابل اليدوية الإيطالية التى انفجرت فى وجوه جنودنا فى فلسطين وقد جردته محكمة الثورة من أمواله ورتبته!!

وفى عام ١٩٣٨ التحقت بمدرسة أركان الحرب وحضر الملك يوم التخرج وقبل مجئ الملك تم التنبيه علينا بتقبيل يد الملك فرفضت ودعوت زملائى إلى الرفض ولكنهم جميعا قبلوا يده.. أما أنا فادعيت الاضطراب لأخفى عدم رغبتى فى التقبيل وبعد التحية العسكرية صافحته بدلاً من تقبيل يده وهززت يده بشدة حتى أغمض عينيه وقد ظهر هذا فى الصورة التى نشرتها الصحف مساء ذلك اليوم..

وفى عام ١٩٣٩ زرت إنجلترا وفرنسا فى رحلة استغرقت شهرين أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية وبعد عودتى لم أشارك فى خدمة الميدان فقد امتدحنى ناظر مدرسة أركان الحرب ووصفنى بأننى كالنمر الكاسر وإذا سرت فى الجيش بنفس الهمة والعزيمة كما فعلت فى مدرسة أركان الحرب فإنه يتنبأ لى بمرتبة عالية وكان هذا المديح كافيا لتعميق كراهية المشرف على العمليات الحربية نحوى حتى أنه نقلنى إلى قسم التدريب وعهد إلىَّ بترجمة الكتب الحربية من الإنجليزية إلى العربية ولم أشعر بالأسف فقد افادتنى التجربة وزخرت معارفى بمعلومات جديدة ومفيدة..

وفى عام ١٩٤٠ رقيت إلى رتبة بكباشى ورزقت بابنى الثانى وأطلقنا عليه اسم أخى على.. وكانت إيطاليا قد دخلت الحرب وحشدت جيوشها على حدود ليبيا وكنت أحد ضابطى أركان الحرب اللذين عهد إليهما تنظيم الدفاع عن القاهرة وقد فعلت وقبلت خطتى وانتهى الخطر الإيطالى بهزيمتهم على أيدى الإنجليزى الذين استولوا على برقة وقتلوا نصف الجيش الإيطالى ولكن ظل الخطر الألمانى يهددنا حتى انتصار الإنجليز فى معركة العلمين عام ١٩٤٢ وطوال الحرب تعرضنا لإهانات لا تحصى على أيدى البريطانيين وعساكرهم الذين كانوا يجوبون شوارع القاهرة وهم يغنون أغانى بذيئة عن ملكنا الذى كان على قلة المعجبين به يمثل رمزا قوميا شأنه فى ذلك شأن علمنا ووقع حادث ٤ فبراير.



استقاله نجيب احتجاجا على ٤ فبراير

ورأيت أن ملك مصر قد سمح للسفير البريطانى أن يغتصب سلطانه وأن رئيس وزراء مصر قد سمح لنفسه أن يعينه السفير فى منصبه فساءنى الموقف وبعثت لفاروق بمذكرة جاء فيها: «بما أن الجيش لم يعط فرصة الدفاع عن جلالتكم فإنى أشعر بالخزى من إرتداء هذا الزى العسكرى وعليه ألتمس منكم أن تقبلوا إستقالتى من الجيش المصرى» وجاءنى ياور فاروق السودانى عبدالله النجومى وقال لى: بما أن الملك قد منع الحرس الملكى من المقاومة فإنه لا يمكن أن يسمح لك بالاستقالة.. ومنذ ذلك الوقت بقيت فى الجيش بالرغم من إرادتى ولم يكن سوء معاملة بريطانيا لملك مصر إلا أحد عوامل ثورتنا وكان سوء إستعمال الفريق عطا الله رئيس الأركان لسلطته عاملاً آخر.. كان محاميا مستهترا يقبل الهبات مقابل الإنعامات.. يكافئ المتملقين ويهين الذين تمنعهم كرامتهم من أن يسلكوا نفس المسلك ثم أحيل عطا الله إلى المعاش أملاً فى أن ترجع إلى الجيش روحه المعنوية فى وقت يمكن مصر من التدخل بنجاح فى فلسطين وخلفه عثمان المهدى وكان يخشى سخط الملك فعجز عن التحقيق مع المرتشين الذين كان لهم قسط وافر فى هزيمتنا بفلسطين فقد كنت معارضا[١٤٥] لهذه الحرب فلم نكن مستعدين لها ونستطيع القيام بتعبئة عامة.. فاستأجرت لوريات من عرب فلسطين لأنقل جنودى من رفح إلى غزة واضطررت إلى ترك بعض مدافعى لعدم وجود الجرارات فبكى الضابط المسئول

كتاب تذكارى

عن هذه المدافع وفى كل اشتباك كنت أقود جنودى إلى داخل المعركة مع إنه لم يكن من واجبى أن أفعل ذلك واكتسبت حصانة من المخاطر حتى أشيع أننى أحمل حجابا حول عنقى وانتصر رجالى فى أسدود جنوب تل أبيب وبلغ عدد القتلى أكثر من ٤٠٠٠ إسرائيلى وبعد معركة تنسيم طالب اللواء المواوى بترقيتى ترقية استثنائية إلى رتبه لواء أو منحى ميدالية الملك فؤاد (أرفع النياشين الحربية) وانفجر لغم فى وجهى وأصبت بعدة اصابات فى صدرى فكتمت أمرى حتى لا يعلم المواوى ويرجعنى إلى القاهرة وسافرت سراً إلى الجيزة وعدت مرة أخرى وقد عهد إلىَّ بقيادة القطاع الممتد من بيت لحم إلى الفالوجة إلى المجدل إلى البحر المتوسط وللأسف الشديد انهزمت قواتى فى إحدى المعارك ووقع شجار بينى وبين المواوى وأوصى المواوى بمحاكمتى وأتهمنى بأننى أحاول أن ألقى عليه تبعة الهزيمة ولم تأخذ القيادة بتوصياته فى محاكمتى لأنها تتناقض مع توصياته السابقة بترقيتى استثنائيا وعند رجوعى إلى القاهرة لعنت نفسى على ما حدث ولم تكن المرة الأولى أو الأخيرة التى أندم فيها على حدة أخلاقى.. وتم تعيينى ناظراً لمدرسة كبار الضباط كمكافأة وتعويض ولكنى أعتبرت هذا المنصب نوعا من العقاب لأنى كنت أتوقع المحاكمة العسكرية أو العودة للقتال ثم أعفى المواوى وخلفه فؤاد صادق فى قيادة فلسطين وشكلت لجنة سرية للتحقيق فى خلافى مع المواوى برئاسة البكباشى إسماعيل شيرين (زوج الأميرة فوزية) وأنصفتنى اللجنة وقدمت تقريراً للملك يوصى فيه بإعطائى نيشانا وترقيتى وأوصت أيضا بترشيحى مع آخرين لقيادة حملة فلسطين فاعترض حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة ورفض منحى النيشان وبينما كنت استعد لحزم أمتعتى استمعت إلى خبر فى نشرة الإذاعة يفيد بإنعام الملك على شخصى بنيشان فؤاد.. بالرغم من معارضة حيدر.. وعلى الرغم من أننى لم أزل أميرالاى فقد عيننى اللواء فؤاد صادق قائدا لفرقة بيادتين تشمل دبابات ومدفعية وخدمات احتياطية ومهندسين وبذلك كنت أول ضابط يرأس فرقة حربية بأكملها فى الميدان وأثناء المعارك الحربية أصبت برصاصتين إحداهما اخترقت رئتى اليسرى والثانية كسرت ضلعين من اضلاعى اليمنى وكان شفائى معجزة من الله وأثناء فترة مرضى زارنى الصاغ عبدالحكيم عامر وهو أحد ضباط أركان الحرب بالمستشفى ...



وعقب تعيينى مرة أخرى ناظرا لمدرسة الكبار أخبرنى أنه وزملاءه يتحرقون إلى محو عار هزيمتنا فى فلسطين وطلب مشورتى فوعدته أن أساعدهم بكل وسيلة.. وكان الضباط الذين كنت على اتصال معهم منذ سنة ١٩٤٢ يجتمعون بانتظام ليتناقشوا فى الوسائل التى يمكن بها اجبار فاروق على تصفية الجيش من المرتشين الذين سيطروا على تموينه وذات يوم أحضر عبد الحكيم عامر معه صاغا شابا هو أحد اصدقائه فتذكرت أننى قابلته فى الفالوجة بفلسطين إنه جمال عبدالناصر الذى كان زعيم منظمتهم أما سبب الزيارة فكان بغرض إختبار رأى عامر فى شخصى وهو وضع غريب معكوس أن يجد ضابطا كبيراً نفسه تحت الاختبار - وان كان ذلك بطريقة مؤدبة - بواسطة أثنين من ضباطه الصغار.. كان لدى قناعة أن خلاص مصر سيكون على أيدى الضباط الصغار فضباطنا الكبار تنقصهم العزيمة.. باستثناء عدد قليل.. كنا نحتاج نار الشبيبة التى يحد جماحها عقل الكهول.. ولم يمض وقت طويل حتى كان عبدالناصر وعامر يزوراننى فى منزلى بالليل.. وأحيانا كنت اتأخر عن مواعيدنا وعندما أصل أجد عربة عبدالناصر الصغيرة من طراز أوستن فى انتظارى فمنزلى يقع فى شارع سعيد متفرعا من شارع طومان بالقرب من كازينو حلمية بالاس فإذا كنت متأخرا يتظاهر عبدالناصر وعامر أنهما فى انتظار أحد الأشخاص داخل الكباريه حتى لا يشتبه البوليس فيهما وعادة كانا يأتيان وحدهما وأحيانا يصحبهما صلاح سالم وهو صاغ شاب جعلته صلعته المبكرة يبدو أكثر سناً من عمره الحقيقى وهو الثلاثون أما عبدالناصر فهو أسمر ذو أنف طويل مستقيم وهو أكبر الثلاثة جسما وأملأهم وبعد عدة مقابلات اتفقنا على المبادئ الأساسية ودعانى عبدالناصر أن ألتحق بالضباط الأحرار وهى الهيئة السرية التى كان هو مؤسسها ورئيسها فوافقت ومن أعضاء اللجنة التنفيذية التسعة المؤسسين لم أقابل إلا خمسة قبل الثورة ولم أخلف عبدالناصر على رئاسة الهيئة إلا بعد حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ فقد رفض اللواء فؤاد صادق رئاسة الهيئة التنفيذية خوفا على منصبه ولو كنت فى موقعه ربما رفضت مثله فلم يكن من صالحه أن يتهم بأنه يتآمر ضد الحكومة خاصة أنه كان فى نزاع مع حيدر باشا وأن استمر يعطف على الحركة ويمنحنا من وقت لآخر معونات قيمة.

فى أغسطس عام ١٩٤٩ عينت مديرا لسلاح خفر السواحل وأنا لا أزال أميرالايا وهو سلاح مكون من ٣٠٠٠ عسكرى معظمهم سودانيون وما يقرب من مائة ضابط مصرى وشاءت الأقدار أن تعرقل ترقيتى إلى رتبة لواء حتى عام ١٩٥٠ ربما لو ترقيت وقت إستحقاقى للترقية لأصبحت رئيساً للأركان مهمته حماية الملك دون إرادته.. ويخالجنى شعور بأن الملك وصنائعه نتيجة لتأخيرهم ترقيتى قد هيأونى من حيث لا يشعرون لألعب الدور الذى دعيت للقيام به عام ١٩٥٢ فقد وصلت إلى أقصى درجات الإمتعاض من سلوكه الأمر الذى جعلنى مستعدا للثورة فى أى وقت خاصة بعد أن فقدت شعورى بالولاء لنظام كثيرا ما كان خائنا للشعب المصرى ولم يكن العمل السرى جديدا بالنسبة لى ففى عام ١٩١٣ كنت عضواً فى «اللواء الأبيض» وهى هيئة سرية هدفها وحدة مصر والسودان وإعاقة تنفيذ مخططات البريطانيين فى هذا الصدد.. وعنصر السرية فى جماعة الضباط الأحرار يقوم أساسا على صيانة الشرف العسكرى.. لم نكن هيئة دينية اتهمنا البعض بأن عدداً من أعضاء الضباط الأحرار كانوا أعضاء فى الإخوان المسلمين.. كان لنا أصدقاء من الاخوان.. ولكننا كنا معارضين لأهداف الاخوان المسلمين التى ترمى لإضفاء الصبغة الدينية وتحويل النظام إلى حكومة دينية.. وفيما يتعلق بتهمة الفاشية أو الشيوعية فهى أيضا لا أساس لها من الصحة فذوى الصبغة الشيوعية بيننا تم استبعادهم والعضو الوحيد من اللجنة الذى تعاون مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية فعل ذلك لأنه كان عدوا للبريطانيين المستعمرين لمصر لا لأنه معجب بأدولف هتلر.

لست زعيما اسميا

والحقائق التى ذكرتها تنفى التهمة القائلة بأننى كنت زعيما اسميا فأنا التحقت بالضباط الأحرار عام ١٩٤٩ وصرت رئيسهم سنة ١٩٥٢ وفى غضون ذلك رقى عبدالناصر إلى رتبة بكباشى وأصبح لديه يقين أن الثورة الناجحة لا يمكن تنفيذها بواسطة جماعة من الضباط الصغار إذا لم يتزعمهم ضابط كبير ذو مؤهلات خاصة.. وكنت أنذاك الضابط.. معروفا لدى كل أفراد الجيش وامتلك رصيدا يمكننى من الاعتماد على مؤازرتهم وشخصيتى مرنة يتجاوب معها الشعب المصرى.. أما سمعتى فكانت فوق أن تعاب. وهكذا أصبحت قائداً عاما للحركة بصفتى رئيسها.. وعبدالناصر تولى السكرتارية العامة وتولى مهام رئاسة أركان حربها.. وفيما بعد تحولت اللجنة إلى مجلس الثورة.. ولم يعمل أحدنا منفردا كان لابد من التصديق الجماعى على قرارات المجلس الأمر الذى كان يستغرق أحيانا أكثر من أثنى عشر ساعة فى المناقشات ولكننا تمكنا من أن نرتفع فوق الخلاف الشخصى (وهو لعنة السياسة المصرية أنذاك) وأن نعمل معا كوحدة منظمة من أجل صالح الأمة جمعاء.

ومن جهة أخرى كان الفساد قد استشرى فى سلاح خفر السواحل الذى صرت مديراً له عام ١٩٤٩ فقد كان حسين سرى عامر رئيس أركان حربه عاراً على الجيش المصرى فإسمه يتردد كثيرا فى حوادث تهريب المخدرات وبيع الأراضى بالطرق غير المشروعة وقد أتهم بشراء الذخائر من مخلفات الجيوش التى كانت تحارب فى الصحراء الغربية وبيعها مرة أخرى للجيش بأسعار باهظة وقد أبعد من خفر السواحل أملا فى أن نخفى الحقيقة التى لم تكن معروفة فى ذلك الحين وهى أنه وشركاءه فى الجريمة يقتسمون أرباحهم مع الملك.. ولم أكن أعلم حتى

عام ١٩٥٠ أن الملك له يد فى تجارة الأسلحة وطوال هذه المدة كنت بكل غباء أبلغ فاروقا عن محاولاتى لوقف هذه التجارة وذلك بالإستيلاء على الأسلحة التى كنت أعثر عليها..

وعلى الصعيد السياسى نجح حزب الوفد فى الوصول إلى رئاسة الوزارة فتوسلت إلى النحاس من خلال اتصالى بفؤاد سراج الدين الذى صار وزيرا للداخلية ثم المالية - أن يبدأ بالإصلاحات الضرورية فى الوقت الملائم لإنقاذ مصر من الكارثة.. فكنت أتمنى ويتمنى عبدالناصر وأعضاء اللجنة التنفيذية أيضا الا يضطر الضباط الأحرار إلى الثورة.. وحاولنا بكل السبل تغيير الواقع المرير بصورة سلمية قبل أن نلجأ لاستخدام السلطة التى وطدنا العزم على إزالتها ووزعنا نسخا مطبوعة من تقرير مكون من تسع صفحات كنت قد كتبته وسلمت نسخا منه بيدى للنحاس وسراج الدين ومصطفى نصرت وزير الحربية ولجأنا لإستعمال كل السبل من توسل وتملق وتهديد.. فكان رد فعل الملك وصنائعه من جهة والنحاس وأذنابه من جهة ينحصر فى كلمتى «دول شوية عيال» فلم يعيرونا أى اهتمام وحذرونا من التدخل فى السياسة وتركها لمن يحذقها والتفرغ لأنفسنا وللشئون العسكرية ولكننا نجحنا فى إرغام النحاس على فتح تحقيق الأسلحة الفاسدة فى وزارة الحربية ذلك التحقيق الذى أنتهى بإدانة ثلاثة عشر متهما وأخذ المدعى العام محمود عزمى يتحرى عن حسابات المتهمين فيه فى البنوك وصناديق التوفير فوصل الأمر إلى بوللى مستشار الملك الخصوصى فقام بتصفية حساباته قبل التحريات.. ولم يتمكن أدمون جهلان من إخفاء حسابه.. لقد كان يصطاف مع الملك فى فرنسا فتوصل النائب العام إلى قائمة بأسماء الأشخاص الذين يمدهم جهلان بالأموال عن طريق حسابه الخاص وكان من بينهم فاروق نفسه فكانت هذه القائمة قاموسا وافيا ضم أسماء كل المفسدين والمرتشين فقد كان جهلان يدعى أنه مورد لأقلام حبر أمريكية ولكنه حصل على أكثر من مليون جنيه عن طريق الرشوة التى يدفعها له بائعو الأسلحة والذخيرة مقابل الأسلحة الفاسدة القديمة الى أمد بها الجيش وفى الحال أصدر المدعى العام أوامره بوقف تحرياته والإ وجهت إليه تهمة العيب فى الذات الملكية وانصاع عزمى وسمح لجهلان بالعودة مرة أخرى إلى فرنسا واللحاق بالملك فى مصيفه!! وكان معلوما لدينا جميعا أن الملك وحاشيته استنزفوا أموالا طائلة من فلسطين وعقب فضيحة الأسلحة الفاسدة عام ١٩٥٠ ظهرت فضيحة أخرى بطلتها زينب الوكيل التى كانت تتمتع بقسط من الشباب وكثير من الجشع فقد أتهمت بالتلاعب ببورصة القطن وذلك بمساعدة فؤاد سراج الدين وآخرين من وزراء زوجها النحاس باشا.. وفى عام ١٩٥٠ أيضا أديت فريضة الحج ودعوت لابنتى سميحة طالبة الحقوق أن يشفيها الله ولكن شاءت ارادته أن يسترد وديعته.. وكنت لا أزال حزينا على فقدها حينما أبلغت بخبر ترقيتى إلى رتبة لواء وبدأت حرب تحريرية دامية أقدم عليها الوفد مدفوعا بدوافع وطنية ولإخفاء فساد زعمائه من ناحية أخرى وبعد إلغاء المعاهدة نودى بفاروق ملكا على مصر والسودان ثم استؤنف القتال مرة أخرى فى القناة فقرر الملك أن يعيد تنظيم الجيش فأصبح اللواء حسين فريد رئيسا للأركان واللواء حسين سرى عامر مديرا عاما لخفر السواحل خلفاً لى.. فقدمت استقالتى من الجيش ولكنها لم تقبل وعيننى اللواء حيدر (قائد الجيش آنذاك) مديرا عاما للمشاة فرفضت متعللا بأن فى ذلك تخفيضا لرتبتى فسلاح المشاة أقل شأنا من خفر السواحل فتوسل إلىّ عبدالناصر وعبد الحكيم عامر أن أعيد النظر وقالا لى إن الضباط الأحرار سيصبحون بدون لواء واحد يمثلهم ولم أستطع مناقشتهما فى الأمر لأنى كنت مصابا بالتهاب اللوزتين واستقر الرأى على أن أطالب بوظيفة أرفع وفى حالة عدم الاستجابة لا مفر من قبول المنصب المقترح!!

وبعد أيام أتصل بى حيدر وأسررت له بما يدور فى نفسى وأن حسين سرى عامر رجل مكانه السجن لكنه حاول إقناعى وعندما تحقق من تمسكى بموقفى طلب منى اختيار الوظيفة الملائمة بنفسى فاقترحت تعيينى مديراً للمخابرات فضحك حيدر وقال: أنك تعلم كما أعلم أن الملك لن يسمح لأحد بأن يشغل هذه الوظيفة ما لم يكن صديقا مقربا له وهو يعتبرك من أعدائه فأظهرت عجبى وقلت له لماذا لا يعيننى رئيسا لإمدادات الجيش فقال: ليس الآن ربما فى وقت آخر فالملك لا يثق بك!! وأخيرا طلب منى قبول منصب مدير عام المشاة على سبيل التجربة على وعد منه بالتخلص من سرى عامر وإعادتى إلى خفر السواحل أو تعيينى فى منصب أكثر أهمية فقبلت عرضه على الرغم من ثقتى بأن وعود حيدر لا قيمة لها وأثبتت الأيام صدق توقعاتى.. ولكن حديثه عن رأى الملك فى شخصى أصبح يشكل مصدرا من مصادر قلقى وأصبحت أتساءل هل يعنى هذا الحديث أن الملك بدأ يشعر بصلتى بالضباط الأحرار!! هل ساءته تصرفاتى عندما كنت مديرا لخفر السواحل.. فأثناء وجودىّ فى خفر السواحل لاحظت أن الملك يستعين ببعض العمال من خفر السواحل أثناء تشييد قصر رأس الحكمة بين الاسكندرية ومطروح حيث تم الاستعانة بمواد مسروقة وأرض مغتصبة واستخدم فى بنائه عمالا مسروقين وحصل على الأرض جوراً من أهلها وأصلحها بأموال الحكومة.. أما العمالة فمن المصالح الحكومية وبعضهم من خفر السواحل وبعد ان صرت مديراً له وضعت حدا لنقل الجنود واستخدامهم حراساً وخدماً فى القصر وأقنعت وزير الحربية بإصدار أمر بمنع بيع الأراضى الواقعة على الحدود قبل تكوين لجنة مختصة.. وهكذا أعتبرنى فاروق من أعدائه لجملة الأسباب التى ذكرتها فأمر بتعيين سرى عامر ليخلفنى فى خفر السواحل.. وهو من عينة فاروق لا يتورع عن ممارسة أى عمل يعود عليه بالفائدة.. أما أنا فكان الملك يصفنى «بدون كيشوت المحارب العنيد» الذى يصعد لكى يهبط مرة أخرى.

فى البداية قررت اللجنة التنفيذية القيام بالثورة عام ١٩٥٥ ثم جاءت انتخابات نادى الضباط فى يناير ١٩٥٢، فأدت النتائج إلى تغيير هذا الرأى.. فأعضاء النادى كانوا يعينون من قبل الملك ويتم انتخابهم ظاهريا.. ولكن بعد استيلاء الضباط الأحرار على اللجنة قرروا إجراء الانتخابات لاختبار قوتهم وحتى لا يسمحوا لمرشحى الملك الفوز بالتزكية... فقد كان الملك ينوى تعيين سرى عامر خلفا لحيدر (الملقب بالسجان) فهو مدير سابق لأحد السجون رقاه الملك ترقية استثنائية إلى رتبة لواء حتى يتسنى له تعيينه قائداً عاما وكانت أعلى رتبة حصل عليها فى الجيش هى رتبة الملازم ثان وحيدر رغم رداءته كان أفضل من سرى عامر الذى كان يكرهه كل ضابط يحترم نفسه.. لذلك وافقت على أن أقدم نفسى لرئاسة نادى الضباط كمرشح من قبل الضباط الأحرار كنت أريد أن أعرف مدى إحترام زملائى لى فإن لم أفز بالانتخابات فإن ذلك يعنى نهايتى كضابط خاصة أن فاروق حذرنى بطرق غير مباشرة وأومأ إلى أنه سيفصلنى عن رئاسة المشاة إن لم أسحب ترشيحى!!



وجاءت نتائج الانتخابات مفاجأة أدهشت الجميع فقد سقط جميع مرشحى الملك وأنتخب جميع مرشحى الضباط الأحرار ونلت فى التصويت لمنصب الرئيس ٣٣٤ صوتا بينما نال الثلاثة المنافسين ٥٨ صوتا فقط وانتخب حسن إبراهيم وزكريا محيى الدين ورشاد مهنا وأن لم يكن من الضباط الأحرار لعضوية مجلس الإدارة وعلى الفور أعلن الملك غاضبا ثائراً بطلان نتائج الانتخابات وقام بسحب بعض الاعتمادات التى رصدها من قبل لبناء مقر جديد للنادى بالزمالك.. وغضب الملك على رشاد مهنا ونقله إلى العريش وكان يناقش أمر نقلى من سلاح المشاة ولكن فجأة تغيرت الأحداث ومنذ حريق القاهرة الذى كان نهاية سراج الدين ونهاية الحزب الذى قاده مع زوجة النحاس إلى الخراب ونهاية فاروق أيضا بدأت الأحداث تأخذ مسارا سريعا متلاحقا فعقب إقالة الوفد وتولى على ماهر رئاسة الوزراء مرورا بالهلالى الذى حاول القضاء على الفساد ولكن للأسف لم يؤيد الملك وحاشيته برنامجه الإصلاحى ولو فعل لما قمنا بالثورة مطلقا!! فقد رفض أن يأذن للهلالى بإقامة الدعاوى

كتاب تذكارى

ضد المرتشين المتصلين بالسراى ومن جهة اخرى أتهم اللواء سرى عامر بتهريب زيت الديزل والمعادن الخردة التى كانت تجمع من الأسلحة المهجورة فى الصحراء الغربية وقام ببيعها إلى بعض المهربين اليهود فى غزة تمهيدا لدخولها إسرائيل.

وهكذا لم تقتصر سرقة سرى عامر على سرقة أموال الحكومة بل تاجر مع العدو وأرتكب بذلك جريمة تعادل الخيانة؟ فقررنا البدء فى الدعاية السرية وتولى صلاح سالم الإشراف على توزيع المنشورات التى تطالب بإقامة الدعوى على سرى عامر ولم نجد إستجابة فبدأنا نوزع منشورات تطالب بتعيينى وزيرا للحربية وكان المراغى قد شغل منصبى وزير الحربية والداخلية فى حكومة الهلالى على الرغم من وعوده لى بتعينى وزيرا للحربية وكان يأمل من وراء تلك الخطوة إعادة الهدوء إلى العلاقة المتوترة بين الملك ونادى الضباط الذى كنت اتولى رئاسته فى تحد سافر للملك الذى أمر الهلالى بتعيين سرى عامر وزيرا للحربية فرفض الهلالى الطلب.. وجاء رد الضباط الأحرار على طلب الملك بمحاولة اغتيال سرى عامر «عبد الناصر – حسن إبراهيم – كمال رفعت – حسن التهامى» فاطلقوا عليه ١٤ رصاصة لم تصب إلا سائقه وهذا الحادث ربما غير مجرى التاريخ فلو أعتقل بعضهم ربما لم تقم الثورة مطلقا واتفقوا جميعا بعد ذلك الحادث على نبذ الإغتيال كسلاح سياسى فلم يكن سرى عامر يستحق تعريض الحركة للخطر!! وسرعان ما تآمر كريم ثابت على خلع الهلالى وعهد بالوزارة إلى حسين سرى.. وكان ثابت أكثر أفراد الحاشية نفوذا وبغضا عند الناس بالإضافة إلى محمد حسن خادمه الخاص الذى ظل يبعث بأوامره إلى الحكومة منذ حريق القاهرة.. ولم يكن فاروق يطمئن – خاصة فى النهاية – إلى أى انسان غير خدمه وأذنابه وبعض المقامرين الدوليين فى بعض الأحيان لقد سمح لأناس كمحمد حسن وبوللى الكهربائى السابق ان يحكموا مصر بالنيابة يعاونهم مخلوفات ككريم ثابت وجهلان والياس اندراوس ومن عصابة القصر عبدالعزيز رئيس الخدم ومحمد حلمى حسين السائق والميكانيكى الذى عرف باسم مدير الجراجات الملكية وحسن عاكف كبير طيارى الملك والدكتور يوسف رشاد طبيب القصر ومحمد نجيب سالم أمين خزائن القصر.. ومن المفارقات أن نفوذ حافظ عفيفى رئيس الديوان وحسن يوسف نائبه على الملك كان أقل من نفوذ أى فرد من أفراد المطبخ الملكى!! وبعد مرور سبعة عشر يوما على وزارة حسين سرى التى تلقت مذكرة من الملك من خلال رئيس الديوان حافظ عفيفى يطلب فيها «فصل حيدر خلال خمسة أيام إذا لم يحل اللجنة التنفيذية لنادى الضباط الأحرار ويطرد الـ١٢ضابطا الذين تآمروا على جلالة الملك».. فسأل حسين سرى حافظ عفيفى عن أسماء الأثنى عشر ضابطا فأجابه ان اسماؤهم لدى حيدر باشا.. وانكر الأخير معرفته بهذه المؤامرة عند استدعائه لمكتب رئيس الوزراء ومن جهة أخرى طلب حسين سرى من الملك تعيينى وزيرا للحربية ولما رفض الملك الطلب مرة أخرى احتفظ سرى بالمنصب حتى يمنع الملك من منحه لسرى عامر فقد كان يعلم جيدا أن تعيين الأخير من شأنه أن يشعل ثورة مؤكدة وفى ١٥ يوليو قام حيدر بحل اللجنة التنفيذية لنادى الضباط دون إستشارة حسين سرى وحين لامه أجاب حيدر بأن الطرد كان مآله إذا فشل فى تنفيذ تعليمات الملك وكنت أعلم أن فاروقا فقد ثقته فى حيدر لفشله السابق فى اتخاذ إجراء ضدى وكان يفكر فى تعيين اللواء حسين فريد رئيس هيئة الأركان خلفا لحيدر فى وظيفة القائد العام وكان لدى يقين بأن حسين فريد سينقلنى إلى منقباد بالصعيد ويقوم بتعيين سرى عامر خلفا له فى منصب رئيس الأركان فما كان من حسين سرى (رئيس الوزراء) إلا الإلحاح على الملك طالبا تعيينى وزيرا للحربية ومنحى كافة السلطات اللازمة لتطهير القوات المسلحة وبعد مرور ثلاثة أيام تلقى حسين سرى رد الملك الموجز من خلال مذكرة كتبها خادمه الخاص «إفصل محمد نجيب وعين حيدر وزيرا للحربية».



ويبدو أن كريم ثابت أقنع جلالته بأن خلافاتنا مجرد زوبعة فى فنجان وأقترح فصلى من الجيش ومحاكمتى إذا لم أنفذ الأمر، وفى ١٩ يوليو أستقال حسين سرى من رئاسة الوزراء واجتمعت صبيحة ذلك اليوم فى منزلى بعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار واتفقنا على أن مصر قد نضجت تماما للثورة فقد كان معظم الساسة المصريين إما فى الخارج أو فى الاسكندرية يقيمون مع الملك فى مقره الصيفى بقصر المنتزة.. كنا نعلم جيدا أن خلفاء رئيس الوزراء المستقيل يتآمرون فى مصايفهم وفى فندق سيسل بالاسكندرية وهو المقر التقليدى للمؤامرات السياسية.. إنه شهر يوليو وحرارة الصيف لا تشجع أحدا على الثورة.. فلنتحرك أذن لإنقاذ البلاد قبل أن يتمكن الملك من تعيين حكومة جديدة وقبل أن يفلح جواسيسه فى كشفنا ومعرفة ما يدور فى أذهاننا وعقدنا العزم على ألا نسفك الدماء إلا لتحقيق أغراضنا ونبهنا على عدد من الضباط اخترناهم وطلبنا منهم أن يكونوا فى انتظار اتصالات تليفونية فى منازلهم الساعة ٢١ من كل ليلة حتى صدور أوامر أخرى.

ولم تبلغ خططنا الشاملة إلا لأعضاء اللجنة العشرة.. أما أعضاء اللجنة التنفيذية الأصلية فلم أقابلهم إلا بعد الثورة وهم قائد الجناح جمال سالم – قائد الجناح عبداللطيف البغدادى والبكباشى أنور السادات والصاغ خالد محيى الدين وعشية الإنقلاب أضيف إلى اللجنة التنفيذية البكباشى زكريا محيى الدين والبكباشى حسين الشافعى والبكباشى عبدالمنعم أمين والقائمقام يوسف صديق منصور وأصبحت هذه اللجنة فيما بعد مجلس الثورة.

وكان معدل عمر أعضاء اللجنة التنفيذية الأربعة عشر عند الثورة ٣٤ عاما.. عمرى ٥١ عاما – يوسف صديق ٤٦ عاما – خالد محيى الدين ٢٩ عاماً وهو أصغر الأعضاء سنا.. أما بقية الضباط الأحرار وعددهم بضع مئات منظمين فى خلايا لا يقل عدد أعضاء الواحدة منها عن ثلاثة ولا يزيد عن خمسة.. ولم يكن عضو أى خلية يعرف أكثر من عضو واحد من أعضاء اللجنة التنفيذية الأربعة عشر وبهذا استطعنا أن نحافظ على السرية التى كفلت نجاح الثورة.

وكانت خطة عبدالناصر أن نضرب الساعة ١٠٠ من صبيحة ٥ أغسطس ولكنى أصررت على التحرك قبل ذلك الموعد ايمانا منى باننا لن نستطيع أن نحافظ على السرية أكثر من أيام قليلة وفى ليلة ٢٠ يوليو أذهل الملك حاشيته بتعيين الهلالى رئيسا للوزراء مرة أخرى وأذهل الهلالى الجميع بتعيين إسماعيل شيرين وزيرا للحربية.. فسيطر علينا القلق واضطررنا إلى تقديم موعد الانقلاب إلى ٢٢ يوليو خوفاً من العواقب ولكن سرعان ما أدركنا إستحالة إتخاذ كل الترتيبات الضرورية قبل الأربعاء ٢٣ يوليو وبينما كان إسماعيل شيرين يناقش أمر إعتقالى مع حيدر وكبار الضباط وفى عصر هذا اليوم أبلغنى صحفى بنادى التجديف أننى سأحال إلى المعاش وفى مساء نفس اليوم زارنى فى منزلى أحد الضباط الأحرار وأكد لى ما قاله الصحفى وأضاف أنه سيصدر أمر بإعتقالى فى أى لحظة وبذلت جهدى فى إخفاء قلقى وكانت الساعة ٢١,٣٠ عندما غادر الضابط منزلى وكان الوقت قد فات لتحذير زملائى من الخطر إذ كان كل واحد منهم إن لم تفشل خطتنا قد بدأ فى تنفيذ واجباته المرسومة عبد اللطيف بغدادى يسيطر على القاعدة الجوية فى الماظة ويبدأ مع حسن إبراهيم فى إصدار التعليمات الى الطيارين فيما يتعلق بالدور الذى سيلعبونه صباحا وحسين الشافعى وخالد محيى الدين يسيطران على سلاح الفرسان وعبدالمنعم أمين على المدفعية ويوسف منصور صديق على المشاة والأخوان جمال وصلاح سالم مع أنور السادات وعبدالحكيم عامر فى سيناء بينما يسيطر جمال عبدالناصر على كل القوات العسكرية فى العريش ويتولى صلاح سالم القوات البرية فى رفح ثم ينضم السادات وعامر إلى عبدالناصر فى القاهرة حيث يتأهب زكريا محيى الدين ورجاله لاعتقال كبار الضباط الذين يقفون فى طريقنا.. وبالرغم من أننى كنت أتولى القيادة الفعلية فإن تحركاتى كانت مراقبة بالدرجة التى ربما أضرت الخطة فى حالة قيامى بدور إيجابى فى البداية لذلك اتفقنا على أن ألزم منزلى حتى تنفيذ المرحلة الأولى من الثورة ثم أنضم إلى زملائى الشبان فى دار القيادة العامة بكوبرى القبة.. على أن أقوم بتبديد مخاوف من يتصل بى بالتليفون أو يحضر أحد إلى منزلى.. كانت ساعة الصفر هى ١٠٠ فى

كتاب مذكرات

صبيحة ٢٣ يوليو ولم يكن فى وسعنا أن نختار ساعة قبل هذه تكون فيها الشوارع خالية من الناس وسكان المدينة قد استسلموا للنوم خاصة أننا كنا فى فصل الصيف والناس تسهر طويلا ووقعت حادثة مباغتة اضطررنا معها إلى تقديم تلك الساعة فقد وشى بنا إلى القصر ضابط أرتاب فى نياتنا وفى الساعة ٢٣,٣٠ تلقى اللواء فريد رئيس هيئة الأركان الأوامر بالقبض على كل ضابط يشك فى ولائه للقصر فبادر اللواء فريد بدوره بالتنبيه على عدد من مرءوسيه ومنهم أخى على الذى كان قائدا لحماية القاهرة وفى العاشرة صباحاً اتصلت بى زوجة على لتخبرنى أنه غادر المنزل فى منتصف الليل وأنه لم يعد حتى تلك الساعة وحينما اتصلت بعلى فى القيادة العامة بكوبرى القبة قال لى أنهم يتوقعون إنقلابا وأن قصر عابدين تم حصاره فسألته من قال ذلك؟ أجاب: البوليس قلت له لا تصدق أى كلام من البوليس ولا اللواء فريد وأضفت أن كل حديث عن انقلاب عسكرى ما هو إلا هراء ونصحته بالعودة إلى منزله والاتصال بزوجته وبعد ساعة تلقيت مكالمة طويلة من المراغى وزير الداخلية قائلا: أتوسل إليك كرجل عسكرى ووطنى أن تضع حدا لهذا الأمر قلت له وأنا اتصنع الجهل بما يدور ماذا تعنى؟! فقال أنت تعلم أن أولادك بدأوا يتحركون فى كوبرى القبة وقد يتدخل البريطانيون إذا لم تضع حداً لهذا فقلت له: أننى لا أعرف شيئاً عما تتحدث.. وكيف أعرف أنك المراغى فربما كنت تهدف إلى خلق عذر لاعتقالى فأنهى المراغى المكالمة وقال لى إن الهلالى سيحدثنى من الاسكندرية ثم أتصل بى فريد زعلوك وزير الصناعة وطلب منى أن أوقف الإنقلاب العسكرى وإلا احتل البريطانيون مصر من جديد وعادت الأمور أسوأ مما كانت فأوضحت له ما يدور فى خاطره مجرد هاجس لا وجود له.. أما خطتنا فكانت تهدف إلى الإستيلاء على مبنى القيادة العامة بكوبرى القبة مباغتة ثم إحتلال القيادة العامة بمركز مواصلاتها الحيوى قبل دخول القاهرة بقواتنا المدرعة ولكن فجأة توهج مبنى القيادة بالأنوار وامتلأ بالضباط الذين استدعوهم لإحباط انقلابنا وذلك نتيجة للوشاية التى ذكرتها فلم يكن هناك مفر من ضرب الحصار على المبنى والإستيلاء عليه بالقوة وبالفعل استسلم من فى المبنى بعد مقاومة رمزية قتل أثناءها رجلان، بالاضافة إلى آخرين قتلا فى اشتباك فى ثكنات القوات الجوية بألماظة وهؤلاء كل ضحايا المرحلة الأولى من الثورة فى القاهرة.

وهكذا تم الاستيلاء على القيادة العامة الساعة ١,٤٥ حيث تجمعت الدبابات والسيارات المصفحة وآلاف الجنود الذين لم يطيقوا صبرا فى شارع الخليفة المأمون لإحتلال القاهرة بأكملها.

ومن المفارقات أن شقيقى على أعتقل فى القيادة العامة فسئلت إن كنت أريد إطلاق سراحه.. فرأيت أنه من الأفضل أن يظل مع المعتقلين حتى نفرغ من تدعيم مراكزنا فإذا فشلت الحركة فلا يعتقل ويتعرض شخصان من العائلة للخطر وهو ما كنت أرفضه تماما.. وبفضل الله سارت الحركة فى يسر فأعتقلنا معظم القادة العسكريين ورئيس البوليس ورئيس البوليس السياسى وكان الإعتقال يتم فى القيادة العامة أو فى منازلهم وفى الساعة ٣٣٠ أتصل بى تليفونيا أحد الضباط الأحرار وقال إن المرحلة الأولى قد نفذت وإنه سيرسل لى بعض السيارات المصفحة لحراستى من منزلى إلى القيادة العامة حيث تلقيت مكالمة تليفونية من الهلالى بالاسكندرية فأبلغته صراحة أن الضباط الأحرار استولوا على السلطة وهم يهدفون إلى القضاء على الفساد وتطهير البلاد.. ثم أتصل بى المراغى (وزير الداخلية) من الأسكندرية أيضا وطلب مقابلتى فدعوته للحضور إلى القاهرة فى وزارة الحربية وحضر بالفعل لكننا فقدنا الاتصال ببعضنا البعض وبعد قليل أتصل بى أيضا حيدر باشا وأبلغنى أن الملك سيصدر عفوا عنا إذا أوقفت الإنقلاب ويعلن موافقته على تعيينى وزيرا للحربية.. فأبلغته أننى سأبحث الأمر، وفى غضون ذلك كان أحد ضباطنا يشرح الأغراض العامة لثورتنا لأحد الملحقين بالسفارة الأمريكية بالقاهرة بينما كان السفير الأمريكى كافرى ومرؤسوه المباشرون فى الاسكندرية مع الحكومة وكبار موظفى البعثات الدبلوماسية الأجنبية ومنهم كرزويل الوزير البريطانى المفوض الذى كان قائما بالأعمال أثناء غياب السفير رالف ستيفنسون وعلى الفور أوكلنا إلى على صبرى قائد الأسراب مهمة الاتصال بالسفارة الأمريكية نظرا لصلته بأحد موظفيها وطلبنا منه إبلاغ السفير الأمريكى بضرورة الاتصال بالقائم بالأعمال البريطانى والتأكيد على إن الانقلاب أمر داخلى محض وأننا سنحافظ على الجاليات الأجنبية ولن نمسها بسوء وحذر على صبرى ايفانز «نائب الملحق الجوى الأمريكى» من التدخل البريطانى وإذا حدث فإن مسئولية سفك الدماء تقع على عاهل البريطانيين.. وأعتقد أنه من محاسن الصدف أن السفير البريطانى كان فى بلده فى ذلك الحين فى إجازة فربما صدرت إليه بعض التعليمات فى حالة وجوده أما وهو غائب فالحكومة البريطانية أميل إلى عدم التدخل الذى كنا نخشاه خاصة من القوات البريطانية فى السويس.. التى قد تحتل الدلتا بحجة إنقاذ الأرواح والأموال الأجنبية وقد أثبتت الأحداث أن مخاوفنا هذه لها ما يبررها وفى تمام الساعة السابعة والنصف من صباح الأربعاء ٢٣ يوليو أذيع بيان الثورة الشهير باسم اللواء محمد نجيب وقرأه أنور السادات ولم يكن موجها إلى شعب مصر وإنما إلى أبناء وادى النيل (مصر والسودان):

«اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش كما تسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالإبتهاج والترحيب أما من رأينا إعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجرداً من أى غاية وانتهز الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ إلى أعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس من صالح مصر وإن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم.



والله ولى التوفيق

وأذيع البيان أكثر من مرة على مدار اليوم ومنذ الفجر ظلت قاذفاتنا وطائراتنا النفاثة تحلق على القاهرة والاسكندرية وكانت طائراتنا من أمضى أسلحتنا السيكولوجية التى أدت إلى تثبيط المقاومة وتشجيع التأييد ومن حسن الحظ إنه لم تكن هناك مقاومة بل ترحيب عام.

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من الثورة بدون سفك أى دماء وحان وقت المرحلة الثانية ففوضنا السادات أن يطلب من على ماهر أن يخلف الهلالى كرئيس للوزراء وبالفعل قبل ماهر عرضنا وتولى رئاسة الوزراء فى الرابع والعشرين من يوليو وسررت لذلك فهو السياسى الوحيد القادر على إنجاز ما نريد فقد عرف فاروق منذ الصغر وأجلسه على العرش وعمل معه رئيسا لديوانه ورئيسا لوزرائه فمن الملائم أن يساعدنا على خلع صنيعته من العرش ولم يكن الأمر أمر ولاء إذ أن الملك كثيرا ما خان ماهرا حتى أصبح الأخير لا يضمر له شيئا سوى الاحتقار وبينما كنت أعد بيانى حضر مصطفى صادق - عم ناريمان - إلى القيادة العامة وطلب منى أن أضع طائرة تحت تصرف الملك الذى كان يمتلك ١٣ طائرة من طراز «٤٧٠ إس» أهداها له السلاح الجوى الأمريكى أثناء الحرب فأخبرته أنه لا داعى لقلق الملك وسفره فهو فى أمان وأننى سأقوم بزيارته فى الاسكندرية «أنتهت شهادة محمد نجيب أمام التاريخ».

وهكذا خلد الملك فى سبات عميق متفرغا للبكاراه والبوكر

واستنامت مراكز التوجس لديه فى الوقت الذى استيقظ فيه غروره وأستهتاره واستهانته بشوية الضباط فقبل محاولة اغتيال سرى عامر.. نشر مصطفى صدقى ضابط سلاح الحدود ذو الميول الشيوعية.. سلسلة مقالات نارية عن ثورة الجيش التى تقف على الأبواب وبدأ الشك يساوره على حياته فتم تشديد الحراسة الخاصة به وتفعيل دور الحرس الحديدى والاستعانة بفرقة حراسة سودانية.. ونما إلى علمه بعض الأفكار الثورية التى يدعو لها عبد القادر طه شقيق - الضبع الأسود - وعلى رأسها شعار لا ملك إلا الله فتم اغتيال عبد القادر بواسطة رجال سرى عامر.. ويستمر مسلسل العناد الملكى ويصل إلى الملك بعض منشورات الضباط الأحرار من خلال يوسف رشاد طبيبه الخاص والذى كان على صلة وثيقة مخططة بالسادات تلك العلاقة المزدوجة التى كانت تهدف لخداع الملك وتضليله من خلال حاشيته وأقرب المقربين.. وقد لا يعلم البعض أن صلاح سالم كان يقوم بنفس الدور المزدوج مع حيدر باشا على الرغم من أن الحوادث أكدت اضطلاع حيدر باشا بأخبار الضباط الأحرار وعلمه المؤكد بالثورة من عبد الحكيم عامر - يمت له بصلة قرابة من الدرجة الأولى.. وهكذا انتهى أى أمل فى إثارة مخاوف الملك بالقدر الذى يثير استجلاء الأمور من منبعها والتأهب والتخطيط والتفاوض.. حتى أن يوسف رشاد عرض عليه منشورا من منشورات الضباط الأحرار وعليه ختم قلم المخابرات لكى يتأكد الملك من تشعبهم داخل جميع وحدات الجيش.. بل إن ناريمان وضعت أحد المنشورات التى وصلتها بجوار مخدعه.. ولا حياة لمن تنادى فقد سقط النظام ذاتيا ولم يبق إلا رماده الذى نثره الضباط الأحرار فى مهب الريح فتفرق ذات اليمين وذات اليسار بعشوائية منظمة أى أن الأحداث كانت تأخذ مسارها وفقا لردود الأفعال .. ثم يتم التعامل معها بالقدرة التنظيمية التى اشتهر بها جمال عبدالناصر - العقل المدبر للثورة - منذ عام ١٩٤٢ حتى ١٩٥٢ فهو أستاذ علم التحركات فى الكلية الحربية وعلم التحركات كما يقول السادات من أعقد العلوم وبعض الضباط يرسب فيه مرتين وثلاث مرات.. فتميز عبدالناصر بقدرته الفائقة على عمل جدول مواعيد تحركات الجيش وتموين مختلف الأسلحة وضبط التحركات البحرية مع الجوية مع القوات البرية.. ومن خلال خلايا التنظيمات السرية التى لا تعلم عن بعضها شيئا بدأت الثورة بالاعتماد على عقلية تنظيمية لفكر رجل واحد.. لا تربطه صلات حميمة بالآخرين.. يكتفى بالمشاركة والزمالة وغالبا ما يضع خطا فاصلا بينه وبين الآخرين..



ونتوقف عند الدور الذى لعبه محمد نجيب وإشتراكه الفعلى فى الثورة وهى حقيقة لا ينكرها إلا جاحد أو جاهل يتبع هواه الشخصى ولا يصغى لصوت الحقيقة وموضوعية الحدث وأمانة تسجيله.. فهل كان دور الرجل هامشيا وهو الوحيد الذى كان يعرفه الملك شخصيا وقال عنه حين عرض عليه تعيينه وزيرا للحربية لإمتصاص غضب الجيش أنه لا يريد عرابى جديد فى البلاد؟ هل من يقبل هذه المخاطرة بحياته ومنصبه فى ظل وجود (الحرس الحديدى للملك والقوات الإنجليزية بالقناة والبوليس السياسى والمخابرات البريطانية والمصرية) من الممكن أن يقال عنه أنه لم يكن يعلم شيئاً عن ثورة يوليو إلا ليلة تنفيذها؟! وإذا كان هذا الدور هامشيا فما الدور الرئيسى الذى يمكن أن يقدم عليه إنسان فى خضم هذه اللحظات الحاسمة؟ كيف يمكن التغاضى عن دور شقيقه «على» التاريخى حين اجتمع مع زملائه فى القيادة العامة باللواء حسين فريد رئيس الأركان مساء ٢٢ يوليو وحين علم محمد نجيب تم تحديد ساعة الصفر وفقا لهذه التطورات الفارقة فى مصير الثورة؟! هل الخلاف السياسى يفسد للود قضية إلى حد تزويرها تاريخيا؟! ولماذا لم تسلط الأضواء على الدور التاريخى الذى قام به يوسف منصور صديق الذى تحرك بقواته من الهايكستب قبل الموعد المحدد بساعة أختلفت الأقوال حولها.

يوسف صديق

قال البعض إنه الخطأ الوحيد الذى حمدت عقباه لأنه أنقذ الثورة نتيجة للوشاية التى أشرنا إليها.. فقد عهد إلى يوسف صديق بالمهمة الأساسية ليلة ٢٣ يوليو فمن هو يوسف صديق ١٩١٠ - ١٩٧٥ وقصته مع الثورة والشعر والفن؟ فما أن رآه المخرج المبدع يوسف شاهين فيما بعد فى الستينات ووقعت عيناه على قامته الفرعونية وبشرته البرونزية وملامحه المنحوته رجولة وصبراً ومراً وشعراً ونبلاً حتى تهلل فرحا.. فأخيرا وجد محمد أبو سويلم» بطل فيلم «الأرض» فليس أصدق منه قولاً وفعلا حين ينطق بحوار عبدالرحمن الشرقاوى: عارفين ليه حاربنا فى فلسطين ومات زملاؤنا جنبنا وكملنا علشان كنا رجالة؟ ويرفض المحارب المريض مكتفيا بدور البطولة الحقيقى الذى قام به أو ليلة عمره كما أسماها فى مذكراته «ليلة الثورة» وتعود أحداث القصة حين قام جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر بزيارة يوسف صديق فى منزله بحلمية الزيتون قبل الثورة بثلاثة أيام - وهو الرجل الثانى فى الحركة بعد نجيب منصبا وسناً - وعلما أنه كان يعانى من نزيف بالرئة فطلبا منه عدم الإشتراك فى ليلة ٢٣ يوليو ولكن البكباشى المناضل والمقاتل الجرىء أصر على الإشتراك وأتفق الجميع على وضع ما يقرب من ٢٠ لورى تحت تصرف يوسف صديق لإغلاق الطريق المؤدى إلى المعسكرات مع عدم السماح لأية قوات غير مشاركة فى الحركة بالتحرك فى تلك الليلة على أن يتحرك يوسف صديق بكتيبته إلى مبنى القيادة بعد أن تصله إشارة من الضباط الأحرار بسيطرتهم على الموقف.. وعلى هذا الأساس توجه يوسف يوم ٢٢ يوليو إلى عيادة طبيبه فأخذ حقنة لوقف النزيف ثم توجه إلى معسكره فى الهايكستب والتقى[146] بزغلول عبدالرحمن مندوب قيادة الضباط الأحرار فأخبره بكلمة السر (نصر) وساعة الصفر التى تقررت عند منتصف الليل.. وعلى الفور أختلق يوسف صديق سبباً لجمع ضباطه وجنوده فى مقدمة كتيبة مدافع الماكينة وبرفقته الضابط الجسور عبدالمجيد شديد الذى رافقه فى كل تحركاته.. وبحس الأديب وروح الشاعر ألقى كلمة وطنية موجزة شاحذة فأخبرهم أنهم قادمون على عمل وطنى عظيم سيفخر به أبناؤهم وأحفادهم وقبل تحركه برفقه زغلول عبدالرحمن وعبدالمجيد شديد وضباطه وجنوده بدقائق وصل قائد الفرقة فقام بإلقاء القبض عليه فى سيارته التى سارت فى الركاب حتى مشارف مصر الجديدة ولم يمض وقت طويل حتى قام بإلقاء القبض على القائد الثانى.. وطوال الطريق لم يشاهد أى دليل على تحرك قوات الضباط الأحرار المتفق تحركها فماذا يفعل وقد تورط تماما فى إلقاء القبض على قيادتين من قيادات الجيش الموالية للملك ومن ثم فعقوبة الإعدام هى الجواب المناسب لكل تساؤلاته وبعد فترة قصيرة ترامى إلى سمعه صدى أصوات محتدة متداخلة فى شارع السلطان حسين (الثورة) فى الكوربة بمصر الجديدة وكانت المفاجأة أن ضباطه قاموا بإلقاء القبض على شخصين يرتديان الملابس المدنية وأتضح أنهما جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر فأندهش ثلاثتهم وسألاه عن سبب خروجه المبكر وأخبراه أن ساعة الصفر المقررة هى الواحدة صباحا وليست الثانية عشر وأعربا عن سعادتهما البالغة لخروجه المبكر الذى أنقذ الموقف حيث علم الملك بتحرك الضباط الأحرار وفى حديثه مع صحيفة «الصنداى تايمز» عام ١٩٦٢ يذكر جمال عبدالناصر أنه لم يسعد برؤية إنسان فى حياته مثلما سعد لرؤية يوسف صديق وهو يخرج من الظلام ليستطلع سر الضجة» وبرغم مرور أكثر من نصف قرن على أحداث تلك الليلة التاريخية فلا تزال بعض علامات الإستفهام بدون إجابات شافية ووافية.. فإلى يومنا هذا لم يُكشف عن سر خروج يوسف صديق بقواته مبكرا قبل ساعة الصفر.. وإذا أخطأ بصفة شخصية فماذا عن مندوب الضباط الأحرار زغلول عبدالرحمن الذى أبلغه بالموعد؟ وهل يخطىء الإنسان فى أمر حيوى يتعلق بمصيره؟ فزوجته تؤكد أنه خرج فى الموعد الصحيح.هو ورفاقه وليس نتيجة لخطئه كما أشاع بعض المؤرخين والقليل من السياسيين الذين طمسوا دوره الرئيسى تماما من الثورة فتحولت الشهادة التاريخية إلى شهادة زور وبهتان.. فعقب لقائه بناصر وعامر فى الكربة تقرر أن يقتحم يوسف وقواته -وكانت القوات الوحيدة الموجودة فى شوارع القاهرة لمدة ساعة - مبنى قيادة الجيش وإلقاء القبض على القيادات دفعة واحدة وبعزيمة وطنية وإرادة حديدية وذهن متوهج لم تشله المباغتة المصيرية أخرج علبة سجائره وعلى الغلاف الداخلى[147] رسم

خطة شاملة لاقتحام مبنى القيادة أو عرين الأسد فقام بقطع الطريق وتأمين الدور الأرضى مستعينا بقواته ما يقرب من ٧٥ جنديا وضابطا فاقتحم الدور الأرضى فاعترضه شاويش أطلق عليه رصاصة أصابته فى قدمه.. وشاءت الأقدار أن تصل قوة مسلحة مكونة من خمسين جنديا يحمل كل منهم مائة طلقة بناء على استدعاء رئاسة الجيش الملكى.. فقام يوسف بضمهم إلى قوته فكانت ضربة ساحقة قضت على المقاومة من منبتها وأخلت بميزان القوة لصالح الضباط الأحرار وانحصرت المقاومة فى الدور الثانى فى مكتب رئيس الأركان اللواء حسين فريد حيث أطفأت الأنوار لفترة وجيزة وأغلق الباب من الداخل فتم إقتحامه من الخارج - وإختلفت الأقوال فى تحديد شخصية المقتحم المرافق ليوسف فى تلك اللحظة - وعلى الفور استسلم رئيس الأركان وبروح العسكرية قام يوسف بتأدية التحية لقائده قبل اعتقاله ثم جلس فى كرسى القيادة ولن نغالى إذا ذكرنا أن الثورة مدينة بنجاحها للرجل فلولا جسارته وعزمه وبصيرته وإيمانه بمبادئها ربما وئدت الحركة بأكملها فى تلك الليلة.. فهل يكون جزاء الإحسان الإساءة بالنكران حتى تضطر أسرته إلى رفع دعوى قضائية لكى يسجل اسمه ويوضع تمثال له فى المتحف الحربى أسوة بزملائه الضباط الأحرار الذين لم يتعرض معظمهم لمخاطر الفارس النجيب والضابط الصديق؟! ولكن عزاءنا أن شعاع الحقيقة قد يخبو زمنا فى سراديب الظلم والنسيان يشحذ فيها طاقته الكاشفة التى تضئ صفحات التاريخ بمداد الحقيقة الغائبة وإن كره الجاحدون!!!

ومازالت تفاصيل ليلة الثورة غامضة ومتناقضة بشهادة أفرادها وشهود عيانها!!!

وأخيرا حانت النهاية التى طالما توقعها الملك فانهارت قواه على الرغم من وجوده فى الاسكندرية وهى بؤرة أمنية كانت تشكل خطراً لا يستهان به على الحركة الأمر الذى تطلب وضع خطة لتأمينها بواسطة جمال عبدالناصر وزكريا محيى الدين.. فقد احتفظ فاروق بولاء البحرية وخفر السواحل والحرس الملكى بالإضافة لوجود الحكومة فى مقرها الصيفى ببولكلى.. وخسر فاروق المقامر العنيد الكارت الأخير، خسر شأن جميع المقامرين.. المقهورين والمهزومين.. لم يخطر بخياله أن الولايات المتحدة التى أنقذت حياته.. هى أول من أضاء النور الأخضر لطلائع الجيش.

ففى فبراير ١٩٥٢ اجتمع وزير الخارجية الأمريكى اتشيسون بكيرميت روزفلت المسئول فى المخابرات المركزية عن شئون الشرق الأوسط واستقر الرأى على أهمية الوجود الأمريكى فى مصر اعلاءً للمصالح الأمريكية.. وأدرك الأمريكان أن الضباط الأحرار يملكون القوة الفعلية لتحقيق أهدافهم.. ومن خلال إتصال روزفلت والملحق العسكرى الأمريكى ببعض الضباط تم تسريب رسالة تعد بعدم التدخل الأمريكى.. بل والبريطانى أيضا.. فى حالة وقوع انقلاب غير شيوعى!!!.. وهى قاعدة سياسية تم استخدامها بفاعلية فى معظم الانقلابات العسكرية أبان الحرب الباردة بين القوتين الأعظم.. أما الملك.. فلم تكن بريطانيا تحتاج لدليل جديد على عدم ولائه تجاه سياستها وساساتها بإستثناء ما يتواكب مع مصالحه الخاصة وحين تعارضت الأخيرة مع مصالح الأمبراطورية.. إضافة لتودده للجانب الأمريكى وصداقته الوطيدة بسفيرهم كافرى.. ويأسهم التام من إحتمال إصلاحه بما يكفل إعادة التوازن الآمن سياسيا.. فقد انتهت الملكية فى مصر وفقا لحتمية تاريخية كتبت شهادة وفاتها طبقا لقانون النشوء والإرتقاء السياسى لم يعد وجودها مقبولا أو مرغوبا على المستوى الشعبى - بإستثناء القوى الرجعية والإقطاعية - وانهار عرش فاروق بسهولة لا تتحقق فى معظم الثورات.. فأستحقت الثورة أن تحمل لقبه الثورة البيضاء عن جدارة.

وكما أشار محمد نجيب بك - لقبه فى الصحف عشية الثورة - تشكلت وزارة على ماهر فى الرابع والعشرين من يوليو وتم تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ومُنح رتبة فريق وبدأت تتدرج مطالب الضباط الأحرر لكى لا يساور الملك أى شك قد يفضى إلى إستعانته بقوى أجنبية أو محاولة الهرب على الرغم من تأمين المطارات والموانئ.. وفى الخامس والعشرين من يوليو طلبت الحركة المباركة - كما أطلق عليها فى البداية - من الملك ابعاد ستة من حاشيته الفاسدة وهم انطونيو بوللى مدير الشئون الخصوصية - محمد حسن الشماشرجى الخاص وألياس اندراوس المستشار الاقتصادى للخاصة الملكية ويوسف رشاد كبير أطباء القصر - حسن عاكف الطيار الخاص للملك والأميرالاى محمد حلمى حسين (سائقه الخاص سابقا ومدير إدارة السيارات الملكية) وبالفعل أذعن الملك أملا فى احتواء الموقف الذى لم يصل إليه خياله فى غضون الأيام الأخيرة المنذرة وحاول الاحتفاظ ببوللى ومحمد حسن دون جدوى وباءت المحاولة بالفشل.. وكانت المفاجأة الكبرى إن الثورة والحركة آنذاك لم تجد أية مقاومة بل تأييدا جارفا تشهد عليه الصور والأفلام التسجيلية وخاصة فى ريف مصر الذى عانى الأمرين فى ظل مجتمع النصف بالمائة فكان لابد من تصعيد درجة الأحداث إلى درجة رد الفعل الشعبى.

وفى السادس والعشرين من يوليو تحرك محمد نجيب الذى تنازل عن رتبه الفريق وبعض الضباط الأحرار والبكباشى أنور السادات إلى الاسكندرية لمقابلة على ماهر وتم الاتفاق على تسليم فاروق إنذار بالتنازل عن العرش قبل الثانية عشر ظهراً على أن يغادر البلاد فى نفس اليوم قبل السادسة مساءً ويستبعد الرأى القائل بقتله الذى لن يفيد مصر شيئا.. وتجمع الآراء على أن التاريخ سيحكم عليه بالإعدام ويتولى سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة تحرير وثيقة التنازل عن العرش وتقديمها إلى الملك وتوقيعها بتنازله عن عرشه لأبنه ولى العهد الأمير أحمد فؤاد ويحاول أن يعدلها ويضيف إليها عبارة نزولا على إرادتنا ويقنعه حافظ بإستحالة ذلك وتهتز يده ويتم توقيعها مرتين!! ولن نفيض فى وصف شعور الملك وإنهزامه وانهياره.. ففى غضون ساعات سيغادر ملكه مجبرا مطرودا لا بطل.. فى غضون ست ساعات عليه أن يحزم أمتعته ويودع شقيقاته ويصطحب زوجته وبناته وأبنه ويجمع شعاث ذكرياته ويطوى أجمل أيام حياته.. وأثمن مجوهراته وسنداته وحساباته وكل متعلقاته الآن.. الآن لم يعد خائفا مذعوراً على حياته وقد أمنت أمريكا حياته.. وفضلت بريطانيا مشاهدة العرض دون المشاركة فيه!! الآن يفكر فى شماتة الشيوعيين وانتقام الإخوان المسلمين وفرحة الوفديين وحزنه لافتقاد حاشيته والمقربين وخاصة بوللى توأم روحه!!



ويتقدم بآخر طلب ملكى يحاول الحفاظ به أمام نفسه على هيئته كملك ظل يحتفظ بالبروتوكول حتى فى لحظات احتضار عرشه وإعلان وفاته فتتثاقل قدماه وهو يستعرض قرة قول الشرف للمرة الأخيرة.

ويستجيب محمد نجيب بإنسانية دافقة من خلقه الرفيع لطالبه ويودعه رسميا وتترقرق الدموع فى مقلتيه ويغادر مصر ولآخر مرة وربما أول مرة يشاهد دموع مقربيه وحاشيته مرتديا بدلة مارشال بحرية - وهى السلاح الوحيد الذى أحتفظ بولائه له - وتعزف موسيقى السلام الوطنى ويودعه على ماهر أول وآخر وزرائه وكافرى السفير الأمريكى وصديقه الحميم بعد مقابلة قصيرة له مع محمد نجيب أكد فيها الأخير على احتفاظه بعهوده المتمثلة فى المحافظة على كرامة الملك وسلامته حتى يغادر مصر بسلام مقابل عدم التدخل الأمريكى فى الموقف!! وبجوار مرسى المحروسة يسأل السفير الأمريكى السادات قائلاً: هل ستبرمون الآن صلحا مع إسرائيل فيجيب السادات سوف نفعل ذلك بعد تطهير الفساد!! وبعد مرور ٢٥ عاما ينفذ السادات الإجابة عمليا!!

وعلى رصيف الميناء استقرت المحروسة التى أقلت جده إسماعيل إلى نفس المصير وقبل الموعد المحدد أحتشدت الجماهير مشحونة بالدهشة والفرحة والفضول والبعض الآخر اصابه الحزن والذهول ووكالات الأنباء العالمية تعلن استعداد كاميراتها لمشاهدة الملك الذى أعطى ملكا فلم يحسن سياسته.. كذلك من لا يسوس الملك يخلعه كما يقول الشاعر ويتجه إلى

كتاب تذكارى

المحروسة وتحرسه سالما كما حرست جده.. ويتأخر محمد نجيب عن الموعد قليلا ولكنه يتمكن من اللحاق به بواسطة لانش البحرية فيصعد يتبعه جمال سالم وحسين الشافعي وجمال حماد وآخرون ويستفزه العصا التى كان يضرب بها جمال سالم على رجله بعصبية فيقول له: شيل العصا دى من إيديك!!

ويودع نجيب بقايا ملك يحتضن ملك آخر عمره ستة شهور فقط ويتعاطف شديد يبكى نجيب ويؤكد فيما بعد الواقعة ولا ينفيها فيقول: «من الصعب إنسانيا أن تودع ملكاً.. إن محاكمة الملك لم تكن تعنى إلا محاكمة[148] أسرة محمد على ولم يكن كل أعضائها من الأشرار الخاسرين وكانت محاكمة هذه الأسرة تعنى محاكمة النظم السياسية فى مصر الحديثة ولم تكن نهدف إلى ذلك»!! وبكلمات قليلة صافحته بعد أن تغلب كلانا على عواطفه فقلت له: تعلم أننى كنت الضابط المصرى الوحيد الذى قدم إستقالته سنة ١٩٤٢؟ كنا ندين بالولاء للعرش آنذاك ولكن تبدلت الأشياء!! فأضطررنا إلى فعل ما فعلناه فقال نعم ورد على بجواب ظل يحيرنى طوال حياتى فقال: «لقد فعلتم ما كنت أنوى أن أفعله!! أتمنى أن تهتموا بالجيش الذى أنشأه أجدادنا أتمنى لكم التوفيق فليس من السهل حكم مصر»!! مصر التى أراد أن يملكها ويحكمها ففشل.. وأعلنت دقات جرس المحروسة الفضى العتيق عن تأهب اليخت معلناً بداية النهاية ومع غروب شمس الاسكندرية وتساقطها فى أمواج البحر الهادرة تدريجيا تسطع أضواء الاسكندرية الساحرة ويتباعد المشهد وتتحول الصورة إلى أطياف وشريط ذكريات فتنهمر دموعه الحارقة العاتية.. دموع الحسرة والألم والفراق والندم فمن الذى لا يبكى على عرش أم الدنيا التى يعشقها حتى أعدائها.. فتتعثر خطاهم ويقعون أسرى سحرها على مر العصور فليس غريبا أن يقبل فاروق علم مصر ويقول عنه جلال علوبة قائد اليخوت الملكية وربان المحروسة التى أقلته إلى نابولى:



«الملك كان وطنيا جدا يحب[149] مصر شأن أى مواطن مصرى.. لكنه كان مظلوما لأنه محكوم من الإنجليز والوفد.. فكان يخشى الطرفين.. أحيانا كنت أشاهده يبكى ويقول الإنجليز والوفد ضاغطين علىَّ فى كل شئ مش عارف أعمل إيه!! وفى النهاية زهق وكان يردد لماذا يتحمل هذه المسئولية!! وهذا الإتجاه كان واضحا تماما فى تصرفاته فقد أصبح يائسا يحاول تدبير أموره للتنازل عن العرش فى وقت ما»!!

ويستطرد جلال علوبة فيقول: لقد قضينا ليلة عصيبة على متن اليخت الكل صامت حزين وفى اليوم الثانى بدأ يخرج من غرفته إلى الكوردة ويتحدث معنا وبدا كأنه تخلص من شيء ثقيل ولكنه كان حزينا جدا لأنه سيفتقد بوللى وظل يردد إنه لا يعلم أى شيء تماماً!! وفى اليوم الثالث بدأ يضحك معنا ووصلنا نابولى والسارية تحمل علم الملك الصغير أحمد فواد - آخر ملوك مصر - وأعتقد فاروق أنهم[150] سيقابلوننا بنفس الحفاوة التى قابل بها عما نويل ملك إيطاليا المخلوع.. وفوجئنا أنه لا يوجد فى استقبالنا إلا مندوب من وزارة الخارجية الإيطالية وسفيرنا فى روما عبدالعزيز بدر وبمجرد دخولى الميناء بدأت تتوالى الإشارات اللاسلكية من مصر تحمل الرسائل التالية: عُد إلى مصر فورا ومعك جميع أفراد الحاشية الإيطالية!! وهم «الحلاق بترو وكافاتسى مدرب الكلاب فقفز الأخير فى البحر وفر هاربا خوفا من محاكمته أما الحرس الخاص وضباط البوليس الستة فقرروا مرافقة الملك بدون عودة فأصررت على عودتهم وأوضحت لهم خطورة الموقف ثم جاءتنى إشارة أخرى يطلبون فيها الحصول على مجوهرات ناريمان!! فأرسلت إليهم إشارة أخبرهم بنفاذ الوقود والطعام وأننى سأعود فى اليوم التالى.. وطلبت من عامل اللاسلكى إغلاق المحطة وحانت لحظة الوداع.. واحتضنى الملك واعتذر لى عن عدم منحى رتبة الباشوية فقلت له: لا أهمية لها الآن فسوف تُلغى!! وطلب منى سفيرنا عبدالعزيز بدر توصيل الملك إلى جنوة بناء على رغبة الملك فاعتذرت لأننى أنفذ الأوامر المحددة لى.. وأبدى الملك رغبته فى مرافقتى له فى إيطاليا وعرض علىَّ مليون جنيه لكنى اعتذرت لأنى أقوم بأداء مأمورية محددة فلا مفر من عودتى إلى أهلى وأبنائى وبلدى ولكن للأسف بمجرد عودتى إلى مصر تنازلوا عن خدماتى وأثناء رحلتنا تطرقت لسؤاله عن أحواله المالية من قبيل الاطمئنان فقال لى: كل ما أمتلكه فى الخارج خمسة ملايين جنيه.. وهذا الرقم يتساوى مع ثروة عبود باشا تقريبا.

ونتوقف عند شهادة «الغريب الحسينى» وهو من أفراد الحراسة الخاصة التى رافقت الملك إلى نابولى يقول الحسينى: «مازالت صورته وهو[151] يغادر الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ماثلة أمامى فى ذلك اليوم قال لى: يا حسينى تعالى هنا لا تتركنى أنا أشعر أنهم قد يقتلوننى وقبل أن نترك قصر رأس التين وجدت الملك يشير إلىَّ من بعيد وطلب منى أن أحاول منع أية محاولة لتصويره وأتفقنا على أن أتبعه من الخلف وإذا لاحظت محاولة لتصويره فعلى الفور أجذبه من الجاكت للخلف للتنبيه وبالفعل لم تستطع كاميرات عديدة من تسجيل هذه اللحظة التاريخية باستثناء لقطة سينمائية تظهر دائما على شاشات التليفزيون ولقطة وهو يستعرض حرس الشرف وقبل أن تطأ قدماه اللنش حضر السفير الأمريكى كافرى وأقترب من الملك قائلا: أسطولنا قريب جدا من الاسكندرية ونحن مستعدون للتدخل لصالحك فرد الملك سريعا: شكرا جزيلاً فأنا لا أريد حربا أهلية فى بلدى وهى إجابة تؤكد وطنيته ولو أراد فاروق الدفاع عن عرشه لطلب تدخل القوات الأمريكية.. وأبحرت المحروسة وأسدل الليل ستائره الموحشة وذهبت إلى غرفة اللاسلكى أستمع إلى نشرات الأخبار.. فوجدت الملك خلفى فقال لى: أنت بتعمل إيه؟! فقلت له: أستمع إلى ما يقولونه عنا!! فابتسم قائلا: البقرة لما تقع تكثر سكاكينها وألح إلى شكوكه فى إمكانية إغراق المحروسة فأبعدت هذا الهاجس عن خاطره فربت على كتفى وتوجه إلى كابينته فقد كان مجهدا جدا لم ينم لمدة ثلاثة أيام متوالية وذهبت لأبحث عن زملائى فى غرفة الطعام فوجدت مسئول المطعم يضع أمامنا أطباقا من الفاصوليا وقطعة لحم صغيرة.. وهكذا امتنع المسئولون عن تزويد اليخت الملكى بالأطعمة اللازمة.. حتى الصابون لم نجده واستعنا بصابونة مربية الأميرة فريال.. والغريب أن الملكة ناريمان كانت تشعر بضيق شديد اعتقدت بادئ الأمر أن السبب هو رحيلها هى وزوجها عن العرش ولكن فيما بعد علمت أن الضيق كان بسبب حقائب ملابسها التى فتحتها ففوجئت بعدم وجود معظم ملابسها ووجود كمية كبيره من الأحذية بداخلها وفاجأنا الملك بطلب غريب وسط هذه الأنواء والأجواء اندهشنا له جميعا فطلب منى أن أحضر له رساما وخطاطاً فأسرعت إلى قائد المحروسة جلال علوبة وبعد نصف ساعة أرسل لى جنديا شابا يتقن فنون الرسم والخط وعلى الفور أعطاه الملك اسم ورسم نوع من الذخائر واخرج من تحت السرير صندوقا وانتهت المهمة برسم اثنى عشر صندوقا باللغة الإنجليزية وكان الشاب بارعا إلى درجة كبيرة فأثنى الملك على صنيعه وبعد قليل عادت الصناديق إلى غرفة الملك وإلى يومنا هذا لا أحد يعلم ما هى محتويات هذه الصناديق على الرغم من أن بعض المصورين ألتقطوا صورها وهى محمولة على ظهر المحروسة وبعض الصحف ذكرت أنها صناديق خمر.. ولكن الذين يعرفون فاروق جيدا يعلمون انه لا يشرب الخمر وهو لا يشرب إلا عصير البرتقال.. فإذا كانت صناديق خمر فما الداعى لإخفائها بهذا الشكل طالما أنه متجه إلى إيطاليا فهو ملك وله الحق فى أن يفعل ما يشاء!! وظل سر الصناديق الخشبية لغزا لم يستطع أحد معرفته حتى اليوم!!.

ولم يكن هذا هو اللغز الوحيد كما أعتقد الحسينى.. فما أكثر الألغاز التى شهدتها مصر قبل الثورة وبعد رحيل فاروق.. إلى إيطاليا.. وقد تحققت نبوءته القديمة التى حدث به أحد مقربيه: «أعضاء أسرتى فريقان.. فريق يكرهنى وفريق لا يحبنى وهم جميعا يعلمون انه فى اليوم الذى سأرحل فيه عن مصر لن تقوم لهم قائمة.. أحيانا أتمنى أن يحدث ذلك ليتأكدوا مما سيحل بهم!! وقد كان فماذا حدث بعد رحيله أى بعد السقوط».■

كتاب تذكارى



فقد ابنيه «فاروق» و«على»
بعد الثورة وابنته
«سميحة» قبل الثورة



صورة تذكارية لليوزباشي محمد نجيب «قائد منطقة خليج السويس عام ١٩٣٤»

مصطفى النحاس
اقترح مجلس قيادة
الثورة اعتقاله
وتحديد إقامته عام
١٩٥٣ فكانت شرارة
الخلاف بين المجلس
ومحمد نجيب للمرة
الثانية.. المرة الأولى
حين رفض إعدام
إبراهيم عبدالهادى

اللواء محمد نجيب فى مجلس قيادة الثوره عقب الاستيلاء عليه بواسطةقوات يوسف صديق وقد ظهر البكباشي أنور السادات خلفه حاملا حقيبته

مع زوجته عائشة أم أولاده الثلاثة فاروق وعلي ويوسف

يا قومى: «اعلموا أن السياسة فى بلادنا فاشلة على وجه لا يصدقه عقل» رأى أنور السادات عام ١٩٤٧

نجيب كان له رأى مخالف لمعظم أعضاء قيادة الثورة فكان يرى أن تاريخنا السياسى لم يكن كله أسود وفى الصورة يتحدث مع على ماهر الذى تولى رئاسة الوزراء حتى سبتمبر ١٩٥٢

كان نجيب يمتلك كاريزما شعبية طاغية تعكسها تلك اللقطات التاريخية التى لا تكذب



بنجاح الثورة ازدوجت أبوتها بين الأب الحقيقى «محمد نجيب» والأب الذى تولى رعاية هذه الثورة وأنبتها بين خلايا الجيش «جمال عبدالناصر»

الدبابات تسير فى
شوارع القاهرة
الرئيسية بعد
نجاح الثورة



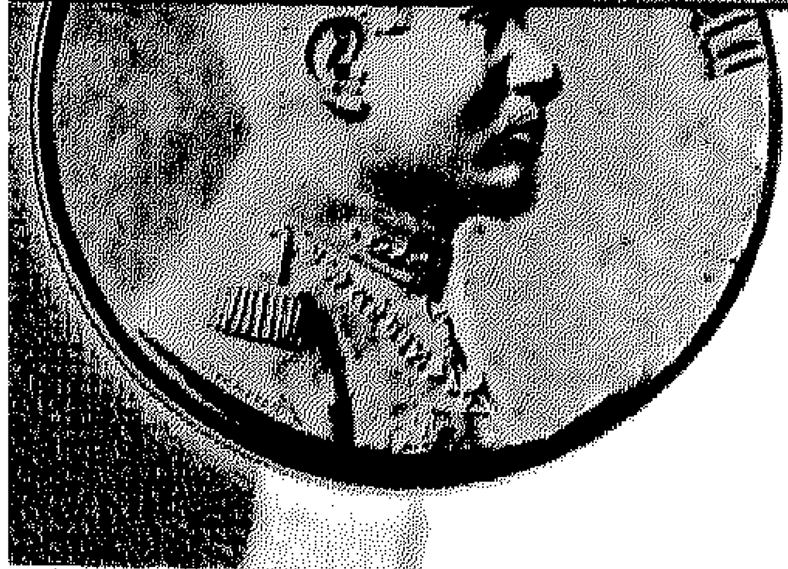
بكباشي يوسف صديق | قائد أسراب حسن إبراهيم

مجلس قيادة الثورة قبل أن يطيح بأهم أعضائه البكباشي يوسف صديق

لواء محمد نجيب بك | قائمقام أحمد شوقي | بكباشي جمال عبد الناصر | بكباشي زكريا محيي الدين

يقول الشاعر العربي: ومن لا يظلم الناس يُظلم

مشروع قبلة لم يتم بين
الرئيسين جمال
عبدالناصر ومحمد نجيب





بكباشى يوسف صديق البطل الحقيقى ليلة الثورة خرج بقواته من الهايكستب قبل الموعد المحدد على الرغم من أنه كان يعانى من نزيف بالرئة ووصل بقواته إلى مشارف مصر الجديدة حين تهادى إلى سمعه ضوضاء فاكتشف وجود عبدالناصر وعبدالحكيم عامر بالملابس المدنية وأخبراه أن الملك علم بتحركاتهم ولابد من التحرك الفورى لمداهمة مبنى القيادة فاقتحمه بقواته وألقى القبض على قياداته واستسلم رئيس الأركان ونجحت الخطة التى رسمها على الغلاف الداخلى لعلبة سجائره



تصدر نجيب لقيادة ثورة يوليو وغامر بحياته من أجل الإطاحة بالملك وتورط فعليا فى تقويض النظام الملكى بشهادة فاروق ذاته وفى النهاية تم محو وتهميش دوره وأصبح محبوساً فى المرج وفاروق يتنزه فى روما وكابرى وفى الصورة يتأمل هذا السرير البديع فى الجناح البلجيكى فى قصر عابدين

منزل زينب الوكيل بالمرج أو جحيم دانتى الذى اعتقل فيه أكثر من ربع قرن وفقد ابنيه فاروق وعلى.. وعاش ابنه يوسف بمرض نفسى مزمن

حسين الشافعي وعبدالحكيم عامر أثناء زيارة نجيب في المستشفى وكان عامر قد اشترك في اعتقاله مع حسن إبراهيم في المرج عام ١٩٥٤

محمد نجيب يتطهر من ذنوبه وأحزانه وذكرياته الأليمة

فـــاروق يهنئ الفـــائز
الأول في بطولة الشيش

بصـحـبـة رائده
لاعب الشيش الدولي
أحـمـد حـسنين وقد
اصطف أعضاء نادي
السلاح الملكي تحية له



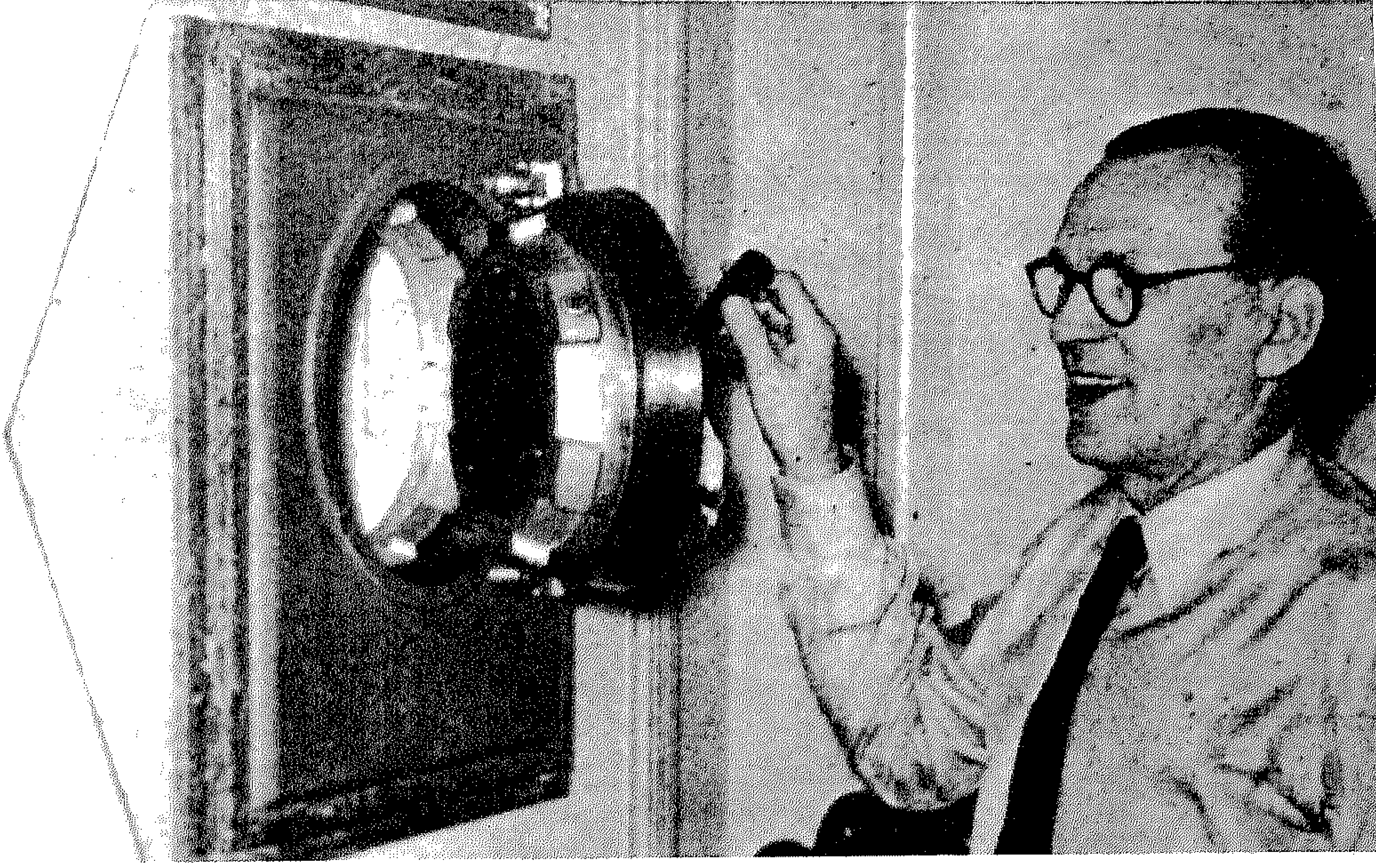
الأميرة لطفية ابنة الأميرة شويكار والزوجة السابقة لأحمد حسنين والصورة أثناء تطوعها فى حرب فلسطين

الملك فاروق مع ابنته فزيال فى إيطاليا بعد تنازله عن العرش بسنوات وسبحان مغير الوجوه والأحوال

فاروق وناريمان وأحمد فؤاد الثانى فى المنفى



الساحر العالمى يفتح ....
... خزائن الملك السابق



تسع خزائن خاصة بالملك فاروق استعصت على الفتح عقب رحيله
فاستعان رجال الثورة بالخبير العالمى روجوجان لفتحها وحصر محتوياتها

لجان الجرد تباشر عملها بدقة متناهية فى وزن اوعية الطهى الخاصة بالملك فى قصر المنتزه بعد رحيله مباشرة



فاروق يلهو فى روما.. نجيب محبوس فى المرج

تأييد شعبي كاسح للثورة.. تشكيل لجان التطهير ولجان جرد القصور الملكية ومحكمة الغدر ومحكمة الثورة.. إطلاق سراح المعتقلين السياسيين في الهايكستب.. فاروق يغادر قصر المنتزة تاركا وراءه ١٢٠ كيلو سمن بلدي.. و ١٨٠٠ دجاجة و ١٥٠ ديكا روميا.. ومجموعة من التحف الثمينة من بقايا العهد البائد كما أطلق عليه عشية الثورة.. الخبراء يقدرون ثروة فاروق بـ ٣٥ مليون جنيه.. إلغاء الألقاب والأحزاب وصدور قانون الإصلاح الزراعي، تبلور أهداف ومبادئ الثورة.. الملكة إليزابيث توفد مندوبا لحضور المزاد العالمي لبيع مقتنيات فاروق.

إعلان الجمهورية وتعيين نجيب أول رئيس لها.. جمال عبدالناصر يعلن أمام محمد نجيب [١٥٢] أن قصر عابدين شؤم ومن الأفضل أن يتركه إلى مكان آخر.. فاروق يتنزه في كابري ويبحث عن امرأة تنتزعه من نفسه.. نجيب لا يتبع نصائح ميكافيللي.. فيتم اعتقاله في فيلا زينب الوكيل بالمرج وتحديد إقامة يوسف صديق ثم سجنه.. هتاف سياسي عجيب في مصر يطالب بسقوط الديمقراطية.. طلاق فاروق وناريمان ومنعها من مشاهدة ابنها.. لطفي السيد يعتذر لجمال عبدالناصر عن قبول منصب رئيس الجمهورية خلفا لمحمد نجيب.. اختفاء ماستان نادرتان من قصر عابدين.. جمال عبدالناصر ينفرد بالسلطة والزعامة بكاريزما مفرطة تستحوذ على قلوب الجماهير في مصر والعالم العربي ويصدر أوامره بحماية المجوهرات والتحف الملكية من السرقة.. خالد محيي الدين يسافر في القطار الملكي الفاخر فيقول علمت الآن لماذا أصبح زملائي يتمسكون بالسلطة.. محمد التابعي يطالب بمحاكمة فاروق وإعدامه.. الملكة فريدة ينقذها الفن من الجنون... المخرج السينمائي صلاح أبو سيف يشكو من تظليل صورة الملك في فيلم لا وقت للحب.. وفاروق يسجل ذكرياته مع الصحفي الإنجليزي نورمان برايس ويفتح النار على محمد نجيب وفتحي رضوان السياسي الشهير ويقع ضحية لبعض المحتالين في إيطاليا.. المرحلة الأولى من تنظيم الضباط الأحرار تتحول إلى حركة مباركة ثم مجلس قيادة ثورة وأخيراً إلى ضربة من معلم تغنى بها العندليب الأسمر.. فلم يخطر ببال نجيب أو في خياله أو أحلامه حين تصدر لقيادة الثورة بكل شجاعة ووطنية أن تصبح الصورة النهائية هكذا.. بداية حياة حرة طليقة لفاروق في إيطاليا مع صديقته إيرماكابيتشي وأخريات.. أما الفارس الجريح فتنتهي حياته - بحساب القهر والظلم - عام ١٩٥٤ في فيلا زينب الوكيل بالمرج يصارع فيها جحيم دانتي ويكتب كلمته الخالدة للتاريخ فيقول: «الذين قاموا بالثورة طحنتهم والذين نافقوها رفعتهم.. ولله الأمر من قبل ومن بعد».. في عهد السادات ترفع الحراسة عنه وحسني مبارك ينصفه في حياته ويعيد إلى التاريخ أسلابه والحق إلى أصحابه فعادت سيرته إلى كتب التاريخ وأمر بتسمية محطة مترو الأنفاق في عابدين باسمه.



يقول أوسكار وايلد «احترس!! ربما تحققت أحلامك» أما خالد محيي الدين فيقول: «طوال يومي ٢٣ و ٢٤ يوليو أصبحنا نجتمع كحكام ولكننا في واقع الأمر لم نصبح حكاما بعد.. ليس لأن القرارات لم تصدر باسم الملك ولكن لأننا لم نكن نعرف على وجه التحديد كيف سنمارس الحكم» فهم مجموعة من الشباب الوطني اقتحمت المجهول وخاطرت بحياتها ولكنها لم تخطط لأحلامها ومستقبلها.. فاختل توازنهم فكان لابد من استعادته بوخزة موجعة.

فقد انتهى الفصل الأول من الثورة بنجاح ولكن ماذا عن الفصل الثاني إنه الفصل الفاصل للاستئثار بالسلطة والزعامة وكل ما يترتب عليهما من صراعات وخلافات تقليدية ومستجدة.. ففي اليوم الذي غادر فيه فاروق البلاد نودي بابنه الرضيع أحمد فؤاد الثاني - ٦ شهور فقط - آخر ملك لمصر على أن يباشر سلطته ليس من اللفة بالطبع ولكن من خلال مجلس الوصاية الذي تم تشكيله من الأمير محمد عبدالمنعم (ابن الخديو عباس حلمي) والسياسي الكبير بهي الدين بركات والقائمقام رشاد مهنا ممثلا عن الضباط الأحرار وفي أكتوبر ١٩٥٢ أقيل رشاد مهنا فتقدم بهي الدين بركات باستقالته.. واحتفظ الأمير محمد عبدالمنعم بهيئة المجلس الشكلية ومن خلال علاقته الإيجابية «بالحركة المباركة» تلك التسمية التي ألتصقت بالثورة حتى يناير ١٩٥٣ وقيل إنها جاءت على لسان النحاس عقب عودته من أوروبا لتهنئة نجيب بالحركة - أي حركة الجيش - فقال له: حركة مباركة فأعجب نجيب المغزى التفاؤلي للكلمة وقداسة التعبير مما أشاع تداولها إعلاميا.. خاصة أنه كان دائم النصح لأبنائه الضباط بعدم استعمال كلمة ثورة في البداية تجنبا لوقع صداها عالميا الأمر الذي قد يفضي إلى هروب رؤوس الأموال !!

ولن يمر وقت طويل حتى تكون الثورة قد أكتسبت شرعية اللفظ ودلالته وشموله (ثورة سياسية اقتصادية اجتماعية) تغير فيها نمط الحكم من النظام الملكي إلى الجمهوري وتغير فيها الهرم الاجتماعي ونمط الملكية والقضاء على الإقطاع وصدور قانون الاصلاح الزراعي.. والعديد من القوانين الاصلاحية التي حققت الأهداف الرئيسية للثورة.. على ماهر (أول وآخر رئيس وزراء في عهد فاروق وأول رئيس وزراء في عهد الثورة) كان أول من أطلق صيحات التطهير الجذرية وتناسى الرجل أنه كان المسئول الأول عن استبداد فاروق دستوريا فكان يقول لهم: افعلوا كل شئ كأنكم تبنون دولة جديدة وتنشئون شعباً وما أكثر الأقنعة التي تتنكر بها السياسي لمبادئه وأهدافه السابقة!!

وفي سبتمبر ١٩٥٢ يتولى نجيب رئاسة الوزراء بدلا من على ماهر ويصدر مجلس قيادة الثورة قانون الاصلاح الزراعي (بحد أقصى مائتي فدان) معلنا نهاية الإقطاع والبرجوازية التي بحت الأصوات من شكواها وقهرها وظلمها الذي شكت منه الأرض «ليه تشتكي أرضنا والنيل ساقيها» ففي عام ١٩٥١ فقط شهدت مصر [١٥٣] ما يقرب من ٤٩ إضرابا اجتماعيا تعكس العلاقة المتوترة بين الفلاحين والاقطاعيين في أراضي بعض العائلات الكبرى (ثلاث عائلات قبل الثورة كانت تملك كل منها أكثر من ١٠ آلاف فدان) فكان منطقيا أن تضار الأقلية (٢٠٠٠ مالك) من انصاف الأغلبية.. ويؤكد سيد مرعي [١٥٤] أن فكرة الاصلاح الزراعي كانت وليدة العهد الملكي وهي من بنات أفكار على الشمسي (رئيس البنك المركزي) وأن محمد خطاب هو أول من نادى بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا في إحدى جلسات مجلس الشيوخ وهي مثبتة في المضبطة.. وفي يناير ١٩٥٣ تقضي الثورة على الألقاب والأحزاب الإنتهازية وبقايا الرجعية التي كانت سببا في انتشار الدجل السياسي.. وتشكل لجانا لتطهير المؤسسة الحكومية والهيئة العسكرية من المنحرفين والفاسدين.. وفي يناير ١٩٥٣ تشكل لجنة خمسينية (٥٠ عضوا) لوضع دستور جديد للبلاد بعد إلغاء دستور ١٩٢٣ في ديسمبر ١٩٥٢ وتتركز السلطة مؤقتا في يد نجيب فيتولى رئاسة الوزراء ورئاسة مجلس قيادة الثورة ومنصب القائد العام للقوات المسلحة وتتم ترقية عبدالحكيم عامر من رتبة (صاغ) رائد إلى رتبة لواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة وعبداللطيف البغدادي وزيراً للحربية.. وتعيين جمال عبدالناصر نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية.. جمال الزعيم والقائد والعقل المدبر والمهموم الأول بمشاكل الثورة التي أنبتها في خلايا الجيش المتناثرة شتلات صغيرة بقدرة تنظيمية وسرية فائقة.. ومع ميلاد الثورة تزدوج الأبوة الشرعية فمحمد نجيب هو الأب الشرعي الذي أنجب هذه الأبنة الغالية وجمال عبد الناصر هو الأب الحقيقي الذي قام برعايتها وتربيتها كما يقول الحس الشعبي (الأب الحقيقي هو الذي ربى لا الذي أنجب فقط) ويفضي اختلاف الرؤى السياسية والتنشئة الاجتماعية والمرحلة العمرية والاتجاهات الثقافية والطباع الشخصية بين الرجلين إلى استحالة تقارب وجهة نظرهما على الرغم من تعاظم وتكامل دورهما فجمال عبدالناصر كما وصفه السادات: «يبدأ بالشك المؤكد واليقين الخالي ومن خلال التجربة والاختبار تتأكد لديه الثقة المطلقة أو الإدانة المؤبدة فمنذ فجر شبابه وبدايات انخراطه الكامل في العمل الوطني بصورة عملية وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين عاما.. فرضت قوة شخصيته ونزعته الطليعية بذور زعامته الوطنية التي أختبرت وسادت في محيط أقرانه».

«ويذكر خالد محيي الدين [١٥٥] أنه عقب اغتيال رجال الملك لعبد القادر طه.. شعر جميع الضباط بأن رجال الملك وراء هذه الفعلة باستثناء عبدالناصر الذي شعر بالخطر المستقبلي فربما فعلوها معنا أيضا.. فبادر بالمرور على كل أعضاء لجنة القيادة في بيوتهم ليحذرهم من احتمالات الخطر وليرسم لكل منهم وسائل تأمينه وتحركاته إنه الإحساس بالآخرين والعمل المشترك الذي يجعلك تتقبل في أعماقك أن يكون صاحبه قائدا» إضافة لتمرس جمال في تنظيم خلايا سرية يجهل أفرادها بعضهم البعض.. وبمرور الوقت أصبح لديه يقين بإمكانية تكرار هذا الدور السري التآمري على نظام الحكم ومحاولة انقلابه.. فالشك وليد التجربة بل إنه حكمة لبلوغ المرام «سوء الظن من الفطنة».. والمتهم مدان إلى أن تثبت براءته.. فليس عاراً أن يعاشر الرجل أصدقاءه متوخيا الحذر.. إنه المنطق الثوري للانقضاض على نظام استقر وتغلغل ما يقرب من المائة وخمسين عاما.. فإذا رحل الرأس فقد ترك الجسد الاقطاعي والرجعي متضرراً فائرا ملتهبا.. يبكي آلامه وربما بحث عن طبيب مداو فلم يكن الموقف سلسلا أو يسيرا كما اعتقد

البعض.. فالسهولة لا تكون إلا على الورق.. فإذا كان تغيير الحكم والانقلاب شيئا يسيرا مهما يكن النظام متهاويا فما هو المحال إذن؟!.. وأمانة القول تقتضى أن نقر مخاوف جمال عبدالناصر المنطقية وحذره من الأعداء المتربصين وبعض السياسيين القدامى الذين كانوا من ضمن أسباب قيام الثورة.. فى تلك المرحلة المصيرية فى تاريخ أكبر دولة عربية.. بينما كان نجيب يحظى بشعبية فائقة وكاريزما طاغية تعكسها صوره الجماهيرية خلال رحلته فى محافظات مصر مستقلا سيارة مكشوفة.. ملوحا بالكاب العسكرى.. يشيع المحبة ويبشر بالعدل ويعد بالأمن والأمان إنه أول حاكم مصرى يحكم مصر منذ عام ٣٣٢ قبل الميلاد وحتى عام ١٩٥٢.. فإذا كانت أحلامنا جزءاً حياً نابضا لا ينفصل عن وجداننا.. فقط كان نجيب هو الممثل الشرعى لوجدان الأمة وأحلامها بل هو صانعها «رجل يدعو للاتحاد والنظام والعمل».. وهكذا تجسدت صورته الذهنية آنذاك فى أعين الشعب وهى صورة لها ما يبررها سيكولوجيا.. فإذا تطرقنا إلى صفاته فلم يحد الرجل كثيرا عن مناقب الناصحين والحكماء فهو دون كيشوت كما نعته الملك فاروق يحركه حبه للعدالة والخير للآخرين ولكنه يشتهى السلطة لنفسه أيضا بردود أفعال هادئة.. ودبلوماسية دائمة.. والعفو عند المقدرة وكلها صفات لا تغفرها السياسة بل لا تؤهل صاحبها للانخراط فى براثنها الأفعوانية !! وهكذا كان نجيب الظالم الأول والأعظم لمحمد نجيب.

وهنا يكمن تناقض الطبيعة الثورية المتوهجة ممثلة فى جمال عبدالناصر والزعامة المتأنية والدبلوماسية المحنكة التى تمنح العفو أولاً وتتوقع العطاء ثانياً !! كما كانت تجسدها شخصية نجيب وتعاونه مع بعض الشخصيات الوطنية النزيهة.. فلم يكن ماضينا كله أسود فيترك.

وتسير القاطرة بقوة الدفع الذاتية فى البداية وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تبدأ مرحلة جديدة تشيع فيها الملكية إلى مثواها الأخير وتعلن الجمهورية ويتقلد نجيب مهام أول رئيس للجمهورية.. ويتم الإتفاق على تحديد يناير ١٩٥٦ تاريخا لنهاية هذه الفترة الإنتقالية الحاسمة التى يعقبها إستفتاء شعبى لإختيار الرئيس فيما بعد عندما يستقر الدستور الجديد.. ويفاجأ نجيب الجميع بتنازله عن نصف راتبه البالغ ستة آلاف جنيه فى خطاب يرسله إلى وزير المالية، وكان قد تنازل كما أشرنا عن رتبة الفريق فى ٢٦ يوليو قانعا برتبة لواء.. وتتباعد الرؤى.. تباعد الشرق والغرب والليل والنهار.. ويعلن محمد نجيب ويؤيده خالد محيى الدين رأيهما بضرورة إبتعاد العسكريين عن الممارسة السياسية ويطالب نجيب بتسليم مقاليد الأمور للسياسيين وعودة ضباط الجيش إلى ثكناتهم.. فالعسكريون إذا انخرطوا فى السياسة أفسدوها !! الأمر الذى رفضه جمال عبدالناصر رفضاً باتاً وحجته الثورية تفرض حماية الثورة ذاتيا فعندما تمت ترقية عبدالحكيم عامر إلى رتبة لواء وتعيينه قائداً عاما للقوات المسلحة.. كان يهدف لحماية الثورة والمجموعة بأكملها قائلا: «كيف نترك أمرنا فى أيدى الآخرين؟!» - أى تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة - وبعزيمة ناصرية فولاذية تمسك ناصر بوجهة نظره وسارت الأمور فى هذا الإتجاه الآمن للثورة وأستجاب نجيب لآراء الأغلبية الشبابية وفى سبتمبر ١٩٥٣ تتلبد الغيوم الرمادية ويفقد كل رجاء فى الإتفاق.. فتشكل محكمة الثورة برئاسة عبداللطيف البغدادى رئيسا وعضوية كل من السادات وحسن إبراهيم ويعهد إليها بالنظر فى قضايا الخيانة العظمى وكل ما يمس أمن الدولة وجميع القضايا السياسية التى تخص العهد الملكى بكل ما يحمله من سلبيات وعلى رأسها الفساد والرشوة ونقرأ فى القائمة أسماء شخصيات سياسية لامعة «فؤاد سراج الدين - عباس حليم - زينب الوكيل - عثمان محرم - أسرة أبو الفتح وإبراهيم عبدالهادى - إبراهيم فرج.. أما كريم ثابت ومحمد حسن فأمتثلا أمام محكمة الغدر وجاءت اللحظة الحاسمة للتصديق على الأحكام بالأغلبية من مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية ويصدر الحكم بالإعدام على أربعة أشخاص بتهمة الخيانة العظمى إضافة إلى السياسى الكبير إبراهيم عبدالهادى (رئيس وزراء مصر السابق ورئيس الديوان الملكى) فيرفض نجيب التصديق على إعدام إبراهيم عبدالهادى لقناعته بوطنيته وبراءة الرجل من هذا الإتهام الخطير.. ويقرر السفر إلى الاسكندرية والإعتكاف فى مقر القيادة بثكنات مصطفى كامل ويناشده عبدالناصر العودة ويعلن مجلس قيادة الثورة موافقته على تخفيف الحكم من الإعدام إلى المؤبد.. وتزداد الأمور تعقيدا من خلال تشجيع عبدالرازق السنهورى وعلى ماهر وسليمان حافظ وثلاثتهم من أشهر الشخصيات السياسية فى العهد الملكى فمازالت الضغينة الحزبية والثأر السياسى منتعشا فى نفوسهم ومن خلال إتصالهم المباشر بمجلس قيادة الثورة (سليمان حافظ نائبا لرئيس مجلس الوزراء وعبدالرازق السنهورى مستشارا لمجلس الدولة - سيلقى جزاء سنمار فى فترة لاحقة - وعلى ماهر السياسى العتيق وهم جميعهم يكنون كراهية قديمة للوفد.. أفضت إلى إسداء النصح للضباط الأحرار بضرورة إلغاء الأحزاب السياسية والابتعاد موقتا عن أى اتجاهات ديمقراطية خوفا من عودة الوفد ممثلا فى النحاس زعيم الأغلبية الشعبية على الرغم من وهن هذه الزعامة وترهلها فى العهد الملكى ذاته.. وفى أكتوبر ١٩٥٣ يقترح مجلس قيادة الثورة إعتقال مجموعة من قدامى السياسيين وتحديد أقامتهم وعلى رأسهم مصطفى النحاس فيعترض نجيب ويرفض توقيع القائمة.. وبعد نقاش طويل يوافق جمال عبدالناصر على شطب اسم النحاس وتنتهى الأزمة لمدة ٢٤ ساعة تشتعل بعدها على أثر نشر قرار إعتقال السياسيين بالجرائد متضمنا اسم النحاس.. فيثور نجيب ويتهم مجلس القيادة بالتزوير.. ويؤكد عبدالناصر أن القائمة أرسلت للصحف قبل شطب اسم النحاس وإن ذلك لم يكن متعمداً.. وتتوالى الصدمات الكهربائية.. ويشعر الرجل بتجاهله فى حركة ترقيات الجيش ويعترض على قرار تصفية الإخوان المسلمين واعتقال زعمائهم بعد تآمرهم على الحكم.. وكان من رأيه أن الإخوان جزء من نسيج الوطن يجب احتواءهم سياسيا والكف عن التصادم معهم !! وكان موقفه رافضا أيضا تصعيد الخلاف مع أمريكا كقوة عظمى فى تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة !!! ويفيض الكيل بالرجل ويشعر بمحاولة تحديد إختصاصاته وتقييد سلطاته فيتقدم باستقالته فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤.. وأمام الشعبية الجارفة وإلحاح الشارع المصرى يقف فى شرفة قصر عابدين يحيى الجماهير التى جاءت تهتف بحياته فيعود مرة أخرى يوم ٢٧ فبراير ١٩٥٤.. وبكل الشهامة والنبل يترفع عن استغلال الموقف لصالحه ويحاول رأب الصدع وتجميع الشمل وترجمة مطالبه بالديمقراطية فى صورة قرارات فعلية من شأنها ترسيخ النموذج الديمقراطى المنشود.. ممثلة فى قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ بإجماع مجلس قيادة الثورة والتى تنص على حل مجلس الثورة وعودة الأحزاب والبرلمان وإلغاء الرقابة على الصحف.



وفى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ «يموت الرجل معنويا وتموت معه الديمقراطية على حد تعبيره» فيصدر مجلس قيادة الثورة قراره الخطير برئاسة عبدالناصر وكان يحظى أيضا بمحبة شعبية جارفة لا تقل ولهاً عن قول ناجى (هل رأى الحب سكارى!!) تلك العلاقة الحميمة بين الشعب وزعيمه !! فى الوقت الذى تم فيه إعفاء محمد نجيب من مهام منصبه كرئيس للجمهورية بسهولة تامة.. واعتقاله فى قصر عابدين ويصحبه حسن إبراهيم وعبدالحكيم عامر - من أقرب الأشخاص إلى قلبه - فى سيارة إلى المرج حيث توجد فيلا زينب الوكيل ويخبراه أنها عزلة مؤقتة لحين إنقشاع الأزمة ويفاجأ بالحراسة المشددة وقوات البوليس الحربى التى طوقت المكان بأكمله.. ويعيش الرجل وزوجته عائشة أم أولاده فاروق وعلى ويوسف فى هذا المعتقل الأليم يعانون جحيم دانتى فى ظل الحراسة المشددة والعزلة القاهرة لروابط العلاقات الإنسانية وقديما قال المتنبى: كم ذا بمصر من مضحكات ولكنه ضحك كالبكاء ففى الوقت الذى عانى فيه نجيب الأمرين.. كان فاروق الذى قامت الثورة من أجل الإطاحة بنظامه الملكى ونفيه إلى إيطاليا حراً طليقاً يتنقل فى مقاهى وملاهى أوروبا.. بينما نجيب معتقل فى فيلا زينب الوكيل بالمرج يتجرع الآم الحسرة والهوان وفى عام ١٩٥٦ يتم التحفظ عليه فى مكان أكثر أمنا فى صعيد مصر حتى إنتهاء العدوان الثلاثى وتمتد الأيدى بالإساءة للرجل وتنال من كرامته وتتسلسل مشاهد حياته فى مجموعة لقطات مأساوية باكية صنعت من الرجل أيوب الثورة ولا يمكن لإنسان أن يحتملها دون أن يتذرع بهذه المناجاة لحافظ إبراهيم:

أعرنى منك فؤاداً يا دهر قاسيا
لو أن القلوب القاسيات تعار

فقد توفى أبنه على أثناء دراسته فى ألمانيا فى ظروف غامضة.. ودخل أبنه فاروق السجن أثر شجار استفزازى مع أحد أقرباء شمس بدران.. وخرج من السجن مريضا بالقلب وتوفى بعد خروجه بفترة وجيزة ولم يسمح لنجيب بالسير فى جنازته.. أما يوسف فكان يعانى مرضا نفسيا نتيجة لسقوطه على رأسه فى طفولته المبكرة فكان يعالج نفسيا فى مستشفى بهمان بحلوان وحاول الانتحار أكثر من مرة كما تعثر فى دراسته وعمل سائقا

كتاب تذكارى

بالمقاولين العرب.. ثم تفرغ سائقا لتاكسي أرياف ويعيش نجيب بمثالية غاندى التى ولى زمانها على حد وصف جمال عبدالناصر لشخصيته !! فبعد تنازله عن نصف راتبه أصبح معاشه ٩١ جنيها شهرياً فكان يعيش فى منزل يأتنس بقططة المتمردة الشقية.. يحاول مصالحتها على كلابه الوفية.. وفى ظلمة الليل الطويل لم تخفت ومضة الإيمان الذى استحال إلى صوفية.. ولم تختف الأبتسامة الهادئة من وجهه الحزين فظل يمارس هواياته المفضلة فى القراءة والترجمة ويتقدم بطلب لاستكمال الدكتوراة.. ويُرفض الطلب.. وفى آخر أيام حياته كان يتردد على منزل الشيخ الشعراوى للإستزادة من علمه الوفير فى دراسة الشريعة الإسلامية.. فكان موضع تقديره وترحيبه يقول الشيخ الشعراوى[١٥٦]: «لقد عانى نجيب كثيراً والأمر كذلك بالنسبة للنحاس باشا الذى أتعبوه أيضا.. لقد استغلوا اسم نجيب وتستروا به لكنهم رفسوه بعد تمكنهم.. لقد تحمل نجيب معاناته بصبر وإيمان وعلى الرغم من تعدد لقاءاتنا فقد لاحظت تحفظه عن الكلام فى السياسة وكان يكتفى بالحديث فى الموضوعات الدينية بجوانبها الصوفية» أما يوسف صديق عضو منظمة حدتو الشيوعية آنذاك والتى استقال منها عام ١٩٥١ نتيجة لانقسامها على نفسها فيذكر محمد نجيب أن عبدالناصر كان يحذره من محاولة انحرافه بالثورة نظرا لتفكيره الماركسى فأطلق عليه نجيب مازحا الرفيق ستالين على الرغم من أن حدتو كانت وثيقة الصلة والتعاون بالضباط الأحرار خاصة فى الفترة التى أعقبت حريق القاهرة وانتقال الرونيو المستخدم فى طبع المنشورات إلى مقرهم للتمويه وبقيام الثورة بدأت تتكشف الأختلافات الأيدلوجية والطبائع الشخصية والمساحة المطلوبة من الديمقراطية فأعترض البكباشى يوسف صديق أيضا على حل الأحزاب وإلغاء الدستور وتوزيع الوزارات على أهل الثقة وإعدام خميس والبقرى (اللذين صدق نجيب على حكمهما ولم يستنكره) فقد استنكر الديكتاتورية لكنه لم يزهد فى السلطة فى البداية عن قناعة لاستكمال دوره الفاعل حتى النهاية ثم تسليم السلطة إلى أصحابها.



بينما تمسك يوسف صديق بموقفه بشدة إعلاء للثورة ومبادئها الست «إقامة حياة ديمقراطية سليمة» ومن الطريف أنه خلال اشتداد أزمة مارس ١٩٥٤ وعلى الرغم من تحديد إقامته فقد استطاع بحس الأديب والشاعر من تهريب مقال نشر فى جريدة المصرى يقترح فيه تشكيل وزارة ائتلافيه من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة المستشار وحيد رأفت فسخر منه مصطفى أمين ومن اقتراحه فى جريدة الأخبار ووصف هذه الوزارة بأنها سلاطة روسية وفيما بعد يتقابل الرجلان ويذكر مصطفى أمين[١٥٧] أن يوسف صديق بادره ضاحكاً وأكد له أنها لم تكن سلاطة روسية ولكنها سلاطة بلدى مائة بالمائة ويضيف مصطفى أمين «قيل يومئذ أنه كان يدبر لانقلاب عسكرى ولكنه كان يناضل من أجل الديمقراطية وقد قبل راضيا أن يخرج من قيادة الثورة إلى السجن وأن يوضع معه فى نفس السجن أبناؤه وأقرباؤه وزوجته ومن حق هذا الرجل أن نطلق اسمه على الشارع الذى أطلق فيه الرصاصة الأولى للثورة». ونقرأ فى سيرة حياته أنه أرسل خارج مصر مارس ١٩٥٣ ثم عاد سراً إلى قريته «زاوية المصلوب» ببنى سويف ثم حددت إقامته إلى أن تم سجنه فى السجن الحربى[١٥٨] وزوجته فى سجن النساء لمدة ثلاثة عشر شهراً خلال ازمة مارس ١٩٥٤ وفى شعره يقول: أعرضى يباح ويلقى به على ناظريك بقاع السجون. ثم أفرج عنه عام ١٩٥٥ وحددت إقامته عام ١٩٥٦ وفى عام ١٩٧٠ يقترح عليه جمال عبدالناصر السفر إلى موسكو للعلاج من السكر وضغط الدم وهناك يكتشف أنه مصاب بالسل وسرطان الرئة.. وأثناء رحلة مرضه يموت ناصر فيعود إلى مصر خائرا واهنا يتكئ على إنسانيته الرفيعة وشاعريته النبيلة التى صدرت ديوانا كاملا بعد وفاته بإسم «ضعوا الأقلام» وفى عام ١٩٧٠ ينعى جمال عبدالناصر رفيقه وزميله زعيم مصر قلب الأمة العربية مترفعا عن كل ما أصابه من مكاره فيقول:

نعاك وأنت ملء الأرض سعيا ... وذكرك قائم فى كل ربع

بكتك عيون أهل الأرض حولى ... فكيف أصون بين الناس دمعى

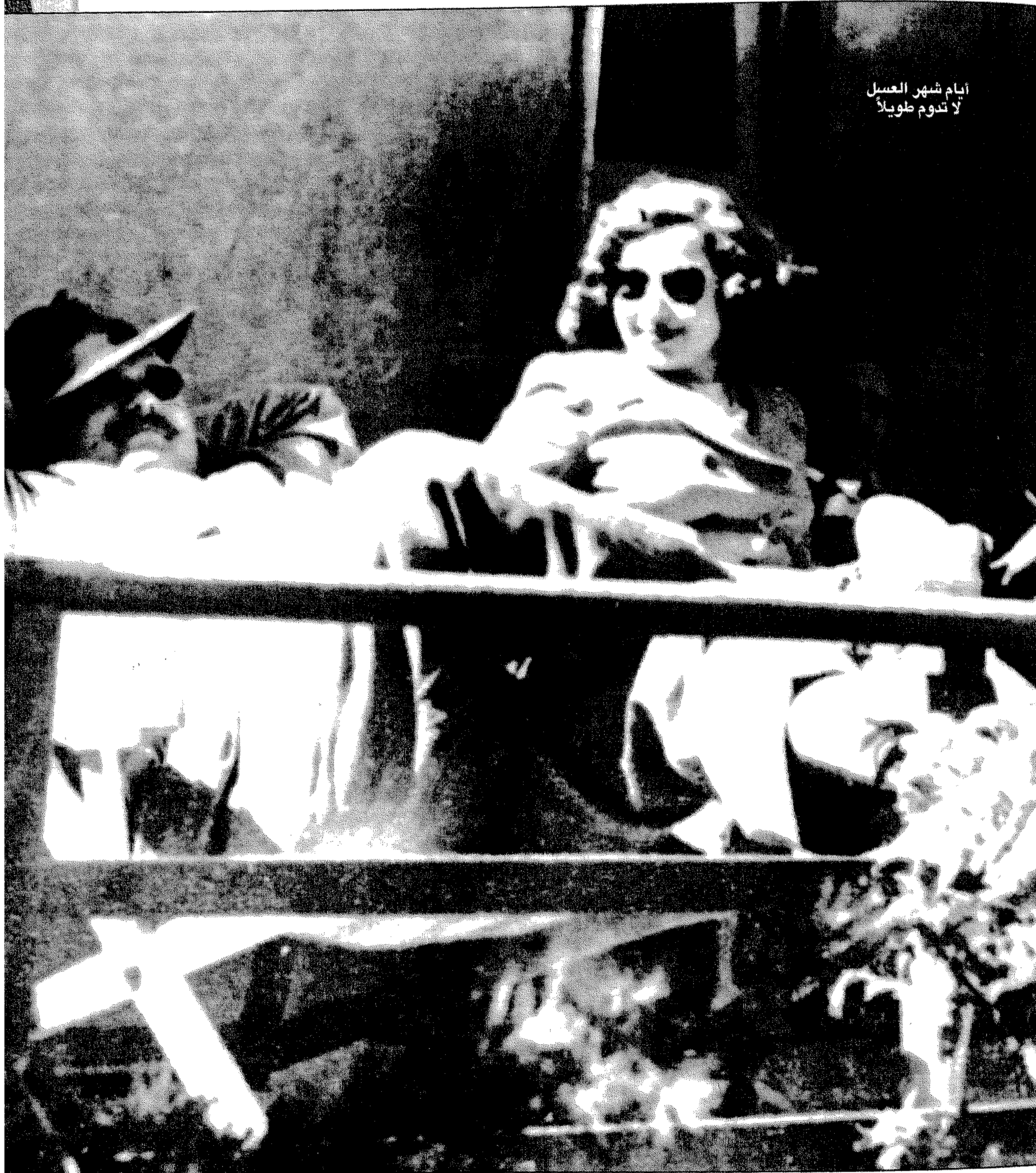
ومن نوادر معلومات هذه الفترة التاريخية الزاخرة بالتفاصيل والخيوط المتشابكة.. نفاجأ بعد قرار تنحية نجيب عن رئاسة الجمهورية.. بهذه الواقعة التى أذاعتها الـ «B.B.C» وأكدها مصطفى أمين فى مقاله اليومى وذكرها لطفى واكد[١٥٩] وهو من الضباط الأحرار ونترك له الحديث ليروى لنا تفاصيل العلاقة التى ربطت بين جمال عبدالناصر ولطفى السيد وهو خال لطفى واكد الذى يقول: بدأت العلاقة بين جمال عبدالناصر ولطفى السيد قبل الثورة.. فطلب منى عبدالناصر استشارته فيما نحن مقدمون عليه.. فشجعنا وحملنى رسالة تشجيعية إلى زملائى «إنكم إذا تحركتم ضد هذا النظام ونجحتم فقد أديتم لمصر عملا عظيما.. وإذا فشلتم فهو عمل عظيم لأنها لن تكون المحاولة الأخيرة» وحدث تقارب ما بين عبدالناصر ولطفى السيد إلى أن وقع الخلاف الشهير بين مجلس الثورة ونجيب.. أستدعانى جمال عبدالناصر واخبرنى انهم اتفقوا جميعا على إسناد مهام رئيس الجمهورية لشخصية مدنية كالمتبع فى الهند فلديهم نهرو رئيس وزراء ورئيس جمهورية رجل طيب !! وقال: والآن نكلفك بعرض رئاسة الجمهورية على لطفى السيد.. فذهبت إليه وحاولت إقناعه لمدة ساعة ونصف الساعة ولكنه رفض رفضا باتا وقال لى: إنه أمر مضحك حقا.. أنا رجل كبير السن كيف أشغل مثل هذا المنصب.. ففشلت المهمة وعدت إلى عبدالناصر أخبره بالنتيجة فقال لى ألا يوجد أى أمل.. فقلت له: سأذهب إليه بصحبة الأخوين جمال وصلاح سالم فسألنى لماذا؟ قلت: لأن سمعتهما تخوف الناس من التعامل معهما.. فلو ذهبا معى وهما يجيدان الكلام والحوار فسيشعر إنه لن يدخل على عصابة!! وذهبنا إليه وقال لهما نفس الكلام الذى قاله لى ثم سأله أحدهما أن يرشح شخصية بعينها.. فقال من الأفضل أن يكون واحدا منكم وسألهما عن قائد المجموعة وذكرا: جمال عبدالناصر فقال لهما إذن أرشح جمال عبدالناصر وهكذا كان.. وانتهاء رواية لطفى واكد يفرض حتمية حصول عبدالناصر على الضوء الأخضر المسبق من كلا الجانبين البريطانى والأمريكى.. قبل الاقدام على هذه الخطوة المصيرية.. الأمر الذى باركه الطرفان فرأت بريطانيا أنها قد تصل إلى نتائج إيجابية فى مفاوضات الجلاء.. أما أمريكا فكانت تربطها علاقات طيبة ببعض ضباط حركة الجيش قبل الثورة من خلال على صبرى مما ساهم فى وجود قناة إتصال مفتوحة تتيح لهم متابعة مجريات الأمور فى مصر وكل ما يهم المصالح الأمريكية وعلى رأسها الخطر الشيوعى.

ويظل دورهم فى تضليل فاروق وخداعه من أبرز انجازات كيرميت روزفلت مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط وسفيرهم كافرى الذى أجاد ممارسة ازدواجية الثعبان وهى سياسة ناجعة عند اللجوء للانقلابات والثورات فى الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية.

مبدئيا لم تخب توقعاتهم فلم يدخر عبد الناصر جهدا للقضاء على الشيوعية ومكافحتها !!

ونعود إلى نجيب فنقرأ فى مذكراته : «أنه لم يحزن عندما فقد منصب رئيس الجمهورية.. مثلما حزن على فقد السودان» وقد أشرنا إلى نشأته الأولى فى السودان.. وقد بادله الأخوة السودانيون حبا بحب وبإقصاء نجيب عن منصبه فقدت الوحدة مع السودان فقد غضب السودان بأكمله.. ورفض حزب الاتحاد السودانى التصويت على الوحدة مع مصر وكانت الخسارة فادحة !!

وتزوج نجيب ثلاث سيدات زوجته عائشة أم أولاده التى عاشت معه بالمرج.. وزوجته الثانية فى مثل عمره قليلة الكلام تقطن فى شارع أمريكا اللاتينية بجاردن سيتى يتوجه لزيارتها بصحبة الحراسة المفروضة عليه أما زوجته الثالثة فكانت سيدة فى أوائل الأربعينيات تقيم بمصر الجديدة.. يختطف من الزمن بضع ساعات أسبوعيا لمقابلتها وشراء بعض الكتب والعودة مرة أخرى إلى قبر حياته فى المرج قانعاً متسامحاً.. لا يحمل حقداً لأحد.. فقد طهرته الآلام من نقائص البشر العاديين.. ففى عيد الثورة كان يحرص على إرسال برقيات تهنئة لأعضاء مجلس القيادة ويتلقى ردودا منهم جميعا.. وحين مرض جمال سالم ذهب لزيارته وقدم تعزيته فى وفاة صلاح سالم فقد أقسم الرجل أن يكون الحب سر حياته وعلة مماته كما يقول «دى موسيه».. ويبكى بشدة عندما يصله نبأ موت جمال عبدالناصر ويبعث برقية يطلب فيها إلقاء نظره أخيرة على جثمانه.. ويذكر أن موته يمثل خسارة فادحة لمصر والعالم العربى فهو زعيم عربى فريد لن يتكرر مرة أخرى !! وفى عهد الرئيس السادات ترفع الحراسة عنه ويسترد حريته وإن ظل سجين أحزانه وانكساراته.. فهو رجل مسالم استهان بتعليمات ميكافيللى الراسخة.. وخالف القاعدة السياسية الذهبية «ومن لا يظلم الناس.. يظلم» وفى عهد الرئيس مبارك يسترد الرجل كرامته ويحظى برعاية الرئيس واهتمامه.. ويمنحه شقة سكنية بكوبرى القبة ويتقدم جنازته عام ١٩٨٤ ويأمر بإطلاق اسمه على محطة مترو الأنفاق فى منطقة عابدين ويسترد التاريخ أسلابه ويتصدر الرجل قائمة رؤساء مصر فى كتب التاريخ التى كانت شهادتها زورا وبهتانا.. أما محافظة الغربية فتقيم له تمثالاً فى كفر الزيات من الصبر والوطنية والمثل الرفيعة مغلفاً بالجرانيت.


أيام شهر العسل
لا تدوم طويلاً



فاروق غادر قصر المنتزه تاركاً
وراءه ١٢٠ كيلو سمن بلدي
و١٨٠٠ دجاجة و١٥٠ ديكاً رومياً
طبقاً لتقارير لجان الحصر



فاروق وناريمان
أثناء حضورهما
احدى الحفلات
بايطاليا.. ومازالت
العيون ترقبه
وترصد تحركاته

المخرج العالمى أورسون ويلز
يعرض على ناريمان الاشتراك
فى بطولة فيلم سينمائى بعد
طلاقـهـا من فـاروق



بملابس البحر
فى كابرى حيث
بدأت تظهر
الخلافات بين
فاروق وناريمان



المصادرة

سرقوا الصندوق يا محمد.. لكن مفتاحه معايا».. هكذا تهلل مجلس قيادة الثورة لبقاء بوللى فى مصر.. ففجأة وبرحيل فاروق أصبح بوللى أو بلبل - كما كان يدلله مولاه - يساوى عدة ملايين من الدولارات فهو الخبير بأرقام الحسابات السرية فى البنوك السويسرية.. فله حق الإيداع والسحب وهو المطلع على كل أسرار الملك المالية.. وربما كان ذلك مبررا كافيا لتورط فاروق فى محاولة لاختطافه من مصر.. لكنها باءت بالفشل وانتهت بالنصب فى بلد المافيا !! لم يفتقد فاروق أى إنسان فى مصر - للأسف الشديد - إلا بوللى صديقه وأستاذه فى اللامبالاة السلوكية وما أعجب العلاقة الوثيقة التى ربطت بين الرجلين فالملك تابع حينا ومتبوع فى أحيان أخرى.. ولن نغالى إذا ذكرنا أن فاروق كان يبكى بوللى بدون دموع وفى المرفأ الأخير فى نابولى يؤكد لقائد المحروسة جلال علوبة حزنه وأسفه الشديد لإفتقاده بوللى.. ذلك الرجل الذى كان من أهم مبررات تقويض عرشه !!

أدرك مجلس قيادة الثورة هذه الأهمية الاستراتيجية لمضحك الملك وكاتم أسراره.. وحافظ خزائنه ودليل دهاليزه المسحورة التى اكتشفها مجلس القيادة وأهمها دور سحرى بأكمله فى قصر القبة يحتوى على عشرين حجرة غير قابلة للاشتعال.. وأمام ممر الخزائن وضعت مرايا ضخمة متصلة بتيار كهربائى فى غرفة بوللى لكى تعكس صورة كل من يقترب من هذا الكنز المسحور الذى يضم تسع خزائن استعصت على الفتح.. فتمت الاستعانة بالخبير روجوجان لمداعبة أرقامها.. وجدير بالذكر أن معظم ثروة فاروق تم تقديرها على أساس كل ما تركه من قصور وعقارات وإن ظل الجانب الأكبر منها يتمثل فى مجموعات طوابع البريد وعملات النقود النادرة والتحف والمجوهرات التاريخية فيما عدا ذلك لم يكن شغوفاً باستثمار أمواله فى المشاريع الصناعية أو التجارية إلا فى أضيق الحدود.. فيكفى أنه المالك الأول والأعظم للأراضى الصالحة للزراعة فى مصر (ما يقرب من ٩١ ألف فدان) مساحة الاراضى المزروعة منها ٢٤ ألف فدان.. إضافة لآلاف الأفدنة التى استولى عليها من الأوقاف.. أما ثروته المالية فقدرها الخبراء مبدئيا بـ ٣٥ مليون جنيه بالإضافة لثروته من الأسهم والسندات.. أما القصور عابدين والقبة ورأس التين والمنتزة فهى قصور رسمية تملكها الدولة باستثناء قصر الطاهرة وركن فاروق بحلوان واستراحة الهرم وقصر البستان واستراحة الغردقة وقصر رأس الحكمة وأنشاص ووادى الرشراش واستراحة المعمورة.. بالإضافة لبرك الصيد الملكية فى التل الكبير ودهشور والبرانى ووادى الرشراش لصيد الغزلان وبركة القرن الذهبى على شاطئ بحيرة قارون ومن الطريف أن فاروقا كان يمتلك ثروة متنوعة من الطيور والحيوانات التى تم حصرها فى ١٧٦ حصانا، ١٦ فرسا[١٦٠] عربيا أصيلا - ٨ نعامات - ٥٤ سلحفاة - ٤٧ جاموسة - ٤٢ كلبا - ١٦ حماراً - ٣٥٠٠ زوج أرانب - وفى قصر المنتزه وحده ترك فاروق ما يقرب من ٨٠٠ دجاجة و١٥٠ ديكاً رومياً و٣٥٠ زوج حمام و ٣٦٠ أوزة وبطة يصل وزن الدجاجة الملكية إلى أربع أوقيات ويرتفع ثمنها ليصل إلى ثلاثة جنيهات تقديرا لنشأتها الملكية إضافة لأنواع أخرى فاخرة من الدجاج (ساسكت - أسترالوب - ليجهورن - كوشين - بط روان - فرنسى - تولوز - حمام سيلفر كنج - ديوك لانك شان) الأمر الذى شجع الخبراء فى وزارة الزراعة على اقتراح تحويل جزء من حديقة قصر المنتزه إلى مزرعة نموذجية على ساحل البحر المتوسط تخليدا لذكرى دجاج العهد البائد.. ولم يخرج المشروع إلى النور وتفرق الدجاج كل فى فم !! ومن خلال الفحص الدقيق لقصر المنتزة ساعة الرحيل توصل المسئولون إلى حصر أنواع الخبز الملكى اليومى وكمياته ٥٠ رغيفا كيزر - ٢٠ رغيفا شينكل بالزبيب - ٢٠ رغيف كفل - ٣٠ رغيفا سن - ١٠ أرغفة بلدى - ٢٠٠رغيف بيرة.. إضافة لاكتشاف بعض الأدوات المنزلية فى المطبخ الملكى مثل ماكينة لصنع الجيلاتى وماكينة لفرم اللحوم وأخرى لطحن اللوز والجوز وثالثة لضرب البيض وكلها مخترعات كانت تعد مستحدثة تم حصرها رسميا باعتبارها ترفا وبذخا.. بالاضافة لاكتشاف ٢٢ قطعة أثرية من آثار المتحف المصرى والرومانى مرفقة بمذكرة من الأب دريتون مدير الآثار.. ويعد اليخت «فخر البحار» من أفخم القطع البحرية التى كان يمتلكها إضافة إلى ما يقرب من ملكيته لسبعة لانشات أخرى.. أما أسطول سياراته التى كان يوضع «الإنسيال» والتاج الملكى تحت مقبضها فتضم ١٤ سيارة كاديلاك حمراء (اللون الملكى المحظور استخدامه للعامة) ومزودة ببوق ملكى خاص (سارينا مميزة) كما تم حصر ١٧ سيارة كاديلاك موديل (١٩٥٢)، ٢٢ سيارة ميركورى وسيارتان لنكولن وسيارتان باكار مكشوفة (خضراء) وثلاث سيارات ليموزين منهم سيارة مخصصة للنوم بالإضافة للمرسيدس المصفحة التى أهداها إليه هتلر بمناسبة زواجه وسيارة السباق التى أهداها نادى السيارات له عام ١٩٤٧ بمناسبة سباق القاهرة للسيارات والمرسيدس الخضراء التى قام بشرائها قبل مغادرة مصر بأسبوع واحد فقط وطالب بملكيتها فى منفاه بالإضافة لعربات الخيول التى اشتراها الخديو إسماعيل من مخلفات نابليون بونابرت بمناسبة افتتاح قناة السويس !! وأخيرا تم الإتفاق على إعتبار كل محتويات القصور من ممتلكات الدولة إذ أن جميع ممتلكاتها كانت عهدة على مخازن القصور الملكية ويتم شراؤها بواسطة اعتمادات مجلس الوزراء.. ومعظم قراراته كانت تدمغ بالموافقة والتأييد.. وتتوالى الأحداث ويقرر مجلس قياة الثورة استرداد أموال الشعب ومجوهراته وممتلكاته من الأسرة المالكة بأكملها وفى سبتمبر ١٩٥٣ عهد إلى البكباشى محمود يونس بالاشراف على جرد ومصادرة أموال فاروق وممتلكاته وحصرها فى كتالوجات متنوعة على أن يقام مزاد عالمى فى مارس ١٩٥٤، وبالفعل تمت الاستعانة بخبراء شركة سوزبى الإنجليزية وهارمرز الأمريكية وتحولت القاهرة إلى محفل دولى يضم جميع خبراء التحف فى العالم، فقد أوفدت الملكة اليزابيث مندوبيها.. لشراء بعض القطع التاريخية.. وأرسل فاروق نفسه خبير المجوهرات الشهير «بولجارى» لشراء علبة النشوق التى كان يمتلكها وكانت ملكا لفردريك إمبراطور ألمانيا وتم بيعها فى المزاد بـ١١ ألف جنيه.. وطالب الامبراطور هيلاسلاسى بإسترداد قلادة سليمان التى أهداها لفاروق وتسلمتها سفارة الحبشة بالقاهرة وتم تصنيف التحف والمجموعات الفنية إلى الآتى : مجموعة طوابع البريد العالمية (وهى ثانى مجموعة فى العالم بعد مجموعة ملك إنجلترا) - مجموعة النقود والعملات الفضية والذهبية - مجموعة اللوحات والتماثيل - مجموعة المجوهرات والتحف - مجموعة السجاد والثريات والفضيات - مجموعة الساعات والنظارات والعصى وكلها مرصعة بالاحجار الكريمة - مجموعة الميداليات والنياشين - مجموعة التحف الخليعة كما تم تصنيفها (أكواب وزجاجات) وتتصدر أخبار المزاد جميع الصحف تحمل البشرى لجميع المواطنين وتزف إليهم النبأ السعيد ببيع ممتلكات فاروق لإصلاح ميزانية الدولة التى أصابها الخراب من جراء تصرفاته !! وتعترض شقيقاته على بيع سيارته الكاديلاك بـ ٧٨٠جنيها[١٦١] وسيارة الملكة نازلى بـ ٤٥٠ جنيها وبعض مجوهرات الأميرة فوزية والياقوتة التى اهداها الشاه لها.. وأكثر من مائة حذاء من ممتلكاتها.. والعديد من القطع الفنية النادرة التى بيعت بأقل من ثلاثمائة جنيه.. ويتطرف المزاد ويغفل عن شرقيته وعاداته وتقاليده فتعرض ملابس سيدات الأسرة للبيع وقميص النوم الذى أرتدته ناريمان ليلة زفافها !! وتنشر الصحف الخبر مدعماً بالصورة!! ونظرا لحداثة التجربة وجدتها يتم التعامل معها بالأسلوب التعليمى المتكرر (التجربة والخطأ) فتشكل لجان من موظفى وزارة المالية لإستلام هذه المجوهرات وتسجيلها ثم تسليمها إلى البنك المركزى لحفظها فى خزائنه المصفحة.. وبالمصادفة وحدها يتم اكتشاف مدى الإهمال الذى أحاط بهذه الثروة القومية الباهظة.. حين طلب جمال عبدالناصر من صلاح الشاهد (كبير أمناء رئاسة الجمهورية) اختيار هدية ملائمة لعروس كوامى ناكروما رئيس غانا الأسبق بمناسبة زواجهما فيكتشف صلاح الشاهد العجب العجاب فى خزائن البنك المركزى فتاج الملكة فريدة المصنوع من الماس البرلنتى الملون على شكل زهرات تم حفظه فى قش الأرز وبقية المجوهرات وضعت أكوام من الذهب والياقوت والزمرد والاساور والعقود واللآلىء والتيجان - داخل ٤٠ قفصا من الجريد بدون علب.. وفطن صلاح الشاهد إلى أن بعض أفراد لجنة المصادرة تعمدوا التخلص من العلب لكى يسهل إخفاؤها وعلى الفور نقل صلاح الشاهد الصورة كاملة للرئيس عبدالناصر فأمر بتكليف عبدالمنعم القيسونى وزير الخزانة بتشكيل لجنة من أشهر خبراء المجوهرات وكخطوة أولى أمر عبدالناصر بشراء علب قطيفة لحفظ جميع القطع والتخطيط لاستخدامها فى الأغراض المتحفية وفى عام ١٩٦٢ آلت ملكية هذه القطع إلى وزارة الثقافة وتم تشكيل اللجان المختصة لفحص وإستلام هذه الكنوز والتأكد من سلامتها وتأمينها !! وتم تشكيل لجنة للجرد والفرز عام ١٩٦٧ واستمرت تباشر عملها حتى عام ١٩٨٦ حيث اصدر الرئيس مبارك قرارا بالتنازل عن قصر الأميرة فاطمة الزهراء بالإسكندرية وتحويله إلى متحف للمجوهرات تابع لهيئة الآثار.

ويذكر محمود الجوهرى المسئول عن الأموال المصادرةفى تلك الفترة أنه اقترح على الرئيس عبدالناصر الإستعانة بأعضاء من الأسرة المالكة وضمهم للجنة المصادرة للإفادة من خبرتهم ومعلوماتهم.. فانفعل جمال عبدالناصر مستنكرا الاقتراح وقال للجوهرى : لماذا تلخبط الكلام هكذا ؟ فأنا أقوم بمصادرة أموالهم فكيف أمنحهم حق مناقشتى ومراجعتى !! ويذكر الجوهرى واقعة أخرى تتعلق بالمصادرات الملكية : «جاءتنى رسالة عاجلة من المشير عبدالحكيم عامر بالحضور[١٦٢] لمقابلته للأهمية فى قصر عابدين.. فوجدته غاضبا وبادرنى قائلا: لماذا لم تنفذ أوامرى الصادرة إليك بشأن إحضار نظارات الميدان من قصر القبة لاستخدامها فى المناورة؟!! فسألته هل لديه معلومات عن صلاحية هذه النظارات لهذا الغرض !! فقال: نعم لقد شاهدها شمس بدران وقال إنها تصلح للمناورة ولكنك امتنعت عن تنفيذ الأوامر واحتفظت بها ولم تسلمها له!! فقلت: إنها نظارات معظمة مطعمة بالذهب الخالص والألماظ وهى تحف لا تصلح للميدان والمناورات واقتنع المشير.. وفيما يتعلق بالقصور والفيلات الخاصة بأفراد الأسرة قرر مجلس قيادة الثورة مصادرتها مع احتفاظ أصحابها بحق الإقامة فيها طوال فترة حياتهم وبكل المنقولات والاثاثات دون التفريط فى أى قطع منها على أن تستردها الدولة بعد وفاتهم..

ويؤكد الجوهرى أيضا أن إجراءات المصادرة كانت دقيقة وتخضع للرقابة



والحصر.. ولكن الأشياء العادية فى هذه القصور الملكية تم بيعها للشعب وفيما بعد.. أعتقد الناس أنها مسروقات نظرا لوجود علامة التاج الملكى على بعض القطع التى تم بيعها وهذا أمر طبيعى لأن المشترى حصل عليها من المزاد الرسمى أنذاك!! واقترح الكاتب الكبير سلامة موسى تحويل القصور المصادرة إلى مصحات للعجزة والمسنين والناقهين وإلى مستشفيات ومدارس وللأسف الشديد تحولت هذه الثروة المعمارية فى كثير من الحالات إلى ركام من التصدع والإهمال، هذه السيمفونية الإيطالية المعمارية الشهيرة بنافوراتها وتماثيلها وحدائقها وأعمدتها الرخامية الشاهقة.. لم تكن قصورا امتلكها أفراد الأسرة العلوية فحسب ولكنها شواهد تاريخنا وشرايين ذكرياتنا الممتدة والمتصلة فلا يجوز بترها تحت أى ادعاء، ونتيجة لغياب الرؤية المستقبلية.. يقترح د. عبدالجليل العمرى وزير المالية على مجلس الوزراء بيع هذه الفيلات والقصور والاستفادة من حصيلتها المالية فى أغراض البناء والتشييد.. وعلى الرغم من طرح إقتراح تحويلها إلى متاحف إلا أن ميزانية الدولة المنهكة كانت تتطلع لزيادة مواردها وحصيلتها الأمر الذى تعذر معه تنفيذ الاقتراح ويظل اقتطاع صلاح سالم جزءا من قصر عابدين وتحويله إلى وزارة للإرشاد القومى من أسوأ الممارسات السلبية فى تلك الحقبة!! والآن وبعد رحلة طويلة من الإصلاحات والترميمات والتنسيق والحصر استعاد القصر مكانته وعافيته ورونقه وعظمته وأبهته.. قصر تباهى به مصر أجمل قصور العالم وأعرقها.. من جهة أخرى بدأت لجان التطهير تمارس أعمالها وقد منحت سلطات مطلقة حتى تتمكن من الوصول لنتائج نهائية فى التحقيقات الساخنة المثارة على الساحتين السياسية والاجتماعية والتى كانت من الأسباب الرئيسية لقيام الثورة ومن ثم فقد كان الشعب شغوفا بتتبع أخبارها ونتائجها وتشمل التحقيقات فى قضية الأسلحة الفاسدة - الاستيلاء على أراضى الدولة - مضاربات بورصة القطن - فضائح إنشاء المراسى والكبارى والترع - فضيحة مجارى الاسكندرية - فضيحة توريدات مبيدات دودة القطن.. وشمل التحقيق أيضا مناقصة إنشاء ثلاثة تماثيل للملك فؤاد (فى ميدان عابدين - شارع الجامعة - ميدان المحطة بالاسكندرية) وآخر للخديو إسماعيل فى ميدان قصر النيل وتشارك جميع الصحف فى تشييع العهد البائد بأكمله إلى مثواه الأخير فى غياهب التاريخ المظلمة الرطبة والمنسية.. فتكتب مجلة آخر ساعة «عهد كامل من الفساد والظلام ينطوى اليوم[١٦٣] بين أربعة جدران فى صحراء العباسية.. عهد لم يخلف إلا الظلم والأخطاء ولم يخلف غير الأصنام والتماثيل التى أصبح يضمها النسيان فى مخازن مصلحة المبانى بعد أن صدر قرار مجلس الوزراء بحفظها بعيداً عن ميادين القاهرة والاسكندرية والتعليق يشير إلى تماثيل فؤاد وتمثال إسماعيل التى تم وضع قواعدها قبل الثورة.. فاستخدمت القواعد فقط لأغراض أخرى أما التماثيل التى أشار إليها المقال فتم تخزينها فى مخازن مصلحة المبانى وكانت موضع تحقيقات وتساؤلات عديدة وتولى عثمان محرم وزير الأشغال توضيح مبررات إنشائها وهى نفس أسباب الولاء السياسى بأثر رجعى.. وتتعالى أبواق العداء للملك والملكية ويقود محمد التابعى الصحفى الكبير والوحيد الذى رافق الملك فى رحلته لأوروبا عام ١٩٣٧ حملة صحفية شرسة تستهدف محاكمة الملك الصالح - نور العين سابقاً - أو الفاجر والمرتشى عام ١٩٥٣ ولنقرأ ما كتبه التابعى من مقالات تتضمن بعض التلميحات والتفسيرات والاقتراحات ففيها ما يغنى عن أى تعليق: «ما كان أغنانا عن هذه[١٦٤] الهزات والرجات التى تعطل سير الثورة فى طريق الإصلاح والإنشاء والتعمير، لو أن قادة الثورة اتبعوا منذ اليوم الأول حكم المنطق وتاريخ الثورات فى الشرق والغرب.. فتاريخ الثورات لا يعرف شيئاً اسمه الثورة البيضاء، لأن الثورة انقلاب والإنقلاب لا يتحقق باللين والرحمة وإنما بالقوة والحزم والشدة والعنف وسحق خصوم الثورة بمطرقة من حديد لكنهم خدعوا الثورة وخدعوا قادتها بقولهم ثورة بيضاء.. كنت أقول لهم إن الثورة تتغدى بخصومها قبل أن يتعشى بها هؤلاء الخصوم واليوم يعلن قادة الثورة أن بياض ثورتهم كان خطأ كبيرا وأنهم قد ندموا على طيبة القلب التى ساروا على هداها فهم ينكسون اليوم غصن الزيتون ويخلعون من يدهم قفازهم الحرير وهم لن يعدلوا عن سياسة المحبة والرحمة إلا بعد أن تعددت محاولات الفتنة وأوشكت المؤمرات أن تفلح.. إن ترك فاروق حياً وحراً كان غلطة كبرى فهو يعامل فى أوروبا معاملة ملك مصر السابق فمازال من الرعايا المصريين وإذا مات اليوم أو غدا فسوف تحتفل إيطاليا بتشييع جثمانه فى جنازة عسكرية مهيبة !! يجب إعداد قضية فاروق والإدعاءات والاتهامات التى يمكن توجيهها إليه ومنها القتل والتحريض على القتل والاعتداء على الدستور والقوانين والتآمر مع أعداء البلاد وتعريض الجيش وسلامة البلاد للخطر.. ويستطرد التابعى قائلا : حاكموا فاروق ولا تحاكموا أذنابه وعبيده فقط. فلم يعرف التاريخ قبل فاروق ملكا يسرق ولا عرف ملكا يرتشى أو يشترك فى تزويد جيشه بأسلحة وذخائر فاسدة من أجل عمولة أو رشوة.. وفى غضون شهور قليلة تم تنفيذ معظم توصيات التابعى الثائرة فخضبت الثورة بياضها بدماء خميس والبقرى اللذين تم إعدامهما فى حادث عمال النسيج بكفر الدوار وفى أعقاب حادث المنشية مباشرة (إطلاق الرصاص على عبدالناصر) والذى دبره الجهاز السرى للإخوان المسلمين بدأ العد التنازلى لتصفية الإخوان أما اعداء الثورة فيقسمون أنه مجرد تمثيلية سياسية بارعة وذريعة أمنية للقضاء على خصوم الثورة بالضربة القاضية !!

وفى نفس المسار الدفاعى والوقائى تم تحجيم نشاط الشيوعيين فنشطت حركة السجون والمعتقلات واكتظ السجن الحربى بالنزلاء والمعتقلين.. ولم يتبق من توجهات التابعى إلا محاكمة فاروق قانونيا.. وآثر مجلس قيادة الثورة ترك هذه المهمة للتاريخ ذلك العقد الذى تصنع حباته اللامعة من الإنتقائية والذاتية وإن اصطبغ بالموضوعية والحيادية !!! وعلى هذا المنوال تنوعت الآراء بعد الثورة.. فطالب البعض بعودة الأميرات «بنات فاروق» إلى مصر لأن وجودهن مع أبيهن فى بيئة غير صالحة أمر ترفضه عاداتنا وتقاليدنا ونشرت الصحف صورة الأميرة فريال (لم تتجاوز الرابعة عشرة) بالمايوه وفى خلفية الصورة امراء من آل سعود فما علاقة الثورة ببنات فاروق وتنشئتهم وهل انتهت مشاكل مصر أنذاك لكى تتطفل بعض الأقلام على حياته التى أصبحت ملكا خاصا خالصا يخصه وحده !! فهو الآن ليس ملكا.. فما شأننا وشأن بناته وشقيقته فائزة التى لاكت الأقلام سيرتها إلى حد الخجل وإسقاط الإعتبار !! الأمر الذى لا يتفق مع عاداتنا وشرقيتنا على الإطلاق !! فى سلسلة روايات خادشة لا تهمنا فى قليل أو كثير.. ويتبقى لنا من سيرة فاروق وثروته ومجوهراته قصة الماستين الشهيرتين اللتين قام بشرائهما قبل الثورة وتم اختفاؤهما فى ظروف غامضة لا يعلمها إلا الله.. وتعود أحداث القصة إلى عام ١٩٥١ حيث تلقى فاروق رسالة من سفارتنا بباريس تتضمن عرضا من شركة «هارى ونستون»[١٦٥] بوجود قطعتين من أندر قطع الماس فى العالم القطعة الأولى هى «ماسة الأمل» أو الماسة الزرقاء وهى احدى الجواهر النادرة فى العالم لونها أزرق مائل للإخضرار تزن ٤٢ قيراطا.. كانت ملكا للويس الرابع عشر.. ثم سرقها اللصوص أثناء الثورة الفرنسية واشترتها شركة «هارى ونستون» والماسة الثانية هى «نجمة الشرق» تزن مائة قيراط كانت ملكا للسلطان عبدالحميد الثانى حتى عام ١٩٠٠ ثم سرقها حراسه وباعوها لسيدة أمريكية وفى عام ١٩٤٧ اشترتها شركة هارى ونستون.. وعلى الفور وبمجرد وصول هذه الرسالة لفاروق بعث إلى الشركة خطابا يفيد موافقته على الشراء فأرسلت الشركة الماستين قبل الثورة بأسبوعين وقامت بالتأمين عليهما ودفع فاروق ثمنهما مليونا و ١٥٠ ألف دولار وتبقى من ثمنهما ٥٠ ألف دولار.. وبعد قيام الثورة توجه مندوب الشركة إلى مقر إقامة الملك فى كابرى فندق «جنة عدن» فأنكر فاروق معرفته بمكانهما وأكد للمندوب أنه ترك الماستين فى خزانة أحد القصور فى مصر ولا يعلم عنهما شيئاً.. فأصر الرجل على انتزاع إقرار كتابى بخط يده جاء فيه : «الماستان المرسلتان لى من شركة هارى[١٦٦] ونستون كانتا فى خزانتى الخاصة بالقصر قبل مغادرتى مصر فى ظروف معروفة جيدا للجميع وبالطبع لا علم لى بهما الآن».. فأين ذهبت الماستان المفقودتان ؟!.. وكيف تبددت هذه الثروة الطائلة والقادرة على تنفيذ العديد من المشاريع الإنمائية آنذاك.. كيف تمت سرقتهما بالرغم من صعوبة بيعهما بلا أضواء أو ضوضاء عالمية !! هل تدخل وسطاء خبراء متمرسون، إذا كانت الإجابة بالنفى فلا يتبقى إلا احتمال خروجهما مع فاروق إلى منفاه على الرغم من أن ملابسات الحدث ومباغتة الأحداث تفترض وجودهما فى خزانة أحد القصرين (القبة أو عابدين) نظرا لسفره من مصيفه بالإسكندرية فلا يوجد مبرر مادى يقتضى حفظهما معه بالاسكندرية وإلا لصحب معه بالمثل جميع المقتنيات الثمينة والباهظة من المجوهرات التاريخية من قصورة وهو ما لم يحدث ولم تثبته لجان الجرد.. فكل قصر يحتفظ بخزائنه الخاصة المؤمنة تأمينا محكما وبالصورة التى تتبدد معها أى مخاوف أو شكوك وبالرغم من الوجاهة المنطقية لهذا الافتراض إلا أن سير الأمور الحياتية لا يخضع أحيانا لأى قواعد أو نواميس وما أكثر الأحداث العادية التى لعبت فيها المصادفة وحدها دور البطولة وحولتها لوقائع سينمائية يصعب تصديقها ووفقا لما تقدم فلا يمكننا استبعاد الشهادة التى أدلى بها الطيار مصطفى صادق «عم ناريمان» حيث ذكر أن فاروقا غادر مصر والماستان فى أحد جيوبه.. فإذا صحت هذه الشهادة فهل استشعر فاروق بوادر فقدان الأمن والأمان.. هل تيقظت حاسته السادسة تجاه مجوهراته التاريخية.. أم أن الماستين كانتا محظوظتين وميزانية مصر هى التعيسة آنذاك وللأسف تكرر الموقف واختفت الصينية التى أهدتها أوجينى للخديو إسماعيل والتى تزن ٨ كيلو جرامات ذهبا و٢٤ ظرفا لفناجين القهوة وكلها مطعمة بالماس والأحجار الكريمة بالإضافة لفازات صينية تعود إلى عهد الأباطرة.. لا تقدر قيمتها بثمن!



لعل أوراق التاريخ تفصح لنا مستقبلا أسرار هذا اللغز الغامض وتجلى غموضه لعلنا نفهم فإن الفهم أسمى الفضائل كما تقول الحكمة الفرعونية القديمة!! ■

صالون المحروسة التى أقلته إلى إيطاليا وكان يقول عنها إنها الأثر الوحيد المتبقى من عراقة البحرية المصرية وهو يخت جده إسماعيل الذى أقله إلى إيطاليا وقام بإصلاحه عام ١٩٤٨ فى ظل تلك الظروف المشتعلة بأكثر من مليون جنيه والصورة للمحروسة من الداخل




أوفدت الملكة إليزابيث مندوبها لشراء بعض القطع التاريخية والتحف الفنية من المزاد الذى أقيم عام ١٩٥٤ وكلف فاروق خبير المجوهرات الشهير بولجارى بشراء علبة النشوق التى كان يمتلكها وكانت ملكاً لفردريك «إمبراطور ألمانيا

بيع ملابس أفراد
أسرة محمد على فى
مزاد عام ١٩٥٤

اسطول سيارته ويضم ١٤ سيارة كاديلاك حمراء وهو اللون الملكى
المحظور استخدامه للعامة إضافة لـ١٧سيارة كاديلاك موديل ١٩٥٢
و٢٢سيارة ميركورى وسيارتين لنكولن وثلاث سيارات ليموزين
والسيارة المرسيدس المصفحة التى أهداها إليه هتلر بمناسبة زواجه

الفستان الذى ارتدته ابنته «فريال» يوم زفافه من ناريمان وهكذا أهدرت عاداتنا وتقاليدنا على صفحات الجرائد


قميص النوم الذى ارتدته ناريمان ليلة الزفاف «التعليق حرفيا كما نشر في الصحف آنذاك تمهيداً لعرضه فى مزاد عام ١٩٥٤»



زجاجات الخمر الخليعة
التى نشرتها الصحف
بعد رحيله للتشهير به
على حد تعبيره

تم تصنيف تحف فاروق إلى مجموعات: مجموعة طوابع البريد وكانت ثانى مجموعة فى العالم بعد مجموعة ملك انجلترا ومجموعة النقود واللوحات الفنية ومجموعة المجوهرات والسجاد والفضيات ومجموعة الساعات

قصر عابدين من أفخم قصور العالم وأعرقها فى المنطقة العربية



غـرفـة نوم الملكة فـريدة..
وثراء فى المشغولات الفنية..
يـذهـب مـن الـعـين الـنـوم



إحدى التحف الفنية
التى تم بيعها للشعب
بـ٢٤٥جنيها.. وبيعت
سيارته الكاديلاك
بـ٧٨٠جنيها وسيارة
الملكة نازلى بـ٤٥٠ جنيها



«فريــدة»

عندما تستحيل الوحدة إلى رفيق والمعاناة إلى تأمل والندم إلى ومضات وأوجاع الحياة وآهاتها إلى منمنمات لونية عتيقة .. عندما يعانق الإنسان أحزانه ونبله وكبرياءه هنا تتحول الذاكرة إلى نبع وفيض والوحدة إلى حياة صاخبة نابضة ترسم بالفراغ ولا تهابه .. تكتشف أغوار النفس فتنتشلها .. تستدعى الفردوس المفقود فلا يحبطها .. بل تسكبه وضاء على سطح لوحة فنية فطرية تجسد الصدق والبراءة والانفعال متلألئا فى أشرعة النيل الناصعة وفى فلاحة مصرية تتوجها ملكة فى ريفها ... وفى وجوه حزينة تعكس عذاباتها وفى أيقونة عتيقة تنعى حظها وبأسلوبها الفريد تنخرط فريدة فى حركة الفن الحديث وتشهد باريس لحظة ميلادها الفنى فينقذها الفن من الجنون على حد تعبيرها .

بعد طلاقها من فاروق بعدة سنوات أستقرت فى فيلا صغيرة بمنطقة الاهرامات تلك البقعة الفنية الخالدة بشموخها وعظمتها ونقائها ومصريتها فكم كانت سعادتها بالغة وهى تشعر بحريتها الطليقة وهى تمتع ناظريها فى الفضاء الرحيب ترقب الحقول المجاورة بتأمل شديد .. حياة متجددة ناضرة فما أجمل الفلاحة المصرية .. فى مشيتها ورشاقتها الفطرية !!

هل يوجد أصدق من جبهة فلاح مشطها التحايل على الصبر ولفحتها حرارة الشمس بوهج معاناته !!! إنها ينابيع الحزن الكامنة داخلها وها هى تفجر طاقاتها فناً وخيالاً تتخفف من همومها وتخرج من أزمتها من خلال هذه الشحنات الابداعية وتنصاع لنصيحة خالها فنان مصر العظيم «محمود سعيد» الذى نصحها بالتلقائية فى التعبير وإطلاق العنان لفطرتها وفى الثالثة والثلاثين من عمرها تبدأ مشوارها فنانة فطرية تنتمى لتلك المدرسة الفنية التى تعرف فى أوربا «بفنانى يوم الأحد» لأنهم يمارسون هواياتهم المحببة يوم العطلة الأسبوعية ويقتربون من التأثيريين فى طفولة وصدق فاستهوتها المناظر الطبيعية بكل ثرائها وعمقها «بيوت الفلاحين – أشجار النخيل – القوارب الشراعية – الفلاحة المصرية التى وصفتها بأنها ملكة غير متوجة – أما حبها الخالد للنيل فيعكس ارتباطها المتين بمصر فهو حب لا ينازعه أى شئ آخر !!! وبخطوط رقيقة مهتزة وألوان قاتمة حزينة وإيقاع عازفة بيانو ملتحمة مع لحنها تستعيد شريط ذكرياتها ونسمات حياتها .. وجدير بالذكر أن أموالها خضعت للمصادرة شأن بقية أفراد الأسرة المالكة على الرغم من أنها لم تكن أحد اعضائها منذ طلاقها عام ١٩٤٨ فصودرت أموالها فى البنك .



وفى عام ١٩٦٣ تطلب السفر إلى بيروت ويوافق جمال عبد الناصر على الفور ويتساءل مستنكرا لماذا تمنعونها من السفر؟! وفى عام ١٩٦٧ يستبد بها الشوق والحنين لرؤية بناتها فتسافر إليهن فى سويسرا .. وتستشعر وجود غلالة جفاء قاسية تفصلها عن بناتها .. غلالة تحمل الكثير من اللوم والتأنيب الذى يفضى إلى الندم المزمن نتيجة لطلاقها من والدهن .. فتقرر الابتعاد وتترك للزمن مهمة الإيضاح والتفسير وفى عام ١٩٧٠ تسافر إلى باريس وتنتسب فى مدرسة متحف اللوفر طالبة تدرس تاريخ الفن فى أكبر معاقله وأعرقها .. ويثير فضولها الجرافيك فتتعلم «الليثو جراف» أو الرسم على الحجر واستنساخ بعض اللوحات بطريقة الطبع فى اتيليه «تولوز لوتريك» ويتطاير شرر موهبتها ويتفاعل مع ثمرة دراستها فى إبتكار أسلوب متميز فى الإضاءة يتواكب مع أعماقها فهى تجسد اللوحة على التوال ثم تعرض سطحها لحرارة شديدة فيتبدل الفردوس إلى أطلال وركام وتتحول الشابة إلى شمطاء وترتد الصراحة إلى غموض وظلال .. وفى باريس – أيضا – أتقنت فن الستنسيزم بصورة تقترب من الكمال فكانت على دراية تامة بمؤثرات الإضاءة الداخلية والخارجية أثناء عرض اعمالها !!! فى المعارض الفنية من خلال استعانتها بمصدرين للإضاءة مزودين بتايمر تخفت معه الإضاءة تدريجيا فتوحى اللوحة بمعايشة ساعات الفجر والغروب بروعتها .. خاصة انها كانت تعرض أعمالها فى قاعات معتمة .

وهكذا شهدت باريس ميلادها الفنى والنفسى وتكتمل سعادتها بالشقة التى أهداها لها الشاه فى باريس ولكن نظرا لإرتفاع ضرائبها عاماً بعد عام تقرر بيعها وتفتح أتيليها خاصا وتقرر الإقامة فى شقة صغيرة وتقيم أول معارضها فى عاصمة النور والفن فتثير آراء النقاد دهشتها فرحاً واغتباطاً فتكتب الناقدة مارى بروز : [١٦٧] «شهدت باريس تجربة ثورية توصلت إليها فريدة من خلال تحكمها فى تنويعات الضوء وتنوع التكنيك الأمر الذى يمثل بعدا جديدا فى الفن التشكيلى ويشهد ناقد فرنسى آخر «بروت» بخصوصية إضاءتها فيقول : «روح البشر وجوهر الأشياء هى مصادر التعبير والإحساس المشع فى اعمالها .. ففريدة شعلة مصرية مضيئة احتفظت بأضواء مصباح رع الباهرة فوق الرمال .. فهى تستخدم الضوء وتسلطه على أبطالها فتلتحم الروح بالجسد» وتتوالى معارضها الفنية فى بيروت عام ١٩٧٤ وفى مدريد عام ١٩٧٥ وفى المركز الثقافى المصرى بباريس تجد كل ترحاب وتشجيع فتقيم معرضين عامى ١٩٧٦ و ١٩٧٨ وتجمعها الأقدار بالرئيس السادات فى باريس فيدعوها لزيارة بيتها الكبير (مصر) فهو أولى بها وبكل تراكمات الإغتراب والاشتياق المختزلة تلبى الدعوة بكل الإعزاز والتقدير ويطلب منها السادات الإفصاح عن أمانيها ويتعهد بتحقيقها وعلى الفور تتجاسر وتخبره بأنها تتمنى قضاء بقية حياتها فى شقة على النيل معشوقها الدائم .. خاصة أن فيلتها استولت عليها الحراسة وقامت ببيعها لأحد أثرياء الخليج والمؤسف أنها فقدت جميع أوراقها الخاصة وصورها التى تركتها فى بدروم الفيلا .. ولأسباب غامضة متداخلة تستقر فى شقة صغيرة بالمعادى وتعيش معها والدتها وتشهد القاهرة عام ١٩٨٠ أول معارضها عنوانه «ألف رؤية ورؤية» فتصور فلاح الثمانينات بهلوانا بعد أن تخلى عن رعايته لأرضه وركوضه وراء مقتنيات المدينة مستهلكا لا منتجاً !! وتعكس لوحاتها افتتانها بالأحياء الشعبية لصدقها وأصالتها .. أما إيمانها بالغيبيات فقد جسدته فى تعويذة زرقاء وعبق بخور هندى وتميمة حظ تقيها سحر نازلى الدفين وتظل آيات القرآن الكريم هى خير حافظ يبدد مخاوفها !! .

وتحضر ناريمان معرضها وتتقابل الملكتان وتستعيد نظراتهما ذكرى الأيام الخوالى .. وتبدى عطفها على ناريمان وتقول ليس فى قلبى شيئ نحوها فهى لم تقترف أى خطأ وإن زهدت فريدة فى الزواج محتفظة بلقب ملكة مصر السابقة وتاج المحبة الشعبية !!!

وفى عام ١٩٨١ تقيم معرضا بجنيف وفى تكساس بالولايات المتحدة وفى مصر عام ١٩٨٤ وآخر معارضها بمصر عام ١٩٨٦ .. وهكذا سارت حياتها الجديدة فى مصر هادئة قانعة بسيارة لادا بيضاء وأصبح مرسمها هو كل حياتها التى تقول عنها : «أعطانى الفن الأمل والرغبة فى الاستمرار .. فى الماضى كنت أخاف الوحدة .. اليوم أنشدها وأبحث عنها من أجل نظرة تأمل تفجر معاناتى فنا .. الآن أصبحت وحدتى ضجيجا» وتبدأ رحلة مرضها اللعين عام ١٩٨٨ حيث مرضت بسرطان الدم فسافرت إلى معهد جوستاف روسيه بباريس للعلاج وشفيت من المرض وتشاء الأقدار أن تصاب بالتهاب الكبد الوبائى أثناء عملية نقل دم لها بمصر .

وتقاوم المرض اللعين حتى آخر لحظات حياتها .. حتى أنها كانت تذهب إلى مرسمها محمولة على كرسى[١٦٨] !! إلى أن يتمكن منها المرض اللعين فتشرئب خلاياها باللون الأصفر القاتل وتنتهى حياتها بالألوان كما بدأتها فنا صادقا لا يموت !!! ■



فريدة تلميذة هادئة مطيعة بمدرسة نوتردام دسيون بالإسكندرية



أشاد النقاد الفرنسيون
بأعمالها الفنية خصوصا فى
تنويعاتها الضوئية



السادات دعاها للعودة
إلى بلدها حينما قابلها
فـــى بــاريــس


ملكة صغيرة فى
الرابعة من عمرها



فريدة وشقيقها شرين ذوالفقار بصحبة والدتها زينب هانم شقيقة فنان مصر الكبير «محمود سعيد» ووصيفة الملكة نازلي



ابتسامة رضى في شقتها المتواضعة بالمعادى



تزوجت الفن فتبددت وحدتها



زيارة الأماكن الشعبية كانت من الأشياء المحببة إلى قلبها



فريدة بصحبة فاروق فى زيارة رسمية



فريدة بدأت مشوارها
الفنى فى الثالثة
والثلاثين من عمرها

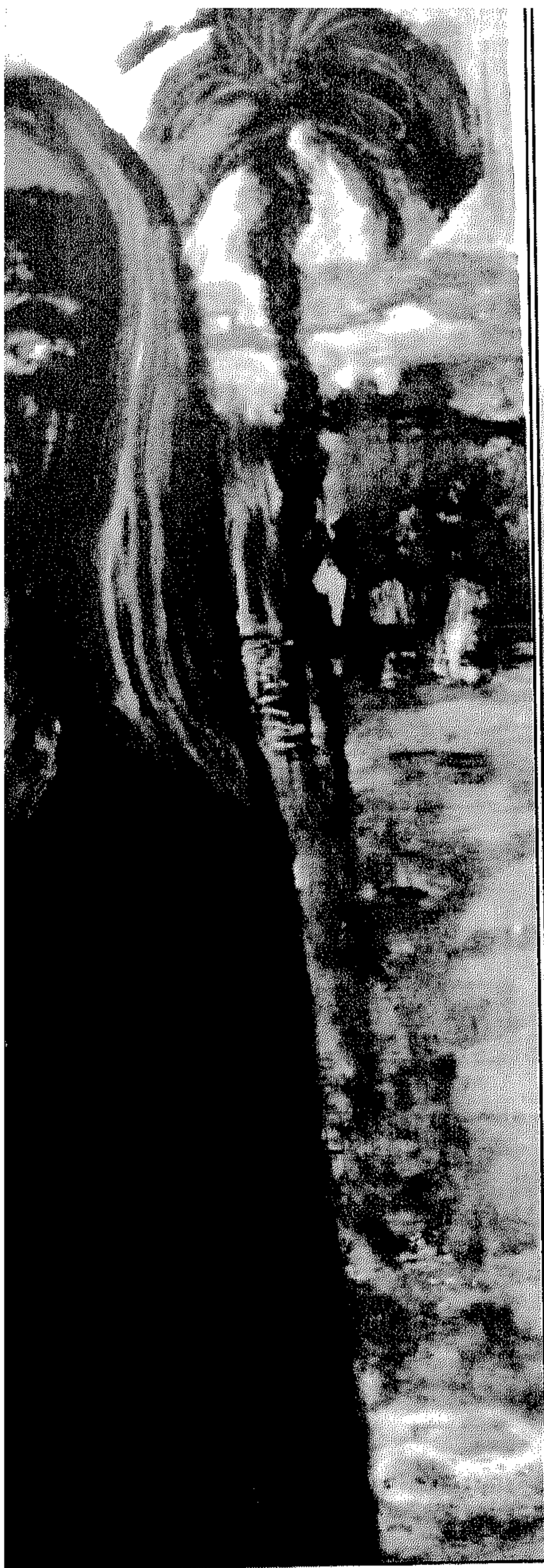
براءة وجمال هما
أقوى من أى تعليق



كتاب
تذكارى



صافى ناز أو «ذات الدلال
المحصن» تتجاوب مع
الكاميرا فى براءة وملائكية



أشرعة القوارب النيلية تتصافح أطرافها وتستجمع قواها لمواجهة الغروب الحزين



الفلاحة المصرية توجتها ملكة فى ريفها



الألوان الداكنة تعكس ينابيع الحزن
والألم بداخلها دون أن تفقد كبرياءها

شجرة أم الشعور تغسل أحزانها
وذكرياتها ألوانا منهمرة كالدموع



كانت تعتز
بأنهـا أول
من رسم لفظ
الجلالة


علاقة الإنسان بالحمار تحمل ميراثا من الحميمية والتفاعل الصامت


الفلاح المصرى فى الثمانينيات تحول من خلال رؤيتها إلى بهلوان


ظل حبها الخالد للنيل يعكس ارتباطها بمصر


نظرات الرجلين الريفيين المتبادلة تحمل الريبة والمكائد التى عاشتها فى دهاليز القصور

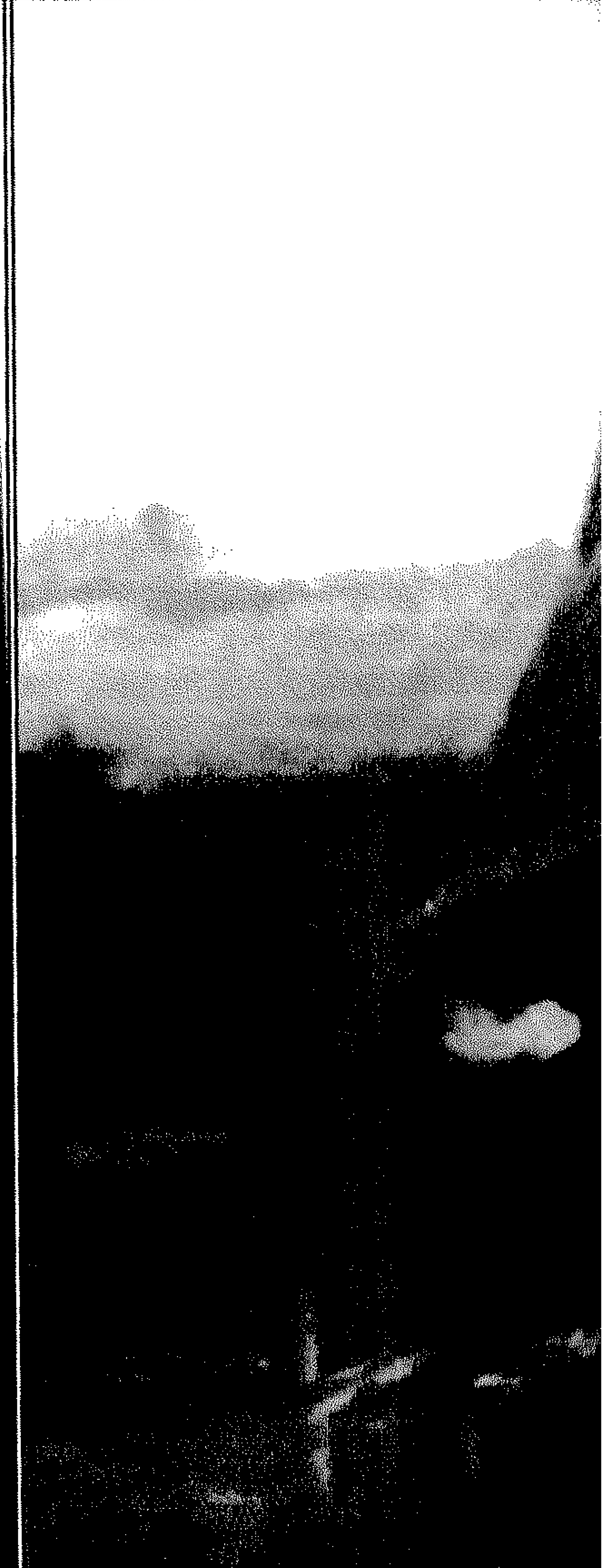


ولعها بتجسيد لحظات الصدق والتلقائية دفعها لاختيار وجه هذا الرجل النوبي الطيب





بورتريه يجسد شحناتها الإبداعية التلقائية واقترابها من التأثيريين





فــريدة كــانت
تؤمن بالغيبيات
وتستعيذ بآيات
القــرآن الكريم



الرحيل الغامض !

أخيرا تحول الظن إلى يقين والحدس إلى حقيقة الآن تجرع فاروق مرارة الفشل وخدش الكرامة وجرح الكبرياء وحمل لقبه الجديد «ملك مصر السابق» الآن اكتملت مأساته وبؤسه وأموال العالم بأكملها لا تكفى لشراء سعادته.. لكن المال قد يهيئ الإنسان للمواءمة بين ألوان الشقاء.. يدلنا علم الفلك على الصفة السائدة والمتحكمة فى شخصية فاروق مولود برج الدلو الهوائى والتى تؤكد عناده وتصلب رأيه ونفاذ بصيرته فى بعض الأحيان وعشقه اللا متناهى للغموض إلى حد الإفتتان فالوضوح لا يغريه.. حياته سلسلة متصلة من التقلبات والأنواء يجوب الأرض بحثا عن حبيبة تختزل النساء جميعا وإن ظلت صديقة فإذا وجدها فلن يقنع بها وحدها!!

رجل يمتلك هذه المرجعية الطفولية لابد أن تفتنه إيطاليا بلد الجمال البارز والسهام الراشقة والماضى المثير مملكة الفن والشمس الساطعة والبشرة البرونزية متحف أوربا المفتوح بالإضافة لكونها مسقط رأس بوللى ومثوى جده إسماعيل.. بلد الإسباجتى والتانجو والأوبرا والكابوتشينو والأسماك والآيس كريم والصوت العالى.. بلد يتحلل من القيود الإنجليزية الخانقة.. والبروتوكولات الفرنسية المملة.. بلد لا يعترف بوسام ربطة الساق السخيف الذى ابتدعه الإنجليز لحفظ ماء وجه مليكهم الذى انحنى لإلتقاط رباط جورب أميرة كانت تراقصه.. فالملك لا ينحنى وهكذا تحولت التلقائية إلى وسام يوضع تحت ركبة النبلاء فليستقر إذن!!! فى الجنوب الإيطالى الساخن الشهير بقممه الجبلية الخضراء التى تتعانق مع المياه الفيروزية فى مشهد تشكيلى رائع يستدعى الذكريات المحملة بتفاصيل السرد والمناجاة من مرتعها. فى البدء اختار فاروق جزيرة كابرى التى شهدت إعتزال الامبراطور تيبريوس لعرشه فى روما وانتقاله الى هذه الجزيرة الساحرة ومنذ ذلك التاريخ حملت كابرى لقب «مثوى الأرستقراطية المحبطة المنزوعة السلطة» فهى جزيرة جميلة تستنكر القبح لكنها لا تقمع الغرائز والنزوات تمجد حياة الليل واللهو فيتلاشى نهارها.. فهل وجد فاروق حبيبته المفقودة وضالته المنشودة التى تسببت فى انتزاع عرشه وضياع ملكه فى هذه الجزيرة الغامضة المتمردة!!! أم أن حريته سجنته فى كهوف ذاته المظلمة!!! ففشل فى المنفى كما فشل فى مصر!!! ونعود الى نقطة البداية.



وصلت المحروسة إلى ميناء نابولى ولكن الإيطاليين ردوا التحية بأسوأ منها فتجاهلوا إطلاق المدفعية للتحية ففى يوم من الأيام استقبل فاروق ملك إيطاليا عمانويل بكل الود والترحاب الرسميين.. فلم يكتم دهشته لعدم إستقباله رسميا ففوجئ بمندوب وزارة الخارجية والسفير المصرى فى روما عبدالعزيز بدر.. لكنه تذكر سريعاً أنه فى بلاد ميكافيللى فتبددت دهشته وودع طاقم المحروسة وغادرها إلى عبارة أقلته إلى جزيرة كابرى حيث استقر فى دور بأكمله فى أحد فنادقها تصحبه حاشية متقلصة من حرسه الألبان وأتباعه الإيطاليين وعلى رأسهم بترو الذى عهد إليه بتذوق طعامه وشرابه خوفا من اغتياله وذلك فى الفترة الأولى التى التمع فيها سراب الأمل بإمكانية العودة حين يشتد عود الملك الصغير!! وسرعان ما تبددت هذه التفاؤلات بالأنباء التى كان يتابعها من مصر بكل تفاصيلها وأكثرها حسما إعلان سقوط الملكية فى مصر فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ أما حياته الزوجية فشهدت تصدعا أسرع أفضى إلى انهيارها بعد مرور شهور قليلة من الهدوء الخادع.. فاشتعلت النار فى الرماد ولكن لماذا؟! فقد قضى الطرفان مصلحتهما ففاروق تزوج ناريمان خصيصا لإنجاب ولى للعهد وهى تزوجت ملك مصر والسودان.. فلا وقت للحب ربما يأتى بالمعاشرة والألفة.. هكذا تحايل الطرفان لتبرير منطقهما البرجماتى آنذاك ولكنهما الآن فى المنفى فى الغربة أى أنهما سيجتازان إمتحانا عسيرا فى التحمل والصبر فعذاب الإنسان لا يولد مع مصائبه ولكنه يستعر حين يعجز الإنسان عن احتمال متاعبه وشقائه!!! فناريمان كانت فتاة صغيرة شغوفة بلقبها ومجوهراتها وفساتينها فلم يستقر الملك بقلبها وفيما بعد تزوجت أكثر من مرة مما يؤكد واقعيتها وتطلعاتها لحياة أفضل!! فيوما بعد يوم بدأت الخلافات تتسع بين الزوجين حتى هبط مستوى الحوار بينهما إلى الدرك الأسفل من العبارات السوقية وفقا لشهادة أمين فهيم.. سكرتير فاروق فى المنفى.. فقد تطور شجارهما أمام الخدم والمربيات إلى لكمة سددها فاروق بقبضة يده الممتلئة فى وجه ناريمان سقطت على أثرها فتم استدعاء طبيب الضاحية لإنقاذها ويبرر فاروق هذا السلوك المتدنى لسكرتيره بهذا التعليل الضاحك الباكى: لعلها تستفيد من العلقة فقد أردت [١٦٩] أن أعطيها درسا يؤدبها فالضرب هو أفضل طريقة لمعاملة الزوجة كما يفعل أولاد البلد فهم يضربون عرائسهم ليلة الدخلة ويذبحون القطة لكى تشعر العروس بالخوف وأنها خادمة لزوجها.. فلو أننى مثلا ضربت فريدة علقة ليلة الزفاف لما حدث الطلاق بيننا ولكانت زوجتى حتى الآن ولكنى عاملت فريدة وناريمان كملكات فشعرت كل منهما أنها مثلى تماما!! أما السبب الأساسى لخلافهما فلم يشذ عن طبائعه فقد أصر فاروق على السهر يوميا بمفرده وما يترتب على هذا المسلك المستمر من مشاكل وبقدوم أصيلة هانم والدة ناريمان إلى إيطاليا اشتعل البيت حيث تبادلت مع فاروق القذائف الكلامية التى انحرفت عن قاموس الملكية وانتهت الحرب النكدية وبدأت مفاوضات الهدنة التى طالبت فيها ناريمان ووالدتها بالتاج الماسى ومجوهراتها التى احتفظ بها فى خزائن أحد البنوك واستمرت المداولات بين الطرفين فى الوقت الذى تصاعد فيه خلافهما أيضا حول تنشئة الملك الرضيع فقد أصر فاروق على اقتفاء نهج والده فى طريقة تنشئته فى طفولته وهو أدرى الناس بقسوة هذا الأسلوب المستدامة حتى آخر العمر فقدر على الملك الصغير الحرمان من حضن الوالدين المشترك عندما تجاوز عامه الأول.. ولم يختلف الوضع بالنسبة لبناته ربما كان أسوأ فحرمن من والدتهن فى أحرج مراحل حياتهن خاصة!! فهو فاقد الشيء فلن يعطيه فقرر شراء فيلا فى لوزان بسويسرا وعهد إلى مربيات ومدرسات بناته تابوريه الفرنسية وتشير سايد الانجليزية برعاية أحمد فؤاد وبناته وتم الاتفاق على الطلاق وأقامت ناريمان فى سويسرا مؤقتا واستقر فاروق فى روما.. ثم عادت ناريمان إلى مصر لتجد فى انتظارها عشرات المصورين والصحفيين وعرضا سينمائيا من أورسون ويلز لبطولة أحد أفلامه وشائعة بزواجها من فريد الأطرش انطلقت إثر غنائه أغنية نورا.. نورا اسمك على رسم الصورة!!

تركت ناريمان فاروق كما عرفته فى مصر.. يقضى الليل على موائد القمار.. لا يشرب الخمر وفى يده مسبحته لا تفارقه وبجواره شنطه من العملات المعدنية وبعض الصديقات الإيطاليات يؤنسن

وحدته ويملأن فراغ حياته.. التى أعاد ترتيب أوراقها بعشوائية فللمرة الأولى فى حياته سيتحمل تدبير شئونه بنفسه فلم يكن غريبا أن تعرض لبعض محاولات النصب والاحتيال من قبل المحترفين.. واستقراء الأحداث يبرهن على الصلة الوثيقة التى ربطته بالملك عبدالعزيز آل سعود الذى عرض أستضافته فى السعودية من خلال برقيته التى أرسلها إلى المحروسة بعد مغادرتها الاسكندرية.. وفى إيطاليا تأكدت العلاقة الحميمة بينهما فذكرت بعض المصادر أنه تلقى بأبوة حانية مساعدة مالية من الملك عبدالعزيز الذى كان يعد فى تلك الآونة من أغنى أغنياء العالم وحكمائه أيضا!!

أما الأمير رينيه «أمير موناكو» فكانت صلاتهما من أقوى الصلات التى ربطته بشخصية سياسية اوربية.. مما هيأ له الحصول على جنسية الإمارة له ولأولاده!! فى غضون شهور قليلة من وجوده فى إيطاليا وتحديدا عقب إنفصاله عن ناريمان لمح فاروق هذه الفتاة الجميلة وتشير مفاتنها الإيطالية المتناغمة إلى انها من أكلة الأسباجتى والبيتزا!! فهى ممتلئة فى تناسق.. عيناها لوزتان.. شفتاها ممتلئتان لها وجه يستدعى صورة صوفيا لورين - التى لم يدركها- من ذاكرة الجاذبية ومن المفارقات أن صوفيا لورين كشفت عن رأيها فى الرجل الجذاب فى احد إستطلاعات الرأى فقالت : «هو الذى يجمع فى شخصه بين صلابة الصخور وليونة الماء.. والرجل الذى يمتلك مزاجا خاصا فهو رجل جذاب كما أننى أمقت بشدة معرفة رد فعل الرجل فى كل موقف فذلك أمر لا يثير إعجابى ولكننى أحب الرجل الذى يفاجئنى فى كل مرة بأمر جديد.. وتحد متكررا!!» ويبدو أن هذا هو نفس رأى مواطنتها «إيرما كابيتشى مينولوتو» فى الرجل!! فقد أعجبها فى فاروق غموضه الأرستقراطى وقامته الملكية المهيبة وسمنته التى توحى بالثراء وكرشه الذى يؤكد شرقيته اللافته وتتصدر هذه الأسباب جميعاً علة تاريخية ألمحت إليها فى مذكراتها : «لقد خطفت كليوباترا اثنين من أشهر رجالنا يوليوس قيصر ومارك أنطونيو.. فليس عجيبا أن يحب ملك مصرى فتاة إيطالية!!» فى السابعة من عمرها شاهدها فاروق للمرة الأولى فى مدينة نابولى حيث وقع عليها الاختيار لتقديم باقة من الزهور له أثناء زيارته لنادى التجديف..

وتمر السنون ويلمحها مع والدتها فى كابرى فتاة غضة فى الخامسة عشر تقترب من عمر ابنته فريال التى لم يستمتع بتدليلها.. لم تبذل ايرما جهدا طويلا فقد تذكرها بسهولة أسعدته وأسعدت فتاة صغيرة يرسل لها ملك مصر السابق سيارته الروزرويس بباقة من الزهور الطبيعية ويدس بينها وردة صناعية بداخلها خاتم بديع وهكذا استقرت إيرما فى قلبه وأصبحا توأمان يتجولان فى المطاعم والأندية وضيافة أمراء أوربا.. ولكنها ظلت تحتفظ بحلمها المتأجج لعلها تصبح يوماً مطربة أوبرا شهيرة فغنت أمامه على المسرح عام ١٩٦٣ وانقطع التيار الكهربائى فجأة.. فغنت على ضوء الشموع وبعد وفاته حصلت على جائزة ماريا كلاس فى الغناء الأوبرالى وغنت فى المركز الثقافى الإيطالى فى القاهرة فى عهد السادات.

وتؤكد إيرما فى مذكراتها أنها تنتمى لأسرة مينولوتو الإيطالية العريقة فهى ليست ابنة سائق تاكسى كما ادعى أمين فهيم سكرتير فاروق فى المنفى.. ولكن قسوة الحياة تجور أحيانا على بعض العائلات الكبيرة فيعانى بعضهم شظف العيش!!! وهى لا تنفى تعدد علاقات الملك النسائية على الرغم من الحب الكبير الذى ربطهما وتضيف من تريد الإرتباط بفاروق فعليها أن ترتضى وجود شريكات! فلم تنجح أى امرأة فى حياته فى إقناعه بالإقلاع عن شيئين : النساء والقمار ولم أكن بالطبع استثناء من تلك القاعدة الفاروقية!!! حتى أن المخرج العالمى راتوف أخرج فيلما يصور قصة حياته أطلق عليه اسم «مملكتى من أجل امرأة» الأمر الذى أغضبه بلا جدوى فخرج الفيلم إلى النور.. وبمرور السنين تتأكد ملامح حزنه واكتئابه وتكتمل مأساته وتنكأ ابنته فادية جراحه بزواجها من الأمير الروسى بيير أورلوف فتتجدد ذكرى انكساره بزواج فتحية من رياض غالى ويزداد الطين بلة حين يعلم أن فتحية تعمل فى مهنة متواضعة وكأن شجرة هذه العائلة لا تجود عليه إلا بمر الثمار والعلقم!! ومع استمرار الزيادة فى وزنه فى ظل هذه الضغوط النفسية المؤلمة كان لابد أن يرتفع ضغط دمه نتيجة لسهره وقلقه وتوتره وتدخينه!! وجاءت نصيحة الأطباء بمحاولة إنقاص الوزن ببعض الآثار النفسية العكسية فظهرت أعراض الاكتئاب وبدأ يعانى من بعض المتاعب فى قلبه.

وفى الليلة الموعودة افترق الحبيبان فمر فاروق على إيرما فى منزلها كعادته قبل منتصف الليل بقليل فاعتذرت عن السهر لأنها تشعر بالإعياء والرغبة فى النوم.. فودعها على أمل أن يلتقيا فى اليوم التالى فى مونت كارلو تلبية لدعوة الأمير رينيه لهما لتناول الغذاء فى ضيافته بقصره!! ثم توجه على الفور إلى منزل إحدى صديقاته وتدعى «أنا ماريا جاتى» وهى فتاة فى أوائل العقد الثانى تعمل فى أحد صالونات التجميل وكعادته دائما تخفف من حارسه وسائقه واستقلا سيارته الفيات - السنوات العجاف - وتوجها إلى مطعم «أيل دى فرانس» فى روما وفى غضون دقائق اختفى لون المائدة بأطباق الطعام المتنوعة الشهية فامتدت يد فاروق تلتهم معظم الأصناف التى أمامه وهى عبارة عن ١٢ قطعة جمبرى - قطعتان من اللحم الضأن المشوى مع بطاطس.. شطائر محشوة بالمربة زجاجة كوكا كولا ثم اتكأ فى مقعده الوثير وأشعل سيجارا هافانا وفجأة احتقن وجهه وشعر بالإختناق فارتفعت يداه إلى حلقه ثم سقط على المائدة.. فانقلب المطعم رأساً على عقب فاختفت الفتاة التى ترافقه بصورة غامضة.. فحاول الجرسون إنقاذه وقام برفع إحدى ساقيه وخفضها عدة مرات بدون جدوى حتى وصلت سيارة الإسعاف التى أقلته إلى مستشفى سان كاميللو فى محاولة لإنعاش قلبه.. وفى الساعة الثانية من صباح يوم السابع عشر من مارس ١٩٦٥ صعدت روحه إلى بارئها ودفن فى روما فأقيمت له جنازة حضرها أبناؤه وشقيقاته.. والملكة فريدة التى تأثرت للغاية بطريقة وفاته وقالت: قد تكون هناك حكمة خفية لوفاته فى أحد الأماكن التى كان يغشاها ويفضلها وكانت سببا فى تعرضه لإنتقادات لا تنتهى!! وبعد جهود بذلها إسماعيل شيرين - زوج شقيقته فوزية - تمت الموافقة على دفنه يوم ٢٧ مارس ١٩٦٥ بمقابر الأسرة المالكة فى الإمام الشافعى تنفيذا لوصيته فدفن فى قبر إبراهيم باشا ولكن فى عام ١٩٧٥ طلبت الأميرة فريال من السادات نقل رفاته إلى مدفن الرفاعى تنفيذا لوصيته أيضا بأن يدفن بجوار جده وأبيه واستجاب السادات لطلبها.



وأخيرا أراح واستراح الراحة الأبدية.. تاركا وراءه لغزا غامضا يتسق مع مفتاح شخصيته وبمجرد إعلان الخبر رسميا بدأت تتناثر الأحاديث والأقاويل التى تشكك فى وفاته على مضض وفى أحاديث الغرف المغلقة ولكن فى عام ١٩٦٨ تطايرت شظايا الشائعات أثناء محاكمة صلاح نصر وبدون

أى مقدمات وجد إبراهيم بغدادى محافظ القاهرة الأسبق - نفسه متهما بتنفيذ عملية إغتيال فاروق فى روما عام ١٩٦٥ وينفى رجل المخابرات سابقا التهمة نفيا قاطعا فهى جريمة لا يتبرأ منها وشرف لا يدعيه ويقول: «لقد مات فاروق من التخمة (١٧٠) ظل يأكل ويشرب حتى امتلأ كرشه وطبق الأكل على مراوحه كما يقول أولاد البلد ثم خرجت روحه وأردف قائلا : يجب توجيه أسئلة منطقية قبل اتهامى مثل جدوى قتله وهل توجد أسباب تستدعى اغتياله وأخيرا هل يوجد جهاز مخابرات فى العالم يعترف على نفسه صراحة أو تلميحا ويفضح رجاله.. الإجابة - والكلام للبغدادى- أبدا لا يوجد ضابط مخابرات واحد يعترف بهذه التهمة ويكفى فاروق أن يموت بالسم البطئ وهو الزمن!! فأين الحقيقة إذن؟! وهل ارتبط اسم فاروق بالشائعات التى ساهم فى غزلها أحيانا فكان لابد أن تدثره حتى فى مماته؟! وعودة إلى عام ١٩٦٥ ومن خلال استقراء الأحداث السياسية المحلية والعالمية الظاهرية يتأكد أن فاروق لم يكن يشكل أى خطورة سياسية أنذاك.. فهو رجل بلا سلطة مريض.. مقهور.. انغمس تماما فى أجواء الكسل وسهرات التائهين الباحثين عن ذواتهم.. ولكن دهاليز السياسة وبواطنها تفرض رؤية مخالفة تماما فى بعض الأحيان لهذا الواقع المعلن.. فبعض الخبثاء لديهم قناعة بأن نمط تفكير صاحب القرار - فى حالة تدبير الوفاة جنائيا - عام ١٩٦٥ لا يخضع للتفنيدات المنطقية فى الوقت الحالى ويقولون كيف يمكننا الجزم أن سلطة اتخاذ القرار لم تستشعر أى بوادر تآمرية خفية من جانبه؟! وهل يمكن محاسبة المرء على شعوره بالخوف والخطر بعد مرور بضع سنوات؟! بالقطع سيختلف تقديره لأولويات الخطر ومبررات الغيرة فقد زال الخوف باختلاف الظروف وسينكر على نفسه مبالغته فى مخاوفه وغالبا ما يتعامل معها بسخرية وينظر إليها نظرة أوهام كاذبة!! ومن ثم يتنصل منها هروبا من سوء تقديره للموقف.. فالمرأة قد تغير من أخرى دون الإرتكان لسبب منطقى واحد.. فإذا مرت السنون سخرت من غيرتها وكيف أنها غارت من امرأة لا تستحق مكابدة هذا الشعور المرير.. فإذا حدث كل ذلك لا يبقى الا حقيقة مؤكدة ألا وهى غيرتها من هذه السيدة فى سنوات سالفة!!! ويستشهدون على وجهة نظرهم بتظليل صورته فى الأفلام السينمائية.. فلماذا لا يثير المخاوف فى الحياة السياسية إضافة لتعرض بعض الشخصيات الأكثر تواضعا من فاروق للمحاكمات والاعتقالات فى حالة إثبات قرائن الإدانة وأدلة الإتهام!! خاصة أن تقدير بواعث الخطر لا يخضع لانطباعات رجل الشارع المتقلبة عاطفيا. ولكن لماذا لا تكون الوفاة طبيعية لرجل فى الخامسة والأربعين وزنه ١٦٨ كيلو جراما.. يدخن السيجار يعانى من بعض المتاعب فى القلب ويشكو من ضغط دمه المرتفع.. حياته لا تخلو من التوتر والقلق والأهم من كل ذلك أنه ا الموت لسيف المسلط على رقاب العباد.. من أجل كل ما تقدم من علامات استفهامية.. رأيت أنه من الأفضل التوجه بهذه الجعبة من الاحتمالات إلى الأستاذ الدكتور على رمزى رئيس جمعية أمراض القلب.. وعرضت أمامه طريقة الوفاة وظروفها (وفاة فجائية بسبب التخمة.. وجثة لم يتم تشريحها.. وصديقة هاربة) وأضفت أن بعض مرضى القلب يكونون من البدناء ولديهم ضغط دم مرتفع فما هى احتمالات تعرضهم لجلطة سريعة مباغته مثلما حدث لفاروق - كما قيل؟ وهل من الممكن أن يتوفى إنسان من التخمة إذا أكل دستة محار وشريحتين من اللحم الضانى.. الخ.. فماذا عن الأشخاص الذين يأكلون أضعاف هذه الكمية ولا يصيبهم شيئ ولا نقول الوفاة؟! هل توجد بواعث سياسية لإخفاء الحقيقية ولماذا لم تشرح الجثة؟! ألهذا السبب انتشرت الشائعة؟



يجيب د. على رمزى : بداية أنا لم أشاهد فاروقا فى حياتى فقد رحل عن مصر وأنا فى الخامسة عشر من عمرى.. وفى عام ١٩٦٥ قرأت فى الصحف تفاصيل الوفاة التى ذكرتيها أمامى.. وانكفاء وجهه على المائدة عقب تناوله العشاء مع صديقة فى مطعم بروما عموما الموت المفاجئ لرجل بدين وضغط دمه مرتفع أمر وارد طبياً ولكن غالبا ما نرجع الوفاة المفاجئة لشخص يتناول طعامه مثلا وينكفئ على وجهه وتطلع روحه فى دقيقة إلى حالتين تقريبا:

الحالة الأولى : تنجم عن حدوث جلطة فى الشرايين التاجية للقلب يسفر عنها تذبذب بطينى أو سكته قلبية.

الحالة الثانية : تحدث فيها جلطة كبيرة بالشرايين الرئوية ينجم عنها إنسداد الشرايين الرئوية فتتوقف الدورة الدموية ويتوفى المصاب فى الحال.. بالإضافة لوجود احتمالات أخرى بالطبع للوفاة فمن الممكن أن يتعرض المريض لنزيف فى المخ لكنه لا يتوفى فى الحال.. وفيما يتعلق بوجود احتمالات تسممية فالله أعلم!! فهذا أمرا يستلزم طبيبا شرعيا متخصصاً.. فمن أشهر السموم التى تقتل فى الحال سم (الأكوانتين) ويعرف باسم «نبات خانق الذئب» سمى بذلك لأنه يخنق الذئب إذا أكله ضمن أعشاب الصحراء والسم المستخرج منه يتسم بتركيزه الشديد.. وبمجرد أن يتجرعه المجنى عليه يبدأ التذبذب الأذينى فى القلب والشعور بالاختناق وشلل عضلات التنفس ثم الوفاة فى الحال!! يمتاز هذا السم أنه يأتى بالأثر السمى دون أن يظهر فى التحليلات وليست له صفة تشريحية ولكننا لا نقطع بهذا!!!

فأنا لا أعلم كيف توفى الملك فاروق وإن كنت أعلم أنه لا يشرب الخمر ويفضل عصير البرتقال ويدخن السيجار لكن ظروف الوفاة لرجل بدين يعانى من ضغط دم مرتفع من الوارد أن يصاب بجلطة فى الشرايين التاجية أو الرئوية أما الظروف السياسية فأنا لا أعلمها.. ولكن عدم تشريح الجثة - من وجهة نظرى - يعود لتقدير السلطات الإيطالية للموقف ككل فمن غير المعقول أن يتم اجراء تشريح لجثة أى إنسان يموت.. فقد مات أمامهم فجأة فلم يساورهم أى شكوك أو احتمال تسممه.. فيما يتعلق بسؤالك عن التخمة فالأكلة الدسمة أحيانا تؤدى إلى حدوث جلطة فى الشرايين التاجية لإنسان عنده استعداد.. لكنه لن يموت بسبب التخمة فهذا كلام ليس علمياً!! - فإذا نحينا الجانب العلمى - فقد غادر مصر منذ ثلاثة عشر عاما وفقد قيمته سياسيا وأصبح ورقة مطوية.. ولم يكن بينه وبين عبد الناصر عداوة!!! فلم نسمع عن تدبيره للعودة مثلا عام ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى إضافة إلى أنه لم يكن يهاجم جمال عبدالناصر فهو ملك سابق لا وظيفة له ولا نشاط!! أما تظليل صورته فى الأفلام فيرتبط باعتقاد الحاكم أنه يستحق المحو من تاريخ مصر يقينى أن سبب إثارة الموضوع لا يبتعد كثيرا عن شغف الناس بالقصص وانشغالهم بالحكايات والروايات!!

شكرت د. على رمزى وودعته فما أضعف الإنسان وضآلته عند مواجهة المرض والموت والمجهول الذى لا يعلمه إلا من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.. علام الغيوب!!! ■




جلسة شرقية بدخن
الشيشة فى إيطاليا



لحظة فريدة جمعت بين الزوجة السابقة والعشيقة وقد بدا عليهما الحزن العميق

إيرما مينولوتو..
لها وجه إيطالى
يستدعى صورة
صوفيا لورين من
ذاكرة الجاذبية

نفى إبراهيم بغدادى محافظ القاهرة الأسبق ورجل المخابرات عام ١٩٦٥ تهمة اشتراكه في اغتيال فاروق وقال لقد مات فاروق من التخمة ومن السم البطئ وهو الزمن بينما أوضح د. على رمزى أستاذ القلب الشهير أن التخمة لا تحدث الوفاة وحدها فهذا كلام غير علمى!



متعلقاته الشخصية لحظة الوفاة ٢٥٠٠دولار أمريكى.. ساعة ذهبية.. ولاعة عليها الشعار الملكى وبندقية والإنسيال الذى يحمل اسمه حين علمت الملكة فريدة بنبأ وفاته فى مطعم بروما.. ظل سؤال يراودها يتعلق بطريقة وفاته فى مكان كان يفضله وأسلوب حياة لم يعبرها بالرغم من الانتقادات التى وجهت له فها هو يموت فيها



ناريمان انفصلت عنه وتركته فى أوروبا كما عرفته فى مصر ساهرا يقضى معظم الليل على موائد القمار وفى الأندية الليلية

إيرما امرأة أحبت فاروق
وكان يعتزم الزواج منها
صرحت بذلك بعد وفاته

احمد فؤاد الثانى آخر
ملوك مصر فى الثالثة
عشرة من عمره يتيما
شاردا حزينا بين
شقيقتيه فريال وفوزية



وفاة فاروق أثناء تناوله طعامه فى مطعم بروما.. أثارت الشائعات والأقاويل التى شككت فى شبهة وفاته



فريال وفوزية وفادية وزوجها الأمير الروسى بيير أورلوف أثناء جنازة والدهن توفيت فادية وتعمل فريال فى سويسرا لرعاية شقيقتها فوزية المصابة بالشلل شفاها الله



جنازته فى روما ١٧مارس ١٩٦٥ ارستقراطية صغيرة.. يقول الفيلسوف الألمانى نيتشة: الإنسان المحظوظ هو الذى يموت فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب.. رحيله من مصر وعزله عن العرش كان يمثل حتمية تاريخية لانتهاء النظام الملكى وقد تنبأ بذلك حين قال ذات يوم لن يكون فى العالم ملوك سوى ملوك الكوتشينة وملك انجلترا

أحمد فؤاد يتأمل صورة والده الذى أورثه
حبه لمصر وانتمائه لوطنه مهما عاش بعيدا
عنه أما شكسبير فقد علمه على لسان بطل
مسرحيته يوليوس قيصر أن مساوئ
الرجال تعيش بعد وفاتهم بيما تدفن معهم
حسناتهم مهما عظمت أو تواضعت



مصر فى عهده

انتخاب المصرية شارلوت واصف ملكة لجمال العالم عام ١٩٣٦.. محمد عبدالوهاب يشدو :«إن عشقنا فعذرنا أن فى وجهنا نظر» الجنيه المصرى يساوى ألف فرنك فرنسى عام ١٩٤٢.. أقطاب السياسة ومشاهير الفن (النحاس وأحمد ماهر والنقراشى وأم كلثوم) يقضون الويك اند فى عشش رأس البر.. كابتن الضظوى يحرز ثلاثة أهداف صاروخية مقابل لا شئ فى مرمى الفريق الإيطالى.. الصحافة القاهرية تكتب «أزمة الغلاء هى سبب أزمة الأخلاق والقاهرة - ٢,٥ مليون نسمة- تسجل عام ١٩٤٨ رقما قياسيا فى حوادث المرور يضعها فى قائمة أسوأ خمسين مدينة مرورية فى العالم..

بيرم التونسى ينظم زجلا رائعا فى فساد المحليات.. والجنيه المصرى يفقد ٧٥٪ من قيمته عام ١٩٤٩.. توفيق الحكيم يطالب بتحويل البرلمان إلى مصنع للطائرات وإلغاء الطربوش الأحمر الشفتشى لأنه يتناقض مع الوقار على حد تعبيره.. قصة غرامية للمليونير المصرى (ع) تتحول إلى ملهاة سياسية.. الملك يطلب من أم كلثوم تعديل كلمة فى إحدى قصائدها.. فترفض الطلب !! المخابرات البريطانية تستعين بحفلات الكوكتيل والجميلات لإختراق أعماق الحياة الاجتماعية.. القاهرة تشهد أكبر مسابقة لجمال السيقان !! «حعرفك على كمال بيه شاب جانتى بيرقص كويس وبيلعب تنس» عبارة مألوفة فى حفلات الكوكتيل التى كانت تقيمها أمينة البارودى جميلة جميلات القاهرة والتى تزوجت مطرب الأوبرا الإيطالى أنالورو.. جماعة الفن والحرية برئاسة جورج حنين تعلن ان إفساد عقول الناس هو هدفها الأسمى.. البوليس يستخدم عصى المظاهرات لتفريق الأهالى الباحثين عن أماكن لأطفالهم فى رياض الأطفال !! وإنتقاد السياسة التعليمية التى تضحى بالكيف فى مقابل الكم !! استجواب فى البرلمان عن الخبز المخلوط بالجبس والأسمنت.. وارتفاع سعر القماش الصوف الى ١٩٠ قرشا للمتر وساعة رجالى بـ ٢,٥ جنيه فى محلات بابازيان - ٤٨ ألف مصرى يحجون عام ١٩٥٠ -.. إقالة طلعت حرب مؤسس بنك مصر عن رئاسته وتعيين حافظ عفيفى إرضاء للمحسوبية التى وصفها مكرم عبيد بأنها أصبحت حالة نفسية فى المجتمع المصرى - ٤٠٠٠ من حملة الليسانس يتزاحمون على عشرين وظيفة- !! اليهود المصريون يديرون ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ شركات فى مصر.. تزوير انتخابات البرلمان فى صعيد مصر.. فتحى رضوان رئيس الحزب الوطنى يكتب فى اللواء الجديد عن عهد الكلاب.. درية شفيق تطالب بحق المرأة للترشيح فى البرلمان.. والصحف تشير إلى الملك بكلمة كبير.. البوليس السياسى يحكم قبضته على الحياة السياسية الساخنة المجوجة بالأيدلوجيات المتناقضة والأحزاب المتراشقة.



طاردتنى عبارة الزمن الجميل بإنطباع رومانسى ظللت أبحث عن صداه وأنقب عن محاسنه فى زوايا وثنايا تلك الفترة التاريخية فأطلت النظر فى مرآة الرأى العام أى الصحافة المقروءة بمختلف أتجاهاتها وتياراتها وبكل أسف أحبطنى ما اكتشفت فلم تكن السيادة دائما لألوان قوس قزح .. فما أكثر السواد الذى طالعنى فى صحائفنا آنذاك .. بإستثناء قممنا الفنية والأدبية وتربعنا على عرش الفنون والآداب فى العالم العربى وحتى تكتمل الموضوعية التاريخية .. يتحتم علينا تقييم فاروق ملكا من خلال انعكاسات وانطباعات الإطار الاجتماعى على الصحافة فى عهده .. فهل كان حقا عهداً جميلا أم أنه مجرد شريط ذكريات تم انتقاؤه بعناية وأناقة توارثتها الأجيال إيذانا باجتراره بمجرد الشعور بنقائص الحاضر واحباطاته .. فلكل عهد مشاكله ومنغصاته «ولقد خلقنا الإنسان فى كبد» صدق الله العظيم .

فى مذكراته التلقائية التى تشى بأسرار النفس وانطباعات الذات يصف سعد زغلول مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطنى ورئيسه بأنه كذاب ومخادع وهاجمت صحيفة حزبه (الجريدة) الحزب الوطنى ورمته بالغوغائية وتهييج الرعاع !! وفى خطبته الشهيرة فى الاسكندرية عام ١٩٠٧ أتهم مصطفى كامل أعضاء حزب الأمة وعلى رأسهم الأب الروحى سعد زغلول بأنهم جواسيس للإنجليز وخدام للإحتلال بل أنهم خونة أشرار ويبدو أن الفيلسوف نيتشه لم يذهب بعيداً حين قال «أن الجنون بين الأفراد شئ نادر لكنه بين الجماعات والأحزاب هو القاعدة فى كل العصور!!» .

فقد أشرنا إلى حزب الوفد وإنشقاقاته التى تمخض عنها إنفصال الهيئة السعدية التى أسسها أحمد ماهر والنقراشى وإبراهيم عبدالهادى والكتلة الوفدية لمؤسسها مكرم عبيد .. إضافة للبقايا المتناثرة من أعضاء الحزب الوطنى القديم ومعظمهم من المتشددين يشتهرون بشعاراتهم السياسية العاطفية التى لا تغنى عن جوع ولا تحسم قضية .. ولعل أشهر عباراتهم فى النصف الأول من القرن الماضى تلك التى تنادى «بعدم المفاوضة مع الإنجليز إلا بعد الجلاء» !! فكيف سيتم الجلاء بدون مفاوضات .. وإذا تم الجلاء فما الحاجة إذن للمفاوضات !! من هذا المنطلق رفضوا معاهدة ١٩٣٦ وهاجموها ورفضوا الاشتراك فى التشكيلات الوزارية ولم يكسر هذا الاستثناء إلا فى أضيق الحدود .. ومن إنشقاق حزب الأمة ونتيجة للخلاف الشهير بين سعد زغلول وعدلى يكن خرج حزب الأحرار الدستوريين الذى أسسه عدلى ومن أشهر رؤسائه فى عهد فاروق محمد محمود باشا ومحمد حسين هيكل وعرفت الحياة السياسية أحزاب الأقلية (الهيئة السعدية - الأحرار الدستوريين - الكتلة الوفدية - الحزب الوطنى) تلك الأحزاب التى تآلفت قلوبها فى تشكيلات وزارية لم تصمد طويلا أمام النزعات الفردية لكل حزب .. على الرغم من توافق أهدافها الوطنية فى الجلاء والإصلاح ومأخذها على بعض سلبيات النظام كما حدث فى عريضة المعارضة التى قدمها ممثلو الأحزاب للملك .

وبخلاف تلك الأحزاب شهدت الساحة ظهوربعض الجماعات الأيدلوجية المختلفة إلى حد التناقضات فنجد جماعة الأخوان المسلمين التى أسسها حسن أحمد عبد الرحمن البنا ولد.. بالبحيرة عام ١٩٠٦ وهو ابن لإمام مسجد فى قرية صغيرة وتلميذ من تلاميذ أمام المجددين محمد عبده .. درس الابن (حسن) فى كتاب القرية وفى عام ١٩٢٣ - عام صدور الدستور - والقاهرة مازالت تتثاءب من غفوتها شاءت الأقدار وهو يحط الرحال أن يشاهد مرحلة تغيير ثيابها حيث كانت الدعوة للإصلاح السياسى لا يواكبها إلى تيار إجتماعى جارف متمثلا فى دعوة هدى شعراوى لتحرير المرأة وسفورها ولعلى كامرأة أدرك عمق الدهشة التى أصابته وأمطرته بوابل من الأسئلة المتحفزة والمتخوفة على مستقبل النساء فى الأمة إضافة إلى آثام المدينة التى استشعرها بسليقته الريفية فالقاهرة شأن أية مدينة كبيرة لها آثام كبيرة أيضا وفى عام ١٩٢٧ يتخرج فى كلية دار العلوم ويتم تعيينه فى مدرسة إبتدائية بالإسماعيلية ومن خلال علاقته برشيد رضا أكثر تلاميذ الإمام محمد عبده تشدداً تتوطد صلته بخريجى الأزهر ودار العلوم وفى عام ١٩٢٨ يجتمع بأخص زملائه ويقول لهم : نحن أخوة فى خدمة الإسلام .. إذن نحن الأخوان المسلمون» ويختار لنفسه لقب «المرشد» وتنخرط الجماعة فى السياسة عبر الباب الملكى الذى فتح فى عهد فاروق على مصراعيه أمام الإتجاه الإسلامى بصفة خاصة بتدبير محكم من على ماهر السياسى العتيد لإستغلالهم كعصا تأديبية واستغلال شعبيتهم فى إبتلاع شعبية الوفد المتغلغلة والشيوعيين بصفة خاصة وفى العدد الأول من مجلة النذير عام ١٩٣٨ يكتب حسن البنا : «لنا فى جلالة الملك المسلم ايده الله أملا» ويقترح البنا حل الأحزاب السياسية فهى نظم غريبة لا تلائمنا فى الوقت الذى يدعو فيه لحزب واحد يقوم على المبادئ الإسلامية ويقول «لا ذنب لنا ان تكون السياسة جزءا من الدين وان يشمل الاسلام الحاكم والمحكومين فليس فى تعاليمه ما لقيصر لقيصر وما لله لله ولكن قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار» .. وفى عام ١٩٤٥ يدلى البنا بشهادته فى قضية إغتيال أحمد ماهر ويصرح أن عدد أعضاء

كتاب تذكارى

جماعته لا يقل[171] عن نصف مليون عضو وفى عام ١٩٤٨ تتشعب الجماعة لما يقرب من ألف شعبة وتنتشر فروعها فى البلدان العربية وتتخذ الجماعة من القميص الأصفر زيا رسميا لفرق جوالتها ويعلن البنا إعجابه بالنظم الفاشية فى ألمانيا وإيطاليا وأبان الحرب العالمية الثانية تطلب السلطات البريطانية من حكومة حسين سرى الحد من نشاطه فيتم نقله من القاهرة إلى قنا ومصادرة مجلة المنار الشهرية ولكن بضغوط من بعض الشخصيات السياسية البارزة يتم إلغاء النقل .. ليزداد موقف جماعة البنا عدداً وعدة حتى أصبحوا القوة العسكرية الأولى بين الجماعات السياسية يدفعهم حسن تنظيمهم وتعدد مواردهم المالية من مختلف البلدان العربية وخاصة من السعودية حيث حظيت الجماعة برعاية الملك عبدالعزيز آل سعود إضافة إلى ملكيتهم لبعض المشاريع والشركات أما قضية فلسطين فكانت شغلهم الشاغل .. فتشكلت كتائب الأخوان فى فلسطين فكانت مشتعلة ألهبت الشعور الدينى فى البلاد لمواجهة العدو الصهيونى !! وعلى الرغم من عداوتهم التقليدية مع حزب الوفد (قتل أحد الوفديين ببورسعيد فاشعلوا النيران فى مركز الأخوان) إضافة للتراشق بينهما والذى كان يصل احيانا إلى حد الهجاء الشعرى فيسبهم القطب الاخوانى صالح عشماوى فى جريدة الإخوان:

قوم إذا صفعت النعال وجوههم
شكت النعال لأى ذنب تصفع

ولكن فى عهد وزارة الوفد (١٩٤٢) تجسدت قمة العداء بين الأخوان الموالين للقصر والوفديين فأستبعد الشيخ المراغى ومنح أجازة مرضية مفتوحة إنتهت بإقالة حكومة الوفد وبعد وفاته تولى الشيخ مصطفى عبدالرازق رئاسة الأزهر الذى كان يخضع بثقلة الدينى لسلطات الملك المباشرة والمستمدة من لوائح دستور ١٩٢٣ .. وباستثناء مرحلة الكفاح المسلح فى القناة عام ١٩٥١ حتى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ لم يحدث أى توافق ملحوظ فى الاتجاهات والرؤى بين الوفد والأخوان.

عام ١٩٤٦ تشهد الجماعة انعطافا ملحوظا من قبل الحكومة لمهادنتها ولن يطول الوقت حتى تكتشف الجماعة أن الكتاكيت لا تلقى إعتباطا .. فهم مخلب قط لمواجهة النشاط الشيوعى الذى قضى عليه صدقى بحملته الشهيرة عام ١٩٤٦ وبانتهاء الهدنة بينهم وبين حكومة صدقى بدأت الجماعة سلسلة من الانفجارات المدوية فدبرت الجماعة إغتيال وكيل محكمة الإستئناف الذى كان يتولى التحقيق فى قضية أمين عثمان وإغتيال اللواء سليم زكى رئيس القلم السياسى وحكمدار العاصمة - سلسلة انفجارات فى المحلات الكبرى «بنزايون - جاتينيو وحارة اليهود - محطة ماركونى للاسلكى» إضافة لإكتشاف معسكر سرى لتدريب المتطوعين للزود عن فلسطين فتتكهرب الأجواء السياسية ويتوجس الملك خيفة فقد أيقن مدى قوتهم الفعلية الأمر الذى افضى إلى صياغة تقرير خطير يحذر من نشاط الجماعة متضمنا توصيات الأمن العام بتصفية نشاط الجماعة نظراً لرغبتها فى قلب نظام الحكم والإستحواذ على السلطة ونتيجة لتضافر المصالح الوطنية مع المصالح السياسية قامت حكومة النقراشى بحل الجماعة وتصفية نشاطها ومصادرة أموالها وهكذا كتب النقراشى شهادة وفاته حيث تم اغتياله على يد عبدالمجيد حسن أحد أعضاء الجهاز السرى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ .. لتبدأ الجماعة حقبة جديدة خرج بمقتضاها التنظيم السرى عن سلطة الجماعة فاستنكر مرشدها هذه الحوادث الإرهابية وأصدر بيانه الشهير «ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» ويغتال البنا فى عهد وزارة إبراهيم عبدالهادى فى فبراير ١٩٤٩ ويتم حفظ التحقيق لعدم التوصل للفاعل فى محاولة للتستر على الجناه .. ويعين حسن الهضيبى خلفا للبنا ويعاد التحقيق مرة أخرى وفى عام ١٩٥٤ يصدر الحكم بالسجن خمسة وعشرين عاما على كل من المخبر[172] أحمد حسين جاد والأميرالاى محمود عبدالمجيد بالسجن خمسة عشر عاما وفى عام ١٩٥١ يصدر مجلس الدولة قراراً بعدم مشروعية قرار حل الجماعة فتعاود نشاطها مرة أخرى وتتوطد صلتها بالضباط الأحرار من خلال تعدد قنواتها داخل الجيش وبعد نجاح الثورة تتجلى الاختلافات الأيدلوجية بينهما بما يحول دون أى تقارب».

مصر الفتاة

أشهر الجماعات الأيدلوجية التى عرفتها مصر قبل الثورة أسسها السياسى الكبير أحمد حسين عام ١٩٣٣ وفى نفس العام أعلن اعتراضه على النظام البرلمانى منذ صدور دستور ١٩٢٣ قائلا : «عشر سنوات ضاعت وتأخرت بها الأمة عشرين عاما إلى الوراء .. ضاعت بين خطب ومناقشات ومفاوضات وخلافات حزبية ونيران مستعرة وبرلمان يشاد ويهدم» ولا يجد غضاضة فى أن يعلن عن اتجاهاته الفاشستية فيكتب : «أن الفكرة التى أوحت إلى موسولينى بالقميص الأسود فى إيطاليا والتى أوحت لهتلر بالقميص البنى فى ألمانيا هى التى أوحت إلينا ان نفعل مثلهم» وهكذا أتخذ شباب مصر الفتاة من القميص الأخضر زيا ومنهاجا ولعل الوفد سارع بمناوئتهم فاتخذ شبابه من القميص الأزرق فى محاولة لصياغة التوازن اللونى والحزبى والأيدلوجى بين الوفد ومصر الفتاة وتتأكد أول صفات أحمد حسين كسياسى ذائع سليط اللسان .. كما كان يطلق عليه الملك وفى خصومة سافرة مع الوفد يفتح النيران عليهم فيقول :

«لابد من انقلاب لابد من قوة ولابد من التضحية أننا نحاول إصلاح العجلة القديمة عبثا .. لابد من تحطيمها وإعادة بنائها .. هذا هو الإنقلاب الذى تحتاجه البلاد .. إنقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفداً أو نحاسا أو مكرماً أو برلمانا» وتعلن مصر الفتاة أن إقصاء الوفد عن الحكم هو أقصى أمانيها .. ويرد النحاس ويرميهم بالعمالة ويطلق على أحمد حسين لقب دسيسة .. ويستغل القصر هذا العداء المشترك كما حدث مع الأخوان فيناصرهم على ماهر فى أوائل الأربعينيات ومن خلالهم يتمكن الملك من نقل رسائله إلى هتلر .. وفى سنى الصبا ينخرط الشاب جمال عبدالناصر فى مصر الفتاة .. المتمردة وتندمج الجماعة فى سياق شعارها الشهير «الله - الوطن - الملك» فتضفى مسحة دينية سطحية على برامجها وإتجاهاتها .. فتدعو لإغلاق المدارس الأجنبية ذات الصبغة التبشيرية ويتغير اسم الفتاة إلى الحزب الوطنى الإسلامى وتتعرض للمضايقات الإنجليزية التقليدية ويقوم حسين سرى بحلها وايقاف نشاطها وتتخبط إتجاهاتها الثورية بين النزعتين الإسلامية والإشتراكية وفى عام ١٩٤٨ يتغير اسم الحزب إلى الحزب الإشتراكى .. ويبدو أن الجماعة وجدت ضالتها الأيدلوجية فى هذا المستقر فيدعو أحمد حسين لتأسيس الولايات المتحدة[173] العربية وفى جريدة الإشتراكية يقترح إبراهيم شكرى عام ١٩٥٠ المساواة فى الملكية بين جميع الملاك بحيث لا تتعدى خمسين فدانا ونزع الزيادة مقابل سندات بقيمة الأطيان المنزوعة وتوزيع هذه الأطيان على المزارعين وفى جريدة مصر الفتاة يكتب أحمد حسين مقالات نارية تشعل الرأى العام وتستخدم كلمة الثورة بكل ما تحمله من فاعلية وايجابية لمواجهة الفساد فيقول «أصبحت مصر توصف بأنها مجتمع منحل استشرى فيه الفساد!!» نحن نريد نظاما لا تكون فيه الكلمة للجهال وهم فى كل مكان الأكثرية .. فى نهاية الحساب الختامى للحزب يوجه لمؤسسه تهمة تدبير حريق القاهرة ويتم إعتقال أحمد حسين .. إضافة إلى نصيبه الوافر من قضايا العيب فى الذات الملكية ! (خمس قضايا) .



الحركة الشيوعية

يؤرخ لأول حزب شيوعى عرفته مصر بعام ١٩٢١ ففى غمار ثورة ١٩١٩ نسجت القوى الشيوعية خيوطها العنكبوتية فى قلب المجتمع العمالى البكر آنذاك وفى عام ١٩٢٤ يتعرض الحزب لهزة عنيفة من خلال تقليص نشاطه على يد حكومة سعد زغلول نتيجة لقيامهم بتدبير المظاهرات والأضطرابات العمالية وفى معظم وحدات الجيش .. فى البداية أخذت العناصر الأوروبية (الإيطالية واليونانية) على عاتقها عبء

التنظيم والرئاسة وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية يتبلور الفكر الإشتراكى فى مصر كتيار قوى فاعل فتبدأ حركة الترجمة بنقل سلسلة من المؤلفات والمجلات الأسبوعية المعبرة عن هذا الفكر على حد تعبير خالد محيى الدين ويتغلغل التيار الاشتراكى فى المجتمعات الطلابية والعمالية وبعض التنظيمات السرية .. حتى أن النبيل عباس حليم يترجم هذا التيار الوافد فى تأسيس حزبا للعمال يتولى رئاسته فيتعرض لسخرية الحركة الشيوعية وتطلق عليه «حزب أفندينا» تهكماً ومن ضلع الحركة الشيوعية «حدتو وايسكرا على وجه الخصوص» تنطلق بعض الاتجاهات اليسارية أبرزها جماعة الفن والحرية التى أسسها جورج حنين وكامل التلمسانى وأنور كامل وفى مجلة «التطور» الناطقة باسم الجماعة يكتب الأخير : «إن كان فى تحرير[١٧٤] العقول من الخرافات والأساطير الرجعية إفساد .. وإن كان فى تحرير الناس من الرق والعبودية إفساد فنحن نعلن أن رسالتنا فى الحياة هى إفساد عقول الناس» وتنعت المجلة الرأسمالية فى مصر بحداثة العهد لذلك فأصحاب رؤوس الأموال لديهم صفات محدثى الثراء !!! وتطالب بنصيب وافر لكل فرد من الشعر والخبز فى مجتمع فاقد لإتزانه شبابه المتعلم يعانى الكبت والحرمان وسواد الشعب يئن من البؤس والفقر!!»

وفى عام ١٩٥١ أصدرت منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) مجلة «الفجر الجديد» و «الملايين» وهما ذات صبغة ماركسية تعبران عن التيار اليسارى الشهير بانتقاداته اللاذعة ونقرأ أسماء كوكبة من ألمع الأسماء تشترك فى تحريرها عبد الرحمن الشرقاوى وعلى الراعى ونعمان عاشور وأحمد رشدى صالح ومأمون الشناوى والطالب صلاح حافظ وتفاجئنا مجلة «الملايين» بأن المفكر الإسلامى الكبير سيد قطب هو كاتبها الأول وفى عددها الأول يقول:[١٧٥]«نحن أمة تنهار وهى تتحدث عن الجلاء والوحدة – أمة تعيش فى عهود الإقطاع وتتحدث عن الدستور والبرلمان .. أمة تموت من الجوع وهى تقيم المعارض والتماثيل .. أمة تشرب من وحل البرك وهى تنشئ حمامات السباحة .. ان الأمة التى تهرب تموينها وتجوع وتنتهى إلى أن يصبح الاستثناء فيها هو القانون والرشوة هى العرف السائد والمحسوبية هى طريق الوصول هذه الأمة فى حاجة إلى أن تتحدث عن أشياء أخرى غير البرلمان والدساتير والتمثيل السياسى فهى بحاجة لأن تنظف الدار وتبحث عن لقمة من الخبز وجرعة من الماء النظيف» .. وفى مقال آخر يقول : «نحن أمة من المتعطلين أمة لا تتقدم لأننا أمة لا تعمل ولا تنتج أمة مواردها تكفل الحياة لخمسين مليونا وهى لا تقدر على إطعام عشرين .. أمة ترضى بالهوان الذى يأنف منه العبد .. لأن الشعب لا حساب له فى أداة الحكم ولا أداة الرأى ولا أداة التشريع !! لماذا لا نواجه الحقائق لماذا لا نجهر بما يقوله الناس فى كل مكان .. لماذا لا نقول أن أحدا فى هذا البلد لا يعمل شيئا لحساب البلد وأن امرا لا يتم فى هذا البلد إلا وراءه مصلحة لشخصية ما أو لشركة ما أو لجهة ما إن الملايين ليس لها حساب على الإطلاق فى كثير أو قليل .. لماذا لا نعلن أن البوليس السياسى هو الذى يدير البلد فى كل عهد لأن رجال كل عهد فى حاجة لحماية هذا البوليس» !!!



ويكتب مأمون الشناوى عن حرية الأكل ويقول : «أن فى مصر ١٥ مليونا من أبنائها لا يزيد دخل الفرد فيهم على ثلاثة قروش فى اليوم وأن الدولة توفر الجوع لثلاثة أرباع رعاياها» وفى الصفحة الأخيرة نقرأ قصيدة سياسية لاذعة لشاعر مجهول لم يكتب أسمه فيكون ذلك أدعى للبحث والتنقيب وتعلم الملايين[١٧٦] سرا أنها للشاعر مأمون الشناوى :

يا ترسملونا   يا تبلشفونا
يا تموتونا   وتخلصونا
إن كلنا لقمة   بتكون بدقة
ونص شقة   وان قلنا لأ
يتحبسونا
يا ترسملونا   يا بتلشفونا
أحنا اللى نشقى   ونبص نلقى
خراب وسرقة   من عند برقة
لحد سيناء
الموت قبالنا   كرب حالنا
ومهما قلنا   الفقر خالنا
والجوع أبونا

وهكذا حذرت الملايين من الفروق الطبقية وقضايا العدالة الاجتماعية والفساد وأرتفاع الأسعار وبذلك نجحت فى تحريك دوامات المعاناة اليومية إلى قضايا فكرية تشغل الملايين وتزيدهم سخطا كلاميا وليس فعليا !!!

فإذا تطرقنا للصحف المعبرة عن أحزاب الأقلية .. سنجد أن تشعب إنتقاداتها لا يقل كثافة عن الصحف الممثلة للتيارات الأيدلوجية إضافة إلى أن صحف الأحزاب كانت تفتقد توازنها النقدى أيضا وتسقط فى حيز التجاوزات خاصة إذا هاجمت الأحزاب الأخرى .. ففى جريدة الأساس (الناطقة بلسان السعديين) تهاجم الجريدة فى اوائل يوليو ١٩٥٢ سياسة طه حسين التعليمية وتقول : «تم تحويل الدراسة إلى استظهار للمعلومات النظرية بقصد تخطى الامتحان فضحت الوزارة فى سبيل تضخم عدد المقبولين بالمدارس بالكيف وهو خطأ فادح فالأمة التى تضحى بالكيف فى سبيل الكم هى[١٧٧] أمة تنتحر» !!! وبنفس المسوغات تقود جريدة الوفد المصرى وصوت الأمة صحيفتا حزب الوفد حملتهما من أجل رفع المعاناة عن الشعب والمناداة بالديمقراطية والدستورية الشرعية!

وفى عام ١٩٤٦ تطالعنا روزاليوسف بطلقات نارية للثائر الشاب المبدع إحسان عبدالقدوس – ٢٧ عاما – ونقرأ كلمة ثورة فى مقال ينعى جيله فيقول : «نحن فى حاجة إلى ثورة نقضى بها على جيل من الساسة أفسدته الأيام ولوثته الأغراض .. ثورة نستبدل بها هذا الجيل بجيل أخر .. نحن فى حاجة إلى ثورة نرفع بها الفلاح والعامل والموظف .. نحن بحاجة إلى ثورة نسوى بها أعالى الأمة بأسافلها وفى عام ١٩٥٠ يكتب يائسا من محاربة الفساد «سيبقى الفساد فى مصر وتستطيع أن تغمض عينيك ثم تدس يدك فى أى مكان لتخرجها ملوثة بأسانيد الرشوة والإختلاس .. أنه فساد تسأل عنه السياسة العامة والعقلية اللتان تسيطران على اشخاص الحاكمين وإلى ان تتغير هذه السياسة .. فلا أمل فى الأقلام لأن الأقلام مهما كشفت عن مواطن الفساد فلن تكشف عن كل موطن !!»

وفى عام ١٩٤٩ – القاهرة ٢,٥ مليون نسمة – تطالعنا مجلة آخر ساعة برؤوس الموضوعات التالية : «الحصول على مقعد فى أحدى المدارس أصعب من الحصول على مليون دولار فالفصل الذى كان يضم خمسة عشر تلميذا أصبح الآن يضم خمسين أو ستين وأحيانا سبعين تلميذا !!! ومن المؤلم أن عددا كبيرا من طلبة المدارس الثانوية والابتدائية قضوا فى العام الماضى أربعة شهور فى البحث عن أماكن خالية فى المدارس .. حتى رياض الأطفال تعانى أزمة شديدة فهناك مئات الأطفال الذين لم يتمكنوا من الحصول على أماكن خالية فى المدارس المجاورة لمنازلهم» !!! وفى موقع آخر نقرأ إختفاء اللحوم والأسماك من قوائم وجبات المدارس وارتفاع سعر الوجبة من ٢٠ مليما إلى ٤٠ مليما بعد حرب فلسطين !!! ونقرأ عن الأسعار والغلاء هذا العنوان «أزمة الغلاء هى سبب أزمة الأخلاق» الجميع يشكون من الغلاء المستهلك والتاجر والمالك والمستأجر .. وهبوط القوة الشرائية للجنية بنسبة ٧٥٪ فأصبحت قيمته الفعلية لا تساوى ٢٥ قرشا !!!.

لحن عبد الوهاب قنبلة ذرية

وفى نفس العام يعترض الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب عن وصمه بتجارة الألحان ولنقرأ معا هذا التصريح الطريف الذى أعقب حرب ١٩٤٨ : «يطلب البعض منى أن أنظم لهم ألحانا حماسية تشعل النار فى النفوس وتدك الجبال دكا .. يطلبون منى أن أخرج أناشيد يرددونها وهم سائرون حتى تفتح لهم الأمصار وتنهار الحصون أمامهم دون مدافع أو قنابل .. هل اللحن يا ناس قنبلة ذرية !! هل

فرأتم أن أحدا من الناس طلب يوما من شوبان أو بيتهوفن أن يلحن قطعة لكي يرددها الناس فيقتحمون روسيا مثلا !! هل تتصورون أن إذاعتنا تعاملنا كما يعامل بائع الأقمشة زبائنه أو تاجر الخضار والفاكهة .. محطة الإذاعة عندنا لا تقيم القطعة التي تقدم لها بقوة اللحن أو جماله أو روعته ولكنها لا تعترف إلا بشئ واحد فقط وهو عدد الدقائق التي يستغرقها المطرب في أداء اللحن وكلما زادت الدقائق كان الأجر كبيرا .. هذه تجارة مسلي أو بيض .. وبعد كل ذلك يقولون أن محمد عبدالوهاب «متبغدد» على جمهوره وهأنذا شرحت لكم بعض ما أغانيه وما خفي كان أعظم !!» .

أما كوكب الشرق فتعاني من مشكلة فنية مزمنة خلال عهد فاروق فأثناء الحرب العالمية التي ألقت بظلالها على الحياة العامة في مصر وإبان اشتداد الأزمة الاقتصادية كانت أم كلثوم حريصة جدا على مواكبة الشعور العام للأمة .. فعلى سبيل المثال اهتدت بذكائها لغناء سلو قلبي لشوقي عام ١٩٤٦ «وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا» وغلبت أصالح في روحي عام ١٩٤٨ وقصيدة «ولد الهدى» وارجأت جانبا أغانيها العاطفية حتى تنقشع هذه الغمامة ولكنها فوجئت برسالة غير مباشرة من القصر ممثلة لرغبة الملك في حذف أو تعديل كلمة (الاشتراكيون) من البيت الشعري للقصيدة ومسمعه :

الاشتراكيون انت أمامهم   لولا دعاوى القوم والغلواء

خوفا من صدى كلمة «الاشتراكيون» حين تتغنى بها أعظم مطربة في العالم العربي .. فكان طلبا يدعو للسخرية والتهكم ويشير الى عمق كراهية الملك لشبح أي بوادر يسارية حتى لو كانت كلمة في أغنية لا ترتبط من قريب أو بعيد بالأيدلوجيات السياسية !! وفي عام ١٩٥١ بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ألهبت الحماس الشعبي بقصيدة مصر تتحدث عن نفسها لحافظ إبراهيم وفي نفس العام - ١٩٥١ - تشهد القاهرة أكبر مسابقة لجمال السيقان ونقرأ في الصحف : «سهرت القاهرة ليلة كاملة تناقش فيها مسابقة جمال السيقان ويصرح أحد الرياضيين انه يستطيع إذا تعهد طفلة صغيرة ان يجعل لها سيقانا بديعة من خلال الرقص التوقيعي وركوب الدرجات وبعض التمرينات الرياضية ويؤكد خبراء الجمال أن السيقان المصرية الجميلة ذات اللون الخمري مازالت مختفية وراء الملاءات اللف لذلك فقد فازت البريطانية «ألسي اكويلينا» بلقب صاحبة أجمل ساقين في مصر لعام ١٩٥١ !!!

وعلى غرار مسلسل إختفاء صدام حسين - قبل العثور عليه - نقرأ تحقيقا أوربيا مترجما يشكك في وفاة هتلر ويؤكد أنه مازال حيا وأن ذلك يقين كل من ايزنهاور وتشرشل وستالين فهم جميعا يعتقدون أنه هرب بغواصة مائية مجهولة من ألمانيا إلى النرويج أو الأرجنتين ثم اختفت فقد جاءت القنبلة الذرية واستسلام اليابان ومحاكمات نورمبرج فانشغل الناس عن سر هذه الغواصات فوراءها يكمن لغز اختفاء هتلر الذي مازال حيا .. فقصة موته في برلين مسرحية رخيصة ملفقة فسائقه لم ير الجثة وهي محترقة فقد كانت مغطاه لكنه شاهد حذاءه فقط .. ومن الطريف أن هتلر توفي عام ١٩٤٥ وتاريخ نشر هذا التحقيق الصحفي عام ١٩٥١ !!! عجبا ما أشبه اليوم بالبارحة !!!

البرلمان

في عام ١٩٣٨ نشر توفيق الحكيم مقالا ساخراً ينتمي لمدرسته الفكرية المتهكمة : «أنا عدو المرأة والنظام النيابي لأن طبيعة الأثنين في الغالب : الثرثرة.. فالديمقراطية التي تفهمونها في مصر لا يجب ان تبهركم بالألفاظ الأوربية والنظم الأجنبية .. لا ترددوا في إتباع ما فيه النفع الحقيقي وترك ما فيه الغرم وضياع الوقت فإذا أتضح لكم يوما أن البرلمان وما ينفق عليه من آلاف الجنيهات غرم لا غنم فيه فحولوه في الحال إلى مصنع طائرات يحتشد فيه بدلا من جموع الأعيان أفواج العمال المصريين من أولئك المتسكعين العاطلين أنكم في حاجة إلى معمل إنتاج لا كلام فانهضوا في الحال إن الذي أفسد بلادنا هو تعطيل ذوي المواهب يحتشد بعضهم ضد بعض في اقتتال عنيف لم تكن له نتيجة إلا تحطيم الجميع سوف يجئ اليوم القريب الذي اذكركم بنصيحتي صائحا قلنا لكم كده قلتم أطلع من البلد .. لقد كان غرضي العمل المنتج وليس الثرثرة الفارغة .. وهكذا صرت عدوا للمرأة وللنظام البرلماني وهي عدواة موقوتة تزول بزوال أسبابها ويفضي المقال إلى نتيجة مؤسفة فيتعرض كاتبه الذي كان يشغل منصب مدير إدارة التحقيقات بوزارة المعارف لخصم خمسة عشر يوما من راتبه !!! ونظرة سريعة على جلسات البرلمان عام ١٩٤١ أثناء الحرب العالمية الثانية .. حيث المعاناة العامة من ندرة بعض السلع أو اشتعال اسعارها فيشكو النائب «محمود أبو رحاب» من وجود بعض أرغفة الخبز المخلوطة بالأسمنت .. تباع جهارا نهارا في المخابز ويضيف زميله الغنام قائلا : الجوع كافر .. وقد رأينا في القاهرة أفراداً من الشعب يهجمون على المخابز ويخطفون الخبز لأنهم يشعرون بالجوع !!! وفي عام ١٩٤٢ تفاقمت أزمة السلع الغذائية فأختفت بعض السلع تماما والكيروسين وأصبحت البلاد على شفا مجاعة محققة !! نتيجة لتعطل التجارة بسبب ظروف الحرب العالمية !! وفي نفس العام يتقدم أحد النواب بسؤال للدكتور هيكل وزير المعارف عن جدوى النفقات المالية التي تتحملها ميزانية الدولة للأعتناء بتحديث المصطلحات والكلمات الجديدة في المجمع اللغوي .. فشرح د. هيكل أن انجازات المجمع .. وغاياتها الأسمى ظهور المعاجم تيسيرا على الباحثين في شئون اللغة فيعلق النائب ما الذي تستفيده مصر من كلمات عرعور ومشطور وجمان حتى تبلغ نفقاتها ما يقرب من ستين ألف جنيه فيضحك د. هيكل ويؤكد أن عرعور ليست من الكلمات المتداولة في المجمع !!! وفي عام ١٩٤١ أيضا حكومة - حسين سري - انتهكت الحصانة البرلمانية للنائب حامد جوده وتم إلقاء القبض عليه اثناء انعقاد الدورة البرلمانية !!! أما النائب عبدالحميد عبد الحق - الوزير الوفدي - فقد أستقال من حزب الوفد بعد نجاحه في الانتخابات وحجته ان العدالة والحرية لا يكفلها الدستور والقانون وحده فلابد من تغلغلها وتعمقها في وجدان الأمة وضميرها !!!



وفي عام ١٩٤٢ تتصدى نعيمة الايوبي لمشروع قانون فرض زي موحد للسيدات وتصفه بأنه وصمة في جبين مصر لا السيدات فقط .. فنساء مصر يتخذن من المعنويات نقابا ومن الأدب احتشاما وحجابا .. فهي أروع الحجب وأصدقها!

وفي مجلس الشيوخ يضطر زكي العرابي رئيس المجلس لرفع احدى جلساته لعدم اكتمال العدد القانوني ويطلب تعديل لائحة المجلس بحيث يمكن عقد الجلسات دون الارتباط بعدد معين اسوة بالبرلمان الإنجليزي فمجلس اللوردات يكتفي بحضور ثلاثة أعضاء فقط من بين ٦٠٠ عضو ومجلس العموم بحضور ٤٠ من بين ٦٤٥ عضوا .

في عام ١٩٤٧ حصرت وثائق السفارة [١٧٨] الأمريكية عدد اليهود في مصر بحوالي ٨٠ ألف يهودي وكانوا يشكلون جزءاً من الجاليات الأوربية التي تم تمصيرها وحصل معظمهم على الجنسية المصرية ففي عام ١٩٢٤ عرفت مصر أول وآخر وزير يهودي في تاريخها وهو يوسف أصلان قطاوي الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة زيور باشا وهو الذي أصدر العملة البرونزية من فئة المليم ونصف المليم لدقة المعاملات التجارية والبنكية .. وطالب أخيه اصلان قطاوي عضو مجلس النواب بعودة تمثال نفرتيتي من ألمانيا وتمصير المشروعات الرأسمالية التي استأثر اليهود بمعظمها .. ففي عام ١٩٤٢ كانوا يديرون ما يقرب من ١٠٣ شركات [١٧٩] من مجموع ٣٠٨ شركات في مصر .. أما البورصة والبنوك فكانت تخضع لسيطرتهم المتشعبة من خلال مشاركتهم في تأسيس بعض البنوك مثل : «البنك التجاري المصري - البنك العقاري المصري - البنك الأهلي المصري - البنك البلجيكي - شركة الاسكندرية للتأمين - شركة التأمين الأهلية» .. ومن خلال مشاركة أسرهم الغنية امثال قطاوي وهراري وموصيري وسوارس (مخترع العربات السوارس) اضطلع يهود مصر في

تأسيس بعض الشركات الكبرى (مساهمة البحيرة - أراضى الدلتا) فى عام ١٩٠٨ تأسست جماعة بنى صهيون بالاسكندرية واعلنت تأييدها لموتمر بال وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ تواجدهم يثير الشك والريبة فقام اصلان قطاوى بتأسيس جماعة لمعاداة الصهيونية التى كان يرى انها تسئ ليهود العالم كما ارسل رينيه قطاوى (رئيس الجالية بمصر) رسالة إلى ليون[١٨٠] كاسترو ممثل الوكالة اليهودية بمصر مؤرخة بتاريخ ١٩٤٥ ومودعة بأرشيف المتحف البريطانى يحذر فيها من خطر الممارسات اليهودية بمصر بما يؤدى إلى تشكيك الشبان اليهود فى ولائهم للبلد الذى نشأوا فيه وعاملهم بترحاب وأن هذه الممارسات يتحملها الاتحاد الصهيونى وحده لأنها تودى إلى استفزاز الرأى العام المصرى .. ويحذر قطاوى من خطورة الدعاية المغرضة للهجرة الى أرض الميعاد وخاصة للشباب فيقول : «إننا يهود ومواطنون فى بلد ديمقراطى نعتقد أن لكل يهودى كامل الحرية فى اعتناق ما يشاء من افكار ولكننا نعترض على الأنشطة اليهودية الجماعية التى تضر باستقرار الجالية وغالبية المجتمع المصرى التى تعتبر الجالية اليهودية نفسها جزء منه !!!».

وهكذا تغلغل يهود مصر فى الأربعينيات فى شرايين الحياة الاقتصادية يعضدهم بعض القوى الرأسمالية البرجماتية التى غضت الطرف عن نشاطهم المتجاوز أمنيا نتيجة لتسلل العناصر الصهيونية المخربة والمتآمرة وفى يناير ١٩٤٨ وافق مجلس النواب على مشروع قانون مكافحة الصهيونية فى مصر وبعد حرب فلسطين يشتعل الشعور الوطنى ويتجه الرأى العام للربط بين الحركة الصهيونية والوجود اليهودى فى مصر بصفة عامة فيتم تفجير حارة اليهود وبعض محلاتهم الكبرى (بنزايون - عدس ...) ويتورط جهاز البوليس السياسى مع رجال القصر فى أسوأ فساد فيتم القبض على بعض نشطاء الحركة الصهيونية وتعينهم بالاسم من خلال الأتفاق مع رجال الحاشية .. على أن يتم الافراج عنهم عن طريق بعض الوسطاء لرفع الحراسة عنهم مقابل أتاوة رفيعة المستوى لطخت صورة الملك والحاشية التى ذكر بعض أفرادها ذلك فى محكمة الثورة !!!



وفى خضم المهاترات السياسية والخصومات الحزبية نقرأ وقائع فضيحة غرامية مالية للمليونير الشهير ورجل الصناعة (ع) ففى عهد وزارة محمد محمود تقدم المليونير بطلب للحصول على إعانة مالية لأحدى شركاته المتعثرة ويقع تحت يد رجال حزب الوفد بعض الخطابات الغرامية المتبادلة بين المليونير ومحبوبته وهى سيدة متزوجة كانت تقطن فى باريس تمهيدا لانفصالها عن زوجها وفى رسالة لها تستفسر عن سبب تأخره فى ارسال الحوالة المالية المعتادة .. فيخبرها انه يمر بظروف مالية حرجة ويتطلع للحصول على اعانة مالية فى القريب العاجل فتنشر صحف الوفد نص الخطابات المتبادلة بين الحبيبين وتتصل الصحيفة بالزوج وينشغل الرأى العام بتفاصيل القضية ومرافعتها .. ويستنكر (ع) سلوك رجال الوفد ويقول : لم أتخيل ان حزب الوفد العريق ينساق وراء هذه الصغائر وينشر خطابات غرامية .. ويهدد (ع) بأنه يمتلك خطابات من بعض السيدات لزعماء الوفد ولكنه كجنتلمان قام بتمزيقها وفى يوليو ١٩٣٨ تنشر مجلة روزاليوسف هذا الزجل الساخر تخليدا لذكرى هذه الفضيحة التى تحولت إلى كوميديا غرامية :

الأوله فين عيون جوليت تشوف
فيكى أبو الشركات وقع مادريش
والثانية راحت عليه بالجملة عاديكى
ما فيش إعانات ولا بقشيش
والثالثة يا وزارة ماكانش العشم
فيكى أدوخ سنوات ودفع مفيش

وفى خضم مسلسل الفساد الإدارى يعد الأثرى الكبير سليم حسن من أبرز ضحايا عهد فاروق وعلى ماهر فلم تشفع مكانته العلمية الرفيعة واكتشافاته الأثرية واهمها اكتشاف مقبرة رع اضافة لعشرات المؤلفات والمجلدات الموسوعية عن آثار مصر .. ومنصبه كمدير عام للمتحف المصرى .. بينما كان يشغل الأب دريتون الفرنسى مدير مصلحة الآثار .. وتعود جذور الخلاف بين فاروق وسليم حسن إلى عهد والده الملك فؤاد الذى استحوذ على بعض القطع الآثرية ولكنه أوصى بتسليمها إلى المتحف المصرى .. وبعد وفاته طالب فاروق بهذه الآثار مدعيا أنها آثار والده كما لو كانت ملكية خاصة فأعترض سليم حسن واشترط أن تسجل هذه القطع فى سجلات المتحف المصرى باعتبارها من ممتلكات الدولة وعهدة لا يمكن خروجها دون إثباتها إلا بعد موافقة البرلمان !! ويتكرر طلب فاروق ويتمسك سليم حسن بموقفه وهكذا اسدلت ستائر الظلم على سليم حسن فمن الذى يعصى أوامر السلطان دون أن يتعرض للقهر والنسيان .. ويقدم الرجل إلى محكمة الجنايات ويعلن النائب العام أن حظه التعس هو الذى أوقعه فى براثن قضية جوهرها الظلم قبل أن ينظر فى تفاصيلها فتؤجل القضية مراراً ويطلق على ماهر عليه لقب النائم العام سخرية .. وتنتهى مأساة سليم بإحالته إلى المعاش فى سن الثانية والأربعين ويجمد العالم الجليل ويفضل أن يكون كما قال الشاعر : عش عزيزاً أو مت وأنت كريم فلم يجد عزته إلا فى نزاهته ومن ثم فقد مات كريما فى منصبه واستمر الحال هكذا طوال عهد فاروق .

فساد المحليات

فى أحدى جلسات مجلس الشعب منذ عدة سنوات أطلق د. زكريا عزمى عبارة شهيرة سرعان ماذاع صيتها إعلاميا «الفساد فى المحليات وصل للركب» وبعين الدهشة والتأمل استوقفنى هذا الزجل الجميل الساخر لشاعرنا الكبير بيرم التونسى فلم يخطر ببالى يوما أن مشكلة المحليات تعود بجذورها إلى العهد الملكى أو أكذوبة الزمن الجميل يقول الزجل :

قد أوقع القلب فى الأشجان والكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البلدى
إذا الرغيف أتى فالنصف آكله
والنصف أجعله للمجلس البلدى
كأن أمى بل لله تربتها أوصت
وقالت أخوك المجلس البلدى
أمشى وأكتم أنفاسى مخافة أن
يعدها عامل المجلس البلدى
وإن جلست فجيبى لست أتركه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدى
أقسمت ألا أدخل الجنة عن ثقات
فى الحشر إن قيل فيها المجلس البلدى

وفى عام ١٩٤٤ يطلق توفيق الحكيم صرخة تقدمية مطالبا بالإقلاع عن ارتداء الطربوش بلهجته الفلسفية الساخرة فيقول : «الطربوش من ملابس الحريم ولا يليق بالرجال فكيف يسمح رجل لنفسه ان يلبس هذا الطربوش ذا اللون الأحمر الشفتشى والزر الأسود .. لقد كانت السيدات اليونانيات إلى عهد قريب يلبسن الطربوش كما كانت سلطانات الأتراك يلبسنه أيضا وربما كانت عدواتى القديمة للمرأة أثر فى هذا الرأى .. فمن الأفضل خلع الطربوش وارتداء القبعة لاسباب صحية واجتماعية ولمركزنا الدولى بين الأمم ذات الحضارة .. يدهشنى الذين يستكبرون لبس القبعة وكونها تقليدا للأوربيين وهو قول عجيب لأن مصر الصغيرة ليست أعز على نفسها من اليابان الشرقية العتيدة وقد خلعت كل اثوابها القومية من أردية مزركشة بل أن مليكها (ابن السماء) ذا الصفة الدينية العميقة لم يحجم عن ارتداء الزى الأوروبى الرسمى والقبعة السوداء فكلمة التقليد فى هذا العصر كلمة مضحكة خصوصا إذا قيلت فى أمة صغيرة جدا وسط بحر زاخر من الأمم المختلفة .. فالعالم قد اتحد اليوم فى شكل الزى وارتدى البدلة والقبعة فهل نظن نحن بغرورنا ان فى اتحادنا مع العالم تقليدا .. ان فكرة التقليد أصبحت لا محل ولا معنى لها» وقد كان كما أراد توفيق الحكيم واندمجت مصر فى المجتمع الدولى ولم تتخلف عن نغمة العصر الذى اسقط الملكية واطاح بطربوشها الأحمر القانى فى ركن بعيد هادئ بالمتحف الحربى أو على رؤوس أبطال فى مسلسل يحاكى عهدا ذهب ولن يعود ولن نقول ياريتها دامت فمازالت جنة التمنى فى الأرض حلما بعيدا مستعصيا لن يحققه الإنسان الضعيف النفس.■



رائدة الرقص الشرقى
بديعة مصابنى


الملك فاروق الأول

لقاء السحاب
والكواكب والنجوم
«أم كلثوم - فريد
الأطرش - زكريا
أحمد - رياض
القصبجي -
السنباطي



مشكلة عطلة المتعلمين

٤٠ « ليسانس » يتزاحمون على ٢٠ وظيفة !



هو مظهر صارخ من مظاهر عطلة المتعلمين لا يفتأ يطالعنا بين مرة وأخرى ، ناطقاً بأن هذه المشكلة تزداد كل يوم تعقيداً على تعقيد .. فكلما لاح فى الأفق بارقة أمل فى وظيفة جديدة زحفت جيوش حملة الشهادات العالية من « ليسانس » و « بكالوريوس » و « دبلوم » مزاحمة متهافتة ، حتى ولو كانت هذه الوظيفة « كتابية » أو « مؤقتة » أو من وظائف « الدرجة الثامنة » !

وهذا هو ما حدث منذ أيام عند ما أعلنت إدارة العلامات التجارية التى أنشئت أخيراً عن

سابحات مصر الفاتنات فى الأربعينيات

أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام فى مكتبه وكان يداعب الصحفيين أثناء الحرب العالمية الثانية حين شح ورق الطباعة قائلا: اختصروا الأخبار الكبيرة كما لو كنتم تضعون كامل الشناوى «الضخم» فى جيب صالح البهنساوى الضئيل

إحصاءات ومعلومات

عن مشروع مقاومة الحفـــاء

٣٨١١٢ جنيهاً يتبرع بها ٢٢ فرداً

تتضمن قائمة التبرعات لمشروع مقاومة الحفاء تبرعات من الافراد والهيئات والشركات والمحافظات والمديريات . وفيما يلى كشف بتبرعات الافراد التى بلغت ١٠٠ جنيه أو أكثر وهى تبرعات ٢٢ فرداً بلغت فى مجموعها ١١٢ ٣٨ جنيهاً :

جنيه	
٥٠٠٠	على أمين يحيى باشا
٥٠٠٠	احمد فريد باشا
٥٠٠٠	محمد عباس المهدى باشا
٥٠٠٠	محمد فرغلى باشا
٥٠٠٠	الاستاذ زكريا مهران
٤٠٠٠	محمد بدير باشا
١٥٠٠	حسن خالد بك
١٥٠٠	طه مخلوف بك
١٥٠٠	عبد الغنى شاويش بك
١٥٠٠	متجلى عبد السيد يوسف افندى
١٠٠٠	كامل عطية بك
٥٠٠	احمد عبود باشا

جنيه	
٥٠٠	الآنسة دينيس موصيرى
٢٠٠	السيد احمد مصطفى عمرو باشا
٢٠٠	السيد محمد بدراوى باشا
١١٢	احمد يوسف الطويل بك
١٠٠	صاحبة السمو الاميرة نعمت مختار
١٠٠	الوجيه نايف عماد بطنطا
١٠٠	الوجيه باسيلى كزبر بالقاهرة
١٠٠	الاستاذ شهدى بطرس
١٠٠	محمد حسن العبد بك
١٠٠	مسيو اميل عدس
١١٢ ٣٨	المجموع

١٠١١٣ جنيها تتبرع بها ١٤ هيئة

واذا قصرنا حسابنا على تبرعات الهيئات والشركات والمحافظات والمديريات ، التى تبلغ ١٠٠ جنيه أو أكثر ، لوجدنا أن ١٤ هيئة قد تبرعت بمبلغ ١٠١١٣ جنيهاً و ٦٩٠ مليما :

مليم	جنيه	
	٦٥٠٠	مديرية أسيوط
	١٢٥٠	شركة التسليفات التجارية
	١٠٠٠	لجنة الاحتفالات العامة بالقاهرة
	٣٠٠	محلات صيدناوى
	١٥٠	بنك التسليف الزراعى المصرى
٦٩٠	١١٣	محافظة دمياط
	١٠٠	شركة الانيون للتأمين
	١٠٠	جمعية القرش

مليم	جنيه	
	١٠٠	شركة قنال السويس
	١٠٠	البنك العقارى المصرى
	١٠٠	أوقاف المرحوم أحمد طلعت باشا
	١٠٠	محافظة السويس
	١٠٠	شركة السكر
	١٠٠	شركة المحاريث والهندسة المصرية
٦٩٠	١٠١١٣	المجموع

عام ١٩٤١ أصدر حسين سرى قرارا بتشكيل لجنة مركزية لدراسة مشروع الحفاء ذلك الداء الاجتماعى الذى يفتك بنحو ٥٠٪ من المصريين ويسبب لهم فقد الدم الناشيء عن الطفيليات



أمر الملك فى عيد ميلاده السادس والعشرين بمكافحة الحفاء وتعهد المشروع برعايته

الجرس الحديدى.. يوسف. ناهد رشاد

الجميلة ناهد رشاد على المائدة الملكية وقد جلس عن يسارها بوللى وعن يمينها كريم ثابت



«لا يهمنى آراء الناس فى شخصى ولكن الأهم رأيى أنا فيهم. العبارة السالفة جاءت على لسان الملكة فيكتوريا دليلاً على قوة شخصيتها وصلابة رأسها وتناهى ثقتها ولا مبالاتها بالثرثرة المعتادة والشائعات المتدفقة وربما أنطوى مسلكها على حكمة متوارثة فقد علمتها الأيام أنه من السهل جدا إطلاق شائعة فى وقت ما ولكن من الصعب جدا تصحيحها وتعديلها فى أوساط الرأى العام ومن المحال مسحها تماما من كتب التاريخ .. فهل كانت ناهد رشاد - أجمل جميلات العهد الملكى - عضوا فى هذا الحزب الفيكتورى المتعالى وأحد مؤسسى الحرس الحديدى ؟!

أو أكثر الموضوعات جدلاً قبل الثورة لإرتباطه بإسم الملك وبعد الثورة للصلة التى ربطت بين بعض الضباط الأحرار وبين مؤسسه د. يوسف رشاد طبيب الملك الخاص وصديقه المقرب أما زوجته ناهد رشاد فقد دفعت ضريبة جمالها وذكائها وقوة شخصيتها وأقترابها من السلطة فأصابتها سهام الزمان بوابل من الأتهامات الجائرة والشائعات المستهلكة والتأويلات الساذجة التى أطلقتها تلك الوردة الحمراء التى رشقها الملك فى فستانها اثناء وجودهما فى ملهى عام بالإسكندرية وفى حضور شقيقته فوزية وبمرور الأيام فقدت الوردة أريجها وذوت أوراقها إلا أن أشواكها ظلت عالقة بذكرى شخوصها من خلال تلك التواترات البهاراتية فى الكتابات التاريخية دون سند أو دليل .. فأين الحقيقة فى قصة يوسف رشاد وزوجته مع الحرس الحديدى الملكى الذى أوكلت إليه مهمة القضاء على خصوم الملك.

إنطلاقا من هذا المبدأ الرادع «إذا صفعك أحد على خدك الأيسر فرد له الضربة وبقوة على خده الأيمن» وإعلاء لنصائح ميكافيللى - شيطان السياسة وحكيمها - الذى يطل برأسه فى كل هاوية سياسية !! فالإغتيال السياسى بطبيعته الدموية الدالة على عدم النضج لم يجد تربة صالحة فى تركيبة الشعب المصرى المسالمة التى جبلت على حب السلام والقناعة بالقليل إضافة إلى نزعته الدينية المتعمقة الأمر الذى كان يفضى غالباً إلى التسامح والرضا السياسى فعلى مدار التاريخ لم تسجل [١٨٢] واقعة واحدة تشير إلى اشتراك أى مصرى مع عصابة لقتل الحاكم فى العهد الأموى والعباسى والطولونى والأخشيدى والأيوبى والمملوكى والعثمانى .. فكانت الإغتيالات السياسية تتم على أيد غير مصرية ضد حكام غير مصريين ولكن فى أعقاب الثورة العرابية والإحتلال الانجليزى عام ١٨٨٢ ومع إشتداد موجة القمع الإستعمارى أزدهرت الأفكار الثورية والجمعيات السرية التى أتخذت من الإغتيال الفردى مسارا لمواجهة العنف بالعنف وأنفردت قيادات الحزب الوطنى بصفة خاصة فى تبنى سياسة الاغتيالات الفردية كوسيلة للمقاومة الوطنية ولكن عام ١٩١٠ حدث منعطف خطير فى الساحة السياسية حين أطلق إبراهيم الوردانى - ٢٤ عاما - النار على بطرس غالى رئيس النظار معللا جريمته بخيانة غالى لبلاده وجزاء الخائن البتر وفى المحكمة اشار إلى بعض دوافعه ومنها رئاسته لمحكمة دنشواى ومد إمتياز قناة السويس «وكان مجرد اقتراح لم يتم !!.

واهتزت مصر لتلك الجريمة التى كادت تؤدى إلى فتنة طائفية .. نتيجة لإعتناق الوردانى لبعض الأفكار الأوروبية الثورية أثناء دراسته الصيدلة فى سويسرا وعقب عودته أنضم لجماعة متطرفة ورفع شعاره الشهير «لا يمكن تحرير أمة بالأقوال والكلمات فقط» وفى عام ١٩١٠ تم إعدامه ولكن منذ تلك الواقعة حتى عام ١٩٤٩ وقع فى [١٨٣] مصر ٢٢ حادثة إغتيال بمعدل محاولة إغتيال سياسى كل سنتين وثمانية أشهر تعرض خلالها رؤساء الحكومات المصرية لسبع محاولات منها محاولة لإغتيال سعد زغلول، أما رفيقه وخليفته مصطفى النحاس فقد تعرض لأكثر من إعتداء ولكن فى عام ١٩٤٨ تم تفجير منزله بالمتفجرات وأشارت أصابع الاتهام إلى الملك ولنترك الحديث للأستاذ سيد جاد المحامى وشاهد العيان الوحيد والعضو الفاعل فى الحرس الحديدى الذى سجل ذكرياته عن أخطر تنظيم عسكرى عرفته مصر وكان بداية النهاية للنظام الملكى على حد تعبيره ولم أدهش كثيرا للدور البطولى الذى أتشح به الأستاذ سيد جاد فى كتابه المسمى «الحرس الحديدى» .. فحب المغامرة وعدم التأفف من العنف والرغبة فى الجمسنة نسبة إلى جيمس بوند - من سمات أعضاء الجمعيات السرية والوهمية ولم يكن من الصعب التفرقة فى

والدتى ناهد رشاد
كانت سيدة عاقلة
حكيمة قليلة الكلام

كتابه بين مشاهد الأكشن وبطولات جون وين فى أفلام الغرب الأمريكي والمشاهد المستوحاة من إبداع المؤلف والتى اختلط فيها الواقع بالخيال وفى شهادته التاريخية على تلك الفترة الحرجة يقول: «عقب فشل(١٨٤) محاولة إغتيال النحاس وأثناء وجودى فى مستشفى غزة العسكرى خلال فترة حرب فلسطين كنت أتجاذب أطراف الحديث مع بعض الأصدقاء حول فشل محاولة إغتيال النحاس وأثناء شرحى لزملائى أسباب الفشل ساد صمت قطعته سيدة جميلة سألتنى ماذا كان يمكن أن يحدث لو قمت أنا بالعملية فقلت كان سيتغير وجه التاريخ ثم تساءلت كيف يمكن حدوث هذا فرسمت لها خطة مبدئية بالورقة والقلم فضحك جميع الحاضرين إلا ناهد رشاد تلك السيدة الجميلة الغامضة ولم يمر وقت طويل حتى دعيت الى القاهرة لتبدأ رحلتى مع الحرس الحديدى وذات يوم أثناء حضورى طابور الصباح لمح أحد الضباط آثار وجود أحمر شفاه على قميصى وكان ملاكما قويا فوقعت مشاجرة بيننا أنتهت إلى حلقة الملاكمة وأثناء تشجيع بعض(١٨٥) الزملاء لى صدرت منهم كلمات رنت فى أذنى «شد حيلك يا سيد يا جاد شد حيلك يا حرس يا حديدا!» ومنذ ذلك اليوم شاع الأسم وانتشر فى الجيش كله (الحرس الحديدى) وأبطاله ناهد رشاد وكانت ملكة مصر الحقيقية لفترة من الزمن ليست قصيرة .. كان خلالها الملك فاروق (١٨٦) كخاتم فى إصبعها .. لا يعصى لها أمراً وينفذ كل طلباتها كانت سيدة عظيمة شديدة الذكاء والغريب أنها كانت شديدة الوطنية أيضاً .. أما يوسف رشاد فكان رجلا مغامرا .. طيب القلب يميل إلى الملك ويحب العنف ولكنه لا يمارسه تغلب عدم الحنكة على الكثير من تصرفاته أما أهم الأسماء التى لعبت دوراً هاما فى الحرس الحديدى فهى : عبد الرءوف نور الدين - يوسف حبيب - خالد فوزى - مصطفى كمال صدقى - مرتضى المراغى - حسن فهمى عبد المجيد - عبدالله صادق ويستطرد سيد جاد : بدأت أفكر فى الهدف من هذا التنظيم فلابد أن تكون حماية الدولة والوطن أولاً قبل الملك وحتى لا يتحول الأمر إلى تصفية حسابات شخصية طلبت فى حالة صدور أمر بالقتل ان نعقد إجتماعنا كهيئة محكمة ونقدم الشخص المطلوب قتله لهذه المحكمة ويتولى أحدنا الدفاع عنه ولا ينفذ فيه حكم الإعدام إلا بموافقة القضاة الثلاثة .. وتم تنفيذ هذه المحاكمة بالفعل عندما طلب منا قتل الشيخ (١٨٧) حسن البنا ورفضنا جميعا



وكانت النتيجة أن قام بهذا العمل جهاز مماثل من البوليس فقد أردنا أن يكون التنظيم مبنيا على حقائق فإذا لم يقم الضابط بالعمل المطلوب منه يقتل نفسه أو نقتله نحن بعد أن أطلع على اسرار الدولة وبدأت الصحف تكتب عن تلك العربة السوداء التى كانت ضد الرصاص وبها منصة لإطلاق النار ومن يخرج عن الصف سعيا لإكتساب مودة الإنجليز تكون العربة السوداء فى إنتظاره ليلا فيسرع بالعودة مرة أخرى واتفقنا على أن كل عملية لها أسم كودى خاص لأنها أشبه بعملية حربية تبدأ بتحضير «عبد الله صادق» للسيارة السوداء بما فيها من مدافع ثم يدخل الضباط العربة ويتسلم كل منهم مدفع الأشميزر وخمسمائة طلقة ويصدر أمر من وزير الداخلية لجميع نقاط المرور بعدم معارضة هذه العربة إطلاقا مهما فعلت أو وقع منها !! وبدأت قائمة الخضار كما كانوا يسمونها تأتينا أولاً بأول بأسماء من تريد السراى تصفيتهم جسديا والحقيقة أننا لم نر أو نسمع الملك - شخصيا - يصدر أمراً بمثل هذا لكن الحقيقة - أيضا - أنه كان هناك أشخاص يرتمون على أقدام الملك للإستفادة منه مادياً ومعنوياً هؤلاء كانوا يخبرونه بأحداث لم تقع ثم يثيرون تخوفه من بعض الأشخاص ويتطوع آخرون بقتلهم وبأسلوب الدس والوقيعة قُتل أبرياء كثيرون وزادت مكاسب كثيرين ونفوذهم على الملك الخامل الذى تحول إلى شخص مذعور يتوقع الموت فى كل لحظة وفى عام ١٩٥٣ أثناء تحقيقات الحرس الحديدى والقضايا المتعلقة به قلت : إن الحرس الحديدى قام بإرهاب الملك ذاته عندما لقب بجنرال فخرى فى الجيش الإنجليزى فأطلقنا(١٨٨) عليه النار من أعلى منزل يطل على القصر .. فأصيب الملك بالجنون وأعتقد أن الوفد يرد عليه بهذا النوع من التصفية الجسدية فطالب الحرس الحديدى بالرد على الوفد فى شخص النحاس ولكن الآراء تضاربت فيما بيننا فطالب البعض بتصفيته والبعض الآخر ببراءته لذلك نفذت العملية بمنتهى السخف ولم تصب النحاس لأن النية كانت متجهة لعدم التنفيذ والاكتفاء بالتهويش فكانت مسرحية حتى لا يظن الملك بالحرس الحديدى أى ظنون.

ومن جانبى كنت أعتقد دائما أن النحاس باشا لا يستحق القتل



الأميرة فائزة أو اللواء فائزة
بصحبة الصاغ ناهد رشاد

لأنه يمثل سعد زغلول وسعد باشا كان وطنيا ولكن الحادث أدى لإنشقاق الحرس الحديدى وأصبح هناك فريق يسير وراء رغبات الملك ويوسف رشاد والفريق الآخر يرى ضرورة المحاكمة قبل التنفيذ مهما كانت أوامر الملك .. وأذكر فى أحدى سفريات الجيش سألنى خالد[١٨٩] محيى الدين عن الذى أفعله أنا وجمال منصور فشرحت له بطريقة مباشرة الأسباب التى جعلتنى -وأنا من الوطنيين الفدائيين- الإنضمام إلى هذه الزمرة من القتلة والإنغماس فى هذا المستنقع الملئ بالدم فطلب منى خالد أن أضع الحرس الحديدى فى قبضتى وأسيطر عليه تماما لكى نجعل منه وسيلة لخدمة الضباط الأحرار حتى إذا ما علم الملك أو رجال القصر أيا من هؤلاء الضباط فيمكننا إنقاذه ومنع تصفيته فى الوقت المناسب وقد قمنا بهذا الدور أنا وعبدالله صادق مع اللواء محمد نجيب وأيقظناه من نومه بعد أن علمنا أنه مدرج فى كشف التصفيات وكذلك فعلت مع عبود باشا !! عن طريق أحد العاملين معه ولم أعرف بوجود تنظيم الضباط الأحرار إلا حينما طلب منى عبدالفتاح أبو الفضل[١٩٠] الحضور لأحد اجتماعاتهم وفيما بعد عين أبوالفضل نائبا لرئيس المخابرات صلاح نصر وانضم إلى الحرس الحديدى من الضباط الأحرار عبدالمنعم عبد الرءوف ومصطفى كمال صدقى وهو شخصية غريبة الأطوار يصلح لأن يكون ممثلا سينمائيا أكثر منه ضابطا مغامرا، كان يتصور أنه معبود النساء فامتلأ غرورا على الضباط إلى حد الانفجار.



سهير حلمي تحاور السيدة علية رشاد

أما علاقتنا بالبوليس السياسى فكانت فى منتهى السوء فهم دائما متحفزون لإحكام قبضتهم على البلد دون أن يشاركهم أحد إضافة لتدخل المراغى «وزير الداخلية» لحمايتنا فكان يصدر أوامره بعدم التعرض لنا .. وضم التنظيم مجموعة من السيدات تشرف عليهن ناهد رشاد .. وكنت على اتصال بإحداهن وقد اشتركت معها فى محاولة إستعادة فيلم التقطه اليهود للملك أثناء احدى [١٩١] مغامراته النسائية وكان الفيلم فى حوزة رجل يهودى قام بترتيب بيعه لزعماء الوفد فاستطعنا الاستيلاء على حقيبته .. وفوجئنا أن الفيلم مزيف.. فقتل الرجل بواسطة رجال الحرس الحديدى ودفن فى حلوان وفيما بعد اتضح أن الفيلم الاصلى مازال موجودا فى إسرائيل وأثناء تدبيرنا لكيفية استرداد الفيلم من المستعمرة الإسرائيلية اتصلت بى ناهد رشاد تليفونيا وأبلغتنى أن عملية الفيلم قصد بها إخراج الحرس الحديدى من معركة الفدائيين فالملك لم يطلب الفيلم لأنه موضوع قديم لم يعد يهمه .. وهو ينتظر منا تنشيط حرب الفدائيين فى القناة وأكدت لى أن السيدة التى اتصلت بى بخصوص هذا الشأن هى أميرة من العائلة المالكة تتعاون مع الإنجليز لإبعاد الحرس الحديدى عن عمليات الفدائيين وقد دفعوا لها مبلغاً كبيراً نظير ذلك ..

ومن أهم الاعمال التى شارك فيها الحرس الحديدى يذكر منها سيد جاد عملية تهريب حسين توفيق المتهم فى قضية إغتيال أمين عثمان للسفر متخفيا إلى سوريا ووساطة ناهد رشاد لدعم النشاط الفدائى فى منطقة القناة وموافاتهم بمبالغ نقدية مرسلة من الملك لدعم الفدائيين .. بتكتم وحرص شديدين لكى لا يعلم الوفد -وكان فى سبيله للوصول للحكم- فيقوم بإبلاغ الإنجليز عن نشاط الملك مع الفدائيين فيقومون بطردة أو قتله وهكذا قام الحرس الحديدى بإصدار أوامره لجميع أفراده بقتل أى إنجليزى يمكن قتله.. وبالسطو على عربات[١٩٢] قطار إنجليزى محمل بالمؤن والأسلحة وإغراق هدية المانجو الفاخرة التى اعتاد محمد شعراوى باشا ابن هدى شعراوى ارسالها إلى قصر باكينجهام من جزيرة عزبته فيشر بمركز العياط بالجيزة ونجح رجال الحرس الحديدى فى إقناع عمال النقل بأنهم من الفدائيين وان ارسال هدية لملك الإنجليز ونحن نجاهد لإخراجهم من بلادنا أمر ليس مقبولا وحذرناهم أننا سنقتلهم فى المرة القادمة.

يستطرد سيد جاد فيقول : وفى اليوم التالى نصحت محمد شعراوى بإرسال هداياه من المانجو الى الملك فاروق وفى احدى المرات طلب منا يوسف رشاد نسف القطار الذى سيستقله النحاس اثناء رحلاته للصعيد عند مدخل العياط .. وابلغتنى ناهد رشاد بالأمر ولكن كان واضحاً عدم موافقتها على هذا القتل الجماعى للأبرياء !! وأذكر أننا فوجئنا[١٩٣] بسيدة خطيره الشأن – فى ذلك الوقت – تتردد على فيلا رجل إنجليزى فقمنا بمراقبة الفيلا وانتظرنا عودة الملك من الاسكندرية والحصول على موافقته وكانت الصعوبة أننا لا نستطيع قتلها بأسلوب فنى كالوخز بالأبر المسممة واتضح أن السيدة أنضمت للإنجليز على المكشوف وأفشت لهم أسرار الملك الخاصة التى لا يعرفها سواها ووصلت هذه الأسرار إلى اليهود ثم انتشرت فى أوروبا والبلاد العربية .. فجن جنون الملك .. وعندما تقاعس ضباط الحرس عن قتلها .. اقتنع الملك بفكرة حل الحرس الحديدى الذى يكلفه أموالاً طائلة .. وبدأت عملية إحلال فرعية وفى تلك الآونة كان أنور السادات قد أنخرط فى التنظيم الذى بدأ يفقد فاعليته فتقرب رجاله إلى الضباط الأحرار وطلب منى جمال منصور ان ابتعد عن القصر واقاوم نفوذ الملك لأن النهاية تقترب وحركة الجيش على وشك البدء .. وبدأ بعض افراد الحرس – مصطفى صدقى – يفكرون فى إغتيال الملك ومن العجيب أن سيد جاد ينفى معرفة الملك فاروق باسم التنظيم (الحرس الحديدى) وينعته بالوطنية التى لا تتعارض مع كراهيته للوفد الذى أتى على أسنة الرماح فى ٤ فبراير ١٩٤٢ !!.



وعن علاقة الضباط الأحرار بالحرس الحديدى يذكر خالد محيى الدين : أنه بعد اتصاله بمنظمة ايسكرا الماركسية بأربعة شهور صدر قرار بنقله [١٩٤] من سلاح الفرسان إلى سلاح الحدود فتباعد عن تلك المنظمة إضافة لإختلاف موقف الشيوعيين من قرار تقسيم فلسطين وإقرارهم بالموافقة عليه الأمر الذى رفضه خالد مع بقية زملائه رفضا قاطعا .. وحين علم جمال عبدالناصر بقرار نقل خالد لسلاح الحدود قام بزيارته هو وعبد المنعم عبد الرءوف واخبراه أنهما يستطيعان إلغاء نقله لسلاح الحدود واعادته إلى الفرسان بأسرع ما يمكن وعندما أبدى دهشته قالا إن النقل سيلغى بواسطة القصر وتحديدا بواسطة يوسف رشاد فقد كان يوسف رشاد هو يد الملك التى يحركها وسط ضباط الجيش وشرح له جمال بهدوئه المعتاد انه تلقى رسالة من يوسف رشاد يقول فيها إنه على استعداد للتعامل معهم يقول خالد : «وفهمت إن الرسالة جاءت عن طريق عبدالمنعم عبد الرءوف فجمال لم يلتق أبدا بيوسف رشاد وإن كان قد تعامل معه عن طريق آخرين منهم أنور السادات ومصطفى كمال صدقى وعبد المنعم عبد الرءوف ولم تزل هذه الواقعة تحيرنى حتى الآن !!»

أفراح زمان الكلاسيكية.. زفاف الشاب الوسيم يوسف رشاد والفاتنة الرشيقة ناهد رشاد

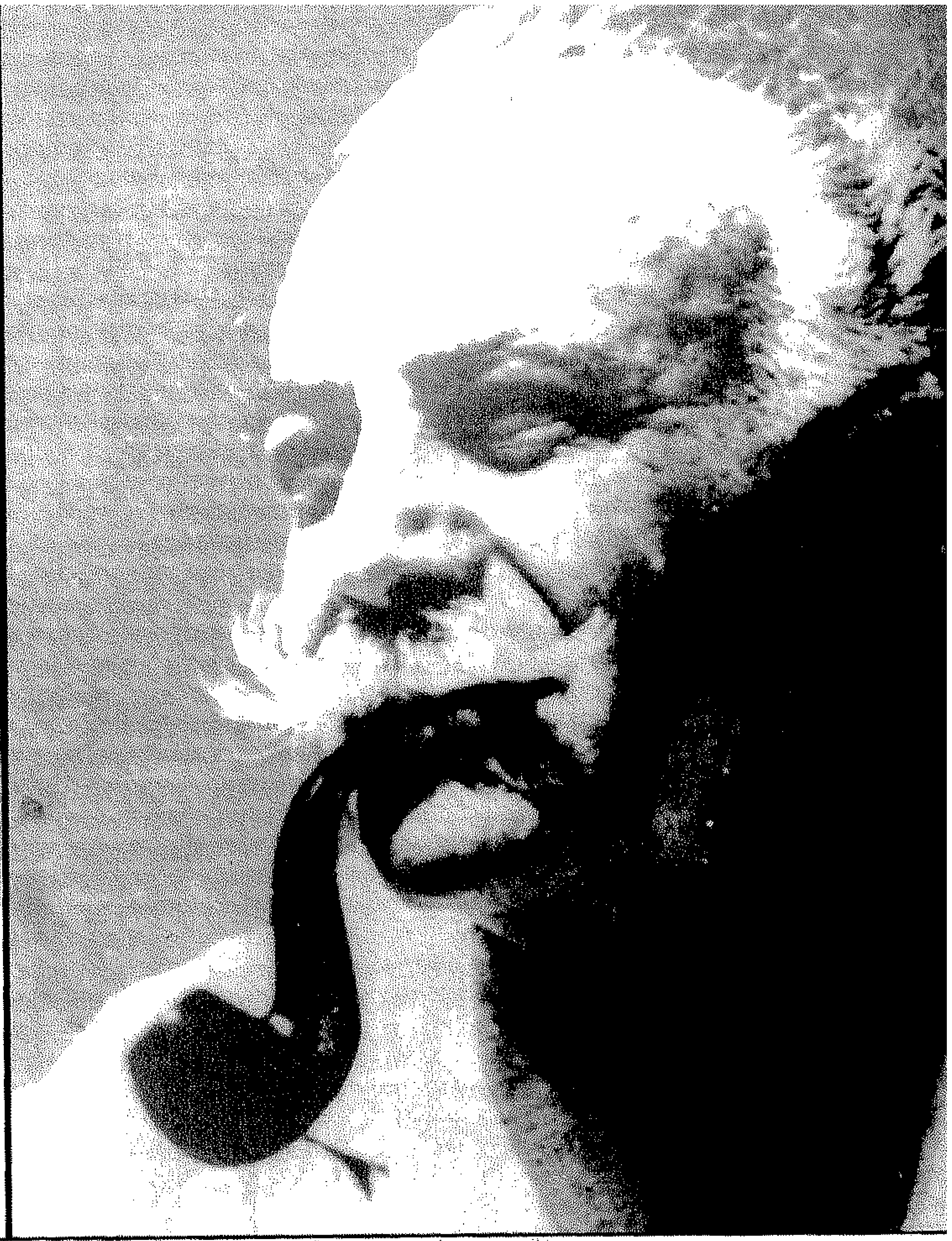


ولكن كيف بدأت علاقة يوسف رشاد بالملك ؟ سؤال حاولت البحث عن إجابته فى دهاليز التاريخ الطويلة الرطبة ومن خلال البحث الدءوب.

جمعتنى الأقدار والسعى الحثيث والرغبة الصادقة فى سبر غور الحرس الحديدى بغموضه وتناقضه وتناثر أهدافه بأبناء الدكتور يوسف رشاد د. شوقى رشاد أثناء أحدى زياراته العابرة لمصر والسيدة علية رشاد التى قدمت لى كل العون والمساعدة بكل الود والترحاب فهى إنسانة دمثة الخلق رقيقة .. لفت أنتباهى فى شخصيتها الواضحة كم هائل من المباشرة الناضجة والصراحة المصقولة والنزعة الدينية المترسبة فى أعماقها .. كان لقاؤنا الأول فى شهر رمضان فحرصت على انتقاء المواعيد التى لا تشغلها عن أمنيتها فى ختم القرآن فى ذلك الشهر الجليل وبرت بوعدها فكانت هذه الفضفضة التاريخية والبوح العائلى لأسرار تلك الفترة المتأججة فى تاريخ مصر.. أنها المرة الأولى التى يتحدث فيها صدى صوت يوسف وناهد رشاد - أقرب المقربين للملك - للصحافة المصرية ممثلا فى أبنائهما وإتساقا مع المثل الشعبى القائل «اللى خلف مماتشى» فقد ذهبت إليهما وفى جعبتى هذه التساولات والعلامات الاستفهامية بحثا عن إجابات شافية مستقاة من روافد النبع الأصلى من خلال النكهة الوراثية فى الحديث ولنبدأ بالسؤال عن كيفية التعارف بين الملك ويوسف رشاد ؟ ومتى ظهرت فكرة الحرس الحديدى؟ وما الدور الحقيقى الذى لعبته ناهد رشاد ؟ ولماذا نالتها الشائعات على الرغم من وجود عشرات الوصيفات الأخريات فى القصر الملكى ؟ والأبعاد الحقيقية لعلاقة السادات والضباط الأحرار بيوسف رشاد بصفة خاصة ؟ كيف واجه يوسف رشاد اللحظات الحرجة بعد رحيل الملك .. و .. و .. ولنترك الحديث للدكتور شوقى يوسف رشاد :

بدأت العلاقة بين الملك ووالدى عام ١٩٤٣ حيث أصيب الملك فى حادث سيارة بالقصاصين ، قيل إنها كانت محاولة إغتيال من قبل الإنجليز نتيجة لميوله المحورية لكنها تسببت فى كسر الحوض.. وفى ذلك الوقت كان والدى يعمل طبيبا بالبحرية الملكية ونظرا لضخامة الملك تم استدعاؤه لمستشفى القصاصين للمعاونة فى نقله ورفعه على سريره وبدأ واضحا الإنسجام سريعا بينهما فسأل عن عائلة والدى وعلم أن والده كان يشغل منصب وكيل وزارة الداخلية فى عهد الملك فؤاد «محمود باشا رشاد» فطلب نقل والدى من البحرية والعمل طبيبا خاصا له بالقصر الملكى، ولم يمر وقت طويل حتى اكتشف كلاهما وجود هوايات مشتركة ساهمت فى تقاربهما وصداقتهما فوالدى كان يملك أكبر مجموعة سلاح فى مصر ما يقرب من ٣٦ بندقية نادرة و ١٢٠ مسدسا من بينها المسدس الذى قتل به موسولينى والملك كان مولعا مثل والدى بالقطع الأثرية إضافة لحبهما لرحلات الصيد فى البرك الملكية وهواية الشطرنج.. وليس صحيحا على الإطلاق أنه كان يستولى عنوة على الأشياء التى تروق له ففى بعض الأحيان كان يتبادل إحدى قطع الأسلحة مع والدى أو يعرض عليه ثمنها الذى يحدده أبى إضافة إلى أنه كان كريما جدا وبإختلاف الأحداث ازداد والدى تقربا من الملك الذى كان يعانى خللا فى الغدد والهرمونات خاصة بين عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ فتحولت الوظيفة الرسمية إلى صداقة حميمية بكل ما تشتمله من أسرار وخصوصيات كان لا يبوح بها الإ لوالدى .

وفيما يتعلق بناهد رشاد تروى علية ابنتها: إنها كانت تصغر والدها بتسعة أعوام أما والدها فكان يكبر الملك باثنى عشر عاما ومن ثم فناهد رشاد كانت أكبر سنا من الملك بثلاث سنوات أما جدتها لأمها ألفت هانم فكانت وصيفة السلطانة ملك بينما كان يشغل جدها لوالدتها شوقى بكير منصب مدير المتحف الزراعى والذى يعود إليه الفضل فى تأسيسه وتنتمى ناهد رشاد لعائلة ثرية كانت تمتلك منزلا كبيرا فى حلوان (٨٥٠٠ متر) إضافة لأرضها فى طنطا التى باعتها واشترت بأموالها عمارة فى شارع نوال بالدقى ثم باعتها وسكنت فى الجيزة مكان العمارة التى يسكنها الآن د. إبراهيم كامل رجل الأعمال الشهير .. وبعد الثورة ساءت الأحوال المالية .. لكنها كانت سيدة قوية هادئة حكيمة قليلة الكلام فلا اذكر أننى وجدتها يوما تتأفف من تبدل الحال وغدر الأيام .. على الرغم من أن الأمر لم يكن سهلا بأى حال من الأحوال .. ومن الأخطاء الشائعة التى وردت فى كتب العديد من المؤرخين أنها دخلت القصر فى عهد الملكة فريدة وهذا كلام خاطئ لأن والدتى دخلت القصر بتزكية من السلطانة ملك (زوجة عم الملك فاروق)





د. يوسف رشاد.. أعاد السادات إلى الجيش
بعد فصله واتهامه فى قضية اغتيال أمين عثمان

يحيى حفيد
د. يوشف رشاد

وذلك فى الفترة التى أعقبت عودة الأميرة فوزية من إيران واستقرارها فى مصر .. وحقيقة الأمر أن الملكة فريدة كانت قد غادرت القصر الملكى تمهيدا لإنفصالها عن الملك قبل ذلك التاريخ بسنوات .. فعملت والدتى وصيفة للأميرة فوزية وهى سيدة جميلة هادئة الطبع يغلب على شخصيتها الحزن الوقور .. ويشارك د. شوقى رشاد بمداخلة توضيحية فيقول : من أكبر الشائعات التى انتشرت فى تلك الآونة شائعة ترتيب الملك طلاق فوزية من الشاه حتى يتمكن من طلاق فريدة وهى شائعة كوميدية لا أساس لها من الصحة .. فالملك كان شخصاً عنيدا لم يكن بحاجة لإختلاق مشكلة عائلية لتمويه مشاكله الخاصة .. فمن المعروف أنه كان يفعل ما يريد ولا يعبأ كثيرا بنصائح الآخرين وهم بدورهم لا يبادرون بإسدائها فهو إنسان لا يستطيع أحد أن يقول له تلت التلاتة كام ولكنه كان يتمتع أيضا برؤية خاصة تفوق سنه تجربة وخبرة كما علمت من والدى !! فقد تولى الحكم صغيرا وعمره ١٧ عاماً فكان لا يستمع لأحد وكان فى سبيله للسفر إلى الخارج نهائيا فأعد عدته وحول معظم أمواله إلى الخارج ومدى علمى أن النقود فى بنوك أوروبا كانت بإسمه وليست باسم بوللى وقيل إنه أخرج ٢٠ مليون جنيه ذهبا واحتفظ بجزء منها اثناء خروجه من مصر وأنه ترك جميع متعلقاته فى قصوره وقيل إنه استشعر النهاية المتوقعة فى الفترة الأخيرة ومن الثابت أيضا فى الوثائق البريطانية أنه كان يكن كراهية شديدة للإنجليز الأمر الذى أكدته تقارير المخابرات البريطانية .. لذا فمن الظلم أن نتهمه بالخيانة وعدم الوطنية والصواب انه لم يكن مؤهلا للحكم إضافة إلى مشاكل الأحزاب المتفاقمة والشيوعيين فالغليان لم يظهر فى الشارع المصرى بسبب الملك فاروق وحده ولكن بسبب عهده ككل .. وللأسف فتاريخ تلك الفترة .. لم يسرد كاملاً حتى الآن !!

وعلى سبيل المثال فأثناء حرب ١٩٤٨ وجد نفسه مدفوعا تحت ضغط الرأى العام لخوض غمار حرب لم يستعد لها الجيش «إذا لم تأمرنا فسوف نحارب من تلقاء أنفسنا !! فقال لهم : «اتفضلوا حاربوا » !! فكانت النهاية المأساوية التى نعرفها جميعا . ولم يكن خلوا من النزعة الدينية كما يعتقد معظم الناس واثناء سفره الى إيطاليا وفرنسا كان يحرص على أن تأتيه اللحمة بالطائرة من مصر ليتأكد أنها مذبوحة



طبقا للشريعة الإسلامية !! ومن طبائعه أيضا التى علمتها من والدى حبه للقراءة والإطلاع فعلى الرغم من أنه لم يكمل تعليمه إلا أنه كان يمكنه التحدث فى شتى الموضوعات بطلاقة أما أبى فإلى جانب هواياته المتعددة فكان مولعا بالقراءة وأذكر أن منزلنا بالجيزة كان يحتوى على مكتبة ضخمة تضم عددا ضخما من الكتب الأدبية والتاريخية والفلسفية والموسوعات حتى كتب السحر قرأتها فى طفولتى .. فقد نشأنا على نظام أسرى تربوى .. أفادنا كثيرا فى حياتنا فيما بعد فكنا نستيقظ فى السادسة .. نستمع لأخبار مصر والعالم من B.B.C وصوت أمريكا ثم نستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية .. إضافة لبرنامج الأوبرا وكنا نحضر معظم حفلاته وفى سنوات الصبا يبدأ الصبيان فى تعلم مهارات الصيد وركوب الخيل والرماية وتتعلم البنات الباليه من أجل المحافظة على قوامهن ومشيتهن ومن خلال الثقافة العامة (التربوية والسلوكية) كان يمكن لأى إنسان من أنصاف المتعلمين أن يتعامل مع الأوساط الثقافية بكل ثقة.. وفى طفولتى كنت أتردد على القصر مع شقيقتى علية فى المناسبات وأعياد الميلاد ومازال عالقا بذاكرتى مداعباته لبناته وضيوفهن وهو بطبعه إنسان بسيط مرح.. يحب الدعابة والنكات وكانت مقالبه الملكية المتكررة فى المناسبات الرسمية تتراوح بين إرسال هدية شخصية فى غلاف أنيق يتسلمها المرسل إليه بسعادة بالغة .. فهى هدية من مولانا وبمجرد فتحها يفاجأ بالضفادع تقفز وتنتشر فى ارجاء المنزل .. وعلى هذا النمط تتعدد طرائفه .. وفى عاشوراء على سبيل المثال كانت تصلنا العاشوراء المكتظة بالمكسرات والجنيهات الذهبية فننشغل بالبحث عنها وإنتشالها بالملعقة .. وكان يمتلك أيضا مجموعة ضخمة من العملات .. وفى بعض الأحيان كان يتصل بأبى تليفونيا ويخبره أنه عائد بصحبة بعض أصدقائه من رحلة صيد وسوف يمر على منزلنا لتناول طعام الإفطار أو طعام العشاء فتبادر والدتى بالإتصال بنادى السيارات ويتم إعداد الإفطار على وجه السرعة لكنه لم يدخل منزلنا بمفرده وهو نادرا ما كان يخرج بدون شلة أصدقاء إضافة إلى أنه لا يشرب الخمر على الإطلاق

ولم يحدث أبدا أن بات فى منزلنا تحت أى ظرف من الظروف .. أما الشائعات التى قيلت عن أمى فأنا لم أسمع بها إلا بعد الثورة .. وطوال طفولتى لم ألحظ أى شىء غريب أو ليس طبيعيا .. فوالدى كانا منهمكين تماما فى عملهما حتى أننا كنا لا نشاهدهما أكثر من ربع ساعة فى اليوم أثناء عملهما مع الملك.. ولا أذكر أيضا أن والدى وبخ والدتى على شئ فعلته .. وفيما بعد علمت من والدى الحقيقة كاملة التى نسفت تلك الشائعة بالبرهان القاطع ولكنه ائتمننى على أسراره وأسرار الملك وسأظل حافظا لوعدى طوال حياتى.

طلب منى د. شوقى رشاد إغلاق جهاز التسجيل وأفاض فى حديثه وها أنا ذا أحترم رغبته وأفى بعهدى أيضا- فلن أذكر كلمة واحدة كما طلب منى - وتعلق السيدة علية رشاد قائلة إذا كانت والدتى سيدة جميلة فأبى كان أجمل منها وأشارت بيدها إلى صورة زفافهما .. وذكرت أن المجتمع المصرى كان يزخر بالنساء الجميلات ولكن والدتها كانت سيدة ذكية مخلصة فى عملها فكانت محل ثقة الملك وثقة شقيقته الأميرة فوزية التى كانت ترافقها فى نشاطها الخيرى والتطوعى خاصة أثناء حرب فلسطين .. وأضافت أن والدتها تبنت فتاة صغيرة من فلسطين تدعى روضة وتعهدتها برعايتها حتى زوجتها.

وعن علاقة السادات بأبيها تؤكد أنها تعود لسنوات بعيدة .. حيث كان والدها يعمل طبيبا ضابطا فى الجيش واضطر للعودة إلى موقعه تاركا شقيقها مريضا للغاية .. فطلب من ضابط الإشارة وزميله أنور السادات أن يسمح له بالاتصال بالقاهرة للإطمئنان على أبنه .. ولم تنجح محاولة الاتصال لوجود صعوبات فى الخط فوعده السادات بأنه سيظل يحاول وبالفعل اتصل والدى بالقاهرة واطمئن على أخى لتبدأ علاقة مودة وصداقة بينه وبين السادات منذ ذلك التاريخ حتى وفاة أبى عام ١٩٧١ .. ودارت الأيام دورتها وانشغل الصديقان وفيما بعد أصبح يوسف رشاد طبيب الملك الخاص .. وانخرط أنور السادات فى نشاطه الوطنى واتهم فى قضية إغتيال أمين عثمان وتم فصله من الجيش.. ومن خلال وساطة أبى كان راتبه يصله شهريا.. واستمر هذا الوضع شهوراً حتى قام والدى بالتدخل الفعلى وتمكن من إلغاء أمر فصله فعاد للجيش وعادت إليه أقدميته أيضا وكان موقفاً فاصلا فى حياة السادات ظل يذكره طوال حياته وفاءً لأبى وفيما بعد رد الجميل أضعافا..



وأنتهز الفرصة لأسأل د. شوقى رشاد عن دور والديه والسادات فى الحرس الحديدى فيجيب : بداية فالحرس الحديدى تسمية خاطئة ولكنه كان يعرف فى القصر (بالحرس الملكى الخاص) وهى جماعة وطنية كانت تكثف نشاطها ضد الاحتلال الإنجليزى فيقومون بسرقة الأسلحة من معسكراتهم ويقومون أيضا - نظرا لشح السلاح فى تلك الفترة - ببعض العمليات الإغتيالية ضد الشخصيات التى تزعجهم ومن أشهر عملياتهم إغتيال أمين عثمان وحسن البنا رداً على اغتيال النقراشى وقاموا أيضا بإلقاء قنبلة على النحاس وقد ضم التنظيم شباب الضباط أنذاك حسن فهمى عبد المجيد ويوسف حبيب وصلاح سالم وأنور السادات.

أما عبدالناصر فكان أبى لا يعرفه شخصيا لكنه ظل موضع احترامه حتى بعد قيام الثورة وكانت له عبارة شهيرة «يا ريت كان عندى عشرة ولاؤهم مثل ولاء يوسف رشاد للملك» وكما علمت من والدى فليلة الثورة تحدث أبى مع الملك وأخبره أنه يعلم أسماء الضباط الاثنى عشر وعرض طلباتهم أمامه وقال له لكى تهدأ الأمور وتتجنب القلائل فمن الأفضل فتح الكلية الحربية لعامة الشعب وإقالة إسماعيل شيرين من وزارة الحربية وتعيين فؤاد صادق فأكد له حيدر باشا أن هذه المعلومات ليست صحيحة وان يوسف رشاد ضابط متهور وقال له : «الجيش فى جيبى يا مولانا!!».

واسأل عن دور ناهد رشاد فى الحرس الحديدى - وهو الاسم الذى نعلمه جميعا تاريخيا - فيقول :لم يكن لوالدتى أى دور يذكر فى هذا التنظيم أو فاعلية ولا يتعدى الأمر كونها زوجة يوسف رشاد ولكن الكتب التاريخية ضخمت دورها وبالغت فى أهدافها .. فأسرتنا على سبيل المثال لم تؤمم فكل ما كان يمتلكه أبى وأمى فى عهد الملك لا يتجاوز ستين فدانا فى السنبلاوين وبازدياد المطالب العائلية ومتطلبات مهنتهما وحتمية الارتفاع بمستوى معيشتهما إلى حد معين كل ذلك أفضى فى النهاية لتسرب الأرض تدريجيا وحين غادر الملك مصر لم نكن نملك سوى عشرة أفدنة وكانت المعاناة شديدة.



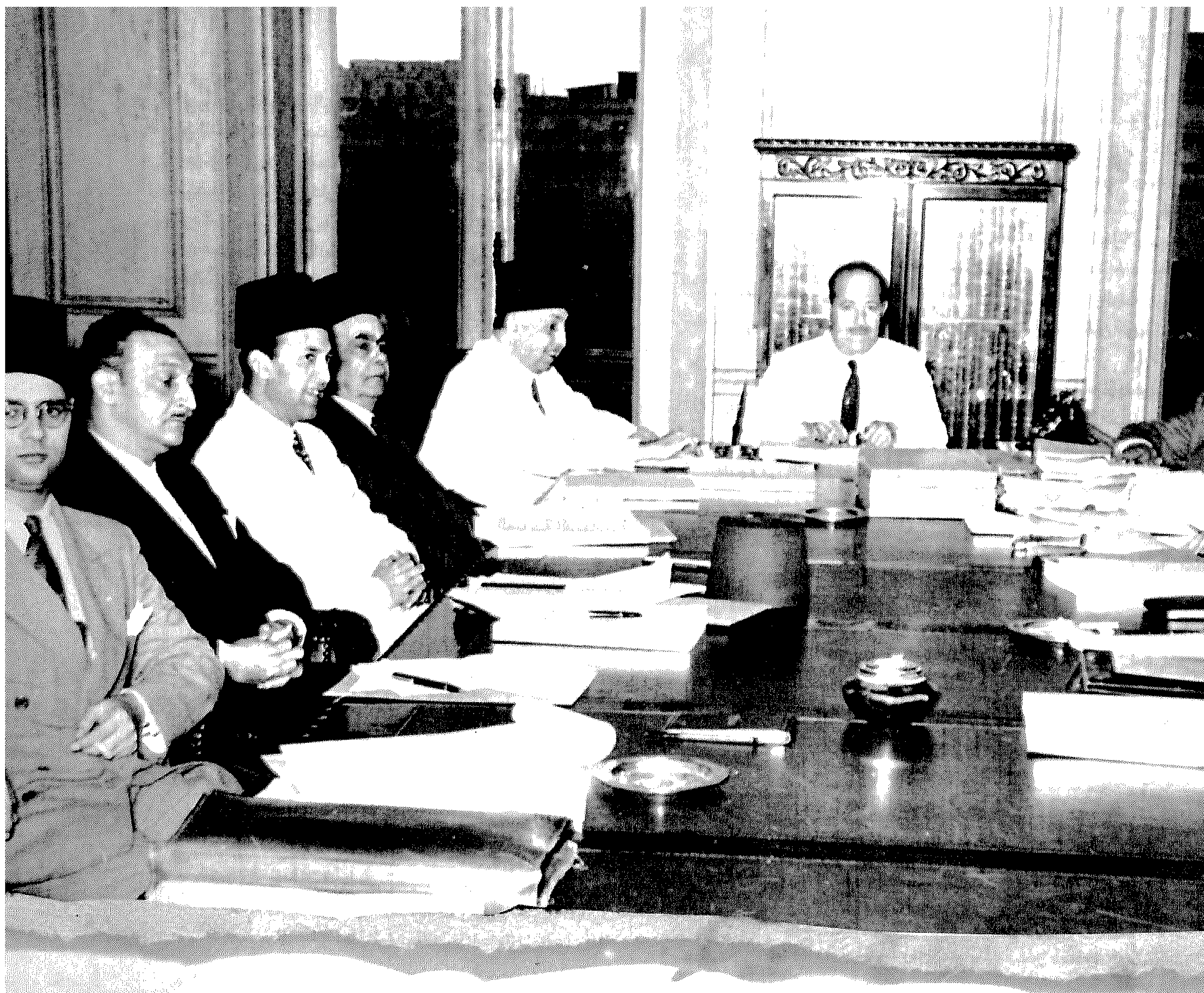
بدأت علاقة الملك بيوسف رشاد حين أصيب فى حادث سيارة بالقصاصين عام ١٩٤٣

وتضيف السيدة علية رشاد : أنا من المؤمنين بأن فعل الخير ومساعدة الآخرين لابد أن تعود على الإنسان بمردود وافر وإن طال الأجل فأيام الملك جاء رجل يونانى يدعى «السكندر سيرياكس» مستنجداً بأبى حين أغلق بعض رجال الحاشية مصنعه الذى ينتج النشا والجلكوز بدعوى مجاورته لقصر عابدين وما يترتب على ذلك من تلوث والحقيقة أنه أغلق إرضاء لرجل أعمال يونانى منافس كان يصطاد مع حاشية الملك فساعد أبى سيرياكس وقام بإعادة فتح مصنعه.

وبعد قيام الثورة فتح سيرياكس مصنعا لصيد الأسماك والأعلاف فى الغردقة وكانت صحراء فى ذلك الوقت ولابد من الحصول على تصريح من الحدود لدخولها وذهبنا جميعا مع أبى (أنا وشقيقى ووالدتى) .. وعهد سيرياكس إلى أبى بإدارة المصنع وانتعشت صناعة صيد الأسماك هناك بعد أن كان الصيادون يبيعون جزءاً منه ثم يلقون الباقى فى البحر فقام والدى بإنشاء محطة لتحلية مياه البحر ومصنعا للثلج وكانوا يقومون بشراء السمك بسعر ١١ قرشا للكيلو وفيما بعد قامت الحكومة بتأميمه .

يقول د. شوقى رشاد : بعد الثورة تم تحديد إقامة والدى لمدة عام من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٣ ودخل المعتقل عام ١٩٥٦ وكان السبب أنه كان يدردش مع بعض الأصدقاء وقال لو مر تأميم قناة السويس دون عدوان خارجى فسوف أقوم بخلع البرنيطة .. ووقعت الحرب وتحفظوا عليه .. أما والدتى فلم يقترب منها أحد .. ولكنها أدلت بأقوالها أثناء محكمة الثورة بناء على استدعائها هى ووالدى ومن الجدير بالذكر أنهما رفضا السفر مع الملك وفضلا البقاء فى مصر.

وتضيف علية رشاد حين بلغ أبى سن المعاش تحدث السادات مع عبد الناصر ووافق الأخير على أن يجمع يوسف رشاد بين مرتبة كاملا من الجيش ومعاش الثروة المائية وحين علم السادات بخبر زواجى من الفريق جمال عفيفى وكان يكبرنى بثلاثين عاما طلب مقابلتى ومنحنى هدية مالية قيمة وقال لى جمال صديقى وأعرفه جيدا وبارك زواجى الذى لم يدم طويلا وكان الموت فراقاً بينى وبين زوجى وبين أهلى يرحمهم الله جميعا !!!■



النقراشى مات

وفى جيبه ثلاثة جنيهات

يقول الشاعر الهندى طاغور: «الحق يختلف عن الخير والجمال فهما يتبعان أهواء الذات وميولها .. أما الحق فهو حق لأن الإنسان مرغم على قبوله ويفرض عليه فرضا» ولكن من كان الحق عقيدته وإيمانه ولا يخشى فيه لومة لائم فلابد أن تكون كلماته رجالا وشجاعته أفعالا .. إنه محمود فهمى النقراشى قطب الهيئة السعدية (١٨٨٨ - ١٩٤٨) رجلا من أعظم رجالات مصر وواحد من أبرز زعمائنا الوطنيين وأشهر السياسيين قبل الثورة.

شهد له سعد زغلول بالكفاءة والرزانة والإخلاص .. صاحب المقام الرفيع منصبا وخلقا واستقامة - عندما تم اغتياله كان فى جيبه ثلاثة جنيهات - السياسى الوحيد الذى تحمل فاروق صراحته الكاشفة وخشونته ليقينه من نزاهته ووطنيته .. رجل لم يجرفه الخلاف الحزبى إلى صغائر الجدال الشخصى أو الفجر فى الخصومة ظل يمتلك قلبا كبيرا لا يصغره الغضب وعلى الرغم من قوة شخصيته وشده مراسه وكل ما أثاره على الساحة السياسية من ضجيج وعجيج (حل جماعة الإخوان المسلمين - اعلان حرب فلسطين - عرض القضية المصرية على مجلس الأمن - حادثة كوبرى عباس الشهيرة - خلافه وانفصاله عن الوفد - انتقال السفير البريطانى من مصر لأنه طلب إقالته) فكان يردد دائما: «أنا أهاجم وأتهم بسبب صمتى إلا أننى أوثره عن قناعة وسيأتى يوم يعلم فيه الجميع كل شئ وسيعرفون أن صمتى لم يكن ضعفا أو خيانة بل اخلاصا وتفانيا فى سبيل الله والوطن».



ولد محمود فهمى -اسم مركب- النقراشى عام ١٨٨٨ بالأسكندرية حيث كان والده يعمل رئيساً للحسابات بالبوستة الخديوية وظهر نبوغه فى صباه [١٨١] المبكر فانتقل إلى القاهرة والتحق بكلية المعلمين العليا وبدأ ينخرط فى الحياة السياسية بخطى حثيثه ففى عام ١٩٠٧ أوفده سعد زغلول - وزير المعارف آنذاك- فى بعثة دراسية لدراسة العلوم والرياضيات بجامعة توتنجهام بانجلترا فكان اصغر اعضاء البعثة - ١٩ عاما - وعقب عودته تم تعيينه مدرسا للرياضيات فى الاسكندرية ثم انتقل للقاهرة وعمل معلما فى العباسية الثانوية ثم ناظرا لمدرسة الجمالية عام ١٩١٤ ثم أنتقل للمدرسة الأولية للبنين فذاع صيته وكفاءته فى وزارة المعارف وأصبحت المدرسة تعرف بمدرسة النقراشى وفى عام ١٩١٩ انخرط شأن بقية أقرانه الوطنيين فى غمار ثورة ١٩١٩ وبخطوات وئيدة وعزيمة لا تلين بدأت رحلة ارتقائه الوظيفى والسياسى فعمل مساعدا للسكرتير العام بوزارة المعارف ثم وكيلا لمحافظ مصر عام ١٩٢٤ فى عهد وزارة سعد ثم وكيلا لوزارة الداخلية فى نفس العام .. ثم أصبح وزيرا ثمانى مرات متفرقة فى خمسة وزارات مختلفة فى عهد فؤاد وفاروق فعمل وزيرا للمواصلات والداخلية والمعارف والمالية والخارجية ومن خلال هذا الزخم الوزارى عبر السنين تبلور فكره كسياسى محنك وحزبى متمرس وقد ساهمت صفاته ونزعاته وقدرته التنظيمية الفائقة فى إضفاء هالة من التفرد على شخصيته فى محيط أقرانه .. وهو أول رئيس وزارة مصرية تطالب بالإستقلال التام لمصر ووحدة وادى النيل عام ١٩٤٥ فعقب اغتيال أحمد ماهر وانتهاء الحرب العالمية فعليا بدأت بوادر المطالب الشعبية تتجسد فى الحلم بالإستقلال التام وإنهاء معاهدة ١٩٣٦ فقام بإلغاء الرقابة على الصحف وإزاله قيود الأحكام العرفية وصرح أنه «اتخذ خطوة فى سبيل تحقيق الأمانى الوطنية» لكنه ينتظر الوقت الملائم لإتمامها !! فأطلقت عليه الصحف لقب (أبوخطوة) شأن بقية أقرانه رؤساء الوزراء ومعظمهم تمتع بهذه الألقاب والإنعامات الصحفية التهكمية - فى العهد الملكى.

حين وقع الخلاف بينه وبين النحاس وأنفصل عن الوفد رفض عضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس بمرتب خيالى .. بل إنه رفض طوال حياته أن يكون عضوا فى مجلس ادارة شركة أو بنك .. وأثناء عرضه للقضية المصرية على مجلس الأمن عام ١٩٤٧ أرسل النحاس خطابا إلى المجلس يقر فيه أن رئيس الوزراء والوفد المرافق لا يمثل شعب وادى النيل وأغلبيته تؤيد حزب الوفد وكان موقفا فريدا تجسدت فيه الأنانية الحزبية وذروة الشقاق السياسى.

واغتيل النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ على يد عبدالمجيد حسن وكان عضوا بالإخوان المسلمين وطالبا بكلية الطب البيطرى توفى والده فقرر النقراشى تعليمه بالمجان فى جميع مراحل تعليمه وبسؤال المتهم فى التحقيقات عن دوافع جريمته النكراء .. أفاد أنه اقدم على فعلته مدفوعا بمشاعر الغضب والحنق على النقراشى لأنه أضاع فلسطين واعتدى على الاسلام حين قرر حل جماعة الاخوان المسلمين .. ودفع النقراشى حياته ثمنا لمكافحة الإرهاب الدموى والعنف المسلح والرصاص الطائش فى أيدى متطرفى الجماعة وكانت وفاته مصابا قوميا فادحاً ألهب جراح الأمة الطازجة التى لم تكد تضمد من جراء هزيمة حرب فلسطين وتعثر المفاوضات مع بريطانيا . ودفن النقراشى بضريح أحمد ماهر مع رفيقه وشقيقه السياسى وعقب انتهاء مراسم الصلاة عليه فى جامع الكخيا توجه فاروق لمنزل أسرته فى مصر الجديدة لتقديم واجب العزاء وبشهادة معظم معاصريه بدا حزنه عميقا على الرجل الوحيد الذى تصدى لمغامرة الخوض فى حياته الخاصة واعترض أكثر من مرة اثناء رئاسته الوزارة ملوحا بالإستقالة فيحاول فاروق استرضاءه.. وبمجرد أن وقعت عيناه على طفليه اليتيمين تأثر بشدة وأظهر حزنه وعطفه عليهما وطلب من والدتهما السماح لهما بزيارة القصر مرة أسبوعيا .. وعن ذكرياتها مع والدها ولقائها بالملك كان هذا الحوار مع السيدة صفية النقراشى وزوجها الدكتور شامل اباظة نجل الدسوقى باشا أباظة السياسى الكبير وسكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين وعلى الرغم من جمالها ورقتها واناقتها وصراحتها التى تشى بسطوة الجينات الوراثية وإنتقالها من الاباء للأبناء والأمر كذلك بالنسبة لزوجها د. شامل اباظة فقد رفضا تماما فكرة التصوير الفوتوغرافى المألوف فى نشر الأحاديث الصحفية وأكتفيا بصورهما فى مرحلة الطفولة النقية المترسبة فى أعماقهما (صورة السيدة صفية النقراشى مع الأميرات والملك وصورة د. شامل اباظة النادرة مع كوكب الشرق أم كلثوم) .

تقول السيدة صفية النقراشى : فى ذلك اليوم الحزين شاهدت الملك للمرة الأولى حين قدم إلى منزلنا بشارع رمسيس بمصر الجديدة لتقديم العزاء .. وطلب من والدتى السماح لى أسبوعيا ولأخى هانى فى المناسبات بزيارة الأميرات فى القصر الملكى وفى البداية تحفظت والدتى فهى سيدة شديدة الاعتداد بنفسها وكانت تخشى علىّ من الانخراط فى مهام الوصيفة - وهى من وجهة نظرها - مهام مفتوحة لا حدود لها .. ولكنها وافقت فى النهاية بعد أن شرحت لى مهام البروتوكول أثناء مصافحة الأميرات واللعب معهن ولكن تبدد كل ذلك عقب لقائى الأول مع الأميرتين فريال وفوزية وبمجرد وصولى فوجئت أنهما فى منتهى الرقة والبساطة شأن أية بنات فى أعمارهما بل أن وحدتهما كانت أعمق وعزلتهما اوضح فهما يعيشان بدون والدتهما وفى ذلك اليوم حضر الملك وبأبوه حانية قدمنى لهما قائلا : «من الآن صفية هى أختكم الرابعة وتصادف أيضا خلال تلك المقابلة وجود الأميرة الصغيرة فادية وكانت المرة الأولى التى تحضر فيها إلى القصر حيث كانت تعيش مع الملكة فريدة بعد انفصالها عن الملك

وأتذكر ذلك المشهد جيدا حين وقعت عيناه عليها .. أغرورقت عيناه واحتضنها .. وتركنا ثلاثتنا نلهو ونلعب مع «فيرى أو الأميرة فريال وفيزى أو فوزية كنت فى الثانية عشرة من عمرى حين توفى والدى وهو فى الستين من عمره .. وكان قد تزوج فى سن متقدمة نسبيا بمقاييس ذلك العصر - السادسة والأربعين - ومن خلال علاقته الحميمة بسعد زغلول تزوج والدتى السيدة علية زكى عام ١٩٣٤ وهى أبنة عم صفية زغلول التى كانت تعلم جيدا خلقه وعفته أما والدتى .. فكانت أرملة توفى زوجها تاركا أربعة أبناء تولى أبى رعايتهم وتربيتهم ومعاملتهم كأبنائه تماما (أنا وأخى هانى) واستمرت زياراتى الأسبوعية للقصر منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٢ والإنطباع الغائر فى ذاكرتى عن تلك الفترة يرتبط بتلك العلاقة الأسرية والمحبة الغامرة التى كانت تكنها الأميرات تجاه الملك فكن يحببنه حبا جما يفوق حبهن لوالدتهن كثيرا وبلغت محبتهن وتعلقهن به الذروة حين قررن السفر معه إلى منفاه وقد ساءهن بالطبع المطاعن الأخلاقية التى ظلت عالقة بسيرة والدهن وتحملن مشاق العمل والعناء شأن عامة الناس .. وخاصة فريال فهى التى تحملت العبء الأكبر خاصة حين توفى والدها وهى سيدة لطيفة مثابرة .. تزوجت سويسريا ولديها ابنة واحدة (ياسمين) شديدة الحساسية ذكية واسعة الأفق .. أما الأميرة فوزية شقيقة الملك - أمد الله فى عمرها - فالتقى بها فى الأسكندرية من آن لآخر فى لقاء يضم بعض الصديقات الحميمات وهى سيدة لطيفة تؤثر البساطة والهدوء فى كل ما يتعلق بحياتها.

وأسألها عن والدها وأصدقائه المقربين وكيف سارت بهم الحياة عقب وفاته؟

تقول السيدة صفية : توفى والدى ولم يترك لنا إلا ذكراه العطرة والسمعة الطيبة وفدانا بالعجمى ومنزلا مؤجرا من شركة سكة حديد مصر بإيجار شهرى ١٢ جنيها شهريا، وبعد وفاته قررت الهيئة السعدية وعلى رأسها ابراهيم عبد الهادى وكان صديقا حميما لأبى شراء البيت بعد موافقة مجلس الوزراء وكتب المنزل بإسمى أنا وأخى هانى الذى يعمل الآن فى ألمانيا فى مجال الهندسة الكهربائية ولديه مشروع ضخم لتوليد الكهرباء فى مصر بإستخدام الطاقة الشمسية.. ومعظم المغتربين فى ألمانيا يحظون برعايته ومساعدته . أما أنا فقد تزوجت عام ١٩٥٧ د. شامل أباظة وكان والده - رحمه الله - صديقا مقربا لأبى على الرغم من اختلاف تيارهما الحزبى أبى هيئة سعدية والدسوقى باشا حرى دستورى .. وحين تعود بى الذاكرة للوراء وأتذكر أسباب الخلاف بين أبى وحزب الوفد العريق ممثلا فى رئيسه النحاس باشا أستصغر كثيرا هذا الخلاف الهين مقارنة بما حدث ويحدث بين السياسيين فى فترات لاحقة فقد نشأ الخلاف نتيجة لتقصير وزارة النحاس فى الاجراءات القانونية السليمة لإجراء مناقصة عالية لمشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

تعليق : «لم يكن الخلاف الأوحد بين النقراشى وحزب الوفد فقد قدم النقراشى استقالة قبل تلك الواقعة التى ذكرتها السيدة صفية اعتراضا على فصل عباس العقاد من الهيئة الوفدية .. ومرة أخرى حين أراد إصدار صحيفة رسمية للهيئة الوفدية فاعترض النحاس ومرة ثالثة ورابعة وكانت استقالته الاخيرة بسبب خزان أسوان هى الإستقالة الخامسة وأخيراً اعتراضه على فرقة القمصان الزرقاء وما اسماه «بالزعامة المقدسة للوفد» .. إضافة لخلافاته مع النحاس فى مفهوم تطبيق معاهدة ١٩٣٦ .. مما دفع النقراشى للتخلص من الموظفين الإنجليز كلما سنحت الفرصة الأمر الذى أثار حفيظة الإنجليز ضده وبلغت العداوة مداها عام ١٩٤٦ حين طلب السفير الإنجليزى من الملك إقالته من رئاسة الوزراء عقب إغتيال أمين عثمان .. فطلب الملك من السفير كتابة مذكرة رسمية بإقالة النقراشى وابتلع السفير الطعم الذى كلفه منصبه فى مصر .. حين استخدم فاروق هذه المذكرة ومن خلال اتصالات عبد الفتاح عمرو السفير المصرى فى بريطانيا تم عرض المذكرة مشفوعة باحتجاج مصرى رسمى لدى الخارجية البريطانية ضد التدخل السافر الذى يمارسه السفير البريطانى «لامبسون» فى الشئون الداخلية .. وكانت تلك الواقعة تحديدا من أهم أسباب إقالة لامبسون أو اللورد كيلرن من منصبه» .

وتسترسل السيدة صفية فى ذكرى أبيها فتقول : على الرغم من خلافه الحزبى إلا أن علاقته بجميع الاحزاب والسياسيين كان يسودها الود والإحترام على المستوى الإنسانى والشخصى ولكن من أهم أصدقائه الحميمين الدسوقى باشا اباظة وأعضاء الهيئة السعدية وفى مقدمتهم القطبان الكبيران أحمد ماهر وإبراهيم عبدالهادى وتضحك - وتسترسل ضاحكة- : الذى أرتبط اسمه خطأ بحادثة كوبرى عباس الذى تم فتحه أثناء مظاهرات الطلبة وحين كان يشاهدها يبادرها قائلا : أنا مظلوم والله .. ولكنه أبوك إشارة إلى وقوع الحادث فى عهد وزارة النقراشى حيث كان يتولى منصب وزارة الداخلية إلى جانب رئاسته للوزراء على الرغم من أن الحادث تم تضخيمه وتجسيمه بما يتنافى مع الوقائع الرسمية المسجلة .

تعليق : ربما كانت قصة فيلم «فى بيتنا رجل» لكاتبنا الكبير احسان عبد القدوس هى السبب المباشر لذيوع هذا الخطأ حيث تناول الفيلم أحداث الواقعة مشيرا إلى أنها حدثت فى عهد إبراهيم عبدالهادى .

وتستطرد السيدة صفية فتقول : أما صديقه المفكر الكبير عباس العقاد فلقد ندمت كثيرا على عدم مقابلتى له وزيارته فهو رجل عظيم لا يجود الزمان بمثله كثيرا رحمهم الله جميعا .. وإذا كانت السمعة الطيبة والصيت الحسن عقداً من اللؤلؤ .. فأنا أحمد الله وأشكره أن وهبنى أبا صالحا وسياسيا مخلصا مازالت تذكره الأجيال وكتب التاريخ مما يؤكد أن الوفاء للوطن كالنقش على الحجر لا ينمحى بمرور الزمان !!!

د. شامل أباظة

وأتوجه بحديثى لزوجها د. شامل أباظة الحاصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة تولوز بفرنسا وكان رئيسا لاتحاد مصدرى الأقطان وعضوا سابقا بمجلس الشعب وله أهتمامات خاصة بالتاريخ والسياسة والاقتصاد.. قام بترجمة رواية جورج أورويل «عالم تسكنه الحيوانات» .. وهو فرع أصيل من فروع الأدب والسياسة فى شجرة العائلة الأباظية المتغلغلة والممتدة فهو نجل السياسى الكبير إبراهيم الدسوقى باشا اباظة الذى أشتهر منذ فجر شبابه بميوله السياسية والأدبية فعاصر مصطفى كامل وتشرب على يديه مبادئ الوطنية المستنيرة فكتب فى اللواء وفى كبريات الصحف المصرية .. وكان يوقع إنتاجه الأدبى بإسم «الغزالى أباظة» نسبة إلى بلدته ومسقط رأسه غزالة .. اشتغل بالمحاماة فى بداية حياته ثم خاض غمار الحياة السياسية مندفعا بحماس الشباب والوطنية خلال ثورة ١٩١٩. أنتخب وكيلا لمجلس النواب عام ١٩٣٤ وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين وسكرتيره العام حتى قيام الثورة عين وزيرا للشئون الاجتماعية والمواصلات والأوقاف والخارجية .. فلم تغيره الوزارة - شأن الأصلاء دائما - فكان يرى نفسه أكبر من المنصب وأوفى للقيم والمبادئ .. حتى أنه كان يخجل من فرط دماثته حين يخاطب بصاحب المعالى عشق الأدب فتعهد الأدباء الشبان بالكرم الأباظى الشهير «عدسا

وشعرا وسياسة وأدباً» كان يجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية ونعود لشهادة د. شامل أباظة - شقيق أديبنا الكبير ثروت أباظة - وذكرياته المطوية عن تلك الحقبة الزمنية التى عاصرها بشخوصها وأحداثها إضافة إلى نشأته وترعرعه فى منزل سياسى شهير .. ومن ثم فقد توافر له ما لم يتوافر لغيره من الإنطباعات والروايات والتحليلات الراصدة لأحداث تلك الفترة التاريخية المكتظة بالتفاصيل والخيوط المتشابكة والروايات المتناقضة فلنستمع لشهادته عن ذلك العرض التاريخى الذى رصده من خلال متابعته بصفته مشاهدا ناقداً من رواد الصفوف الأمامية ومن ثم فقد تراءى له ما لم يدركه المشاركون فعليا على مسرح الأحداث !!

يقول د. شامل أباظة : اتسمت سنوات ما قبل الثورة بالفوضى والحرية غير المقيدة للفكر والعمل السياسى ومصر رغم عجز مواردها قبل الثورة إلا أنها كانت بالغة الثراء برجالها .. وعلى الرغم من تدفقهم جميعا من نبع واحد أو مدرسة حزب الأمة تحت زعامة سعد باشا إلا أن معاركهم الداخلية وصدامهم ضد بعضهم البعض رغم أنتمائهم لفكر واحد وإنغماسهم فى مشاكل الحاضر أدى الى تعكير الحياة السياسية فى مصر وتراجع شعبيتهم فقد اصابتهم شيخوخة الأستعمار القديم وغاب عنهم جميعا تطوير برامجهم وفقا لمعطيات العصر وأقتصرت مطالبهم على الإستقلال ولم يشخص حزب واحد ببصره إلى ما بعد الإستقلال - فغفلوا عن المؤامرات التى كانت تحاك ضد الوطن والتحركات الخارجية فالحزب الوطنى القديم أصابه الأضمحلال وأدركه التيبس والجمود نتيجة لتمسكه بمبادئه التى عفى عليها الزمن .. ولم يحظ الحزب بأى زعامة سياسية ذات وزن منذ وفاة سعد حتى قيام الثورة .. بل أن الجناح المتطرف للحزب شكل مجموعة عسكرية سابقة على حركة الضباط الأحرار كما ذكر السادات وعبدالعزيز على مؤسس هذا الجناح فى كتابه «الثائر الصامت» وبدأ تعاونهم مع الضباط الأحرار فى نادى المغاربة بميدان الأوبرا إضافة إلى أن هذا الجناح كان يعمل بمنأى عن الزعامة الرسمية للحزب برئاسة حافظ رمضان وكان حسن عزت ينعتهم بالعصابة، وفيما بعد عين عبدالعزيز على حارسا على أموال أسرة محمد على. واتسمت تلك الفترة أيضا بظهور العديد من الشخصيات المغامرة التى طفت على سطح الحياة السياسية عقب نهاية الحرب العالمية الثانية أذكر أن عزيز المصرى كان على موعد مع أبى عام ١٩٤٩ فأتصل بى وطلب منى إستقبال الرجل والإعتذار له عن تأخره عن موعده .. وطال بيننا الحديث انتظارا لقدوم والدى فتطرق لمهاجمة فاروق وفساده وكيف هيأ له أحمد حسنين - رائده - أسباب اللهو والعبث أثناء فترة دراسته بانجلترا .. ثم ألقى أمامى بحكمته المفضلة قائلا : «مصر لا يصلح لها إلا الكرباج التركى» فأجبته : أن الملك فاروق من أصل تركى !! فأردف : تركى ولكن من أصل واطى وابن دخاخنى ثم أضاف حين أتكلم عن الكرباج التركى فأنا أعنى العائلات الكبيرة مثلنا ومثلكم وهكذا كان الثائر الوطنى لا يرى من وسيلة أخرى لإصلاح بلاده إلا الكرباج التركى !! ونتيجة لإختلاف موازين القوى ظهرت الايدلوجيات الجديدة فهرع الناس إلى الدين كبديل للأفكار الغربية ولكن بعضهم وقع فريسة للجماعات المتطرفة التى أتخذت من التوسل بالدين سبيلا للسيطرة العقائدية المحرفة ومن اللافت للنظر أن من يؤرخون للأحزاب فى مصر غالبا ما يقعون أسرى لأفكار الآخرين لأنهم لم يعايشوا العصر برجالاته وعاداته وظروفه المحيطة فيقسمون المجتمع إلى



قطاعات برجوازية أو زراعية أو رأسمالية وطنية أو وفقا للأيدلوجيات ويخطئون بذلك خطأ فادحاً فأحزابنا كانت تضم الفلاسفة وعلماء الفقه والسياسة وإدارة الأعمال والاقتصاد والآداب والتاريخ والمثقفون على عمومهم كانوا أشد إعجابا بشخصية سعد الساحرة ففى نطاق أسرتنا (الاباظية) -على سبيل المثال- كان أعضاء الأسرة ينتسبون لأكثر من حزب ومن الملاحظ أن أعضاء حزب الأحرار الدستوريين هم أساتذة الفقه الدستورى وآباء دستور ١٩٢٣ فى الوقت الذى تمسكت فيه الهيئة السعدية (النقراشى - أحمد ماهر - إبراهيم عبدالهادى) بوفديتها رغم أنفصالها فلم تنشىء برنامجا جديدا وأحمد ماهر بطبيعته المغامرة كان يرى أن احتمالات أنتصار الألمان ضعيفة للغاية وكان يضارب على انتصارات الحلفاء فالسياسة رؤية وأستشراف لمستقبل الأمة وقد أثبتت الأيام بعد نظر الحزب السعدى الذى كان يرى فى ترك مهمة الدفاع عن حدود مصر للجيوش البريطانية .. إقراراً بالحماية من شأنه إضعاف موقف المفاوض المصرى بعد الحرب وكان من رأيهم أيضا استغلال فرصة ضعف الموقف العسكرى للحلفاء وبريطانيا بالطبع .. والإعداد لتسليح الجيش وتدريبه تمهيدا لدخول الحرب التى كانت على وشك الانتهاء الفعلى وفيما بعد كشفت الوثائق البريطانية عن صحة هذا الرأى ومعظم السياسيين فيما بعد أدركوا خطأ التواطؤ مع النازية والفاشية وان كان المبرر عاطفيا . أما الجيش فكان منحازا إلى الملك ظاهريا فى الوقت الذى تفشت فيه جميع الأفكار السياسية المتناقضة فأنضم البعض للشيوعيين والأخوان المسلمين وأعضاء الجناح الراديكالى للحزب الوطنى وانضم بعضهم للحرس الحديدى إضافة إلى النازيين الذين يتجسسون لحساب الألمان ويمدونهم بالمعلومات والمواقع الحصينة.

فإذا تطرقنا لتقييم موقف الملك من الأحداث فإحقاقا للحق فى بداية عهده كانت لديه توجهات مصرية وطنية صميمة وكان متعاطفا مع القضية الفلسطينية .. لكنه فشل فى الإرتفاع إلى مستوى الأحداث وكان عابثا لم يحسن إختيار حاشيته واصدقائه ومستشاريه السياسيين ومنهم من تآمر على ملكه .. إضافة إلى سأم الشعب من تلاعبه بالدستور وسرعة تغيير الوزارات وعدم الاستقرار السياسى فكان يقحم على هذه الوزارات بعض سيئ السمعة ممن يمقتهم الشعب أمثال الياس اندراوس وحسين سرى عامر وكريم ثابت وأذكر بعد تعيين كريم ثابت وزيرا نشرت احدى المجلات رسما ليد مصابة بمرض جلدى -وكانت علة كريم ثابت- وتحت الصورة هذا البيت الشعرى : «أنا لا أرضى بتقبيل يدٍ ... قطعها أفضل من تلك القبل» وقد جانبه الصواب أيضا فى قبول فكرة تكوين تنظيم عصابى أطلق عليه الحرس الحديدى وحاول إغتيال النحاس أكثر من مرة وفشلوا لكنهم نجحوا فى إغتيال أمين عثمان وحسن البنا الذى نسب إغتياله ظلما إلى إبراهيم عبد الهادى .. وهكذا أحاط ملك البلاد نفسه بعصابة من القتلة ومن الضباط الذين لا يتقيدون بنظام أو قانون ما داموا فى تنظيم الملك ورعايته وحمايته التى أصبحت ترخيصا لهم بإختراق الشرعية والنظام .

وكان السادات من أبرز أعضاء الحرس الحديدى، وعلى صلة بالشيخ البنا وتربطه علاقة بعزيز المصرى وفى تلك الآونة بدأت صلته أيضا بعبد العزيز على عن طريق حسن عزت وقد روت لى شقيقة د. يوسف رشاد رواية تؤكد أن الملك كان منتظما فى دفع راتب شهرى للسادات أثناء فترة هربه وأنها لازمت شقيقها يوسف رشاد ذات يوم حين داهمه مرض عارض ولم يكن أحد بالمنزل سواها وفجأة تهادى إلى سمعها دقات جرس الباب ففوجئت بشخص لا تدل هيئته على انه ضابط سابق وأخبرها أنه أنور السادات .. فأنكرت وجود أخيها وذهبت فأخبرته بنبأ الزيارة فطلب منها إدخال الضيف إلى حجرة

نومه ثم قام وأخرج بعض الأوراق المالية من حافظته فاعترضت على إسرافه فى كرمه فغضب أخوها من تراخيها فى تنفيذ طلبه بإحضار السادات فعادت إلى الباب وأدخلته وبعد انصرافه استأنفت شقيقته عتابها فأسكتها بقوله أنها ليست أمواله ولكنها أموال الملك !! ولم يكن السادات هو الضابط الوحيد الذى انغمس فى تنظيم الحرس الحديدى بل إن كثيرين غيره من رجال التنظيم الذى كان يضم المدنيين والعسكريين على السواء وما نظن إلا أن جمال عبدالناصر كان هو الآخر عضوا بالتنظيم شأنه شأن حسن عزت ومصطفى كمال صدقى وغيرهم من المدنيين وفى مذكرات خالد محيى الدين ما يرجح صلة عبدالناصر بالتنظيم وأن هذه الواقعة مازالت تحيره .. إضافة لصداقته وقبوله للسادات عضوا بتنظيم الضباط الأحرار بعد الثورة رغم ما يعلمه من أشتراكه فى تنفيذ أوامر الملك فى بعض حالات الاغتيال بل إن جمال عبدالناصر كان شفيعا للسادات فى العودة للخدمة بالجيش لدى الدكتور رشاد وقد سجل السادات فى كتابه «البحث عن الذات» أن عبدالناصر طلب منه التقدم لامتحانات الترقية واعداً اياه باسترجاع ما فقده من رتبتين عسكريتين وهو خارج الجيش .. وبالفعل تمت الأمور كما اراد لها عبدالناصر وهى أمور تستلزم صلات مميزة بالسلطات العليا فقد برأته المحكمة من قضية اغتيال أمين عثمان عام ١٩٤٩ وكانت إعادته للجيش فى يناير ١٩٥٠ وما أظن أن الدكتور يوسف رشاد أو حيدر باشا كان بمقدورهما إعادة ضابط فى خطورة السادات إلى الخدمة دون استئذان الملك !! كما أن بعض رجال الوفد كانوا على صلة بالضباط الأحرار وعقب إقالتهم عام ١٩٥١ كانوا على أتم الاستعداد للترحيب بثورة يوليو خاصة بعد أن حاول الحرس الحديدى اغتيال النحاس بأوامر الملك وإغتيال وزير وفدى وقد يتساءل من لم يدركوا سطوة الاستعمار فى ذلك الوقت لماذا لم تتحد الأحزاب لتواجه القصر وتلزمه باحترام الدستور ومواجهة الإنجليز كرجل واحد ..

وقد عاصرت فى شبابى كثيرا من رجالات الأحزاب المختلفة ولمست مدى وطنيتهم الصادقة لكن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها فى ظل وجود قهر استعمارى فقد شارك أبى الدسوقى اباظة وبعض رجال حزب الأحرار الدستوريين والسعديين الذين هالهم عبث الملك بالدستور وفساد الحاشية فى العريضة الشهيرة فكانت نبوءة بزوال الملك سرعان ما تحققت وبدأت بإهتزاز العرش واضطر الملك إلى الاستعانة برجال مستقلين ليس لهم ثقل فى الحياة السياسية أمثال نجيب الهلالى وحسين سرى وعلى ماهر الذى قيل عنه أنه أشبه بالمصعد يصعد بالصاعدين ويهبط بالهابطين وهكذا ابتعد عنه رجال السياسة واحاط به المنافقون والخدم وفى عام ١٩٥١ أعلن تشرشل بعد أن اصبح زعيم المعارضة فى بريطانيا أنها لا تستطيع السيطرة وحدها علىٰ الموقف فى الشرق الأوسط دون الاستعانة بالولايات المتحدة وهكذا سجل «كيرميت روزفلت» فى تقريره للخارجية الأمريكية ولخص الموقف من وجهة نظرهم فى مصر فى عدة نقاط أهمها عدم إحتمال قيام ثورة شعبية فى مصر بواسطة الإخوان أو الشيوعيين وأنه من الصعب استبعاد تدخل الجيش وأوصى التقرير بأهمية قبول الجانب الأمريكى لفكرة الإطاحة بالملكية واستبعاد فاروق عن العرش على أن يؤمن السفير الأمريكى كافرى سلامة خروجه وأن يبدى اعتراضه الصورى على الإنقلاب وتأسيسا على ما تقدم فالتقرير يؤكد مدى إستهانة المخابرات الأمريكية بالأوضاع الداخلية فى الدول التى تتعامل معها إضافة إلى خداعهم لفاروق من خلال الدور المزدوج لسفيرهم كافرى الذى كان يتظاهر بصداقة الملك فى الوقت الذى اقترح فيه دعم حركة الضباط الأحرار .

وأذكر أن اسماعيل شيرين صهر الملك وزوج الأميرة فوزية – حدثنى بواقعة حدثت قبل الثورة بأيام حين أتصل السفير الأمريكى كافرى بالقصر معربا عن أهمية مقابلة الملك فطلب الأخير من إسماعيل شيرين مقابلته وإستجلاء الأمر .. فحمّل السفير رسالة شفوية لإسماعيل شيرين تحذر منْ وقوع إنقلاب عسكرى وشيك وقد روى إسماعيل شيرين – رحمه الله – هذه الرواية أمامى بعد الثورة كدليل على عدم اضطلاع أمريكا بأحداث الانقلاب وهو ما لم يكن صحيحا كما أوضحت سلفاً . بعد الثورة بأيام كان حيدر باشا يجالس والدى فى فندق سان استيفانو بالاسكندرية فقال فى زهو أن أسماء الضباط الأحرار جميعا كانت فى درج مكتبه .. وقد لا يعلم البعض أنه – خال عبد الحكيم عامر – أن حيدر كان يشكو تليفا فى كبده الأمر الذى يفضى غالبا إلى سوء تقدير المريض للأمور وتهويلها وهذا ما حدثنى به طبيبه (منصور فايز) فكان حيدر دائم الشكوك فى نوايا الملك تجاهه خاصة أنه كان على علم تام بالحرس الحديدى وقدرته على إغتيال الشخصيات العامة غير المرغوبة .. فقد أنقلب عليه الملك فتزعزعت مكانته بظهور حسين سرى عامر .. فأغدق حيدر المكافآت والعلاوات على ضباط الجيش وكان صلاح سالم ملحقا بمكتبه وقد أشاد إسماعيل شيرين أمامى بشجاعته وشهامته ومروءته وإخلاصه لاصدقائه إلى حد التضحية وقد زامله خلال حرب فلسطين .. ومن العلاقات المتميزة أيضا بين اعضاء الضباط الأحرار ورجال ما قبل الثورة لابد أن نذكر السياسى العظيم إبراهيم عبدالهادى وله مكانة خاصة فى قلبى وقد عاصرته فى طفولتى وشرخ شبابى سياسيا لامعا وخطيبا ساحراً يأسر مريديه بعباراته النارية فكانت لديه قدرة على تحريك الجموع بكلماته النافذة .



وعلى الرغم من أن السادات كان عضوا فى محكمة الثورة التى حكمت على إبراهيم عبدالهادى بالإعدام إلا أن الأخير كان متفهما تماما لأبعاد المحاكمة وأهدافها .. وأدرك بخبرته السياسية أنها محاكمة صورية إرضاء للإخوان المسلمين واحترم السادات الموقف وتعاطف مع الرجل الذى حكم عليه بالإعدام من الإنجليز فى شبابه وأذكر حين تولى السادات رئاسة الجمهورية هرعت إلى إبراهيم باشا وسألته عن رأيه فى السادات وكان شائعا عنه أنه ماركسى كما جاء فى مذكراته «البحث عن الذات» فيما بعد فيروى أن الملك سعود أخبره أنه عميل السوفيت الأول فى مصر وفقا لتقرير المخابرات الأمريكية الذى أطلعه عليه .. فابتسم إبراهيم عبدالهادى ابتسامة هادئة وقال لى «ان هذا الذى تستهينون به سيأكلهم جميعا فهو الوحيد فيهم الذى لديه فكرة عن السياسة!!»

وتولى السادات الحكم فسارع بإلغاء أمر الاستيلاء على أموال إبراهيم عبد الهادى .. وظل يعوده فى مرضه ويقبل يده وجبينه وهذا سمو إنسانى لا يصدر إلا عن رجل سمح كريم فالإسلام يوصى خيرا بأهل الحل والعقد والصفوة، ومن الحكايات الَّتى لا تنسى ما رواه لى إبراهيم باشا أيضا عن رحلة سفره بالقطار مع الملك عام ١٩٤٩ أثناء رئاسته للوزارة فإذا بمجموعة من فئات الشعب تهرع إلى الملك وتستقبله فى حماس بالغ – وكان لايزال يتمتع بنذر من الحب وإن كان قد بدد رصيده الأكبر منه – فاذا بالملك يدفعهم بعصاه الصغيرة قائلا : امشى يا ولد ثم استدار إلى إبراهيم باشا ظنا منه أن الوزارة هى التى رتبت هذه المظاهرة الصغيرة وقال له بخبث : أحسنتم الترتيب فقال لى الباشا : هنا أدركت أن الملك قد انتهى بالفعل فاختلط عليه الأمر وأصبح لا يميز بين العواطف والمشاعر الصادقة وبين المأجورين والمنافقين !! أو كما تقول الحكمة الخالدة البصيرة لا البصر !!! ■

كتاب تذكارى

ترى ما سر هذه الضحكة الجماعية بين الملك والنقراشي والدسوقي أباظة

والدة صفية النقراشي بصحبة أم المصريين صفية زغلول وهي ابنه.. عمها وفي أقصى اليسار السيدة رتيبة والده الكاتبين الكبيرين مصطفى وعلي أمين

د. شامل أباظة
بصحبته كوكب الشرق
أم كلثوم إحدى
زياراتها لعزبة
الدسوقى أباظة

الملك والأميرة فائزة وزوجها محمد
على رءوف بصحبة ابنتيه فريال
وفوزية وفى أقصى اليمين
صديقتهم صفية النقراشى

الجماهير الغفيرة تحيط بسيارة النقراشى فى موكب تاريخى فريد عقب عودته
من مجلس الأمن عام ١٩٤٧ حيث عرض قضية استقلال مصر



طباخ فاروق

هل يأكل الملوك ما يعجبهم شأن كل الناس؟ أم أنهم ضحايا بروتوكولات قوائم الطعام والشراب وبصفة خاصة فى الموائد الرسمية - وما أكثرها - ترى لماذا كان يهرب فاروق من موائد قصر عابدين العامر بحثا عن طعام أشهى ومذاق ألذ وقيود أخف وهل كانت بدانته ناجمة عن نوعية طعامه المفضل وكمياته فى زمن - الكيلو بخيره - وهل كان حقا يتناول حساءً خاصا من خلاصة خمسين خروفا ؟ ولماذا يأكل الحمام بالطين ؟ وما سر كوز الذرة المشوى الموصوف له ساعة المغرب؟ وماذا حدث فى الوليمة التى تم إعدادها يوم حريق القاهرة؟

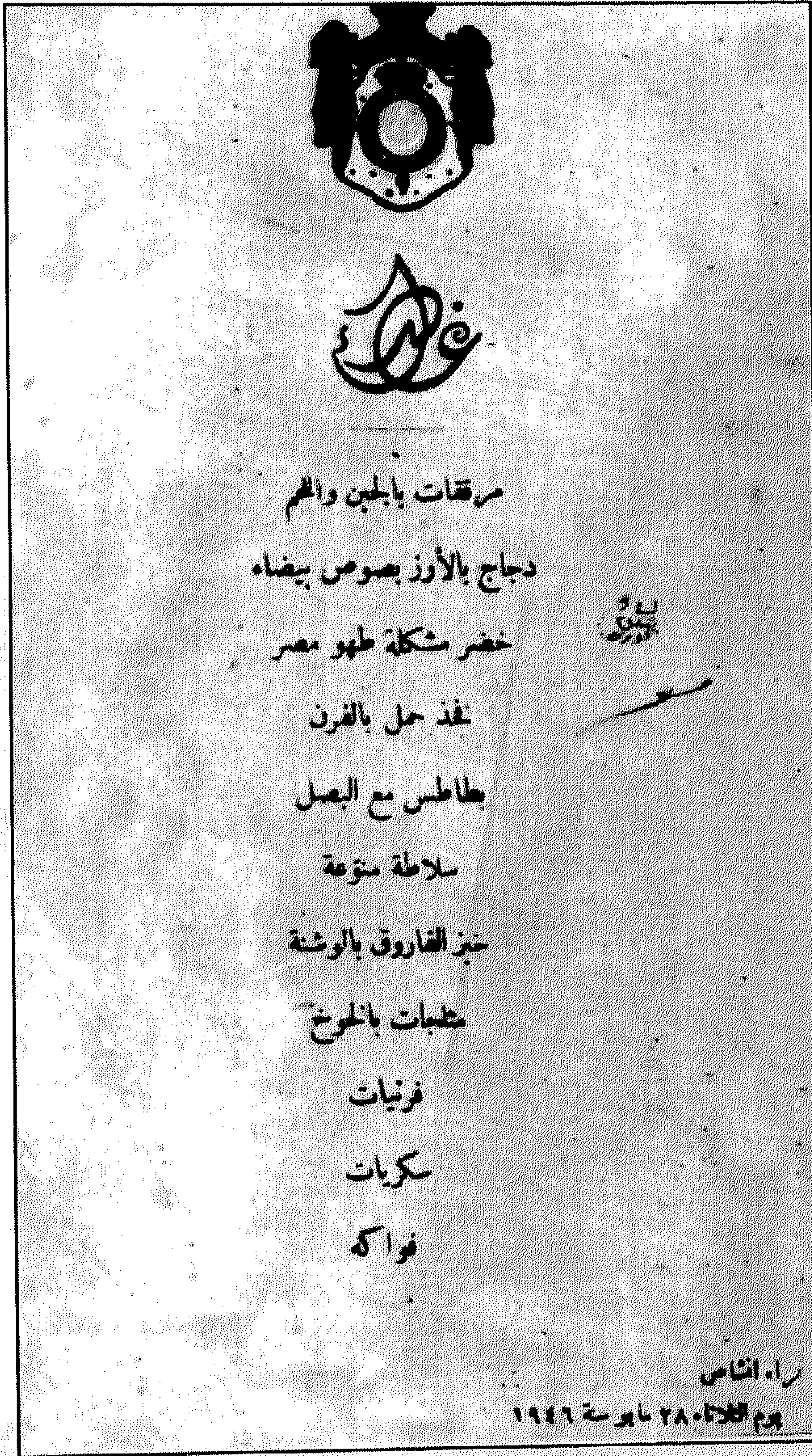
الشيف عطية مرسى عمل بقصر عابدين من ١٩٣٨ حتى ١٩٥٢ يروى حكاياته الممتعة وأبطالها المتنوعين من الأوزى إلى الشركسية والملوخية البرانى والشوربة الكونسميه والسوبريك والمهلبية بالفراخ مروراً بالمرمطونات والكمريرات وكل ما يحدث فى المطبخ الملكى.

يقول الحاج عطية أطال الله فى عمره : «نشأت فى عائلة معظمها من الطباخين فوالدى وجدى كانا طباخين معروفين عملا لدى مشاهير الباشاوات وإخوتى التسعة كلهم طباخون أيضا.. فهى مهنة وراثية تمنحها الوراثة وبالثقة والجودة وفى الرابعة عشرة من عمرى دخلت القصر من خلال «كبير الطهاة عمر حلاوة» وهو المسئول عن توريد طباخين ومساعدين للقصور الملكية ونظرا لصداقته بوالدى تم ترشيحى مع بعض أبناء الطباخين الكبار وكانت تلك هى القاعدة المتبعة حفاظا للأمن والتحريات على الرغم من خضوعنا للتفتيش الذاتى عند الدخول والخروج والأمر كذلك للمرمطونات «مسح - تلميع - تنظيف» «يعملون ورديات وهم أبناء لآباء تركوا القصر أما الكمريرات فكانت تختص بتوريدهن للقصر سيدة يهودية تدعى «أم عزيزة».



وفى بداية عملى كان يتم الإعداد لزفاف فاروق وفريدة فرفعت حالة الإستعداد القصوى وفى ذلك اليوم كنت مكلفا مع آخرين بمهمة محددة فقط لا غير وهى «وضع الكاساتا» وإعدادها للسفرجى فى أطباق ثم توزيعها على الترابيزات ولن أنسى ما حييت تلك الليلة التى غنى فيها محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وعلية القوم والكبراء فى ذلك الحفل صنعت أول تورتة زفاف بيضاء فى مصر وثانى تورتة كيك بالأنوار (لم تؤكل).

أما عن كيفية العمل داخل القصر فكان يتولى الإشراف على فريق العمل بأكمله الشيف عبدالعزيز وقد عمل مع الملك فؤاد وفاروق فكانت لديه خبرة هائلة وقدرة على تسيير العمل فى كل المطابخ الملكية فى كل قصر على الرغم من أن عمله إدارى بحت فهو يصدر أوامره إلى «جاردا مانجيه» أحمد سالم وهو أعلى رتبة فى المطبخ الملكى فهو الذى يتولى إعداد قوائم الطعام وتوضيبه ثم يتركه لشخص آخر يقوم بتسويته وشخص ثالث يتولى غرفه ألخ .. ولديه المفتاح السرى للخلطات والتتبيلات والصلصات التى تعطى الطعام مذاقا ونكهة رائعة .. وفيما يتعلق بعملى أنا وزملائى الطباخين فعددنا فى المطبخ فى الأيام العادية لا يتجاوز العشرين طباخا وفى الحفلات يرتفع الرقم إلى الضعف .. وكل منا مسئول عن مرحلة معينة وصنف واحد خلال اليوم وكنا نقوم أيضا بمساعدة الشيف الكبير فى توضيب السرفيس .. ومن خلال وجودنا الدائم كنا نتعلم كل الأصناف ونتقنها تماماً ولكن المشكلة التى تواجهنى الآن عند التفكير فى إعداد أى صنف أن «المون» ليست متوفرة وهكذا سيختلف الطعم بالتأكيد وإجابة عن سؤالك الرئيسى ماذا كان يأكل الملك ؟ فمن المؤكد أنه كان نزيها جدا فى طعامه .. لم يكن يأكل كثيرا على عكس ما هو شائع .. ولكنه كان ذواقة لبعض الأصناف المحددة ففى قصر عابدين فى الدور العلوى الخاص به كانت توجد فاترينات طعام حيث يتم إرسال الأصناف المجددة بقائمة اليوم فى الواحدة ظهرا مثلا وأحيانا يتركها حتى السابعة مساءً ويتم تسخينها فى الأفران الكهربائية فى الدور العلوى ولا نعلم شيئا بعد ذلك.



مرقات بالجبن واللحم

دجاج بالأرز بصوص بيضاء

خضر مشكلة طهو مصر

فخذ حمل بالفرن

بطاطس مع البصل

سلاطة متنوعة

خبز الفاروق بالوشنة

مثلجات بالخوخ

فرنيات

سكريات

فواكه

سراى انشاص

يوم الثلاثاء ٢٨ مايو سنة ١٩٤٦

قائمة الطعام التى قدمت للملوك والرؤساء العرب فى اجتماع أنشاص عام ١٩٤٦

حمام بالطين

اشتهر الملك بحبه للدعابة والتبسط أحيانا مع الحاشية خاصة فى الحفلات الخاصة التى كان يقيمها فى أنشاص أو فى الاسكندرية ومن الأشياء الطريفة التى علقت بذهنى مداعبته لنا فى احدى حفلات أنشاص التى أحضرنا فيها الخشب لإشعال النار ووضعنا إناء من الماء المغلى استعدادا للطهى فإذا بالملك يلقى بعض الجنيهات الذهبية فى الماء ويضحك معنا قائلا : اللى عاوز جنية يمد إيده يطلعه!! وفى تلك الحفلة أيضا شاهدت للمرة الأولى فى حياتى طريقة عمل الحمام بالطين وهى أكلة شرقية يتم إعدادها أولاً بتتبيل الحمام بالبصل والليمون ثم تلف كل حمامة بالورق الاجلاسيه الأبيض بدون حشو ثم تلف بالشاش وأخيرا بالورق الألمونيوم .. ويتم تجهيز إناء كبير مملوء بالطين الناعم الطرى من النيل ويتم غرس الحمام فى الطين وتغطيته بشاشة ثم يغطى بطبقة أخرى فوق الشاشة من الطين ويدخل الإناء الفرن لمدة ساعتين بالطين بعد خروج الإناء يتجمد الطين ونتشل الحمام ثم ننزع اللفافات عن حمام شهى المذاق جدا يميل لونه إلى الحمرة وهى طريقة مميزة جدا للحصول على حمام ليس مشويا ولا مقليا وهذه الأكلة كانت من أكثر الأكلات المحببة إلى قلبه فى الحفلات والرحلات إضافة إلى السمان وكان يحبه مخلياً ومحشياً فى الجزء السفلى أما الجزء العلوى فيظل بالعظم ثم يشوى ولحم الأوزى أيضا وكان يفضل فى أكله (الفليتو فقط) .

ومن أكثر الشائعات التى ارتبطت بطعام الملك إشارة لبذخه وشراهته

فى الطعام تلك الشوربة التى قيل إنها كانت تصنع خصيصا له من خلاصة خمسين خروفاً وهو كلام خاطئ مائة بالمائة وحقيقة الأمر أننا كنا نقوم بإعداد شوربة خاصة من لحم جاموسى كبير توضع فى إناء كبير جدا يسع خمسين كيلو جراما من اللحم وتسلق مع البصل والجزر والطماطم من الساعة السابعة صباحا حتى العاشرة مساء وكلما نقص الماء يتم تزويدها تدريجيا إلى أن يتهرى اللحم والخضروات تماما فتصفى بالمصفاة ثم بالشاشات وأى شوربة تصنع للملك عموما لابد من تصفيتها بالشاشة وبعد ذلك يتم نزع الوش الدسم وتوضع فى الثلاجة من أجل الحصول على الدهون المجمعة على سطحها فيتم نزعها ثم تصفى مرة أخرى بالشاشة ثم تكرر العملية وفى النهاية يتم تثليجها والمفاجأة انها كانت تشرب باردة ولونها ذهبى يشبه لون البريل الآن وهى من الأصناف المميزة جدا التى كانت تطهى له خصيصا وفى الفنادق والسرايات الأخرى كانت تطهى بطريقة مختلفة، أما السوبريك فكان يصنع من رقائق ويتم حشوه بالفراخ أو اللحمة أو الجبنة والسوبريك كان من إختصاص شيف لبنانى أما بقية العجائن والفطائر فكنا نقوم بتصنيعها مثل البوريك لكنه كان يصنع للملك من عجينة البغاشة .. وجميع أصناف الخضار التى كانت تطهى فى القصر تصنع بالصلصة البيضاء فالبامية مثلا كانت ترص بالواحدة وتدخل الفرن وتستوى على نار هادئة ثم تقلب فى السرفيس بصلصتها البيضاء المتماسكة وكان يأكل أيضا الملوخية البرانى فيحمر نصفها مثل سلق القلقاس والكمية الباقية تخرط وتضاف اللحمة المفرومة بالبصلة المحمرة ثم يخلط الصنفان وهكذا تغلى على النار بدون عرق .

الشركسية والمهلبية

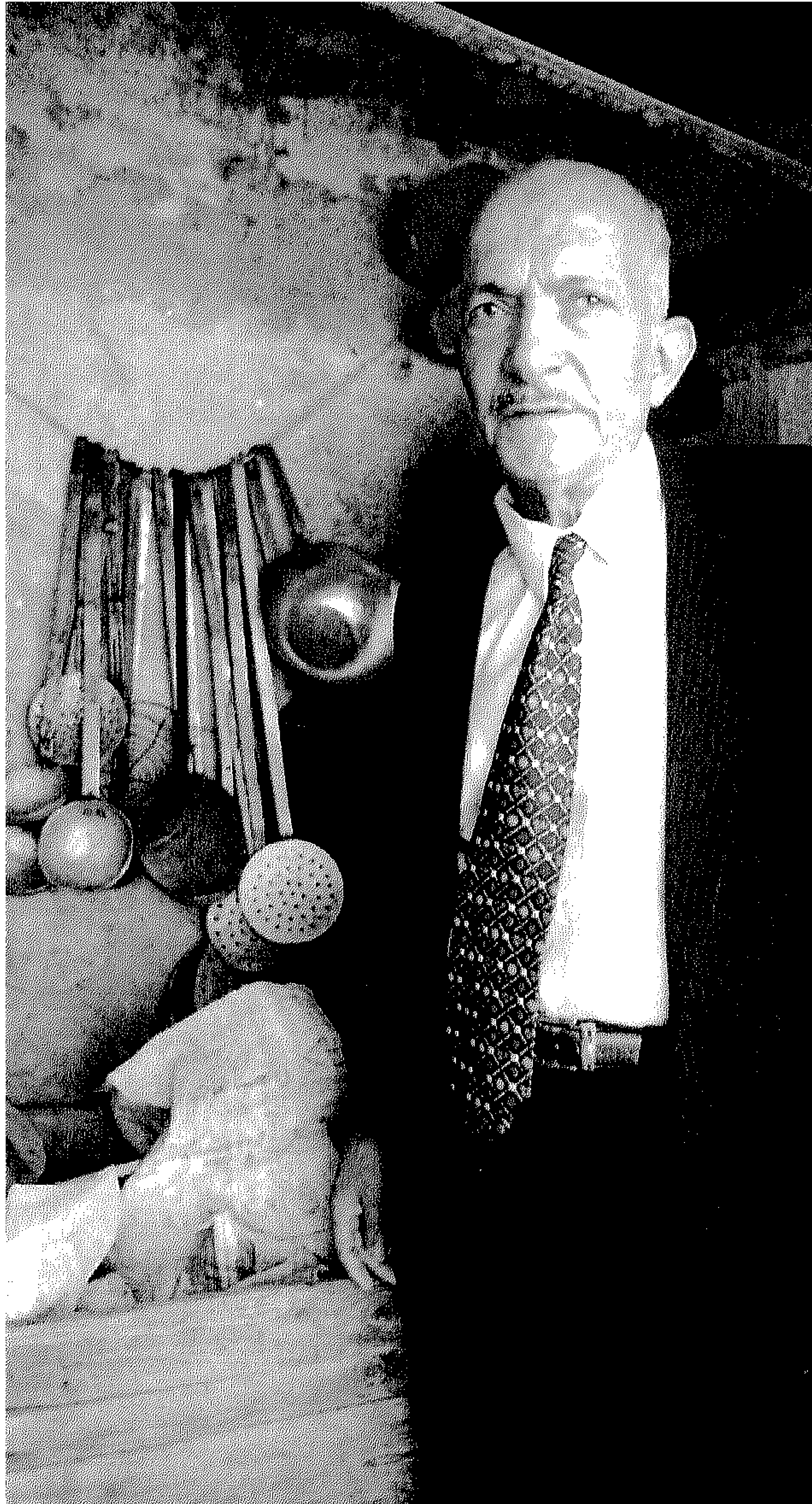
وحين نقول أكلات زمان وليالى زمان فالشركسية هى أول ما يتبادر إلى أذهاننا أو معدتنا بمعنى أصح يقول الشيف عطية : هى الأكلة المفضلة فى ذلك العصر يتم إعدادها بالفراخ المسلوقة المنزوعة الجلد والعظم وتستخدم شوربتها لسلق الأرز الأبيض ويتم إنتشاله طريا .. وتجهز عجينة طرية تقترب من شكل الطحينة من خلال سلق عين الجمل والبندق وتجفيفهما وتنعيمهما حتى يصيرا بودرة ثم تسقى بالشوربة وتترك على النار فتتحول لعجينة متماسكة مثل الطحينة ثم يضاف قلب رغيف فينو مبلل إلى الخلطة وبعد النضج يغرف الخليط فى سرفيس ويوضع الأرز الأبيض فى الوسط ويجمل بالوراك المخلية.

سبيط فى رأس التين

فى فصل الصيف كان الملك ينتقل بحاشيته كاملة إلى الاسكندرية وأثناء إقامتنا فى قصر رأس التين .. أكتشفوا سرقة جوارب الملك فؤاد !!! فقرروا خروج جميع الطهاة وإقامتنا على حساب كبير الطهاة عمر حلاوة خارج القصر .. وفى السنوات الأولى من عملى كدت أفصل نهائيا نتيجة لنزولى البحر مع أحد زملائى دون علمهم .. فطلب الملك شيئاً من الثلاجات التى كانت مغلقة ومفاتيحها معى .. وبمجرد خروجى من البحر صفعنى رئيسى ومنذ ذلك اليوم أدركت مدى الجدية والالتزام والإتقان المفروض توافرها إذا أردت الاستمرار فى عملى .

ومازلت أذكر تلك الأيام الرطبة فى صيف الاسكندرية حيث اعتاد الملك نزول البحر للسباحة والغطس والصيد أحيانا قبل المغرب وقد اعتدنا أن نشاهد سيدة إيطالية من زوجات رجال الحاشية تتوجه بنفسها إلى المطبخ وتقوم بإعداد طاجن سبيط وتقوم بشراء كوزين ذرة وكان لا يأكل السبيط إلا من يديها وفى بعض السنوات كان تتوازى الشهور الهجرية وخاصة شهر رمضان مع شهور الصيف فكنا نحيى ليالى رمضان فى القصر ونقوم بإعداد وجبات الإفطار ومعظم أيام الشهر تتضمن مآدب رسمية يقيمها القصر للجاليات الإسلامية والعربية والطلاب ويتجمع الناس خارج القصر لسماع كبار المقرئين .

وأذكر أن الملك فاروق غضب حين علم أن المسئول عن المطابخ الملكية «عبدالعزيز» أخذ بقشيشا من الملك عبد العزيز آل سعود الذى أبدى إعجابه بالطعام الملكى فقام الملك فاروق بتعيين نائبه «بيتا» بدلاً منه وبعد مرور هذه الفترة التأديبية أعاده إلى عمله مرة أخرى نظرا لخبرته الواسعة .



الشوربة الكونسميه الملكية هى خلاصة خمسين كيلو جراما من اللحم

وليمة حريق القاهرة



ولد ولى العهد فى السادس عشر من يناير ١٩٥٢ ومنذ ذلك التاريخ كان القصر لا يخلو من الولائم الرسمية وغير الرسمية وفى يوم مولده تم إطعام مائة ألف فقير بالمجان ومنح عشرة جنيهات لكل مولود ذكر ولد فى نفس اليوم وظلت موسيقى الحرس الملكى تعزف لمدة سبع ليال خارج القصر وفى آخر حفلة يوم ٢٦ يناير حضر جميع الضباط وحيدر باشا ومنذ الصباح تم إعداد كل شئ كالمعتاد وكنا لا ندرى بما يحدث فى الخارج ولكن بمجرد أن وصل الخبر للقصر فزعنا جميعا فقيل لنا إن البلد بتتحرق وتتنهب .. فارتبك الجميع وكنا قد انتهينا من عملنا .. وللمرة الأولى فى حياتى أصعد إلى الدور العلوى وأشاهد المأدبة الرسمية وفوجئنا جميعا بأن الطعام لم يؤكل منه شيء على الرغم من ضخامة الوليمة وكثرة المدعوين .. فقام المسئولون بتوزيع الطعام على الطهاة والمرمطونات، وفى ذلك اليوم عدت إلى منزلنا بخروف كامل وثلاث تورتات وخرجنا جميعا من الباب الخلفى.. ثم قامت الثورة وخرجنا جميعا من القصر وخرج الملك من مصر .. ولكنى مازلت أعمل حتى الآن وهذا أكبر دليل على أن الدهن فى العتاقى !!■



المرأة الحديدية أو مسز نايلور مربيته الإنجليزية القاسية كما ذكر فى مذكراته



مذكرات فاروق

فى قصته القصيرة «الموتى لا يكذبون» يفجر الروائى الفرنسى جى دى موباسان قضية الموت والدلالة الموضوعية لكلمات التأبين والألقاب والصفات التى نحتتها على شاهد القبر وارتباطها بالإعجاب الشخصى الذى يفقد الصواب والحب المفضى للضلال من خلال قصة امرأة فقدت حبيبها الأوحد وظلت حريصة على زيارة قبره بصفة شبه منتظمة وفى ليلة من ليالى الشتاء الباردة جلست وحيدة فى وحشة لا يبدد سكونها إلا حفيف شجرة مستضعفة مورقة بالأحزان وأغصان الذكريات ... وفجأة أصابها الهلع حتى كادت تتوقف انفاسها .. ففركت عينيها غير مصدقة لعلها تهذى أو تتخيل ... حين شاهدت الموتى ينهضون جميعا من تلك المقبرة كالأشباح المنومة وإذا بهم يسارعون إلى شواهد قبورهم لتصحيحها ومحو الأكاذيب والصفات الملائكية والعنترية التى خلعها عليهم أهلهم وذووهم ومريدوهم وقتلها الركود من شجاعة وصدق ووطنية ويقومون بتسجيل صفاتهم الحقيقية التى كان يجهلها الجميع أو يتجاهلونها . وهكذا ظهر عواء الذئاب البشرية فمنهم اللص والقاتل والكاذب والمخادع ... أما بطلة القصة فقد ارتعدت حين خرج أمامها حبيبها متوجها إلى شاهد قبره ليمحو هذه العبارة «أحب .. ثم أحب .. فمات» ليطعنها بتلك العبارة القاتلة : «خرج فى ليلة ممطرة .. فخان حبيبته فأصيب بالحمى فمات!!»

فإذا استعرنا البؤرة الفكرية التى صنعها موباسان فى قصته لقراءة التاريخ وشهادة صانعيه بعد زوال المنصب وإنتهاء صلاحيتهم تاريخيا من جهة وشهادة معاصريهم الحية المتدفقة سلبا أو إيجابا من جهة أخرى فقد تبدو اللوحة أوضح خطوطاً وتفسيرا إذا توافر لنا الإستماع للصوت الفاعل شخصيا، من هذا المنطلق يمكننا الإنصات لشهادة فاروق على نفسه وعصره وعهده ورؤيته المغايرة فى تفسير الأحداث وتعليل نتائجها ... فقد أفضنا فى الحديث عنه أكثر من نصف قرن خاصة فى الفترة الأولى التى أعقبت نزوله عن العرش أى فى فورة إنفعالنا وعنفوان أحداثنا فأنصف البعض التاريخ بينما وقع الآخرون ضحايا الأهواء والميول الذاتية فصرعت الحقيقة والموضوعية وتركت حتى ماتت فى العراء !!



ولكن هل يشهد الإنسان على نفسه وطبيعته تنأى به دائما عن الموضوعية وتغريه بالإعجاب والافتتان بعمله وإن ساء صنعه ... فليكن الأمر كذلك ولنقرأ قصائد مديحه الذاتية الطاووسية واتهاماته الإنفعالية وكيفية تفسيره للأحداث وفقا لأبعاده واتجاهاته آملا فى توافر القدر الأكبر من الموضوعية التى أفسحت المجال أمام كل المؤرخين للإدلاء بدلوهم فى شخصه وعهده .. أما إذا افترضنا جدلا أنه توفى تاريخيا وملكيا بعد أن فقد كل شئ – على طريقة موباسان – وأنه فقد صمته الارستقراطى فنهض هو الآخر شاكيا متوجعا من عسر هضم الاتهامات.. يقطر ذكرياته ويستدعى انطباعاته ويفصح عن ردود أفعاله المكبوتة الزاميا بحكم منصبه .. ترى ماذا كان سيمحو ويكتب على شاهد قبره وقد نفض غبار الأطلال الملكية واتشح بثياب غير رسمية فلنقرأ بوحه وفضفضته وقلبه مازال مفعما بفورة الأحداث التى أعقبها سكون أبدى .

ففى الخامس من أكتوبر عام ١٩٥٢ بدأت صحيفة «امباير نيوز» الأسبوعية الانجليزية فى نشر سلسلة بعنوان «ذكريات فاروق» فى صدر صفحاتها من خلال لقاءات فاروق فى إيطاليا مع الصحفى الإنجليزى نورمان برايس والذى كانت تربطه بفاروق صداقة تعود لسنوات ملكه وتكتسب هذه المذكرات تفردا تاريخيا ووثائقيا لسببين هامين أولا : لأنها المرة الأولى التى يتحدث فيها فاروق للصحافة العربية والعالمية سواء خلال فترة حكمه أو بعد نزوله عن العرش وأنها استمرت تنشر أسبوعيا حتى يناير ١٩٥٣ مدعومة بصور فوتوغرافية قام بانتقائها بنفسه خلال فترة نفيه الأمر الذى أكسبها أهمية عالمية وفقا لوصف جريدتنا الأهرام ففى ١٩ أكتوبر ١٩٥٢ نشرت رد محمد نجيب وتعقيبه على الحلقة الأولى فقط لكنها المرة الأولى والأخيرة التى يتم فيها الرد على فاروق وفقا لما أعلنه نجيب !! وتكتفى الأهرام بنشر حلقة أخرى فقط – لاعتبارات لا تخفى على أحد آنذاك – بتاريخ ٢٢ أكتوبر يتحدث فيها عن طلاقه من الملكة فريدة وهكذا ظلت اثنى عشر حلقة كاملة من تلك المذكرات حبيسة فى كهوف الماضى وإن أشار إليها قلة من المؤرخين فى عبارات موجزة مقتطعة من السياق المطلوب لقراءتها بصورة سليمة وشبه تامة .. والسبب الثانى : أننا نلخصها ونعرض لها للمرة الأولى فهى رواية بتصرف فاروقى لا تخلو من الكبرياء والعنجهية الملكية ونقد الذات والآخرين بسخرية ومرارة بكلمات واضحة أفصحت عن الكثير من مكنونات الصندوق الأسود لدخائل نفسه أى أصداء طفولته ومأساته مع والدته وتطرقه لجميع الشائعات التى التصقت به .. فى الوقت الذى يتبرأ فيه من بعض التهم نجده يدين نفسه بتهم أخرى دون أن يدرى واللافت للنظر أيضا أنه ظل يتابع كل المستجدات التى كانت تجرى على المسرح السياسى فى مصر بترقب شديد ورؤية متحفزة لكنه لم يعدم تشاؤم المحنكين حين تنبأ بمستقبل نجيب فى توقيت مبكر نسبياً .

وأخيراً فالحياة فى جوهرها شريان دافق من المواقف والأفعال التى لا تتوقف وليست لافتات أو أختام سياسية تدمغ بها صفحات التاريخ – يسارية أو يمينية أو ملكية – ولكنها رحلة قطار كتلك التى صورها كاتبنا الكبير توفيق الحكيم فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم حين يختلف السائق والعطشجى حول نور الإشارة التى أمامهما هل هو الضوء الأحمر فيجب أن يقف القطار كما يعتقد السائق ؟! أم أنه الضوء الأخضر كما شاهده العطشجى فيطالبه بالسير .. فيختلفان ويحتكمان إلى المارة والركاب الذين ينقسمون بدورهم وبتضارب الآراء وتعددها تظل هناك حقيقة واحدة مؤكدة أمام الجميع وهى أن القطار يسير إلى الأمام ويتقدم فى مساره وان اختلفت الآراء والرؤى وهكذا أعتادت مصر السير دائما إلى الأمام دون أن تنكر ماضيها الزاخر بالدروس المستفادة والمنفصل عنها والمتصل بها من خلال هذه النوافذ التاريخية البللورية .. فلنقرأ معا ذكريات فاروق فى المنفى .

الآن .. أنا حر

كنت دائما أؤثر الصمت فى صبر من أجل عرشى وأتحمل اللوم المرير بحكم الاعتياد فعندما بلغت الثامنة عشرة من عمرى كنت قد استوعبت درسا قاسيا أحاطنى بهالة من التوجس والحذر فكل رجل من رجال البلاط من الممكن أن يصبح عدوا وكل مستند من الممكن أن يكون فخاً وأن أى معروف أصنعه أو هدية أقدمها قد يساء فهمها وربما استخدمت كسلاح ضدى فإذا احتفيت برجل فذلك يعنى أننى سأمنحه سلطة ما !! وإذا ساورتنى نفسى بالتحدث مع أحدهم حديثا خاصا فعلى الفور تنطلق التخمينات والشائعات التى قد تصل إلى حد الإدعاء بأننى أفشيت بعض أسرار الدولة وهكذا أعتدت أن وجهة نظر خصمى هى التى تصل إلى أسماع الناس دائما حتى كدت لا أصدق أننى أصبحت الآن حرا شأن بقية الناس ويمكننى التفكير بعمق والتحدث بسلاسة فى محاولة لتحليل الذات وأذكر فى لقائى الأخير مع أدوارد الثامن – ملك بريطانيا سابقا – أنه كان منشغلا بكتابة الفصل الأخير من مذكراته فقال لى عبارة مازالت عالقة بذهنى : «إذا شاءت الأقدار أن تكتب أنت أيضا مذكراتك فى يوم من الأيام فسوف تفاجأ بأن الأحداث التى تود سردها كثيرة جدا لكن المشكلة الكبرى أن أفضل الأحداث وأكملها هى التى لا يمكن نشرها على الإطلاق !!» وهكذا وجدت نفسى مدفوعا لنشر قصتى عن حقيقة ما حدث الآن فقط أخرج عن صمتى لأن الوقت المتاح لمعرفة الحقيقة ربما يكون قصيراً وعلى الرغم من تعرضى لبعض الضغوط من الدوائر المهيمنة لإيقاف النشر وإسكاتى منذ نشر قصتى يوم الأحد الماضى .. حتى أن بعض الأصدقاء نصحونى بتشديد إجراءات الأمن حماية لطفلى .. لكننى لم ولن أذعن لأى ضغوط وقصتى الآن كاملة بين أيدى الناشرين ومهما حدث فسوف تروى !!! إن اعضاء الجناح السرى للإخوان المسلمين هم الذين يقفون الآن وراء نجيب فهم يستخدمون الأموال التى أمدتهم بها السفارة الروسية بالقاهرة فالإنقلاب الذى كلفنى عرشى لم يقم نجيب بتخطيطه على ضوء شمعه فى خيمته العسكرية وإنما تم تخطيطه لحسابه بواسطة مجموعة من المستشارين العسكريين الأجانب فقد أرادت روسيا تنحيتى لأنهم يخططون لأن تكون مصر كوريا الثانية من خلال سيطرتهم الديكتاتورية أما نجيب فهو رجل يمسك النمر من ذيله ويتعين عليه ذلك لأنه لا يجرؤ على تركه.. إننى مسجل فى الخارجية البريطانية كأول حاكم فى الشرق الأوسط يحذر من المد الشيوعى

وخطورته لقد رجوت السفير البريطاني لامبسون لكى لا يجبرنا على فتح سفارة روسية وفي عيوني دموع حقيقة لكنه كان ساخرا متغطرسا كعادته وقال لى الا تعلم أن الروس حلفاؤنا فى الوقت الذى كان يطلق فيه - الطابور الخامس - على من يحاول منا النظر إلى أبعد من قدميه وهكذا جاء الروس إلى مصر بإبتساماتهم وأموالهم السخية وظهر كل يوم سبت كان فقراء المدينة يقفون أمام السفارة فى طوابير طويلة ينتظرون نصيبهم من الأطعمة والشاى ولم يكن ذلك هو ما يوزعونه فقط فكان يمكن لأى مجموعة من المتهورين والمتمردين بدءاً من الأخوان المسلمين وانتهاء بدرية شفيق بنت النيل الحصول على منح نقدية من الروس الطيبين ولم يكن مسموحا لنا بالإعتراض فالروس حلفاؤنا!!!

وقبل مجيئهم إلى مصر لم يكن الأخوان المسلمين يشكلون خطرا كانوا متعصبين فقراء فتغير وضعهم بعد أن ملأ الكرملين جيوبهم بالأموال وهكذا انتقلوا من نواصى الشوارع إلى ملكية الصحف ووضعوا جواسيسهم فى المواقع العليا وأخيرا انتزعوا السلطة التى طالما تحرقوا شوقا من أجلها وبدأوا تسديد الدين للشيوعيين فقد علمت أن محمد نجيب قام بتعيين فتحى رضوان وزيرا لدعايته ومتحدثا رسميا باسمه وهو سجين سابق وشيوعى معروف وأنا أعلم أنه حين يقرأ هذا الكلام سيرغى ويزبد وينكر وسيحاول إسكاتى بآلة دعايته السخيفة والشيوعيون الآن مشغولون بتنفيذ المرحلة الثانية من خطتهم فهم يطالبون بالاطاحة بالعرش من خلال جريدتهم المعارضة - لم أكن لأسمح بإصدارها - وقد انضمت إليهم مجلة بنت النيل والجريدة الرسمية للأخوان .. وهكذا يندمج الجميع فى لحن واحد يصف العائلة المالكة التى يمتد عمرها إلى أكثر من قرن من الزمان بأنها عصابة من القتلة اللصوص ولست أنا فقط بل كل عائلتى وأجدادى وربما ابنى .

أما الخطة التى أعطيت لنجيب فكانت بسيطة ومحكمة وتتمثل فى الاستعانة بمجموعة من الضباط لا تتعدى الاربعين ضابطا من رتبة ملازم إلى صاغ - كان نجيب أكبرهم رتبة - على أن يقتحموا مقر الجيش واحداً وراء الآخر ثم الاستيلاء على التليفونات وإرسال تعليمات عاجلة لكل ضباط الأركان وقادة القوات بالحضور فورا وهكذا أسرع الضباط بالحضور وهم لا يعلمون شيئا وتم القاء القبض عليهم وكانت ساعة الصفر للإنقلاب قد تقررت فى الثانية صباحا وقد ضحى اثنان من الضباط المخلصين بحياتهما لكى يخبرانى بموعدها فوصلا قصر المنتزة الساعة الحادية عشر مساء .. ولم يكن أمامى إلا ثلاث ساعات لكى أتأهب أنا وزوجتى وأبنائى وعلى الفور اتصلت برئيس الأركان لأحذره فانتقل إلى القيادة العامة واتصل بى تليفونيا وعلمت منه أن مكتبه تم اقتحامه ثم سمعت طلقات رصاص وانقطع الخط التليفونى .. فى الوقت الذى أرسلت فيه البحرية إحدى سفنها لترسو أمام قصر المنتزة بغرض حمايتنا وسرعان ما هلت أسراب الطائرات بأزيزها فتصدت السفن الحربية لها فغيرت الطائرات اتجاهها بعيدا عن القصر أما السفن الأخرى فحاصرتها المدافع فأدركت أن قصر المنتزة أصبح هدفا للطائرات ويتحتم مغادرته على الفور إضافة إلى قناعتى بأنه إذا كان قدرى أن أموت بالرصاص فأنا أفضل أن يكون ذلك فى الاسكندرية فلم أكن أريد أية اشاعات بعد موتى بأننى انتحرت وهكذا قطعنا المسافة بين المنتزة وقصر رأس التين بأقصى سرعة هروبا من الدبابات والعربات المصفحة كنت أريد أن يعبر ابنى هذه الشوارع حيا وليحدث ما يحدث بعد ذلك فجلست وتوليت قيادة العربة بنفسى والى جانبى طيارى الخاص حسن عاكف مسلحا بمدفع رشاش وفى الخلف جلست ناريمان وابنى والمربية الانجليزية أن تشير ساير ونجحت فى تفادى دورية صادفتنا وانحرفت بالسيارة سريعا ووصلنا قصر رأس التين وبدأ رجالنا المخلصون يتوافدون للدفاع عن القصر بعد نجاحهم من الإفلات من دورية حظر التجوال وبحلول الرابعة صباحا اكتملت الفرقة العسكرية السودانية حتى وصل العدد إلى ٨٠٠ رجل فقاموا بتأمين نوافذ الطابق السفلى فى القصر ووضعوا المدافع الرشاشة على طول الممرات فى الوقت الذى وصلت فيه بناتى الثلاث بعدى بوقت قصير وقد أصابهن الدهشة والخوف وحاولنا بصعوبة إقناعهن بالخلود إلى النوم وطلبت من ناريمان أن تنال أيضا قسطا من النوم وقبل الفجر مباشرة رقدت إلى جوارها ثم استيقظنا بعد ساعتين حيث كانت مئات القوات تقترب إلينا من نقاط السكة الحديد فخرجت إلى الشرفة لاستطلع الأمر وتبعتنى زوجتى حافية القدمين يغالبها النعاس أما بناتى الثلاث فقد بدت الإثارة على وجوههن التى ألصقوها بزجاج النافذة وترقبنا جميعا الموقف فلم تظهر القوات المتقدمة نحوالقصر أى علامات تشير إلى نيتها فى مهاجمتنا فقد كان قائدهم يشير إلينا لطمأنتنا فقال أحد حراسى : لعلها التعزيزات القادمة إلينا من القاهرة وكنت آمل ذلك أيضا فمن الصعب جداً آنذاك استيعاب فكرة استيلاء حفنة من المتمردين على الجيش بأكمله وكان من الصعب على أيضا اعطاء أوامر بإطلاق النار على رجال يرتدون نفس الزى الرسمى الذى أرتديه وهكذا وقفت فى الشرفة مترددا وبهذا التردد ارتكبت خطأ كاد يكون قاتلا لأننى سمحت للمتمردين بالدخول داخل الدائرة الخارجية لدفاعاتنا والتقدم لمسافة مائة وخمسين مترا وفجأة ودون تحذير أطلق من الخلف ضابطان النار من مدفع رشاش صغير ومن المعلوم عسكريا أن الإنسان لا يستطيع رؤية وميض المدفع الرشاش إلا إذا كانت فوهته موجهة إليه مباشرة، فرأيت هذا الوميض المباغت فأمسكت ناريمان من شعرها وجذبتها على الأرض حتى شعرت أن أحجار المبنى تكاد تتهاوى فوقنا وفجأة أطلق أحد حراسى صيحة ألم أثر أصابته بطلقة أدمته وأعجزته وما أن رأيت هذا المشهد حتى أصابنى الرعب والهلع على بناتى فأنبطحت أنا وناريمان أرضا ثم زحفنا إلى الخلف وقد بدت ناريمان شاحبة الوجه شعثاء الشعر من أثر التراب المتساقط فوقها من الحائط المتهالك وحمدت الله أن بناتى مازلن أحياء ينطلقن كالأرانب البرية لكنهن لم يبكين أو يبدين أى علامة من علامات الخوف إلا بعد انتهاء المعركة واكتشافهن ان كلابهن وفرس فريال العربى قد قتلوا بواسطة رجال نجيب بلا أدنى مشاعر إنسانية فكان لابد من تبادل النيران وقد أظهرت فرقتى السودانية مهارة فائقة لم أشاهدها فى حياتى وحانت الفرصة وأصبحت فى وضع يتيح لى تصويب مسدسى نحو رجال نجيب فأنا حاصل على الشهادة الدولية لأساتذة الرماية ولكن نفسى لم تطاوعنى بقتله ولكنى أصبت رجلا فى ساقه وأحد حاملى المدافع الرشاشة فى كتفه لكنها كانت عملية مقززة لم أسعد بها وسرعان ما تطورت الأمور فحاصرتنا قواتهم وقطعت خطوط التليفونات فى سنترال الاسكندرية ولم يعرفوا مثل البريطانيين عندما حاصروا قصرى عام ١٩٤٢ - أننى أحتفظ دائما بخطى تليفون سريين لمثل هذه الطوارئ وعلى الفور بادرت بالإتصال بعلى ماهر رئيس الوزراء وأخبرته بما حدث فأصابته الدهشة والقلق حيث فوجئ بتطور الأحداث خاصة أن رجال نجيب لم يخبروه بنواياهم فى الهجوم على القصر وطلبت منه أن يفعل أى شىء إيجابى وأسرعت بالإتصال من جانبى بسفير الولايات المتحدة «كافرى» وشرحت الأحداث بصورة موجزة وطلبت منه تكريس كل جهوده ونفوذه لإنقاذ حياتى وحياة عائلتى فطمأننى بقوله : أنه سيقيم الدنيا ويقعدها فى سبيل تحقيق طلبى لكنه أضاف : قد يأخذ الأمر بعض الوقت فعليك أن تكافح بنفسك حتى لا يباغتك الوقت.. فى تلك اللحظات العصيبة راودتنى أيضا فكرة الإتصال بالإنجليز لكننى أحجمت على الرغم من وعود ويليام سلم بإمكانية الاعتماد على معاونته فى حالة وقوع مشكلات ومخاطر شخصية إضافة إلى أن قواتهم كانت قريبة بصورة تمكنها من التدخل الفورى إلا اننى أقلعت عن فكرة الإستعانة بالإنجليز نهائيا ولم أجد لدى أى رغبة فى انقاذ حياتى على أسنة القوات الأجنبية على مرأى من شعبى فإذا كان التدخل الدبلوماسى هو الحل الوحيد أمامى فإن أمريكا هى التى يجب الاعتماد عليها وهكذا تلبدت الأجواء تماما وأثناء عبورى ممرات القصر وقعت عيناى على الجرحى وهم يعانون من شدة الإعياء والألم، ولن أنسى ما حييت موقف هؤلاء الرجال وهم يضحون من أجلى ومن أجل عائلتى وهم يعلمون تماما أنهم يخوضون معركة محسومة وقضية خاسرة فلم يكن يراودهم إلا شعورهم النبيل فلا أمل فى وسام أو ترقيه وكان الأمر شاقا ربما كان موتى هو الأهون والمؤلم أن الحديث عن تضحياتهم تحول إلى أكاذيب على يد رجال السياسة كما يحدث دائما !!



وأخيرا قرر النجومى باشا الخروج والتفاوض معهم فوقع الرجل فى قبضتهم وقرروا إستئناف القتال فقام ملازم من حرسى برفع منديل أبيض فساد هدوء مؤقت قطعه وصول على ماهر شاحب الوجه مضطربا وقد أصابه المنظر العام فى القصر بالدهشة وكان رجلا مخلصا ولم يكن يمثل طابورا خامسا أثناء الحرب كما أدعى البريطانيون ولكنه كان معاديا للشيوعية مثلى

كتاب تذكارى

في غضون ذلك أرسلت البحرية إشارة بهدف السماح لها بالاشتباك مع القوات الموجودة بالميناء فرفضت الطلب لقناعتي أنها عملية انتحارية لا جدوى منها وأخيرا وصل سكرتير السفير الأمريكي واخترق الحصار ليؤكد دعم بلاده ومؤازرتها من خلال تعليمات السفير له بالبقاء معي وبنفس الإهتمام والرغبة الفعلية في المشاركة أوفد ملحقه البحري إلى محمد نجيب للحصول على تأكيدات فورية للحكومة الأمريكية تضمن سلامتي وسلامة عائلتي ومن المؤكد أن أمريكا انقذت حياتنا في ذلك اليوم العصيب ولم ينته الإعصار بعد فقد ذهب علي ماهر للتحدث مع المتمردين فعاد حزينا ويداه ترتعشان ولكني لم اندهش فقد كنت أحس بداخلي بالأنباء التي يحملها فقال لي : أنهم يصرون على التنازل عن العرش لابنك بحلول الساعة الثانية عشر ظهرا وأن تغادر مصر بحلول السادسة مساء فنظرت إلى عقارب ساعتي وكانت تشير إلى العاشرة وأربعين دقيقة ولكني لم أشعر أنني في حاجة إلى دقيقة واحدة لأفكر في الأمر فشكرته وقلت له : إنني مستعد لتوقيع التنازل فورا إذا توافر شرطين أولهما أن تكون أوراق التنازل رسمية ودستورية وألا تحتوي على أي اساءة والشرط الثاني : أن يسمح المتمردون لقواتي الخاصة بوداعي وأداء التحية العسكرية.. كنت منفعلا بالحدث المباغت لكنني أصررت على هاتين الشرطين حتى لا تكون قصتي مريرة حين يقرأها ابني فقصص الملوك لا تكتب في المذكرات فقط ولكنها تسجل في كتب التاريخ الموثقة بالأحداث الفعلية وانصرف علي ماهر وتركني مع زوجتي وبناتي فشرحت لهن انني بحلول المساء سأكون في المنفى وطلبت من كل واحدة منهن أن تذهب وتفكر في هدوء وشرحت لهن أن الأمر لن يكون سهلا فإذا سافرن معي فربما لا يعدن إلى مصر أبداً وقلت لزوجتي فكري جيدا يجب ألا ترافقينني شفقة أو عطفا لأن الشفقة لا تدوم ومن الأفضل أن نفترق الآن حتى لا يكره أحدنا الآخر فيما بعد فأنت ما تزالين صغيرة يمكنك بدء حياة جديدة بدوني كما انك قد لا تشاهدين والدتك مرة أخرى !! فأمسكت ابهامي بيدها الصغيرة وهي حيلة كانت تلجأ إليها لبعث الطمأنينة في نفسي وقالت : هل لدينا وقت كاف لإعداد نفسي للسفر فأنا متربة وأحتاج بعض الوقت للإستحمام ولم تفكر في الأمر أو تتطلع لمزيد من النقاش والاستفسار فشعرت بالرضا والفخر وسأظل أذكر موقفها طيلة حياتي فعندما اخترتها عروسا لي كنت ملكا ولكن عندما حانت لحظة إختيارها قررت أن تذهب معي إلى المنفى وأنا مجرد من كل شئ وبالمثل قررت بناتي السفر معي دون تردد فقالت فوزية سأذهب معك يا أبي وظلت تحدق في عيني حتى أومأت بالموافقة وابتسمت لها ابتسامة الشكر .. وهي أكثر رقة وأرهف مشاعر أو أكثر هدوءا من فريال لكنهما مخلصتان بنفس القدر وربما كان يمكنني استنتاج قرار فريال وفوزية لكني لم أكن واثقا بنفس القدر من فادية الصغيرة - ثمان سنوات - فقد كانت تقيم مع والدتها حتى سن السابعة وكان من الممكن لسبع سنوات أن تؤثر بالسلب على عام ونصف فقط هي المدة التي قضتها معي ولكنها قالت لي أيضا أريد أن آتي معك وتساءلت هل ستذهب معنا مربيتها آن تشير سايد وهي مربية ابني فؤاد أيضا فأجبت بالإيجاب وسعدت كثيرا لقرارهن النهائي فهن مرتبطات كل منهن تشكل جزءا حيا دافئا من حياة شقيقتها فكنت أتمنى ألا يتفرقن دون مبرر فأبناء الملوك ينضجون سريعا ومن ثم يصبحون لعبة في أيدي الآخرين فحرصت أن تكون سنواتهن الأولى هانئة هادئة تحمل أحلى الذكريات .



أمتعتي بذلتان وستة قمصان

وبدأت الاستعدادات الرسمية للرحيل وفي حوالي الواحدة بعد الظهر جاءني سليمان حافظ حزينا متأثرا معه أوراق التنازل عن العرش وبتهدج شديد قال لي : فلتلمس عذري يا مولاي وليسامحني الله كنت أتمنى أن أطلق النار على نفسي ولا أحضر هذه الأوراق إليك .. إنه سليمان حافظ ذلك التمساح الذي توسل إلي أن أخبره بأي طلبات أو اذا كان بمقدوره ان يفعل شيئا من أجلي في ذلك الوقت الحرج كالاتصال بأحد الاصدقاء فشكرته وطلبت منه رجاء أخير يتعلق بتأمين الحكومة الجديدة لوضع ابني ووقعت التنازل وأعدته إليه ودموعه الحارة تغالبه وفيما بعد علمت أنه عين نائبا لرئيس الوزراء .. أما الهدف من تعاطفه ودموع التماسيح التي شاهدتها فكانت من أجل معرفة أسماء أصدقائي الذين قد يشكلون نواة لمقاومة المتمردين وأنا أشيد بقدراته التمثيلية لكنني لا أستطيع الثناء على أخلاقياته !! ربما كان هذا مرضيا جدا لمتمردي الجيش البسطاء وقد نجحوا في تحقيق هدفهم لكن الأمر لم يكن مرضيا للمتعصبين من الأخوان المسلمين وما أكثر الأقاويل التي ارتبطت باللحظات الأخيرة فقيل انني رقيت نجيب في محاولة لعقد صفقة لإنقاذ حياتي وعرشي ولكن الحقيقة أن نجيب تمت ترقيته بشكل رسمي قبل الإنقلاب بثلاثة أيام حين أحضر علي ماهر خطابا من أربع صفحات كتبه نجيب بنفسه متضمنا عشرة مطالب أولها تعزيز موقف علي ماهر رئيس الوزراء وكان يسعدني ذلك لأنه رجل فاضل وثانيها ترقية نجيب إلى رتبة فريق فلم أمانع حيث أنه قد تولى قيادة الجيش فعلا أما المطالب الثمانية الأخرى فكانت تتعلق بمرتبات وترقيات كبار المتآمرين وتنحية بعض المسئولين في قصري وكان منهم الصالح والطالح وفي نهاية الأمر وافقت على المطالب كلها ولكن بعد مغادرتي مصر أعلن نجيب أنه لم يقبل الرتبة التي عرضتها عليه والحقيقة أنه طلب الترقية وقبل أن تطلق رصاصة واحدة وخطابه المكتوب بخط يده في أربع صفحات يمكن إظهاره إذا كان الأمر ضروريا !!لم يكن أمامنا سوى ساعات قليلة لكي نجمع ممتلكاتنا وقد ابتسمت في مرارة وسخرية للأحاديث التي انطلقت لتفترض من وحي الخيال ما أخذناه من متعلقات وأمتعة ولكنني أؤكد أننا لو استطعنا أن نأخذ أكثر مما أخذناه لفعلنا ولكن الحقيقة المرة هي أن كل ممتلكاتنا الشخصية تقريبا كانت في القاهرة فلم نأخذ معنا إلا احتياجاتنا لقضاء فترة الصيف في قصر المنتزة وأثناء مغادرتنا العاجلة لقصر المنتزة هربا إلى قصر رأس التين لم نأخذ إلا حقيبة سفر لكل منا تحتوي على الضروريات وهكذا غادرنا مصر إلى المنفى ومعنا أقل القليل فسافرت بصحبة ٦٠ فردا بما فيهم أفراد حراستي وقدرت أمتعتنا على ما أظن بـ ١٥٠ صندوقا للثياب بالإضافة للحقائب واللفائف بمعدل ثلاثة صناديق لكل فرد فعلى سبيل المثال كان كل ما يخص ابنتي فادية طقمين من ملابسها وعلبة ألوان وأما متعلقاتي فكانت بدلتين وملابس غير رسمية وستة قمصان بينما كان نصيب ناريمان سبعة أطقم من ملابسها وهكذا سافرنا إلى المنفى وملابسنا تكفينا لشهر واحد !!

الوداع الأخير

جاءت والدة ناريمان واختاي فوزية وفائزة وزوجاهما لوداعي بينما كانت أختي فائقة في هلسنكي مع زوجها الذي كان يمثل مصر في الألعاب الأوليمبية .. وعلمت من علي ماهر أنه سيصل في تمام الخامسة بصحبة السفير الأمريكي ومحمد نجيب للوداع الأخير ولكنني لاحظت أن نجيب منذ تلك اللحظة يحاول جاهدا أن ينكر أنه طلب وداعي بل أنه يظهر الأمر كما لو كنت أنا الذي صممت على هذا الوداع كشرط من شروط توقيع تنازلي عن العرش وأجد نفسي عاجزا عن الفهم فلماذا يخجل نجيب من أمر يمكن أن يقبله العالم منه كسلوك راق ومصافحة الرجل الذي أزاحه عن عرشه !! في ذلك اليوم العصيب وفي تلك اللحظات الحرجة خاطبت السفير بقولي : آمل ألا أكون قد تسببت لك في بعض المتاعب مع الحكومة الأمريكية بسبب هذه الأحداث التي فرضت نفسها صباح اليوم ؟! فأجاب : صدقني يا مولاي أن حكومتي معنية جدا بسلامتك وتبارك كل خطواتي المتعلقة بهذا الأمر !! فشعرت بالارتياح ووعدني علي ماهر الذي كان على وشك البقاء معي مرة ثانية قائلا : أعدك بأنني سأتحمل كل إساءة وإهانة إلى أقصى درجة أستطيع تحملها إذا كان ذلك من شأنه مصلحة النظام الملكي فشكرته وكنت أعلم أنه يعني ما يقول بصدق ولكنني طلبت منه أن يحاول جاهدا إقناع الدولة بالإنفاق على ابني فهو قانونا ملك مصر فوعدني بأن يفعل لكنني كنت أدرك أن الرجل في وضع حرج لا يسمح له بالوفاء بأي وعد وربما أبعد عن السلطة الآن لأنه لم يستطع أن يتحمل المزيد !!

أمريكا أنقذت حياتي

وقبل الموعد المحدد للمغادرة ارتديت بدلة البحرية الرسمية تعبيرا عن احترامي وتقديري لبحريتي المخلصة ثم استدعيت ضباط قصري المخلصين وطلبت منهم مصاحبة وصيفات الملكة بأسلحة نارية ترقبا

لأى مضايقة أو إهانة للسيدات ومن العجيب أن الجنود اعتبروا المخاطرة بما تبقى لهم من حياتهم العسكرية عن طريق تأدية هذا الواجب شرفا لهم فقد كانوا يعلمون تماما أن هذا العمل لن يقربهم من رؤسائهم الجدد فى الجيش !! وذهبت زوجتى وأطفالى إلى المحروسة فى الخامسة وخمسة وأربعين دقيقة ثم توجهت إلى رصيف الميناء حيث اصطف حرس القصر وحراسى السودانيين فى وضع انتباه فتفقدت آخر قول شرف وقمت بتحية العلم ووقفت انتباه عند عزف النشيد الوطنى وطبقا لنص كلمات نجيب فقد صنع الخدم المخلصون حائط مبكى يصم الآذان وشرق هذا الحائط أطلقت المدفعية أحدى وعشرين طلقة وكان المشهد مؤثرا للغاية فقد قضيت عشر دقائق أحاول فيها مواساة الخدم المخلصين فهونت الأمر عليهم بكلمات المواساة والأمل فى اللقاء الآتى ومازال هذا الأمل يراودنى بالفعل حتى الآن وقد نشرت صحيفة الديلى تليجراف فى صفحاتها الأولى صورا لبحارة المحروسة وهم يبكون وأنا أخطو على المعدية الصغيرة ولكن الصحيفة منعت وقام رقباء نجيب بطمس الصور باللون الأسود .

وفى تمام السادسة قمت بتحية على ماهر والسفير الأمريكى كافرى وطبعت على خدهما قبلة الوداع وطلبت من على ماهر انتظار نجيب خمس دقائق اخرى وإخباره أننى انصرفت طبقا لتعليماته وأثناء ابعاد المرساة ظهر لنش مسرع بداخله رجل صغير الحجم هو محمد نجيب ومعه ستة ضباط آخرين فوقفت بالقرب من الممر لاستقبالهم .. فتقدم نجيب وصافحنى فقلت له : أسف لأننى لم أنتظرك فطبقا لأوامرك كان لابد أن اغادر البلاد الساعة السادسة فأحمر وجهه واضطرب قائلا : «أنا لست مسئولا عن الذى حدث !! كنا نأمل خيرا بهذا الإنقلاب لكن الأمر خرج من أيدينا وتطورت تداعيات الموقف لأبعد مما كنا نتصور !! وهكذا دخل نجيب صفحات التاريخ بعد أن أصبح بين عشية وضحاها هو الشخصية الرئيسية فى مصر ولا يمكننى الآن الحكم على كلماته المرتجفة المتسرعة ولكننى أنشرها لاجلاء الحقيقة فهو رجل دفعه الآخرون من الخلف بشدة والآن أصبحت أخشى على حياته !!!

الرجيم الملكى

أبحر جدى الخديوى إسماعيل إلى نابولى عام ١٨٧٩ منفيا أيضا ومنحته الحكومة الإيطالية قصراً وبعض المخصصات الملكية وعندما قدم فيكتور عمانويل ملك إيطاليا إلى مصر منفيا وضعت تحت تصرفه «قصر انطونيادس» فنابولى هى مدينة الملوك المخلوعين .. إضافة إلى أننى قررت السفر (بالمحروسة) وهى نفس السفينة التى أقلت جدى وهكذا استبعدت فكرة السفر بالطائرة فمن السهل إسقاطها أو تفجيرها .. ويقينى أن فكرة سفرنا أحياء لن تتوافق مع الآراء المتطرفة وكنت أعلم أنهم سيلومون نجيب بشدة لضعفه وتخاذله ولن يمض وقت طويل وسيعيدون كل حساباتهم بشأننا وصدق حدسى .

فى الليلة الأولى راودتنى فكرة إظلام المحروسة تماما ولكنى أدركت أننى أخدع نفسى وأثير القلق والخوف بلا داع فأى رادار يمكنه إلتقاطنا من أبعد المسافات فأستبعدت هواجسى فإذا كانوا ينوون بالفعل مهاجمة المحروسة بالطائرات فلماذا أنتظروا عتمة الليل إضافة إلى ان اصطياد السفن ومهاجمتها بالطوربيد هى الطريقة المألوفة لتدمير السفن وفى النهاية قررت التشاور مع قائد السفينة وقررنا تغيير خط السير المعتاد إلى نابولى ويالها من ليلة موحشة والغريب وكما يحدث دائما فقد نمت جيدا فى تلك الليلة لكن أعود فأذكر شيئا هاما فقبل صعودنا إلى السفينة بخمس ساعات تسللت سفينة مدفعية رمادية لديها تعليمات محددة بنسف المحروسة والإدعاء بأننى أصبت بالجنون فقمت بتفجير المحروسة حتى فى لحظة تقرير إغتيالى سأكون الملام أيضا !!!

وفيما بعد علمت أن الكثيرين تساءلوا بإندهاش لماذا استغرقت المحروسة ثلاثة أيام فى عرض البحر لكى تقطع المسافة القصيرة بين الاسكندرية ونابولى خاصة أنها سفينة سريعة ولعلهم يحظون الآن بالإجابة الشافية فنحن لم نضيع وقتنا فى اللهو أو مداعبة حوريات البحر ولكننا قضينا الشطر الأكبر من الليلة الأولى فى الإبحار بأقصى سرعة فى إتجاه خاطئ وقد علمت أن أحد أفراد الطاقم قد عبث بالرادار متعمدا حفاظا على حياتنا ولكننى لا أملك يقينا يؤكد صحة هذه الرواية وإن كنت أعلم جيدا مدى ولاء البحرية وإخلاصها لى لذا فأنا أقول أن رحمة الله الواسعة بالأطفال الصغار هى التى أنقذتنا جميعا .

تولى علوية بك قيادة المحروسة بعد أن امره نجيب بمرافقتى إلى أول ميناء إيطالية والعودة مرة أخرى بالمحروسة التى لم تكن ملكى فى يوم من الأيام فقد تم بناؤها فى عهد جدى إسماعيل وتملكها الحكومة المصرية وصدرت الأوامر المشددة لعلوية بأن زوجته وعائلته بأكملها سيتم احتجازهم كرهائن فى وضع غير مريح !! لحين عودته .

والتزم جميع العاملين بالمحروسة بالتعليمات السالفة التى تحتم عودتهم . وفى عرض البحر اكتشفت وجود كمية كبيره من صناديق الخمور فاستفسرت عن سبب وجودها وعلمت أن أحمد على وهو رجل تخطى السبعين كان مسئولاً عن الخمور منذ عهد والدى قام بتفريغ مخزن الخمور فى قصر الاسكندرية تماما ووضعها على ظهر السفينة وقال أنه يفضل أن يموت ولا يلمس أحد شيئاً من هذه الصناديق فكانت هذه الواقعة تحديدا هى البؤرة التى تشعبت منها أسطورة الصناديق الكثيرة المملوءة بسبائك الذهب التى سافرت بها على متن المحروسة .. هنا أريد توضيح شىء هام للقارئ الأوروبى فطبقا لقواعد البروتوكول فنحن نقدم الخمور لضيوفنا فى مآدبنا الرسمية وحفلات الاستقبال التى ندعو فيها الدبلوماسيين الأجانب ولكن المصريين بصفة عامة لا يشربون الخمور لأسباب دينية ولكن ذلك لا يعنى تقصيرنا فى واجبات الضيافة ففى كل الصور الفوتوغرافية الخاصة بالمآدب الرسمية تظهر كؤوس الخمر فى أماكن ضيوفنا الأجانب وفى أماكننا نحرص على وضع كأسين إحداهما للماء والآخر لعصير الفاكهة وفيما بعد ترامت أطراف قصة هذه الخمور حتى قيل إن الأوامر صدرت بإنزالها والحقيقة أننا لم ننزل أى شئ وعندما وصلنا إلى إيطاليا بعت الخمور كلها لأنها كانت ملكا لنا .. أما المفاجأة الكبرى فهى اكتشافنا عدم وجود الطعام الكافى باستثناء الخبز والجبن وكان يكفى وجبة واحدة لكل منا فى اليوم فسألت بناتى متى يمكننا تناول هذه الوجبة؟ واتفقن على تناولها فى العشاء لكى نظل نتطلع إليها طوال اليوم .. وعلقت ناريمان قائلة : ربما كان ذلك أفضل لنا وعزاؤنا أن الصحف لن تتحدث مثلا عن حفلات السكر التى أقمناها وأثار علب الكافيار والشمبانيا التى تركناها فرددت : لايزال أمامك الكثير لتتعلميه .. فهم سيقولون ذلك بدون شك بطريقة أو بأخرى !! وهو ما حدث بالفعل بل إن البعض أضاف أننا قمنا بتجويع طاقم البحارة البؤساء بينما أتخمنا أنفسنا .. فمن تطارده الصحافة لا يكسب أبداً فإذا لعب الكوتشينة فهو مقامر وإذا ربح فهو غشاش وإذا خسر فهو أحمق وإذا رفض اللعب فهو كئيب عابس ولم يكن أمامنا بديل للخروج من هذه الأزمة إلا الضحك فكنا نضحك على كل شئ فى هذه الرحلة فشر البلية ما يضحك كما أن الجو كان رائعا صافيا فلا توجد رائحة طهى فليس لدينا شىء نطهيه .. وفى اليوم التالى وقفت منتعشا على سطح السفينة وتحدثت مع كبير المهندسين وهو رجل ايرلندى فقلت له : إنه يوم جميل حقا يا هوران فرد بحماسة وصدق : نعم يا سيدى إنه جو ملكى فليباركه الله!! ولا تزال هذه العبارة عالقة بذاكرتى التى انطبعت فيها أيضا صورة أحد أفراد الحراسة وهو يلاعب ابنتى الصغيرة فادية ويمازحها لادخال السرور إلى قلبها الصغير، إنهم نوع غريب من البشر يتصفون بصفات تفوق أى أوسمة أو مديح خاصة أننى أصبحت لا أملك من أمرى شيئاً ولا أملك حيالهم إلا العرفان والتقدير والإمتنان !!



ووصلنا نابولى فوجدنا الترحاب والمأوى والأصدقاء ووضعت الحكومة تحت تصرفنا حرسا خاصا وبعد فترة وجيزة أنهينا إجراءاتنا الجمركية ومنحتنا جمارك نابولى شهادة بأمتعتنا وخلوها مما يستوجب دفع ضريبة جمركية ثم قمنا بتوديع أصدقائنا العائدين مرة أخرى على المحروسة وبمجرد خروجنا فوجئنا بحصارنا حصارا محكما من قبل ٣٠٠ صحفى من مختلف دول العالم ينتظرون على رصيف الميناء فوضعوا حاجزا لمنعهم من الصعود إلى المحروسة وطلبت احضار اللنش الصغير الذى املكه فى كابرى فاستقر بجوار المحروسة وهكذا تمكنا من انزال متعلقاتنا على مرأى من فضول الصحافة العالمية التى راقبت كل تحركاتنا فى فضول شديد مزودين بالعدسات التلسكوبية التى تم تثبيتها فوق اسطح المنازل وأبراج الكنائس وكل المنطقة المحيطة بالفندق الذى أقمنا به حتى أن سائقى سيارات الأجرة أصابهم النعاس وهم جاثمون أمام عجلات

كتاب تذكارى

القيادة !!! واكتظت قاعات الفندق وممراته بعشرات المصورين الذين جاءوا بكاميراتهم وأمتعتهم ولاحظت أن كاميراتهم موجهة نحو نوافذنا فحذرت بناتي من فتح نوافذهن أو الخروج للشرفات وهن يرتدين ملابس النوم .. أما أنا فقد تكفل كل المصورين بمراقبتي وتتبعي فرأيت أنه من الأفضل أن أبعث لهم برسالة أخبرهم فيها اننى سأتحدث إليهم جميعا في اليوم التالي وسأقف مع عائلتي أمام عدساتهم فأدهشني رد فعلهم الإيجابي وإلتزامهم الكامل فأغلقوا كاميراتهم وحين تيقنت من إلتزامهم خرجت إلى قاعة الاستقبال وأنا لا أصدق ما حدث ثم خرجت إلى الشارع وكانت مغامرة غير محسوبة والعجيب أنهم لم يحنثوا بوعدهم ولم يضايقني أي منهم بالفعل .. كنت أتمنى أن يتصف كل الصحفيين بأمانة ورقي هؤلاء المصورين الصحفيين !!

وفي اليوم التالي أعددت بيانا موجزا فذكرت أنني ضيف على الحكومة الإيطالية وتحت رعايتي ملك مصر الصغير وكنت حريصا على كل كلمة حتى لا أسبب متاعب لا ضرورة لها لفؤاد الصغير وتجنبا لعدم إحراج من استقبلوني ضيفا عليهم وصرحت بأشياء أخرى كنت أعلم أنهم قطعوا البحار والمحيطات لسماعها وإقناعي بالتحدث إليهم وقد تلقيت عشرات البرقيات منهم والمحروسة لا تزال في عرض البحر وتحدثت بثلاث لغات لكن صحيفة أو صحيفتين على الأكثر هما اللتان نشرتا كلماتي القليلة دون تحريف ويبدو أنني عندما وصلت إلى النقطة الرئيسية في التصريح فقدوا اهتمامهم بما أقول وقرروا كتابة قصصهم المفضلة وظلوا على دأبهم في عرض الرشاوى المغرية على العاملين في الفندق لكي يمنحوهم إجابات شافية عن أسئلتهم الهامة من وجهة نظرهم : ماذا نأكل ؟ ماذا نشرب ؟ عدد قمصاني ؟ ولون قميص نوم ناريمان ؟

اللحية والملكة فريدة



من المؤلم حقا أن كل إيماءة أو فعل يأتي به الملك تتم مراقبته بدقة فائقة حتى أنني عندما أطلقت لحيتي انطلقت الشائعات والتخمينات فقال البعض إن فاروق أطلق لحيته طمعا في خلافة المسلمين ولم يكن ذلك صحيحا فقد نصحني أبي بألا تكون الخلافة رافدا من روافد طموحاتي وتكهن البعض الآخر بأنني أحاول إخفاء آثار لكمة زوج غيور ولو كان الأمر كذلك لتركت اللكمة آثارها لمدة طويلة .. وللأسف الشديد لم أستطع أن أشرح في ذلك الوقت لأي مخلوق لماذا أطلقت لحيتي والآن أعترف للمرة الأولى أنني كنت قد أقسمت وعاهدت نفسي وإتخذت قرارا نهائيا بطلاق الملكة فريدة طلاقا بائنا لا رجعة فيه وفي كل يوم تنمو فيه لحيتي كنت أدعو الله أن يكون قراري صائبا .

كنت أشعر دائما أن تفاصيل طلاقي من فريدة من أمورنا الخاصة التي يجب أن تكون في طي الكتمان لذلك رفضت فريدة التحدث إلى صحفي بريطاني حاول التطفل واقتحام حياتنا وتحويلها لعناوين رئيسية مرة أخرى فصدته فريدة فبحث جاهدا عن والدها يوسف ذو الفقار ويبدو أنه كان حريصا على التودد للنظام الجديد الأمر الذي دعاه للتحدث إلى الصحافة عن تفاصيل طلاقي مرة أخرى !!

الآن سأتحدث عن تلك الفتاة التي أحببتها وسميتها فريدة سأروي حقيقة القصة التي لم أروها مطلقا، ولعل القارئ يستشف منها أن أخطاءنا لم تكن متعمدة ولكنها أقدارنا بل إنني انتهز هذه الفرصة لأبعث إليها بهذه الرسالة «فليغفر الله لنا» كانت فريدة ابنة لإحدى وصيفات أمي .. اسمها الحقيقي صافيناز ولكني أطلقت عليها فريدة ولايزال العالم يعرفها حتى الآن باسم الحب الذي أطلقته عليها. ففي السادسة عشرة من عمري سافرنا مع أسرتينا إلى سويسرا فتعارفنا وتقاربنا في ذلك الجو الرومانسي الرائع في جبال الألب ومات أبي وانتهت فترة شبابي مبكرا وأصبحت ملكا على مصر، حين بلغت الثامنة عشرة تزوجنا فوصفتنا الصحافة العالمية بأننا أجمل ملك وملكة شاهدهما العالم منذ مائة عام .. ربط الحب بين قلبينا وبالرغم من أنه كان حب الشباب الأخضر الغض الذي لم تنضجه السنين بعد .. لكني كنت أعتقد ان ذلك لن يمنعنا من فرصة التمتع بحياة هانئة إلا أن ضجيج العمل اليومي بمشكلاته وواجباته الرسمية كان لهما أبلغ الأثر في حياتنا، فزوجتي كانت شابة صغيرة السن تهيأ لها السفر ومشاهدة أسلوب الحياة الغربية لكنهاكانت ممنوعة من الخروج والظهور في الأماكن العامة بحكم تقاليدنا باستثناء المناسبات الرسمية وهكذا بدأت تشعر بالملل والوحدة .

وببداية اشتعال الحرب العالمية وعبور جيوش روميل ودباباته لصحرائنا بدأت أنشغل تماما .. فانصرفت هي الأخرى عني ولكني واثق أنني لو أشرت لها بيدي آنذاك لجاءتني بلا تردد .. ولكن للأسف الشديد لم تكن يدي خالية أبداً من قلم أو ختم وجميع المهام الرسمية فمصر دولة يصعب حكمها فمن بين كل عشرة أفراد يوجد تسعة لا يعرفون القراءة أو الكتابة ويمكن لأي مهيج إثارتهم إضافة إلى أنني كنت أعود من عملي مرهقا متشبعا بالمجادلات والمناورات مع رجال لا يقل عمر أي منهم عن ثلاثة أضعاف عمري .. هكذا توترت العلاقة بيننا وبدأت المشاجرات المريرة بيننا فكنت أنطلق ثائراً مندفعا متعمدا إيلامها من خلال الإنشغال باهتمامات أخرى أجد فيها عزائي وراحتي لكنني لم أخن عهودي معها فشريعتنا الإسلامية تحرم التمتع بالمحظيات !! فكان من الممكن أن ننفصل آنذاك فقد طلق أبي زوجته ومعظم الجميلات كن يتمنين الزواج مني ولكنني أعترف أنني تنقلت بينهن فلم أجد فريدة أخرى كان حبي لها عميقا وبدأت السنين تنال من شبابي لكنها ظلت جميلة فحاولت إسعادها بالهدايا الثمينة ولكنها كانت تملك ما يكفيها فقررت اهداءها بيتا جميلا فالذي لا يعلمه الكثيرون ان القصور الملكية ملك للحكومة المصرية وعلى الرغم من فخامتها لكنها لا تصلح بيوتا للسكن المريح، فاخترت لها قصرا قريبا من منطقة القبة في قلب ريف القاهرة واعتقدت أنها هدية ستسعدها فقالت لي : لست خادمة لكي ألعب لعبة ست البيت !! فلن يدر القصر دخلا !! فغيرت الهدية واشتريت لها مزرعة تحقق عائدا يقترب من ٢٠٠ ألف جنيه استرليني سنويا !! فشكرتني واستعدت رضاها لفترة قصيرة ثم تدهورت الأمور فازدرت حبي لها وأخبرتني صراحة أنني إذا تقدمت منها فإنها ستستقبلني كمتطفل وغريب يحاول الاعتداء عليها لا زوجها !! فلم يكن أمامي إلا البحث عن العزاء والسلوى في أماكن أخرى .. لقد قيل عني – وما أكثر ما قيل عني – إنني طلقت فريدة لأنها لم تنجب ولداً وذلك أمر لم يرد في شريعتنا الإسلامية ولكن من الجائز تطليق الزوجة إذا كانت رائحة فمها أو قدمها كريهة مثلاً فإذا وافق القاضي يتم تطليق الزوجة وأنا أتطرق لتلك التفاصيل لكي أوضح للقارئ الأوروبي أن شريعتنا تحدد أسباباً خاصة جداً للطلاق ليس من بينها الفشل في إنجاب ولد !! وأعتقد أن فريدة لو اختارت الحياة معي كانت ستنجب حتما ولدا أو أكثر ففي غضون عشر سنوات من الممكن ان تنجب أكثر من ثلاثة أطفال ولكن قضي الأمر وهكذا قررت الطلاق رسميا بعد انفصال دام خمس سنوات وكان طلاقا بائنا فقد كنت أحبها بشدة ولو جاءت بعد طلاقنا وقد أدركت خطأها وأقرت بحبي لكنت قد أعدتها على الفور إلى عصمتي مرة أخرى فلم أكن أملك من القوة ما يجعلني أصمد أمام ذلك الإغراء العاطفي !! لذا قررت أن يكون طلاقا بائنا .. وكان شرطي الوحيد يتعلق بمصير مزرعتها فيجب أن تؤول المزرعة وإيرادها لصندوق الأوقاف الأمر الذي يعني أنها ستنحي جانبا جزءا من الإيرادات لكي تتسلمه بناتنا ولكن فريدة قررت الانتفاع بنصيب بناتها في بناء فيلا فاخرة وبما أن بناتنا لن يستخدمنه فيمكنها بيعه والاستحواذ على أموال من المفترض أنها أموال بناتها !! ولا أعتقد أن فريدة يمكنها التفكير بهذه الطريقة التكتيكية فهي تفكر كامرأة ولدي يقين أن والدها هو صاحب هذا الاقتراح !!

ولا أعتقد أيضا أن فريدة هي التي نشرت ذلك الخطاب الذي كتبته فريال لها قبل رحيلنا من قصر رأس التين .. فعقب تعرضنا لنيران المدافع الرشاشة ومقتل فرسها الأبيض وحيواناتها المدللة انفعلت وبكت وكتبت لوالدتها : «اللهم لا تضعني في مثل هذه التجربة القاسية مرة أخرى فما أصعب أن نقول وداعا لمن نحبهم وللأشياء المحيطة بنا !!» وفي الحال استغلت الصحافة الخطاب ونشرته كأنه مرسل من كابري وكأنها تعاني من تجربتها معي في المنفى وهكذا تلقت فريال درسا قاسيا علمها أن جدها يوسف الذي أحبته وكان يتمنى أن يجد نظرات الرضا في عينيها تغير كثيرا وإلى الأبد وأدركت أن خطاب فتاة صغيرة لأمها من الممكن إستخدامه كسلاح للإثارة والحقد والكراهية ضد أبيها الذي تحبه أيضا .. والآن عندما تكتب بناتي خطابات لوالدتهن وأنا حريص على أن يفعلن ذلك .. فهن يأخذن حذرهن ويزن كل كلمة حتى

لا تستخدم ضدنا .

آه لو عادت عقارب الساعة إلى الوراء .. لكنني الآن وجدت سعادتي وأدعو الله من كل قلبي أن تجد فريدة سعادتها أيضا !!!

لم أخطف ناريمان

وبدأت رحلة البحث عن عروس ملائمة وتحدثت مع أصدقائي ومعارفي ولم أشترط أن تكون الفتاة أرستقراطية يكفي أن تكون مسلمة متدينة من بيت صالح وتوقعت أن يستغرق البحث وقتا طويلا فلم يكن الأمر سهلا فالملكة القادمة يجب أن تكون صغيرة السن غير محاطة بالأصدقاء النفعيين الذين قد يستغلون مكانتها للانتفاع والترقي وألا يكون لها أي دور سياسي بالطبع أما عائلتها فيتحتم أن تكون فوق مستوى الشبهات منعا لمزيد من الشائعات المفروضة أصلا على ملوك الشرق !!

وفي أحد الأيام عرض على صديقي أحمد نجيب باشا - جواهرجي البلاط - صورة لفتاة جميلة في السادسة عشرة من عمرها وكانت لناريمان فتأملتها وأعجبت بوجهها فلها عينان مرحتان تفيضان بالحيوية وفم يعكس روح المرح فأخبرني نجيب أنها من أسرة متدينة وكان والدها محمد صادق يشغل منصب وكيل وزارة ثم انطلق يبحث الأمر وبعد أيام أخبرني أن والد الفتاة حريص على زواج ابنته من الشخص المناسب ومن ثم فقد رفض خطابا عديدين ولكنه سمح لشاب يدعى «زكي هاشم» بزيارة الفتاة في بيتها وكانت المرة الأولى التي أسمع فيها اسمه فسألت عنه وعلمت أنه سياسي ينتمي للجناح اليساري المتطرف معظم اصدقائه ينتمون للجناح الاشتراكي المتطرف وطبقا لمعاييرنا الاجتماعية فقد كان من المفترض الا يظل بدون زواج حتى هذا العمر !!! (ثلاثين عاما تقريبا) فسألت نجيب الجواهرجي : هل الفتاة معجبة به ؟! فقال : لقد زارها في منزلها ست مرات وهو الخطيب الوحيد الذي وافق عليه والدها !! وللقارئ الأوروبي أوضح هذه الملحوظة الهامة ففي مجتمعاتنا الشرقية يتم إعداد الفتيات اللاتي ينتسبن لعائلات محترمة إعداداً تاما للزواج عندما يبلغن السابعة عشرة وغير مسموح لفتيات العائلات بالتسوق أو بالتنزه بمفردهن لمشاهدة عروض الأفلام والمسرحيات أو التسوق أيضا أملا في أن يصادفن الشاب الملائم .. ولكن غالبا ما يقدم الأب على تقديم معاونته لابنته الصغيرة قليلة الخبرة لمساعدتها في اختيار الزوج المناسب وهكذا وطبقا لعاداتنا فلا يستطيع أي شخص ولو كان - ملك مصر - التودد لفتاة وزيارتها دون تواجد والدها. من هنا بدت صعوبة ترتيب لقائي بها دون أن أجرح مشاعرها إذا صرفت النظر عن استكمال مشروع الخطبة .

ولكن الجواهرجي نجح في الإتصال بوالدها وتم الترتيب بينهما على أن تحضر مع والدها إلى المعرض في شارع عبد الخالق ثروت بحجة شراء بعض الحلي على أن يبدو الأمر كما لو كانت المقابلة بالصدفة وكنت أتردد بالفعل على معرضه من آن لآخر لشراء بعض العملات النادرة وبعض التحف الفنية !!

وتحدد يوم اللقاء ودخلت ناريمان المعرض مع والدها وأثناء حديثهما تهادى إلى سمعي صوتها الدافئ الودود فأدركت أن الصورة الفوتوغرافية لم تكشف شيئاً من سحرها !! ثم أومأت برأسي لنجيب الجواهرجي فقال لصادق : يوجد في مكتبي بعض المعروضات الأخرى المتميزة فهل تودان رؤيتها!! فارتسمت ابتسامة الإرتياح على وجه والدها فقد كان ينتظر هذه الدعوة في قلق ثم تتبعتهما إلى مكتب نجيب كما لو كان الأمر مصادفة تلك هي حقيقة لقائي الأول بها ولم يكن بصحبتها زكي هاشم لشراء خاتم الخطوبة كما ذكرت الشائعات .. ولو فعل فإنه يكون قد ارتكب حماقة مخالفة للسلوك القويم - لأن كل لقاءات التودد يجب أن تتم في منزل الفتاة وليس مسموحا للفتاة بالخروج بصحبة رجل دون أن يوقع والدها عقد زواجها !!!

في البداية كانت خجولا وتبادلنا كلمات قليلة ولكن سرعان ما تآلفنا ووجدت أننا نتبادل الحوار كما لو كنا أصدقاء قدامى .. فأعجبت بها وطلبت من نجيب معرفة انطباعاتها تجاهي فأبلغني أنها سعيده للغاية وأنها تحتفظ بألبوم يضم صوري الفوتوغرافية وأنها تستطيع رسم صورتي من ذاكرتها .. وهكذا أمضيت في مشروع زواجي وبدأت أتردد على منزلها في ضاحية مصر الجديدة .. كانت مازالت طالبة في مدرسة الأميرة فريال وسرعان ما عرفت مصر كلها أنني أحبها وسأتزوجها في الوقت الذي كانت تجري فيه واحدة من أكثر الانتخابات أهمية في تاريخنا وأثناء التحقيقات التي أجريت مع العاملين بالقصر وأشياء أخرى كان الهدف منها تشويه سمعة الملك وهكذا وجد زكي هاشم فرصته التي كان يبحث عنها بدأب فطلب تعيينه سفيرا ثمنا لصمته وإلا فإنه سيؤيد الشائعات التي قالت انه كان على وشك الارتباط بناريمان وهو الآن محطم القلب لأن الملك خطف منه عروسه!

فانزعجت بشدة وتوجهت لمنزل ناريمان وكانت لديها قدرة هائلة على امتصاص قلقي - وقلت لها : «لن أرضخ لهذا الإبتزاز وليفعل ما يريد إن رجلا يتصف بهذه الأخلاقيات ليس جديرا أن يكون سفيرا لبلادنا» !! فهزت رأسها بالموافقة وقالت في هدوء : عليك أن تفعل ما تراه ملائما فأنت أكثر خبرة ودراية مني !! ومنذ تلك اللحظة تأكدت أن ناريمان تمتلك من القوة ما يجعلها تخرج سالمة من المشكلات وهكذا تجاوزنا هذه الشائعة وبدأنا الإعداد للخطوة التالية فقررت - بعد موافقة أبيها - ارسالها الى روما لمدة عام لكي تتعلم كل قواعد البروتوكول الملكي وتتدرب على حياة القصور المعقدة فبدأت بدراسة اللغة الفرنسية وهي لغة البلاط والدوائر الدبلوماسية إضافة إلى أصول المحادثة ودراسة عامة عن الموسيقى والفنون وكان إمتحانا عسيرا لفتاة صغيرة من الضروري أن تتقن أشياء كثيرة في مدة قصيرة!! وبعد مرور أشهر قليلة بدأت تقارير سفيري في روما والذي ادعينا أنها ابنة أخته تبشر بالإرتياح حتى أنني تشككت في مضمونها فلم أصدق في البداية أن فتاة صغيرة عديمة الخبرة من الممكن أن تعمل بهذا الجد والجهد وتتقدم في دراسات صعبة ولكني سعدت حين اكتشفت أن التقارير صحيحة وأنها كانت تعمل أكثر من ١٢ساعة يوميا لكي تتعلم وتؤهل نفسها لحياتها الجديدة وخلال سبعة شهور فقط كانت تتقن الفرنسية وأصول الاتيكيت ومعظم المناهج المتقدمة آنذاك .. وهكذا أنجزت مهمتها في فتره وجيزة وأعلنا خطبتنا في الحادي عشر من فبراير (تاريخ ميلادي) .. لكنها كانت عودة بائسة لها فقد أحدثت تهديدات زكي هاشم ضررا بالغا ساهم في تحقيق النصر الساحق لأعدائي السياسيين وأكاذيبهم .. لقد عانيت الكثير منهم ولكن عندما حانت لحظة الاختبار أبحرت ناريمان معي لتشاركني حياتي في المنفى وهكذا كان النصر حليفي في النهاية .



فعلى الرغم من أنني كنت محاطا طيلة حياتي بعشرات الرجال إلا أنني كنت أشعر دائما بالوحدة وكانت ناريمان هي أول إنسان استطاع أن يخترق هذا الحاجز النفسي فمعظم الناس لا يدركون حقيقة أن الرجل الذي يستقر على رأسه تاج ويقف أمامهم خلف هذه الأبهة الملكية هو أيضا إنسان

ثروتي كوتشينة منذ عهد الأباطرة

أفاض أعدائي في الحديث عن ثروتي المزعومة وكان هدفهم يتسق مع نصيحة جوبلز الذهبية لمحاربة الخصوم السياسيين فالكذبة إذا ترددت مراراً وتكراراً فإن الجميع سيسلم في النهاية أنها حقيقة وهم يذكرونني بقصة الرجل البرئ الذي وقف أمام القاضي في المحكمة مدافعا عن نفسه !! فنظر إليه القاضي مستنكراً لابد وأنك فعلت شيئا وإلا لما تواجدت هنا !! هذا هو موقفي الآن .. فهم يدعون أنني أخفيت ثروتي الضخمة بعيدا عن عيونهم علما بأنني لم أتواجد خارج مصر بمفردي أبدا .. فجميع تحركاتي كانت مرصودة من قبل عشرات الصحفيين ومئات العيون في كل البلاد التي زرتها ، وحكام مصر اليوم يمتلكون جميع المستندات والسجلات الخاصة بي ومعظم أصدقائي ومن كانوا موضع ثقتي هم الآن في السجن ويمكنهم الاستعلام عن رصيدي وممتلكاتي في البنوك الدولية في أي بلد !!

والحقيقة أن أحمد خشبة - وهو احد المسئولين اللذين تم تعيينهما وصيين على ممتلكاتي أقر بعد مرور ثلاثة أشهر من البحث والإستجواب لم يظهر أي دليل أو خيط أو مستند أو ورقة يوميات كتب في عجالة أو شهادة انتزعت من صديق عن طريق التعذيب تدل على تلك الثروة المزعومة.. وكان أقصى ما استطاعوا التوصل إليه ادعاء أن بوللي لديه معلومات مؤكدة عن ثروتي !! فقد كان يلازمني أينما ذهبت وبالفعل أجاب بوللي عن

تساؤلاتهم لكنه لم يستطع مساعدتهم في هذا الصدد .. وهكذا وجدت صحف الإثارة ضالتها في الترويج لهذه الشائعات المضحكة فقدر البعض ثروتي بمليونين من الجنيهات المهربة بعيدا !! ووصفت بعض الصحف هذه الخبيئة بثلاثين مليون جنيه وبعض الصحف الأكثر جنوحا ضاعفت هذا المبلغ مائة مرة فقدرته بثلاثمائة مليون جنيه استرليني وهو مبلغ يعادل الرصيد القومي لأمة ناجحة اقتصاديا!! ومن المفارقات أنني لم أجد تقريرين صحفيين متشابهين لكنهم يدعون جميعا أن معلوماتهم مستقاة من مصدر عليم !! أما لماذا يجهدون أنفسهم في الترويج لمثل هذه الشائعات فلأسباب واضحة إذ يمكنهم خلال عامين أو ثلاث إلقاء اللوم والمسئولية عن الأموال التي ستفقد مستقبلاً على ملك المنفى لقد حاول المتمردون نقل الملكية من ابني إلى الأمير محمد عبد المنعم لكنه تردد في خوض تجربة سياسية مجهولة معهم !!

ولهذه الأسباب اتبعوا خطة تجويعي، فقرروا منع المخصصات الملكية عن مجلس الوصاية على العرش فانهار في غضون أسابيع قليلة ثم واتتهم فكرة ملهمة فادعوا أنني هربت أموالاً كثيرة من مصر تكفيني دون الحاجة للمساعدة !! فقطعوا الأموال عني وعن ابني وبناء على هذه الفتوى الحمقاء قاموا بتجميد حساباتي البنكية والاستيلاء على الكثير من الأراضي وممتلكاتي الخاصة وكانوا يهدفون في النهاية إلى معاناتي حتى يخيم شبح الفقر على حياتي فتضطر زوجتي وابني إلى العودة إلى مصر .

وأنا بالطبع لن أرضخ لهذا التهديد حتى لو اضطررت أن اعمل (قومسيونجي) كما عمل ملوك كثيرين وسأعتبر هذا العمل أكثر إحتراما وشرفا من تسليم طفلي للمتمردين مقابل منحة مالية .. لقد أخذوا جميع الأراضي والممتلكات وفي نفس الوقت يشكون من كثرة ديوني وعجزهم عن سدادها !! وهنا تكمن الغرابة والدهشة خاصة بعد استيلائهم على أموالي .. فلو أنني كنت أخطط بالفعل لتهريب أموالي خارج مصر لكنت قد أخذت مجموعة الطوابع التي قدرت بثلاثة مليون جنيه استرليني إضافة إلى مجموعة العملات الذهبية التي تركتها في قصر القبة والتي شاهدها الصحفيون كاملة في دواليب القصر والتي لا تقدر بثمن لقيمتها التاريخية ولعلها كانت من أخف ما يمكن حمله ويثقل ثمنه فكان يمكنني وضعها في صناديق الكابينة لكننا لم نخطط كما ذكرت ولم نحضر أيضا كل مجوهرات ناريمان وقيل لي أن إحدى أساور زوجتي ترتديها صديقة شابة لفتحي رضوان ويبدو أنه لا يؤمن بالأفكار الشيوعية ولا يشترك في عمليات السطو إلا اذا كانت تتعلق بالجميلات اللاتي لا يتجاوزن السابعة عشر !!



ويعد حسابي في أحد بنوك نيويورك هو حسابي البنكي الوحيد وقد استخدمته في أيام أسعد من هذه الأيام لكي أشتري مجموعة من الطوابع والعملات، فكنت حريصا دائما على الاحتفاظ برصيد في نيويورك تسهيلا للتعاملات البنكية في حالة الشراء والبيع .

وأخيرا قيل أنني قمت بتسييح كل هدايا زواجي وصنعت منها سبائك لا تقل قيمتها عن مليوني جنيه وهو أمر محال لأنه يعني أننا حصلنا على هدية ذهبية قيمتها مائتي جنيه استرليني من عشرة الاف شخص وهذا افتراء ومحض خيال فأكثر الهدايا كانت من عائلتي وأثمنها كان طقم شاي قيمته لا تتعدى بضعة آلاف من الجنيهات ولا يمكن إذابته وتسييحه ذهبا ثم سبائك !!

أربع غرف بدلا من أربعة قصور

وبعد أن أبحرت مع عائلتي وقف نجيب ورجاله مشدوهين واعتقد أن الأمر استلزم أسبوعا كاملا لكي يستوعبوا الموقف ككل وأهميته التاريخية فهم أشبه بمجموعة من الأفراد أقدمت على تحطيم محل للمجوهرات فلم يخرج أحد لمطاردتهم وإبعادهم .. بالأمس كان نجيب مواطنا عاديا أما اليوم فهو فوق القانون ولا يستطيع أحد محاكمته في مصر .. لو استطاع إعادة تشكيل البلاد وتخطيطها دون ثرثرة فكنت لن أبخل عليه بثنائي وإعجابي .. لكنه سمح لرجاله باللغو والثرثرة لتبرير أفعالهم أمام العالم ليس عن طريق العمل الجاد الدءوب خلال عشرة أعوام قادمة مثلا ولكن من خلال أكثر الطرق يسرا .. وهكذا تم تشويه سمعتي بالكامل ولم يكن الأمر شاقاً بالنسبة لهم فقد مهد الشيوعيون والصهاينة الطريق أمامهم واستغرق الأمر بضع سنين .

فلو أن جميع الفتيات الصغيرات والراقصات والممثلات اللاتي قيل أنني مارست معهن الحب اجتمعن معا لما استطاع جراح واحد أن يعطي كلا منهن حقنة فيتامين واحدة بمعدل حقنة كل خمس دقائق دون أن يسقط من الإعياء !! إن أي زوج يتحتم عليه العمل الشاق المضني لأكثر من عشرين عاما لكي يحظى بقبلة على خده ووسام من الملك أما زوجته فما عليها إلا الذهاب إلى تلك الأشجار القريبة من القصر لكي تعود متفاخرة بما منحها الملك اياه !! إن الإنسان حين يعيش تحت أشجار التفاح بصفة دائمة فغالبا ما يفتقد الرغبة في تناوله فالمحرومون من الجنس هم الذين يجدون الإثارة في هذه القصص الصبيانية الشرهة لكل ما هو متاح للملك من ملوك الشرق .. ويا لها من لحظات تاريخية فارقة تلك التي تبدأ بالسير في أروقة القصور الملكية ولمس معروضات الملك المبعد فحين حدث هذا في روسيا قتلت العائلة المالكة بأكملها لذلك فالعائلة المالكة المصرية أكثر حظا وعلى الرغم من ان ابني لايزال ملكا فإن المتمردين لن يقاوموا إغراء الفرجة والطواف داخل القصور الملكية .

فقبل الإنقلاب لم تطأ قدم أي رجل من رجال نجيب أيا من قصوري ولم يستقبل البلاط الملكي إلا القليلين منهم الذين منحوا أوسمة عسكرية وقد علمت مؤخرا -وأضحكني ذلك - أنهم يحاولون الآن إضافة وسام جديد خاص بمعركة رأس التين !! وأنا أعترف أنني كنت سأستمتع كثيراً بمشاهدة قادة الإخوان المسلمين وهم يتجولون في قصري يجذبون الأدراج ويحدقون في الدواليب والأطباق وقمصان الملك النظيفة كسيدات عجائز في رحلة سياحية لشركة كوك .

أما القصور ذاتها فالأسرة المالكة لا تملك رجل كرسي فيها ولا لمسة طلاء فكل الأعمال الخاصة بالصيانة يقوم بها مكتب الأشغال كما هو الحال في البيت الأبيض وقصر باكنجهام وهي قصور شرقية ثرية بزخارفها تزخر بكنوز فنية نادرة فكل غرفة تزدحم باللوحات الزيتية والتماثيل البرونزية المهداة من بعض العائلات المالكة في أوروبا والتي يرجع تاريخها لعدة قرون بعضها يونانيا والآخر من فينيسيا ومن أزوريا وهي بلاد قديمة غربي إيطاليا والعديد من القطع الأخرى التي كانت ترد إلينا من بعض المتاحف وبالرغم من هذا الثراء الفني المتنوع الا أن المتمردين جمعوا عشرين لوحة عارية من غرف قصر القبة لأنها محرمة في نظر المتعصبين منهم فالأخوان المسلمون يبدون اشمئزازهم حيال تلك الأعمال والطامة الكبرى إذا انقضوا على الحكم في بلد ما فعلى الفور سيسارعون بإغلاق كل المسارح وصالات الرقص ولن يسمحوا لأي شخص بمشاهدة أي فيلم إذا كان أقل من ٢١ عاما على أن يكون الفيلم تعليميا يتم انتقاؤه بواسطة الدولة !! فهم يصفون الملاهي العامة بأنها أكثر شراً من إحتلال البلاد بواسطة قوات أجنبية بل هي كارثة هذه ليست كلماتي ولكنها كلمات حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين !! وقد يتطور الأمر فيمنعون نشر صور الفتيات في المجلات وإن كان معظمهم متدينين طيبين لا يضمرون شرا الا أنهم سمحوا للمتطرفين بالسيطرة على جماعتهم .. فالممسكون بزمام أمورهم الآن يملكون عقول عجائز وقلوبا متحجرة لا تعرف التسامح كما لو كانوا أعضاء في محاكم التفتيش .. فهم يحطمون أي تمثال عار ومن المؤكد أنهم صدموا حين شاهدوا صور عذارى النيل التي صممها فنان أبي الإيطالي المفضل (فيروتشي) في قاعة الموسيقى بقصر رأس التين !!

ومن حسن حظهم أنهم وجدوا كل الدعم والعون من فتحي رضوان الذي أدرك بذكائه أنه يتحتم عليه أن يفعل المزيد في قصر القبة قبل أن يشاهده الصحفيون فجمع بعض الروايات والصحف القديمة التي احضروها من غرف الخدم ووضعوها بجوار سريري .. أما تحت وسادتي - حيث كنت أضع دائما القرآن الكريم وهي عادة عائلية أمرهم فتحي رضوان بوضع مسدس وألبوم يضم صورا فوتوغرافية لنساء شبه عاريات وهكذا كان من المفترض - وفقا لإدعاءاتهم - أنني انام فوق هذه التشكيلة العجيبة كل ليلة !!

ثم قاموا بوضع رابطة عنق مرسوم عليها فتيات عاريات وهي متوافرة ويرتديها تلاميذ الكليات الأمريكية ومن السهل شراؤها بقروش قليلة من شوارع القاهرة !! علما بأنني كنت املك عددا كبيرا من رابطات العنق فمعظمها كانت ملكا لوالدي إضافة إلى أن كل مدارس الحرف اليدوية في مصر ومصحات الناقهين كانت ترسل لنا هذه الأشياء (رابطات عنق - جوارب - الشيلان) تعبيرا عن محبتهم لنا!!

أما فى حجرة نوم زوجتى فتعمدوا وضع رواية غير مهذبة بجوار سريرها وهى «عشيق الليدى تشارترلى» وشاهدها الصحفيون مفتوحة على أكثر صفحاتها إباحية !! والنكبة أن معظم الناس لم يشاهدوا دوائر البلاط الملكى وهم لا يعرفون أن غرفة نوم الملك ليست مكانا خاصا فمن المألوف أن يوجد بعض المسئولين عن الغرفة وعن الخدمات وبعض موظفى البلاد والخدم وهم يتناوبون الخدمة ويتحركون فى كافة أنحاء القصر .. ولهذا السبب لم يدرك رجال نجيب القادمون من ضواحى المدينة أن الملك لا يضع ممتلكاته الخاصة جدا فى غرفة نومه لكنه يخصص لها مكانا خاصا وكان موقعه فى البدروم حيث أعتدت استقبال ضيوفى الحميمين الذين أتحرر أمامهم من ملابسى الرسمية وكنت أقضى ساعات قليلة أنعم فيها ببعض الحرية وفى نفس المكان كنت أحتفظ بمجموعاتى الخاصة من الطوابع والعملات وهى الهواية التى كانت تنتشلنى من متاعبى مع زوجتى الأولى ومن مشاكل أمى وحبيبها ومجادلاتى مع السفير البريطانى وخلافاتى المتصاعدة مع الوفديين !!!

فقد كنت أحد هواة جميع الطوابع المشهورين ولدى مجموعة فريدة من العملات والأوراق النقدية التى لا نظير لها فى العالم وأكثرها قيمة ورقة بنكنوت من فئة ١٠ آلاف جنيه استرلينى لا يوجد منها سوى ورقتان فى العالم الأولى فى مجموعة ونستون تشرشل والثانية فى مجموعة الملك جورج السادس!! إضافة إلى عملاتى الذهبية فكنت أمتلك أيضا عينات حقيقية من إنتاج معامل تنقية الذهب والتى تعود إلى بعض الحضارات القديمة حتى يومنا هذا، إضافة إلى كل الأشكال المعروفة لدمغة الذهب .

أما مجموعتى المتكاملة من الكوتشينة فيعود بعضها الى العهود الأولى للعبة ولدى مجموعة من أوراق اللعب التى استخدمها ملوك فرنسا وأباطرة الصين وأول أوراق تستخدم فى أول كازينو فى مونت كارلو ولكنهم التقطوا ورقة تحمل صورة امرأة عارية وتضم تحفى الفريدة زهرا للطاولة مرصعا بالمجوهرات يعود تاريخة للبلاط الملكى فى فرنسا فما أن شاهدوا عجلة الروليت الحديثة بجوار الزهر حتى أطلقوا عليها غرفة فاروق للقمار ..

لست قديسا ولكن مقامر

أنا لا أنكر أننى كنت ألعب القمار فى نادى السيارات ولكنى لم ألعب أبدا فى أى قصر من القصور حيث تحول الرسميات دون ذلك ولكن من المؤكد أنه لا يوجد ما يسمى بغرفة القمار بقصر القبة فقد لعبت القمار مراراً وتكراراً ، فأنا لست قديسا ولكنى أتعامل مع الأشياء بطبيعية شأن جميع الناس فأستمتع بطعامى الشهى وبالصحبة المرحة خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن دخلى السنوى يتجاوز المائة ألف جنيه استرلينى !! فهل يوجد رجل يمتلك مثل هذا الدخل يفيض حيوية وشبابا ولا يستمتع بحياته !! وبعيدا عن التخمينات والشائعات فأنا أعترف أننى كنت أقامر على موائد القمار ولكنى لم أقامر بما لا أستطيع دفعه إضافة إلى اننى ربحت أكثر مما خسرت فى أغلب الأحيان ولكنى لم أشترك فى رهان على كرة القدم مثلا أو اليانصيب أو الروليت وهى (لعبة صبيانية) !!

أما الماكينة التى وجدوها فى غرفة نومى وأشاعوا أنها جهاز اخترعه فاروق لمشاهدة الصور الفاضحة وهو فى فراشه فهى آلة سينمائية ألمانية يستخدمها هواة التصوير السينمائى لعمل المونتاج فنحن من العائلات التى كانت تهوى التصوير السينمائى لتسجيل المناسبات الكبرى !! ولم أتمالك نفسى من الضحك أيضا حينما أشاروا إلى مجموعة العطور وخلاصة النباتات المقطرة والتى يعود بعضها إلى العصور الوسطى فالنقطة الواحدة من خلاصة الورد الحقيقى تقدر بخمسين جنيها استرلينيا .. ويعد جرام العنبر أغلى سعرا من الذهب فى نظر هاوى العطور وكنت أمتلك منها خلاصات من فرنسا وإيطاليا وبعضها يعود لأكثر من مائتى عام أما التعليق الذى أطلقه مرشد الإخوان على هذه الثروة العطرية «أنها شراب المحبة الخاص بفاروق فلنطيح بها جميعا» إنها كنوز أنصحهم بالحفاظ عليها والتخطيط - كما كنت أنوى - لإنشاء متحف يضمها ليثرى كنوزنا المصرية .. كنت دائما آمل أن يكون هذا المتحف تخليدا لذكرى أبى .. وليكن المتحف الآن باسم نجيب فذلك أفضل من السماح للجهلاء بتحطيم تلك الثروة المتحفية التى لا تقدر بثمن بدعوى الشيوعية !!!

أعلم تماما أن أبى لم يكن يحظى بالشعبية التى تجعله محبوبا لكننى أحببته حبا جماً والآن وأنا أسترجع شريط ذكرياتى أؤكد أنه لم يكن واحداً من أعظم الرجال الذين عرفتهم مصر على الإطلاق ولكنه كان يمكن أن يصبح زعيما وسياسيا بارعاً فى أى أمة من الأمم .

بعد مرور شهر من تاريخ نزولى عن العرش حطم الشيوعيون الذين يقودهم فتحى رضوان تمثالا نصفيا بالحجم الطبيعى لأبى فى محطة للسكك الحديد تخليدا لذكراه فى تحديث أنظمة السكك الحديدية فى مصر ومن المؤسف أن حفنة قليلة من الغوغاء قاموا بتحطيمه بصورة مهينة حتى أنهم حطموا شواربه وبصقوا عليه !! وأنا أتساءل فى دهشة لماذا يخربون ويحطمون تمثال والدى بينما النازيون والحلفاء لم يحطم أحدهما عن عمد النصب التذكارية فى بلدان أعدائهم .. فإذا كانوا غير راغبين فى وجود تلك التماثيل فليضعونها فى متحف أو يعيدونها إلينا لنعتنى بها وعزائى أن أبى سيتبوأ مكانته الرفيعة فى سجلات التاريخ المضيئة !! والآن يقذفنى أعدائى بأبشع التهم افتراء ويدَّعون أننى أعرض بناتى للإنتهاكات الأخلاقية فالتقطوا صورة لإحدى بناتى فى حمام سباحة جريس فيلدز فى كابرى وهى ترتدى مايوها عاديا ترتديه أى فتاة صغيرة فى مثل عمرها وتعمدت بعض الصور إظهار رواد هذا المنتجع الصيفى وأشارت العناوين إلى أننى أجبرت أطفالى على أن يستعرضن أنفسهن فى ملابس غير لائقة أمام النزلاء لكى اكسب ود الرأسماليين الذين يلعبون القمار وينغمسون فى الملذات فى هذا المكان !! فلم يقنعهم إبعادى ولكنهم يهدفون لتحطيم الواجهة الملكية وبعثرة أنقاضها لكى أصبح رجلا بدون أسرة أو أصدقاء فأى ألم أقصى على رجل منفيا مثلى لا يمتلك الآن إلا عائلته فهى مملكتى الوحيدة وسعادتى وملاذى الأخير .. والذى يحزننى أن البعض سينظر لهذه الأكاذيب بعين الاعتبار فى مجتمعاتنا الشرقية !!.

ظلال من الذكريات



كم كان يسعدنى أن أرى أطفالى سعداء فى طفولتهم وأن أشاركهم هذه السعادة ولو بالقدر الضئيل الذى كانت تسمح به مسئولياتى لكن حياتهم اختلفت الآن فلن يعدن أبناء ملك حاكم .. فمن الضرورى إذن أن تكون حياتهم مرحة سعيدة فى المنفى أيضا وهذا ما حاولت أن أفعله تعويضا لهن عن حياتهن فى مصر حيث كانت لديهن غرفهن المملوءة بالألعاب فى كل قصر من القصور الأربعة .. كن يحتفلن بعيد ميلادهن فتأتى إليهن عشرات الهدايا من الأصدقاء ورجال البلاط والدبلوماسيين وقد حرصت منذ صغرهن على تعليمهن ركوب الخيل على يد «لا فارج» أمهر فارس فى فرنسا حيث تمتلك كل منهن عربة تجرها الجياد .. ينطلقن بها فى ممرات القصور ويتجولن فى حدائقنا الغناء التى كانت تقفز فيها الغزلان فى نعومة ورشاقة ويحمل النسيم العليل الأريج الفواح والضجيج المحبب فمن النادر ان تكون سماؤنا الزرقاء الصافية خالية من أصوات تلك الطيور المغردة .. كان لكل أميرة أيضا كلبها الخاص وتحرص كل منهن على إطعامه بنفسها تماما كما كنت أفعل مع كلبى «لورينو» فالكلب لا يتعلق إلا بمن يعتنى به فقط !! وفى فضاء القصر كن يستمتعن باللعب فى الحفر الكبيْرة المملوءة بالرمال وقد حرصت على شراء عدة نجارة لهن ليتعلمن تقطيع ألواح الخشب ودق المسامير !! فصنعت فريال مكتبا وأرففا خشبية فى أعلى إحدى الشجرات بقصر القبة لكى تضع فيها كتبها حيث كان يمكنها قضاء الساعات !! أما فوزية فكانت مولعة بكتابة الشعر وقصص الحيوانات !!

ولكن حينما حانت لحظة الرحيل لم تأخذ بناتى لعبا كثيرة فكان نصيب فادية دمية صغيرة مهلهلة الثياب كانت تمتلك خصلات شعر ذهبية لكنها الآن تعانى الصلع وفقدان إحدى عينيها!! وتركت فوزية كتبها المفضلة عندما هربنا ليلا من المنتزة !!

ومنذ لحظة وصولنا إلى الفندق فى كابرى أصبحنا سجناء ولكن بناتى تقبلن الموقف بشجاعة وصبر فكنا نستجلب ظلام الليل بإرادتنا .. فنضئ غرفنا ونغلق الشيش والنوافذ بينما الشمس ساطعة بالخارج!! ونجلس سويا نداعب بعضنا البعض بالألغاز والأحاجى فبناتى مغرمات بها ويشعرن بالفخر والسرور إذا اكتشفن لغزا جديدا لا يمكننى الإجابة عنه !!

كتاب
تذكارى

وكانت إقامتنا فى طابق كامل مكون من ستة وعشرين غرفة لمجموعتى المكونة من سبعة وعشرين فردا، وكنا فى حاجة إلى غرفتين لحرس الأمن الإيطالى الذى أمدتنا به الحكومة الإيطالية الكريمة لحمايتنا .. فيما يتعلق بإقامتى قررت الإستعانة بأربعة غرف حولت غرف منها للسكرتارية واستقبال الزائرين والغرفة الثانية للمعيشة والثالثة لزوجتى والرابعة للطعام العائلى!! وحرصا منى على إدخال البهجة إلى غرفة نوم فادية طلبت من أحد العاملين بالفندق شراء أباجورة خاصة بالأطفال من أحد محلات كابرى عليها رسومات أو أغان للأطفال !! ففوجئت بالصحف تنشر العناوين التالية :

«حاشية فاروق تطوف محلات كابرى من أجل شراء عشرات المصابيح الورقية .. المنفى المستهتر يقوم بإعداد حفل كبير فى الروف يتسع لستمائة شخص !!» وشائعات أخرى فلم نكن نعلم أننا أصبحنا فى بؤرة اهتمام الصحافة حين احضر لنا الجرسون إثنى عشر بيضة مسلوقة لنا جميعا وبحسبة بسيطة فكل بنت من بناتى الثلاث وناريمان يتناولن بيضة واحدة وكذلك المربية السويسرية أما المربية تشيرسايد وتابوريه فتأكل كل واحدة منهن بيضتين وأتناول أنا بيضتين أو ثلاثا !! ولكن فى اليوم التالى صدرت مانشيتات الصحف تحمل هذه العناوين المثيرة : «فاروق يأكل ١٢ بيضة فى الإفطار يوميا» .. «حمامات فاروق الساخنة تستهلك كل مياه الفندق فى كابرى» ونشر هذا الهراء فى عشرات الصحف ولكنى تخطيت معظم هذه المصاعب وظلت مشكلة بناتى تؤرقنى فلا يعقل أن أبقى عليهن مسجونات فى غرف نومهن المغلقة لمدة طويلة .. وانتهت المشكلة سريعا حين عرضت على جريس فيلدر استخدام حمام السباحة الذى تملكه وقالت لى : يمكنك الاستحمام فى شاطئ خاص كما كنت تفعل العام الماضى ؟ فشكرتها وأصبحن ينعمن بهواياتهن فى السباحة وصيد القناديل ولكن عندما ذهبن للمرة الأولى طاردهن المصورون بلا رحمة على الرغم من تواجدهن فى مكان خاص فنصحتهن بعدم إظهار الإهتمام وهكذا حصنتهن ضد هذه المضايقات إضافة لتواجد حراسى الألبان ومربياتهن وهن مهذبات مطيعات لا يعصين طلبا لى أبداً .. أثناء تواجدنا فى مصر كنت حريصا على منحهن مصروفا محددا يدفعن منه جزءا للتبرعات الخيرية فكنت أمنح فريال خمسة عشر جنيها استرلينيا فى الشهر وفوزية عشرة وفادية خمسة جنيهات وقمت بفتح حساب ادخار لهن فى البنك بجنية استرلينى واحد لكل منهن .. حين غادرنا مصر كن قد استطعن ادخار مبالغ من مصروفهن فى حسابهن الخاص واعتقد أن لديهن بعض الأمل فى استعادة هذه النقود .



وقد بدأت الآن فى منح فوزية وفريال بعض الشلنات أسبوعيا ليبدأن الادخار مرة أخرى .. فأنا أشعر أن هذه الحياة الجديدة فرصة عظيمة لبناتى لكى يتعلمن متعة الإدخار الفعلى والانتظار حتى يستطعن شراء ما يردن من أشياء الآن تتمنى فادية شراء كاميرا صغيرة لا يزيد ثمنها عن الجنيهات ولكنى طلبت منها أن تنتظر قليلا فقد تحصل عليها كهدية فى عيد ميلادها أو تدخر لتشتريها .. وهكذا ستقدر هذه الكاميرا تقديرا خاصا لأنها تطلعت لاقتنائها وانتظرت وقتا طويلا لشرائها !!

طفولة بائسة

كان أبى رجلا حازما متشدداً لم ينس يوما أننى سأصبح ملكا فشاءت الأقدار أن تكون طفولتى منعزلة وان لم تتجاوز الإطار العام لأسلوب التنشئة المكرر فى جميع الأسر الملكية !! ففى الوقت الذى يبدأ فيه الأطفال العاديون فى الاستقلال ذاتيا فإن الطفل الملكى ينعطف فى مسار آخر يتسم بالصرامة والمشقة التى قد تتجاوز الحياة فى أى مؤسسة عسكرية .

وبالرغم من تلك القيود فربما تنسمت طفولة سعيدة لولا وجود مربيتى الانجليزية نايلور فقد كنت محبا لشقيقاتى وكن وديعات مثل بناتى ولا أذكر أننا تشاجرنا فى طفولتنا ولو مرة واحدة على الاطلاق بينما كانت مربيتى الإيرلندية – ومازلت أحتفظ للايرلنديين بمكانة خاصة إجلالا لها – هى أول امرأة أوروبية تترك أثرا واضحا فى حياتى فقد ملأت طفولتى بذكريات ناعمة وغمرتنى بفيض هائل من حنانها وسحرتنى بأغانيها الجميلة الهادئة التى كانت تشدو بها فى سعادة بالغة لإدخال السرور والمرح إلى قلبى الصغير وهى إنسانة رقيقة صبور ومازالت مربية ابنى أيضا .. أما مربيتى نايلور وآه من نايلور .. ترى ماذا كان يضيرها لو تركت تلك الذكريات السعيدة فى نفسى أيضا لكنها لم تفعل فهى متشددة أذكر أنها كانت تصر دائما على أن نرتدى ملابسنا كاملة وحدث أثناء زيارتنا لوالدتى فى جناحها فى أحد أيام الصيف القائظة أن والدتى لاحظت شعورى بالحر فطلبت منى خلع الجاكت فاعترضت نايلور ولكنى مضيت فى تنفيذ رغبة والدتى .. ولكن بمجرد عودتنا لجناحنا قالت لنا فى حدة : إذا خلع أى منكم سترته المرة القادمة سوف تنالون عقابا صارما .. فأنا لا يعنينى شخصية من يطلب منكم عصيان أوامرى سواء كانت الملكة أو أى شخص آخر !! ونفذت نايلور تهديدها ففى الزيارة التالية طلبت والدتى منا أن نخلع ستراتنا فخشيت شقيقاتى وأحجمن عن تنفيذ رغبتها لكننى بادرت بالتحرر من هذا الجاكت الثقيل الذى لا يتناسب مع المناخ المصرى الذى يختلف تماما عن المناخ الإنجليزى وذلك ما لم تفهمه نايلور ولكن بمجرد عودتنا لمحل إقامتنا المخصص فى القصر لم تتردد فى عقابى !!!

لم أتجاوز السادسة عشرة حين أرسلنى أبى إلى بريطانيا للدراسة فى أكاديمية لوتش العسكرية حيث قيل أنذاك إننى كنت متفوقا فى الرياضيات ولم يكن ذلك صحيحا فقد كنت طالبا فاشلا فيها فشلا ذريعا أما العلوم فكانت هى المادة التى تستهوينى فكنت أصطحب كتبى بعد انتهاء الدراسة لأستمتع بقراءتها فى المنزل حتى أننى تقدمت على زملائى فى تلك المادة التى مازلت مفتونا بها . وحينما قدمت الى بريطانيا خلال تلك الآونة كنت أنفق معظم مصروفى فى البحث عن الكتب القديمة !! وقد تواردت شائعة امتلاكى لسيارة حمراء سبور كنت أروع بها سكان وولوتش ولم يكن ذلك صحيحا أيضا .. ليتنى كنت أمتلك مثل تلك العربة أنذاك فلم امتلك إلا دراجة ومن ثم فقد اعتدت الذهاب الى لندن مرتين أسبوعيا بصحبة سائق لورى – فى تلك الآونة تعرفت أيضا ببباركر وهو معلم التربية البدنية فحرصت على بذل أقصى جهدى لإرضائه وسرعان ما أصبحت ماهرا فى الألعاب الرياضية فعلمنى الملاكمة ولكن أبى كان مولعا بلعبة الشيش وكان دائما يقول لى : الملاكمة لا تعتمد على المهارة فهى ليست رياضة رفيعة فكيف تضرب زميلك فى وجهه بقبضة يدك !! وفى الأكاديمية عرفت الاستيقاظ مبكرا والجرى عند بوق الاستيقاظ وارتداء البنطلون أحيانا وساقاى مبتلتان لاننى لم أجد متسعا لتجفيفهما لكى ألحق بطابور الصباح وأدركت ماذا يعنى اطفاء السيجارة التى يدخنها الطالب بمجرد سماعه لخطوات استاذه .. وأذكر أننى لم أنعم بأى استثناء لأننى أحمل لقب صاحب السمو الملكى .. أما والدتى فكانت متوجسة من تأثير بعض العادات الأوروبية الضارةالتى قد اكتسبها خلال دراستى لكن والدى أكد لها أننى أمتلك الكثير من الفطنة وانه لا يشك فى اننى سأسلك السلوك القويم !!

لقد كانت أياماً رائعة فى حياتى استطعت فيها الاختلاط بالزملاء على قدم المساواة .. ومازلت أحتفظ بذكريات خاصة ربما نسيها زملائى الذين تزدحم حياتهم وتثرى بصداقات عديدة غير رسمية !! وخلال وجودى فى بريطانيا تلقيت دعوة غذاء من جورج الخامس ملك بريطانيا وفى قصر باكنجهام ألتقيت بادوارد أمير ويلز أنذاك فأقتربنا كثيرا واصبحنا صديقين حميمين فسألنى ماذا أفعل فى أوقات فراغى فقلت اننى أهوى التجول فى المكتبات التى تبيع الكتب القديمة وكان من هواة مشاهدة كرة القدم فكنا نذهب معا لمشاهدتها وكان شغوفا أيضا مثلى بجمع العبارات الانجليزية العامية فأخبرته بالعبارات العامية الحديثة التى كان يستخدمها أفراد الجيش الإنجليزى !!

وعندما توفى الملك جورج الخامس قمت بتقديم العزاء وحضرت الجنازة نيابة عن والدى واستشعرت أن الأقدار ربطت بيننا بطريقة لافتة فقد تعارفنا حينما كان كلانا وليا للعهد فى بلده ثم تقابلنا وكلانا ملك .. وتقابلنا أخيرا وكنت ملكا دونه .. لكننا لم نلتق بعد كملكين مخلوعين وأعتقد أنه سيطلق تعليقا لاذعا إذا إلتقينا مؤخراً !!

كانت حياة خشنة ناعمة رائعة فى آن واحد وللأسف الشديد لم تدم طويلا ففى ابريل عام ١٩٣٦ توفى أبى فتم استدعائى إلى مصر .. كنت فى السادسة عشرة من عمرى وكان من الصعب أن ألقى شبابى خلفى لكنه الواقع المؤلم الذى فرضته الظروف شئت أم أبيت ومنذ ذلك اليوم بدأت أتحمل مسئوليات الرجولة الرشيدة !!

عندما ودعنى دوق كنت فى محطة فيكتوريا لم يخالجنى أدنى شك فى أننى خلال سنوات قليلة سأتمكن من تحقيق طموحات أبى فى الارتفاع بمكانه مصر بين الأمم وأننى يمكننى مساعدة كل المحبطين والفقراء وتخفيف همومهم .. ويالها من أضغاث أحلام شابة جامحة فلم يكن الأمر بهذه السهولة أبدا فكل رجل يعتقد أنه من السهل أن يصبح سياسيا ناجحا إذا سنحت له الفرصة بل أن كل من يستطيع العزف على آلة الكمان مثلا أو يدعى أن لديه قدرة على تنظيم عملية تحية العلم أو إصلاح الأحذية كانوا يشعرون جميعا بالاقتناع التام بأن مشكلات العالم ستنتهى إذاأصبح كل منهم رئيسا للوزراء فكل سياسى يقول : «دع لى الأمر برمته فالرفاق السابقون كانوا أوغاداً .. ولكننى سأتدارك الموقف وأعيد تصحيح الأمور فورا!!» وعلى الفور يمنح السلطة والوقت ليس بغرض محاسبته ولكن لكى يتثنى له تثبيت أقدامه فى موقعه حتى لا يزحزحه أحد طوال حياته !!

فالعرش سلاح مشهر فى أيدى السياسيين فى مصر حيث لا يعرف تسعة رجال من كل عشرة القراءة والكتابة يستطيع السياسيون المحترفون إدارة حملاتهم عن طريق مخاطبة العواطف الجماهيرية التى تتأرجح مع كلمات الخطباء المفوهين نظرا لتدنى المستوى التعليمى عند العامة .. أما مخاطبة العقول فلا مجال لها فى تلك الحملات .. لقد سعى أبى جاهدا طوال حياته لإيقاف خطر هذه الأمية فشرع فى بناء المدارس وإنشاء الجامعات وإقامة المراكز الثقافية إيمانا منه أنه يقود شعبا عظيما .. سيصل حتما إلى مرحلة النضج السياسى والاجتماعى .. وهكذا حاولت أنا أيضا السير على نهجه ولكن بعض السياسيين كانوا يعتقدون أن تحقيق مآربهم - الصالحة والطالحة - من الممكن أن يتحقق عن طريق التعلق بالعرش فكانوا يعزفون على وتر حب الأمة المتأصل تجاه العائلة المالكة .. بينما سار البعض الآخر عكس هذا التيار الملكى .. فكانوا يثيرون الشعب بعباراتهم الثائرة : «انظروا فالملك يملك الثروات الهائلة وأنتم فقراء صفر اليدين» وفاتهم أن يقولوا لهم أيضا إن ستالين كان يمتلك سيارة بينما رجل الشارع فى روسيا يسير على قدميه !! ولكن التضليل السياسى أمراً لا يعنيهم طالما أن روسيا توجههم وتدعمهم وتدفعهم للتوغل فى أعماق الحياة المصرية !!

أذكر أن النحاس جاءنى فى أحد أيام الصيف الملتهبة يعرض على تكييف قصرعابدين لكى يصبح مقراً دائما للحكومة بدلاً من انتقال الوزارة إلى الاسكندرية صيفا إضافة إلى أهمية ظهور القصر بصورة لائقة أمام الدبلوماسيين الأجانب فكان تنفيذ الاقتراح يعنى أن قصر عابدين هو القصر الوحيد المكيف فى الشرق الأوسط «وطمأننى النحاس وقال لى : دع جلالتك الأمر لى فلن تكون التكاليف باهظة !! لكنى لم أدع الأمر واكتشفت أن المشروع سيتكلف مليون ومائتى جنية استرلينيا .. وبمجرد الانتهاء من تنفيذه سيقولون للشعب : انظروا كيف ينفق الملك الملايين لينعم بالهواء البارد وأنتم تتصببون عرقا وفقرا فرفضت الاقتراح وقضيت على هذه الفكرة برمتها وتركت القصر بدون تكييف وهو لايزال صندوقا من الرخام الساخن !!

كبير العائلة

لم تكن السياسة هى عبئى الوحيد ففى السادسة عشرة أيضا وجدت نفسى ملكا لأكثر من عشرين مليون مواطن وأصبحت عميدا لعائلتى ومسئولاً عن شقيقاتى وجميع أفراد عائلتى بأكملها .. وبدأت المشكلة الأولى قبل أن تجف دموع الحزن فقد ترك أبى ثروة مالية لم تكن بالضخامة التى صورها السياسيون لكنها كانت لا تقل أيضا عن مليون جنيه بالإضافة إلى مزرعة شاسعة وممتلكات أخرى يجب تقسيمها ولكن الأميرة فوقية - وهى أخت غير شقيقة - طالبت ببيع نصيبها من التركة الأمر الذى يعنى أننا سنضطر لعرض جزء كبير من إرث العائلة والأراضى الملكية للبيع فلم أقبل هذه الإساءة لصورتنا أمام الشعب وأصدرت تعليماتى للمثمنون بتقييم نصيب الأميرة فوقية فقدر المبلغ بأكثر من نصف مليون جنيه فجمعت أنا واخواتى كل أموالنا وحصلنا على قرض من البنك يسدد على عشر سنوات بضمان أراضينا وهكذا دفعنا لها الثمن كاملاً .. ولكن الشائعات أنتشرت على الفور بأننى قمت بالاحتيال على ميراثها !!

غراميات نازلى

لم يمض عام على وفاة والدى حتى بدأت والدتى فى تلويث سمعتنا من خلال علاقتها بأحد كبار المسئولين فى القصر .. كنت شابا صغيرا حاولت إحياء ذكرى والدى فذهبت إليها ورجوتها أن تحفظ ذكراه نقية دون أن تدنسها فبكت ووعدتنى وعودا كثيرة لكنها لم تف بها وبعد أن قضيت ليلة باكية تضرعت فيها إلى الله بالدعاء والصلاة توجهت إليها فى الحرملك وأخذت معى مسدسا فوجدتها مع ذلك الرجل وهددتهما بأنهما إذا لم ينهيا هذه العلاقة فإن أحدهما سيموت حتما لأنهما يدنسان ذكرى والدى وأن الله سيغفر لى هذه الفعلة لأن ما يفعلانه حراما يتعارض مع شريعتنا المقدسة !! فارتعدا أمامى وشعرت بخوفهما وبالفعل وإلتزمت والدتى لمدة طويلة ولكن فى عام ١٩٤٦ بدأت القصة الغرامية تشتعل من جديد وبينما أنا أفكر وأستجمع قوتى للوفاء بقسمى .. كانت مشيئة الله قد نفذت فقتل الرجل اثر حادث تصادم حيث كان يقود سيارته فأعترضه لورى تابع للجيش البريطانى فشكرت الله وحمدته فقد رحمنى من تنفيذ مهمة رهيبة ولكن فى نفس العام سافرت والدتى وشقيقتى فائقة وفتحية معها إلى أمريكا فتعرفت برجل غير مسلم ووافقت على زواجه من صغرى بناتها وحزنت حزنا شديدا فأثناء فترة حكمى منعت حالات زواج مماثلة لبعض أفراد العائلة ممن يرغبون فى الزواج من اشخاص لا يدينون بالإسلام .. وكنت أحب فتحية عندما كنا صغارا فلماذا تفعل بنا أمنا كل هذا!! ومازلت حزينا حتى الآن من أجلها !!

الحياة الخاصة

والآن اتطرق لأكثر الموضوعات جدلاً أثناء فتره حكمى وأعنى به حياتى الخاصة كملك يعيش فى بلد يعج بالاضطرابات والمشاكل الأمر الذى أدى إلى معاناة كل من حولى شأن القطة التعيسة الحظ التى تئن عند قدم صاحبها المنشغل عنها دائما .. فمهما تبلغ درجة اعتنائه بها فلابد أن هناك أوقاتا حرجة ينحيها فيها جانبا فى قسوة تفرضها الظروف من حوله .. تلك كانت مشكلة زواجى الأول من فريدة لذلك صممت إلا يتكرر الأمر مع ناريمان .



فخططت لقضاء شهر عسل يستغرق أسابيع عديدة .. ولم أخدع نفسى بإمكانية الهروب من مسئوليات الدولة ولكننى فكرت فى الموضوع كإجازة ترفيهية وقد يتعجب البعض حين يعلم أنها كانت أجازتى الثانية على مدار ستة عشر عاما ويبدو الأمر غريبا لرجل وصفته الصحافة مرارا بأنه فتى مدلل ولكنها الحقيقة إضافة الى اننا يمكننا الظهور معا فى أوروبا وذلك شىء رائع بالنسبة لنا فعاداتنا لا تسمح بظهور الملك والملكة أمام الناس إلا فى المناسبات الرسمية وهما عابسان مقطبا الجبين !! وكل ما كتب عن لعبى للقمار فى كازينوهات فرنسا وإيطاليا يغطى فتره زمنية لا تزيد على ثلاثة أشهر فى حياتى كلها بما فيها شهر العسل !! فبعد احتفالات زفافنا المرهقة والتى استمرت ثلاث أيام أنغمست فى عملى مرة ثانية ولم تكن لناريمان بالطبع أى مهام رسمية فمنحتها حرية زيارة والدتها واستقبال اصدقائها فى الحرملك بقصر القبة .. وكنت اعلم ان غرف الحرملك المهيبة الضخمة توحى دائما بالوحدة والعزلة وطول الانتظار وفى احدى الليالى عقب انصرافى من عملى منهكا فى الواحده صباحا .. تلقيت رسالة منها ترجونى فيها زيارتها فى الحرملك .. كنت أشعر بالإعياء ولكنى وجدتها متألقة مشرقة .. فقمنا بصنع القهوة بأنفسنا واستمتعنا بتلك الخلوة وأصبحنا ننتظر تلك الساعة يوميا فكانت تستريح الصباح كله وأحيانا بعد الظهر لتبدو بكامل لياقتها فى نهاية اليوم وكانت تشرف على قوائم الطعام فى القصر وتهوى أيضا تجربة الأصناف الجديدة فأى طباخ مهما تكن مهارته فلابد أن تصبح قوائم طعامه مملة نتيجة لتكرارها وهكذا أضفت ناريمان بعض النسائم الرقيقة على نمط حياتى وأردت إهداءها شهر عسل يكون ذكرى دائمة لكلانا .. حيث يمكننا التحدث وتبادل النكات واسترجاع تلك الذكريات التى قد لا تتكرر مرة أخرى !! فصحبتنى حاشيتى .. مراعاة لأصدقائنا وجيراننا فى الشرق الأوسط فكل حاكم يسافر إلى الخارج لابد أن يحيط نفسه بعدد كبير من المرافقين ولكى أكون على صلة دائمة بأحوال البلاد .. ولكن أعداءنا حاولوا الاساءة لنا ولم تعيهم الحيلة !! حاولوا من خلال تصوير ناريمان بالمايوه أو الشورت أما الإسرائيليون فقد حاولوا نشر افتراءات أخرى فأشاعوا أننى أمتلك معملا لتقطير

الخمور فى القدس وهى أكذوبة كبرى فأى ملك لا يمكن أن يغامر بسمعته ويعطى بيده أعداءه السلاح الذى يصوبونه ضده مهما تبلغ أرباح تلك الخمور !!

ولكنها للأسف الشديد كانت دعاية ناجحة قامت باستيفاء الغرض منها حيث قاموا بترتيب وضع بعض زجاجات الخمور على مائدتى واضطررت أن اغادر لوزان بسبب تلك الواقعة التى اعتذرت عنها الحكومة السويسرية .

يخلق من الشبه فاروق

نصح رجال البوليس فى كابرى أحد الهواة بحلاقه شاربه وكان واحدا ضمن العشرات الذين كان يسعدهم وجود شبه بينهم وبينى وأقنعوه أن الحراسة المتوفرة لا تكفل حمايته بشكل كاف وانه يعرض حياته للخطر !! ولم تكن المرة الأولى ففى ملفات الأمن بقصر رأس التين كنا نحتفظ بأسماء وصورا فوتوغرافية لما لا يقل عن ستة عشر رجلا يشبهوننى تمام الشبه بعضهم من إيطاليا ومن فرنسا ومن دول مختلفة فى الشرق الأوسط .. وقد تم إلقاء القبض عليهم جميعا لتعمدهم انتحال شخصيتى وتقليد مظهرى الخارجى وسلوكى فاحتال بعضهم على بعض الجواهرجية وأصحاب الفنادق وغرروا ببعض السيدات !! وعلى النقيض من هؤلاء المحتالين يتعرض أشباهى الناضجين الذين لا ينتحلون شخصيتى لبعض المتاعب وأشهرهم المخرج السينمائى الإيطالى «أتانزاتى» فعندما كان يسلم الجوائز للفائزات فى مسابقة ملكة جمال أوروبا ظهرت صورته فى الصحف مصحوبة باسمى «الملك فاروق يقدم الجائزة لملكة جمال أوروبا» على الرغم من أننى لم أشارك فى هذا الاحتفال فحاول «اتانزانى» الاتصال بتلك الصحف وتوضيح الموقف ولكن مجلة واحدة فقط هى التى نشرت هذا التنويه والآن تنشر مجلة ألمانية - أسبوعية سلسلة مقالات دنيئة تحت عنوان «نساء فاروق» فتظهر صورة قائد أوركسترا عديم الضمير يتنكر فى هيئتى محاطا بالفتيات والنساء فى محاولة لتشوية صورتى!!



لا أشرب الخمر

لم يمثل الشراب أى أغراء بالنسبة لى فى أى وقت من الأوقات وأنا أعتقد أن شاربى الخمر يمكن تقسيمهم إلى فئتين الأولى تشرب لأنها تريد أن تنسى وتهرب من مشاكلها والفئة الثانية تشرب لكى تضحك وتحاول الإمساك بتلابيب لحظات بهجتها المنفلتة .. لكننى لم أشعر بمثل هذه المشاعر فأنا أعتقد أنه كلما كان ذهن الإنسان صافيا واعيا فلن يتعذر عليه الشعور بالمرح إضافة إلى أننى لا أريد أن أنسى فشرب الخمر من وجهة نظرى أشبه ما يكون بحضور عرض مسرحى حى يتابعه مشاهد أصم مغلق العينين !! وقد اعتدت مداعبة ضيوفى وسؤالهم عن الأسباب التى تجعلهم يقبلون على شرب الخمر وكنت استمتع بإجاباتهم فبعضهم يشرب لكى يهدهد نفسه للنوم وكنت أدهش ولا أتخيل منطقهم وهل يطلبون النوم حقا أم الهروب !!

ولكننى أجزم أن ابتعادى عن الخمر لا يرتبط فقط بتحريم شرابها فى الإسلام ولكن حتى لو كانت حلالا لوددت معاقرتها بمحض إرادتى تماماً !!

ارتبط لعبى للقمار فى كازينوهات أوروبا أيضا بلعبة بسيطة فكنت أعد ناريمان أننى إذا ربحت الليلة فسوف أقدم لها الهدية التى تختارها وهكذا اشتريت لها بعض قطع الفراء الثمينة وجوهرة تاريخية نادرة .. وأضفنا بعض التوابل الخاصة إلى شهر العسل ولكننى كنت أخسر أيضا فى أحوال كثيرة !! ولكن من كلمات اللوم والمبالغة التى كتبت فى هذا الصدد أذكر أثناء زيارتى لأمير موناكو وصلتنى رسالة من زوجتى تخبرنى فيها أنها تشعر ببعض الآلام فعدت مسرعا داعيا وبالفعل سمعت أخبارا سارة وتأكدنا أنها حامل ولكن الصحافة - شأنها دائما - أفسدت تلك اللحظة الجميلة حين اختلقت قصة واهية ذكرت فيها اننى ذهبت إلى كازينوهات القمار بمونت كارلو .. فغضبت زوجتى ولزمت فراشها !!

وبالرغم من كل معاناتى فقد نسيت كل شئ حين حانت لحظة الانتظار المرتقبة فلم أتركها دقيقة واحدة أثناء الولادة .. فكنت أنام على كنبة منخفضة عن سريرها حتى أكون قريبا منها وأستطيع مساعدتها إذا احتاجت شيئاً أثناء الليل !!

وجاء طفلنا قبل موعده بشهر كامل مفعما بالصحة والحيوية وأطلقت المدفعية ١٠١ طلقة ترحيبا وإجلالا لمولده فكانت أجمل موسيقى سمعتها أذنى طوال حياتى فبكيت من فرط سعادتى !!

ولم تنجح نيران الحقد وسهام التشهير من إصابة هدفهما بالرغم من شرورهما وسمومهما .. فمازلت أحتفظ بأجمل الذكريات وستظل الحقيقة قابعة فى أعماقى سواء أصبح ابنى ملكا أم لا فإنه سيظل ملكا فى عيوننا!!

مصر مثل أهراماتها

تمتاز البنية الاجتماعية فى مصر بخصوصية شديدة فهى مثل أهراماتها قاعدتها العريضة من الفقراء والفلاحين الأميين وتتربع على قمتها حفنة من الرأسماليين الأثرياء .. إنها اللبنة الأولى لمعظم الأمم عندما كان العالم يتحسس طريقه حضاريا وسياسيا وهى ولا شك بنية إقطاعية لكنها نجحت فى اختبار الزمن لأنها كانت تتناسب مع أحوال مجتمعنا !! ولكن ماذا بعد أن تم قلب الهرم رأساً على عقب حتى أصبحت قاعدته المدببة ومركز توازنه تكاد تكون قمة مكسورة مهتزة من السهل تأرجحها مع أى هزة سياسية حتى يأتى اليوم الذى تتطلع إليه روسيا فتسحق ذرات الهرم رمالا ناعمة تتدحرج فوقها الدبابات الروسية وهى فى طريقها للغرب !!

فقد علمت مؤخرا أن عمال مصانع صباغى البيضا فى كفر الدوار قاموا بتنظيم مظاهرة كبرى عندما تم القبض على رئيسهم «ألياس اندراوس» فهو رجل هادئ متحضر يحظى بمحبة عمالية ربما كانت جريمته الكبرى أنه صديقى !! فقام العمال بتحطيم الماكينات وتخريب المصانع إحتجاجا على اعتقاله فتم إلقاء القبض عليهم وإعدام مصطفى خميس - ٢٠ عاما - وارسال صورته اثناء تنفيذ حكم الإعدام الى كل المصانع والورش فى مصر لكى توضع فى لوحة الإعلانات - لقد اطلق سراح اندراوس باشا - لكن زنزانته لن تخلو من شبح آخر يسكنها طالما وجد فى مصر رجال أشداء متيقظو الضمائر !!

كوابيس السياسة

لم أبد تعاطفى مع هتلر والألمان كما أدعى البريطانيون لكن كانت تربطنا صداقة حرص عليها هتلر لأسباب واضحة فأنا لم أؤيده لكنى أعترضت أيضا على قبول الروس كحلفاء وأنتقدت قمع ألمانيا وفقا لمبدأ «الاستسلام الغير مشروط» وهو الأمر الذى أسفر عن وقوع بعض دول أوروبا فى براثن روسيا .

فى عام ١٩٤٢ بدأ الألمان يحققون إنتصارات متوالية ويتقدمون باتجاه صحرائنا الغربية .. فاعتمد البريطانيون على تنفيذ خطتهم المعروفة بسياسة الأرض المحروقة فى الدلتا للتصدى للزحف النازى فحشدوا المفرقعات والمواد القابلة للاشتعال وكانوا يخططون بالفعل لإغراق الدلتا بأكملها .. الأمر الذى يعنى تشريد الملايين وتدمير أراضيهم .. فكان واجبى كملك يحتم على معارضة هذه السياسة التى كان يتزعمها سفيرهم لامبسون وأعتقد أن وجوده فى مصر أثناء سنوات الحرب كان أمرا يدعو للرثاء نظرا لانعدام صلات الصداقة والمحبة والتفاهم بيننا !!

وفى ٤ فبراير ١٩٤٢ حاصر لامبسون قصرى بالدبابات حتى لا أعترض على تعيين النحاس باشا رئيسا للوزراء .. ولم يكن معارضا لسياسة الأرض المحروقة - فى الوقت الذى كانوا يخشون فيه من تعيين على ماهر الذى كان يعارض سياستهم مثلى فاقتحم لامبسون والجنرال ستون - وكان صديقا - مكتبى ولم يكن الأمر يحتاج إلا لرصاصة واحدة يطلقها أحد حراسى حتى يكون قصر عابدين قد تمت تسويته بالأرض طبقا لأوامر لامبسون كما علمت فيما بعد .

ولا أعتقد أن لامبسون وستون قد أدركا حتى اليوم كم كان الموقف خطيراً خاصة أننى علمت بخبر قدومهما قبل مجيئهما بنصف ساعة .. فأستطعت إعطاء بعض التعليمات للحرس وجاء لامبسون وبصحبته ستة ضباط انتشروا على طول الممر المؤدى إلى مكتبى وفى تحد واستنكار وقف ستة ضباط من حراستى فى مواجهتهم .. فكان مشهدا كوميديا لأنهم جميعا كانوا أصدقاء أعتادوا أن يجتمعوا فى رحلات التنزه وممارسة ألعابهم المفضلة .. أما مكتبى فكان وضعه أكثر إثارة وقلقا حيث اختبأ ثلاثة من حراسى الألبان خلف ستارة مكتبى وقد

وجه كل منهم مسدسه صوب لامبسون وستون إذا استخدما القوة معى وهو ما لم يحدث لكنهما وضعا أمامى خيارين لا ثالث لهما إما تعيين النحاس رئيساً للوزراء أو التنازل عن العرش فوافقت على تعيين النحاس وقلت للسفير البريطاني : عندما أكون مستعداً للتنازل عن العرش سأفعل ذلك بما يتوافق مع مطالب شعبى لكنى لن أوقع هذه الورقة المكرمشة المتسخة - وكانت كذلك بالفعل - وأعلنت أمامهما أننى سأعين النحاس حقناً للدماء التى ستتدفق فى شوارع القاهرة ولكنك ستندم على هذا العمل إلى الأبد !! وفى اليوم التالى استلمت مذكرة من الجنرال ستون يعتذر فيها عما حدث يقول فيها : «لعلك تدرك أننى كرجل عسكرى يجب أن أطيع الأوامر» فتفهمت موقفه وتعاطفت معه لكننى كنت اعلم أكثر من لامبسون أن النحاس - وكان عدوى - أنه ليس صديقا أيضا للبريطانيين كما كانوا يعتقدون !!

واقترب روميل من العلمين فلم تعترضه أية موانع لإيقافه فدخل النحاس باشا مكتبى ذات يوم مرتعشا مضطربا قائلا : سيصل روميل إلى الأسكندرية فى غضون أيام فيجب أن نواجه الأمر بصورة واقعية فكيف سنستقبله ؟! هل سنقوم بإعداد حفل استقبال له أم الأفضل أن أرسل حرس شرف أو وفدا مفوضاً لاستقبال موكبه كما ينبغى !!

ولم يظهر على وجهى أى تعبير وقلت له : فلننتظر ما سيحدث فإذا قدم روميل إلى الاسكندرية فليكن ولكن لا داعى لأن نسبق الأحداث ..كنت فى قرارة نفسى ادرك أن بريطانيا اعتادت ان تختبر صداقة النحاس لها خلال ازماتها الحرجة أما الجزء الثانى من سياسة الأرض المحروقة فكان يعتمد على إبعادى عن مصر بالقوة الى الخرطوم قبل أن تصل جيوش روميل وقررت المقاومة إذا وضع المخطط موضع التنفيذ ولم تكن تكهناتى جامحة فقد استبعد البريطانيون عدد من الملوك ورؤساء الدول أثناء الحرب لكى يتسنى لهم استئناف القتال فأستبعدوا ملك اليونان لكنه كان محظوظا واستطاع أن يعود إلى عرشه بالقوة بعد إنتهاء الحرب ولم يتمكن ملوك يوغوسلافيا وهولندا وبلجيكا من العودة إلى بلادهم مرة أخرى !!

بعد انتهاء الحرب تقدمت الخارجية البريطانية بإقتراح يعربون فيه عن رغبتهم فى الإعتذار الدبلوماسى وتركوا لى حرية اختيار الطريقة أو الوسام الذى يروق لى !! فأجبت : لقد أهاننى لامبسون أمام أصدقائى فى الجيش البريطانى لذا فالترضية يجب أن تكون أمامهم أيضا !! «فقبلوا إقتراحى وتم تعيينى لواء فخريا فى الجيش البريطانى وكانت لافتة مهذبة محت تلك الواقعة من نفسى !!

مصر والسودان

بعد أن أبحرت المحروسة طلبت فرقتى السودانية التى كانت تتولى حراستى السفر والعودة إلى بلادهم وبمجرد إبتعاد السفينة عن المياه الاقليمية قاموا جميعا بإلقاء أسلحتهم فى البحر واقسموا أن بنادقهم التى كانت تحمى الملك يجب ألا تستخدم ضده !! أتمنى ألا تنشب أى خلافات بين مصر والسودان على مياه النيل فالمواطن الأوروبى لا يعلم أن مصر قد تتأثر بشدة إذا نجح أى عدو فى غزو السودان وأغلق مياه النيل أو أقام سداً على ضفافه من هنا كان حرصنا الدائم على التآخى والتعاون الدائم بين البلدين وكأنهما كيان امبراطورى واحد أمل ألا يعرضنا السياسيون إلى أى مخاطر مع السودان من أجل البقاء أطول فتره ممكنه فى السلطة !!

المتسول لا يملك حق الاختيار

وأخيرا أعتقد أننى يجب أن أتطرق لموضوعين يستحقان عناء الشرح الأول يتعلق بسرقة الآثار من المتاحف المصرية والثانى بحقائق الأسلحة الفاسدة .

بداية فقد أنكر الأب «دريتون» مدير المتحف المصرى أننى أخذت أى اثار من المتحف ولكنه صرح بأننى كنت أقوم من آن لآخر بإهداء المتحف بعض القطع من مجموعاتى الشخصية .. ولكن حدث بعد إكتشاف اللورد كارنافون وهوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون وبعد أن قاما بتسجيل بيانات المقبرة وكنوزها أن توفى كارتر دون أن تسجل بعض القطع .. فأتصلت زوجته لتخبرنى أنها اكتشفت العديد من قطع الآثار بين ممتلكات كارتر الخاصة وكانت السيدة فى غاية القلق وسألتنى ماذا تفعل ؟! فلم يساورنى أى شك فى الرجل الذى كرس حياته كلها فى البحث والتنقيب واستبعدت أى هواجس فلم يكن ماديا ولكنه عالم أثرى .. على أن هذا التفسير يمكن شرحه وتبريره فى حياته ولكن الآن وقد توفى الرجل فمن المؤكد أن سمعته ستصاب بالأذى إذا ما أكتشفت هذه الآثار فى منزله .. فطلبت من زوجته إرسال هذه القطع ثم قمت بترتيب إعادة إرسالها مرة أخرى إلى المتحف على اعتبار أنها أشياء تم إغفالها فى القصر ويمكن للسيدة كارتر -ولاتزال حية- أن تؤكد هذه الواقعة وكان هذا هو أقصى ما كنت استطيع أن افعله وأنا ملك لكننى الآن أصبحت شخصا عاديا لذلك أردت توضيح الحقائق !!

وأصل إلى آخر وأسوء الفضائح التى نشرها عنى أعدائى وأردت سردها فى نهاية مذكراتى تلك الأكذوبة التى لصقت بى زوراً وبهتانا وأعنى بها قضية الأسلحة الفاسدة لقد بنى نجيب إنقلابه بأكمله تقريبا على تلك الأكذوبة تماما كما جاء هتلر إلى السلطة استنادا إلى أكذوبة الجنس الآرى لقد فرضت علينا حرب فلسطين لكننا لم نسع لها لأننا لم نكن مستعدين لها فكان من المحتم علينا شراء بنادقنا وذخيرتنا باقصى سرعة ومن أى مكان فذهبنا إلى المهربين وبارونات تجارة الأسلحة فى الشرق الأوسط ودفعنا لهم كل ما طلبوه منا .. فالمتسول لا يملك حق الاختيار وهذه هى إجابتى للتاريخ وفيما بعد كان من السهل تتبع الروايات والقصص المثيرة عن البنادق الفاسدة وكيف أن القنابل اليدوية كانت تنفجر قبل موعدها وقذائف المدفعية التى كانت تنحشر بماسورة المدفع .. الأمر الذى أدى إلى هزيمة جيشنا أمام إسرائيل فعانينا العار والهزيمة وأقول ان تسليح الجيش ربما كان سيئاً وأحياناً كان يشعر البعض أنهم مقدمون على الانتحار إذا طلب منهم استعمال البنادق الواردة إلينا .. وربما كانت الأسلحة رديئة بالفعل لكنها كانت أفضل من لا شئ !!

فقد يحترق المدفع الرشاش بعد إطلاق مائة طلقة لكنه على الأقل أصاب الاعداء بتلك الطلقات المستهدفة !! وأنا أعلم أن بعض القذائف قد انفجرت قبل وصولها للهدف وقتلت رجالنا !! ولكن ماذا كنا نفعل هل نواجه جيوشهم دون أسلحة، لو كان جنودنا يملكون نصف الأسلحة والمعدات التى كانت لدى الإسرائيليين لطردناهم من الشرق الأوسط .



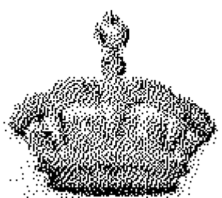
أما ما قيل عنى وعن عصابة قصرى التى أثرت عن طريق شراء الأسلحة الفاسدة وإرسالها إلى جبهة القتال فقد فاتهم أننى كنت أمثل عصابة قصرى هذه وقد تواجدت بالجبهة وان كنت لا أدعى أننى أقمت فى الخنادق مع جنود الشاه مثلا ولكنى تواجدت شأن أى قائد فى الجيش وتعقدت ظروف الحرب وكان علينا ان ننسحب فيما يشبه دنكرك الصغيرة عبر الشواطئ الإسرائيلية فمكثت أعمل لمدة خمس ليال متصلة دون نوم مع عصابة قصرى الحقيرة ونجحت قواتنا فى الإنسحاب دون أن نخسر قطعة واحدة وبخسارة بشرية لا تتجاوز واحد فى المائة فقط من مجموع القوات المقاتلة !! وأى مقاتل أشترك فى حرب يعلم تماما ماذا تعنى هذه الأرقام !!

فيما يتعلق بالثروات التى اكتنزها تجار السلاح .. فلم يشترك فيها مصريون ولكنها جمعت على حساب مصر وبدماء المصريين على أيدى تجار السلاح المحترفين فى الشرق الأوسط وبعضهم من الصهاينة ومازالوا يتطلعون لإرسال شحنات أخرى من بيروت لتسليح الشيوعيين المتعاطفين مع المتمردين فى مصر أو السودان أو أى جهة أخرى يأمل تجار السلاح فى إقناعها بشن حرب فدماؤنا ودماء أبنائنا هى مصدر نقودهم .

وهكذا دفعت ثمن صمودى فى الشرق الأوسط ومحاولاتى المستمرة لكى أجعل من هذا المرجل الذى يغلى دائما مكانا آمنا لشعبى !! ربما أكون قد فشلت إلا اننى مستريح الضمير أمام الله وأعتقد لو أن شخصا آخر أكثر قسوة منى وضع فى مكانى ربما حقق نجاحا أفضل.

واليوم وأنا أستعيد حياتى الخاصة للمرة الأولى اكتشفت متعتين كبيرتين لم أشعر بهما من قبل فالآن يمكننى البحث عن أى عمل يستهوينى ويشغلنى ويعود على عائلتى بالنفع بعيدا عن تلك الأعمال اليومية التى كانت تتعرض لوابل من النقد المصطنع من قبل بعض الجاحدين !! والآن عرفت أيضا متعة البداية من الصفر وهى متعة أخرى لم أكتشفها من قبل .

ربما أكون قد فقدت عرشى لكننى حطمت قيودى !!!■



No. (5)

Kenry House,
Kingston Hill.
1 / XII / 35

Dear Mamma,

I have not yet received a letter in answer of my others yet. How are you! Not to tired I hope my dear? Are you happy at Koubbeh; & the girls, are they pleased to be at Koubbeh? I am so glad to hear darling, that papa was not too tired after the journey. I hope you felt the same. Is there any-body worrying you at home & is ...

... morning at Croydon ...

Wishing you & the girls ... & happiness,

your loving & obedient son

Farouk.

صـورة خطاب أرسله فـاروق لنازلي أثناء سفره للدراسة بـبـريطانيـا «من مقتنيات الأستاذ حسن الصبان»





فؤاد لم ينس يوماً أن
فاروق سيصبح ملكاً



مربيته الإنجليزية
تداعبه بحرص فهو
صاحب السمو
الملكى ولي العهد

كل خطواته
محسوبة منذ
نعومة أظافره





بصحبة شقيقته فوزية
مع المربية الإنجليزية





الثلاثي الملكي المرح

التقطت هذه الصورة للأميرة فريال فى إيطاليا ونشرتها الصحف آنذاك وانتقدت ظهور بعض الأمراء العرب فى خلفية الصورة.. وقد تطرق لهذا الموضوع فى مذكراته



فتحى رضوان
السياسى الشهير



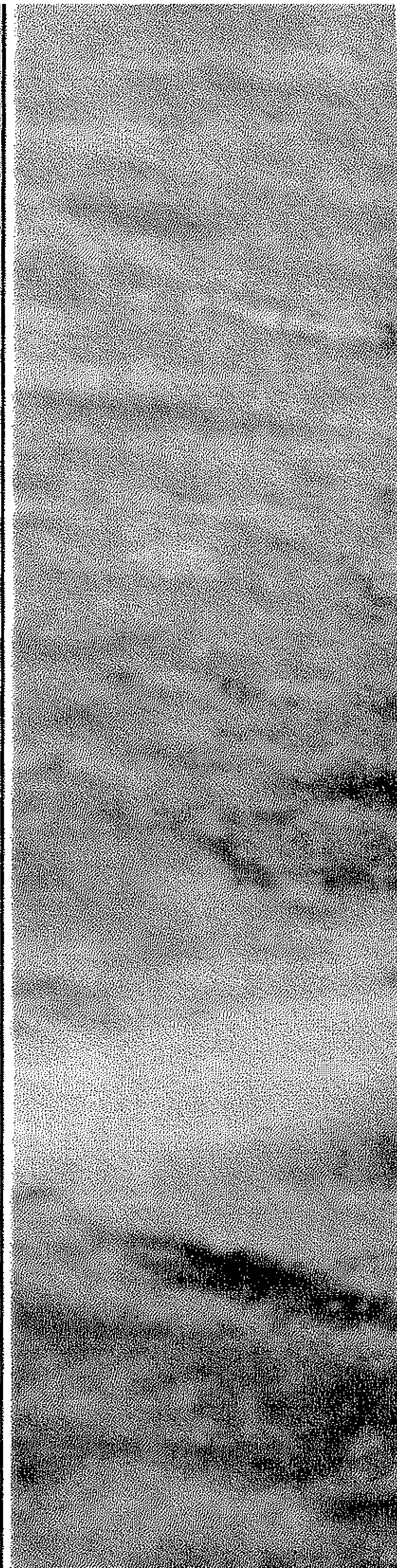
لقطة نادرة له
فى عامه الأول



مدربه فى تمرينات
اللياقة البدنية


التصوير إحدى هواياته

فاروق ورياضة الصبا








الشبه واضح بين الأب
فــؤاد والابن فـــاروق



لقطة نادرة لفاروق
وشقيقته فائقة


ملك مصر فوق ظهر الحصان

لهو الطفولة

القيادة فى الصغر

افتقدها فى الكبر

الكشاف فاروق أحمد فؤاد



تبددت تلقائية
الطفولة فى التدريب
على قواعد الملك



فى التاسعة من
عمره سمع أغنية
«زورونى كل سنة
مرة» فكانت موضع
إعجابه طيلة حياته

يلهو فى إرجاء
القصر البديع



فوق صهوة جواده
مع المربيـــــة
الإنجليـــزيـة

السنة ٧٨ ـ العدد ٢٤٠٨١
الاحد ١٩ اكتوبر ١٩٥٢
٢٦ محرم ١٣٧٢
٦ بابه ١٦٦٩

١٢ صفحة

مؤسسا الأهرام سنة ١٨٧٥ : سليم وبشارة تقلا

الاشتراكات | مصر : السنة ٢٠٠ قرش ـ ثلاثة أشهر ٧٠ قرشا
الخارج : السنة ٦٠٠ قرش ـ ثلاثة أشهر ١٥٠ قرشا

دار الأهرام ، ١٤ شارع مظلوم باشا بمصر

الأهرام

أصحاب الامتياز : ورثة جبرائيل تقلا

الاعلانات | في القاهرة : دار الأهرام قسم الاعلانات
الاسكندرية : مكتب الأهرام ١٠ شارع فؤاد الأول

تلغرافيا : الاهرام بمصر ـ تليفون ٥٦٤٦٤

١٥ مليما

السنة ٧٨ ـ العدد ٢٤٠٨١
الاحد ١٩ اكتوبر ١٩٥٢
٢٦ محرم ١٣٧٢
٦ بابه ١٦٦٩

محمد نجيب يرد على فاروق

الحرس الملكى لم يدافع عنه الملك السابق بل انضم إلى الجيش

الشذوذ الحسى يسيطر على فاروق ورجال حاشيته يلعنونه ويلعنون الظروف التى جمعتهم به

ثورتنا تستهدف المبادئ الديموقراطية الصحيحة وعملنا الصالح خير ردّ على افتراءات الملك السابق

اثار النبأ الذى نشرته الاهرام امس الاول عن اذاعة بيان رسمي هام اليوم (امس) على العالم كله ، اهتماما عظيما في مختلف الدوائر سواء في مصر والخارج . وقد اذيع هذا البيان في الساعة السادسة من بعد ظهر امس الاول وهو يتضمن ردا حاسما من الرئيس اللواء محمد نجيب على الافتراءات التى ساقها الملك السابق في قصة نزوله عن العرش ، وهى القصة المسلسلة التى تولت صحيفة « امباير نيوز » الانجليزية نشرها له .

وما كاد يذاع هذا البيان حتى تسابقت وكالات الانباء ومحطات الاذاعة في جميع انحاء العالم على اذاعته فكان له اثره الحاسم في الرأى العام العالمي .

وفيما يلي نص هذا البيان الخطير :

كنت اربا بالملك السابق وقد امتنع بمانسبه الذى لا يحسد عليه ان ينزل الى مستوى المتهم الذى لم يجد امامه سوى ان يقول اى شيء خشية اتهامه بالرضى والسكوت من مخازى يخجل لها هذا الماضى حياء وتاديبا

يقول صاحب الجلالة السابقة انه يتكلم لصالح المخلصين الطيبين الذين ماتوا ويموتون دفاعا عنه وعني ان العالم كله قد بهره نجاح حركتنا بدون ان ترحق دوح لبرىء ، كاحد هؤلاء الابرياء الذين كان يلمز هو باغتيالهم غدرا وانتقاما انا ما احس انهم يأبون ان يكونوا من العبيد .

حاشية الملك تصب عليه اللعنات

اما الذين احتلهم الجيش لهؤلاء لا ينتظرون الموت كما يقول ولكنهم ينتظرون ان تنزل العدالة كلمتها في تصرفاتهم السابقة وهؤلاء جميعا ـ ومنهم بطانته ذاتها وحاشيته ـ ليس بينهم واحد يذكر فاروق بالخير لكنهم يلعنونه ويلعنون الظروف التى جمعتهم به .

اباحة نشر قصة الملك السابق

وانى لاعجب لمسلك فاروق بعد ان ظن انه يمكن ان لا يُقرأ ما ينشره عنه ... وكنت اخشى ان يكون دفاعه دفاعا لا يريده ايمانا ولكننا لم نمنع نشر القصة بجميع فقراتها على جميع الصحف التى صدرت في مصر يوم ١٥ اكتوبر الحالى اى بعد صدور القصة بثلاثة ايام نشرتها الصحف لكي تكتمل امام عيون الشعب تلك الصورة البشعة لذلك الماضى الذى حطمه الشعب بيده وبارادته ممثلا في جيشه الحر الامين .

فاروق يخفى مخازيه عن الشعب

ولعل الماضى نفسه لا ينسى كيف كان فاروق يمنع صحف العالم من دخول مصر خشية ان يعلم الشعب انباء الفضائح والمخازى التى كان يرتكبها والتى اساءت الى مصر فكان العالم كله يعلمها والشعب لا يعلم الا لانه الت على نفسها الا تسمح بنور المعرفة يصل الى ابناء الشعب .

ضمان الحريات في العهد الجديد

اما اليوم فليطمئن على الحريات التى لم تكن في الماضى ممنوحة الا لمعاول الهدم الاجتماعى وشياطين الفساد الخلقى الذين يصلى الآن من اجلهم كما كان يصلى لموائد الميسر في الشارب في شهر رمضان يوم كان ملكا لامة اسلامية لها مكانتها المرموقة بين شقيقاتها في العروبة والدين .

الافراج عن المعتقلين من ضحايا فاروق

فاولئك الذين يصلى الآن من اجلهم ليسوا في حاجة الى هذه الصلاة لان مصر كلها تصلى من اجل رجولتهم التى قدموها قربانا على مذبح ... وجبروته ونسوا ان الوطن ابقى من الاشخاص فاشتروا الضلالة بالهدى ولذلك كانوا عنده في مقام المخلصين الذين يتحتم عليه حمايتهم والدفاع عنهم ونسى ان العدالة الآن ـ وبعد ان زال هو من امامها ـ قد وجدت طريقها حرا مستويا الى كل مظلوم ، فافرجنا عن المعتقلين الذين كان يرمى بهم خلف القضبان ويامر بارتكاب ابشع الوان التعذيب البدنى والادبى معهم وسيع ذويهم الابرياء الاحرار مما سيأتى نشره على العالم في وقت قريب .

تحديد الملكية يمنع تفشي الشيوعية

واعود ثانيا بفاروق ان ينزل الى ميدان الاستجداء السياسى ...

الحرس الملكى انضم الى الجيش

ومما يدهش ايضا انه يدعى ان رجال الحرس قد دافعوا عنه ، مع ان الواقع انهم انضموا الى قوات الجيش التى كانت تطوق قصره لحراسته خوفا عليه من بطش الجماهير ولا شك ان جرائد العالم قد نشرت صور رجال الحرس وهم يهللون لنا وقد صافحتهم وصافحونى مهنئين

اما الدبابات فلم تخرج من ثكناتها الا بعد وصوله قصر راس التين ابتهاجا لروح الشذوذ الحسى الذى كان يسيطر عليه

دستور الضباط الاحرار انكار الذات

وقد وصف الضباط الذين قاموا بالحركة بانهم فئة قليلة من رتب صغيرة تطمع في الترقى مع ان العالم كله يشهد انه لم يرق ضابط من ضباط القيادة الى رتبة اعلى من يدء الحركة حتى الآن فانكار الذات دستورهم

اما بخصوص السفينة الحربية التى يقول انها رابطت امام قصر المنتزه لحمايته فهذا اختلاق او جهل بحقيقة الوقف اذ انها لم تتم بسطها هذا الا بناء على امر القيادة العامة لمنع اى محاولة له للهروب من مصر وظلت راجيا حتى انتقل الى قصر راس التين فانتقلت الى هناك لتنفيذ نفس الواجب

كنا كراما في معاملة فاروق

وقد كنا كراما في معاملته وتوديعه حتى آخر لحظة غادر فيها البلاد والسفير الامريكى نفسه قد شهد هذا الموقف الشريف لرجال يقدرون الواجب مقدما بطالبين بالحقوق

العمل الصالح خير رد على الافتراءات

ولما كنا في شغل بما هو اهم وأجدى من تتبع كل قصة خيالية ينشرها فاروق استجداء لعطف الدول فاننا من اجل الصالح العام سوف نجعل صالح اعمالنا خير رد على كل قصة كاذبة لا يسحر الا ذوى الغرض باوقاتنا لنوفر لها حياة حرة كريمة في نظام ديمقراطى سليم بدلا من الاهتمام بالرد على الاكاذيب التى تكذب نفسها بنفسها ... والله ولى التوفيق .

نص مذكرة
جبهة الكفاح
الى المستر ايدن
صفحة ٢

ضبط شبكة جاسوسية

في إحدى دور النشر بالقاهرة

تقوم بنشاط واسع ضار بسلامة الدولة

صرح متحدث رسمي بان السلطات المسئولة قد وضعت يدها يوم الخميس الماضى على شبكة جاسوسية تضم بعض الافراد التابعين لاحدى دور النشر وقد اتضح من التحقيق انهم يقومون بنشاط واسع ضار بسلامة الدولة

وقد صرح المتحدث بانه لا صحة لما ادعته بعض دور الانباء الخارجية من انه قبض على احد مراسلى الصحف الاجنبية والحقيقة ان السلطات القضائية قامت بتفتيش منزل احد المتهمين الذى يقيم بالصدفة مع المراسل المذكور

وقد امرت سلطة التحقيق بالقبض على هذا المتهم مع آخرين .. هذا ولا يزال التحقيق جاريا

الرئيس اللواء اركان حرب محمد نجيب

لم يقتل اى ضابط او جندى

فكيف يقول انها اعترضت طريقه .

كما لم يصدر اى قرار بحظر التجول ولم يقتل اى ضابط او جندى في هذه الثورة السلمية من شعب مظلوم اراد ان يكون كريما حتى في ثورته

الشذوذ الحسى يسيطر على فاروق

ومن عجب ان يلجأ فاروق الى اختلاق وقائع تدل على تفاهة الخيال لم ينسب هذه الوقائع الى الضباط الاحرار فيقول انهم قتلوا كلاب بناته وتقارا عين مهرة مع ان كلابه ما زالت احياء تنعم بظل الحرية ولا تنبح الا كلما لاح لها شبح الماضى في سطور قصة او فرية حتى لو كانت مصلحتها والصلاة من اجلها وهى تشهد كم كان يقسو على الحيوان ويتلذذ بتعذيبه

الشيوعية لها ، ونسى ان سياسة الدول وحتى ابواق الدعاية لم تجد في حركتنا سوى روحا نموذجية من الوطنية المستقلة فاحترمتها وأثنت عليها . كما نسى ان مشروع تحديد الملكية الذى قضى على الاقطاع يعتبر من التشريعات التى تمنع تفشى الشيوعية .

عداء الاسلام للشيوعية

واختلط الامر من هول الواقع على فاروق فوصف رجالى بانهم من الاخوان المسلمين وهم براء من اى لون سياسى خاص كما نسى ان العداء معروف بين الشيوعية والاسلام ، وبالتالى يصبح من غير المعقول ان يصدق العالم ان سفارة الروسيا تمدنا بالاموال لاننا ايضا لسنا في حاجة الى تلك الاموال ما دمنا اغنياء بثروة الايمان بحقوق الشعب التى اهدرت تحت اقدام النظام الاقطاعى الذى كان يحميه .

اما الخوف من حرب كورية ثانية في مصر فانى اشفق على خرفه هذا بالسياسة التى تتبعها حكومتى وهى توفير الحياة الحرة الكريمة لكل مواطن صالح بدلا من ترك الشعب على ابواب السفارة الروسية يستجدون طعامها

ثورة تستهدف المبادئ الديمقراطية الحقة

كما يقول الملك السابق كلها ، وهذا الاستغراف منه بسوء الحال التى وصلت اليها رعيته تحت ظل عهده الاقطاعى الذى كان يدفع الجماهير دفعا الى الشيوعية فجاءت ثورتنا لاقرار مبادئ الديمقراطية الصحيحة وهى هدفنا الذى قررنا ان نصل اليه بهذه الامانى ...

محاكمة اللواء سرى عامر والقائمقام السيد فرج

يوم الأربعاء أمام المجلس العسكرى العالى

المطالبة بإعدامهما وتوجيه تسع تهم للأول وخمس للآخر

اذاعت القيادة العامة ليلة امس قرار الاتهام في قضية اللواء حسين سرى عامر والقائمقام السيد فرج ، واحالتهما الى مجلس عسكرى عال لمحاكمتهما على التهم الواردة في هذا القرار .

موعد المحاكمة

وقد تحدد يوم الاربعاء القادم ٢٢ اكتوبر موعدا لانعقاد المجلس العسكرى العالى بادارة قسم القاهرة بالعباسية

ويتألف المجلس من :

اللواء اركان الحرب عبد الحميد احمد ... مدير سلاح الشاة

والقائمقام اركان الحرب ... سلامه ... الضباط العظام

والقائمقام احمد ... القاهرة

والبكباشى اركان الحرب محمد نور الدين ... مديرية الشئون الادارية

وقائد اسراب ... عبد الحميد عبد السلام ... من السلاح الجوى الملكى

اعضاء

اعضاء منتظرون

القائمقام محمد عبد ... مركز تدريب السواقة ونيها

وبكباشى عبد ... من سلاح المعدود ...

ممثل الاتهام

الصاغ محمد ... عبد الوهاب من القوات الرابطة

المدعى

البكباشى ابراهيم ... من السلاح الجوى الملكى

اعلان حسين سرى عامر

وقد اعلن اللواء حسين سرى عامر في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد ظهر امس بقرار الاتهامات الموجهة اليه ... مصحوبا باوراق التحقيق في ملف خاص

بين المتهم ومحاميه

حسين سرى عامر

شهود الاثبات والنفى

البقية صفحة ٢

قرار الاتهام

حسين سرى عامر

ما قل ودل

محمد نجيب يرد علي مذكرات فاروق في صحيفة «الأهرام»
ويعلن أنه لن يعبأ بما سوف ينشره فاروق مرة أخرى

EMPIRE NEWS

incorporating The Umpire

DAY, OCTOBER 5, 1952 — A KEMSLEY NEWSPAPER — 2½d.

FAROUK IN EXILE TELLS HIS STORY

'silent no longer: The truth of my abdication'



by THE EDITOR

LIVING in exile on the Isle of Capri, ex-King Farouk has written the full story of his abdication, and the events that led up to it.

"When I was King of Egypt," he says, "I kept silent. To-day I release myself from my self-imposed vows.

"Had I thought I could serve my son by enduring long in silence, I would have done so. But I do not now think this is possible.

his throne. And with complete frankness he reveals the truth about his private life, which has made him the most controversial monarch in the world.

SUCH AN OUTSPOKEN AND INTIMATE SERIES OF ARTICLES HAS NEVER BEFORE BEEN WRITTEN BY A CROWNED HEAD.

They will arouse the greatest interest throughout the world, and the Empire News has arranged to publish them exclusively, beginning next Sunday.

Every week this 'secret hoard' myth grows!

The lie about my hidden millions

by H.R.H. PRINCE FAROUK FUAD
Exiled King of Egypt

THERE must be a great many people who believe that I have a vast fortune hidden away. They remind me of the inexperienced judge in whose court an innocent man had pleaded "not guilty."

The judge viewed him solemnly and said: "Rubbish, man! You must have done something or they would not bring you here!"

My enemies have repeatedly said that I have this hidden large fortune. They do not say this so that it will be easier for me to obtain credit meanwhile. They have a good political reason for it. And Dr. Goebbels proved nearly 20 years ago that if a lie is told loudly enough and often



The revolutionaries then tried to transfer the monarchy from my son to his uncle Abdel Moneim, but that elderly and apprehensive prince has so far hesitated to throw in his lot with these gun-muzzle politicians.

Therefore (and failing a more violent solution to their embarrassing problem) the revolutionaries in Egypt have had to fall back upon the hope of starving me out!

They first of all decided to pay the royal allowance to the Regency Council. But in a few weeks the Regency Council collapsed.

Then they had a brainwave and decided to encourage this tale that I had "smuggled out" so much money from Egypt that I could keep their king without any help from his subjects.

They grabbed my bank account

They hope that by withholding any official funds from my son and myself upon this wild excuse, and by "freezing" my bank accounts, giving away my

unless they are good looking and about 17 years old!

The only foreign bank account that I have possessed is one in New York, and I have used it in happier days for paying for my stamp and coin collections. The reason I kept this money in New York was that when an avid philatelist or numismatist wants a highly-priced rarity these days, he has to be able to pay in dollars for it.

I am also supposed to have melted down all my wedding gifts that were of gold, and to have made bullion blocks worth two million pounds.

To be true, this would mean that ten thousand persons had given us a wedding present that was worth £200 in gold content alone! And that is fantastically untrue. The most precious gift we received was from my own family, and was a tea and dinner service worth several thousands of pounds, but hardly to be melted down!

ف صحيفة الامبايزنيوز الإنجليزية التى نشرت
مذكرات فاروق فى أكتوبر عام ١٩٥٢

I told my mother 'stop this affair'

She made a promise but did not keep it

By H R H PRINCE FAROUK FUAD

people, and hardly any politician can resist the temptation to exploit it.

There were men in Egypt who believed that they could achieve their own ends—good or bad—by clinging to the Throne and appealing to the ingrained love of a nation for its Royal Family. There were others who

EMPIRE NEWS; December 14, 1952

FAROUK tells all



along the endless-seem[ing] green-carpeted corridor[s] [of] Koubbeh palace to [my] mother's quarters in [the] Haremlek and took a pi[stol] with me.

I found her with [her] admirer and told them bo[th]: "Unless this ceases, one [of] you shall die. You are d[is]gracing the memory of [my] father, and if I end it [by] killing one of you, then [God] will forgive me, for it [is] according to our Holy L[aw] as you both know."

A crash kille[d] her admirer

المراجع

١. سنوات مع الملك فاروق. د. حسين حسنى. دار الشروق. ٢٠٠١ (١) ص٢٠ (٢) ص ٧٥ (١٠) ص ٦٩ (١١) ص ٧٤ (١٣) ص ١١٣ (١١٤) ص ١١٤

٢. مذكرات فى السياسة المصرية. الجزء الثانى. دار المعارف. د. محمد حسين هيكل (٣) ص١٣٧ (٥٧) ص٢٢٥

٣. مذكرات فى السياسة المصرية. الجزء الثالث. دار المعارف. د. محمد حسين هيكل (٧٠) ص٣١ (٧٥) ص٤٦ (٧٨) ص٥٣ (٨٠) ص٥٤ (٩٨) ص٣٠٢ (٩٩) ص٣٠٢ (١٠٠) ص٢٩٩ (١١٠) ص٣١١

٤. عشر سنوات مع فاروق. كريم ثابت. دار الشروق. القاهرة. ٢٠٠٠ (٤) ص١٦ (١٥) ص٨٤ (١٦) ص٨٥ (١٧) ص٢٩٩ (١٨) ص٨٥ (٥٦) ص٣٢٣ (٦٣) ص١٥٢ (١٣٠) ص

٥. مجلة آخر ساعة. العدد (١٠٢٠). ١٢ مايو ١٩٥٤ (٥٣)

٦. كيف سقطت الملكية فى مصر؟ محمد عودة. الهيئة العامة للكتاب. ٢٠٠٢ (٥) ص٣٣

٧. عبد العظيم رمضان. تطور الحركة الوطنية. الهيئة العامة للكتاب. الجزء الثالث (٦) ص٦٣ (٧) ص٦٧ (٥٤) ص٨٨

٨. مذكرات اللورد كيلرن. ١٩٣٤ / ١٩٤٦. ترجمة عبد الرءوف أحمد عمرو. الجزء الثانى. الهيئة العامة للكتاب. ١٩٩٥ (٨) ص١٩١ (٤١) ص٢٣ (٤٢) ص٢٢ (٤٣) ص٥٣ (٤٤) ص٢٣ (٤٥) ص٣٠ (٤٦) ص٣٦ (٤٧) ص٣٧ (٤٨) ص٣٩ (٤٩) ص٤٤ (٥٠) ص٧٨ (٥١) ص٢١٣ (٥٢) ص١٨٢ (٥٧) ص١١٢ (٥٨) ص٢٠٠

٩. الأهرام ٦ سبتمبر ١٩٣٧. ص٨. ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧. ص١. ٢٨ سبتمبر ١٩٣٧. ص٨ (٩)

١٠. سنوات ما قبل الثورة. الجزء الثالث. صبرى أبو المجد. الهيئة العامة للكتاب. ١٩٨٩ (١٢) ص٢٤٦ (٣٧) ص٣٩٩ (٣٨) ص٤٣٥ (٣٩) ص٤١٨ (٥٣) ص٥٣٤

١١. طلاق الامبراطورة. كريم ثابت. دار الشروق. ٢٠٠٠ (١٩) ص١٥ (٢٠) ص٢٢ (٢١) ص٩٤ (٢٢) ص٨١ (٢٣) ص١٣٠ (٢٤) ص١٣

١٢. صفحات مجهولة من كتاب الثورة. جريدة الجمهورية. بقلم أنور السادات. بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٥٣ (٢٥)

١٣. إلى الأمام يا روميل. محمد فيصل عبد المنعم. مطبوعات الشعب. القاهرة. ١٩٧٦ (٢٦) (٢٧) ص٦٩، ٧٠ (٣٩) ص١٣٨ (٤٠) ص١٦٠

١٤. فاروق وسقوط الملكية فى مصر. د. لطيفة سالم. مكتبة مدبولى. ١٩٩٦ (٢٨) ص٢٧٨ (٢٩) ص٢٧٠ (٣١) ص٢٧٧ (٣٢) ص٢٦٦ (٣٣) ص٣٠٠ (٣٤) ص٩١

١٥. الملف السرى للملك فاروق. هيوج ماكليف. ترجمة أحمد فوزى. دار الهلال ١٩٧٧ (٣٠) ص٦٩

١٦. فى أعقاب الثورة المصرية (ثورة ١٩١٩). الجزء الثالث. عبد الرحمن الرافعى. القاهرة دار المعارف. ١٩٨٩. (٣٥) ص٩٩ (٣٦) ص١٠٦ (٦١) ص١٤٨ (٦٢) ص١٨٧ (١٠٢) ص٣٢٤

١٧. البحث عن الذات. أنور السادات

١٨. سنوات ما قبل الثورة. الجزء الرابع. صبرى أبو المجد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٩ (٥٥) ص٥٩٨، ص٦٠٤

١٩. تاريخ الفكر المصرى الحديث. الخلفية التاريخية. د. لويس عوض. دار الهلال. القاهرة ١٩٩٤ (٥٩) ص٩، ص١٢ (٦٠) ص٢٠، ص٢١. النص نقل عن طبعة تخليص الإبريز عام ١٩٠٥ ثم أسقطته وزارة الثقافة فى عهد الثورة.

٢٠. محمود فهمى النقراشى ودوره فى السياسة المصرية. د. سيد عبد الرازق. مدبولى ١٩٩٥ (٦٤) ص٤٢٢ (٧١) ص٥٧٥ (٧٣) ص٥٨٠ (٧٧) ص٥٨٤ (١٨١) ص٢٣

٢١. صفحات مطوية عن فلسطين. أحمد فرج طايع. القاهرة (٦٦) ص٧٣ (٦٩) ص١٠٧ (٧٤) ص١٢٨ (٨٥) ص١٢٦

٢٢. أسرار حرب ١٩٤٨. محمد فيصل عبد المنعم. مكتبة القاهرة الحديثة. ١٩٦٨ (٦٥) ص١٦٨ (٦٨) ص٢٠٢ (٧٥) ص٥٥٦

٢٣. كيف سقطت الملكية فى مصر. محمد عودة. هيئة الكتاب. القاهرة ٢٠٠٢ (٦٧) ص١٧٠ (٧٦) ص١٩١

٢٤. يهود فى برلمان مصر. محمد الطويل. مطبوعات الشعب. ١٩٨٨ (٧٢) ص١٢٠، ص١٢١

٢٥. مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر. د. عبد العظيم رمضان. القاهرة. مذكرات ناصر الدين النشاشيبى عن مقتل الملك عبد الله (٧٩) ص٢٢١ (٨١) ص٢٢١ (٨٢) ص١٨٢ (٨٣) ص٢٢٢

٢٦. مجلة آخر ساعة. ١٩٥٠/٣/٢٢ (٨٤)

٢٧. الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين. تاريخ المصريين. د. عبد المنعم الدسوقى. الجميعى. الهيئة اللعامة للكتاب. ١٩٩٠ (٨٦) ص٧٥ (٨٧) ص٧٤ (٨٨) ص٨٣ (٨٩) ص٨٠

٢٨. ملفات ثورة يوليو. طارق حبيب. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ١٩٩٧ (٩٠) ص٢٤ (٩١) ص٢٧ (٩٢) ص٢٨ (٩٣) ص٢٨ (١٠٦) ص٧٨ (١٤٩) ص٨١ (١٥٠) ص٩٠ (١٥٤) ص١١٢ (١٥٩) ص١٦٤ (١٦٢) ص١٣٧

٢٩. حريق القاهرة. قرار إتهام جديد. جمال الشرقاوى (٩٤) ص٨١٨ (١٠٣) ص٢٧ (١٠٤) ص٨٠ (١٠٥) ص١٢١ (١٠٧) ص٨٢٣ (١٠٨) ص٦٦١، ص٩٧ (١٠٩) ص٥٥٨ (١١٢) ص٦٨٠ (١١٧) ص٨١٧ (١١٨) ص٩٠ (١١٩) ص١٣٩ (١٢٠) ص١٤٥ (١٢١) ص١٩١ (١٢٢) ص٢١٦ (١٢٣) ص٧٣٤ (١٢٤) ص٧٣٧ (١٢٥) ص٧٨٢ (١٢٦) ص٧٨٤ (١٢٨) ص٨٨٦

٣٠. مجلة أكتوبر. ٢٥ إبريل ١٩٨٢. مقال إحسان عبد القدوس "على مقهى فى الشارع السياسى" (٩٥)

٣١. يوسف وجمال عبد الناصر وأنا. علية توفيق. مركز الأهرام للنشر. ٢٠٠٠ (١٤٧) ص٦٩

٣٢. مصير مصر. محمد نجيب. كتاب تمت مصادرته عام ١٩٥٥. دار ديوان (٩٦) ص١٣ (٩٧) ص١٤ (١٤٨) ص٨٢

٣٣. البوليس السياسى يحكم مصر. جمال سليم. القاهرة للثقافة العربية. ١٩٧٥ (١١١) ص٢٧٩ (١٧٢) ص١٩٩

٣٤. أسرار حريق القاهرة فى الوثائق البريطانية. جمال الشرقاوى. دار شهدى للنشر (١١٣) ص٢٠١ (١١٤) ص٢٠٤ (١١٥) ص٢٠٧ (١١٦) ص٢٠٩ (١٢٧) ص٢٢٧ (١٢٩) ص١٤٣

٣٥. فريدة ملكة مصر. فاروق هاشم. دار الشروق. ١٩٩٣ (١٣١) ص٥١ (١٦٧) ص١٤٣

٣٦. الملكة فريدة. لوتس عبد الكريم. شموع (١٦٨) ص٤٠

٣٧. ملك ضد شعب. زكريا الحجاوى. عبد العزيز جبر. مطابع جريدة المصرى (١٣٣) ص١٠٠

٣٨. فاروق كما عرفته. كريم ثابت. دار الشروق (١٣٤) ص٣٠٦

٣٩. الملكة فريدة ثائرة على عرش فاروق. سمير فراج. الزهراء للإعلام العربى (١٣٢) ص٤٨٣ (١٣٥) ص٣٧٩ (١٣٦) ص٣٨٠ (١٣٧) ص٣٧٣ (١٣٨) ص٤٠٩

٤٠. العيب فى الذات الملكية. د. سيد عشماوى. الهيئة العامة للكتاب. ٢٠٠٢ (١٠١) ص٣٦٧ (١٣٩) ص٣٥٦

٤١. تاريخ الوزارات المصرية. يونان لبيب رزق. الهيئة العامة للكتاب. ١٩٩٨ (١٤٠) ص٢٨٣

٤٢. مقدمات ثورة يوليو. عبد الرحمن الرافعى. دار المعارف. ١٩٨٧ (١٤١) ص١٧٢

٤٣. صفحات مجهولة. أنور السادات. دار التحرير للطبع والنشر (١٤٢) ص٦٩ (١٥٢) ص٢١٩

٤٤. مصير مصر. محمد نجيب. دار ديوان. ١٩٩٥ (١٤٣) ص٣٢ (١٤٤) ص٤٦ (١٤٥) ص١٣

٤٥. بكباشى يوسف صديق. منقذ ثورة يوليو. محمد توفيق الأزهرى. مكتبة مدبولى. ٢٠٠٠ (١٤٦) ص٤٩ (١٥٧) ص٢٠٧ (١٥٨) ص٩١

٤٦. جريدة الأحرار. ١٩٩٨/٧/٢٨ (١٥١) شهادة غريب الحسينى

٤٧. الفلاحون والسلطة. د. سيد عشماوى. ميريت للنشر والمطبوعات (١٥٣) ص١٨٩

٤٨. والآن أتكلم. خالد محيى الدين. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ١٩٩٢ (١٥٥) ص٣٢٨ (١٩٤) ص٥٣

٤٩. آخر ساعة. ١٩٥٢/١٠/٢٢ (١٦٠). آخر ساعة. ١٩٥٣/١١/٤ (١٦١). آخر ساعة. ١٩٥٣/٧/٢٢ (١٦٣). آخر ساعة. ١٩٥٣/٩/٣٠ (١٦٤). آخر ساعة. ١٩٥٤/١١/١٧ (١٦٥)، (١٦٦)

٥٠. الملك أحمد فؤاد الثانى. عادل حمودة. دار سفنكس للطباعة والنشر (١٦٩) ص١٤٤

٥١. مجلة أكتوبر. ١٩٩١/٧/٢٨. حديث إبراهيم بغدادى مع عادل البلك (١٧٠)

٥٢. حسن البنا. د. رفعت السعيد. الهيئة العامة للكتاب (١٧١) ص١٢٤

٥٣. المجتمع المصرى قبل الثورة فى الصحافة المصرية. نجوى خليل. الهيئة العامة للكتاب (١٧٣) ص١٧٢

٥٤. تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. المجلد الثانى. د. رفعت السعيد. شركة الأمل للنشر (١٧٤) ص٩٣ (١٧٥) ص٣٧١ (١٧٦) ص٣٧٩

٥٥. جريدة الأساس. ١٩٥٢/٧/٣ (١٧٧)

٥٦. تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. المجلد الثالث. د. رفعت السعيد. شركة الأمل للنشر (١٧٨) ص٤١٩ (١٧٩) ص٤٢١ (١٨٠) ص٤٢٢

٥٧. تاريخ الاغتيالات السياسية فى مصر. عبد الحكيم العفيفى. الدار المصرية اللبنانية (١٨٢) ص٨ (١٨٣) ص١١٤

٥٨. الحرس الحديدى. سيد جاد. الدار المصرية اللبنانية (١٨٤) ص١٢ (١٨٥) ص١٤ (١٨٦) ص١٥ (١٨٧) ص١٦، ١٧ (١٨٨) ص٢٢ (١٨٩) ص٢٨ (١٩٠) ص١٤٦ (١٩١) ص٤١ (١٩٢) ص٣٥ (١٩٣) ص٦٢

٥٩. مصطفى النحاس. الزعامة والزعيم. عباس حافظ. ١٩٣٦. مطبعة نوبار باشا

شكر وتقدير

خالص الشكر والتقدير لكل الذين ساهموا معنا بذخائر كنوزهم الفوتوغرافية وهم السادة:

علوى فريد

حسن الصبان

شريف عفت

السيدة صفية النقراشى

السيدة علية يوسف رشاد

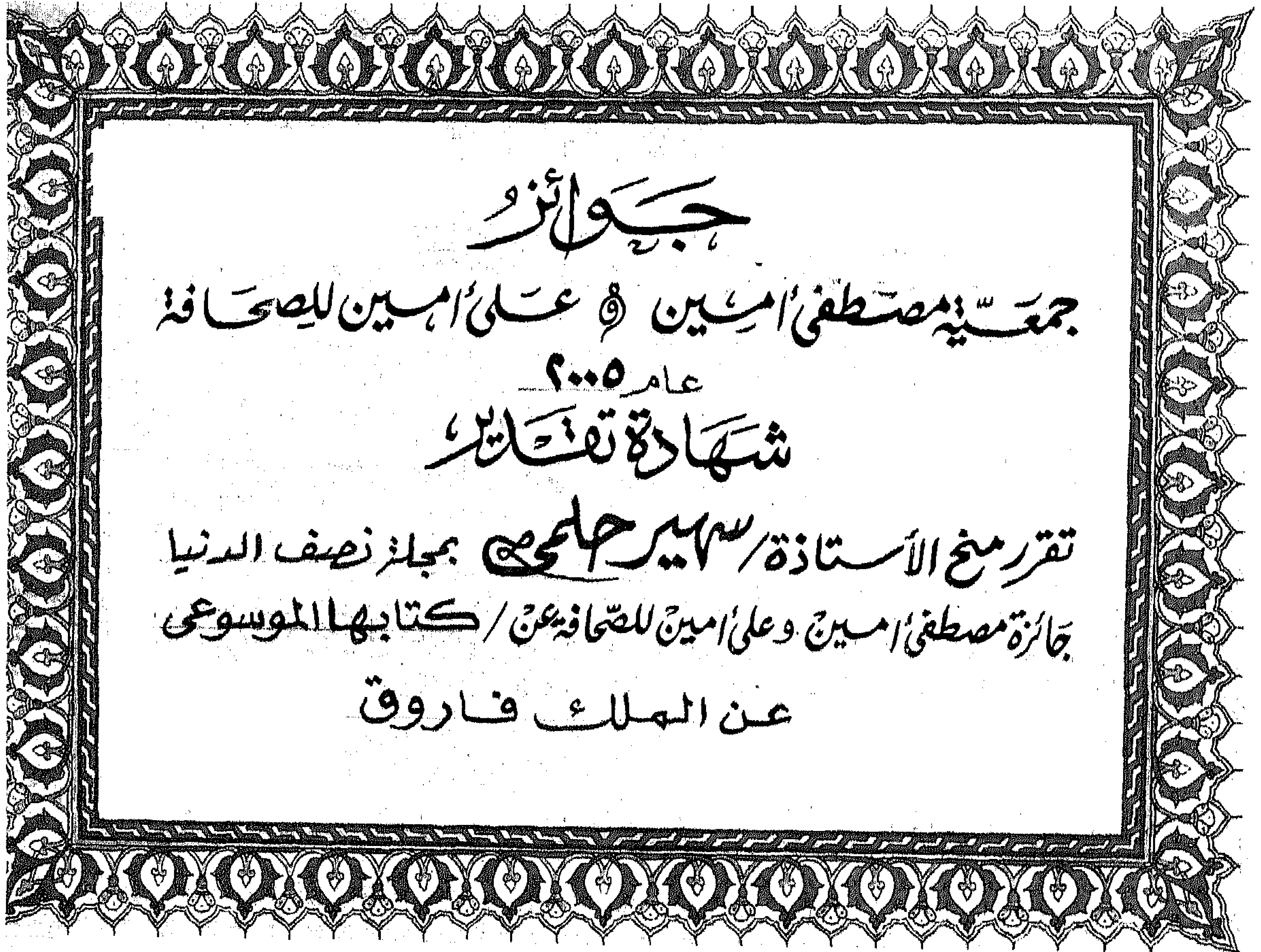
السيدة سنية الملاح

المستشار عبدالرحمن محسن

المهندس عمرو سميح طلعت

أصداء الكتاب





جوائز
جمعية مصطفى امين و على امين للصحافة
عام ٢٠٠٥
شهادة تقدير
تقرر منح الأستاذة/ سهير حلمي بمجلة نصف الدنيا
جائزة مصطفى امين وعلى امين للصحافة عن/ كتابها الموسوعى
عن الملك فاروق

Egypt Today

The Boy King Revisited

Journalist and historian Soheir Helmi's reinterpretation of the life of King Farouk tops the charts as a new bestseller

سناء البيسى

"ونزولاً على إرادة الشعب"

قلت من باب العلم وإرضاء لحب الاستطلاع اروح أزور فريدة.. اذهب لمشاهدة معرضها.. الملكة فريدة ملكة مصر السابقة التي ما ان أزمعت زيارتها استعدتُ بلا معاناة شريط ذكريات اللحظات التي تسللت فيها انا والشقيقة لدولاب أمي اثناء تغيبها خارج البيت للعبث بشكمجية الحلى المندسة فى الرف العلوى بين حقائب اليد

فاروق وفريدة وذكريات بعيدة وقريبة لم يكن ظنى فى يوم ادونها لكنها انهالت على قلمى بفعل فاعلة.. من جراء عمل خلاق فجر بداخلى أجواء تاريخ بعيد وقريب عشت ايامه.. بسبب بحث تاريخى عملاق صبور دؤوب قامت به الزميلة الصحفية القديرة سهير حلمى استغرق منها جهداً مضنياً اكثر من عامين ذهبت فيهما تستقصى الاصول والفروع وكنوز التراث وتستشهد بمن ظل على قيد الحياة وكان شاهداً على العصر الذى امتد من طفولة فاروق لاوان ثورة يوليو، ومن خفايا الدهاليز والمقتنيات وذخائر الهواة جاءت باللقطات النادرة التى تُنشر للمرة الاولى.. وشهادة للتاريخ انه لم يبخل علينا راعى الجودة والسبق الصحفى الاستاذ إبراهيم نافع بالعون المادى واذن لسهير بالسفر إلى انجلترا لتضيف إلى عملها مذكرات الملك فاروق التى كتبها فى الغربة بعد تنازله عن العرش...



Soheir Helmi displays a copy of her latest book *Farouk: Thaliman wa Mathlouman* published by Al-Ahram's *Nisf El-Donia*.

مقال الأستاذة/ سناء البيسى فى مقدمة الطبعة الأولى

مجلة Egypt today

الأهرام

مجرد رأى

فاروق ظالما أم مظلوما؟

نفدت الطبعتان الأولى والثانية من المجلد الخاص الذى أصدرته مجلة «نصف الدنيا» عن الملك «فاروق ظالما أم مظلوما» تحت اشراف الموهوبة «سناء البيسى» التي ذكرت لي أن العمل فى إعداد هذا المجلد استغرق ثلاث سنوات كاملة أرسلت فيها إلى لندن المحررة «سهير حلمى» لاستكمال مجهودها فى جمع الصور والوثائق الخاصة بالمجلد. وقد اكتشفت «سناء البيسى» فى «سهير» حسها التاريخي فتولت تشجيعها ودفعها وقدمت لها ملحقين خاصين صدرا عن «نصف الدنيا» من قبل الأول عن «عباس العقاد» و«الثاني عن الخديوى»..

ولقد كان غريبا نسبة الشباب التي أقبلت على اقتناء مجلد «فاروق» رغم مرور ٥٣ سنة على طرده وظهور جيلين لم يعاصرا حكمه ولا المجتمع القديم قبل الثورة مما يؤكد حقيقة شغف الانسان - وهو الكائن الوحيد الذى يعرف أن له تاريخا - بمعرفة هذا التاريخ خاصة إذا جرى التعتيم عليه. فقد طاردت ثورة يوليو ١٩٥٢ تاريخ الملك فاروق والصقت به عديد الاتهامات - بعضها مقال فيه غير صحيح - لتبرر خلعها له واتهام فترة كاملة عاشها الفساد والافساد. وفى الافلام السينمائية القديمة التى صادف عرض صورة له فيها كان يتم تلطيخها بالسواد لاخفائها.. ورغم هذا العداء لذى كان طبيعيا بين رجال لثورة وفاروق مع أن فساد حكمه كان المبرر الشرعى وحيد للحركة التى قاموا بها، لاضافة الى انه لم يقاوم خلعه بعد ست ساعات فقط من سليمه الانذار الذى وجه اليه ان فى الباخرة التى حملته الى خارج البلاد. الا أن الأيام لم ستطع ان تنقل هذه القطيعة مع روق الى ذاكرة المصريين ليس سببا فى فاروق وانما فى ريخهم الذى كان فاروق شاءوا لم يشاءوا جزءا منه...

وربما من حظ مجلد «فاروق» » صدر فى نفس الوقت الذى فيت فيه ابنته «فوزية» وقد سرت بعض الصحف بالخطأ المتوفاة هى شقيقة فاروق. ندما كتبت عن هذا الخطأ ن فاروق (عمود أول فبراير) جئت بأخر ماكنت اتوقعه وهو دوث خطأ مطبعى فى تاريخ يلاد فاروق الذى كتبته وهو ١ فبراير ١٩٢٠).

وفوجئت بعديد الاتصالات خطابات والرسائل الالكترونية ى تلفت نظرى الى الخطأ ى وقع وقد صححته فى اليوم الى مباشرة.. الا ان المفاجأة تكن فى وقوع الخطأ، وانما ابق المثات الى تصحيحه!

صلاح منتصر

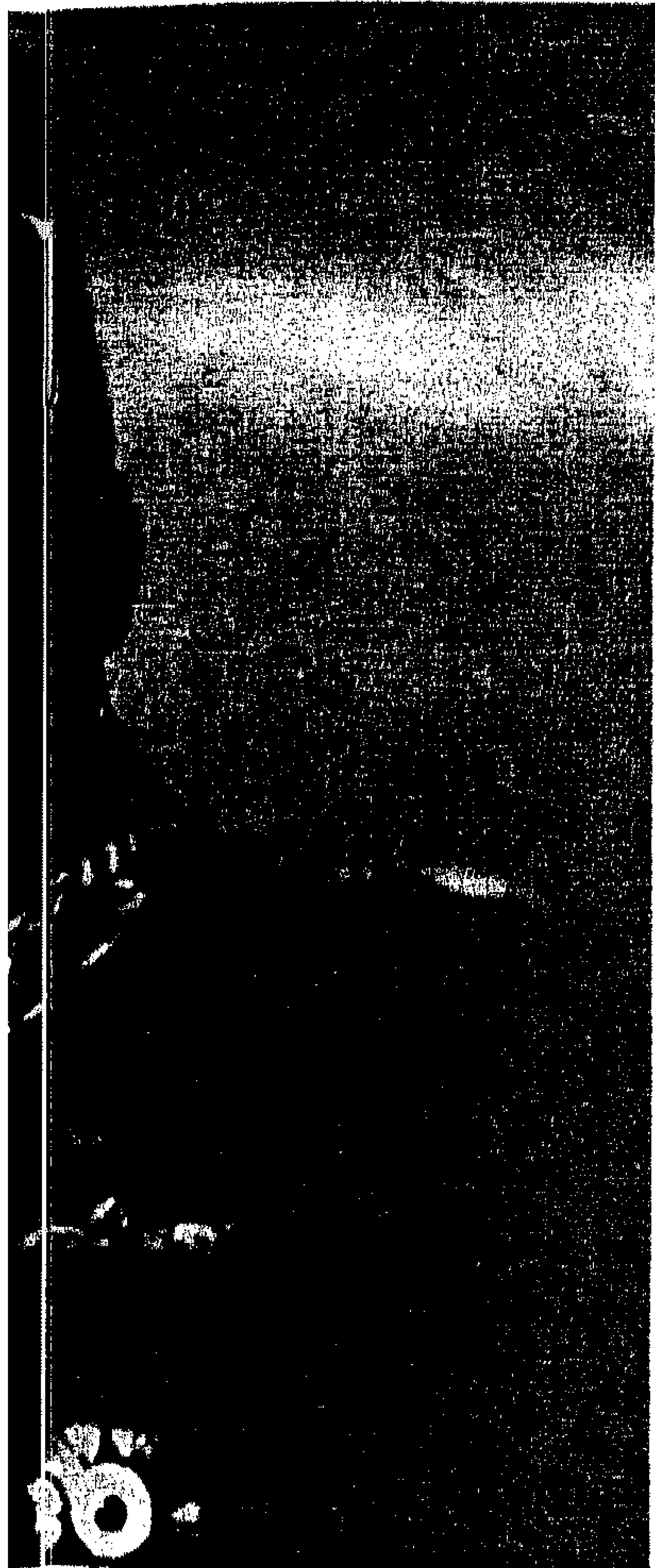
١٧ فبراير ٢٠٠٥

الدستور

العدد الثالث والثلاثون - الإصدار الثاني - الأربعاء ٢ نوفمبر ٢٠٠٥م

قراءة فى مذكرات الملك فاروق التى لم ينتبه إليها أحد

فاروق يحكى لأول مرة عن سبب إطلاق لحيته وسر



■ الملك تنبأ فى منفاه بانقا ورفاقه على محمد نجيب

■ ويؤكد أن القصور الملكية وأنتم مجرد «سيوف

فاروق ظالما ومظلوما



إعداد: سهير حلمى

ضع فى اذنك ما شئت من قطع القطن أو نم وارفع مخدتك الثقيلة فوق رأسك أو حتى ادعو ربك أن يصيبك بالصمم «الطرش يعنى» فلن تهرب أبدا من سيرته التى ستجتهد فى مطاردتك طالما كنت مصريا.. فاذهب بفكرك يمينا أو يسارا أو حتى كن وسطيا معتدلا أو لا علاقة لك بأى حاجة خالص فلن تهرب أيضا من اسمه الذى سيظل يتردد بينك وبين الآخرين سواء على المستوى الشعبى أو الرسمي.. فليس من السهل أبدا أن يأتى اسم الملك فاروق ولا تخوض الألسنة وتلعب فى سيرته وذكرياته والأساطير التى نسجها المقربون والمبعدون عنه، فمن فى مصر سيقاوم نفسه الأمارة بالسوء وهى تدفعه لأن يتحدث عن نساء الملك ورشاوى الملك وفضائح الملك وأم الملك ولحظة خروجه من مصر ولحظة جلوسه على طاولة القمار ولحظة جلوسه وقيامه من على العرش؟

الناس كلها بألسنتها وصحفها وكتبها أفاضت فى الحديث عنه فهو مادة ثرية للنميمة فى مجتمع لا يعشق سواها إلا أنه لا أحد فكر أن يلتفت لشهادة فاروق نفسه عن زمنه وعن حياته الكل تسابق جريا نحو شهادات إتباعه وأعوانه وأعدائه ونسوا مذكراته التى نشرتها صحيفة إنجليزية أسبوعية «إمباير نيوز» فى شكل مسلسل بداية من ٥ أكتوبر ١٩٥٢ حتى يناير ١٩٥٣ من خلال لقاءات جمعت بين الملك المخلوع وصحفى إنجليزى اسمه «نورمان رايس».

وفى نفس التوقيت نشرت الأهرام حلقة أو اثنتين من مذكرات فاروق ثم توقفت عن ذلك لأسباب تكاد تكون مفهومة للجميع.

«نصف الدنيا» أعادت نفض الغبار عن تلك المذكرات وبمناسبة صدور طبعة جديدة من الكتاب التذكارى الذى أعدته سهير حلمى وتضمن فى آخر أوراقه مذكرات الملك فاروق، تعالوا نعيد قراءة شهادات فاروق عن زمنه وعن الزمن الذى يليه والتى لم يعترف بها الآخرون وتركونا فقط نستمع لشهاداتهم وحكايتهم دون أى رواية أو تعقيب من الطرف الآخر.

وعلى عكس ما قد يكون متوقعا كان الملك فاروق كريما فى حكاياته وذكرياته فتحدث عن السياسة والمال وحياته الخاصة ولحظة الانقلاب الذى أطاح بعرشه ذاكرا ما بين السطور أشياء غاية فى الأهمية والخطورة ومثله مثل أى مسئول أو ملك خرج من منصبه حاول التأكيد فى أكثر من مرة على أنه أصبح أكثر راحة وأنه ذاق المعنى الحقيقى للحرية بعيدا عن قيود المسئوليات والحكم «وهو نفس الكلام الذى ستسمعه من أى واحد طلع على المعاش أو أى حد طردوه من عمله».

فتحدث كثيرا عن الحرية التى وجدها بعيدا عن العرش فهو الآن يستطيع أن يقدم هدايا لأى شخص أو يحصل على هدايا من أى إنسان دون أن يتهمه أحد بالرشوة أو تبديد الأموال ويستطيع أن يهمس فى أذن صديقه دون أن يوجه إليه أحد تهمة الخيانة وإفشاء أسرار الدولة.. كلام كثير وطويل ذكره فاروق يظهر مدى المعاناة النفسية التى أصابت الرجل بسبب كم الشائعات والأقاويل التى كانت تطوله وتطول أهل بيته ليل نهار!! وفى محاولة لإضفاء مزيد من الأهمية على ما سيقوله فى مذكراته أعلن فاروق أن حديثه بعد زوال العرش وفى هذا الوقت تحديدا «أول شهور المنفى» جاء لأنه يعلم أن الوقت المتاح لمعرفة الحقيقة قد أصبح قصيرا... فى إشارة منه لاحتمال تصفيته وقتله!!

ويبدأ فاروق ساخنا متحمسا وهو يحكى عن ما حدث ضده فى مصر المحروسة موجها اتهام صريح ومباشر للإخوان المسلمين بأنهم وراء الانقلاب الذى حدث ضده وأن السفارة الروسية هى التى تقف خلف هذا الانقلاب بالتخطيط والمال لأن نجيب ومن معه من وجهة نظره غير قادرين على وضع تلك الخطة على ضوء شمعة فى إحدى الخيم العسكرية.

فنجيب ومن معه كانوا مجرد عرائس تحركهم السفارة الروسية فى مصر لكى يجعلوا من المحروسة كوريا الثانية ولأن روسيا أيضا كانت تهدف إلى التخلص من فاروق لأنه كما قال «إننى مسجل فى الخارجية البريطانية كأول حاكم فى الشرق الأوسط يحذر من المد الشيوعى وخطورته».

هذا هو السبب الذى رأى الملك فاروق فيه سرا للانقلاب عليه وعزله عن العرش فهو يرى أن الروس خططوا لهذا الانقلاب جيدا منذ جاءوا إلى مصر بأموالهم وسفارتهم التى كانت تفتح أبوابها كل ظهر سبت أمام فقراء المصريين لتوزع عليهم صنوف الطعام والشاى.

وبذلك لم يكن صعبا على أى مجموعة من المتمردين فى مصر مثل الإخوان أن يحصلوا على دعم من أموال السفارة الروسية فقد حولتهم تلك الأموال من مجرد فقراء متعصبين لا وضع لهم فى الشارع المصرى إلى أغنياء يمتلكون الصحف والجواسيس و أشخاصا قادرين على صناعة نفوذهم الخاص بأموال «الكرملين» وبدأوا تنفيذ مخططهم عبر صحفهم التى لم تكن لتهدأ إلا بتشويه صورته وصورة عائلته وتصويرها على أنها عائلة لصوص وقتلة!

وبمنطق من ضرب على قفاه ولم يقل آه حتى لا يسمعه أحد أو يشمت فيه أحد تحدث فاروق عن لحظة الانقلاب مشيرا إلى أنه كان يعلم تفاصيل خطة الانقلاب وأخبره بها بعض ضباطه المخلصون ولكن فى وقت متأخر حتى إنه حاول تحذير رئيس الأركان تليفونيا وقبل أن يكمل معه كلماته سمع صوت طلقات نار وانقطع الخط بعدها.

ويلاحظ على فاروق أنه حاول جاهدا أن يثبت للعالم أو على الأقل لمن أزاحوه عن عرشه أنه كان يعلم ما يدور فى البلد وأن الانقلاب حدث بمزاجه لأنه لم يكن يريد حربا أو دماء فى بلده التى يحبها.

ويحكى فاروق عن محاولاته المستميتة للذهاب إلى قصر رأس التين وحرصه الكامل على البعد عن مرمى النيران حتى لا يقول أحد إن فاروق انتحر.. وحتى لا يخرج من المولد بلا حمص حاول فاروق كثيرا أن يبحث له عن دور بطولة فى لحظة الانقلاب التى نظر لها الجميع على أنها لحظة ضعفه أو موته فبدأ يصف براعته فى قيادة السيارة وكيف كان ينحرف يمينا ويسارا وكيف استخدم الطرق الملتوية حتى يتفادى دوريات حظر التجوال.

وواصل فاروق حديثه عن بطولته فى ذلك اليوم معلنا فخره بما فعله مقارنا بين أخلاقه كمصرى شهم وأخلاق من قاموا بالانقلاب ضده حينما أكد أنه كان من الممكن أن يأمر بإطلاق النار على القوات المتقدمة نحو القصر ولكنه لم يجد أدنى شرف فى أن يطلق النار على رجال يرتدون نفس الزى الرسمى الذى يرتديه.

.. ثم يقارن بين ما فعله هو وما فعله المتمردون على حد قوله حينما أطلقوا عليه النار هو وزوجته وهما يقفان فى شرفة القصر الخارجية لدرجة أن هذه النيران أصابت كلابه وكلاب بناته والحصان العربى الأصيل الخاص بالأميرة «فريال» مضيفا «فعلوا ذلك دون أدنى مشاعر إنسانية فى نفس الوقت الذى كان يمكننى فيه تصويب مسدس نحو رجال نجيب فأنا حاصل على الشهادة الدولية لأساتذة الرماية ولكن نفسى لم تطاوعنى بقتله أو

قتل أخرين
عملية مقر
إحساس
أخلاقه يا
بينما هو
رغم أن ق
فى ذلك:
على أسن
وهذا ا
نجيب ور
لا يدع م
من جانب

الأهرام

ـه وسر كؤوس الخمر التى كانت تظهر فى صوره



ـاه بانقلاب عبد الناصر
ـجيب وتحديد إقامته
الملكية ملك للمصريين
ـضيوف عليها!

قتل آخرين ولكن أصبت رجلا فى ساقه وكانت عملية مقززة لم أسعد بها على أى حال» ويعلو إحساس الملك فاروق بنفسه مستمرا فى مقارنة أخلاقه بأخلاق المتمردين الذين استعانوا بالروس، بينما هو رفض وبكل شدة أن يستعين بالإنجليز رغم أن قواتهم كانت قريبا من موقع الأحداث وقال فى ذلك: «لم أجد لدى أى رغبة فى إنقاذ حياتى على أسنة القوات الإنجليزية على مرأى من شعبى».

وهذا التناقض الواضح فيما قاله فاروق عن نجيب ورفاقه وما قاله نجيب عن فاروق يؤكد لك بما لا يدع مجالا للشك أنه كانت هناك مبالغة شديدة من جانب كل طرف فى تشويه الطرف الآخر. وينتقل فاروق من لحظة الانقلاب ليتحدث عن لحظة الرحيل محاولا أن يشير إلى انه قبل التنازل عن العرش بمزاجه بسبب خوفه على مصر وأهلها وخوفه على مستقبل ابنه الملك الجديد وينفى فاروق الأقاويل التى ترددت بأنه عرض على نجيب ترقية مقابل إنقاذ حياته والحفاظ على عرشه مؤكدا أن الذى لا يعرفه أحد أن نجيب تمت ترقيته قبل الانقلاب بثلاثة أيام كاملة بناء على طلبه حينما حضر مع على ماهر باشا وهو يحمل خطابا بخط يده به عشرة مطالب للجيش كان من ضمنها طلب ترقيته الذى لم أمانع فيه.

ويضيف فاروق «أعلم أن نجيب أعلن بعد الانقلاب أنه يقبل الرتبة التى قال إنى عرضتها عليه ولكن الحقيقة موجودة عندى فى خطابه المكتوب بخط يده فى أربع صفحات يمكن إظهاره إذا كان الأمر ضروريا».. وهذه الرواية التى قالها الملك عن محمد نجيب تعتبر نقطة تحول فى مذكراته فالملك بدأ يتحدث بالورق والوثائق وهذا يفسر تراجع الأهرام فى سنة ١٩٥٢ عن مواصلة نشر مذكراته التى لم تعد مجرد شوية كلام بل أصبحت روايات موثقة.. وهذا يقودنا لأن نقول إن الملك المخلوع ربما كان يمتلك من هذه الوثائق الكثير والكثير وإلا من أين جاء بتلك الوثائق التى تحدث بها إلى الصحفى الإنجليزى وهذا يجعلنا أيضا نقول إن خوف فاروق من الاغتيال كان له ألف سبب وأنه ربما فعلا قرر الآخرون التخلص منه عندما أدركوا خطورة ما يملكه من ورق.. عموما يواصل فاروق سرد حكاياته مواجها الشائعات التى أحاطت به وساخرا من خيال الذين قالوا إنه حمل معه فى سفينته المحروسة ذهبا وأموالا بالصناديق متسائلا كيف أستطيع أن أصحب تلك الأموال وأنا وأسرتى كنا محاصرين مطاردين لم نقو حتى على اصطحاب ملابسنا أو أمتعتنا التى تكفينا لمدة شهر واحد!!

ثم يحكى فاروق عن اللحظة التى ظهر فيها نجيب ليودعه مع ٦ ضباط آخرين من أتباعه قائلا: قلت له أسف لأننى لم انتظرك مطبقا لأوامرك كان لابد أن أغادر البلاد فى الساعة «٦» فاحمر وجهه واضطرب قائلا: «أنا لست مسئولا عما حدث!! كنا نأمل خيرا بهذا الانقلاب لكن الأمر خرج من بين أيدينا وتطورت تداعيات الموقف لأبعد ما كنا نتصور!!»

من حقك طبعا أن تشك فى تلك الكلمات التى كتبها فاروق فمن يصدق أن يقول القائد إنه ليس مسئولا ومن يصدق أن يقول نجيب عن ثورته أنها انقلاب خاصة بعد الرد الذى نشره نجيب على فاروق على صفحات الأهرام.

من حقك أن تشك فى كل ذلك ومن حقك أيضا أن تراجع نفسك وشكك اللعين حينما تقرأ ما كتبه نجيب فى مذكراته عن ضباط انقلاب يوليو!!.

والأجمل من ذلك أنك مجبر على الاعتراف بجودة توقعات فاروق وحسن قراءته للأمور و صدق حدسه حينما قال عن هذا اللقاء « هذا هو نجيب الذى يخجل صفحات التاريخ لا يمكننى أن أحكم على كلماته المرتجفة المسرعة ولكننى أنشرها لإجلاء الحقيقة فهو رجل دفعه الآخرون من الخلف بشدة وأصبحت أخشى على خيانته!.

تنبؤ واضح وصريح من قبل الملك المخلوع بمصير محمد نجيب فما توقعه فاروق حدث بالفعل حينما انقلب عبدالناصر وضباط يوليو على نجيب و أزاحوه عن العرش وقضوا بالفعل على حياته بشكل معنوى حينما حاصروه وحددوا إقامته!!

ويعود فاروق ليتحدث عن بطولته فى إنقاذ نفسه وأسرته من بين أيدى المتمردين خاصة وهو على متن السفينة المحروسة فيوضح فاروق أنه عندما صعد على متن المحروسة كان على علم بوجود سفينة مدفعية رمادية لديها تعليمات محددة بنسف المحروسة والادعاء بأننى أصبت بالجنون وقمت بتفجير المحروسة».

ويصف فاروق خطته فى النجاة من تلك المكيدة بأنه أمر القبطان «علوبة» بتغيير المسار المعتاد لنابولى ولذلك وصل نابول متأخرا وليس كما أشاع البعض بأنه وصل متأخرا بسبب الحفلات الساهرة وشرب الخمر على ظهر السفينة ويفتح الملك فاروق قوسين فى مذكراته ليتحدث عن الشريعة الإسلامية وأوامرها.

وسوف تلاحظ أن فاروق سيفتح فى مذكراته الكثير من الأقواس ليتحدث عن الإسلام وتعاليمه وكيف تلتزم الأسرة المالكة بها فى محاولة للرد على إشاعات النساء والخمر ولعب القمار.

وحتى لحيته التى أطلقها واعتبرها الناس هدفا للوصول للخلافة الإسلامية رد عليها الملك فاروق بأنها كانت حزنا وعهدا بعد طلاقه لحبيبته الملكة فريدة.

وعن القصور والأموال التى يقال إنه كان يتمتع بها قال فاروق: الذى لا يعلمه الكثيرون أن القصور الملكية ملك للحكومة المصرية وعلى الرغم من فخامتها إلا أنها لا تصلح بيوتا للسكن المريح ونحن مجرد ضيوف عليها.

للحظة الأخيرة فى مذكراته وهو يدافع عن نفسه ويرد على الشائعات التى أثيرت ضده فهو يقول إنه لم يخطف زوجته ناريمان من خطيبها لأنها لم تكن مخطوبة أصلا فالمسألة لم تكن سوى زيارات للتعارف فقط مثل التى تحدث كل يوم للبنات فى مصر بحضور الأهل والأصدقاء.

عن شائعة السرقة وتكوين الثروة قال فاروق: سأكتفى بما سأقوله الآن وهو «جميع تحركاتى كانت مرصودة من قبل عشرات الصحفيين ومئات العيون فى كل البلاد التى زرتها وحكام مصر الآن يملكون جميع المستندات والسجلات الخاصة بى ومعظم أصدقائى ومن كانوا موضع ثقة بين أيديهم الآن ويمكنهم الاستعلام على رصيدى وممتلكاتى فى البنوك الدولية فى أى بلد!!.. فلماذا لم يفعل رجال الانقلاب من ذلك حقا؟!

وهو تساؤل مشروع منا لم ينس فاروق أن يجيب عنه قائلا: هم لا يملكون شيئا ولن يفعلوا ذلك سوى إطلاق الشائعات عن ثروتى وأموالى حتى يمكنهم إلقاء اللوم والمسئولية على الأموال التى ستفقد مستقبلاً.

فى نهاية ما قاله حاول أن يظهر حبه لمصر وتحدث عن أنه لو يعلم أو يثق فى أن نجيب ورجاله سيعيدون تشكيل مصر ويخططون لها بشكل جيد من أجل مستقبل أفضل لكان



أثنى عليهم وشكرهم ولكنه يعلم أنهم لن يكفوا عن الثرثرة لتبرير أفعالى أمام العالم. فهم يعتمدون تماما على تشويه صورة عائلتى من أجل الاستقرار فى الحكم ولا شىء»

محمد الدسوقى رشدى

مواقف

وثيقة تاريخية، خبطة صحفية، تحفة فنية، إنجاز تاريخى.. هذا الملحق عن الملك (فاروق ظالما ومظلوما) الذى أصدرته الأديبة سناء البيسى رئيسة تحرير «نصف الدنيا»، وإعداد الصحفية المجتهدة سهير حلمى التى حشدت لهذا العدد مئات الصور النادرة ومعلومات دقيقة وموثقة، يجب ألا تفوتك.

والذى جاء فى هذا العدد الخاص من نصف الدنيا هو متحف للصور النادرة لتاريخ ما قبل الثورة فى مصر، وهذا يؤكد الصعوبات التى واجهت الزميلة سهير حلمى فى الحصول عليها من مصر، ومن خارج مصر، ومن بقايا الأسرة المالكة، ولا أعرف كم عدد الساعات التى أمضتها فى رصد المعلومات ونقلها وتسجيلها وتحريرها أو ترجمتها.

وقد مهدت لهذه الوثيقة التاريخية بدراسة عن مقدمات الثورة، بما فيها حياة الملك وحاشيته ورجاله ومقدمات الفساد والانحلال التى حتمت قيام الثورة عليها.

وبالأمس اتصلت بالأميرة فريال بنت الملك فاروق من زوجته فريدة أحدثها عن هذا السجل التاريخى لتطلب من ابنتها فى القاهرة أن تبعث به إليها، وكذلك أخوها الأمير أحمد فؤاد الذى قابلته أخيرا فى معرض توت عنخ آمون فى سويسرا، وفوجئت بأنها قد خرجت لتوها من المستشفى بعد عملية جراحية خطيرة، أقعدتها عن الحركة، وبعد مكالمتى توفيت أختها فوزية!!

ولكن هذا لم يمنع حماسها، لأن ترى كيف كانت هى وأمها وأبوها والدنيا عندما كانوا صغارا.

ولم يكن الملك فاروق خائنا لمصر، وإنما كان شابا صغيرا تكاثر عليه الذئاب والكلاب فكان ما يستحقه، وكان ما نستحقه نحن أيضا.

أنيس منصور

anis@ ahram.org.eg

الثلاثاء ١ فبراير ٢٠٠٥

■ الثلاثاء ■ ١٤ يونية ٢٠٠٥

القاهرة ■ السنة السادسة



فاروق شوشة يكتب عن:

■ مذكرات كاشفة لم يلتفت إليها المؤرخون

الملك فاروق: ثورة يوليو خطط لها خبراء سوفيت ودعمها الجناح السرى للإخوان المسلمين

■ اسمى مسجل فى الخارجية البريطانية كأول حاكم يحذر من خطورة المد الشيوعى فى الشرق الأوسط والروس أرادوا خلعى عن العرش لأنهم يخططون لأن تكون مصر كوريا ثانية ■ عندما تزوجت بالملكة فريدة أطلقت علينا الصحف العالمية لقب أجمل ملك وملكة عرفهما العالم منذ مائة سنة .. وبعد خمس سنوات بدأت أفكر فى الانفصال عنها

فى كتابها التذكارى: «فاروق ظالما ومظلوما» الذى صدر ضمن مطبوعات جلة «نصف الدنيا» عن مؤسسة الاهرام «يناير ٢٠٠٥» وتخاطف الناس طبعاته تتالية خلال اسابيع معدودة، تقدم الباحثة والكاتبة الصحفية سهير حلمى سورة أمينة لمصر بكامله. الأمر الذى جعل من الكتاب بانوراما شاملة لأحداث وقائع سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، وعالما يموج بالشخصيات التاريخية تى شاركت فى صنع صورة هذا الوطن من قبل أن يتولى فاروق العرش عام ١٩٣ حتى رحيله من مصر، متنازلا عن العرش لابنه الأمير أحمد فؤاد، بعد يام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

وإلى جانب العرض الموضوعى والتحليلات الذكية التى تخللت صفحات هذا جلد الضخم «قرابة خمسمائة صفحة من القطع الكبير»، فإنه يضم مئات من خائر الصور الفوتوغرافية التى خرجت من خزائن عدد من جامعى الكنوز سادة: علوى فريد، حسن الصباغ، شريف عفت، عبدالرحمن محسن، عمرو مميح طلعت، والسيدات: صفية النقراشى، علية يوسف رشاد، وسنية الملاح، فى صور يطالعها القارئ المصرى والعربى لأول مرة، ويرى فى حديث هذه صور ودلالاتها ما لم تقله سطور التاريخ والتحليل.

واتيح للكاتبة الباحثة التى بذلت فى جمع مادة كتابها وصوره جهدا خارقا لى مدى أكثر من عامين فى مصر وفى الخارج.

الرجوع إلى تسعة وخمسين مرجعا ومصدرا شملت شخصية فاروق لإنسان والملك، وأبرز الساسة الذين تعاملوا معه إيجابا وسلبا.

اما أثمن ما يقدمه كتاب: «فاروق ظالما ومظلوما» وأروعه فهو مذكرات فاروق تى لم يشر إليها ولم يهتم بها إلا قليلين، ربما لأن معظم من تناولوا سيرة فاروق بعد زواله عن عرشه، ثم بعد زواله من الدنيا كلها لم يعلموا بأمر هذه لمذكرات وإلا لكانت مادة خصبة للعديد من آرائهم وأحكامهم وتصوراتهم عن لملك وعصره وبدون الاطلاع على هذه المذكرات فإن كثيرا مما قيل عن فاروق ظل قابلا للاتهام، خاصة وقد اعترف فى هذه المذكرات بأخطائه، وبالجانب لسلبى فيه، ولم يقصرها على مجرد الدفاع عنه أو تبرير تصرفاته، فهو أولا محكوم بالتربية والنشأة والتكوين منذ مراحل الطفولة الأولى، ثم محكوم الحاشية التى رأى من خلالها مصر والدنيا كلها، ثم محكوم بردود الأفعال تى عاشها الوطن كله فى خضم التقلبات السياسية والاجتماعية، المحلية العربية والعالمية.

الإخوان وراء نجيب

وتروى سهير حلمى قصة هذه المذكرات ففى الخامس من أكتوبر عام ١٩٥٢ دأت صحيفة «إمباير نيوز» الأسبوعية الإنجليزية فى نشر سلسلة بعنوان ذكريات فاروق» فى صدر صفحاتها من خلال لقاءات فاروق فى إيطاليا مع لصحفى الإنجليزى نورمان برايس والذى كانت تربطه بفاروق صداقة تعود إلى سنوات ملكه. وتكتسب هذه المذكرات تفردا تاريخيا ووثائقيا لسببين مهمين أولا: أنها المرة الأولى التى يتحدث فيها فاروق للصحافة العربية والعالمية، سواء خلال فترة حكمه أو بعد نزوله عن العرش، وأنها استمرت تنشر أسبوعيا حتى نابر ١٩٥٣، مدعومة بصور فوتوغرافية، قام بانتقائها بنفسه خلال فترة نفيه لأمر الذى أكسبها أهمية عالمية وفقا لوصف جريدة «الأهرام».

يستهل فاروق مذكراته بحديث عن نفسه وعن شخصيته يقول فيه: «كنت انما أوثر الصمت فى صبر من أجل عرشى، وأتحمل اللوم المرير بحكم لاعتياد فعندما بلغت الثامنة عشرة من عمرى كنت قد استوعبت درسا قاسيا حاطتنى بهالة من التوجس والحذر، فكل رجل من رجال البلاط من الممكن أن يصبح عدوا، وكل مستند يمكن أن يكون فخا وأى معروف أصنعه أو هدية قدمها قد يساء فهمها، وربما استخدمت كسلاح ضدى فإذا احتفيت برجل فذلك يعنى أننى سأمنحه سلطة ما وإذا ساورتنى نفسى بالتحدث مع أحدهم حديثا خاصا فعلى الفور تنطلق التخمينات والشائعات التى قد تصل إلى حد الادعاء بأننى أفشيت بعض أسرار الدولة. وهكذا اعتدت أن وجهة نظر خصمى هى التى تصل إلى أسماع الناس دائما، حتى كدت لا أصدق أننى أصبحت الآن حرا، شأن بقية الناس، ويمكننى التفكير بعمق والتحدث بسلاسة فى محاولة لتحليل الذات. وأتذكر فى لقائى الأخير مع الملك إدوارد الثامن - ملك بريطانيا سابقا - أنه كان مشغولا بكتابة الفصل الأخير من مذكراته. فقال لى عبارة مازالت عالقة بذهنى: «إذا شاءت الأقدار أن تكتب أنت أيضا مذكراتك فى يوم من الأيام فسوف تفاجأ بأن الأحداث التى تود سردها كثيرة جدا لكن المشكلة الكبرى أن أفضل الأحداث وأكملها هى التى لا يمكن نشرها على الإطلاق».

وهكذا وجدت نفسى مدفوعا لنشر قصتى عن حقيقة ما حدث، الآن فقط أخرج عن صمتى لأن الوقت المتاح لمعرفة الحقيقة ربما يكون قصيرا وعلى الرغم من تعرضى لبعض الضغوط من الدوائر المهيمنة لإيقاف النشر وإسكاتى منذ نشر قصتى يوم الأحد الماضى، حتى إن بعض الأصدقاء نصحونى بتشديد إجراءات الأمن لحماية طفلى لكننى لم ولن أذعن لأية ضغوط وقصتى الآن كاملة بين أيدى الناشرين ومهما حدث فسوف تروى. إن أعضاء الجناح السرى للإخوان المسلمين هم الذين يقفون الآن وراء نجيب، فهم يستخدمون الأموال التى أمدتهم بها السفارة الروسية بالقاهرة فالانقلاب الذى كلفنى عرشى لم يقم نجيب بتخطيطه على ضوء شمعة فى خيمته العسكرية، وإنما تم تخطيطه لحسابه بواسطة مجموعة من المستشارين العسكريين الأجانب فقد أرادت روسيا تنحيتى لأنهم يخططون لأن تكون مصر كوريا الثانية من خلال سيطرتهم الديكتاتورية. أما نجيب فهو رجل يمسك النمر من ذيله، ويتعين عليه ذلك لأنه لا يجرؤ على تركه. إننى مسجل فى الخارجية البريطانية كأول حاكم فى الشرق الأوسط يحذر من المد الشيوعى وخطورته».

وفى وصف فاروق للوداع الأخير يرسم صورة ممتلئة بالتفاصيل التى تدعو إلى الأسى حين يقول: «قبل الموعد المحدد للمغادرة ارتديت بذلة البحرية الرسمية، تعبيرا عن احترامى وتقديرى لبحريتى المخلصة ثم استدعيت ضباط قصرى المخلصين، وطلبت منهم مصاحبة وصيفات الملكة بأسلحة نارية، ترقبا لأية مضايقة أو إهانة للسيدات ومن العجيب أن الجنود اعتبروا المخاطرة بما تبقى لهم من حياتهم العسكرية، عن طريق تأدية هذا الواجب شرفا لهم، فقد كانوا يعلمون تماما أن هذا العمل لن يقربهم من رؤسائهم الجدد فى الجيش، وذهبت زوجتى وأطفالى إلى المحروسة فى الخامسة وخمس وأربعين دقيقة، ثم توجهت إلى رصيف الميناء حيث اصطف حرس القصر وحراسى السودانيون فى وضع انتباه عند عزف النشيد الوطنى. وطبقا لنص كلمات نجيب فقد صنع الخدم المخلصون حائط مبكى يصم الآذان، وبشرق هذا الحائط أطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة، وكان المشهد مؤثرا للغاية فقد قضيت عشر دقائق أحاول فيها مواساة الخدم المخلصين فهونت الأمر عليهم بكلمات المواساة والأمل فى اللقاء الآتى، ومازال هذا الأمل يراودنى بالفعل حتى الآن



وقد نشرت صحيفة «الديلى تلجراف» فى صفحاتها الأولى صورا لبحارة المحروسة وهم يبكون وأنا أخطو على المعدية الصغيرة ولكن الصحيفة منعت وقام رقيبا، نجيب بطمس الصور باللون الأسود.

وفى تمام السادسة قمت بتحية على ماهر والسفير الأمريكى كافرى، وطبعت على خديهما قبلة الوداع، وطلبت من على ماهر انتظار نجيب خمس دقائق أخرى، وإخباره أننى انصرفت طبقا لتعليماته، وأثناء إبعاد المرساة ظهر لنش مسرع بداخله رجل صغير الحجم هو محمد نجيب ومعه ستة ضباط آخرون فوقفت بالقرب من الممر لاستقبالهم فتقدم نجيب وصافحنى فقلت له: أسف لأننى لم أنتظرك طبقا لأوامرك كان لابد أن أغادر البلاد الساعة السادسة، فاحمر وجهه واضطرب قائلا: الأمر خرج من أيدينا وتطورت تداعيات الموقف لأبعد مما كنا نتصور.

وهكذا دخل «نجيب» صفحات التاريخ بعد أن أصبح بين عشية وضحاها هو الشخصية الرئيسية فى مصر ولا يمكننى الآن الحكم على كلماته المرتجفة المتسرعة ولكنى أنشرها لإجلاء الحقيقة فهو رجل دفعه الآخرون من الخلف بشدة، والآن أصبحت أخشى على حياته.

أجمل ملك وملكة

ويروى فاروق فى صفحة أخرى من مذكراته قصته مع «فريدة».

فيقول: «من المؤلم حقا أن كل إيماءة وكل فعل يأتى به الملك تتم مراقبته بدقة فائقة، حتى إننى عندما أطلقت لحيتى انطلقت الشائعات والتخمينات، فقال البعض إن فاروق أطلق لحيته طمعا فى خلافة المسلمين ولم يكن ذلك صحيحا فقد نصحنى أبى بألا تكون الخلافة رافدا من روافد طموحاتى، وتكهن البعض الآخر بأننى أحاول إخفاء آثار لكمة زوج غيور، ولو كان الأمر كذلك لتركت اللكمة آثارها لمدة طويلة وللأسف الشديد لم أستطع أن أشرح فى ذلك الوقت لأى مخلوق لماذا أطلقت لحيتى، والآن أعترف للمرة الأولى أننى كنت قد أقسمت وعاهدت نفسى واتخذت قرارا نهائيا بطلاق الملكة فريدة طلاقا بائنا لا رجعة فيه، وفى كل يوم تنمو فيه لحيتى كنت أدعو الله أن يكون قرارى صائبا.

كنت أشعر دائما أن تفاصيل طلاقى من فريدة من أمورنا الخاصة التى ينبغى أن تكون فى طى الكتمان، لذلك رفضت فريدة التحدث إلى صحفى بريطانى حاول التطفل واقتحام حياتنا وتحويلها إلى عناوين رئيسية مرة أخرى، فصدته فريدة.

فبحث جاهدا عن والدها يوسف ذوالفقار ويبدو أنه كان حريصا على التودد للنظام الجديد الأمر الذى دعاه للتحدث إلى الصحافة عن تفاصيل طلاقى مرة أخرى.

الآن سأتحدث عن تلك الفتاة التى أحببتها وسميتها فريدة سأروى حقيقة

القصة التي لم أروها مطلقا، ولعل القارئ يستشف منها أن أخطاءنا لم تكن متعمدة ولكنها أقدارنا، بل إنني أنتهز هذه الفرصة لأبعث إليها بهذه الرسالة: «فليغفر الله لنا» كانت فريدة ابنة لإحدى وصيفات أمي، اسمها الحقيقي صافيناز ولكنني أطلقت عليها فريدة ولايزال العالم يعرفها حتى الآن باسم الحب الذي أطلقته عليها ففي السادسة عشرة من عمري سافرنا مع أسرتينا إلى سويسرا، فتعارفنا وتقاربنا في ذلك الجو الرومانسي الرائع في جبال الألب ومات أبي وانتهت فترة شبابي مبكرا وأصبحت ملكا على مصر. حين بلغت الثامنة عشرة تزوجنا فوصفتنا الصحافة العالمية بأننا أجمل ملك وملكة شاهدهما العالم منذ مائة عام ربط الحب بين قلبينا وبالرغم من أنه كان حب الشباب الأخضر الغض الذي لم تنضجه السنون بعد، لكني كنت أعتقد أن ذلك لن يمنعنا من فرصة التمتع بحياة هانئة، إلا أن ضجيج العمل اليومي بمشكلاته وواجباته، الرسمية كان لهما أبلغ الأثر في حياتنا، فزوجتي كانت شابة صغيرة السن تهيأ لها السفر ومشاهدة أسلوب الحياة الغربية لكنها كانت ممنوعة من الخروج والظهور في الأماكن العامة بحكم تقاليدنا باستثناء المناسبات الرسمية وهكذا بدأت أشعر بالملل والوحدة

وبداية اشتعال الحرب العالمية وعبور جيوش روميل وبنايته لصحرائنا بدأت أنشغل تماما، فانصرفت هي الأخرى عني ولكني واثق أنني لو أشرت إليها بيدي آنذاك لجاءتني بلا تردد ولكن للأسف الشديد لم تكن يدي خالية أبدا من قلم أو ختم بجميع المهام الرسمية. فمصر دولة يصعب حكمها لمن بين كل عشرة أفراد يوجد تسعة لا يعرفون القراءة أو الكتابة ويمكن إثارتهم إضافة إلى أنني كنت أعود من عملي مرهقا متشبعا بالمجادلات والمناورات مع رجال لا يقل عمر أي منهم عن ثلاثة أضعاف عمري. هكذا توترت العلاقة بيننا وبدأت المشاجرات المريرة بيننا، فكنت أنطلق ثائرا مندفعا متعمدا إيلامها من خلال الانشغال باهتمامات أخرى، أجد فيها عزائي وراحتي لكني لم أخن عهودي معها، فشريعتنا الإسلامية تحرم التمتع بالمحظيات.

خلاف حول المزرعة

لقد قيل عني وما أكثر ما قيل عني إنني طلقت فريدة لأنها لم تنجب ولدا، وذلك أمر لم يرد في شريعتنا الإسلامية ولكن من الجائز تطليق الزوجة إذا كان رائحة فمها أو قدمها كريهة مثلا، فإذا وافق القاضي يتم تطليق الزوجة وأنا أتطرق لتلك التفاصيل لكي أوضح للقارئ الأوروبي أن شريعتنا تحدد أسبابا خاصة جدا للطلاق ليس من بينها الفشل في إنجاب ولد. وأعتقد أن فريدة لو اختارت الحياة معي كانت ستنجب حتما ولدا أو أكثر، ففي غضون عشر سنوات من الممكن أن تنجب أكثر من ثلاثة أطفال ولكن قضي الأمر وهكذا قررنا الطلاق رسميا بعد انفصال دام خمس سنوات. وكان طلاقا بائنا فقد كنت أحبها بشدة ولو جاءت بعد طلاقنا وقد أدركت خطأها وأقرت بحبي لكنت قد أعدتها على الفور إلى عصمتي مرة أخرى فلم أكن أملك من القوة ما يجعلني أصمد أمام ذلك الإغراء العاطفي.

لذا قررت أن يكون طلاقنا بائنا، وكان شرطي الوحيد يتعلق بمصير مزرعتها فيجب أن تؤول المزرعة وإيرادها لصندوق الأوقاف الأمر الذي يعني أنها ستنحي جانبا جزءا من الإيرادات لكي تتسلمه بناتنا، ولكن فريدة قررت الانتفاع بنصيب بناتها في بناء فيللا فاخرة. وبما أن بناتنا لن يستخدمنه فيمكنها بيعه والاستحواذ على أموال من المفترض أنها أموال بناتها، ولا أعتقد أن فريدة يمكنها التفكير بهذه الطريقة التكتيكية فهي تفكر كامرأة ولدي يقين أن والدها هو صاحب هذا الاقتراح.

في مذكرات فاروق لمن يريد أن يقرأها كاملة في كتاب سهير حلمي: «فاروق ظالما أو مظلوما» كلام كثير عن أمتعته عند الرحيل من مصر، بـ٤٠ شنطة وستة قمصان، وعن أمريكا التي أنقذت حياته وهو في عرض البحر، وعن الريجيم الملكي عندما اكتشف الملك ومن معه أن الطعام على «المحروسة» لا يكفي فكان لابد من التقشف الشديد، وكيف أنه لم يخطف ناريمان كما رددت الشائعات عند زواجه منها، وأن ثروته «كوتشينة» أثرية منذ عهد الأباطرة وأنه ليس قديسا وإنما هو مقامر وأنه لم يشرب الخمر قط وكيف قضى طفولة بائسة بسبب قسوة أبيه فؤاد ومربيته الإنجليزية المتسلطة، وعن غراميات أمه نازلي التي لوثت سمعة القصر، وعن حياته الخاصة وتفاصيلها وعمن يشبهون فاروق الذين استغلتهم الصحافة التي كانت تنشر صورهم في مواقف مخجلة على أنهم فاروق، وكيف يرى أن مصر راسخة شامخة مثل أهرامها وعن كرابيس سياسة وما فعلته به في حادث ٤ فبراير حين حاصر الجيش الإنجليزي قصره وعن قضية الأسلحة الفاسدة والدور الذي لعبه تجار السلاح مختتما مذكراته بهذه الكلمات: «واليوم، وأنا أستعيد حياتي الخاصة للمرة الأولى اكتشفت متعتين كبيرتين لم أشعر بهما من قبل، فالآن يمكنني البحث عن أي عمل يستهويني ويشغلني ويعود على عائلتي بالنفع، بعيدا عن تلك الأعمال اليومية التي كانت تتعرض لوابل من النقد المصطنع من قبل بعض الجاحدين والآن عرفت أيضا متعة البداية من الصفر، وهي متعة أخرى لم أكتشفها من قبل».

ربما أكون قد فقدت عرشي، لكنني حطمت قيودي!

وشكرا للكاتبة الصحفية الباحثة سهير حلمي على كتابها المثير بمادته، وما تضمنه من صور فوتوغرافية، وتحليلات ذكية كاشفة.

فاروق.. ظالما ومظلوما

بيني وبين الملك فاروق علاقة من نوع خاص، فأنا سميه - بشدة على الياء - أي سميت باسمه حين ولدت، وكان هو في الشهور الأولى من توليه عرش مصر، ثم أصبحت لي شقيقة بعد عامين، سماها أبي «فريدة»، على اسم الملكة فريدة التي تزوجها فاروق، وكان زواجهما مواكبا لميلاد شقيقتي، وعندما ولدت شقيقتي الثانية بعد عامين آخرين، لم يجد أبي اسما ملكيا ثالثا يليق بها، فالتفت إلى اسم ملكة الإنجليز العظيمة فيكتوريا وأطلقه على أختي، دون أن يبالي - طرفة عين - بأنه اسم مسيحي يطلق على ابنته المسلمة، وكانت النتيجة المثيرة للدهشة والتساؤل باستمرار أن تصبح لي شقيقة هي فيكتوريا، أبوها اسمه «محمد»، دلالة على أن الحياة المصرية والمعايشة المصرية الحقيقية كانت دائما تنتصر لروح المحبة والأخوة، فيأخذ المسيحي من أسماء المسلم، والمسلم من أسماء المسيحي، والكل في حسبانهم مرجعه إلى الخالق الكريم، أليس هو القائل في محكم كتابه «وعلم آدم الأسماء كلها». وعندما اكتشف أبي - رجل التعليم والتربية، أنه بهذه الثلاثية من الأسماء، قد تورط في حرف «الفاء» التزم به فيما تلانا من أشقاء وشقيقات، فتحققت امبراطورية «الفاء» لخمسة أشقاء وخمس شقيقات.



بقلم:
فاروق شوشة

وظلت هذه العلاقة الشديدة الخصوصية، التي ربطتني باسم الملك فاروق تبعث في كيان الطفل الصغير لونا من الزهو والشعور بالفخر، حتى كبر الصبي، ورأى بعينيه وسمع بأذنيه هتافات الجماهير ومظاهرات الطلاب - وهو واحد منهم - مطالبة بسقوط الملك الذي خان شعبه وفقد ثقته فيه ووقف في وجه مطالبه الوطنية. فانسلخ طالب المرحلة الثانوية من هذه العلاقة الخاصة مع الملك واسمه ليصبح شاعر المدرسة الذي يصوغ الأناشيد ويحرض بأشعاره الأولى زملاءه الطلاب على المزيد من الثورة والتظاهر - ضد الملك وأسرته الحاكمة - قبل قيام ثورة يوليو بشهور قليلة.

ومنذ أسابيع قليلة، نجحت الباحثة الجادة والدءوب سهير حلمي - التي تنتمي إلى كوكبة شباب «نصف الدنيا» التي تقودها المبدعة الكبيرة المتألقة دوما سناء البيسي، العلامة البارزة في حاضر الصحافة المصرية والعربية، صاحبة الاقتحامات والانفرادات والمدرسة الأسلوبية المتفردة - أقول نجحت سهير حلمي - التلميذة المتفوقة في مدرسة سناء البيسي في إعادتي إلى تاريخ هذه العلاقة التي امتدت طويلا مع الملك فاروق سلبا وإيجابا، قبولا ورفضا، زهوا وتنصلا، انتماء وتباعدا، من خلال كتابها الجليل وإنجازها الضخم: «فاروق.. ظالما ومظلوما»، الذي هو وثيقة عصر بكامله، وديوان حياة مصرية عاشها جيلي بكل انفعال المشاركة ووعي المتابعة، ولايزال يعيش توابعها وآثارها ومقارناتها حتى اليوم، لاعنا أشياء، ومترحما على أشياء، في حالة وجدانية وعقلية شديدة التداخل والاختلاط والتفاعل، نجحت سهير حلمي في الاعتماد على تسعة وخمسين مرجعا، كل واحد منها حجة وعلامة في بابه ومجاله، تشكل موسوعة معرفية حقيقية لكل من يريد أن يدرس الظاهرة الفاروقية في وجهيها: الظالم والمظلوم، بكل موضوعية وتجرد، ووعي مضمخ بروح المسئولية، والرغبة في التوصل إلى وجه الحقيقة - قدر المستطاع - وهو ما حاولته كتابات كثيرين تناولت عصر فاروق وشخصيته وتاريخ الحركة الوطنية والثورة المصرية والفكر المصري الحديث والسياسة وزعمائها وصولا إلى البوليس السياسي، والحركة الشيوعية المصرية والحرس الحديدي والاغتيالات السياسية وما كتب عن الملكة فريدة، وسقوط الملكية والأسلحة الفاسدة وروميل ومونتجمري، وطلاق الامبراطورة فوزية، والعيب في الذات الملكية، وحريق القاهرة، ومذكرات رجال السياسة وكتابات الباحثين والمؤرخين المصريين والأجانب، وغيرها من العناوين والمداخل والموضوعات.

ولأن أروع ما في الكتاب - بالإضافة إلى هذا كله - مايحويه من ذخائر وكنوز الصور الفوتوغرافية - التي لا أظن أن كتابا قبله قد اتسع لأقل القليل منها - فقد استعانت الباحثة بعدد من أصحاب هذه الذخائر النفيسة والنادرة الذين اتسعت خزائنهم لتاريخ مصر المصور، وهو ما ازدانت به مئات الصفحات في هذا الكتاب النادر النفيس.

من أروع فصول الكتاب: أسلوبا وطريقة عرض وتحليل الفصل الذي عنوانه «مصر في عهده» وتأملوا معي شواهد هذا العصر في مجموعة من العناوين والمانشيتات المختارة التي كأنها طلقات أو ومضات دالة سريعة: انتخاب المصرية شارلوت واصف ملكة لجمال العالم عام ١٩٣٦ - محمد عبد الوهاب يشدو: «إن عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظر» - الجنيه المصري يساوي ألف فرنك سويسري عام ١٩٤٢ - أقطاب السياسة ومشاهير الفن (النحاس وأحمد ماهر والنقراشي وأم كلثوم) يقضون الويك إند في عشش رأس البر - كابتن الضظوي يحرز ثلاثة أهداف صاروخية مقابل لاشيء في مرمى الفريق الإيطالي - الصحافة القاهرة تكتب: أزمة الغلاء هي سبب أزمة الأخلاق - القاهرة ٢.٥ مليون نسمة - تسجل عام ١٩٤٨ رقما قياسيا في حوادث المرور يضعها في قائمة أسوأ خمسين مدينة مرورية في العالم - بيرم التونسي ينظم زجلا رائعا في فساد المحليات - الجنيه المصري يفقد ٧٥٪ من قيمته عام ١٩٤٩ - توفيق الحكيم يطالب بتحويل البرلمان إلى مصنع للطائرات وإلغاء الطربوش الأحمر «الشفتشي» لأنه يتناقض مع الوقار على حد تعبيره - قصة غرامية للمليونير المصري «ع» تتحول إلى ملهاة سياسية - الملك يطلب من أم كلثوم تعديل كلمة في إحدى قصائدها فترفض الطلب - المخابرات البريطانية تستعين بحفلات الكوكتيل والجميلات لاختراق أعماق الحياة الاجتماعية - القاهرة تشهد أكبر مسابقة لجمال السيقان - استجواب في البرلمان عن الخبز المخلوط بالجبس والأسمنت - ٤٨ ألف مصري يحجون عام ١٩٥٠ - ٤٠٠ من حملة الليسانس يتزاحمون على عشرين وظيفة - درية شفيق تطالب بحق المرأة في الترشيح للبرلمان - الصحف تشير إلى «الملك» بكلمة «كبير».. الخ.

وتعلق الباحثة الشابة المتألقة سهير حلمي على هذه المانشيتات وعشرات غيرها بأسلوبها المتدفق ولغتها الفراشية قائلة: طاردتني عبارة الزمن الجميل بانطباع رومانسي، فظللت أبحث عن صداه وأنقب عن محاسنه في زوايا وثنايا تلك الفترة التاريخية، فأطلت النظر في مرآة الرأي العام، أي الصحافة المقروءة بمختلف اتجاهاتها وتياراتها، وبكل أسف أحبطني ما اكتشفت، فلم تكن السيادة دائما لألوان قزح. فما أكثر السواد الذي طالعني في صحافتنا آنذاك، باستثناء قممنا الفنية والأدبية، وتربعنا على عرش الفنون والآداب في العالم العربي. وحتى تكتمل الموضوعية التاريخية يتحتم علينا تقييم «فاروق ملكا» من خلال انعكاسات وانطباعات الإطار الاجتماعي على الصحافة في عهده. فهل كان حقا عهدا جميلا؟ أم أنه مجرد شريط ذكريات تم انتقاؤه بعناية وأناقة توارثتها الأجيال إيذانا باجترارها لمجرد الشعور بنقائص الحاضر وإحباطاته؟ فلكل عهد مشاكله ومنغصاته «ولقد خلقنا الإنسان في كبد» صدق الله العظيم.

وأخيرا، التهنئة بصدور هذا العمل الجليل النفيس لمن؟ لسهير حلمي؟ أم لسناء البيسي؟ أم لمؤسسة الأهرام التي رعت ونشرت أم للثلاث معا؟!.. ولعشرات غيرهم في الظل عملوا وساعدوا وأنجزوا فكان هذا الإنجاز الجميل.

الوفـــد
٥ مــــــارس ٢٠٠٥

هموم مصرية

فاجأتنا أحداث التغييرات الدستورية، بكل ايجابياتها.. وسلبياتها، وباعدت بيننا وبين ألوان الحياة الأخري، وتنوعها.. حقيقة كانت الأمة تطالب، ومازالت وتلح، بالتعديل الدستوري، تطلعاً إلي حاضر أفضل، ومستقبل أكثر إشراقاً.. ولكن ما جري تحت الترابيزات، وخلف الكواليس، جعلنا نتوجس خيفة مما يخطط له الاشرار - علي قول الدكتور نعمان جمعة رئيس الوفد - خشية من الالتفاف حول الهدف الواضح من قرار الرئيس مبارك باقتراح تعديل المادة ٧٦ من الدستور.. وهنا يقتضي منا، نحن كل المصريين، ان نكون أكثر حرصاً وأكثر يقظة - لنتصدي لمحاولات هؤلاء الاشرار الالتفاف علي المعني الحقيقي الذي استهدفه الرئيس باقتراحه.. أي أن هؤلاء باتوا اكثر ملكية من الملكيين!!

أقول جرفتنا هذه الأحداث عن أوجه أخري من الحياة.. فقد اخرجت لنا دور النشر الكبري، والمؤسسات الصحفية العريقة، أعمالاً عظيمة تستحق أن نقف عندها خصوصاً تلك الأعمال التي تربط الحاضر بالماضي.. لنستقبل المستقبل ونحن أكثر استعداداً.. وحنكة.

●● فقد صدر عن الزميلة «نصف الدنيا» في يناير الماضي كتاب وثائقي غاية في الأهمية والشجاعة.. والكفاءة. وهذا الكتاب من الحجم الكبير يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة علي ورق فاخر. الكتاب هو «فاروق.. ظالماً ومظلوماً» وهو سجل غير عادي يؤرخ ليس فقط لعصر الملك فاروق منذ كان رضيعاً إلي أن رحل عن حياتنا ولكنه يؤرخ لعصر كامل بكل ما فيه من سياسة وتربية. من علوم ورياضة، من دسائس وفتن. ومن حياد تام.. وحقيقة كنا نفتقدها في معظم الكتب التي تناولت هذه الفترة، أو تاريخ هذا الملك..

وهذا الكتاب «السجل» يتناول الطفل الذي أصبح ملكاً. وأحمد حسنين.. ومن يسيطر علي نازلي يسيطر علي فاروق. والأميرتان فوزية وفائزة: القمر والشمس في عابدين وعزيز المصري حائر بين الملك والحلفاء والمحور. مصطفي النحاس.. وريث زعامة الوفد، حادث ٤ فبراير.. السفير الانجليزي أقوي من الملك. الكتاب الأسود لمكرم عبيد. الشماشرجية يحكمون البلد. حرب ٤٨.. نظام فاسد واسلحة فاسدة. الغاء معاهدة ٣٦. حريق القاهرة.. الفاعل انجليزي. فاروق لم يشرب الخمر ولم يلبس بيجامة ينام علي الأرض صيفاً. المقامر طلق فريدة فخسر كل شيء. نساء فاروق ضجيج بلا طحين. العيب في الذات الملكية. ٢٢ وزارة خلال ١٥ سنة. ثورة يوليو. فاروق يلهو في روما. ونجيب محبوس في المرج. المصادرة. فريدة الرحيل الغامض. مصر في عهده. الحرس الحديدي. يوسف. ناهد رشاد. النقراشي مات وفي جيبه ٣ جنيهات. طباخ فاروق. مذكرات فاروق.

●● واعتقد أن هذا الكتاب الشامل - الوثيقة - جاء ليصحح كثيراً مما شاع وأكثره كان خاطئاً. واستطاعت الزميلة سناء البيسي صاحبة أرشق قلم بين الصحفيات العربيات ان تقدم به وفيه ما يروي ظمأ الباحث عن الحقيقة. وروت في المقدمة التي كتبتها كيف التقت بالملكة فريدة، التي كنا نهتف لها بعد طلاقها من فاروق: خرجت الطهارة من بيت الدعارة.. واستطاعت الاستاذة سناء أن تشدنا من أول سطر في مقدمتها إلي صفحة المراجع إلي هذا العمل العظيم. وروت حوار اللحظة الأخيرة بين فاروق والمستشار سليمان حافظ قبل ان يوقع الملك علي وثيقة تنازله.. وكيف اضطر الزمن أميرات مصر الجميلات إلي العمل سكرتيرات ليدبرن لقمة العيش وكيف عملت والدتهن - الملكة فريدة إلي امتهان الرسم. وكشفت رئيسة تحرير «نصف الدنيا» كيف ان الأستاذ ابراهيم نافع أوفد الزميلة والصحفية القديرة سهير حلمي - التي قدمت هذا العمل القيم - إلي انجلترا لتضيف إلي عملها الرائع هذا فصلاً عن مذكرات الملك فاروق التي كتبها بعد تنازله عن العرش.

●● واعترف ان هذا العمل من أدق ما تم انجازه عن عصر فاروق. أقول ذلك وقد قرأت معظم - بل كل - ما نشر عن الأسرة العلوية وعن فاروق سواء تلك التي تناولت بحياد حياته.. أو التي حاولت تشويه هذه الحياة، خصوصاً تلك الكتب - الصفراء - التي صدرت في أعقاب تنازله عن العرش، وكان هدفها كلها تشويه صورة الملك. وقليلة هي الكتب التي لا اقول انصفت الملك.. ولكن التي تناولت حياته.. بحياد.. ولأن هذا العمل تنوء به المراكز العلمية والجامعات، فانني أحسد الزميلة سهير حلمي التي أمضت من عمرها أكثر من عامين وهي تجمع كلمة من هنا.. وصورة من هناك حتي جاء هذا الكتاب الوثيقة ليروي كل الحقيقة عن فاروق وعصره. عن فاروق الانسان والبشر إلي أن رقد في قبره الرخامي بالمسجد الذي اقامته جدته لأبيه والدة الخديو إسماعيل في مسجد الرفاعي بحي القلعة.

●● وقدم الكتاب الصورة كاملة سواء الذين اتهموه.. أو الذين اقتربوا منه وكان الفصل الأخير مذكراته التي نشرتها جريدة امباير نيوز في اكتوبر ١٩٥٢.

وبذلت سهير حلمي الكثير. والتقت بالكثير. وجمعت منهم وعنهم وسجلت كل ما لديهم سواء ممن عاشوا هذا العصر أو من الذين ملكوا ارشيفاً أو حتي سطراً من تاريخ مصر خلال هذه الفترة الخطيرة من تاريخ مصر.

وقرأت - كما جاء في ثبت المراجع - ٦٠ كتاباً ومرجعاً تناولت كل شيء. من مؤرخين وأساتذة جامعة إلي ضباط ثورة. إلي ما كتبه أنور السادات ويوسف صديق وكريم ثابت وصبري أبوالمجد، ومحمد عودة. ود. هيكل والرافعي. ولويس عوض، كما قرأت مذكرات كل الذين تناولوا هذه الفترة.. وما كتبه عادل حمودة ورفعت السعيد وعباس حافظ ولوتس عبدالكريم ومحمد نجيب وجمال سليم.

●● ولم اكتف بشراء نسخة واحدة. بل اشتريت نسختين وقمت بتجليدهما تجليداً فاخراً قوياً.. لانه كتاب يحفظ للزمن.. وفي معرض الكتاب وجدتها تقف أمامي - بعد أن فرغت من احدي محاضراتي بالمعرض - وتقدم لي نسخة أخري - ثالثة - وتقول لي: أنا سهير حلمي التي أعدت هذا الكتاب. وتوقفت عن الحديث مع كل من كانوا حولي. وشدتني جرأتها. ليس في طريقة تقديمها لكتابها.. بل لقيامها باعداد هذا العمل الذي تنوء به الجبال والمراكز العلمية والجامعات.

●● شكراً للأهرام وعميده الأستاذ إبراهيم نافع. وشكراً للصديقة الزميلة سناء البيسي التي تحملت عبء تقديم هذا العمل بشجاعة منقطعة النظير. وألف شكر للزميلة سهير حلمي التي أتمني الا تتوقف عن تقديم مثل هذه الأعمال. تلك الشابة التي قدمت لنا بأسلوب ممتع: فاروق.. ظالماً ومظلوماً. فهو كتاب يجلي الحقيقة.

●● ولا نريد غير الحقيقة.

عباس الطرابيلى

abbas@alwafd.org

يحدث فى مصر الآن

يوسف القعيد



[illegible] مذكرات فاروق

[illegible] كنت اقرأ مذكرات الملك فاروق التي نشرتها سناء البيسي في [illegible] الصحف. فاروق ظالما ومظلوما. واعدته سهير حلمي [illegible] والفصل الذي خصصه لنا فاروق [illegible] عنوان [illegible] لنا في المذكرات لحظة وصول قوات ثورة يوليو الى قصر [illegible] الأمر وتعيش زوجتي [illegible] القدمين [illegible] ويعود فاروق [illegible] معه [illegible] لحظة رؤيته لصورتها التي [illegible] عليه جواهرجي [illegible] وأحدث [illegible] فلها عينان [illegible] بالحيوية [illegible] لا يحكي قصته معها بقدر ما يرد على ما نشر عنهما داخل مصر التي كانت [illegible] كل ما يكتب في صحافتها عنه رغم حرصه على ان يكتب [illegible] القارئ الاوربي يحكي خطبتها لزكي هاشم الذي يؤكد انه [illegible] ست مرات. والموافقة عليه كانت من والدها فقط ثم يصف لنا [illegible] في محل جواهرجي حتى تبدو المقابلة كما لو كانت بالصدفة ويصف اللقاء [illegible] ناريمان مع والدها [illegible] حديثهما [illegible] الى سمعي صوتها الدافئ [illegible] الصورة الفوتوغرافية لم تكشف شيئا عن سحرها. ويؤكد ان تلك هي قصة لقائه الأول بها. ولبس صحبتها [illegible] الى الجواهرجي [illegible] زكي هاشم كما تكون [illegible] في البداية كانت [illegible] كلمات قليلة [illegible] ما [illegible] انا لم نكن [illegible] وطلبت من [illegible] الجواهرجي [illegible] انها تحتفظ [illegible] وهكذا [illegible] زكي هاشم [illegible] لانه [illegible] الملك [illegible] ناريمان [illegible] على [illegible] عليك ان تفعل ما تريد [illegible] فاروق [illegible] الا بعد موافقة [illegible] تقول [illegible] أكثر من ١٢ ساعة يوميا لكي تؤهل نفسها [illegible] كانت تتقن الفرنسية [illegible] وهكذا [illegible] في الحادي عشر من [illegible] مايو سنة ١٩٥١

ويصل الى نهاية حكايته مع ناريمان [illegible] هاشم لقد عانيت الكثير [illegible] لحظة [illegible] ناريمان [illegible] تشاركني حياتي في المنفى وهكذا [illegible] ان ناريمان تركته في روما وعادت الى مصر [illegible]

[illegible] فاروق [illegible] والتاريخي [illegible] والاخبار [illegible] القارئ [illegible]

جريدة الأسبوع ٢٠٠٥

فاروق.. الوجه والقناع

الأهرام

سناء صليحة

٢٠ فبراير ٢٠٠٥

خواطر تدافعت إلى ذهني وانا اقلب صفحات كتاب فاروق ظالما ومظلوما للباحثة الشابة سهير حلمي التي استطاعت من خلال تناولها لشخصية الملك السابق وملابسات عصره والشخصيات المحورية في حياته ان تؤنسن التاريخ وان تكسوه لحما ودما، لتكتسب الاسماء والاحداث التي طالما قرأنا عنها ومررنا بها مرور الكرام دون ان نتوقف للحظة واحدة امام الحلقات المفقودة منها، ابعادا واعماقا انسانية وكاننا نشاهد عملا دراميا متكاملا.. لقد وقعت الباحثة في هوى الشخصيات التي تناولها قلمها ولا ابالغ اذا قلت ان ارواحهم تلبستها في لحظات كما لو كانت تحولت لنقشبندي جديد اشبه بنقشبندي نجيب محفوظ في حديث الصباح والمساء، فغاصت في التاريخ الاجتماعي والنفسي اللامرئي لابطال الحدث لتسقط عنهم عبر الصفحات كل الاقنعة والآراء المسبقة والعبارات المكررة التي التصقت بهم ليعايش القارئ في لقطات زووم متتابعة تحول قهر نازلي في محبسها لعاصفة عصفت بحياة ابنائها وتحول الشاب الوسيم الحالم لشخصية هاملتية في لحظة اكتشافه كم القبح في عالمه والبدايات الاولى التي رسمت وشكلت مصير الشقيقات، لنقف وربما للمرة الاولى امام بشر حقيقيين لم نعرف منهم سوى اسماء ارتبطت باحداث او لشائع ولنكتشف ابعاد شخصية احمد حسنين والنحاس ومكرم عبيد وعزيز المصري وفريدة وكل الاسماء، التي ارتبطت بذلك العصر.

ومع تقليب صفحات الكتاب نجد أنفسنا في مواجهة معضلة حقيقية اذا ما حاولنا تصنيف الكتاب طبقا للتصنيفات المعروفة.. فالكتاب الذي استند على وقائع تاريخية ووثائق وحوارات حية ومذكرات فاروق التي تنشر لأول مرة بالاضافة لمجموعة نادرة من الصور لايمكن أن يخضع لتصنيف التاريخ البحت، ذلك ان نقلات الباحثة الذكية واسلوبها واستشهاداتها الادبية وتصويرها للشخصيات وتعاطفها الواضح تماما من بين السطور وكلماتها التي تشي باكثر مما تفصح، مهما بلغت يقظة رقيبها الداخلي، تقدم شكلا دراميا صميما للتاريخ وان لم يفقدها ذلك قدرة المؤرخ على التحليل واستنباط دلالة الاحداث ومساراتها والبدايات التي ادت للنتائج. فبعد ان هدأت العاصفة تنفض سهير حلمي الغبار عن احداث تفسيرات تعاملنا معها كامر مسلم به سواء في احداث ٤ فبراير أو قضية فلسطين او الاسلحة الفاسدة او حريق القاهرة او علاقات فاروق مع الاحتلال البريطاني وقوات المحور وغزواته الغرامية، لتقدم من خلال الوثائق وقائع لاتؤدي بنا فقط لاعادة النظر في الشخصية المحورية للكتاب والاحداث التي ارتبطت باسمه ولكن ايضا لاعادة قراءة تاريخنا من منظور جديد.

واخيرا لقد وصف الاستاذ انيس منصور في يومياته الكتاب بانه قنبلة وسبق صحفي، وهو لم يتجاوز الحقيقة، وان كان لي أن أضيف شيئا لما اوجزه في كلمته البليغة لا املك إلا أن التحية للكاتبة الكبيرة سناء البيسي التي لم تهد فقط الاهرام عملا ناجحا بكل المقاييس ولكنها ايضا اهدتنا جميعا وفي كل المجالات درسا مهنيا رائعا من خلال استعادة دور الاستاذ والمعلم.

فالاستاذة سناء البيسي لم تكتف بدعم هذا العمل والوقوف وراءه في كل مراحله الشاملة ولكنها ايضا مهدت بقلمها الدافئ، وحميميتها الشديدة للاسلوب الذي اختارته الباحثة عندما رسمت في مقدمتها صورة من نسيج مخملي رصعته بذكريات حميمة وعبارات حية ومشاعر صادقة تداخلت فيها لوحة في صالون قديم وبروش لايرى النور الا يوم المقابلة وبيانو عتيق واحاديث الطاولة واحساس المرأة بالمرأة عندما وقفت مع فريدة أمام لوحة في معرضها ونظرات الزائرين التي لم تغب عن فطنتها ولا عن فطنة السيدة المحبة التي ضحت بالعرش صونا لكرامتها ولذكرى حب قديم، لتقدم موالا ملؤه الحنين والشجن قبل رفع الستار..

تحية للاستاذة المبدعة صانعة الكوادر المهنية وتحية للتلميذة ولمحاولة لاستعادة حلقات سقطت عمدا أو سهوا من تاريخنا دون ان ننتبه لها ومرحبا بالمزيد من القراءات الجديدة، حتى وإن كانت مختلفة، للجوانب الخفية في تاريخنا بحثا عن وجوه اخرى للحقيقة ..

الأخبار ● ٢٩/١٠/٢٠٠٧ ●

اتهام فاروق.. سابق على الثورة

بقلم : جمال الشرقاوى

Gamal_Elsharqawy@yahoo.com

ان يقال ان اسلوب تنشئة فاروق، وتربيته، وظروفه الاسرية، والحاشية التي فرضت عليه، والتي اختارها بنفسه.. كل ذلك ادى به ان يكون شخصية تراجيدية، تسعى، ككل ابطال التراجيديا، الى حتفها بصلفها. وانه بهذا المعنى كان مظلوما. هو استنتاج منطقي وواقعي، لكن فاروق كان ملكا. لديه سلطة ملكية. كان راس الدولة. وسلوكه وتصرفاته، بهذه الصفة، هي اعمال مادية مؤثرة. وهو بذلك، يقوم ويحاسب. فاذا كان كملك اقدم على سلوك غير لائق، اوقع به اذى على اقرب الناس اليه، وهما زوجتاه.. وارتكب جرائم سياسية اضرت بالوطن والشعب، فإنه يكون انسانا، وملكا ظالما، ووضع الصفتين «الظالم والمظلوم» كنقيضين، تنفي احداهما الأخرى، هو التباس فكري، ينتج عن قصور في بحث الشخصية. وهذا ما نجت فيه باحثة جادة، تعاملت مع شخصية وسلوك فاروق بموضوعية وحياد. وتلك جاء كتاب الزميلة الصحفية سهير حلمي بعنوان جامع للنقيضين معا، هو: «فاروق.. ظالما.. ومظلوما».

اما ان يؤدي قصور البحث الى تبرير الظالم بالمظلوم.. او بتبرير مدهش ومثير للرثاء، بان كل الاتهامات التي توجه ضد فاروق، هي من باب تلويث سمعته، بقصد، من قادة يوليو، حتى يبرروا انقلابهم عليه وعزله!

بماذا إذن تفسر الدكتورة لميس جابر، ومن جاراها في ذلك، هذه الهبة الشعبية الكاسحة لتأييد حركة الجيش بمجرد إذاعة البيان الأول.. او الفرحة الغامرة للجماهير الملتفة حول اجهزة الراديو في الشوارع، عندما سمعت إنذار الحركة للملك بالتنازل عن العرش، ومغادرة البلاد الساعة السادسة يوم ٢٦ يوليو؟.. لم يكن الشعب يعرف قادة يوليو، ولم يكن هؤلاء قد وضعوا خطة «تلويث فاروق»!

وفيما يتعلق بسلوكه الماجن، وعلاقاته النسائية، وبغض النظر عن كونه «زير نساء» حقا أم لا. أليس كافيا أن المرأتين اللتين تزوجهما، هما اللتان طلبتا الطلاق منه.. خلعا. مضحيتان بكل شيء في سبيل الخلاص منه؟!.. صور المسلسل فريدة وكأنها هي السبب بغيرتها، وكرامتها المنتفخة، وتحولها الى زوجة «نكدية».. فلماذا وإذن خرجت تلميذات المدارس يهتفن فريدة، ويهتفن: «الطهارة.. خرجت من بيت الدعارة»!!.. اما عن ناريمان، فيكفي ان نقرأ كتاب الزميل محمود صلاح الوثائقي: «مأساة امرأة كانت ملكة مصر»!

«لم يكن مرتشيا». هكذا حكم بالبراءة.. ببساطة. فما قولكم فيما رواه احمد مرتضى المراغي باشا، وزير الداخلية في جميع الوزارات التي تشكلت بعد حريق القاهرة وحتى يوم ٢٣ يوليو؟ يقول المراغي ان نجيب الهلالي باشا عندما الف وزارته الاولى في مارس، رفع شعار «التطهير». وراح وزير ماليته يفتش في الدفاتر، فوجد ان احمد عبود باشا. عليه ضرائب قدرها خمسة ملايين جنيه. طالب بها. فلم يدفع، فوجه له انذارا بالدفع او الحجز على ممتلكاته التي تقدر بمائة مليون جنيه. ذهب الى اندراوس باشا المستشار الاقتصادي للملك. وقال له بلغ صاحبك يخلصني، وانا مستعد. أبلغ اندراوس ذلك للملك، فسأله: يدفع كام؟.. اجاب: ربما مائة الف. رد الملك: قليل.. يدفع ٢٠٠ الف. ودفع عبود. وضغط على الهلالي حتى استقال. ويعلق المراغي، الذي ليس من قادة يوليو: وقطعت رقبة الهلالي.. بثمن ٢٠٠ الف جنيه!

العالم اليوم

الأربعاء
23 فبراير 2005

هذا الزمان



فاروق جويدة

فاروق.. مظلوما

ان كتاب فاروق ظالما ومظلوما الذى قدمته مجلة نصف الدنيا عمل صحفي رائع يحسب لتاريخ هذه المجلة ورئيسة تحريرها والكاتبة التي اشرفت على ظهوره.. في كتاب الملك فاروق مجموعة نادرة من الصور اعادت للذاكرة مصر الاربعينيات حيث الفخامة والثقافة والاناقة والوطن الجميل.. واعادت لنا صورة الاسرة العلوية التي حكمت مصر قرنا ونصف القرن من الزمان وكانت لها انجازات عظيمة رغم كل السلبيات فليس هناك انجاز بلا اخطاء..

واعاد لنا هذا الكتاب صورة الملك فاروق ولم يكن الرجل بكل هذا السوء الذى وجدناه في كتب التاريخ طوال نصف قرن من الزمان.. قالوا ان فاروق كان لا يفيق من الخمر رغم انه لم يشرب الخمر في حياته.. قالوا انه كان يضع المجلات العارية بجانب سريره واتضح انه لم يكن ينام الا والقرآن الكريم تحت راسه.. وقالوا انه حمل سبائك الذهب في السفينة المحروسة.. واتضح انه عاش ومات فقيرا.. وقالوا انه كان يعرض بناته للاثرياء العرب وقال انا على استعداد ان اعمل جرسونا لكي اوفر نفقات بناتي.. قالوا كثيرا عن فاروق الملك وجاء هذا الكتاب ليكشف لنا حقائق كثيرة من حياة هذا الرجل ظالما ومظلوما.. لم يكن الملك فاروق قديسا ولكنه اخطأ مثل مئات الحكام قبله وبعده ولكن الامانة تقتضي ان نذكر للرجال افضالهم وان نحسب لهم مواقفهم وان نقول ما كان لهم وما كان عليهم.. وفي هذا الكتاب صفحات مضيئة في تاريخ فاروق الملك وصفحات سوداء في تاريخه وتاريخ غيره ممن جاءوا بعده لقد اسقطت ثورة يوليو فاروق عن عرشه ولكنها لم تستطع ان تسقطه من تاريخ مصر لأن التاريخ ملك للشعوب والاحداث ملك لاصحابها.. كان من الممكن أن نتحدث عن اخطاء فاروق ولكن بلا اسفاف او تجاوزات لان للرجل إعماله وله ايضا اخطاؤه وكان من الظلم ان تبقى الاخطاء وتسقط الاعمال.. لقد اعاد الرئيس السادات جثمان الملك فاروق ليدفن في مصر.. ثم تعامل الرئيس مبارك مع اسرته بكرم شديد وكان ينبغي ان يحدث ذلك من البداية ولكن الثورة في ضراوتها حطمت اشياء كثيرة كان ينبغي ان نحافظ عليها ويكفي ما حدث من عمليات النهب والسرقة في القصور الملكية على يد لجان الجرد او لجان النهب وهذه صفحة من اسوأ الصفحات في تاريخنا الحديث.

الأهرام
٦ نوفمبر ٢٠٠٧

كله تاريخنا.. والتاريخ تراثنا



د. ليلى تكلا

فى مقال «التاريخ وحده يحكم» انتقدت مهاجمة السادات عقب وفاته ممن استفادوا منه!! ودعوت إلى «الذاكرة الموضوعية»، فى اليوم التالى تفضل وتواضع الكاتب الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين وكتب: «.. إنها وجدت التعبير الذى كنت ابحث عنه ولم أجده».

كان فى هذه الشهادة، من عملاق مثله لمبتدئة مثلى، ما شجعنى على الكتابة، والكتابة تستلزم القراءة ومتابعة الأحداث، والتعرف على الآراء المتباينة، فكان له بذلك فضل كبير علىّ لا أنساه.

تذكرت هذه الواقعة بمناسبة مسلسل «الملك فاروق»، ما كتب حوله من تأييد ونقد، فتح ملف مرحلة من تاريخنا ظل مغلقا ومحرما لسنوات طويلة (باستثناء كتابات د. يونان لبيب، وسهير حلمى، ولطيفة سالم.. ثم عادل ثابت).

كانت مرحلة مليئة بالأحداث المتنوعة، سطع فيها سعد زغلول وكفاحه حتى المنفى، اشتعل الحس الوطنى، اغتيل أحمد ماهر، والنقراشى، وحسن البنا لأسباب مختلفة، ونجا النحاس..

الإذاعة والتليفزيون

محمد جلال

علامة استفهام

الديمقــراطيــة ألانخــاف

من أهم الكتب التى ظهرت مع باعة الصحف فى الشهور الأولى من هذا العام وأصدرتها أهم مؤسسة إعلامية فى مصر وهى «الأهرام» من مطبوعات مجلة «نصف الدنيا» من إعداد الكاتبة سهير حلمى.. وقدمت له الأديبة المبدعة الأستاذة سناء البيسى رئيسة التحرير بمقدمة عنوانها «ونزولا على إرادة الشعب» والكتاب عنوانه «فاروق ظالما ومظلوما» وواضح من اسمه أنه مؤرخ لتاريخ الملك فاروق الذى من أجله قامت ثورة يوليه التى غيرت تاريخ مصر، بل تاريخ الكثير من دول المنطقة.. ولا نبالغ إذا قلنا أن كل ما تفعله أمريكا بتحريض من إسرائيل — الآن— هو من أجل أن لا تظهر فى أفق المنطقة.. ثورة مثلها مرة أخرى وعبدالناصر جديد تلتف حوله شعوب الأمة العربية ويدعو إلى حرية الشعوب الحقيقية من المحيط إلى الخليج، ليمتد تأثيرها إلى دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية وأعطاء كل الشعوب حقها فى التحرر والديمقراطية!.

محمد نجيب يرد على فاروق

وأول ما استوقفنى.. هذا الحديث وعنوانه: محمد نجيب يرد على فاروق..

الحرس الملكى لم يدافع عن الملك السابق بل أنضم إلى الجيش..

صوت الأمة
21 / 2 / 2005

حد فاهم حاجة؟

إنجاز سهير حلمى

نادراً ما يثني كاتب على عمل كاتب اخر.. ومن الصعب بل من المستحيل ان تصادف صحفياً يشكر فى صحفى او صحفية.. على اعتبار أن كل واحد منا يعتبر نفسه نابغة زمانه وعبقرية عصره واوانه.. وما ياتى به يعجز حتى اولياء الله الصالحون ان ياتوا بمثله.. اعترف ان هذا الغرور افسد أبناء مهنتي جميعاً.. واعتبروا هذا نقداً ذاتياً او حتى جلداً للذات إذا اردتم ذلك

لكنني ورغم ذلك كله اجدني وبمنتهى البساطة اشيد واثني على الجهد الرائع الذى بذلته الزميلة سهير حلمى فى إنجازها المهم لكتاب «فاروق ظالما ومظلوما» الذى صدر عن مجلة نصف الدنيا ككتاب تذكارى.. وحتى لا يعتقد احد انني أساهم فى الدعاية للكتاب لان مؤلفته اهدتني إياه أقول لكم ان الكتاب لا يحتاج إلى دعاية من أحد بعد أن نفدت طبعته الاولى وقامت مؤسسة الأهرام بطرح طبعة ثانية منه.

لا اعرف سهير حلمى شخصياً.. لكنى استطعت ان ادرك اجتهادها ودأبها فى عملها من خلال حماسها الذى حدثتني به تليفونياً عن المجهود الذى بذلته في الكتاب الذى قدمت فيه بانوراما شاملة عن حياة الملك فاروق وقدمته الكاتبة الكبيرة المبدعة سناء البيسى.. وهى بالمناسبة من القلائل فى مصر التي تلتقط الفكرة الصغيرة التى لا يراها احد وتحولها بقدرة قادر إلى عمل صحفى مبهر يجذبك ولا يجعلك تفارقه حتى تنتهى منه.

استعرضت سهير حلمى حياة فاروق ليس من خلال الاحداث التى مرت بها فقط ولكن من خلال الرجال والنساء الذين صاغوا هذه الحياة واثروا فيها وانتجوا لنا فى النهاية ملكاً نحتار في تقييمه فمن الصعب أن تنحاز له لانه ظالم في كثير مما فعله ومن الصعب كذلك ان تنحاز ضده لأنه مظلوم بما جرى له وبه على يد اقرب الناس إليه.. امه التى خذلته وزوجته الأولى فريدة التى احبها بصدق لكنها تعاملت معه كمجرد رجل وليس ملكاً ينبغى ان يتم الدخول إلى حياته بشكل خاص.

اهم ما جاء فى كتاب سهير حلمى الذى يصل إلى حوالي ٥٠٠ صفحة من قطع نصف الدنيا هو فـ ـل مذكرات الملك فاروق التى كتبها بنفسه بعد أن خرج من مصر مباشرة.. ففي اكتوبر ١٩٥٢ بدأت صحيفة «إمباير نيوز» الاسبوعية الانجليزية فى نشر سلسلة بعنوان «ذكريات فاروق» من خلال لقاءات الملك السابق فى إيطاليا مع الصحفى الإنجليزى نورمان برايس.. استمرت المذكرات حتى يناير ١٩٥٣.. وقد نشرت الأهرام الحلقة الأولى من هذه المذكرات ونشرت تعقيب الرئيس محمد نجيب عليها فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٢. لكن الاهرام لم تواصل النشر واكتفت بالحلقة الاولى فقط واسباب ذلك لا تخفى على احد.

إننا أمام عمل مهم.. فيه جهد بحثي محترم نجا من عجلة العمل الصحفى. وعلى ما يبدو ان الزميلة سهير حلمى تفرغت له تماماً.. ولذلك خرج كاملاً فى المادة التى حصلت عليها والصور النادرة التى انفردت بنشرها. الكتاب اعجبنى واعتقد انه سيعجبكم ايضاً.

Elbaz -press @ hot mail . com

٢١ فبراير ٢٠٠٥

الأحرار

الاثنين ٢١ من فبراير ٢٠٠٥م

بقلم رئيس التحرير

فاروق مظلوما

وبعد ان استمتعت بمشاهدة الصور النادرة وقرات الفقرات التى تضمنتها صفحات التحرير القليلة، وراجعت صفحات ١٨٨ وما بعدها تمنيت ان يكون عنوان الكتاب هو «فاروق مظلوما» بعد ان براه هذا الكتاب من كثير مما كان منسوبا اليه، بداية من شرب الخمر وانتهاء الى تورطه وتورط حاشيته فى تزويد الجيش المصرى فى فلسطين عام ١٩٤٨ باسلحة فاسدة ومرورا بتهمة تاييده للانجليز الذين كان يبادلهم العداء ويتعاطف مع القوى المناهضة لهم ولاحتلالهم مصر. وقد تضمن الكتاب فى الفصل الذى يحمل عنوان «نظام فاسد واسلحة فاسدة» الادلة الدامغة على عدم وجود فساد فى قضية الاسلحة، ويكاد يقدم ادلة واضحة على عدم وجود أسلحة فاسدة على الاطلاق.

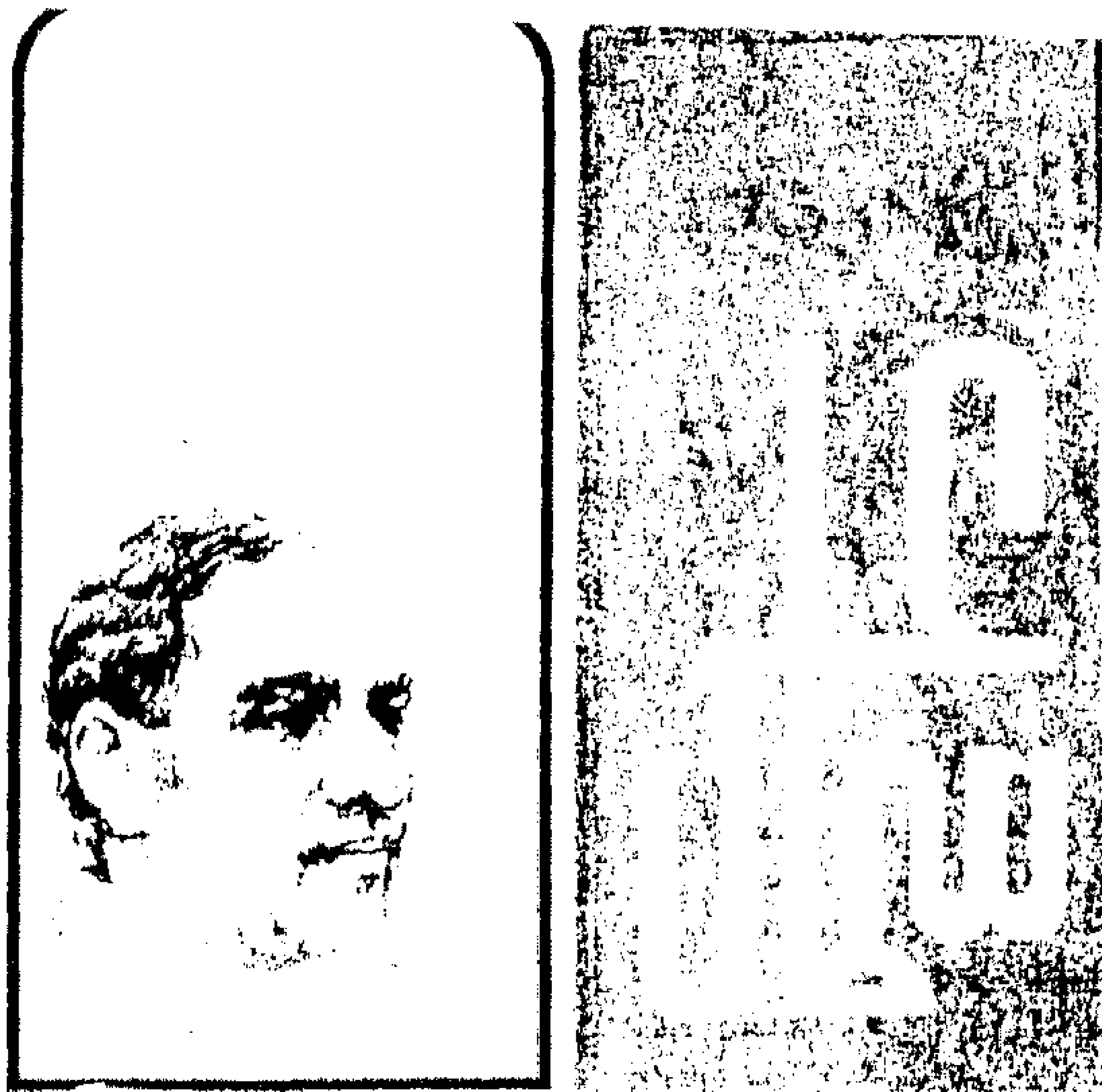
وقد ورد فى ذلك الكتاب الأنيق ما سبق ان اشرنا اليه فى هذا المكان عن تسرب ذخائر من مخلفات الحرب العالمية الثانية مشتراة من اعراب الصحراء الغربية وقد فسدت بمرور الزمن وسوء التخزين، كما ورد أيضا على لسان الباحثة سهير حلمى التى قامت باعداد هذا المرجع التاريخى ان المتهمين المصريين فى قضية الأسلحة الفاسدة حوكموا عسكريا ومدنيا فى عهد الملك فاروق، وصدرت أحكام ببراءتهم وتاكدت هذه البراءة مرة اخرى عام ١٩٥١ ثم اعيدت محاكمتهم فى بداية العام ١٩٥٢ وتم تاجيل القضية لشهر ديسمبر ليتم نظرها فى عهد الثورة وعلى ضوء كل المستندات والوثائق المتاحة، وانتهى الأمر ببراءة المتهمين وكان بينهم من هو محسوب على الملك فاروق، رحمه الله.

كما ذكرت سهير حلمى فى الصفحة ١٩٥ ان الدكتور عبد المنعم الدسوقى اجرى دراسات علمية واكاديمية اثبت بها امام الجامعات المصرية وغير المصرية ان كل ما نشرته الصحف عن الاسلحة الفاسدة وتورط الملك وحاشيته فى ذلك، لا اساس له من الصحة، وان الملك فاروق ورجاله ليس بينهم من خان وطنه وتربح من دماء المصريين. وقد سبق ان ذكرنا ذلك اكثر من مرة فى هذا المكان وفى غيره، ويبقى ان تنتبه وزارة التربية والتعليم الى هذا الإفك الذى ورد فى كتب التاريخ المقررة على طلبة وطالبات الاعدادية وفيها ان قيام ثورة يوليو ٥٢ ترجع الى عدة أسباب رابعها هزيمة الجيش المصرى خلال حرب فلسطين بسبب تزويد رجاله باسلحة فاسدة فى عهد الملكية الفاسدة.

ولا يزال الملك فاروق مظلوما فى كتب وزارة التربية والتعليم، وسيبقى مظلوما حتى إشعار آخر.

ونسال الله له الرحمة ولنا العافية..

قبضايا



■ سعدت بكتاب للصحفية «سهير حلمى» من أسرة «نص الدنيا».. الكتاب عن (الملك فاروق ظالما ومظلوما) ويقع فى ٥٠٠ صفحة مزود بالصور النادرة ومدعم بالوثائق الأكثر ندرة وهو عمل صحفى بحثى ينطوى على جهد صحفية لديها ولع بالتاريخ وتعقب الأحداث.. وقد أعطت سناء البيسى للصور والمقالات مساحتها دون نقصان. وسناء البيسى مايسترو مع مجموعة عازفين مهرة لكل منهم أسلوبه فى العزف. إنه كتاب تاريخ ليس تقليديا بلغة الأكاديميين. إنه «احتفالية» بملك كان يحكم مصر واحتار التاريخ فيه.. هل كان ملكا فاسدا أم أفسدوه؟ ولى حلقة على شبكة الأوربت ترد وتجيب عن هذا السؤال المهم ولكن يحسب لهذا النظام السياسى المتسامح مع التاريخ أنه سمح بدفن المتوفين من أسرة فاروق فى تراب مصر. وزمان - فى الزمن الشمولى - اضطر كبابجى فى باب اللوق أن يغير اليافطة من حاتى الملك إلى حاتى الجيش!!

وما أجمل عنوان «نساء فاروق.. ضجيج بلا طحين» إنه يعبر عن حقيقة فاروق والنساء! إن الكتاب وثيقة للقارئ المصرى.

مفيد فوزى

مجلة صباح الخير ٢٠٠٥



سهير حلمى

قبل أن تقرأ..

على مدى ٥٥ سنة هى عمر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صدرت مئات الكتب والمذكرات والذكريات والشهادات التى تحكى وتروى كل شىء عن الثورة: سياسيا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا!!

لقد قرأت أغلب هذه الكتب، وكان آخرها ذلك المجلد المهم الضخم وعنوانه «فاروق» ظالما ومظلوما للكاتبة الصحفية الزميلة «سهير حلمى» ويقع فى حوالى ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير.

اعترف بأن الزميلة «سهير» قدمت واحدا من أهم الكتب عن الملك فاروق من البداية وحتى النهاية، وقد فازت بجائزة مصطفى وعلى أمين عن هذا الكتاب المتميز.

لقد توقفت طويلا أمام الخبطة الصحفية والتاريخية التى قدمتها «سهير» فى كتابها وهى مذكرات الملك فاروق، التى لم تنشر الأهرام منها سوى حلقة واحدة وتعقيب من اللواء «محمد نجيب» عليها، لقد حصلت «سهير» على ١٢ حلقة مما كانت تنشره صحيفة «امباير نيوز» الإنجليزية، وأعادت تقديمها لقارئ معاصر يبحث عن الحقيقة لا عن تصفية الحسابات.

«صباح الخير» اختارت أهم ما جاء فى مذكرات الملك فاروق لتعيد نشره للقارئ.

«رشاد...»

رشاد كامل

صباح الخير ■ العدد ... يوليو ٢٠٠٧

رقم الإيداع ٣٨٦٤ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 320 - 137 - 6

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر









"واليوم وأنا أستعيد حياتى الخاصة للمرة الأولى اكتشفت متعتين كبيرتين لم أشعر بهما من قبل .. فالآن يُمكننى البحث عن أى عمل يستهوينى ويعود على عائلتى بالنفع !! والآن عرفت أيضاً متعة البداية من الصفر وهى متعة أخرى لم أكتشفها من قبل .. ربما أكون قد فقدت عرشى لكننى حطمت قيودى .." بهذه الفقرة السالفة أنهى الملك فاروق حديثه مع الصحفى الإنجليزى نورمان برايس الذى صاغ مذكراته ونعرضها كاملة فى هذا الكتاب الوثائقى الشيق ضمن ٢٥ فصلاً تتناول عهد فاروق بأكمله وحتى وفاته .. بالإضافة لمتحف أنيق من الصور الفوتوغرافية النادرة التى لم تتوافر لكتاب تاريخى من قبل.

مركز الأهرام للترجمة والنشر







